الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية فرع التاريخ

عـــنوان الدراســـــة :

علاقة شكيب أرسلان بالحركة الوطنية المغاربية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (LMD- ل م د) في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب

– سلامة دربال

إشراف الأستاذ :

- . د سليمان قريري

لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
عبد الحميد بعيطيش	أستاذ	جامعة باتنة 1	رئيسًا
سليمان قريري	أستاذ	جامعة باتنة 1	مشرفًا ومقررًا
لمياء بوقربوة	أستاذ	جامعة باتنة 1	مناقشًا
شهرزاد شلبي	أستاذ محاضر.أ.	جامعة بسكرة	مناقشًا
كمال يرم	أستاذ	جامعة المسيلة	مناقشًا

السنة الجامعية : 2022- 2023م/1444-1445هـ

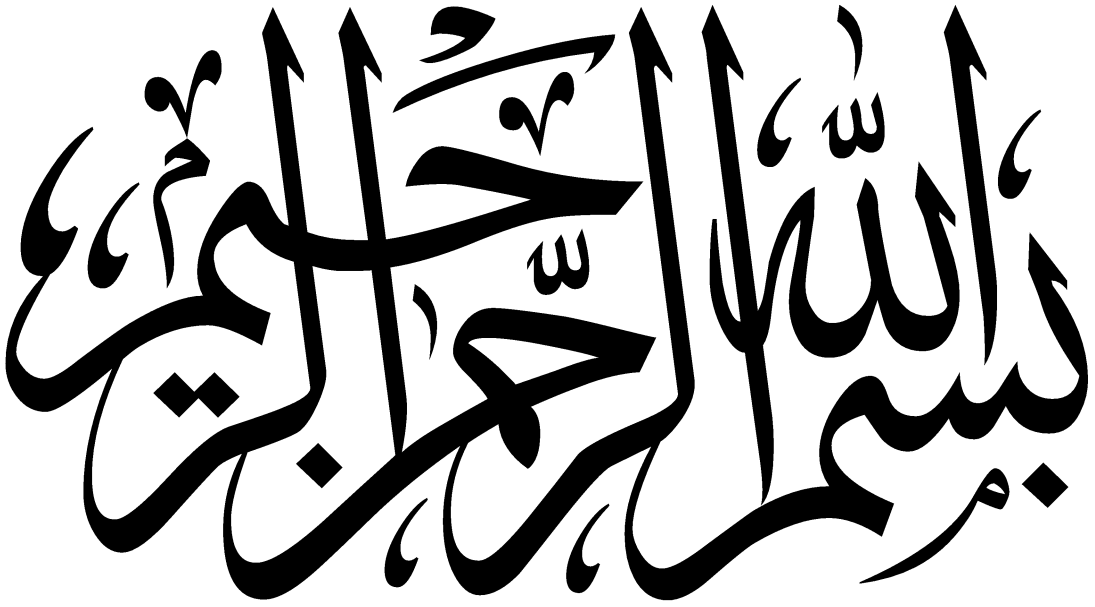
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} المجادلة **(11)**.

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما أُهدي هذا العمل المتواضع

إلى سَندي ومن كان إلى جنبي طول مساري الدراسي زوجتي أنار الله بها دربي

إلى أولادي: محمد البراء، محمد عبد الرحمان، زلفى، ضياء الحق ولينا، واجعلهم ربي في حفظك .

شكر وعرفان

عن النبي صلّى الله عليه وسلم: " من لم يشكر الناس لا يشكر الله " رواه الترمذي.

أتقدم بكامل العرفان وجزيل الشكر إلى أستاذنا وقدوتنا الأستاذ الدكتور سليمان قريري

الذي حظينا بقبوله الإشراف على عملنا، وعلى تقديمه للنصائح والتوجيهات العلمية المنهجية، والثقة التي منحنا إياها.

نوجه الشكر إلى الأستاذ الدكتور هواري مختار، والأستاذة الدكتورة بوقريوة لمياء جامعة باتنة **1**، والأستاذ الدكتور فايد البشير والدكتور عبد الحفيظ بوعبد الله من جامعة سطيف **2**، وكل الشكر إلى الدكاترة: خليل شايب جامعة قسنطينة، إسماعيل ذباح جامعة برج بوعريريج، شعيب قماز جامعة باتنة والدكتور صلاح صوالحي المرافق النفسي البيداغوجي للدراسة.

مُقَدِّمَة

مقدمة:

من النادر أن نجد أشخاصًا ميزتهم الجهاد بالقلم عبر كتابة الشعر والنثر والتأليف ثم الخوض في فضاء السياسة وتقلّد المناصب، واقتحام مجالات الحرب وحمل السلاح والدّخول في غمار المعارك، غير أن شخصية أمير البيان شكيب أرسلان ، مزجت بين مجالي الأدب والحرب، وجمعت بين قضايا السياسة والكتابة والتأليف في الشعر والنثر والتاريخ، فخلّف الكثير من المؤلفات، وكوّن شبكة علاقات واسعة في العالم العربي والإسلامي في الفترة التي شهدت فيها الخلافة العثمانية أوجّ ضعفها، وبدأت أقاليمها بالتفكك والدول الأوروبية تتربص بها قصد اقتطاع الولايات العربية إلى نفوذها، والسيطرة عليها.

لقد نشأ الأمير في ظروف ثقافية ملائمة ميّزها ظهور أفكار الحركة الإصلاحية وشبه استقرار سياسي داخلي في المشرق، فتلقّى تكوينًا ثقافيًا جيّدًا، لكن على الصعيد الخارجي كانت هناك تغيّرات جذرية وتحوّلات سياسية خلّفت صعود الغرب وانحدار الشرق أثّرت على مسار شكيب أرسلان السياسي، ليتحول من خدمة الوحدة الإسلامية تحت مظلّة الخلافة العثمانية، إلى الوحدة العربية مقدمًا جهودًا حثيثة في هذا المجال.

عايش الأمير مراحل التراجع الذي مسّ العالم الإسلامي، فكان شاهداً على نكساته إثر تحول موازين القوى من الشرق إلى الغرب، وشهد أحداث الثورة العربية ضد الدولة العثمانية التي كان معارضاً لها، وساير السياسة القمعية لجمال باشا المدعو بالسفّاح ضد القوميين العرب، رغم جهوده ومساعيه للعفو عنهم.

آمن بفكرة الوحدة، فكان من الفعّالين في نشر الوعي بين تيّارات الحركات الوطنية، خصوصاً في شمال إفريقيا، وعمل بكل ما لديه من وسائل لتحرير العقل العربي والإسلامي من التخلّف والجمود، مُركزًا من خلال مساره التوعوي على دول المغرب العربي، فكانت له علاقات جيدة مع رموز الحركات الوطنية المغاربية، ولم تقتصر علاقاته برجالها فقط بل تعدّت إلى اهتماماته بتاريخها وسياسات الاحتلال فيها، وكان له بالغ الاهتمام بقضاياها ومشاكلها، فخطّ عدد غير محدود من المقالات دفاعاً عن الهوية العربيّة الإسلاميّة، وخاض في كثير من القضايا الأخرى.

شارك في الحرب الطرابلسية ضد الاحتلال الإيطالي، مُقدمًا الدّعم المعنوي عبر منابره الإعلامية، والدّعم المادّي من خلال علاقته الواسعة، زار تونس مُتنكّراً مُتخفياً قصْد جمع الإعانات للمقاتلين في ليبيا، ثم المغرب الأقصى فأحدثت زيارته هزّة على مستوى الإدارة الفرنسيّة الاستعمارية، وضجّة إعلامية في الصحافة

الأوروبية، تعرّف على الجزائر من خلال درايته الواسعة بتاريخها، واطّلاعه على كل تفاصيل واقعها، أقام علاقات واسعة مع رموز حركتها الوطنية من رجال الحركة الإصلاحية والاستقلالية و أئمّة الطرق الصوفيّة.

وفي المقابل سارعت الحركات التحررية المغاربية إلى ربط الصلة مع الأمير المقيم في سويسرا، الذي جعل من بيته مقراً للدفاع عن مصالح الشعوب المحتلة في مقدمتها الشمال إفريقية، فلم تنقطع المراسلات بين الطرفين لأخذ النُّصح والإرشاد وإيجاد الحلول لمشاكلهم السياسيّة، ومنهم من التقى به ورافقه في كثير من المناسبات على غرار الزعيم الليبي الشيخ أحمد الشريف السنوسي، ولحبيب بورقيبة التونسي، ومصالي الحاج الجزائري وعبد السلام بنونة المغربي، والكثير من رموز الحركة الوطنية المغاربية التي تأثرت بفكره، وعملت بتوجيهاته لمناهضة مختلف الأجهزة الإدارية للمحتل: الإيطالي والاسباني والفرنسي.

وبالأخص الطرف الفرنسي الذي كانت له مواقف ثابتة تجاه الأمير ونشاطه، حيث سخّرت كل أجهزتها الإعلامية والسياسية والمخابراتية، لتشويه سمعته، والإنقاص من مكانته، من خلال توظيف الدّعاية المُغرضة لأجله، عبر صحافتها، وإصدار التقارير السريّة عبر متابعة تحركاته عن كثب، فمارست الضغوطات على الحكومة السويسرية خلال إقامته هناك، وعلى الحكومة الاسبانية حين زار المنطقة الخليفية في المغرب، ثم حوّلت إجراءات التضيّيق على كل من له علاقة به، وعلى من التقى به، أو راسله أو تأثّر بفكره، فمُنعت كتاباته، وحُجزت مؤلفاته في كل مناطق السيطرة الفرنسية.

فكان لشكيب سعة الصدر في تلقي أخبار التضييق والمنع، وحنكة في الردود، اتّصف من خلالها بالصبر والجلد في مواجهة الشدائد، فقاوم ممارسات السلطات الفرنسية بفضح مخططاتهم، وتِبيْان أهدافهم، لإظهار الحقيقة وكشف الأكاذيب، وإبداء آرائه في كل الأحداث، لذا علّقت عليه حركات التحرر المغاربية آمالها واعتمدت على توجيهاته ونصحه، فتكوّنت بينه وبين هذه الحركات علاقة وطيدة عبر المراسلات واللقاءات كان لها الأثر البارز على مسار الحياة السياسية في المغرب العربي.

الإشكالية:

تأتي هذه الدراسة لرفع اللّبس عن النّشاط السياسي والإعلامي والمراسلاتي الذي جسّدته العلاقة التي كانت قائمة بين مختلف تيارات الحركة الوطنية المغاربية والشخصيّة الفذة، المُمثّلة في الأمير شكيب أرسلان، والذي يُعدّ من الشخصيات التي يفتقر إليها العالم العربي والإسلامي اليوم، للعلم الموسوعي الذي حمله، حيث

خاض غمار تجارب عديدة في مجالات مختلفة، ساهمت في بلورة شخصيته الفريدة، بداية بتأثره برجال الإصلاح في المشرق ثم تأثيره على مسار بعض تيّارات الحركة الوطنية في المغارب (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، بعد مشاركته في الحرب الإيطالية الطرابلسية، وزيارته نحو البلاد المغربية، واتصاله الدائم بروّاد الوطنية التونسية والجزائرية، فخلّف رصيدًا هائلاً من المقالات والرسائل، صبّ جمّ اهتماماته عبرها رداًّ على دول الاحتلال، وخدمةً لقضايا وشؤون البلاد المغاربية.

وللإحاطة بجوانب هذا الموضوع ارتأينا أن نطرح عدّة تساؤلات فرعية:

- كيف تكوّنت شخصية شكيب أرسلان الثقافية والسياسيّة، وهل كان لزاماً عليه خدمة السلطة العثمانية حيث كان من منطلق قناعة راسخة أم تماشياً مع وضع راهن فقط ؟

- ما موقفه من الثورة العربية الكبرى، وكيف كانت ردة فعله اتجاه إجراءات العثمانيين في الشام ضد القوميين العرب خاصة في ظل حكم جمال باشا ؟

- ماذا أفرزت جهوده الإعلامية والمادية تجاه القضية الطرابلسية المتعلقة بالاحتلال الإيطالي، وما حقيقة علاقته بالزعيم موسوليني وكيف فسّر الأمير موقفه من ممارسات الفاشيست الوحشية في البلاد الطرابلسية ؟

- متى وطّد علاقته برموز الوطنية التونسية، وكيف أبدى موقفه تجاه السياسة التسلّطية الفرنسية في تونس وما موقف السلطات الفرنسية من نشاطه وأفكار مشروعه حول استقلال البلاد التونسية ؟

- لماذا تعمّق في كتاباته التاريخيّة على البلاد الجزائرية ولماذا ركز في علاقته على شخصية مصالي الحاج دون غيره من رواد الوطنية الجزائرية وكيف كان موقف السلطات الفرنسية منه ؟

- ما سرّ الزيارة التي قام بها أمير البيان شكيب أرسلان إلى مدينة تِطوان المغربية أسبابها وأهدافها كيف تعاملت السلطات الاسبانية والفرنسية مع الأمير خلال زيارته المفاجئة لمدينتي طنجة وتِطوان المغربيتان ما موقفه من إصدار الظهير البربري من قبل الطرف الفرنسي هل كان لمراسلات الأمير مع قادة مختلف التنظيمات السياسية في المغرب تأثير على الحركيّة السياسيّة هناك ؟

أسباب اختيار الموضوع:

خلال دراستنا الجامعية الأوّلية لمرحلتي ليسانس ثمّ الماستر، كان موضوع العلاقات المشرقية المغربية في دائرة اهتمامنا باستمرار طيلة فترات تكويننا، سواء في التاريخ القديم أو الوسيط أو الحديث والمعاصر، فهذا الترابط الوثيق بين المغرب والمشرق، وهذا التّواصل كان له في معظم المراحل علاقات تأثير وتأثر، لذا كانت لنا الرغبة الجامحة في معرفة الخلفيات الحقيقية لتلك الصّلات وما خلفته.

وبعد أن وفقنا الله في اجتياز عقبة امتحان شهادة الدكتوراه، وخلال منحنا قائمة المواضيع المقدمة للدراسة لفت انتباهي موضوع قيد الدراسة عن باقي المواضيع، فلم يكن لي اطّلاع واسع على شخصية أمير البيان شكيب أرسلان، دون ذكر أنّني كنت أعلم أنّه كان أديباً وشاعراً، وقد مارس السياسة في بلده الشام دون تفصيل، حيث كان يستشهد به كثيرا أ.د.فايد البشير في محاضراته، دون علمي بمساعيه المضنية في البلاد المغاربية.

لذا كان اختياري سابقاً للتاريخ المعاصر، والولوج إلى تاريخ العلاقات المشرقية المغربية اعتماداً على ميولي لهذا المجال من الدراسات، فوددت أن أخوض تجربة البحث في إحدى جزئيات هذا الميدان الواسع من الدراسات، فاخترنا موضوع العلاقة التي كانت قائمة بين أمير البيان شكيب أرسلان ومختلف تيّارات الحركة الوطنية المغاربية.

أضف إلى ذلك فإنّ هذا الموضوع من المواضيع التي لم تنل حقها في البحث والدراسة من طرف باحثينا، والدليل هو قلة المقالات العلمية المنشورة في هذا الشأن، وكذلك الدراسات الأكاديمية حول الموضوع وجزئياته.

حدود الدراسة:

تُعتبر الفترة قيد الدراسة من الفترات الحسّاسة في تاريخ العالم الإسلامي ككل، فهي مرحلة شهدت حركية سياسية كبيرة في المغرب العربي، ورغم أنّنا لم نحدد الإطار الزمني ضمن عنوان الدراسة إلاّ أنّ الموضوع تطلّب منّا وضع حدود لهذه الدراسة الممتدة من مولد ونشأة أمير البيان، أي أواخر القرن التاسع عشر(**1869**م) إلى آخر أيام حياته مع نهاية الحرب العالمية الثانية (**1946**م)، و لم نشأ تحديد إطار زماني دقيق

للموضوع لعدة أسباب: طول فترة نشاط الأمير، حيث كانت سنوات حياته مليئة بالأحداث وشهدت زخم كبير من الحروب والأحداث شارك في معظمها. شبكة العلاقات التي ربطها مع مختلف التيارات السياسيّة ومع عدد كبير من الشخصيات التي راسلها، واهتماماته بالبلاد المغاربية بدأً بكتابة التاريخ ومعرفته الشخصية بأبناء المغرب في المشرق، ثم بأبناء المغرب في أوروبا والمغرب العربي، فشملت الدراسة حياته ككل عبر خمسة فصول فترة.

أمّا عن نطاق الدراسة وحدودها المكانية، فترتبط أساساً بماهية الحركات الوطنية المغاربية ومنطلق عملها ونشاطاتها، حيث أن مُعظم رموز تيارات الحركة الوطنية المغاربية تعمل بأوطانها (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب). دون أن نهمل ذِكر أحوال مسقط رأس أمير البيان شكيب أرسلان، لتمتد حدود بحثنا إلى بلاد الشام، وذكر بعض تفاصيل حياته ونشاطه في أوروبا.

أهمية الدراسة:

لا تكمن أهمية الموضوع في العلاقة التي توطّدت بين أمير البيان ورواد الحركات الوطنية المغاربية فقط، بل تعدّت ذلك إلى علاقته بتاريخ دول المغرب وواقعها، فاهتم بها على صعيد التأليف، وكتب عن أوضاعها وتتبع سياسة المحتل وممارساته التسلطيّة، علّق على عديد المواضيع الهامّة على غرار مسألة تنصير البربر والطرق الصوفية، التجنيد الإجباري، وغيرها من القضايا التي لم تنل الاهتمام عبر الكتابة بعد.

إضافة إلى جوهر الموضوع والذي تعلّق بعلاقاته الواسعة التي ربطها مع مختلف الشخصيّات الوطنية من البلاد المغاربية، فتُعتبر كل علاقة تقريباً موضوعاً ينفرد عن الآخر في تاريخه وأسبابه وخلفياته، ليكتشف الباحث الكمّ الهائل من الرسائل التي كُتبت والمقالات التي نُشرت في حقّ المغارب (ليبيا، تونس، الجزائر،المغرب) حيث لم يُنفض الغبار بعد عن الكثير من جوانب هذا الموضوع.

مناهج الدراسة:

يُعد المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي النقدي أساس الدراسات التاريخية، لذا اعتمدنا عليهما في كل فصول دراستنا :

المنهج التاريخي الوصفي: قمنا بتوظيف هذا المنهج من خلال سرد مختلف الأحداث التاريخية، ووصف الحالة السياسية للدول المغاربية تاريخياً عبر التنقيب عمّا يخدم دراستنا من مصادر تاريخية، كتب، مقالات، رسائل....، إضافةً إلى الدّراسات الأكاديمية المعاصرة، مع مراعاة الترتيب الكرونولوجي للوقائع والأحداث التاريخية بشكل تصاعدي، من التّليد إلى الجديد، ومن الماضي إلى الحاضر.

المنهج التحليلي النقدي: تتطلب الدراسات التاريخية الاستعانة بالمنهج التحليلي، عبر التعليق على كل حدث لإضفاء اللمسة الأكاديمية ببعدها الموضوعي، ولإظهار بصمة الباحث في متن البحث، مع نقد كل مسألة أو قضيّة بما يُفنّدها أو يُؤكدها، فليس من اللاّئق أن تُجمع المادة الخبرية لترتيبها ترتيباً زمنياً دون أن يعترض الباحث على ما جاء في مضمون المتون بالنقد والتّحليل، والمقارنة إذا لزم الأمر، فكل معلومة تاريخيّة ولها تفسيرات من زوايا متعددة، ولكل باحث له رؤيته الخاصّة اتجاهها.

صعوبات الدراسة:

لا يخلو أي عمل بشري من نقص، فلا يكتمل العمل مهما تضاءلت صعوبات الدراسة، ولا توجد دراسة دون صعوبات، لذا لا نستطيع القول أنّ هناك عملاً متكاملاً غير ناقص، وخلال سعينا لجمع المادة اعترضتنا عديد الصعوبات البحثية، وخلال الفترة الوبائية وما خلفته من آثار مادّية ونفسيّة، لذا كان من المستحيل التنقّل إلى خارج الوطن سواء إلى لبنان موطن أمير البيان، أو إلى الدول المجاورة بسبب الحالة الوبائية التي شهدها العالم في السنوات السابقة.

كذلك أهمية شخصية أمير البيان ونشاطه الذي امتد إلى دول ألمانيا وإيطاليا وسويسرا لزم التطرّق إلى مختلف الكتابات التي تناولت شخصيته بلغات مختلفة، أضف إلى ذلك صعوبة الحصول على بعض الوثائق الأرشيفية الممثلة في الرسائل الخاصّة بأمير البيان والتي لم تُنشر بعد خُصوصاً بعد اتصالي ببعض أبناء رواد الحركة الوطنية المغربية، على غرار السيدة حسناء داود ابنة السيد محمد داود، وأبوبكر بنونة نجل السيد الحاج عبد السلام بنونة.

إضافةً إلى شساعة شبكة العلاقات التي أقامها شكيب أرسلان مع مختلف التيّارات الوطنية في البلاد المغاربية حيث، وثّق صلاته بالكثير من الشّخصيات البارزة أو المغمورة التي ذُكرت بين ثنايا كتاباته ورسائله،

فلزم علينا البحث في الكمّ الهائل من المذكّرات الشّخصية والكتابات والوثائق والمقالات الخاصة بهم والتي كان يعضها في المُتاح، والبعض الآخر لم يكن كذلك.

الدراسات السابقة:

يُعتبر موضوع علاقة أمير البيان شكيب أرسلان بالحركات الوطنية المغاربية من المواضيع التي لم تنل النصيب الوافر من البحث والدراسة، خاصة على المستوى المحلّي، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ أبو القاسم سعد الله في كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، فقليلة هي تلك المؤلفات التي تخدم صلب الموضوع مباشرةً، أمّا الدراسات العلمية الأكاديمية التي نشرت على شكل مؤلفات فكان معظمها حول شخصية الأمير نفسه، ومن أهم هذه الدراسات نذكر :

- "أمير البيان شكيب أرسلان" رسالة ماجستير في جزئين لأحمد الشرباصي، نوقشت يوم الثلاثاء **12** شعبان **1382**ه الموافق للثامن جانفي **1963**م بمعهد الدراسات العالية بمصر، وكانت الدارسة ذات خلفية أدبية لغوية، ركز الباحث في الجزء الأول منها على النسب، المولد، النشأة، التكوين، الوظائف، ثم ما ألفه في النثر، الشعر، والتاريخ، واللغة، أما الجزء الثاني فقد تناول أبرز أعمال الأمير من مقالات، كتب، تعليقات على كتب والكتب المترجمة، وبعض المخطوطات التي لم تُنشر بعد في تلك الفترة.

- "جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان(دراسة فكرية تاريخية نقدية)" للدكتور ناصر الحكيم وهي أطروحة أُعدّت لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة بالجامعة اللبنانية تاريخ المناقشة سنة **1992م** طُبع في مارس سنة **2010**م من طرف الدار التقدمية بالشّوف بلبنان، موطن أمير البيان، وقد أشار المؤلف إلى عناصر موضوعنا في مواضع عدة منها جهود الأمير في ليبيا.

- ومحلياً نجد أطروحة الدكتوراه الموسومة ب"قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة"للأستاذ الدكتور فايد بشير ، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، نوقشت خلال السنة الجامعية **2010/2009م**، والتي تناول من خلالها الباحث الخلفيات الفكرية للرجلين، بدايةً بما خلّفاه من آثار، ثم الولوج إلى أفكارهما حول أسباب تخلف العرب والمسلمين، ثم شروط نهضة الأمة العربية الإسلامية لديهما، وآرائهما حول الجامعة

الإسلامية، وأخيراً فكرة الوحدة العربية ضمن مؤلفاتهما، والملاحظ أن الدكتور فايد بشير ركّز على فكر الرجلين بالتحليل والمقارنة، فكان ذكره لبعض تفاصيل موضوعنا في شكل متفرّقات بين ثنايا دراسته.

– ومن الدراسات المحلّية كذلك، فقد أُتيحت لنا الفرصة مُؤخراً الحصول على دراسة أُعدّت لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، لصاحبها الأستاذ محمد مكّي، والتي عُنونت ب"قضايا التحرر بالمغرب العربي في اهتمامات شكيب أرسلان (**1930-1946م**)"، تحت إشراف الأستاذ الدكتور مولود عويمر، جامعة الجزائر **2**، حيث نُوقشت خلال السنة الجامعية **2018/2017م**، وهي الدراسة الوحيدة التي تخدم الموضوع مباشرةً، إلا أنّ الأستاذ محمد مكّي فقد قيّد دراسته بإطار زمني معين (**1930-1946م**)، في حين نجد أنّه تطّرق في فحوى بحثه وبالضبط في فصله الأول إلى ما قبل الفترة قيد الدراسة، وركّز على نزعة الأمير العثمانية وقوميته العربية من المولد والنشأة إلى سنة **1930م**، إضافةً إلى إدراجه لثورة الخطابي(**1921-1926م**) ضمن الدراسة في الفصل الثاني، وكذا تطرّقه للقضية الليبيّة في الفصل الثالث قبل وبعد سنة **1930م**، والجدير بالذكر أن القارئ لهذه الدراسة يُلاحظ التداخل الكبير بين المواضيع دون الفصل فيها، كإدراج المسألة الليبية في فصلين مختلفين، وإدراج المسألتين التونسية والمغربية في فصل واحد، حيث كان بالإمكان فصل جهود الأمير في كل منطقة على حدا.

أمّا على الصعيد المغاربي فهناك الكثير من رموز الحركات الوطنية في المغارب خلّفت الكثير من الرسائل والمخطوطات، قام من خَلفهم أبناءهم بدراستها وطباعتها ونشرها، وتتفاوت هذه الدراسات من بلد إلى آخر، أبرزها في المغرب الأقصى، حيث أصدر الأستاذ الطيب بنونة كتاباً حول الرسائل المتبادلة بين والده عبد السلام بنونة والأمير شكيب أرسلان، عُنون بـــ"نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة"، وبطبيعة الحال يركّز الكتاب على العلاقة التي ربطت الأمير بالحاج عبد السلام بنونة وبنشاط الحركة الوطنية المغربية خصوصاً.

كذلك كتاب "الرسائل المتبادلة بين محمد داود والأمير شكيب أرسلان"، لصاحبته حسناء داود ابنة محمد داود وتناول كذلك بالدراسة والتحليل الرسائل التي تبادلها الأمير ووالدها محمد داود، وقد تعرّض سابقاً المؤرخ عمر رياض لهذا الموضوع بالضبط في دراسته الموسومة ب"مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود"، وقد حظينا بالحصول على الثاني وفشلنا للأسف في الأول، وهو طبعة جديدة رغم

اتصالاتنا المتواصلة بالمؤلفة وبدار النشر مكتبة بيت الحكمة بمدينة تطوان المغربية، إضافةً إلى كتاب الرسائل المتبادلة بين علال الفاسي والأمير شكيب أرسلان.

أما الدّراسات الأجنبية فنجد عديد المؤرّخين الذين خاضوا في موضوع شخصية أمير البيان على غرار وليام كليفلاند (William Cleveland) عبر كتاب "الإسلام ضد الغرب، شكيب أرسلان والدعوة إلى القومية الإسلاميّة"، وقد تعرّض لموضوعنا في فصله الخامس الذي عنونه ب"معلم جيل:شمال إفريقيا"، وكذلك المؤرخة الفرنسية التونسية جولييت بيسيس(Juliette Bessis) التي كتبت في الموضوع وأدرجت مسائله في عديد المقالات، إضافةً إلى شارل روبير أجرون (Charles Robert Ageron) وجوليان (Charles-André Julien) فقد نوّهوا على شخصية الأمير وجهوده في المغرب العربي ضمن مؤلفاتهما.

أهم المصادر والمراجع المستخدمة:

تُعتبر كتابات أمير البيان وما خلّفه من مؤلفات (كتب، مدونات، مقالات ...) أهم مصادر دراستنا، والتي اعتمدنا عليها في جميع فصول بحثنا، خاصة تلك التي كانت مخطوطة وطُبعت في السنوات السابقة فقط على غرار:

–"سيرة ذاتية" سيرة الأمير التي كتبها بنفسه وكان متردّدا في ذلك بقناعة أنه لا يُقبِل على كتابة ترجمته إلاّ من كبار الرجال وفحول العلماء، وخوفاً من الزيادة والنقصان بغير علم من البعض وإتّباع الأهواء أو لخدمة الأغراض الشخصية، فقرر خطّ قلمه على مسودّات مكتبه بكتابة سيرته بنفسه، ومن خلال هذه الترجمة ساعدتنا في فهم عدد معتبر من الأحداث وكشفت الغموض عن عديد الشخصيات المغاربية التي التقت الأمير في أماكن عدة وفترات مختلفة.

–كتاب "عروة الاتحاد بين أهل الجهاد" الذي جمع عديد المقالات المنشورة في الصحف العربية في المشرق والمغرب أو في أوروبا من سنتي (**1939م و1941م**) والتي قام بجمعها صاحب جريدة"العلم العربي" في هذا الكتاب "عروة الاتحاد ...."، وكتابة هذه المقالات كانت في الفترة التي كان شكيب أرسلان يقيم في جنيف.

–تعليقات أمير البيان على "كتاب حاضر العالم الإسلامي" لصاحبه الأمريكي لوثروب ستودارد Lothrop Stoddard، نقله إلى العربية أ.عجاج نويهض، حيث غطّت تعليقات الأمير ما جاء في الكتاب، ليصبح في أربعة أجزاء كاملة، هذا المُؤلّف يتضمّن عديد المقالات تخدم موضوعنا مباشرةً، كالمسألة الطرابلسية، مقالين عن الجزائر، الأول حول سيرة الأمير عبد القادر الجزائري، والثاني حول المسألة البربرية، إضافةً إلى إدراجه لمقال حول شخصية إدريس السنوسي وآخر حول بطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي.

–كتاب "مراسلات أمير البيان إلى كبار رجل العصر" وهو من الكُتب التي طُبعت سنة **2011م** من قبل الدار التقدمية، وجمع هذا الكتاب بعضاً من رسائله التي تُعدّ بالآلاف، تبادلها مع كبار رجال ذلك العصر من مفكرين وسياسيين، حيث تناولت هذه الرسائل عديد المواضيع شملت الكثير من المناطق على غرار البلاد المغاربية، فتضمنت الكثير من الرسائل التي تخص فصول دراستنا.

–كتاب "زمن العروبة الأبتر" وهو مجموع المقالات التي نُشرت سابقاً في جريدة "الفتح" لصاحبها محب الدين الخطيب صديق الأمير، الصادرة في مصر، حيث ضمّ هذا الكتاب بين دفتيه خمسةً وسبعين مقالاً، حَوَتْ الكثير من القضايا العربية الإسلامية، بعضها حول قضايا دول المغرب، استثمرنا معلوماتها في فصول بحثنا كلّها.

–"مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه"، ضمّ حوالي **600** صفحة، والذي جمع أبرز أحداث الوطن العربي بين سنتي **1800**م إلى **1950**م، وقد ركّز كثيراً على القضايا المغاربية ما بعد الحرب العالمية الأولى، وأفادنا في معظم فصول بحثنا.

–أما عن المجلات والصحف فقد اعتمدنا على الكثير من المقالات الخاصّة بالأمير، سواء كان هو كاتبها أو كُتب عن شخصه وجهوده، والتي نُشرت ضمن مجلاّت:الفتح، الشورى، المقتطف....والشهاب، وغيرها من المجلات الأكاديميّة التي تناولت عناصر الدراسة.

فصول الدراسة :

من خلال القراءة في تفاصيل موضوع الدراسة يتّجه الباحث مباشرة إلى تقسيم البحث إلى خمسة فصول بعد المقدمة وتذييله بخاتمة، حيث أنّه لابد من قراءة معمّقة لشخصية أمير البيان، أين نشأ وكيف تكون وبمن

تأثّر، ناهيك عن ظروف الحاضنة الاجتماعية والثقافية والسياسية، ثم خدماته السياسية للسلطة العثمانية وكذلك أدرجنا ضمن فصلنا الأول مواقفه تجاه الثورة العربية **1916**م وجمعية الاتحاد والترقي وسياستها التّتريكية، وجهوده لتحقيق فكرة الوحدة العربية بعد إلغاء الخلافة العثمانية، ثم أشرنا إلى تصوّرات الأمير حول كتابة التاريخ، وانطباعاته حول الشيعة والشيوعية والوهابية.

وقد استهللنا الفصل الثاني بمعرفة الوضع العام في ليبيا العثمانية أواخر القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا، ثم جهود إيطاليا الدبلوماسية على الصعيد الأوروبي لاقتطاع ليبيا العثمانية، وبداية التمهيد السلمي للاحتلال، ثم الغزو المباشر وموقف الدولة العثمانية منه، فالتركيز على جهود الأمير لخدمة المسألة الليبيّة، أي مساعيه الإعلامية والمادية، وكيفية الوصول إلى جبهات القتال للوقوف على ظروف الجهاد، وقد أشرنا إلى علاقة أمير البيان برموز الحركة الوطنية الليبية، كإشادته بأعمال عمر المختار، ومراسلاته مع الزعيم بشير السعداوي، وعلاقته الوثيقة بالشيخ أحمد الشريف السنوسي، وآخر عنصر كان حول موقفه من الفاشية وحملته الإعلامية على ممارسات إيطاليا الاستعمارية.

في حين تصدّر الفصل الثالث بأحوال تونس السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبل فرض الحماية الفرنسية ثم أشرنا إلى علاقات تونس بفرنسا قبل وبعد فرض الحماية، أضف إلى ذلك فقد أدرجنا موقف الأمير شكيب من سياسة فرنسا الاستعمارية في ما خصّ (التنصير، التجنيس، التجنيد)، وكذا مظاهر الفرنسة في البلاد التونسية، مع تركيزنا على علاقات الأمير برجال الوطنية التونسية أمثال الزعيم الحبيب بورقيبة الإخوة باش حانبه علي ومحمد، والشيخ صالح الشريف التونسي، ومراسلاته مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي....، وختمنا الفصل بالتنويه إلى أفكار أمير البيان لاستقلال البلاد التونسية، وردّ فعل السلطة الفرنسية على نشاطه.

أمّا الفصل الرابع فقد بدأنا باهتمامات الأمير شكيب بالجزائر المحتلة على صعيد التأليف، حيث تطرّق في كتاباته حول الجزائر السياسية والاجتماعية والثقافية، ومسائل البربر والطرق الصوفية، إضافةً إلى خوضه في الشأن العسكري لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري وبعض الثورات الشعبية، ثمّ أشرنا إلى صلات أمير البيان بأفراد عائلة الأمير عبد القادر الجزائري في الشام، ثمّ عرّجنا على مواقف الأمير من السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر(التجنيس، التنصير، التجنيد الإجباري)، كما ركّزنا على علاقته برموز الحركة الوطنية الجزائرية، بدايةً بالإشارة إلى ما كتبه حول أخبار الأمير خالد، ثم مراسلاته ولقاءاته بأبرز رجال التيار الاستقلالي والإصلاحي الجزائري أمثال مصالي الحاج، أحمد توفيق المدني، عبد الحميد ابن باديس وكذا إشاراته

حول دعاة الإدماج فرحات عباس وابن جلول، ثم أضفنا موقف الطرف الفرنسي من نشاط الأمير شكيب أرسلان لصالح القضيّة الجزائريّة.

وفي الفصل الذي خصّ اهتمامات شكيب أرسلان بالمسألة المغربية زمن الحماية الفرنسية والاسبانية وهو آخر فصول الدراسة، بدأنا بمواقف الأمير تجاه السياسة الاستعمارية في المنطقة الخليفية والمنطقة السلطانية، ثم تحدّثنا عن زيارة الأمير شكيب أرسلان التاريخيّة إلى مدينتي طنجة وتطوان، وأثر الزيارة وتداعياتها داخل المغرب وخارجه، وأبرزنا كيف ربط الأمير علاقاته برجال المغرب في الشمال المحتل اسبانياً أمثال الحاج عبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس، ومحمد داود، والجزء المحتل فرنسياً أمثال علال الفاسي، وأحمد بلافريج ومحمد الفاسي وغيرهم، كما أدرجنا اهتمامات الأمير بثورة الخطابي بطل الريف، وفي آخر عنصر أشرنا إلى مواقف السلطات الفرنسية والاسبانية من النشاط السياسي لأمير البيان.

وللإشارة فقد ألحقنا الدراسة بعدد من الملاحق رُتّبت حسب فصول البحث، بدايةً بصورة أمير البيان أيام كان قائم مقام على الشوف بلبنان، إضافةً إلى صورتين للأمير مع عدد من الضباط العثمانيين على غرار أنور باشا ومصطفى كمال أتاتورك في جبهات طرابلس الغرب في حربها ضد الاحتلال الإيطالي سنة **1911**م، ثم صورة للأمير مع الزعيم الحبيب بورقيبة التقطت لهما في جنيف **1946**م قبل وفاته بشهرين فقط.

وكذلك وثائق أخرى خدمت الفصل الرابع الخاص بالحركة الوطنية الجزائرية، كالإشهار الذي خصّت به الشهاب مجلة "الأمّة العربية" عند إصدارها أوّل مرّة في ماي **1930**م، وقد أدرجنا صورة الزعيم مصالي الحاج التي كُتب عليها الأمير شكيب العبارة المشهورة:"لو كانت الشبيبة الإسلامية كلها على نمطه لتحرّر الإسلام من زمن طويل"، وعدد من الرسائل والصور والتي تخص الفصل الخامس من الدراسة، إحداها تُمثل المكتوب الذي بعثه الحاج عبد السلام بنونة إلى ولده الطيب يبشّره بقرب زيارة الأمير إلى مدينة تطوان، والرسالة التي بعث بها إلى الشاب عبد الخالق الطريس بعد استقالته من منصب مدير عام الأحباس في الحكومة الخليفية، والصورة الجماعية التي التقطت بعد الحفل التكريمي الذي أُقيم على شرف الأمير.

وفي آخر الرسالة أردنا تيسير البحث في فصولها وتسهيل توجيه القارئ عبر وضع عدة فهارس بعد فهرس الموضوعات(فهرس الأعلام والشخصيات، فهرس المدن والحواضر، المجموعات والقبائل والشعوب، الجمعيات والهيئات والمنظمات، الجرائد والمجلات، وفي الأخير المعارك والحروب والمعاهدات.

الفصل الأول

الفصل الأول: أمير البيان شكيب أرسلان نبذة من سيرته وقراءة في فكره:

1 -أحوال الشام أواخر حكم آل عثمان (سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا).

2 -بناء شخصية أمير البيان العلمية وعلاقته برموز الحركة الإصلاحية.

3 -نشاط شكيب أرسلان خلال الفترة العثمانية وجهوده لتحقيق الوحدة العربية.

4 -تصورات الأمير حول كتابة التاريخ ونماذج من كتاباته التاريخية والسياسية والأدبية.

5 -مواقف الأمير وآراؤه تجاه (الشيعة ،الشيوعية ،الوهابية).

1) أحوال الشام أواخر حكم آل عثمان (سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا):

قبل الحديث عن مولد ونشأة أمير البيان ثم عن نبوغه وبدايات الولوج في مجال التدوين والتأليف يجب فهم ومعرفة محيطه السياسي والاجتماعي والثقافي في بلده سورية التي كانت تجمع البلدين معا، سوريا الحالية ولبنان في ولاية واحدة تحت ظل حكم الخلافة العثمانية، ونبيّن ظروف نشأته والأوضاع السائدة في زمانه لمعرفة موقعه مما يحيطه من تغيّرات وأحداث ساهمت في صقل شخصيته، وأثّرت على توجهاته السياسية مستقبلا، وكيف وصل إلى المكانة المرموقة التي جعلته يتميز بين أقرانه ونُظرائه في الأدب والسياسة.

1 1 أحوال الشام السياسية أواخر الفترة العثمانية:

تعد منطقة الشام من المناطق الساخنة تاريخياً، والتي نادراً ما تستقر بها الأحوال لوجودها في وسط سياسي نشط، فهي مهد الرسالات ومهبط الأنبياء وأرض الحضارات، توجد بها الأديان السماوية وعشرات الطوائف والأقليات الدينية، كانت ولازالت موطن الصراعات السياسية، تضم مقدسات أغلب الأديان، كل القوى العالمية والإقليمية تسعى جاهدة للسيطرة عليها، وتتصارع على المصالح الاقتصادية بها، لإطلالها على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، فهي جسر تجاري هام بين المشرق والمغرب، بين آسيا من جهة وإفريقيا وأوروبا من جهة أخرى، فهي تتوسط العالم القديم، لذا اكتسبت مكانة جيوسياسية جعلتها محل أطماع جل الإمبراطوريات وحتى دول الطوق، وقد تداولت على حكمها عديد الدول على غرار الفاطميين ثم الأيوبيين والمماليك إلى العثمانيين آخر الدول الإسلامية التي حكمت الشام، و لم تكن في منأى عن موجة الاستعمار الأوروبي الذي طال المنطقة وتجاوزها.

بعد الضعف الذي أصاب نظام السلطنة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر، وتوالت ولاياتها في السقوط وتفشى الفساد الإداري في العاصمة والولايات العربية التابعة لها، ففي سورية كانت تمنح الإقطاعيات للعسكريين كرشوة منذ تولي خسرو محمد باشا منصب الصدر الأعظم في عهد السلطان عبد المجيد الأول، واتبع نهجه خلفاؤه من بعده، حتى ضاق الناس بهم ذرعا وتحولت معظم أراضي سورية ولبنان إلى هؤلاء الحكام[1].

---

[1] سامي الدهان، **الأمير شكيب أرسلان، حياته وآثاره**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1960م، ص ص 25-27.

وكان لتدخل الدول الأوروبية في الشأن الداخلي اللبناني الأثر الأكبر في ظهور التعصب الديني والصراعات الطائفية، فمنذ نيل عديد الدول الغربية الامتيازات المختلفة في منطقة الشام بدأت تطفو للسطح مشاكل الأقليات، إضافة إلى الأطماع الأوروبية منذ الحملة العسكرية النابليونية على مصر وبعدها على مدينة عكا التي تعد مفتاح الشام كما وصفها نابليون، حيث فشلت جهوده على أسوارها، فلولا تدخل الأسطول الانجليزي[1] ضد التقدم الفرنسي هناك لكانت ضمن ممتلكات فرنسا؛ وفي سنة **1807**م أعادت إنجلترا الكرّة ضد مصر لكنّها فشلت كذلك.

وتبقى سياسة التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية في منطقة الشام قائمة، خاصة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث سعت إنجلترا إلى كسب أمراء لبنان وسورية مثل العلاقة التي أقامتها مع أمير جبل لبنان بشير القاسم، الذي كان حليفا استراتيجيا لها في المنطقة، وذهبت فرنسا نحو كسب الطوائف الكاثوليكية في الشام وبالأخص في جبل لبنان، حيث وظّفت العصبية الدينية لكسب واستغلال طائفة الموارنة[2] المسيحية لخدمة مصالحها السياسية الاستعمارية[3]، أما الشرباصي فيُرجع أسباب التدخل الأوروبي في الشّام إلى الاضطهاد الذي مُورس من طرف السلطة العثمانية في حق الأقليات في البلاد العربية، حيث أن هذا الاضطهاد فتح الباب للتدخل الأوروبي تحت غطاء حماية المسيحيين [4]، وبالطبع لا يُستبعد كذلك دور الأوروبيين في إشعال الفتن في الداخل اللبناني قصد إيجاد الذرائع للتدخل.

---

(1) يرجع سبب فشل نابليون بونبرت في احتلال مدينة عكا هو الوباء الذي تفشى بين أفراد الجيش الفرنسي، إضافة إلى تدخل الأسطول الانجليزي كذلك، سامي الدهان، مرجع سابق، ص 21.

(2) **الموارنة:** هم أتباع الكنيسة الأنطاكية السريانية المارونية، وهي كنيسة سرقية، اجتمع الأتباع حول القديس مارون السوري، استقر القديس في جبل قوروش بسوريا، وهي تتبع سلطة البابا في روما، اتخذت لبنان مركزا لها، توفي القديس مارون في 410 م ، وترتبط طائفة الموارنة في لبنان ارتباط وثيق بدولة فرنسا، بعد إصدار الملك الفرنسي لويس الرابع عشر مرسوما بموافقة السلطان العثماني يقضي بوضع الطائفة المارونية تحت حماية فرنسا، ضمنت هذه الحماية بناء المدارس والاستفادة من البعثات والاعفاء من الضرائب، وسهولة السفر إلى أوروبا، في أوائل القرن التاسع عشر اتسعت مناطق استقرار الموارنة لتشمل مدينة اللاذقية السورية كذلك على الساحل الفلسطيني بمدينة حيفا، حيث بنيت أول كنيسة هناك سنة 1842، وحسب الإحصاءات فيبلغ عدد أتباع الطائفة المارونية اليوم ستة ملايين ماروني، ويقطن بلبنان وحدها تسعمئة ألف ماروني ويشكلون ما نسبته 26 % من مجموع سكان لبنان. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا، https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=3961 تاريخ الزيارة إلى الموقع : 20.44- 2021/01/06.

(3) اسكندر بن يعقوب أبكاريوس، **نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان**، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1987م، ص 38.

(4) أحمد الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان** ، ج1، 1383-1963، مطابع دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي المنياوي، مصر، ط 1، 1382ه-1963م، ص 30.

لذا يجسّد الخوري أسطفان البشعلاني حقيقة العلاقة بين فرنسا والموارنة في قوله:" وفي سوريا بلد يسمى فرنسا الثانية، وشعبٌ يُعرف بفرنساويي الشرق، وهذا الشعب هو موارنة الشام فإنهم ما برحوا يعرفون ما عليهم لفرنسا التي يحبونها محبة أمٍّ، ويصونون عهدها الذي تركه لهم الآباء والأجداد ويورثونه من بعدهم من الأبناء والأحفاد، وإذا كان لفرنسا صفحة فاقت غيرها من صفحات تاريخها المجيد وجمالاً وبهاء، فهذه الصفحة هي تاريخ علاقاتها بالموارنة، وإذا كان شعب اشتهر بتعلقه المتين بفرنسا والحب الصادق لها، فهذا الشعب هو الشعب الماروني..."[1].

لذا كان من الطبيعي أن تُبادلهم فرنسا الشعور نفسه، فكان الرهبان الموارنة يرفعون العلم الفرنسي على الأديرة والكنائس، والقُنصليات الفرنسية في لبنان هي قبلتهم لأخذ النصائح والتوجيهات، والقنصليات الأوروبية الأخرى لم تكن في منأى عن هذه السياسة، فكان الأرثوذكس كذلك يلجؤون إلى القنصلية الروسية، والدروز[2] يلجؤون للقنصلية الإنجليزية حسب المؤرخ اسكندر بن يعقوب أبكاريوس[3].

كانت المنافسة على أشدها بين الدول الأوروبية في الشام اعتبارا من سنة **1840م** تاريخ هزيمة محمد علي باشا مصر في الشام واكتفائه بحكم مصر بعد معاهدة لندن [4] في السنة نفسها، حيث كانت بريطانيا

---

[1] اسكندر بن يعقوب أبكاريوس، مصدر سابق، ص 38.

[2] تُعد طائفة الدروز في لبنان من أكبر الطوائف الإسلامية نفوذا وقوة وعددا في الوطن، فهناك من يقول أن أصولهم فارسية، والبعض يقول أنهم أتوا مع الصليبيين، وآخرون ينسبونهم إلى أتباع أبي محمد الدرزي، وكان والي للحاكم بأمر الله، ويذكر البعض أن هذه الطائفة لها تعاليم سرية تخالف تعاليم الإسلام، لكن شكيب فيقول أنها من الفرق الاسلامية، ويقومون بشعائر المسلمين، ولا يمكن إخراجهم من دائرة الاسلام، أما أصل تسميتهم فيرجعه أرسلان إلى نكشتين الدرزي العجمي، أحد دعاة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي، لذا فنحلتهم إسماعيلية فاطمية، أحمد الشرباصي، **شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية**، مطابع الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، فيفري1963م، د.ط، ص 50.

[3] اسكندر بن يعقوب أبكاريوس، مصدر سابق، ص ص 38 ،39.

[4] بعد استيلاء محمد علي باشا مصر على الشام صمم السلطان العثماني على استرجاع المناطق المفقودة وبعد هزيمتها في معركة قونية في أفريل عام 1839، عبرت القوات العثمانية نهر الفرات لكنها تلقت هزيمة مرة أخرى وانتصر إبراهيم باشا واستسلم الأسطول العثماني لمحمد علي باشا، فكانت هاته الواقعة حافزا لتحرك الدول الأوروبية الكبرى حيث قاموا بتقديم مذكرة للباب العالي في جويلية من سنة 1839 يطلبون من خلالها أن لا يبرم أي اتفاق مع محمد علي ولا يتخذ أي إجراء إلا باطلاع الدول الخمسة : النمسا، روسيا، بروسيا، إنجلترا، وفرنسا، ثم اجتمعت انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا للتفاوض بشأن المسألة المصرية وغابت عنها فرنسا، انتهت بمعاهدة لندن في 15 جويلية 1840 بين الدول الأربعة، تعهدت بموجب بنود هذه الاتفاقية مساعدة السلطان العثماني وتقديم المساعدات العينية للدولة العثمانية وإخضاع محمد علي باشا مصر، وتضمن الملحق الخاص بالمعاهدة أن يصبح الحكم في مصر وراثيا واستقلال مصر عن الدولة العثمانية، مع تحديد عدد الجيش وعتاده، وإعطاء مهلة عشرة أيام لمحمد علي على قراءته للاتفاقية والتوقيع عليها، وإن لم يفعل ترغمه الدول الأربع بالإمضاء بالقوة وحماية السلطان إذا ما تحركت جيوش محمد عي ضده. موسوعة الأستاذ التاريخية https://tarekh.ahlamontada.com/t311-topic، تاريخ الزيارة إلى الموقع : 2021/01/06م، 21:19.

تسعى جاهدة للحفاظ على ممتلكات الدولة العثمانية عكس فرنسا التي اتجهت نحو إنشاء وطن للموارنة بجبل لبنان، وقد فشل الإنجليز في إقامة علاقات ودية مع الموارنة بسبب الاختلاف العقائدي، فاتجهوا نحو البحث عن حليف قوي في المنطقة للمحافظة على التوازن السياسي في جبل لبنان، فحاولوا الاتصال بيهود الشام، إلا أن وزنهم السياسي لا يرتقي إلى مستوى قوّة الموارنة والدّروز، لذا اتجه الإنجليز نحو ربط علاقة متينة مع طائفة الدروز، ويبقى المسلمون السنة تائهين بين التحالفات القائمة وضحية حكم فؤاد باشا الذي كان يسعى لإرضاء القناصل الأوروبيين في تلك الفترة[1].

وبدأت الأزمات تتلاحق بعد وصول بشير القاسم حليف الإنجليز إلى حكم لبنان، فلجأت فرنسا إلى تأليب الرأي العام اللبناني عليه وبالأخص الموارنة، والعمل على دعم إعادة بشير عمر حاكما على لبنان، فصدر أمر سلطاني باستبعاد آل شهاب من حكم جبل لبنان، بعد إقالة بشير القاسم من حكم جبل لبنان، وتنصيب عمر باشا النمساوي مكانه، وكانت فرنسا قد التزمت بتمويل حلفائها الموارنة في صراعهم ضد الدروز عبر منح مبلغ نصف مليون فرنك فرنسي إلى البطريرك الماروني بولس مسعد [2]، الذي صرفها على الأعمال الحربية بتسليم مبلغ أربعة قروش للمحارب الماروني يوميا، فشجع هذا كثيرا في زيادة عدد المقاتلين الموارنة ورفع معنوياتهم[3].

وقد حمّل تشرشل Charles H.Churchule [4] المسؤولية كاملة على البطريرك الماروني في تفجير الوضع بين الطائفتين والذي أعلن على الملأ أن القتال ضدّ الدّروز حربٌ مقدّسة، ثم تولى الرّهبان خطط الهجوم

---

(1) اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص 39.

(2) ولد البطريرك بولس مسعد أوائل سنة 1806م ببلدة عشقوت التابعة لقضاء كسروان بلبنان، تعلم القراءة والكتابة العربية والسريانية في قريته، تعلم اللغة اللاتينية والإيطالية على يد الخوري أنطوان عريضة، في مدرسة الرومية ثم مدرسة الموارنة، ثم انتقل إلى مدرسة عين ورقة سنة 1820م أين صار قارئً ومرتلا ثم شمعدانياً عام 1824م، ثم عينه البطريرك في جبل بنان كاتماً لأسراره سنة 1830م، وفي سنة 1841م صار مطرانا على طرسوس، وفي عام 1854م صار بولس مسعد بطريرك على الجبل بعد هذا التاريخ، وقد كان يتقن ثمان لغات، عصام كمال خليفة، ، **أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1985، ص ص 13، 14. : أغوسطين البستاني، **"البطريرك بولس مسعد 1806– 1890م"**، مجلة المشرق ، العدد 10، 1أكتوبر 1930م، ص ص 721- 733. الرابط : https://archive.alsharekh.org/Articles/108/8763/178840.

(3) اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص 40.

(4) تشارلز هنري تشرشل **Charles H.Churchule**: عسكري ودبلوماسي إنجليزي من عائلة سياسية عريقة، قدم إلى لبنان سنة 1842 وفي مصادر عام 1843 على رأس بعثة دبلوماسية في عهد الملكة فكتوريا، فاستقر في لبنان عشرة سنوات، تعلم اللغة العربية ولبس لباس سكانها، وأصبح لبنانيا في مظهره الخارجي ومن خلال لسانه، لكن مبادئه أهدافه كانت لبلده إنجلترا، حرّر عشرات التقارير حول عادات وتقاليد اللبنانيين وبالأخص حول التنوع الطائفي للمنطقة، وركّز على الدروز الذين تحالفوا معهم في مرحلة الفتنة التي ضربت لبنان في تلك الفترة جمع تقاريره في

عليهم في جبل لبنان والتحق بهم جمع كبير من المسيحيّين الكاثوليك الذين تعاطفوا مع مسيحي الجبل، ويُضيف تشرشل أن موقف الدروز كان مثاليا من خلال التنظيم والتكتل [1]، ووصف الدكتور عصام خليفة أن البطريرك بولس مسعد كان محطة تاريخية هامة للبطريركية المارونية فهو رجل التقوى ورجل التعصب في آن واحد[2].

فتشرشل حوّر الصراع إلى ما من شأنه أن يضرب الاستقرار في العمق العثماني من خلال دفع مسيحي لبنان إلى الحرب ضد طائفة الدروز وقد ذكر هذا الأخير أنّ عملية التجنيد لم تقتصر على الموارنة، وأن من هاجم المناطق الدرزية جلهم مسيحيين مع أقلية مارونية، دون أن ننسى أن وصف الواقع من قبله يدخل في إطار ما يُعرف بالمنافسة الاستعمارية بين فرنسا وبريطانيا، فحكمه على الأحداث طبعا سيكون بذاتية وبهدف الدّفاع عن مصالح بلاده وحلفائها.

بوصول عمر باشا النمساوي إلى الحكم، والذي كان حكمه عثمانيا مباشرا، عمل على ضرب الفتن الطائفية واعتقال المسؤولين عنها، وإبعاد القناصل الأوروبية عن التدخل في أمور الجبل، مما جعل كل الدول الأوروبية تعمل على إفشال سياسته في جبل لبنان، وبوصول شكيب أفندي إلى حكم لبنان وضع نظام القائمقاميتين: في جبل لبنان، شمالية مارونية، وجنوبية درزية؛ جاء هذا النظام بمباركة أروبية، فكرّس الطائفية أكثر، وكان نتيجة التدخل المباشر في الشأن الداخلي اللبناني، ثم انتقلت الفتن بين الموارنة أنفسهم ليثور الفلاحون النصارى، فانتقل الحكم من القائمقام إلى الفلاحين والكهنة[3].

وبعد الأحداث السابقة في جبل لبنان، اندلعت حرب أهلية أوسع من سابقتها، ومما لا شك فيه أن التدخلات الخارجية هي السبب المباشر في تفجير الوضع وضرب الاستقرار في لبنان، وحمل صاحب كتاب

كتاب :"**جبل لبنان عشر سنوات إقامة...**" ،تشارلز تشرشل، **جبل لبنان عشر سنوات إقامة 1842–1852**، دراسة لديانة وعادات وتقاليد أهل الجبل، ترجمة فندي الشعار، شركة المطبوعات الشرقية دار المروج، بيروت، 1985، المجلد الثاني، ص ص 5-9. حيدر جاسم الرويعي، "**تطور مفهوم الشرق في الفكر الأوروبي من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين**"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، المجلد 10، العددان 3-4، سنة 2011م، ص 49. رابط المقال:
https://artes.iraqjournals.com/article_61691_628550d21d655778c4292051c8b85799.pdf

[1] تشارلز تشرشل، مصدر سابق، ص ص 37،38.

[2] عصام كمال خليفة، "**مسألة السلطة في حركة كسروان 1858–1860 من خلال أرشيف البطريركية المارونية**"، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس، مارس 1988، ص 337.

[3] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص ص 40- 42.

نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان، جزءًا من المسؤولية للدولة العثمانية، وبسبب هذه الحرب تدخل الأوروبيون بشكل مباشر، وحسب الكاتب فإن فرنسا هدّدت بفصل سوريا ولبنان عن الدولة العثمانية ضمن دولة عربية يترأسها الأمير عبد القادر الجزائري مقابل حصولها على امتياز قناة السويس[1]، واقترح الأب لويس بودي كور أن يقوموا بتهجير الموارنة من القرى المختلطة مع الدروز إلى الجزائر، وقد طُبع في هذا السياق كتاب "فايست" بعنوان تعالوا نخلص المارونيين بإرسالهم إلى الجزائر ولمصلحة الجزائر[2].

وعند تولي عبد الحميد باشا الخلافة العثمانية بعد مقتل عمه السلطان عبد العزيز، أعلن عن بداية تطبيق الدستور الجديد تحت ضغط المعارضة التركية، لكنه تراجع عنه وقام بحل البرلمان، ثم عاد للعمل به مجددا بعد تجميده طيلة اثنتين وثلاثين سنة، وبالضبط سنة **1908**م، وبعد هذا التاريخ بدأ بعض الأتراك في الدعوة للطورانية[3] والرغبة في تتريك الدولة العثمانية [4]، وجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية، وتنقيتها من الألفاظ العربية، وقد بالغت جريدتا "طنين" و"إقدام" في توسيع هوة الخلاف بين العرب والأتراك في حملة منظمة ضد العرب، مما جعل العرب يردون بتأسيس الجمعيات القومية العربية بين سنتي **1909** إلى **1913**م[5].

أما الأستاذ سامي الدهان فقد كتب عن فترة حكم السلطان عبد الحميد، حيث أنه اتخذ سياسة "فرّق تسد" مقتنعا بأن طريقته في الحكم تبعده عن الفتن والانقلابات والعزْل لكنه كان واهما، حيث بقي الوضع على حاله، بل زاد الطينة بلّةً[6].

رغم أن الإعلان على الدستور الجديد ساهم في تآخي الطوائف المختلفة في المناطق التابعة للدولة العثمانية[1]، لكن ما لبثت الأمور أن عادت إلى مجاريها، فكان العرب يشتكون من ظلم الحكام وسوء الأحوال

---

[1] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق ، ص 43.

[2] اسكندر بن يعقوب، المصدر نفسه ، ص 61.

[3] **الطّورانية** : من الكلمة طوران وهي المنطقة الواسعة التي تتواجد في أواسط آسيا التي يسكنها الأتراك وأبناء عمومة الأتراك من التركمان والمغول والتتار، والكلمة تفيد معاني النزعة القومية التركية، وهي حركة سياسية قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وتهدف إلى إحلال رابطة التعصب العرقي للأتراك بدل الرابط الديني الإسلامي. الموقع الإلكتروني : الجمهرة معلمة المفردات المحتوى الإسلامي، رابط الموقع : https://islamic-content.com/dictionary/word/6634. تاريخ الزيارة : 2023/01/30م، 16:30.

[4] يذكر الأستاذ الخراشي في كتابه "كيف سقطت الدولة العثمانية" أن السلطان عبد الحميد يتهم هؤلاء أي دعاة التتريك "تركيا الفتاة" أو "الأتراك الشبان" بماسونيتهم وهناك دلائل باستلامهم لمساعدات مالية من قبل السلطات الإنجليزية التي هدفها تفكيك الوحدة الإسلامية في الدولة العثمانية. سليمان بن صالح الخراشي، **كيف سقطت الدولة العثمانية**، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1420ه، ص47.

[5] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص ص 33، 34.

[6] سامي الدهان، مرجع سابق، ص 18.

الأحوال مقارنة بباقي الأقاليم العثمانية، فانقسم الشارع العربي بين من طالب بخلافة إسلامية عربية، ومن كان يطالب بإصلاحات جذرية جدية في البلاد العربية، وهناك من كان يساند الأحرار الأتراك في المطالبة بإصلاحات شاملة[2].

لكن الملاحِظ والمدقِّق في الوضع السياسي للدولة العثمانية في تلك الفترة يجد أنّ الوضع جدّ حساس، ففي سنة **1908**م استولت الإمبراطورية النمساوية على البوسنة والهرسك، وفي **1911**م اجتاحت القوات الإيطالية ليبيا، وهي الحرب التي اشترك فيها شكيب أرسلان كما سنوضحه في الفصل الثاني، وقد نتج عنها احتلال إيطاليا لهذا القطر، وبين سنتي **1912** و**1913**م انفجر الوضع في البلقان، واتّحد الصرب والبلغار واليونانيين ضد الدولة العثمانية في فترة انشغالها بحرب طرابلس الغرب، وخسرت على إثرها ممتلكاتها في البلقان إضافة إلى جزيرة كريت، كل هذه الأحداث زادت من ضعفها[3].

في ظلّ موجة الوعي القومي الذي اجتاح أوروبا وتسبب في تصدع التكتل العثماني وظهرت القومية التركية وتجسدت على أرض تركيا بظهور حركة الإتحاد والترقي، لم تكن النخب العربية في منأى عن هذا الشعور القومي والإحساس بالحنين للخلافة العربية الإسلامية، تأسست عديد الجمعيات ذات النّزعة القومية العربية.

وفي سنة **1881**م تأسّست جمعية حفظ حقوق الملّة العربية، والجمعية العربية بباريس سنة **1895**م، وجمعية الإخاء العربي في الأستانة هدفها إعلاء شأن الأمة العربية سنة **1908**م، والمنتدى العربي سنة **1909**م، وجمعية الفتاة العربية، وفي **1913**م تأسست جمعية العهد –كلّها بالأستانة– هدفها الأساسي استقلال البلاد العربية عن الحكم العثماني [4]، ووصل النشاط العربي اللبناني إلى نيويورك حيث أسس بعض من أفراد النخبة اللبنانية جمعية تحت اسم جمعية النهضة اللبنانية، كان ذلك عام **1911م**[5].

---

(1) قال أحد الشعراء في هذا الشأن :

تعانق الشيخ والقسيس واصطحبا من بعد ما افترقا ضدين واختصما

تآخيا في حمى الدستور واتحدا ورفرفت راية التوحيد بينهما

(2) الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص ص 35-37.

(3) الشرباصي، المرجع نفسه، ص 37.

(4) المرجع نفسه، ص 42.

(5) عصام كمال خليفة، **أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر**، ص 116.

وفي سنة **1914**م بدأت المواجهة الأوروبية الأولى لتتوسع لمناطق شاسعة في العالم، وكانت العلاقات الداخلية للدولة العثمانية وبالأخص بين الأتراك والعرب تتأرجح وتزداد سوءاً، وما زاد الوضع اضطراباً هو تعيين القائد أحمد جمال باشا قائدا للفيلق الرابع للجيش العثماني ووالياً على سوريا ولبنان، بعد أن انضمت للوسط مع ألمانيا، ولا يمكن تجاهل المكر الاستعماري في فصم الروابط القائمة منذ قرون بين الترك والعرب، فتقديم الإعانات اللوجستية للعرب لم يكن حباً فيهم، بل خدمةً لمصالحهم وإضعافاً للسلطنة العثمانية، وهذا ما حذَّر منه أمير البيان شكيب أرسلان عدّة مرات[1].

وعند دخول الفرنسيين والإنجليز إلى الشام، انقسم الشارع اللبناني بين مؤيّد للوصاية الفرنسية ومعارض لها، وموالٍ لحكم فيصل بن الشريف حسين في ظل مملكة عربية، فالدّكتور عصام كمال خليفة أورد عديد الرسائل في كتابه "أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر" مأخوذة من الأرشيف الفرنسي وكان قد بعث بها المسيحيّون اللبنانيون إلى السلطات الفرنسية مطالبين إياهم إمّا بفرض الوصاية الفرنسية على لبنان، أو منح اللبنانيين استقلالهم بحدود لبنان الكبرى[2].

أما مواقف الشخصيات اللبنانية الإسلامية فكانت في معظمها رافضة للوصاية الفرنسية، ومنقسمة بين الاستقلال أو الإلحاق بالمملكة العربية السورية، أو في وضع الترقب والتخوف من اتخاذ أي موقف يكون وبالاً بعد حين على الطائفة.

طائفة الدروز في الشوف، ورغم الضغط الممارس من قبل الأمير أمين أرسلان ومصطفى بك حمادة على الدروز إلا أنهم كانوا جد حذرين باستثناء بعض القرى فلم تخفي ميولها للوحدة الشريفية، أي أنها كانت تختار الوحدة مع سوريا، كذلك الطائفة الشيعية لم تتخذ موقفاً واضحاً؛ إلاّ أن كامل بك الأسعد كان يميل كذلك لحكم فيصل، إضافة إلى تمرد الشيعة على الفرنسيين في بعض مناطق لبنان والهجوم على المسيحيين شهر جوان **1920**م، حيث قام أكثر من **500** متوالي(شيعي) يقودهم عبد اللطيف بك بالهجوم على الفرنسيين وقرى دير مماس والقليعة والخربة، وقتل على إثرها **66** مسيحياً[3].

---

[1] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 43

[2] عصام كمال خليفة، **أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر**، ص ص 120، 123.

[3] عصام كمال خليفة، المرجع نفسه، ص 128.

وفي **1927**م كثّف حزب الاستقلال العربي نشاطه والذي كان أبرز مناضليه الأمير شكيب وعادل أرسلان ورياض الصلح، ورشيد رضا[1]، وملخص البرنامج الخاص به هو إنشاء إمبراطورية عربية تضم الأقاليم العربية بما فيها سوريا ولبنان، وكان يرى أن لبنان لا ترقى إلى أن تكون دولة مستقلة، ولكن متصرفيّةً [2] تابعة للإمبراطورية العربية، هذه الأهداف جعلت فرنسا تُكنّ للحزب أشدّ العداء[3].

1 2 مجتمع الشام أواخر حكم آل عثمان:

تنفرد منطقة الشام بتنوع تركيبتها السكانية عن باقي أقاليم الدولة العثمانية، فعلى أرض الشام تعيش عديد الطوائف الدينية، نجد المسلمين السنّة ينقسمون بدورهم إلى عدة عرقيّات: عرب، أكراد [4]، تركمان وشركس؛ ثم النصارى، وبدورهم ينقسمون إلى عدة طوائف: الموارنة، النّسطوريين، الكاثوليك، الأرثوذوكس، والبروتستنت؛ وهناك طوائف أخرى هي: الدّروز، الشيعة، العلويّين، الإسماعيليّين، اليزيديّين،

---

[1] **رشيد رضا**: ولد الشيخ رشيد بالقلمون في جبل لبنان عام 1865م، تلقى مبادئ التعليم في قريته ثم في طرابلس، حيث تتلمذ عند الشيخ حسين الجسر بالمدرسة الوطنية في طرابلس، في شبابه كان يطالع رشيد رضا مجلة "العروة الوثقى"، تأثر بها أيما تأثر، لينتقل بفكره نحو المسار الإصلاحي ليسلك طريق جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وفي عام 1897م سافر إلى القاهرة، ليتعرف على محمد عبده ويطرح فكرته حول إنشاء مجلة شهرية تُعنى بالشؤون: (فلسفة الدين، الاجتماع، العمران...) تحت مسمّى "المنار"، فوافق الإمام وأجاز الاسم، وقد أُنشأت سنة 1898م وبقيت إلى غاية سنة 1935م وهي تنشر رسالة التجديد والإصلاح، أي سنة انتقال الشيخ رشيد رضا إلى الرفيق الأعلى. عمر رياض، **"علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر (1898م–1935م)"**، مجلة المواقف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد07، ديسمبر2012م، ص6.

[2] المتصرفيّة: تقسيم إداري استخدم في عهد ىالدولة العثمانية في المشرق العربي، وهو الإقليم أو المنطقة. الموقع الإلكتروني : معجم المعاني، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%AA%D8%B5%D8%B1%D9%81%D9%8A%D8%A9/، تاريخ الزيارة: 2023/02/01م. 15:20.

[3] عصام كمال خليفة، **أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر**، ص 130.

[4] **الأكراد** : **Les Kurdes**: هم سكان منطقة كردستان المكونة من ثلاثة أجزاء، القسم الاول هو الجزء الجنوبي الشرقي لتركيا، والثاني يشكل القسم الشمالي الشرقي من العراق، أما القسم الثالث فهو الذي يقع في الجزء الغربي من إيران وأجزاء من أرمينيا، وتوجد مجموعات قليلة مهم في سوريا ولبنان، يعتنقون الديانة الإسلامية، قُدر عددهم بحوالي عشرة ملايين نسمة، يتكلمون لغةً خاصة بهم ولها كتابة صعبة بعض الشيء، أما أكراد العراق فيتكلمون العربية ويجيدون كتابتها، يغلب على مجتمعهم النظام القبلي، انتقلت النزعة القومية لديهم متأخرة، وقد حاولت القوى الخارجية تحريكها وتوظيفها لمصالحهم، حيث حاول أكراد تركيا التمرد على سلطة أنقرة المركزية، إلا أنها سحقت عدة مرات في 1925 و1930 و1937، ولازال البعض من أكراد تركيا ثائرين إلى اليوم، كذلك أكراد العراق حاولوا إنشاء حكم كنفدرالي و لم تتحقق أهدافهم إلى اليوم، اما إيران فقد تشكلت حكومة كردية هناك سنة 1946، لكنها لم تعمر طويلاً. عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، مطابع تكنوبرس الحديثة، بيروت، لبنان، ط2، 1985م، ج1، ص 248.

والبهائيّون؛ إضافة إلى ديانات وطوائف أخرى هي: الآشوريون، واليهود..، أما أبرز العرقيات التي تقطن المنطقة فنجد: العرب، الأكراد، التركمان، الشركس، الأرمن، الموارنة، واليهود [1].

لبنان هو جزء من مناطق الشام الشاسعة، فتركيبته السكانية من حيث العرق أو الدين تُعتبر نفسها في كل أنحاء الشام [2]، فالأستاذ رباح أبي حيدر يذكر أن المصادر التاريخية على اختلافها لم تشر إلى التواجد الإسلامي في جبل لبنان، وأن الدولة الإسلامية وصلت إلى تلك المناطق الجبلية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا لأول مرة إلا في العهد المملوكي وبالضبط سنة **1305** للميلاد[3]، والعامل الأساسي في احتواء لبنان لكل هذا التنوع الطائفي هو الخصائص البيئية، حيث أن جبالها تُعدّ ملجأً للأقليات التي اعتزلت وانزوت بعيدا عن الحكم وعن المخالفين في العقيدة، لكن هذا التنوع الطائفي لا يمنع التجمع الحزبي أو البراغماتي، ففي كثيرٍ من الأحيان عند التقاء المصالح –سواء اجتماعية أو اقتصادية– تُتجاوز حدود الرابطة الطائفية، وتظهر هذه الظاهرة عندما يعمد الزعماء الإقطاعيون إلى التضامن من أجل مواجهة عدو مشترك، وعند اتحاد الفلاحين من نصارى ودروز ومسلمين سنة قصد الدفاع عن قضية إقطاعية[4].

إلا أن تلك الظواهر كانت تفتقر للأصالة، حيث أنها تظهر بشكل سطحي ومؤقت، لا تمتد إلى الجذور الاجتماعية للمجتمع اللبناني الذي يرتكز أساسا على الانتماء الطائفي [5]، تمثل هذه الطوائف دوائر متباعدة متنافرة، تلامس بعضها البعض أحياناً وتتداخل بعض الشيء، لكن تبقى كل دائرة –الطائفة– محافظة على محيطها العقائدي، وتحاول توسيع القطر الاقتصادي والسياسي المتمثل في النفوذ وقوة الضغط في الدولة داخلياً وخارجياً للتأثير على قرارات السلطة المركزية والمحافظة على مصالح أفراد الطائفة.

رغم أن هناك احتكاك كبير بين مختلف الطوائف اللبنانية ووجود العلاقات الاجتماعية والتجارية ومناسبات تجتمع عليها، إلا أن التعصب الطائفي استمر، خاصة عند وصول قيادات طائفية تفتقر للقدرة على التفاهم فيما بينها، ومما زاد من التباعد الاجتماعي فيما بينها، أن هناك طوائف لها خصائص ناتجة عن البيئة التي

---

[1] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص 52.

[2] اسكندر يعقوب، المصدر نفسه، ص ص 52، 53.

[3] رباح أبي حيدر، **"سببية الهجرة الإسلامية من جبل لبنان باتجاه ولاية الشام في القرن 19"**، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس، مارس 1988، ص 47.

[4] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص ص 52، 53.

[5] اسكندر بن يعقوب، المصدر نفسه، ص 53.

تسكنها على غرار الشيعة والدروز والموارنة التي تتمركز أساسا في جبال لبنان فاكتسب منتسبوها الشدة، وأغنتها العصبية العشائرية، عكس سكان المدن من المسلمين السنة والروم[1].

كان التأثير الجغرافي على حياة السكان ظاهراً للعيان في لبنان، مما جعل السكان يتعلقون بأقاليمهم أيما تعلق فصارت هذه المناطق تُعرف بالطائفة التي تقطنها، والارتباط بالأرض كان عاملا من عوامل التكوين العقائدي لتلك الطائفة على أسس عرقية أو دينية، فالجغرافية السكانية في لبنان تُعرّف على أساس التوزيع الطائفي المتعارف عليه في الشام:

الموارنة : يتمركزون في كسروان[2]المعروفة بحدودها وطبيعة أرضها الجبلية بمرتفعاتها، فالموارنة يقدسون انتماءهم لإقليم كسروان كارتباطهم بعقيدتهم النصرانية.

الشيعة : ومناطق تواجدهم هو الجنوب اللبناني، من جزين [3] حتى جبل عامل، ويتوزعون في مناطق أخرى لكن بأعداد قليلة في البقاع وبعض القرى والمدن اللبنانية.

الدروز : يتواجدون بالشوف والمتن وفي بعض قرى ومدن الجنوب، وفي غير هذه المناطق يختلطون مع النصارى في بعض القرى.

السنة : مركز تواجدهم بالدرجة الأولى في مدينة طرابلس وما يحيطها، ثم صيدا، بيروت وسُهول البقاع أين يتواجد عرب بني خالد وأغلبيتهم من المسلمين السنة[4].

---

[1] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص 53.

[2] **كسروان**: هي إحدى أقضية محافظة جبل لبنان الستة حالياً، يمتد من أقصى الغرب إلى وسط لبنان، أي من مجرى نهر إبراهيم في الشمال حتى نهر الكلب في الجنوب اللبناني، ومن البحر المتوسط غرباً إلى قمم جبال صنين التي يصل إرتفاعها 2600 متر، تبلغ مساحتها 342 كيلومتراً مربعاً، يحده شمالاً قضاء جبيّل، ومن الشرق قضاء بعلبك ومن الجنوب قضاء المتن، أما مركز كسروان فهو مدينة جونيه. موقع لوكاليبان الإلكتروني، الرابط : http://www.localiban.org/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D9%83%D8%B3%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%86 . تاريخ الزيارة : 2023/01/30م، 16:34.

[3] قضاء جزين هو أحد أقضية محافظة الجنوب اللبناني الثلاثة، يحده من الشمال محافظة جبل لبنان ومن الشرق قضاء مرجعيون ومحافظة البقاع، ومن الجنوب محافظة النبطية، ومن الغرب قضاء صيدا، 60 % من سكان القضاء مسيحيين، أغلبهم موارنة، وحوالي 25 % من المسلمين الشيعة، أما البقيّة من المسلمين السنّة والدروز. موقع لوكاليبان الإلكتروني، الرابط : http://www.localiban.org/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%AC%D8%B2%D9%8A%D9%86. تاريخ الزيارة : 2023/01/30م، 16:37.

[4] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق ، ص ص 53، 54.

تُعد طائفة الدروز أقل الطوائف عدداً، لأسباب عدة منها أن الطائفة الدرزية أُغلق باب الدخول إليها إلا من انتمى إليها، كذلك الصّراعات الداخلية والفتن التي فتكت بأبنائها، عكس جيرانهم الموارنة في الجبل الذين كانوا معفيّين من خدمة الجيش العثماني، فتضاعف عددهم، مما اضطرهم التوسع على حساب أراضي الدروز إضافة إلى أن الدروز كانوا يحتقرون الأعمال اليدوية، ويفضلون العمل الحربي الذي يرفع من شأنهم، فسمحوا بدخول مجموعات من الموارنة في الشمال لاستغلال الأرض ووظفوهم عندهم، فازدادت ثروة الموارنة وقلت عند الدروز، فوجد الدروز أنفسهم مضطرين إلى التنازل عن بعض مناطقهم في معقلهم الأساسي الشوف [1].

مع نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالضبط سنة **1840م** استخدم الأمير بشير عمر سياسة قمعية لإخضاع الإقطاعيين الدروز ، فتشرد البعض وصادر أموالهم وممتلكاتهم، وقام بنفي عددا منهم، بينما طبّق سياسة اللّين ومنح الأفضلية للنّصارى، حيث تخلّص هذا الأمير من بشير جنبلاط، وأتبعه بضرب آل أرسلان وعبد الملك وآل نكد وعماد، مع تجريدهم من مكانتهم وممتلكاتهم، وقد جُرّد الدروز من **14** مقاطعة، و لم يبقى لهم سوى مقاطعتين، ووزع ما صادره على أبناء عمومته وبعض النصارى، وكان هدفه من هذه الإجراءات هو إفراغ جبل لبنان من الدروز، وتغليب العنصر الماروني الذي أصبح الأكثر ثروة وانتشاراً[2].

وكانت تلك الإجراءات من تخطيط إبراهيم باشا الذي قام بتقريب الموارنة وبعض الطوائف منه، وإبعاد الدروز إلى مناطق غير مناطقهم، والمسلمين السنة إلى دمشق وطرابلس، والمتوالة الشيعة إلى جبيل وجنوب لبنان[3] .

ولعل تقريب إبراهيم باشا الموارنة منه كان من توصيات والده محمد علي باشا حليف فرنسا، والسلطات الفرنسية كانت بدورها جد مهتمة بالطائفة المارونية في تلك الفترة لعدة أسباب أبرزها وحدة المذهب، كذلك وضع موطأ قدم يكون بداية بسط النفوذ والتّمهيد لاحتلال المنطقة، لذا كانت إجراءات إبراهيم باشا ومن ورائه فرنسا سببا مباشراً في إشعال فتيل فتنة لم تنتهي إلا بسقوط آلاف القتلى، وتغيير جذري في الخريطة الطائفية في المنطقة.

---

[1] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص 55.

[2] اسكندر بن يعقوب، المصدر نفسه، ص 56.

[3] المصدر نفسه.

كانت نوايا الموارنة واضحة من خلال نشاطهم المتزايد وربط علاقات خارجية متينة خاصة مع فرنسا، لذا صاروا يميلون إلى الاستقلال في الحكم، والانفصال عن الدولة العثمانية، عكس الدروز الذين أرادوا حكما ذاتيا مع إبقاء تبعيتهم لآل عثمان؛ ويُرجّح أن بدايات ظهور هاته الأفكار الاستقلالية جاءت مع حملة نابليون بونابرت على منطقة الشام[1]، ويُرجع الأستاذ رباح أبي حيدر فكرة قيام مشروع حكم محلي من قبل الموارنة إلى وصول محمد علي باشا إلى حكم مصر واستيلائه على أقاليم بلاد الشام، وفكرة تأسيس إمارة مسيحية في جبل لبنان يكون مُرتكزاً لدولةٍ ذات طابع يختلف عن أسس الدولة العثمانية، ويميل إلى نموذج الدولة الغربية ذات الخلفية القومية على غرار دولة محمد علي باشا في مصر[2].

إضافةً إلى أنّ طموحات البطريرك بولس مسعد كانت واضحة في العمل على التقليل من مكانة مشايخ آل خازن الإقطاعيّين الموارنة في كسروان[3]، فحركة الفلاّحين التي شهدتها المنطقة بين سنتي **1858** و**1859م** استغل مسارها ووظّفها البطريرك لصالحه ولتحقيق أهدافه الخاصة واستعادة مكانة البطريرك التاريخية[4].

أما إذا تكلّمنا عن الحاضنة التي نشأ فيها أمير البيان والطائفة التي نهل من عقيدتها وتشبع بأفكارها، فيمكن أن نقول أنّها كانت الحلقة الأضعف بين طوائف المجتمع اللبناني، لأسباب ذكرناها سلفًا، وأخرى تاريخية ساهمت بعُمق في تراجع قوة الطائفة، كان الاختلاف الذي طرأ بين إخوة الجماعة الدرزية، حيث جمعتهم العقيدة وفرقتهم القبيلة، فانقسمت إلى شطرين، الأول يمني والآخر قيسي، ونتج عن هذا الانقسام موقعة عين دارا[5]، على إثرها هاجر الدروز اليمنية إلى حوران، ثم تجدد التصدع كذلك بين الدروز القيسية،

---

[1] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص 58.

[2] رباح أبي حيدر، مرجع سابق، ص 48.

[3] يرجع البعض سبب وقوف البطريرك بولس مسعد إلى جانب الفلاحين في ثورتهم والذي هو من أهدافه، الثأر من مشايخ آل الخازن الذين أهانوا والدته خلال طُقوس حفل زفافها بسبب لباسها المتواضع والإهانة التي تعرضت لها من قبل شيخة من شيخات الخوازنة بعد أن لطمتها على خدها وطلبت منها استبدال ملابس زفافها.أغوسطين البستاني، **مصدر سابق**.

[4] عصام كمال خليفة، **أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر**، ص 40.

[5] واقعة عين دارا كانت سنة 1123 هـ/1711 م، كان الدروز اليمنيّين بقيادة الشيخ محمود أبو هرموش مع أمراء آل علم الدين، أما الدروز القيسيّة فضم فريقهم رجال الإقطاع الدروز من أبناء القاضي التنوخيون وآل نكد وجنبلاط وعبد الملك هؤلاء يدعمون الشهابيين السنيين، وكانت معركة عين دارة عبارة عن خدعة، فلما التقى الفريقان من الدروز في سهل قريب من قرية عين دارة، داهم القيسيون بقيادة حيدر الشهابي اليمنيين ليلا فتغلبوا عليهم، فقُتل ثلاثة أمراء من آل علم الدين، وسجن أربعة أمراء منهم، وأمر بقطع رؤوسهم لتنقطع به سلالتهم، والقائد محمود هرموش قُبض عليه فقطعوا لسانه وإبهامه كما يأمر العرف، واتجه اليمنيون إلى حوران، ونال حلفاء حيدر شهاب نصيبهم من الإقطاع. مجلة النهار الإلكترونية، مكرم رباح، **"معركة عين دارة وبوصلة الدروز"** ، تاريخ الإضافة : 2022/06/08م، الرابط :

بين الحزب الجنبلاطي والحزب اليزبكي، وكانت بعض العائلات النصرانية تؤيد هذا أو ذاك وهذا طبعاً بالمقابل، والخاسر الأكبر هم الدروز الذين تراجعت مواردهم وإمكانياتهم[1].

وهناك انقسام طبقي في المجتمع الدرزي اللبناني في تلك الفترة حيث يتكون من طبقتين :

الطبقة الأولى : تتكون من الأغنياء وكبار الملاك للعائلات الدرزية على غرار (آل جنبلاط، آل أرسلان، آل نكد، آل عماد، آل عبد الملك، آل حمادة، آل تلحوق....).

الطبقة الثانية : وتمثل صغار الملاك وعامة أفراد المجتمع الدرزي.

والملاحظ في الطائفتين أن هناك تشابهاً كبيراً بين المجتمعين الماروني والدرزي من حيث طبقات المجتمع، إلا أن هناك فارقاً في المعاملة بين أغنياء كل طائفة لأبناء طائفتهم من الفقراء والفلاحين، فقد كان الفقير أو الفلاح الماروني يسكن بيتاً ويزرع أرضاً لا يملكهما، وباستطاعة الإقطاعي الماروني طرده منهما متى ألّحت الضرورة، فهو يعيش حياة الاسترقاق، أما الفقراء الدروز كانوا أفضل حالاً من فقراء الموارنة[2].

ويصف تشارلز تشرشل مشايخ الدّروز في مجتمعاتهم وأوقات سمرهم أيام الفراغ، فيذكر أنهم يتحلّون بآداب اجتماعية رفيعة تتوافق مع شعورهم بالاعتزاز، خاصة وأنهم يتصفون بأسلوب مخاطبة بعضهم لبعض جد مميز، ويتفوّقون تفوقاً كبيراً على الأرستقراطية المسيحية في لبنان، فبرقّة حديثهم ومجاملاتهم يستولون على مشاعر الغرباء، لِما في كلامهم من تهذيب، فالكبرياء والحرص هما السِّمتان اللتان تتميز بها أخلاقهم، أما شعورهم الداخلي –حسب تشرشل– فيلقون نظرة ازدراء على كل من ليس منهم، فهم لا يظهرون حقيقة ما في قلوبهم، بل يُبالغون في إظهار الاحترام والتهذيب واللطف قصد كسب الأصدقاء، فهي تصرفات وراثية [3]، لعلّ لعقيدة التقيّة أثرٌ كبيرٌ في اتصافهم بذلك.

فذكاء الدروز بصورة عامة وقدراتهم في تكتلهم تفوق بكثير ما لأمراء الطوائف المسيحية، وتعودهم على الاعتماد على أنفسهم أعطاهم براعة وحزماً في مواجهة الأزمات والأمور المتعلقة بمصالحهم، فكانوا

---

https://www.annahar.com/arabic/section/140-%D8%B1%D8%A3%D9%8A/08062022011955702 . تاريخ الزيارة : 2023/01/30، 20:54.

[1] اسكندر بن يعقوب، مصدر سابق، ص ص 58، 59.

[2] اسكندر بن يعقوب، المصدر نفسه، ص ص 59، 60.

[3] تشارلز تشرشل، مصدر سابق، ص ص 45، 46.

يُصيبون في اتخاذ القرارات في معظم الأوقات، فالتسليم التام والخضوع لمشايخهم سبب أساسي في وحدتهم وقوة ترابطهم فيما بينهم[1].

ومن الأسباب التي جعلت موارد سكان جبل لبنان تتراجع وبالأخص السكان الدروز، هي تضاعف قيمة الضرائب المفروضة عليهم، فيقول تشرشل في هذا الشأن أن قيمة الضرائب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تضاعفت ثمانية مرات على ما كانت عليه زمن حكم سليم الأول وإلحاق الشام بحدود الدولة العثمانية، حيث أن الضرائب تفرض على الملاكين وهي أساس الدخل للدولة[2].

وقد تحدّث أمير البيان عن طائفته في عديد المواضع، حيث كان يعتز بدرزيته وبأصله العربي، فكتب مقالاً تحت عنوان :"الدروز أو بنو معروف عرب أقحاح"، فيقول في مقاله هذا الذي نُشر في جريدة الشورى بتاريخ أكتوبر **1925م** في عددها الأول :"...فالدّروز في النسب عرب أقحاح، لا يوجد في العرب الجالين عن جزيرة العرب أصح عروبة منهم..." [3]، فكان حريصاً على إثبات عروبتهم والردّ على من ذكره من المعادين وعلّق على أصوله التركية من خلال اسم العائلة (أرسلان) التي تعد كلمة تركية رغم استخدامها في اللغة العربية.

وفي مقال آخر له في كتابه عروة الإتحاد، عنونه ب:"..آل معروف في الذروة من العروبة ولا يمكن أن يكونوا عضداً للإفرنج على العرب"، يبدأ كلامه :"...إنّ الدروز في برّ الشام هم من صميم العرب لا يساويهم في صحّة النسب العربي إلاّ الشيعة..."، ثم يستدلّ بعددٍ من البراهين لإثبات كلامه، بدايةً بالخلقة والسحنة، ثم الجانب العلمي من خلال فحص العلماء لجماجم الدروز وإثبات أصولهم العربية، وقد عدّدها الشرباصي في كتابه "شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام" وهي سبعة براهين دالة على أصل طائفته العربي[4].

والجدير بالذكر أن اهتمام أرسلان بالنسب لا افتخاراً بالنفس أو قصده مادّي، حيث قال :"... ونحن لو نظرنا إلى السبب في حفظ النسب لا نجده منحصراً في معرفة التاريخ ولا في الامتيازات المادية التي يحوزها

---

[1] تشارلز تشرشل، مصدر سابق، ص 47.

[2] المصدر نفسه، ص 56.

[3] أحمد الشرباصي، **شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د س ط، ص ص 78، 79.

[4] شكيب أرسلان، **عروة الإتحاد بين أهل الجهاد**، تقديم:رضوان السيّد، إشراف وتحرير:سوسن النجّار نصر، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط1، 2009م، ص 41.

أصحاب النسب في العادة، ولكن هناك غرض آخر أعلى من ذا وذا، وهو توارث الأخلاق التي تهتف بالفضائل، والأفعال المجيدة تزكي الأنفس، فمن المعلوم أن أصل البيوت الشريفة هو أن يبرع أحد الناس على أقرانه، وينبذ أبناء زمانه بطبيعة ممتازة في نفسه قد تكون أسبابها النفسية مجهولة، وإنّما تظهر آثارها في أفعاله فيمتاز بين قومه وتحصل له رئاسة وسؤدد، ويشيع ذكره ويرتفع شأنه..." [1]، وفي المقابل كان يعاتب أهله وأبناء طائفته على التقاعس في الدفاع عن الأرض والعرض، حيث كتب في إحدى رسائله إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي، أنه عاتب الدروز على تقاعسهم في مقاومة الفرنسيين لّما أرادت فرنسا فصل جبل الدروز عن سوريا لكنهم كفّروا عن تقصيرهم في ثورتهم ضد الفرنسيين بين سنتي **1925**م و**1926**م، فرضي عنهم[2].

هذا عن ما جمعناه وقمنا بتلخيصه حول الأحوال الاجتماعية في الشام وبالأخص في لبنان موطن أمير البيان شكيب أرسلان، حيث أن المنطقة تشوبها الصراعات في معظم الفترات، لزخم الأحداث وكثرة الفتن والنزاعات، والتفاعلات الخارجية والداخلية، فتضارب مصالح دول الغرب انعكس سلباً على مختلف طوائف المجتمع اللبناني، هذا على الصعيد السياسي والاجتماعي، وإيجاباً على الصعيد الثقافي في بعض مجالات الثقافة كالطباعة والتعليم والإعلام كما سنورده في العنصر الموالي.

1 3 أحوال الثقافة والأدب في لبنان وسائر الشام:

كان الوضع الثقافي في البلاد العربية بدايات القرن التاسع عشر يتّسم بالجمود لقلّة المدارس وغياب الطباعة وندرة الكتب وكساد الشعر والأدب [3]، ويصف المعلّم بُطرس البستاني [4] الوضع في تلك الفترة فيقول:" إنّ العرب في أيامنا هذه قَنُوعون جدّاً في أمر الآداب فإنهم يكتفون بأقلّها، ويحسبون أنفسهم أنّهم قد وصلوا إلى أعلى طبقات العلم مع أنهم لم يقرعوا بابه، ومن تعلم منهم كتاب الزبور والقرآن يُقال أنه قد ختم

---

[1] شكيب أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، د د ن، د ت ن، د ط، ملحق الجزء الأول، ص 35.

[2] شكيب أرسلان، الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي، الدار التقدمية، لبنان، د س ط، ص20.

[3] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص52.

[4] ولد بطرس البستاني في ماي 1819م بالشّوف بلبنان من أسرة مارونية اشتهرت بالأدب والعلم، ويُلقب المعلم بطرس، هو أديب وموسوعي ، ومؤرخ لبناني دخل المدارس الوطنية، وألّف أوّل موسوعة عربية سماها "دائرة المعارف؛ قاموس عام لكل فن ومطلب"، وكان المعلم بطرس البستاني والمتوفى سنة 1883م أول من أسّس مدرسة وطنية عالية راقية، وأوّل من أنشأ مجلة هادفة سامية، وأوّل من ألف قاموسًا عربيًا عصريًا مطولاً، وأول من ابتدأ بمشروع دائرة معارف باللغة العربية، وهو يعد من أكبر زعماء النهضة العربية الحديثة . الموقع الإلكتروني : بوابة الأهرام، هبة سعيد سليمان، "**صاحب أوّل دائرة معارف عربي..ماذا تعرف عن الأب بطرس البستاني**" ، الأهرام الإلكترونية، تاريخ الإضافة: 2021/05/01م، الرابط : https://gate.ahram.org.eg/News/2706505.aspx ، تاريخ الزيارة: 2023/01/30م، 21:13.

علمه، وإن تعلم شيئاً من أصول الصرّف والنحو يُقال فيه أنه علامة زمانه، وإذا نطق بالشعر فلا يبقى عندهم لقب يصفونه به..."[1]، أما شاهين مكاريوس صاحب كتاب "حسر اللثام عن نكبات الشام" يقول في هذا الشأن :"...ومعارف الشام تُذكر في بعض الأنحاء وقليلة لا تُذكر في أنحاءٍ أخرى، فحيث يكثر الأجانب والمرسلون تكثر المدارس والكتب، وحيث يقل عددهم تقل المعارف، وليس للحكومة من المدارس إلا الشيء القليل وهي قاصرة على أولاد المسلمين...."[2]، وهذا ما يتضح من سرد للواقع الثقافي اللبناني آنذاك حيث أن المسيحيين يستفيدون من مختلف المساعدات المالية والعينية لبناء دور العلم باختلافها الأيديولوجي والطائفي، ويتلقون العلوم المتنوعة الحديثة بها عبر المعلمين والأساتذة المرسلين من كل أصقاع أوروبا، والمسلمون تُبنى لهم المدارس القليلة والتي تفتقر للتنوع العلمي كما وصفها الكاتب.

اتصفت المنطقة في تلك الفترة بندرة الكتب والمؤلفات، والذي كان سببه نقص المطابع في جل الأقاليم العربية، فقد كان في لبنان في أوائل القرن الثامن عشر مطبعة عربية واحدة، في قرية الشوير تهتم بالكتب الدينية فقط، ولا تهتم بباقي المجالات خاصة تلك المتعلقة بالتعليم المدرسي، و لم تتسع دائرة الطباعة إلا في عهد محمد علي باشا في مصر، حيث أنشأ مطبعة بولاق الشهيرة سنة **1822م**، وطُبعت عشرات الكتب باللغة العربية والتركية والفارسية، واهتمت بالعلوم الحديثة كالرياضيات والطِّب والجراحة، ثم افتتحت ثلاثة مطابع في الشام، أولها مطبعة الأمريكان نُقلت من مالطا إلى بيروت، والثانية اليسوعية بدأت الطبع سنة **1848م**، ثم مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس الشريف عام **1846م** وقد كانت هاته المطابع إحدى أركان النهضة العلمية والأدبية العربية الحديثة، وازدهر التعليم بفضلها بتوفير ما تحتاجه من مطبوعات، خاصة في الفترة الممتدة عبر النصف الثاني من القرن التاسع عشر[3].

أما فيما اختصّ بدُور التعليم كالمدارس والكليات والمعاهد، فمعظمها في تلك الفترة في بلاد الشام شيّدها الأجانب، أشهرها المدرسة الكلية للمرسلين الأمريكيين في بيروت، ومدرسة القديس يوسف للمرسلين

---

[1] بطرس البستاني، **"في آداب العرب"، مجالي الغرر لكتاب القرن التاسع عشر** ، جمعه صفير يوسف المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، ط 2، 1906م، ص 39، سامي الدهان، مرجع سابق، ص 44.

[2] شاهين مكاريوس، حسر اللثام عن نكبات الشام، وفيه مجمل أخبار الحرب الأهلية المعروفة بحوادث سنة 1860 مع تمهيد في وصف البلاد الجغرافي والسياسي، د دار نشر، مصر، ط1، 1895م، ص 11.

[3] سامي الدهان، مرجع سابق، ص ص 47، 48.

الكاثوليك اليسوعيين، والمدرسة البطريركيّة لطائفة الروم الكاثوليك، ومدرسة الحكمة لنيافة المطران يوسف الدبس رئيس طائفة الموارنة؛ ومدارس البنات كثيرة مثل: مدرسة الأمريكان ومدرسة الانجليز، ومدرسة الراهبات العازريات ومدرسة الراهبات البروسيات الإنجيلية، وكل هذه المدارس في بيروت مركز العلوم والمعارف في بلاد الشّام كما وصفها صاحب كتاب حسر اللثام شاهين مكاريوس [1]، أضف إلى ذلك المدرسة الداخلية الإسرائيلية التي أسسها اليهود والتي كان يديرها زاكي كوهين[2].

ومع حلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذت الطباعة في الانتشار، وبدأت الصحف في الظهور، فتأسست الجمعيات العلمية، وسارعت السلطات إلى بناء المدارس العصرية؛ ويرى أرسلان أن غزو إبراهيم باشا للشام إلى غاية عام **1840**م كان سبباً رئيسياً في إثارة النزعة التجديدية الفكرية في الشام، إضافة إلى البصمة الغربية التي وجدت سورية مهيأة لبذر المعارف، فبنوْا فيها المدارس والمعاهد، مثل الكلية الأمريكية في بيروت التي وصفها أرسلان بالنبراس الأول، ثم تلها مدارس الألمان والفرنسيين والإيطاليين[3].

ثم بدأت السلطات في تشييد المدارس خاصة في لبنان موطن أمير البيان، وركزت على تعليم اللغة التركية في المدارس الحكومية، لحاجة السلطة لتأهيل المتعلمين للوظائف الرسمية، أما اللغة العربية فكانت تُدرّس دراسة سطحية على أيدي الأتراك أو عرب بِخلْفيّة أو ثقافة تركية[4].

وقد وصف شكيب ثقافة عصره بأبيات شعرية أنشدها في بيت الحكمة حيث قال :

ودالت إلى الغرب العلوم مع العلى كما حكم المبدي المعيد وابرما
وأوْجف ركب السعي في طلب العلا فكان بذا الجري الجواد المصممّا
فهادنه صرف الزمان مسالماً و نوّله الخير الأتم المعممّا
وباتت بلاد الشرق من بعد عزّها كأن لم تنل مجدًا و لم تحوِ مقرماً
إلى أن تجلّى طالع العصر بعد أن تحجّب عن تلك الجوانب واكتمى
فثابت لدى إشراقه الهمم التي عن العلم قبلاً قد تقاعسن نُوّمَا
عن العلم حق العلم بالفعل ظاهرٍ فذلك للألباب قد كان ألزما
و عفّت على ما كان قبلاً وذلّلت جماح زمان قد طغى وتجرّما

---

[1] شاهين مكاريوس، مصدر سابق، ص12.

[2] شكيب أرسلان، **النهضة العربية في العصر الحاضر**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط1، 2008م، ص 33.

[3] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 53.

[4] الدهان، مرجع سابق، ص 48.

فان يك خسف الشرق أضحى محلّلا لديه فما كان الفلاح محرّما
ألا يا بني الأوطان أنّ عليكمُ إلى السعي في تلك المعالي التقدّما
عليكم بها فاسعوا لها وتشبهوا فمن يتشبه بالكرام تكرّما
ومن قصرت أيديه فليسعَ طوقهُ ومن لم يجد ماءً بأرضٍ تيمَّما[1]

في هذه الأبيات وصف شكيب أرسلان حالة بلاد الشرق أي العالم الإسلامي وفقدانه المجد والعزّ الذي وصل إليه من قبل، وجاء الدور على الغرب وكسبه لمختلف العلوم، ثم يشجع أصحاب الهمم لطلب العلم وترك التقاعس والنوم، والسعي إلى المعالي والتقدم بالأمة.

والعجيب أنّ هذه الأبيات قالها وهو بعمر الرابعة عشر، ونشرها في ديوانه "الباكورة" وكان سنّه سبعة عشر، حيث جعل شعره بين أيدي النّاقدين، وكان هذا بين سنوات **1884** و**1887**م[2]، وقد أهدى باكورته إلى الشيخ محمد عبده كما سنتعرض له في العنصر الخاص بأبرز ما ألّفه.

وحوادث **1860**م لها أثر كبير في هجرة اللبنانيين والسوريين إلى مدينة بيروت التي صارت تعج بالسكان ونشطت التجارة وضجت بالحركة الاجتماعية والدعاية والتبشير، ناهيك عن الامتيازات الأجنبية التي مُنحت للأوروبيين، كل هذا ساهم في اكتساب مدينة بيروت أهمية ثقافية وعمرانية واجتماعية، وصارت متصلة بالغرب أكثر من غيرها من مدن الشرق، لذا شهدت المدينة نقلة علمية ثقافية بعد تشييد عديد المدارس التي تُعنى باللّغات الأجنبية واللغة العربية، فنشأت نهضة اجتماعية ثقافية في الشام فكانت مدينة بيروت نافذتها على العالم[3].

لقيت مدينة بيروت دعمًا أوروبيًا كبيرًا عكس مدينة دمشق الإسلامية، فبيروت تتميز بكثافة سكانية مسيحية، فهناك تقارير لقناصل أوروبيين يوصون بنقل الولاية من دمشق إلى بيروت، وكان هذا الاقتراح سنة **1865**م، وطبق في عام **1888**م، لتكون مدينة بيروت مركزا لولاية تمتد شمالا وجنوبا دون إلغاء ولاية دمشق، فشهدت بيروت بذلك تغيّرات اقتصادية عمرانية ثقافية بالغة الأهمية [4]؛ ويرى عبد الله حنّا أن عبء النّهضة

---

[1] شكيب أرسلان، **باكورة**، نظم شكيب أرسلان عفي الله عنه، المطبعة الأدبية، بيروت، ط1، 1887م، ص 7.

[2] الدهان، مرجع سابق، ص109.

[3] الدهان، المرجع نفسه، ص 49.

[4] مسعود ضاهر، " **الحركة السكانية في المشرق العربي في أواخر العهد العثماني، نموذج الهجرة إلى بيروت في القرن التاسع عشر**" ، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس، مارس 1988م، ص ص 471، 472.

الحديثة تحملته القوى المستنيرة من جبل لبنان وبيروت التي وضعت أسس حركة البعث القومي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في حين تأخّر ظهور حركة النهضة العربية في دمشق بسبب أحداث **1860**م في الشام وانتصار القوى الرجعية في اسطنبول ودمشق[1].

وكان التنافس على أشده بين مختلف الطوائف والجنسيات من أمريكيين وفرنسيين وغيرهم في حركة التبشير وبث المعرفة وإعمار مدارسهم، وازداد النّشاط التعليمي أواخر القرن التاسع عشر، فقامت الحكومة في لبنان بإنشاء المكتب الإعدادي للمسلمين ببيروت وكان ذلك سنة **1885**م، وأنشأ الأهالي في بعض المناطق المدارس الأهلية أهمها المدرسة العثمانية كان رئيسها الشيخ أحمد عبّاس الأزهري سنة **1897**م، إضافة إلى المدرسة الوطنية والمدرسة العلمية، وكانت تدرس أغلبية هاته المدارس باللغة التركية والفرنسية والعربية، فخرّجت الكثير من المثقفين من الأدباء والشعراء والإعلاميين[2].

أما إذا تكلّمنا عن الصّحافة والجمعيات التي تُعنى بالأدب، فكان لبناء المدارس مع كثرتها دورٌ مهم فاتساع رقعة التعلم والثقافة، كذلك تشييد المطابع كان له الأثر في انتشار ثقافة القراءة، وزيادة عدد الصحف والقرّاء، وتنافست الطوائف على إنشاء الجرائد بمختلف اختصاصاتها.

فشجّع ذلك قادة الطوائف في كل لبنان على تأسيس الصحف والمجلات، فازدادت وتيرة الإعلام بشكل غير مسبوق، فأسس اليسوعيون جريدة "البشير" سنة **1870**م، وأصدر المعلم بطرس البستاني مجلة "الجنان" في العام نفسه، وأنشأ عبد القادر قباني مجلة "ثمرات الفنون" سنة **1874**م، ثم قام شاهين أبكاريوس ويعقوب صروف وفارس نمر بإصدار مجلة علمية تحت مسمى "المقتطف"، ومحرروا هاته المجلة كلهم تخرّجوا من الكلية الأمريكية، وقد انتقلوا إلى مصر سنة **1886**م لِما وُجد فيها من حرية واسعة في تحرير المقالات الصحفية دون رقابة تُذكر، وحسب الأستاذ سامي الدهان فإن الإنجليز استخدموا الدّهاء من أجل استقطاب أحرار العرب والشخصيات المُعارضة للحكم العثماني بغرض استخدامهم ضدّ الخلافة العثمانية إلى حين، فأصبحت مصر ملجأً للفارين والمعارضين، فانتعشت الصحافة بهم في مصر[3].

---

[1] عبد الله حنا، حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (نموذج لحياة المدن في ظل الإقطاعية الشرقي)، دار ابن خلدون، ط1، 1985م، ص 270.

[2] الدهان، مرجع سابق، ص50.

[3] الدهان، المرجع نفسه، ص ص 50، 51.

فشكيب أرسلان يصف الحركة العلمية بالشام بالنسبة للصحافة، فيقول أنه إلى حدود سنة **1880**م كانت الجرائد محصورة في صدورها بمدينة بيروت فقط ولا تتعداها إلى باقي مدن سورية، حيث كانت لا تصدر بمدينة دمشق سوى جريدة رسمية واحدة، باسم "سورية"، وبعدها أصدر مصطفى واصف جريدة أخرى تحت مسمّى "الشام"، وبعده أصدر الأستاذ كرد علي جريدة أخرى سُمّيت "المقتبس"، وبحلب جريدة "الفرات" التي كانت تصدر إلى جانب جريدة "سورية" نصفها باللغة العربية والنصف الآخر باللغة التركية، وقلّما كانتا تنشران شيئاً خارج الشأن الرسمي[1].

أما الجمعيات الأدبية فمع نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر بدأت حركة الجمعيات بالانتعاش ففي سنة **1847م** تأسست ببيروت "الجمعية السورية" من طرف المرسلين الأمريكيين، ضمت هذه الجمعية مجموعة كبيرة من نخبة الأدباء، وصل عددهم إلى خمسين أديباً، أربعون من لبنان وعشرة من سورية، أبرزهم : بطرس البستاني، ناصيف اليازجي، ميخائيل مشاقة، وإبراهيم طراد وغيرهم؛ وفي الستّينات من القرن التاسع عشر تأسست جمعيات أخرى ضمت الكثير من الشخصيات الأدبية اللبنانية، لكن الفتن والدسائس، ثم اشتداد الرقابة والجوسسة ساهمت في تشجيع هجرة المفكرين والأدباء اللبنانيين نحو أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ومصر بعد فرض الانتداب الإنجليزي عليها[2].

لم تقتصر الهجرة على المفكرين والأدباء في بلاد الشام، بل شملت جميع فئات المجتمع، فشاهين مكاريوس أورد بعض الإحصائيات الخاصة بهجرة سكان لبنان نحو مختلف مناطق العالم: ففي مدّة لا تتجاوز عن الخمسة عشر سنة أواخر القرن التاسع عشر هاجر خلالها ما لا يقل عن مائتي ألف لبناني [3] وهذا رقم جد كبير مقارنة مع ما تحويه لبنان من عدد للسكان في تلك المرحلة التي عانت فيها الأمرّين.

---

[1] شكيب أرسلان، **النهضة العربية في العصر الحاضر**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط1، 2008م، ص33. .

[2] الدهان، مرجع سابق، ص 51.

[3] شاهين مكاريوس، مصدر سابق، ص13.

2) بناء شخصية أمير البيان وعلاقته برموز الحركة الإصلاحية:

وُلد الأمير شكيب أرسلان في **25** ديسمبر **1869**م بالشويفات أي بجبل لبنان [1]، أين تتمركز العائلة الأرسلانية التي أسسها الأمير مسعود الأرسلاني منذ أكثر من ألف سنة، أبوه حمود أرسلان [2] الذي يرجع نسبه إلى الأمير أرسلان المتوفى سنة **171** هجرية حوالي **787** ميلادية، أمّا أمّه فهي من الشركس [3]، اتصف شكيب بالمروءة والوفاء، تفانى في خدمة العروبة والإسلام، تحمل الأذى في سبيلهما، قدّم نفسه وماله لخدمة قضايا الأقاليم العربية ووحدتها رغم ما تلقاه في منفاه[4].

لكل شخصية معروفة لها محطات فكرية وتفاعلات ثقافية، صقلت شخصيتها وأثرت على مسار العمل والتأليف والآراء حول القضايا الجوهرية التي مر بها هذا الشخص، ثم من الممكن أن تكون هناك مراجعات حول بعض القناعات للتدقيق فيها، وإعادة الحكم عليها، فشخص شكيب أرسلان مرَّ كذلك بمحطات من خلالها تشكّلت شخصيته المميّزة فتأثّر بأعلام اللغة والفكر والسياسة، وأثّر على الكثير من السياسيّين بأفكاره مشرقاً ومغرباً، فوضع بصمته، وترك لمسته الواضحة إعلامياً وسياسياً كما سنبيّنه.

---

[1] يقع جبل لبنان في الجهة الشرقية لدولة لبنان، يمتد من طرابلس شمالا إلى صيدا جنوبا، والبقاع ووادي التيم وبعلبك شرقا، إلى العاصمة بيروت والبحر المتوسط غرباً، وأطلق تسمية جبل لبنان على قسم من جبل الشيخ الذي يشكل سلسلة جبال لبنان الشرقية، وفي 1842 بسبب الحوادث الطائفية بين الدروز والموارنة المسيحيين، قسم جبل لبنان إلى قائمقاميتين، شمال مسيحي وجنوب درزي، حيث يفصل بينهما طريق دمشق بيروت، وقد أفضت الحرب الأهلية بين عامي 1842 و1860 إلى وضع نظام سياسي إداري في الجبل عُرف بنظام المتصرفيّة، وبعد الحا ع 1 ألغي هذا النظام، وفرض الانتداب الفرنسي على كل لبنان. نايل أبو شقراء، "**البنى السكانية في جبل لبنان 1250–1850م**"، مجلة عمران، العدد 3، شتاء 2013، ص2.

[2] **الأمير حمود أرسلان** (1829–1887م): ابن الأمير حسن بن يونس بن فخر الدين ، وُلد بالشويفات وتعلم اللغة العربية فيها، على يد الشيخ محي الدين بن عمر يافي، وتعلم التركية، وأحسن الإنشاء وقرض الشعر، اشتهر برجاحة العقل والمروءة والحكمة، وتقلد ثلاث مرات مديراً على ناحية الغرب الأسفل للشويفات، بعد وفاته ترك من الأولاد أربعة(نسيب، شكيب، حسن، أحمد عادل)، شكيب أرسلان ، **السجل الأرسلاني النسب**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، إشراف وتحرير سوسن النجار، ط 1، 2009م، ص15. مكّي محمد، **قضايا التحرر بالمغرب العربي في اهتمامات شكيب أرسلان** (**1930/1946م**)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف: أ.د مولود عويمر، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية (2017/2018م)، ص14.

[3] **الشركس**: موطنهم الأصلي في مرتفعات منطقة القوقاز الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود، اسمهم الأصلي :"الأديغا" أول من أطلق عليهم اسم شركس هم اليونانيون، اتخذوا من الإسلام دينهم الرسمي، يتواجدون اليوم في عدة دول عربية مثل سوريا، لبنان والأردن، وفلسطين، وقد استعان بهم العثمانيون في حروبهم وفي قمع الثورات التي كانت تظهر في الأقاليم الخاضعة لها، أما سبب التواجد الكثيف لهم في المنطقة العربية هو نتيجة موجات الهجرة الشركسية في بدايات القرن العشرين، على إثر الاضطهاد الذي تعرضوا له من قبل الاشتراكيين بعد ثورة أكتوبر 1917. الموقع الإلكتروني : مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا، الرابط: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=5067، تاريخ الزيارة : 2023/01/03م، 21:26.

[4] شكيب أرسلان، **سيرة ذاتية**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط1، 2008م، ص8.

2 1 التنشئة الثقافية والمناهل المعرفية لشكيب أرسلان:

في مُستهل حياة الأمير شكيب تلقّى تعليمه الأوّلي على يد مدرسين بالشوّيفات [1] وعين عنُّوب، إلى جانب أخيه نسيب الذي كان يكبره سنًّا بسنة ونصف فقط، حيث أحضر لهما والدهما الشيخ مرعى شاهين سلمان ليتلقيَّا مبادئ الكتابة والقراءة على يده، وفي عين عنّوب ندب لهما معلماً آخر هو أسعد أفندي فيصل الذي تعلّما لديه القرآن الكريم ليحفظا جزءاً منه[2].

ثم التحق بالمدرسة الأمريكية في حارة العمروسية، فتعددت معارفه ودرس مبادئ الجغرافيا والحساب [3] وأتقن اللغة الانجليزية، وعند بلوغه السنة العاشرة من عمره انتقل إلى بيروت ليدخل مدرسة الحكمة ويمكث بها مدة غير وجيزة أي بين سنتي **1879** و**1886**[4]، ومؤسس المدرسة هو المطران يوسف الدبس رئيس أساقفة الطائفة المارونية، وقد اشتهرت بإتقان اللغة العربية فتلقى خلال هذه السنوات دروس العربية على الشيخ عبد الله البستاني[5]، والفرنسية على المعلم شاكر عون، والتركية على المعلم عبد السلام بك التركي [6]، وفي سنة

---

[1] الشويفات هي بلدة واقعة بين بيروت العاصمة اللبنانية ومدينة صيدا، وعرفت بهذا الاسم منذ الفتح الإسلامي، وكلمة الشويفات اسم مشتق من جذر الشوف، والشوف كلمة أرامية معناها المكان المرتفع، وتصغيرها الشويف وجمعها الشويفات، ويقال الشوّافة وهم طليعة القوم الذين يتشوفون ويشرفون من مكان مرتفع على حركة قوافل التجار والوافدين. طوني مفرّج، **موسوعة قرى ومدن لبنان**، دار نوبليس، لبنان، ج 14، ص ص173- 187.

[2] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 77.

[3] الشرباصي، المرجع نفسه.

[4] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص9.

[5] عبد الله بن ميخائيل بن ناصيف البستاني لغوي شاعر ومعلم ، أديب لبناني غزير الإنتاج واسع المعرفة والإطلاع ولد في قرية الدّبية بالشوف لوالدين هما الخوري ميخائل البستاني وعبلة يوسف نادر التي كانت شاعرة بالعامية، تقول الزجل، حين تخرّج من المدرسة الوطنية عام 1873، استدعاه الأمير ملحم أرسلان قائم مقام الشوف للتعليم في المدرسة الداودية، كما عمل بعد ذلك في مدرستي صيدا والدامور الرسميتين، وفي عام 1879 أصدر إلى جانب اسكندر عمون جريدة "جهينة الأخبار" في جزيرة قبرص، ثم معلم في "مدرسة الحكمة"، وقد تتلمذ لديه العديد من النوابغ في اللغة أمثال شكيب أرسلان أمير البيان، استدعي عام 1900 لتدريس اللغة العربية في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك، حتى عام 1914 بعد إغلاق أبوابها، بسبب الحرب العالمية الأولى، انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً فيه عام 1922، اعتزل البستاني آخر حياته في مدرسة الحكمة ناسكاً منصرفا للبحث والتنقيب والتحقيق، فارق الحياة عام 1930 تاركاً رصيد لا بأس به من المؤلفات أهمها "معجم البستان"، و أربعة مسرحيات نقّح وصحح عدد كبير من الكتب. الموقع الإلكتروني: الموسوعة العربية http://arab-ency.com.sy/detail/3565/ تاريخ الزيارة للموقع : 2021/01/11، 21:00.

[6] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص77.

1887م التحق بالمدرسة السلطانية ببيروت كذلك، ليلتقي بمحمد عبده، ليحضر دروس مجلة الأحكام العدلية، فانعقدت صداقة بين الشيخ محمد عبده والعائلة الأرسلانية[1].

وقد تأثّر الطفل شكيب بالشيخ البستاني أكثر من غيره في هذه الفترة، كذلك بدأ يظهر نبوغ ومواهب الفتى شكيب للشيخ البستاني الذي ذكر أن شكيب أحسن تلاميذه، وأقربهم إليه، كيف لا وشكيب بدأ يَنْظُم الشعر وهو في سن الرابعة عشر، ويحرر المقالات التي بدت من خلالها قوته في الطّرح دفاعاً عن العروبة والإسلام، وتحمّل أفكاراً يُثبت من خلالها شخصيته الثقافية[2].

فبعد لقاء الأمير شكيب بمحمد عبده أواخر سنة **1886م** لأول مرة، تكرر اللقاء عدة مرات بعد أن قدّمه له الشيخ عبد القادر قباني إلى الإمام، واتضح أن الإمام عبده يعرف شكيب من قصائده التي نشرها من قبل، وأقرّ شكيب أن الإمام محمد عبده أخبره أنه سيكون من أحسن الشعراء[3].

وازدادت صلة شكيب بالشيخ محمد عبده مع مرور الأيام، فكانا يتسامران، وشكيب يصغي ويتمعن لكل ما يقوله فكان خير مستمع، وربطت الشيخ عبده علاقة جيدة مع والد شكيب، وأصبح الأمير شكيب ملازماً للشيخ ويتبادلان الزيارات؛ ويذكر شكيب أنه تلقّى على يد الشيخ محمد عبده التوحيد والفقه، ولكثرة تردده على الشيخ يقول:" ونظراً لكثرة ترددي عليه أقول إلني أعلم من هذا الامر ما لا يعلمه غيري، فطالما لقيت بمجلس الأستاذ أصناف الملل والنحل، وهي تفهم منه وهو يفهم منها..."[4].

وفي سنة **1890م** اتجه شكيب إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة، ليكون أكثر مكوثه مع الشيخ محمد عبده ورفقائه أمثال سعد زغلول، علي الليثي، عبد الكريم سلمان، وعلي يوسف صاحب مجلة "المؤيد"، وأحمد زكي باشا، وآخرون، كان الأمير برفقتهم وسهراتهم واجتماعاتهم المتواصلة والمذاكرة والحديث حول كل ما يتعلق بقضايا السّاعة [5]، فيقول في سيرته الذاتية :" ...نزلت على أستاذنا الشيخ محمد عبده ضيفاً...فكنّا

---

(1) أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 9.

(2) الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 77.

(3) الشرباصي، المرجع نفسه، ص78.

(4) المرجع نفسه، ص 79.

(5) المرجع نفسه، ص 80.

نجتمع دائماً ونسمر عند سعد زغلول وعرفت يومئذٍ كثيراً من أعيان المصريّين وأدبائهم وعلمائهم..." [1]، وفي هذه الزيارة بدأ شكيب أرسلان بمراسلة جريدة الأهرام لنشر بعضٍ من مقالاته تحت اسم رمزي أو تحت عنوان :"لأحد الأفاضل السياسيين" [2]، ويمكن تعليل ذلك بخوفه من تلقّيه النّقد أو الفشل في بداياته الصحفية، أو خوفاً من السلطة الحاكمة إن كانت مقالاته تحمل بعضاً من النّقد للسياسة آل عثمان.

وفي أواخر **1890**م انتقل الأمير إلى الأستانة ليلتقي بالشيخ جمال الدين الأفغاني الذي أُعجب به، فتلقى عنه، حيث استقى من معارفه، وتأثّر بأفكاره، وأحسّ بالحمل الثقيل الذي يحمله الشيخُ وضرورة العمل على تخليص العالم الإسلامي من أمراضه[3].

ثم تعرف شكيب بأحمد شوقي بعد زيارته إلى باريس قاصدا الاستشفاء والسياحة، وكان ذلك سنة **1892**م فالتقى به في الحيّ اللاتيني لما كان شوقي طالباً للحقوق بمونبلييه، جمعتهما الأقدار ليكونا كالأخوين، وكان اللّقاء على الدوام في مقهى يُقال له "مقهى داركور" Dharcourt"، وكان أهم حديث يدور بينهما هو الشعر، ليشبه الأمير شوقي بالمتنبّي، لدقة معاني شعره وكثرة أبياته، ويقول شكيب في لقائه بشوقي :".... وبقيت أنا وشوقي نتساقى كؤوس الصفاء ونتبادل عواطف الإخاء مدة شهر من الزمن إلى أن حان إيابي إلى الشرق فودعته وداع الأخ لأخيه وفارقته فراق الصفا لمن يصافيه..."[4].

ثم يذكر أمير البيان علاقته بالأديب والشاعر صاحب "المنار" السيد رشيد رضا، وعن لقائه به لأول مرة أنه قد قيل له أنّ هناك أديباً شاباً من مدينة طرابلس الغرب اللبنانية يسأل عنك ويودُّ الاجتماع بك، وقد سمع الشاب بأن شكيب ببيروت، فقصد المدينة والتقيا فعلاً بفندق هناك اسمه "كوكب الشرق" عام **1895**م، وعلم منه أنه أراد عدة مرات ملاقاته لكنه لم يوفق، وأنه كان مولعاً بقراءة شعره منذ أن صدر أول ديوان للأمير أي "الباكورة" سنة **1887م**، وقد حفظ الكثير من أبياته، وزاد إعجابه به أكثر لّما علم أن الأمير كان على اتصال مباشر ودائم بالإمامين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، وقد كان هدفه من لقاء شكيب هو سؤاله عنهما، والحديث عن أخبارهما، فيقول الأمير في هذا الشأن عن رشيد رضا :" ....كنت أنظر لوجهه عندما أبدأ

---

[1] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 44.

[2] شكيب أرسلان، **شوقي أو صداقة أربعين سنة**، أضواء السلف، د د ن، د س ن، د م ن، ص 7.

[3] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 80.

[4] أرسلان، **شوقي أو صداقة أربعين سنة**، ص ص 10، 11.

بالكلام عنهما فأراه يشرق نوراً ويطفح سروراً وكأنه يصير كله آذاناً واعية أسماعاً صاغية، يريد أن يحفظ عنهما حتى الحرف والحركة ويفضي إليّ بما في نفسه من حب التعرف إليهما..."[1].

هذا فيما خص مراحل تطور شخصية شكيب العلمية، وتعرفه على نخبة المشرق الإصلاحية، لذا عُرفت شخصية الأمير عالميا من خلال رحلاته ومكوثه في كثير من الدول الإسلامية والأوروبية، حيث يقول عن نفسه:" ...كنت دائما على أوفاز سِفار وأنني من قطرٍ إلى قطر، ومن قطارٍ إلى قطار..."[2].

مكث الأمير مدة من الزمن بتركيا، فتعلم اللغة التركية منذ صباه، واحتك بمثقفيها على غرار الشاعر والأديب التركي عبد الحق حامد، وكانت بينهم مودة كبيرة فتساجل معه في الشعر التركي، وقد ترجم شكيب الكثير من أشعارهم إلى العربية، وكتبها في ثنايا مؤلفاته ومقالاته حتى عدَّه كثيرٌ منهم أديباً تركياً، كذلك تمكن من اللغة الألمانية فكان يرافق الإمبراطور غليوم الثاني [3] في زياراته إلى الشام بطلب من السلطان عبد الحميد الثاني، وقد امتلك بيتا في ألمانيا وأقام فترة من الزمن هناك، فترجم أرسلان مديح شوقي في شخص الإمبراطور إلى اللغة الألمانية، ونقل كتاب كيللر "عن غزوات العرب في سويسرا" إلى العربية، رغم أن صديقه تقي الدين الهلالي كتب أنه لم يصل إلى مراده في اكتساب اللغة الألمانية[4].

أما عن اللغة الفرنسية فقد تعلمها كذلك منذ الطفولة، وفي شبابه هاجر إلى فرنسا ففهم الأدب الفرنسي فترجم لشاتو بريان، وأناتول فرانس، وكان كثير الهجرة بين فرنسا وسويسرا فأقام هناك ما يقارب ربع قرن، فترجم عن المستشرقين ورد عليهم في كتاباته، فكثرت أسماء أعلامهم في بحوثه حتى نافست الأعلام العربية [5]، يقول عنه سامي الدهان أنه كان يقرأ بعينيه الحروف الأعجمية وينسال على لسانه بيانها بالعربية، لغلبة البيانين

---

[1] شكيب أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ط1، 1937م، ص 144.

[2] شكيب أرسلان، **"استطلاع واستفتاء ودلو جملة من الدلاء"**، مجلة المجمع العلمي العربي، العدد06، 01 جوان 1924م، ص 275.

[3] هو وليام الثاني من أشهر أباطرة ألمانيا، حكم بين سنتي 1888م إلى سنة 1918م، حفيد وليام الأول، كان محبا للمظاهر العسكرية، شديد الاندفاع، سعى لجعل ألمانيا قوة استعمارية، فاصطدم بالقوى المنافسة على غرار فرنسا وبريطانيا، كان السبب في نشوء أزمة المغرب الأولى والثانية ثم اندلاع الحرب العالمية الأولى، وخرج منه منهزما، وقد اشترط الرئيس الأمريكي ويلسون تنحي وليام الثاني عن العرش للبدا بالتفاوض في مؤتمر فارساي.عبد الوهاب الكيالي، **موسوعة السياسة"**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، مطابع تكنوبرس الحديثة، بيروت، لبنان، 1994م، ج7، ص 354.

[4] سامي الدهان، مرجع سابق، ص 202.

[5] سامي الدهان، المرجع نفسه، ص 203.

على لسانه[1]، وكان من بين الأوائل الذين زودوا رشيد رضا وصحيفته المنار بمعلومات قيمة عن الغرب وأفكارهم الاجتماعية والدينية والسياسية[2]، فإقامته في جنيف كانت بمثابة الحبل السري للعالم الإسلامي كما وصفها أصحاب كتاب تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، فكان المحرض للحركات العربية من منفاه وعدم جذبه للانتباه وإلى أنشطته ونشر مقالاته في مختلف الصحف العربية والإسلامية[3].

اختصرنا حياة أمير البيان الثقافية وأطوار تعليمه في هذه الأسطر وذِكر أبرز معلّميه والذين أثّروا فيه من نعومة الأظافر إلى مراحل الكتابة والتأليف، لكن تبقى خصوصية شخصيته وتفرده العامل الأساسي في وصوله إلى ما وصل إليه من مراتب علمية، يقول الأستاذ أمين محمد أبو عز الدين في هذا الشأن في مقال له في مجلة الأديب عن أمير البيان على أنه أكثر ما اكتسبه من العلوم واللغات إنما قرأه على نفسه واكتسبه بجده وذكائه، وزاول النظم منذ أول شبابه[4].

2 2 أثر المفكرين والأدباء في مسار الأمير الأدبي والسياسي:

بالنسبة للمعلمين الأوائل الذين قدّموا لشكيب مبادئ الكتابة والقراءة فلا يلاحظ أثرهم في شخصيته الثقافية والفكرية، والكثير من الدارسين أبرزهم الشرباصي يذكر أن سبب عدم تأثر شكيب بمعلميه الأوائل هو أنه كان على أبواب التكوين الحسي والفكري [5]، كذلك الفترة التي قضاها معهم كانت جد قصيرة والتأثر يكون بطول فترة التلقي، إضافة إلى نوعية العلوم وميول المتلقي، فشكيب بدأ يميل كثيراً للأدب والشعر والتضلع في بحرهما منذ صغره، وقد تجاهل علوماً أخرى لا يحبذها، فلم يذكر مدرسيها في مذكّرته على غرار الحساب.

---

(1) سامي الدهان، مرجع سابق، ص 231.

(2) David Thomas, Tarif Khalidi, Gerrit Jan Reinink, Mark Swanson, **Islamic Reformism and Christianity**, **History of Christian–Muslim Relations**, LEIDEN • BOSTON 2009, p 43.

(3) David Thomas, Tarif Khalidi, Gerrit Jan Reinink, Mark Swanson,op cit, p 43.

(4) محمد أبو العز، **"الأمير شكيب أرسلان"**، مجلة الأديب، العدد 1، تاريخ الإصدار :01 جانفي 1947م، ص 2.

(5) الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 81.

يقول في سيرته في هذا الشأن: "...وتعلمت الحساب في تلك المدرسة (الأمريكية) ولكنّني بعد أن نشأت أهملت هذا العلم كثيراً بقلّة الممارسة حتّى أصبحت لا أعرف منه سوى العمليات البسيطة، وصرت كما قال الإمام السيوطي عن نفسه " إذا استقبلت مسألة حسابية فكأنما استقبلت جبلاً"[1].

كما ذكرنا سابقاً نشأ أمير البيان في ظل اللغويين أصحاب المعاجم، فمن أساتذته **عبد الله البستاني**، صاحب المعجم الكبير :**"البستان"**،[2] فهو الذي فتق لسان الأمير الفتى بالعربية في مدرسة الحكمة، وكان البستاني شديد الإعجاب بطموح شكيب كثير الثناء عليه، وقد سُئِل قبل وفاته بيومين من طرف الشيخ **خليل تقي الدين قائلا:** "أي تلاميذك أحبُّ إليك ؟ فأجابه : أحبّ تلاميذي إليّ الأمير شكيب أرسلان"[3].

كذلك نجد الشيخ محمد عبده الذي نفث في صدر الفتى شكيب روح البحث العلمي والتركيز على تعاليم الإسلام، والعناية بلغة القرآن، والإلمام بمختلف الملل والنحل؛ أما جمال الدين الأفغاني فقد بثّ في قلب الأمير حَمْل همّ قضايا الأمة، والعمل على العناية بشؤون العالم الإسلامي، والبحث في أسباب آلام الأمة والسعي لبعث الأمل من جديد[4].

ومعرفته بالأديب المصلح رشيد رضا الذي كان مُلهماً بشخصه معجباً بشعره وكتاباته، أثرت شخصيته على شكيب لنشاطه الجاد والدؤوب والحامل لهموم الأمتين العربية والإسلامية، فيقول في شخص السيد رشيد رضا :"...هو الأولى بأن يخلف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في مشروعه وفّقه الله وسددّ خطاه..." [5]، فيصفه بالإحاطة والرجاحة، وسعة الفكر والرواية معاً، والجمع بين المعقول والمنقول، فيصفه بالأستاذ الأكبر، ورسوخه العظيم في اللغة ولا يدانيه مُدان.

أضف إلى ذلك الشاعر أحمد شوقي الذي أثّر شعره في الأمير، حيث أنّه كان يبحث عن قصائده لقراءتها وحفظها قبل أن يلتقي به فيذكر في كتابه شوقي أو صداقة أربعين سنة: "...وصرت كلّما عثرت على شعر لأحمد شوقي أتهافت عليه تهافت الظمآن على نمير الماء لأني رأيت فيه الشاعرية بجميع شروطها، النسج الرقيق

---

(1) أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص 39، 40.

(2) سامي الدهان، مرجع سابق، ص 194.

(3) أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية، ص59.

(4) الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 82.

(5) أرسلان، السيد رشيد رضا أو إخاء أرعين سنةً، ص15.

المتين والأسلوب الرشيق الرصين، والعربية الفصحى..." [1]، وقد كتب صاحب المنار الأستاذ رشيد رضا أنّ شكيب أرسلان هو أوّل من لقب شوقي بأمير الشّعراء[2].

وهناك شخصيات أثّرت في شكيب رغم عدم معايشته لهم أمثال ابن المقفع وابن خلدون وأبو إسحاق الصابي والمقرّي صاحب "نفح الطيب"، فتأثّر بما خلّفوا من كتب نفيسة ومعاجم فسيحة شملت مجالات عديدة كُتبت بلغة فريدة[3]، ومن أساتذته كذلك سعيد الخوري الشرتوني، مؤلف معجم :"**أقرب الموارد**"، **إضافةً** إلى :"**أحمد فارس الشدياق**"، صاحب المؤلفات الضخمة والآثار العظيمة في اللغة، تبعه شكيب رغم عدم لقائه به مطلقا، فكان أستاذه الروحي وعدته وقبلته في اللغة[4].

بعد تكوينه المكثف ومصاحبته لكبار اللغويين والشعراء، اتجه شكيب أرسلان إلى الكتابة الصحفية، فشارك بمقالاته في الصحف البيروتية وكذا المصرية، فكتب في كبريات جرائدها على رأسها "الأهرام"، فأمطرها بوابل من مقالاتٍ يملؤها نِتاج عقله النيّر الخصب، وقلمه السيّال، فبلغ الذروة في كتاباته الصحفية في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

تميّز أمير البيان شكيب أرسلان عن أقرانه من دعاة الإصلاح الإسلامي، فلم يكن مفكراً نظرياً، ولا مناضلا سياسياً ضمن يومياته الآنية، بل جمع الاتجاهين معًا أي بين الفكر والعمل، بين النظرية والممارسة، فكان يتحرك من خلال الواقع المعاش، فاكتسب من خلال واقعه قدرة كبيرة على الدفاع عن آرائه وما يطرحه من أفكار فاتصف بالمرونة في التعاطي مع قضايا عصره [5]، ورغم أن كون أرسلان درزيا، فهذا لم يؤثر على مساره أو أفكاره، فهمُّه كان أوسع بكثير من مشاكل طائفته في لبنان.

أما فيما يخص نضاله فقد ارتبط اسم الأمير شكيب أرسلان بفكر وإيديولوجية الجامعة الإسلامية أي مع جيل كامل من الإصلاحيين أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، أمثال جمال الدين الأفغاني، رشيد

---

[1] أرسلان، شوقي أو صداقة أربعين سنةً، ص 9.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص 347.

[3] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 82.

[4] سامي الدهان، مرجع سابق، ص 194.

[5] ناصر الحكيم، جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان(دراسة تاريخية فكرية نقدية)، الدار التقدمية، لبنان، ط1، 2010م، ص22.

رضا ومحمد عبده وآخرون [1]، فبعد لقاء شكيب بمحمد عبده بلبنان استهوته أحاديثه عن شيخه جمال الدين، فشرع يقرأ له فتعلّق بموضوعاته واشتاق للقائه، ليتوجه إلى كتابة مقالاته عن الإصلاح والاجتماع، ونظم قصائد عن ما أخذه عنهم في وجوب الترقّي والتعلم والتثقف، وفي أمجاد الخلافة الإسلامية، ومناهضة العالم الغربي، والحفاظ على المفاخر والمآثر[2].

وبدوره الأفغاني كان كثير الإعجاب بأرسلان حين تعرّف عليه، حيث ذكر أمير البيان في كتابه عروة الإتحاد بين أهل الجهاد، عن مدح الأفغاني له حين لاقاه في الأستانة وهو في سن الثانية والعشرين، حيث قال :"إنّي أهنّئ أرض الإسلام التي أنبتتك"، فيعلق شكيب على هذا القول أن الأفغاني لم يُرد منها الحقيقة، بل أراد منها التكريم والتلطّف[3]، وهذا تواضعا منه.

ثم تطوّر فكر شكيب أرسلان، من أرسلان الإسلامي العثماني إلى أرسلان الإسلامي العربي، وهذا التحول لم يكن لأرسلان خيارٌ فيه بل كان مضطرًا لفعله، أي بعد الانقلاب الذي حدث في الدولة العثمانية سنة **1908**م وبعد مجيء الجناح القومي التركي ووصوله إلى سدة الحكم، والذي عمل على اجتثاث كل ما هو غير تركي، من مركز السلطة، ومجاوزة مظاهر الخلافة الإسلامية إلى الجمهورية وتحوّل اسمها إلى تركيا [4]، ونقل العاصمة إلى أنقرة، وهذا ما سنوضحه في العناصر القادمة.

2 3 أقوال مشاهير الشخصيات العربية والإسلامية في شخص الأمير:

إذا أردنا جمع ما كتبته الأقلام الأدبية والسياسية والإصلاحية في شخص الأمير شكيب فلن تفي هذه الدراسة حقه ولا عشرات الدراسات ما قدّمه الأمير للأمة الإسلامية من جهود وما اتصف به، وتميّز عن غيره خلال مسار حياته الحافل بالنّشاط الأدبي والسياسي، والعيش في المنفى مدة غير وجيزة من حياته، ويبقى كتاب ذكرى الأمير شكيب أرسلان (المراثي، وحفلات التأبين، وأقوال الجرائد) لصاحبه محمد علي الطاهر أفضل مُؤَلف في هذا الشأن، حيث جمَع المؤلف ما تيسّر له من أقوال أشهر الشخصيات العربية والإسلامية في شخص الأمير بعد وفاته.

---

[1] ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص 15.

[2] سامي الدهان، مرجع سابق، ص 314.

[3] أرسلان، عروة الإتحاد بين أهل الجهاد، ص 157.

[4] ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص ص13، 14.

فيقول في مقدمته عن الأمير "...كانت وفاة المرحوم أمير البيان...مباغتة لأهل الدنيا غير منتظرة، وكان حدوثها في وقت كان يترقّب فيه العالم الشرقي أنباء استئناف نشاطه العلمي في وطنه، بعد ذلك الجهاد العجيب الذي كان منه في أوروبا أكثر من ربع قرن في ميدان السياسة وحلبة العلم والأدب، فبزّ(تفوق) في هاذين الميدانين كل من تقدّمه، وسيبهرُ كل من يأتي بعده، فكان أعجوبة الدنيا العربية، وفخرها، وعنوان بهائها ومجدها..."[1].

ثمّ يضيف محمد علي الطاهر كلمات رائعة جسّدت حقيقة شخصية الأمير في قوله : "...لأن الأمير الذي اشتغل خمساً وستين سنة من حياته وهو يكتب ويخطب وينظّم، ستشتغل الدنيا عليه خمسمائة سنة، بل أكثر، وستصدر كتب كثيرة عنه تتناوله بالتحليل والشرح، شأن أهل الخلود الذين عاشوا للناس وعملوا من أجلهم فاهتم بهم الناس وعملوا على تخليدهم..." [2]، فالشرق والغرب، الصديق والغريم يشتغل على حياة الأمير وتكوينه ونشاطه وجهوده وما خلّفه من بعده من رصيد هائل تنوّع بين مقالاتٍ وخُطبٍ وكُتبٍ مطبوعة وبعضها مخطوطة، ناهيك عن الرسائل التي كانت تصل إلى كل أصقاع العالم مشرقه ومغربه لم تصل إليها أقلام الدارسين الساعة.

فيقول في هذا السياق الأديب والشاعر خليل مطران:" لو تفرغت طائفة من حملة الأقلام جمّ عديدها فيّاضة قرائحها، فيما يشاء الله من مسائل السياسة والاجتماع والأدب، ومباحث التاريخ والأخلاق، لكتابة ما كتب من تلك الفصول والمقالات ،لتعذّر عليها أن تأتي مجتمعة بما أتى به ذلك المعلم المفرد، وإذا كان قد رضي لنفسه في الشعر أن يكون المُقل المجيد، فلا مشاحة في أنه انفرد بين المترسلين بأنه المكثر المجيد..."[3].

ويقول أحمد زكي باشا :"....أميري الذي أقام أهل الأدب والبيان عرشاً لا تُدانيه عروش ذوي التاج والصولجان، وما ذلك إلاّ لأنه أصبح نصير العربية وخادم الإسلام..."، ويذكر الشيخ عبد الله البشقاني أن أحسن تلاميذه وأقربهم إليه هو الأمير شكيب أرسلان[4].

---

[1] محمد علي الطاهر، **ذكرى الأمير شكيب أرسلان (المراثي، وحفلات التأبين، وأقوال الجرائد)**، صنّفها ووقف على طبعها محمد علي الطاهر، القاهرة، 1947م، ص 5.

[2] قاسم الرويس، **"لمحات من علاقة شكيب أرسلان بالسعودية"**، مجلة المجلة الإلكترونية، تاريخ نشر المقال : 2014/06/17م، ص 1. محمد علي الطاهر، مصدر سابق، ص 6. رابط المقال: https://arb.majalla.com/2014/06/article55251473

[3] شكيب أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 26.

[4] المصدر نفسه.

يقول أنور باشا القائد العسكري الفذ في جيش الخلافة العثمانية عن شكيب أرسلان بعد إرساله إلى ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى وبالضبط سنة **1917** للتقصي حول حقائق أحوال قوة ألمانيا الاقتصادية والعسكرية، فقال :" ...كم أنفذنا إلى ألمانيا رجالاً من نخبة رجالنا ليقفوا لنا على حقائق الأحوال وأقاموا أشهراً، فلم يقم أحدٌ منهم، ولا جميعهم، بما قام به شكيب في **15** يوماً..."[1].

حينما زار الشيخ محمد عبده مدرسة الحكمة ببيروت قدّموا إليه التلميذ شكيب وقال له الشيخ :"...إني أعرف اسمك، وستكون من أعظم الشعراء..." [2]، فكان لهاته الكلمات وقع كبير على نفسية شكيب التلميذ.

وأفضل كلامٍ ما قيل عن الأمير في حياته هو ما قاله عن نفسه في مذكراته إذ يذكر أنّ هناك من كتب عنه ويريد من ذلك إلا لتشويه السمعة والتشفي، وهم على علم بكذبهم وافترائهم، وقد رمي بعديد الأعمال، ونسبت له الكثير من القصائد الشعرية التي نشرت في الجرائد وبعضها حتى أنه لم يطلع عليها يوما، فكما يحدث هذا الافتراء في السوء حدث كذلك في الجميل كما قال الأمير، حيث نُسبت له مآثر لم يعملها أصلا، فيقوم بالتقويم والتصحيح كلما سمع بما نُسب له من مآثر، فيقول:"...كما أحب أن أدفع عن نفسي افتراء الأعداء، فأحب أن أدفع أيضا أماديح الأصدقاء إذا كانت غير مبنية على أساس..."، لذا قام بكتابة ترجمته بنفسه وحررها بقلمه[3].

وكلماته عن جهاده لا مثيل لها، فهي تعبر عن ثقته وإيمانه بفكرة تحرير العقل العربي ومناهضة الأعداء عن أوطانه فيقول كذلك :"...لو لم يبقى في الدنيا كلّها إلاّ رجل واحد يقوم بواجب الدفاع عن الدين والوطن ويصدع بالحق، لكنت أنا ذلك الرجل..."[4].

تحدّث أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان عن شكيب وخصص له مقالا وذكر زيارته إلى المدرسة التي كان يتلقى فيها عارف دروسه، فأثنى عليه وقال في شخصه :" ...علم من أعلام الأمة العربية، وعبقري من عباقرتها الأفذاذ، ونابغ من نوابغها المجلين، وعالم من علمائها المصلحين، وأديب من أدبائها أصحاب الأدب الرفيع، وشاعر من شعرائها المجيدين، وأمير نال الإمارة عن تراث لا عن كلالة، فكان أحق بهذا اللقب من كل

---

[1] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص188.

[2] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 78.

[3] شكيب أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص37.

[4] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص 16.

أمير ووزير، وكاتب كان المثل الأعلى فيما رقم وكتب، ومؤلف ضرب الرقم القياسي في التأليف والتصنيف حتى طبع له أربعون ألف صفحة، هذا عدا المخطوط والذي يعادل المطبوع. ووطني من الطراز المعلم...في الرعيل الأول، شرّق وغرّب، وأفصح وأعرب..."[1].

يقول تقي الدين الهلالي أستاذ بجامعة برلين :"...فهو بحرٌ زخّارٌ لا ساحل له، وإن أمكن إحصاؤه فهو يحتاج إلى مجلدات، على أن حفظة اليمين السفرة الكرام قد أحصوه و لم يغادروا منه شاذّة ولا فاذّة، وسيجده أمامه عند الله، ويجزيه عليه خير الجزاء، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، ولا ألقاب ولا حظوة عند المستعمرين، إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم..."[2].

أمّا الشيخ الأمين الحسيْني فبعد لقائه بالأمير شكيب في الإسكندرية عائداً إلى لبنان بعد غياب طويل في أوروبا، فقد قال فيه :"...وكان الأمير من أفذاذ الأمّة العربية وأعلامها، فما كرثت العرب كارثةً ولا نابت المسلمين نائبةً إلاّ جلجل صوته في الدفاع، وانبرى بقلمه يقرع الأسماع، مرشداً ومنبّهاً وناصحاً، ومحذّراً ومُتصدّياً للحملات الظالمة التي كانت تشنّها الأقلام الحاقدة في الغرب والشرق..."[3].

ويقول الدكتور جدعان فهمي : "...كان شكيب أرسلان رجل المسائل السياسية، بالدرجة الأولى: المسألة الشرقية، والمسألة الإسلامية، والمسألة العربية، وكان بلا شك واحداً من أولئك المثقّفين الذين حاولوا أن يُطبّقوا مبادئهم النظرية عملياً، بالكتابة، وبالعطاء، والجهاد أيضاً، ولقد تردّد ما بين الفكر السياسي والفكر الديني، والفكر الأخلاقي..." [4]، حيث لخّص لنا الدّكتور جدعان جهود أمير البيان في الشرق والغرب في مجالات السياسة والدين والتربية، عبر الكتابة والبذل والعطاء وحتّى الجهاد، فتميّز عن غيره بتعدّد ميادين مساعيه لصالح الأمّة العربية والإسلامية.

---

[1] أحمد عارف الزين، "**الأمير شكيب أرسلان 1870-1846**"، مجلة العرفان، ج2، المجلد 33، عدد صفر 1366ه، ديسمبر 1946، ص125. أحمد الشرباصي، **شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام**، ص77.

[2] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص 12.

[3] محمد أمين الحسيني، **مذكرات الحاج محمّد أمين الحسيني**، إعداد وتصنيف عبد الكريم عمر، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1999م، ص 267.

[4] فهمي جدعان ، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط 3، 1988م، ، ص ص455، 456.

أمّا عن بعض الأقلام الغربية، فقد كتب عن شخص الأمير عدد كبير من السياسيين والمؤرخين والإعلاميّين الغربيّين، حيث قال فيه المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان :"...إن المحن عوض أن تُفشل المطامح العربية زادتها متانةً ورُسوخاً بما وجدته في الجماهير الشعبيّة من التأييد حتّى أصبح شكيب أرسلان باعث النهضة العربية، يرى في تلك المحن خيراً عائداً على العالم العربي..." [1]، فرغم ما كتبه جوليان عن الأمير نقلاً عن وجهة نظر السلطة الفرنسية فإنّه يعترف بمكانة الأمير لدى الأمّة العربية وأنّه باعث نهضتها في زمنه.

ويقول المستشرق الفرنسي "ليفي بروفنصال [2] Evareiste Lévy-provençal" عن شكيب أرسلان :"...قلّ من ملأ حياته الفكريّة والسياسيّة من السّاسة والكتّاب كالذي فعله هذا الرجل الفذّ...ونودّ أن نشيد إشادة لا تحيز فيها بالنشاط الدؤوب الذي بذله هذا الأرستقراطي الدرزي خدمةً للغة العربية، هذا الرجل الذي لم يخشى أن يعيش الجزء الأكبر من حياته غريباً عن وطنه، وأن لا يعود نهائياً إلى بلده إلاّ لكي يلتحق بجوار ربّه عقب بضعة أسابيع من عودته..."[3].

وفي مدونة أمير البيان شكيب أرسلان كُتب أنه في التاسع من ديسمبر **1946**م نفد سهم القضاء في الساعة الرابعة إلاّ دقائق خمس، حيث تُوفي الأمير شكيب أرسلان في بيروت، قال الأمير عادل أرسلان في مذكراته :"سارت الجنازة من منزلي إلى المسجد العمري الكبير ومنه إلى ساحة المتحف الوطني بموكب لم تر بيروت مثله إلا في جنازة ابن عمّي الشهيد الأمير محمد أرسلان، بعد الظهر بقليل سرنا به إلى الشويفات في رتل من السيارات طوله ثلاثة كيلومترات، حيث وُري الثرى"[4].

---

[1] شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية**، ترجمة (المنجي سليم، الطيب المهيري، الصادق المقدم، فتحي زهير، الحبيب الشياحي)، مراجعة فريد السوداني، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م، ص29.

[2] ليفي بروفنصال Evareiste Lévy-provençal": مستشرق فرنسي يهودي الأصل اشتهر بأعماله حول الإسلام والمسلمين في إسبانيا، ولد بالجزائر سنة 1894م، التحق بثانوية قسنطينة ثم بجامعة الجزائر، شارك في الحرب العالمية الأولى في معركة الدردنيل وجرح هناك، في 1920 عين أستاذاً في معهد الدراسات العليا بالرباط، أقام بمصر ثم عاد إلى الجزائر ليلتحق بمنصب أستاذ جامعي للتاريخ الإسلامي في كلية الآداب بالجزائر، له عدة كتابات منها "تاريخ إسبانيا الإسلامية" وعدد كبير من المؤلفات. ليفي بروفنصال، "**الأمير شكيب أرسلان (1869-1846م)**"، حوليات جامعة الجزائر، تر علي تابليت، معهد الترجمة، جامعة الجزائر، 1997م، ص ص3، 4.

[3] ليفي بروفنصال، المصدر نفسه، ص5.

[4] شكيب أرسلان، **مدوّنة أحداث العالم العربي ووقائعه (1800م-1950م) بحسب التسلسل الزمني**، إشراف وتحرير : يوسف أيبش، توما توفيق عريضة، يوسف قزما خوري، الدار التقدمية، الشوف ، لبنان، ط2، 2011م، ص381.

3) نشاط شكيب أرسلان خلال الفترة العثمانية وجهوده لتحقيق الوحدة العربية:

عمل شكيب أرسلان جاهدا للحفاظ على الوحدة الإسلامية تحت مظلة الدولة العثمانية، إلاّ أنّ ميوله لخدمة الأمة العربية كان من أولى أولوياته، لذا عندما كتب أرسلان عن الحرب العالمية الثانية وبالأخص عن الألمان، أكد أن معظم الألمان لا يحيطون علما بأحوال العرب، وربما أدمجوهم مع الترك، نظرا لاشتراك الترك مع العرب في الدّين، إلا أن الترك هم غير العرب، والعرب هم غير الترك، ولكل منهما أصل وتاريخ[1].

كان ولاء شكيب أرسلان للدولة العثمانية عظيماً من خلال الخدمات التي قدّمها للسلطة العثمانية والجهود التي بذلها في سبيل المحافظة على ممتلكات آل عثمان، ومناهضة الأطماع الاستعمارية الأوروبية.

يمكن تقسيم نشاط أرسلان السياسي إلى مرحلتين أساسيتين، المرحلة الأولى بدأت مع أواخر القرن التاسع عشر، وانتهت بإلغاء الخلافة الإسلامية بمقتضى معاهدة لوزان سنة **1923**م والمرحلة الثانية بدأت بانتهاء المرحلة الأولى وبداية ملامح القومية التركية تتجسد على أرض الواقع من طرف كمال أتاتورك، حيث بدأ أرسلان في تغيير وجهة أهدافه نحو الوحدة العربية، وهذا ما سنوضحه في العنصر الموالي مع تركيزنا على موقفه تجاه الثورة العربية الكبرى وشرح أسبابه الخاصة التي جاءت من منطلق استشرافه لقضايا العرب المستقبلية وعدم ثقته بالدول الاستعمارية.

3 1 خدمات أرسلان السياسية للسلطة العثمانية:

يقول أمير البيان في هذا الشأن :"... إنّ الخلافة لم تستقم شروطها الصحيحة إلا في الخلفاء الراشدين، وبعد ذلك فالخلافة لم تكن إلاّ ملكاً عضوضاً، قد يوجد فيه المستبدّ العادل والمستبدّ الغاشم، وما انقادت الأمة إلى هذا الملك العضوض المخالف لشروط الخلافة، سواء كان من العرب أو من الترك، إلا خشية الفتنة في الداخل والاعتداء على الحوزة من الخارج..." [2]، من خلال هذه الكلمات نجد أن الأمير كان على قناعة راسخة بأن الخلافة لم تُبنى على قاعدة صلبة، لكن ولاءه لها كان من منطلق تجنب الفتنة، كما أنه لا خير في

---

[1] نجيب البعيني، **من آثار أمير البيان شكيب أرسلان في الشعر والنثر**، الدار الجاسمية، د م ط، 1996م، ص202.

[2] لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، (**فصول وتعليقات وحواشٍ بقلم أمير البيان شكيب أرسلان**)، تر عجاج نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، المجلد1، الجزء1، ص290.

الانقسام والتشرذم، لذا حاول الأمير وبذل ما بوسعه لاستمرارية الدولة، وقدّم خدماته الجليلة في سبيل وحدة الأمّة تحت ظلّ الخلافة الإسلامية بقيادة العائلة العثمانية.

ففي المرحلة العثمانية، بدأ أرسلان كإداري بالشويفات بعد وفاة والده سنة **1888**م، وهو في سن التاسعة عشر، وقد استعان بمحمد عبده في الشؤون الإدارية في السنة التي التقى به فيها، ثم عُيِّن قائممقام سنة **1902**م، وعُزل بعدها من طرف مظفر باشا لأسباب شخصية، لكن أُعيد تعيينه من قبل يوسف فرانكو باشا المتصرف السابع في لبنان سنة **1908**م[1]، لكن لم يلبث طويلا حتى تطوع في الحرب الليبية سنة **1911**م، ضد الاستعمار الإيطالي، ثم توجه كذلك نحو منطقة البلقان سنة **1912**م، للمساهمة إلى جانب العثمانيين في حروبهم.

وقد أسس إلى جانب مجموعة من السياسيين العرب الجمعية الخيرية الإسلامية، من مبادئها: تحقيق التآخي بين أبناء الدولة العثمانية بغض النظر عن أصولهم العرقية أو توجهاتهم الحزبية، ومن أهدافها: الحفاظ على الدولة العثمانية ومنع انهيارها؛ وقد عقد المؤتمر التأسيسي للجمعية في **1913**م، واختير يوسف شتوان رئيسا لها، وهو أحد النواب الليبيين، وعضو مجلس المبعوثان [2]، لكن الجمعية لم تحقق أهدافها بسبب الحرب البلقانية ثم الحرب العالمية الأولى[3].

وقد عارض شكيب أرسلان المؤتمر العربي الأول الذي عقد بباريس سنة **1913**م والداعي إلى القومية العربية، حفاظًا على وحدة الدولة العثمانية وتماسكها [4]، ثم اختير من طرف السلطة العثمانية إلى جانب عبد

---

[1] محمد سالم أحمد عمايرة، **شكيب أرسلان 1869م–1946م، دراسة في فكره السياسي**، إشراف الأستاذ الدكتور علي محافظة، قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، جويلية 2000م، ص 16.

[2] **مجلس المبعوثان** : هو مجلس النواب أو البرلمان العثماني أسس لأول مرة في التاريخ العثماني من قبل عبد الحميد الثاني، وأجريت انتخابات عامة واختير 71 نائباً مسلماً، و 44 نائباً مسيحيًا، و 4 نواب يهود، وعقدت أول جلسة له في 19 مارس 1877م، في حفل بهيج في قاعة الحفلات بقصر طولمة باغتشه، ثم بدأ المجلس عمله بمناقشة مختلف القضايا، حرية الصحافة، سير الانتخابات. الموقع الإلكتروني الموسوعة الفلسطينية، الرابط : https://www.palestinapedia.net/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%B9%D9%88%D8%AB%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3/، تاريخ الزيارة: 2023/01/31م، 16:15.

[3] محمد سالم أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص17.

[4] عُقد هذا المؤتمر بباريس بتاريخ 17 جوان 1913م، لكن الجدير بالذكر أن أمير البيان كان معارضاً له لكن في مدونته ذكر أن من حر في هذا المؤتمر هم الإصلاح يون من مختلف الجمعيات العربية والعرب المهاجرين في الأمريكيتين، والهدف منه مطالبة السلطة العثمانية بإصلاحات جذرية في الولايات العربية، ومن مطالبه : التمتع بالحقوق السياسية مع الاشتراك في الإدارة المركزية اشتراكاً فعلياً، وإنشاء في كل ولاية عربية إدارة لا مركزية للنظر في شؤون ولاياتها. أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص73.

القادر المغربي[1]، قصد تكليفهما بتأسيس معهد دار الفنون بالمدينة المنورة، وقد قبل هذا العرض، حيث اتجه إلى مختلف المكتبات هناك للوقوف على ما تحتويه من مؤلفات للاستعانة بها في المعهد[2].

لكن بنشوب الحرب العالمية الأولى توقف العمل بها، ثم أسست وزارة الأوقاف العثمانية كلية بدمشق تحت اسم "الكلية الصلاحية" سنة **1915**م بهدف تخريج الدعاة والعلماء، يجمعون بين العلوم الدينية والعصرية، وشارك شكيب أرسلان في تسيير شؤونها إضافة إلى عبد القادر المغربي، والشيخ عبد العزيز جاويش[3].

وفي أواخر سنة **1913**م شارك أرسلان في انتخابات عضوية مجلس المبعوثان، فانتخب نائباً عن منطقة حوران كعضو في المجلس، فزاد من نشاطه في الفترة الممتدة ما بين سنتي **1913**م إلى **1918**م، حيث عمل فترة عضويته على الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية وتقويتها من جهة، والتركيز كذلك على بناء المدارس في المناطق العربية من جهة أخرى، على غرار مدرسة الحقوق بدمشق، بقناعة أن الجهل وعدم تجديد مناهج التعليم، ورفض دراسة العلوم الطبيعية، هي سبب تخلف المسلمين[4].

وفي سنة **1916**م، أمرت السلطات العثمانية جمال باشا بإصدار جريدة "الشرق"، الغرض منها الدعاية للدولة العثمانية في الأقطار العربية، جمعت أفضل الأقلام العربية في تلك الفترة نذكر منهم :

صاحب امتيازها : خليل أفندي الأيوبي الأنصاري.

المدير المسؤول: محمد تاج الدين أفندي الحسني.

رئيس الهيئة التحريرية: أمير البيان شكيب أرسلان.

مدير الهيئة التحريرية : الشيخ عبد القادر المغربي.

مدير الإدارة : علي حكمت ناهيد بك.

---

[1] **عبد القادر المغربي** (1867م-1956م): تونسي الأصل، نشأ في مدينة طرابلس اللبنانية، وتعلم فيها، والتقى بجمال الدين الأفغاني في الأستانة عام 1892م، ثم بمحمد عبده في مصر سنة 1905م، وعمل صحفيا في جريدة "**الظاهر**" و"**المؤيد**"، ثم أصدر جريدة "**البرهان**" عام 1911م، ثم تفرغ للتأليف، من كتبه"جمال الدين الأفغاني، ذكريات وأحاديث". الموقع الإلكتروني: مؤسسة الهنداوي، الرابط : https://www.hindawi.org/contributors/79246958/، تاريخ الزيارة: 2023/01/31، 16:25.

[2] محمد سالم أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص 18.

[3] محمد أسعد طلس، **محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م، ص 28.

[4] محمد سالم أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص 18.

وسخّروا لها الكثير من المحرّرين والمترجمين المختصين، وأفرج عن أول عدد منها في السابع والعشرين من أفريل سنة **1916**م، وافتتحت بمقال مُطول بقلم أمير البيان شكيب أرسلان، يشرح من خلاله أهداف الجريدة، ولإزالة سوء الفهم الذي حاول أعداء الخلافة دسه بين مختلف طوائف الدولة العثمانية[1].

وفي الجانب السياسي، عمل شكيب أرسلان من خلال عضويته كنائب في مجلس المبعوثان، فدعا إلى تأسيس شبكة واسعة من خطوط السكك الحديدية، بهدف ربط الولايات العثمانية بالعاصمة، ودعا كذلك إلى إجراء إصلاحات في الجهاز الإداري، وحث السلطة على تحسين المستوى الصحي، وكذا إصلاح النظام الضريبي الذي أتعب كاهل المواطنين [2]، وقد استمر بنقل كل انشغالات المواطنين إلى مجلس المبعوثان إلى غاية سنة **1918**م.

كان لأمير البيان مساعٍ حميدة عبر الهلال الأحمر وتقديم يد العون للمسلمين الفارّين من ولايات البلقان في الحرب التي جرت سنة **1911** و**1912** ضد الدولة العثمانية، وكانت له آراء حكيمة وأفكار سديدة حول مجريات الحرب، فقد اقترح على ناظم باشا ناظر الحربية أن تستعين الدول العثمانية بالقبائل العربية والكردية في حربها في البلقان لكي لا يستطيع البلقانيون تأمين البلدان التي سيطروا عليها سلفاً، وقد أعاد شكيب تكرار هذه الفكرة على أحمد عزّت باشا الأرناؤوطي الذي كان والياً باليمن، فأعجب الفكرة، وقد طبقتها السلطة العثمانية؛ يروي الأمير مشاهدته لقبائل العراق العربية بزيّهم العربي، مخيّمين على تخوم مدينة أدرنة التي كانت محاصرة من قبل، حيث زارهم وشرب معهم القهوة، وعلم فيما بعد أن هؤلاء كان لهم بلاء شديد في استرجاع أدرنة وما حولها[3].

أما على الصعيد الخارجي، فقد أدى دوراً كبيرا بين سنتي **1917**م و**1918**م إذ كلّفه وزير الحربية أنور باشا بمهمتين إلى برلين، الأولى كانت سنة **1917**م، بهدف معاينة مدى قدرة ألمانيا على الاستمرار في الحرب، واستطلاع أحوالها اقتصاديا وسياسيا وعسكريا، وإمكانية تقديم الدعم الاقتصادي لتركيا ؛ أما المهمة الثانية والتي كانت في **1918**م، حيث تحدث شكيب أرسلان مع وزير الخارجية الألماني حول قضية استقلال

---

[1] محمد أسعد طلس، مرجع سابق، ص ص 45، 46.

[2] محمد سالم أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص 18.

[3] أرسلان، تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون، ص ص 387، 388.

المسلمين في القفقاس [1]، لكن اعتذر الألمان عن ذلك خوفا من إثارة الروس ضدهم [2]، لكن في مقال له، تحدث أرسلان حول أهداف مهمته الأخيرة سنة **1918**م والتي كانت تتعلق بإزالة بعض الخلافات بين الدولة العثمانية وألمانيا[3]، لكن قبل عودته انهارت الدولة العثمانية واستسلمت، فسافر إلى جنيف، ثم عاد إلى برلين سنة **1920**م، حيث أسّس النادي الشرقي بهدف مقاومة الاستعمار، وانتخب رئيسا له.

وفي شهر جوان سنة **1921**م، سافر إلى روسيا بدعوة من قادة البلاشفة للاحتفال بالذكرى السنوية للثورة البلشفية، ووقف هناك على أحوال المسلمين السوفييت في ظل النظام الاشتراكي، وفي شهر جويلية **1921**م عاد إلى جنيف[4].

واستمر ولاء شكيب أرسلان للدولة العثمانية إلى أن انهارت تماما، ثم بدأ بتحويل جهوده لخدمة قضايا العرب، بعد أن فُقدت المنطقة تلوَ الأخرى، آخرها الشام والعراق وبعض مناطق الحجاز بعد الخدمات التي قدمها حسين شريف مكة للإنجليز، بعدما وعدوه بإقامة الدولة العربية الكبرى خلفًا للدولة العثمانية، لكنهم نكثوا عهدهم رغم ما قدم العرب من تضحيات ساهمت بشكل فعلي في إضعاف الدولة العثمانية من خلال الثورة العربية الكبرى منذ سنة **1916**م بقيادة الشريف حسين، والتي عارضها شكيب أرسلان متحجّجاً بعدة حجج، منها: سياسة التتريك التي مسّت المناطق العربية، وكان لأمير البيان موقف ثابت منها كما سنفصله في العنصر الموالي.

3 2 أمير البيان وجمعية الاتحاد والترقي وسياسة التتريك:

كتب الأمير عن الطّورانية في مواضع عدّة من مقالاته ومؤلفاته، ووضّح كيف أنّ عديد الأدباء والمؤرّخين الأتراك تأثّروا بهذه الأيديولوجية لكن فرّق بين القوميين العثمانيين الإسلاميين والقوميين التركيّين الطّورانيين، حيث وصف الطائفة الأولى بـــ"الفئة الكبرى" من علماء الترك وأدبائهم الذين باختلاطهم بمختلف

---

[1] **القفقاس**: هي المنطقة الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين، أي الشمال الشرقي لتركيا، تضم دول جورجيا، أرمينيا، أذربيجان، إضافة إلى داغستان والشيشان اللتان لازالت روسيا تسيطر عليهما إلى حد الآن، وهما الإقليمين نفسيهما في أغلب الظن اللذان تحدث عنهما شكيب أرسلان في مهمته الثانية إلى برلين سنة 1918م. الموقع الإلكتروني: المعرفة، الرابط:
.https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%82%D8%A7%D8%B2
تاريخ الزيارة: 2023/01/31م، 16:33.

[2] محمد أحمد سالم عمايرة، مرجع سابق، ص 21.

[3] شكيب أرسلان، "**الرحالة جورج شو ينفورت**"، مجلة المقتطف، العدد 01، تاريخ الإصدار 01 جانفي 1926، ص ص 40-44.

[4] محمد أحمد سالم عمايرة، مرجع سابق، ص 21.

الأعراق الإسلامية الأخرى–من فرس وعرب وشركس وأرمن وبلغار وغيرهم من الشعوب– التي خضعت للدولة العثمانية، فذابوا في مقومات الأمة الواحدة التي يجمعها تاريخ واحد ودين واحد، وامتزجت دماؤهم بدماء العرقيات الأخرى[1].

إلاّ أنّ القوميّين الأتراك الطّورانيين، فيعتقدون أن الترك هم أقدم الأمم وأعرقها مجداً، وأسبقها إلى الحضارة، وأنهم هم والجنس المغولي واحد في الأصل، ويجب أن يتحدوا تحت مسمى الجامعة الطورانية، فيقولون أنهم ترك أولا ثم مسلمون ثانيًا، فقال الغلاة منهم أن كعبتنا هي طوران، فصاروا يتغنّون بمدائح جنكيزخان، وسعى منظروا هذا التيّار إلى تصفية اللّغة التركية من الكلمات العربية والفارسية، فكان السجال قائما بين الاتجاهين، فاستعملت في الأستانة كلمتي "تركجي" و"إسلامجي" للدّلالة على الحزبين والتفريق بين الطائفتين[2]، وسعت جمعية الإتحاد والترقي إلى تغيير نهج الدولة العثمانية، واستطاعت الوصول إلى الحكم واستأثرت به، ثم انتهجت سياستها التي رسمتها سلفاً.

لكن الأمير في تعليقاته على كتاب تاريخ ابن خلدون يصرّح بأن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي كانت نواياهم حسنة على حد قوله :" ...ولكن جمعية الاتحاد والترقي مع حسن نيّة رجالها كان ينقصها كثير من الخبرة وكان أكثر زعمائها شبّاناً لم يتمرّسوا بالأمور، و لم تنجّزهم الأحداث....وقد جاء فوزهم غير منتظر...واستخفّوا بمن سِواهم، وظنّوا أنّهم قادرون على كل شيء،والحال أنّهم كانوا يواجهون صعاباً، لا قبل لهم بها....وهي الطامّة الكبرى دسائس الدول الأوروبية..." [3]، فهنا يرجع الأمير أسباب مطالبة مختلف شعوب السلطة العثمانية بالحريّة خلال فترة حكم جمعية الاتحاد هو قلّة خبرة أعضائها مع صغر سنّهم على ممارسة السياسة وضعف مواجهتهم للسياسة الاستعمارية الأوروبية المشبّعة بالدسائس التي لا تنتهي، وقد صدّق الكثير من شباب الجمعية أن ثورات مختلف الأمم التابعة للدولة –خاصة المسيحية في أوروبا– هي بسبب سوء إدارة السلطان عبد الحميد للدولة، لكن الواقع أثبت عكس ذلك فأهدافهم أبعد من أن يطالبوا بالمساواة أو حسن إدارة ولايات الدولة، بل الاستقلال التام وضم كل الأقاليم التي تحوي السكان النصارى ولو كانوا قلة مقارنة بالأتراك المسلمين كما حدث في بلغاريا واليونان وأرمينيا وغيرها من الأمم.

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج1، ص ص157 – 160.

[2] أرسلان، المصدر نفسه.

[3] أرسلان، تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون، ملحق الجزء الأول، ص 340.

ويضيف أمير البيان: "...ثم إنّ الاتحاديين ساهموا بسوء تصرفّهم واستخفافهم بأعدائهم هذه الأمم غير التركية في السلطنة على أنفسهم، ودخل في الجمعية الاتحادية عناصر كثيرة مفسدة كرّهت الرعية بها ..." [1]، سوء سياسة الشبّان الاتحاديين وقلّة ممارستهم ساهم كثيراً في امتعاض الأتراك والعرب والشّركس وغيرهم من ألوان المجتمع الذي كان وحدة موحدة قبل تاريخ حكمهم، فيحمّل الأمير جمعية الاتحاديين كلّ المسؤولية في تشرذم الأمة العثمانية إلى أمم مشتتة بعدما كان الدين هو الرابط الأساسي، فجاء الاتحاديون ليبثّوا الفكر القومي ذو البعد العرقي في السلطنة، واتجهت كل القوميات إلى خدمة العرقية التي تنتمي إليها حتى ولو لم تفكر يومًا في الاستقلال.

كتب الأمير شكيب في سيرته عن رجال جمعية الإتحاد والترقي الذين كان لديهم قوة الضغط في الحزب والسيطرة على مركز القرار في الدولة، أبرزهم طلعت باشا: فبعد أن تصرفت جمعية الإتحاد والترقي بزمام السلطنة العثمانية عشر سنوات تامة، وتصرف طلعت باشا بزمام الجمعية كل تلك المدة، فكان روح الجمعية والرئيس الفعلي لها، وكان هو المرجع الأول والأخير للدولة من قبل أن يتولى منصب الصدر الأعظم، فزاده المنصب ضعفا، ويظن الأمير شكيب أن رفاقه هم من حفزه على تولى المنصب، أمثال مدحت شكري، والدكتور ناظم، والبهاء شاكر، وضياء كوك ألب، والدكتور رسوخي... فكان هؤلاء عماد الجمعية، و لم يستطع أحد منافسة طلعت باشا على رئاسة الجمعية لتفرده بشخصيةٍ متميزة، وقد رأى الأمير أن الجمعية ماتت بموته، فلم يستطيعوا من بعده الاتفاق على رئيس يجمعهم ويلمّ شملهم[2].

وقد مدح الأمير طلعت باشا وذمّ باقي أعضاء الجمعية في قوله :"...يعصم نفسه عن المطامع الدنيئة، والمطاعم الوبيئة، وعدم استخدامه شيئا من نفوذه الطائل، في جمع ثروة، بحيث سطع له من حالة فقره برهان دائم على نزاهته، ومكّن له ذلك دعائم رئاسته، بينما كثيرون من زملائه قد غمسوا أصابعهم في أدهان المنافع منهم من اشتطّ ومنهم من اقتصر..."[3].

أما باقي أعضاء الجمعية من الاتحاديين فقد كتب شكيب حول أعمالهم في سورية وما جرى بالتفصيل، وبالأخص حول الممارسات التي قام بها جمال باشا، ففي فترة الحرب العالمية الأولى استغلت جمعية الاتحاد

---

[1] أرسلان، تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون، ملحق الجزء الأول، ص 342.

[2] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 200.

[3] أرسلان، المصدر نفسه.

والترقي الفرصة، وحينما أُتيحت لهم حرية التصرف في شؤون سلطنة آل عثمان، وبعد تطبيق الحكم العرفي جعلت سورية والعراق ولايات تركية، في الفترة التي كانت النهضة العلمية بسورية أقوى منها في العراق عجّل جمال باشا بتتريكها بالقوّة، وذلك من خلال تعريض الضبّاط والجنود المنتمين لها للقتل في المعارك الخطرة، وبقتل رجال النهضة الفكرية والقلمية، وبنفي العائلات الكبرى ذات النفوذ إلى الأناضول وإذابتهم في الشعب التركي واستبدالهم بعائلات تركية تخلفهم في بيوتهم وأملاكهم بسورية، فكان بذلك مُنفّذًا لقرارات جمعيته لا لقراراته الشخصية[1]، وهذا دليل على أن أعمال جمال باشا التي كانت بمباركةٍ من قادة جمعية الإتحاد والترقي النافذين في السلطنة مُدبرةٌ ومخطط لها لا وليدة أفكاره، وأنّ إجراءات التتريك هي ضرب للنهضة العربية ووأدِها في مهدها.

فالبعض من الذين أعدمهم جمال باشا في سوريا كان ذنبهم أنهم عارضوا إجراءات جمعية الاتحاد والترقي رغم أن الدولة لا تعترف إلا بالقانون العثماني لا قانون الاتحاد والترقي [2] كما ذكر شكيب، يقول جمال باشا في هذا الشأن:"...إنّ البرنامج الذي عقد حزبنا (الاتحاد والترقي)عزيمته على تنفيذه لإصلاح حالة العرب، لأوسع كثيرا مما قد يخطر ببالكم..." [3]، لذا فجمعية الاتحاد تتحمل مسؤولية الثورة العربية وخروج العرب على الدولة العثمانية إلى جانب الحلفاء، إذْ هُم من قاموا بالضغط على السلطان عبد الحميد لتنصيب الشريف حسين أميرا على مكة رغم رفضه في بداية الأمر.

وكان الأمير على اتصال بالسيد كمال أتاتورك، وهو من الأعضاء البارزين في جمعية الإتحاد، والذي التقى به عديد المرات وحارب إلى جانبه في حرب الليبيين ضد إيطاليا، فقد كتب في سيرته الذاتية أنه راسل كمال أتاتورك بعد الحرب العالمية الأولى بعدما التقى بسياسيين إنجليز قصد التّفاوض في قضية تعديل بنود معاهدة سيفر وإقناع الحكومة التركية بالتوقيع على مضمونها، لكن الأمير رفض أن يتوسط ومحتوى المعاهدة لم يعدّل[4].

---

[1] أرسلان، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، ص ص199، 200.

[2] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 206.

[3] ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص67.

[4] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 196.

كتب الأمير عن شخص القائد مصطفى كمال أتاتورك في كثير من المناسبات وضمن عديد الرسائل التي يذمه فيها ويعاتبه عن أفعاله وأعماله ضد الخلافة العثمانية، ففي رسالة بعث بها الأمير إلى الأستاذ والأديب أكرم زعيتر الأردني مؤرخة في **11** مارس **1931م**، تضمنت عدة قضايا تناولها الأمير مما جاء فيها:"...لّما خرج مصطفى كمال على الإسلام وأخذ يهدمه، فمع المودّة التي بيني وبينه لم أتوقّف عن الشروع في هدمه على حين لم يكن أحدا يجرؤ أن يذكره بسوء حتى في بلاد العرب، فقيل لي : إن هؤلاء الأتراك حالهم معلومة في الفتك، فقد يرسلون من يعتدي عليك...، فقلت : إن كنت سأفكر في أشياء كهذه فلا أقدر أن أدافع عن الإسلام أبداً، و لم أفكّر في هذا الخطر..." [1]، اتهم الأميرُ مصطفى كمال صراحةً بأنّه يهدم الإسلام، ورغم العلاقة الودية التي كانت بينهما إلا أنّه لم يتردد في نقده، في الوقت الذي لم يتجرّأ أحد في البلاد العربية أن يسيء إليه بكلمة، ورغم تحذيرات الأصدقاء إلا أن قناعته كانت راسخة ثابتة حول دفاعه عن الإسلام لا تغيرها الظروف.

راسل الأمير صاحبَ جريدة الصفاء سنة **1932**م قصد تكذيب بعض الجواسيس المغرضين، وقد ذكر شخصية بعينها تحت اسم كمال وهو تركي الجنسية، اتهمه الأمير بتوريط بعض القوميين العرب، حيث استنطقهم وأوقعهم في لعبته عبر زعمه اعتراف البعض عن الآخرين وردّ هؤلاء عن من اتهمهم بالتهمة نفسها بالاحتيال واختلاق شهادات بنى عليها جمال باشا الذي حكم عليهم بالإعدام، وهو الشخص نفسه الذي بدأ يرمي الأمير بتهم عدّة انتقاماً لحملته على تركيا الكمالية التي نشرت الإلحاد والإباحة كما وصفها الأمير شكيب، وقد اختلقوا قصصًا أخرى على غرار الحفل المهيب الذي أقامه الأمير للقائد جمال باشا بعد عملية الإعدام للمجموعة الأولى التي أمر إعدامها جمال باشا[2].

وفي مقال للأمير نُشر على جريدة الفتح العدد **285** من السنة السادسة مؤرخة في **06** جانفي **1932م** تحت عنوان :" أنقرة بإزاء المؤتمر الإسلامي، من يقرع الباب يسمع الجواب"، صُنّف ضمن مجموعة مقالات في كتاب :"الإسلام والحضارات"، تحدّث فيه عن مساعي أنقرة لإفشال المؤتمر الإسلامي الذي أُقيم في القدس، ويلمّح صاحب المقال في بادئ الأمر إلى أعضاء جمعية الإتحاد والتّرقي فيقول:"...قد بلغ غرور هؤلاء الجماعة

---

[1] شكيب أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر** ، تقديم نجيب البعيني، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، مارس 2011م، ط2، ص 254.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص ص 321- 323.

بأنفسهم أنهم ظنّوا أنفسهم قادرين أن يمنعوا المسلمين من الاجتماع لأمر عام حتّى لو كان خارج تركيا، وكلّ هذا ناتج فيهم عن إرادة رجل واحد لا يجسر أحد منهم أن يراجعه في كلمة" [1]، وهذا الرجل أكيد هو مصطفى كمال أتاتورك، الذي يهابه الجميع.

وقد ذكر الأمير قصة الوفد التركي الذي اتجه إلى الهند قصد طلب المساعدات المادية لإعادة إعمار تركيا فكان ردّ الهنود –خاصة بعد سماع نبأ إلغاء الخلافة وطرد آل عثمان– عدم معاونة تركيا، بعدما كان الاستقبال بالحفاوة والابتهاج واستعدادهم لبذل الجهود لصالح الأتراك، ثم انقلبت الأمور بعد أن ورد خبر إلغاء الخلافة الإسلامية[2].

ثم يقول أرسلان:"...لقد خرج الكماليون عن كل منطق–وهم يظنّون أنفسهم أكبر الفلاسفة– في ظنّهم أنهم يجمعون بين الإسلام والإلحاد في وقت واحد..." [3]، تعليقات الأمير حول أعضاء الإتحاد والترقي وإمساك العصا من الوسط كانت في محلّها، من خلال قناعتهم بمُجارات الأوروبيين في كل ما يتعلق بمدنيتهم الغربية وفي الوقت نفسه محاولة إبقاء الصلة مع الأقاليم الإسلامية على حالها ومعاملتهم على أساس تركيا حاملة تاج الخلافة، الذي ضاع منهم بسياستهم.

ويؤكد ذلك في قوله أنّ الكماليّين يهدمون الإسلام بأيديهم وينقضونه حجراً حجراً في تركيا، وفي الوقت نفسه يمتّون للبلدان الإسلامية الأخرى برابطة الإسلام، ويضيف :"...وحينئذٍ يلغي كل تعليمٍ إسلاميٍّ من جميع المدارس الابتدائية، ويلغي حفظ القرآن من الكتاتيب، ويبطل العلم بالشريعة المحمدية، ويستكتب الأتراك بالحروف اللاتينية حيلولة بينهم وبين القرآن، ومنعاً لقراءته فيما بينهم، ويحمل الأتراك بالسيف وتحت دقّ الأعناق على لبس البرنيطة، ويؤمر بخلط الشبان مع الشابّات في دور العلم، ويمنع تعدّد الزوجات بعذر أو بغير عذر، ويجوّز انكاح المسلمة لغير المسلم، وتُلغى المادة التي تنص على أن دين الجمهورية التركية هو الإسلام..." [4]، فيذكر الأمير كل هاته الحقائق ويؤكّدها على أنها أُقرّت بشكل رسمي.

---

[1] شكيب أرسلان، **الإسلام والحضارات**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط1، فيفري 2011، ص ص 62- 74.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص 63.

[3] المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه، ص ص 63، 64.

والجدير بالذكر أن أنقرة لم تقف عند هذه الإجراءات المطبقة في الداخل، بل تعدّتها إلى خارج الحدود من خلال محاولتها منع إقامة المؤتمر الإسلامي في القدس، وذلك عن طريق مُخاطبة حكومات الدول (إيران، أفغانستان، مصر، الحجاز، والعراق وألبانيا) على أن لا تشارك في هذا المؤتمر، ثم يصف الأمير حكام تركيا بالملحدين وقد أقرّوا ذلك على أنّ حكومتهم لائكية (لا دينية)، وقد أقرّ وزير خارجيتهم أمام ممثلي أربع وخمسين دولة :أنّ تاريخ تركيا من قديم الدهر يثبت أنّها أوروبية لا علاقة لها بآسية... [1]، وهذا نكران مفضوح لتاريخ قوامه ثمانية قرون من حمل الأتراك لِتاج الخلافة الإسلامية وقيادة العالم الإسلامي ووصولهم إلى قلب القارة الأوروبية، وانقلاب واضح على طورانيتهم التي ما فتئوا أن افتخروا بانتسابهم لها.

أمّا عن السبب الحقيقي وراء مساعي أنقرة لإفشال المؤتمر المقام ببيت المقدس هو خوفهم من أنّ المؤتمر سوف يناقش مسألة الخلافة الإسلامية، ولاشك أنّه سوف تُناقش قضية الخليفة عبد المجيد الذي تمّ خلعه وأُبعد عن منصبه في إسطنبول[2].

لكن المؤسف أنّ المؤتمر لن يخوض في مسألة الخلافة بعد أخذت السلطات الإنجليزية موثقاً من لجنة المنظمين للمؤتمر على أن لا يناقشوا مسألة الخلافة، بعد أن سعت تركيا لدى الحكومة الإنجليزية بالتدخل وإبطال أشغال هذا المؤتمر، وحجّتها في ذلك أنّ المؤتمرين سوف يناقشون قضايا الخلافة ومنصب الخليفة، وبعد فشل أنقرة في إبطال المؤتمر بدأت صحافتها في بث الأكاذيب حوله، حيث كتبت إحدى جرائد أنقرة أن لورانس[3] كان من أعضاء المؤتمر، فيكذّب الأمير هذه الافتراءات وأنّه لا يوجد لورانس ولا أحد من قوم لورانس، و لم تُناقش نقطة واحدة تُرضي لورانس أو أمّة لورانس[4].

---

[1] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص 64.

[2] المصدر نفسه، ص 65.

[3] ذكر أمير البيان في مدونته أنّ الضابط البريطاني الكولونيل إدوارد لورنس(مستر شو) كان له دور بارز في الثورة العربية ضد الأتراك فعمل كمستشار للأمير فيصل بن الحسين، تُوفي في لندن بتاريخ 19 ماي 1935م إثر حادث اصطدام بدراجته النارية، أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص332.

[4] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص 65، 66.

ثمّ أنّ جهود تركيا بإبطال عقد المؤتمر الإسلامي بالقدس لم تتوقف عند ترجّي الإنجليز بل تجاوز ذلك عديد الحكومات الأوروبية، على غرار البلاشفة في روسيا رغم أن الكماليين لا يتّفقون معهم إلاّ أنّهم نجحوا بعد منع المسلمين الروس حضور أعمال هذا المؤتمر، لكن حضره فقط من كان مهاجراً من قبل[1].

3-3 موقف شكيب أرسلان من الثورة العربية:

كان أوّل اتصال أجرته بريطانيا بشريف مكة عن طريق السير هنري ماكماهون في منتصف جويلية من سنة **1915م**، وصلت الرسالة إلى القاهرة وسُلمت لأحد ثقاة شريف مكة الحسين بن علي وهو الشيخ محمد عارف بن عريفان، الذي نقلها إلى مكة، وهو بدوره رد عليها عبر ابنه نائب مكة المكرمة عبد الله برسالة تحوي شروط العرب للدخول إلى جانبهم في الحرب ضد الدولة العثمانية [2]، فكان شكيب أرسلان على علم بهاته الرسالة من خلال كتابة خبر المراسلة بين الرجلين في كتابه "مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه" [3]، فبدأت السلطات البريطانية بمنح الوعود للعرب والتعهّد بتأسيس مملكة العرب بقيادة الشريف حسين عبر مراسلاته مع الإنجليزي ماكماهون.

خبرة شكيب أرسلان ونظرته السياسية جعلته لا يثق أبدا في وعود البريطانيين، فرغم ما تعرض إليه من تضييق من طرف بعض المسؤولين الأتراك إلا أنه بقي وفيّا للسلطة العثمانية، و لم يتوانى يوما عن تقديم خدماته الحثيثة لها، طبعا ليس حبًّا فيها بل حفاظا على الوحدة الإسلامية ودرءا للفرقة والتشتت الذي أفرز الضعف والتفتت، في الوقت الذي كانت الدول الأوروبية في أوجّ قوتها وفي ذروة نشاط حركتها الاستعمارية، حيث كانت تتربص برجل أوروبا المريض وأقاليمه التي تود الاستقلال، خاصة المقاطعات العربية الإسلامية التي لم تتعرض بعد للاحتلال، على غرار الشام والعراق والجزيرة العربية، التي كانت موضع اهتمام وأطماع الأوروبيين.

إذا تتبّعنا مسار أرسلان السياسي نجد أنه عارض خروج العرب في الجزيرة والشام على الخلافة العثمانية، فيذكر في البداية أنه قد تعرض للمنع من السفر خارج لبنان وإلى الأستانة بين سنتي **1914م** و**1915م** من

---

[1] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص67.

[2] George Antonius, **the arab awakening (the story of the arab nationale movement**, j.p.lippincott company, philadelphia, new york, toronto, 1939, p 164.

[3] أرسلان، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه، ص78.

طرف جمال باشا[1] حاكم سوريا والشام[2]، رغم أنه كان عضوا في مجلس المبعوثان العثماني لكنه خرج سنة **1916م** مع أسرته إلى إسطنبول وكأنه فر بجلده كما وصفت العامة آنذاك [3]، وفي هذا الوقت بالذات كان ممثلوا الدّول الأوروبية –فرنسا بريطانيا وروسيا– في مفاوضات ونقاش حادّ حول مصير الأقاليم العربية في الشرق، انتهت بالاتفاق على بنود الاتفاقية السرية التي عُرفت "بسايكس بيكو"[4]، فموقفه هذا جلب له الكثير من اللوم واستياء العديد من الجهات وبالأخص المقربين منه على غرار: رشيد رضا صاحب جريدة المنار الذي قدم له الكثير من الانتقادات حسب قول الباحث السوري محمد التركي الربيعو [5]؛ وبقيت العلاقة بينهما سيئة إلى أن طرأت أحداث أخرى أبرزها: دخول الفرنسيّين إلى سوريا كما توقع أرسلان وملاحقة الوطنيين والاستشاريين أعضاء مجلس فيصل، وكل الذين قاتلوا تحت مظلة الثورة العربية بما فيهم الإصلاحي رشيد رضا، عندها راسل هذا الأخير الأمير شكيب حيث كتب له :" أنه مضى الذي مضى، وصار علينا أن نجتمع، ونتفق لأجل معالجة الحال الحاضرة"[6].

---

[1] هو **أحمد جمال باشا** المولود في 1873م والمتوفى سنة 1922م : أحد زعماء جمعية الاتحاد والترقي حيث كان أحد البارزين في ثورة تركيا الفتاة سنة 1908، والتي أطاحت بحكم السلطان عبد الحميد الثاني، ثم شارك في الانقلاب العسكري العثماني في 1913، ليتقلد منصب وزير الأشغال العامة ثم وزيرا للحربية سنة 1914، ثم منصب قيادة الجيش الرابع العثماني، وفي سنة 1915 صار حاكما على سوريا وبلاد الشام، كان يوصف بعصبي المزاج حاد الطباع، من أعماله استبدال الكتائب العربية بكتائب تركية في بلاد الشام فصل الضباط العرب، اعتقال الزعماء الوطنيين والمفكرين العرب وإعدام الكثير منهم، حيث أعدم إحدى عشر شخصية عربية قومية معروفة وحكم على خمسة وأربعين غيابيا، وبعد الحرب أُعدم من طرف رجلين أرمِينِيَيْن في 1922/07/21م. جمال باشا، **مذكرات جمال باشا** ، إعداد محمد السعيدي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط 1، جانفي 2013م، ص ص7- 10.

[2] يصف الأمير شخصية جمال باشا في سيرته الذاتية فيقول:"...وكان جمال ذكي الفؤاد، موقد الذهن، سريع الفهم، ماضر العزم كالسيف الصارم، مُهاب الطلعة، لائقا بأن يكون قائدا عسكرياً كبيراً لمضائه، وسداد تدابيره.. ولكنه كان سريع الانفعال جدًّا، متكهرب الأعصاب، شديد الختزوانة، مغرما بالمجد، مولعًا باكتساب دوي الذكر، متنفّجاً، متغطرسًا، جبّاراً، مفتوناً بأن يوصف بالجبروت، محبًّا الانتقام والبطش، جنت الدولة جناية كبرى على نفسها وعلى العرب والترك معاً بأن سلّمته زمام سورية مدّة الحرب تسليماً مطلقاً...."، أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص 203، 204.

[3] الشرباصي، شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية، ص 45.

[4] هذه الاتفاقية نشرت حيثياتها جريدة الأزفستيا السوفياتية بتاريخ 24 أكتوبر 1917م في مراسلات سايكس بيكو (16 ماي 1916م)، ثم نشرتها جريدة المانشستر غاردن البريطانية بتاريخ 26 نوفمبر 1917م مع نشر ملخص لهذه المراسلات، وقد ذكر أرسلان هذه المعلومات في مدونته أنها نُشرت سنة 1916م، ربّما كان خطأً مطبعياً، لأنه في ذكر هاته التفاصيل على أنّها نُشرت في المانشستر الغاردن البريطانية بعد نشرها في الأزفستيا السوفياتية والتي كانت سنة 1917م. أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص84.

[5] محمد تركي الربيعو، **"سيرة الأمير شكيب أرسلان : الجنتلمان العربي – العثماني وتشكل الشرق الأوسط الحديث"** ، القدس العربي (الإلكترونية)، 13 أكتوبر 2017، ص2. من الموقع الإلكتروني القدس العربي، الرابط : https://www.alquds.co.uk-الأمير-شكيب-أرسلان-الجنتلمان-ا/.

[6] محمد تركي الربيعو، المرجع نفسه، ص3.

لذا كان شكيب أرسلان من أشد المعارضين للثورة العربية الكبرى، وقد أعطى مبررات عدة كانت في محلها، من منطلق بُعد النظر وإلمامه بسياسة الدول الأوروبية، والحدس الذي كان لديه تجاه نوايا الانجليز والفرنسيين في المنطقة، واعتقاده أن المنطقة سوف تُقسم بين الدولتين، وأن فلسطين سوف تكون وطناً لليهود، فصرّح أنه يفضل البقاء تحت ظل الدولة العثمانية ولا يرضى بالعيش في كنف الاحتلال الأوروبي [1].

وقد تحقق استشرافه لمستقبل المنطقة، وقد اعترف له الكثير ببُعد نظره، ومنهم من اعتذر له، على غرار الملك فيصل الذي بعث له رسالة بُعيْد تنحيته من على عرشه في دمشق، فحواها الإشادة بجهود الأمير شكيب أرسلان وخدمة القضية العربية، واعترف له فيها أنّه أول من تكلم معه عن قضية الوحدة العربية[2].

ففي السنة الأولى من الحرب العالمية الأولى لم تتجلى أمور الحرب بعد و لم تتضح إلى أين ستؤول الغلبة، فكان الشريف حسين وأبناؤه لم يقررا بعد إعلان الثورة ضد التواجد العثماني في المناطق العربية رغم العلاقة الوطيدة التي كان الشريف حسين قد أقامها مع بريطانيا.

وبعد الزيارة التي قام بها الأمير فيصل إلى إسطنبول –رغم معرفته بوجهة نظر الاتحاديين تجاه والده– أراد تقصي الأمر لمعرفة وجهة نظر الألمان، لاسيما بعد انقسام الرأي بين القوميين العرب في سوريا حيث طلب بعضهم من الأمير فيصل تولي قيادة الثورة العربية ضد الدولة العثمانية، والبعض الآخر خاصة العسكريّين منهم حيث رأوا أن ألمانيا سوف تفوز في الحرب، ومن العبث القيام بثورة ضد حليفتها تركيا، خاصة بعد فشل الهجوم الأنجلو– فرنسي على مضيق الدردنيل في شهري فيفري ومارس من سنة **1915م**، وقد التقى الأمير فيصل السياسي الألماني "فون أوبنهايم" [3] في أحد فنادق إسطنبول وتبادلا الآراء حيث قال الأمير فيصل

---

[1] البشير فايد، **قضايا العرب والمسلمون في آثار البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان** ، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزء الأول، ص 516.

[2] البشير فايد، المرجع نفسه، ص516.

[3] **ماكس فون أوبنهايم** (**1860م–1946م**): هو باحث ودبلوماسي ألماني وعالم آثار، ذو أصل يهودي له معرفة كبيرة بالعالمين العربي والإسلامي، له علاقات وصداقات كثيرة بعد زياراته المتعددة للعالم العربي الاسلامي، خاصة رحلته في 1893م من االبحر المتوسط إلى الخليج العربي، حيث استطاع كسب ثقة الإمبراطور الألماني وليام الثاني فكانت له تقارير ودراسات حول االعالم العربي وفكرة الجهاد ضد دول الوفاق (فرنسا وبريطانيا وروسيا)، لذا أطلق عليه إسم :" **الأب الرّوحي للجهاد الإسلامي**"، ووصفته الدوائر البريطانية ب :"**جاسوس القيصر**"، فكانت مهمته مع اندلاع الحرب العالمية الأولى نشر الدعاية الألمانية فسبب حرجا كبيرا لدى الفرنسيين والبريطانيين في المناطق العربية والإسلامية. الموقع الإلكتروني: المعرفة، الرابط:
https://www.marefa.org/%D9%85%D8%A7%D9%83%D8%B3_%D9%81%D9%88%D9%86_%

:"أشكر الله أن مصالح الإسلام متطابقة تمامًا مع مصالح ألمانيا" [1]، و لم يخلصا في الأخير إلى اتفاق نهائي رغم الوعود المتبادلة.

وعلى الرغم من أن موقف أرسلان كان معروفًا، إلا أنه اعتذر عن تسيير جريدة "الشرق" التي حفزت الجهات الألمانية على تأسيسها لخدمة الدّعاية العثمانية الألمانية، وقد حاول جمال باشا إقناع شكيب أرسلان لتقديم المساعدة للصحيفة الناشئة حديثًا لكنه اعتذر، لكن صديقه البارون الألماني "أوبنهايم" أصر على دخوله المشروع على أن لا يساهم في إدارتها لكن يقتصر عمله على تحرير المقالة الافتتاحية فقط [2] -كما ذكرنا في العنصر السالف الذكر-، حيث كانت أهداف تلك الجريدة: لمّ شمل المسلمين، ونبذ الفُرقة بين العرب والأتراك؛ ومن الأعمال التي قام بها شكيب أرسلان دَعمُه للحملة التي دعا إليها الألماني أوبنهايم ضدّ السيطرة البريطانية على قناة السويس، حيث جنّد حوالي **150** رجلاً، لكنّه وصل مُتأخرًا بعد فوات الأوان وانسحاب الجيش العثماني من القناة [3]، ويذكر أرسلان في مذكراته أنه جنّد **120** شابًا درزيًّا، وكان باستطاعته تجنيد خمسمائة فرد، لكن نُزولاً عند رغبة جمال باشا وتخوفاً منه ومن ضيق الوقت لتدريب وتهيئة المتطوّعين، وعدم علمه بكفاءتهم القتالية طلب تجنيد مئة فقط[4] .

ويذهب الشرباصي إلى أنّه من المؤكد أنّ أمير مكة الشريف حسين أوفد ابنه الأمير فيصل لمّا كان نائبا عن ولاية الحجاز في مجلس المبعوثان إلى سوريا للقاء جمال باشا ليلتمس منه الكف عن سياسة الإرهاب وعمليات الإعدام، لكن جمال باشا لم يعبأ بذلك مطلقا [5]، في حين يُؤكد الباحث فرقان فيصل أنّ الأمير فيصل كان يقصد اسطنبول لمعرفة وجهة نظر الألمان تجاه الشريف حسين، وسوريا كانت في طريقه فمكث بها شهر مارس **1915م** لتحقيق أهدافه الخفية المتمثلة في تشجيع المثقفين والعسكريين العرب وحشدهم لمساندة الثورة التي يخطط لها شريف مكّة الحسين بن علي، و لم يذكر الباحث مطلقا لقاء الأمير فيصل بجمال باشا [6]،

D8%A3%D9%88%D9%BE%D9%86%D9%87%D8%A7%D9%8A%D9%85 ، تاريخ الزيارة:2023/01/31م، 20:36.

[1] فرقان فيصل جدعان الغانمي ومصطفى حيدر محسن الذبحاوي، " **دور المستشرق ماكس فون أوبناهايم في الدعاية الألمانية للحرب المقدسة 1915-1918م**"، مجلة دراسات استشراقية، 2017م /1439ه، العدد 12، ص4.

[2] فرقان فيصل، مرجع سابق، ص 13.

[3] ليفي بروفنصال، مصدر سابق، ص30.

[4] شكيب أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص13

[5] المصدر نفسه، ص 46.

[6] فرقان فيصل وآخرون، مرجع سابق، ص3.

أما جورج أنطونيوس فيرى عكس ذلك تمامًا، فزيارة الأمير فيصل إلى دمشق في الفترة التي كانت الأوضاع فيها جد مشحونة، حيث أنها كانت بطلب من جمال باشا المُلحّ، لذا كان شريف حسين متخوفًا من اعتقاله وهو ما من شأنه تعريض الانتفاضة العربية للخطر[1].

لكن أعمال جمال باشا القمعية عجلت بإعلان الثورة من طرف الشريف حسين بن علي أمير مكة ضد العثمانيين ودخول العرب إلى جانب الحلفاء في جوان **1916م**[2]، أي بعد شهر من شنق القوميين العرب حيث يقول ساطع الحصري :" وقد استمر جمال باشا في هذه الأعمال الإرهابية دون أن يلتفت لا إلى الملاحظات التي أبداها رجال الدولة ولا إلى النصائح التي أسداها الشريف حسين..." [3]، وفي هذا السياق يقول شكيب أرسلان عن جمال باشا في سيرته الذاتية :" إن سياسة جمال باشا في سوريا كانت من أعظم المصائب على الدولة العثمانية وعلى الأمة الإسلامية..."[4].

وقد ذكر شكيب أن الشريف حسين أصدر منشوره الأول حول ثورته على الأتراك، وعلّل ذلك ببغي جمعية الإتحاد والترقي وحيادها عن الدين ومنهج الشرع المبين، و لم يعلق شكيب على هذا البيان مطلقًا [5]؛ وقد وقد نفى الأمير أن تكون جرائم جمال هي سبب خروج الشريف حسين على الدولة لأن علاقة الشريف بالإنجليز –والتي كانت تحفزه على الخروج– ترجع إلى أيام السلطان عبد الحميد الثاني الذي أُجبر من طرف الاتحاديين على تعيين الشريف حسين أميراً على مكة المكرمة مكان الشريف علي، حي قال لهم :"...إنّني أبرأ من تبعة كلّ ما سيعمله هذا الرجل لأنني أعرف حقيقته"[6].

بعد الجهود التي بذلها شكيب لأجل إيقاف عملية إعدام المجموعة الثانية من القوميين العرب من قبل جمال باشا، استدعى هذا الأخير أرسلان وأفهمه بعدم جدوى وساطته أو تدخل أنور باشا أو طلعت باشا أو غيرهما، وعلى أرسلان أن يوقف حملته على جمال، وأكثر من ذلك تجرأ جمال باشا على نشر إعلان في الجريدة

---

(1) George Antonius, op cit, p p 184, 185.

(2) شكيب أرسلان، **مدونة العالم العربي**، ص 81.

(3) الشرباصي، شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية، ص 45.

(4) شكيب أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 125.

(5) شكيب أرسلان، **مدونة العالم العربي**، ص 81.

(6) أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 204.

السورية الرسمية، موجها كلامه للذين يتدخلون في شؤون المعتقلين والمنفيين منبها أن هذه الأمور من صلاحياته وحده، مما انعكست على علاقتهما وبداية التنافر بينهما ووقف التعامل الودي[1].

لذا فكما ذكرنا في بداية هذا العنصر أن شكيب كان من أشدّ المعارضين للثورة العربية ضد الخلافة العثمانية لنظرًا لما سيؤول إليه الوضع بعد انهزام الدولة العثمانية وانتقال موازين القوى في المشرق إلى الدول الأوروبية الاستعمارية، وما يمتلكه من معلومات حول تاريخ المنطقة ووضعها السياسي الراهن، واستشرافٍ لمستقبلها وما آلت إليه حالة الشعوب بعد سنة **1920**م.

3 4 فكرة الوحدة العربية لدى الأمير ومساعيه لتحقيقها:

كان أرسلان في بادئ الأمر ضد الفكر القومي العربي لأسباب عدة، منها أنّ القومية العربية [2] قامت لمقاومة الوجود العثماني في المناطق العربية، إضافة إلى دعم الدول الأوروبية خاصة فرنسا وبريطانيا للقومية العربية من خلال عدة مؤتمرات أُقيمت بأراضيها بغرض شق السلطنة وإضعاف راية الإسلام، فاستباحت البلاد الإسلامية العثمانية بدايةً بالوطن العربي، لذلك عارض أرسلان مؤتمر باريس [3] بشدة كما ذكرنا سلفاً، وفي المقابل كان مشدِّدًا على أهمية إنجاز إصلاحات إدارية اقتصادية ثقافية في المناطق العربية لّما كان ممثل عن حوران في "مجلس المبعوثان" العثماني[4].

لكن بعد انهيار الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية وسيطرة فرنسا وبريطانيا على منطقة المشرق العربي، اتجه أرسلان إلى خدمة القضية العربية لمناهضة الاستعمار الأوروبي، والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية للأمة العربية.

---

[1] ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص ص 57، 58.

[2] فكرة القومية العربية ظهرت بعد بروز الحركة الطورانية التي كان هدفها إعلان شأن القومية التركية على حساب القوميات الأخرى وبالأخص القومية العربية التي ظهرت كردة فعل، حيث كانت البيئة خصبة لذلك بفضل الأقلية المسيحية المتشبعة بالثقافة الأوروبية، وأدركت مدى عظمة التراث العربي وأهميته، فبدأت بإحياء التراث العربي الإسلامي، بنهضة الأدب واللغة، من أبرز هؤلاء : " فرنسيس فتح الله، أمين شميل، بطرس البستاني..."، وأول جمعية عربية جهرت بالفكر القومي العربي هي **الجمعية العلمية السورية** سنة 1857م، البشير فايد، **مرجع سابق، ص ص**493-501.

[3] كان هذا المؤتمر من تنظيم ثلّة من القوميين العرب في باريس في جوان 1913م بمساعدة بعض الدول الأوربية، وقد قدّم المؤتمرون مجموعة من المطالب تخص المناطق العربية التابعة للدولة العثمانية، وإصلاحات سياسية وإدارية والاعتراف باللغة العربية واستخدامها في البرلمان التركي.

[4] ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص 201.

أما أسباب تحول شكيب أرسلان لخدمة القضية العربية بدل الخلافة العثمانية، هي أن الأتراك أداروا ظهورهم للعرب وقيامهم بإلغاء الخلافة الإسلامية، وتطبيق النهج العلماني حيث أكّد ذلك التحول بقوله أن الخلافة العثمانية اندثرت وذهبت دون رجعة، أمّا قضية العروبة ووحدتها فلا تزال قائمة[1].

منذ بداية عشرينات القرن العشرين، بدأ شكيب أرسلان بتبنّي أفكار القومية العربية، وتحول من النّزعة العثمانية إلى هذه الفكرة[2]، ويرجع تاريخ دعوته إلى الجامعة العربية إلى سنة **1922م** عندما حاول إلى جانب ثلة من رفاقه المهتمّين بالقضية العربية أمثال إحسان بك الجابري، ونوري باشا السعيد، وجعفر باشا العسكري، وكاظم باشا الحسيني، وناجي بك الأصيل، وأمين بك التميمي [3]؛ في سنة **1923م** نشر أرسلان بيانًا بليغًا وجهه إلى الشعوب العربية حكامًا ومحكومين، داعيًا إلى الجامعة العربية، وإلى التكتّل والوحدة محذرًا من مغبة التخاذل أمام الهجوم الأوروبي على الأوطان العربية [4]، ثم سعى على الصعيد الدبلوماسي –من خلال الشرعية الدولية– لتقديم العديد من العرائض إلى عُصبة الأمم، تتضمن معلومات حول القضية السورية والفلسطينية، واتصل مباشرة بالوفود التي تشارك في اجتماعات عُصبة الأمم، وظل ينشط في هذا الإطار إلى أواخر الثلاثينات[5]، حيث شغل منصب أمين عام المؤتمر السوري الفلسطيني سنة **1921م** وطالب باسم المؤتمر استقلال سوريا ولبنان وفلسطين والاعتراف بحقهما وإلغاء الانتداب فوراً[6].

وقد عمل الأمير ما بوسعه لتقريب الوطنيين المغاربة مع بعضهم البعض، وكذا توثيق الصلات بين المغاربة ورجال المشرق العربي الإسلامي، وسعى إلى رفع الحدود التي وضعتها دول الاحتلال بين المغرب العربي وبقية العالم الإسلامي[7]، وقد نقلت عديد الصحف والمجلات المغربية مقالاته وخطبه حول الوحدة العربية على

---

(1) ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص 201.

(2) محمد سالم أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص22.

(3) أمين محمد أبو العز، **"الأمير شكيب أرسلان"** ، مجلة الأديب ، العدد 2، تاريخ الإصدار: 1 فيفري 1947م، ص 59. الرابط: https://archive.alsharekh.org/Articles/144/15890/355481

(4) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص** 421. البشير فايد، مرجع سابق، ص515.

(5) محمد سالم أحمد عمايرة، مرجع سابق، ص22.

(6) شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم**، مراجعة الشيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص 17.

(7) Youssef Girard, L'Emir Chekib Arslan : l'intellectuel organique de la renaissance arabo-islamique, site web de l'omma, décembre 2006, p5. Lien: https://oumma.com/lemir-chekib-arslan-lintellectuel-organique-de-la-renaissance-arabo-islamique-partie12/.

على غرار المقال الذي نُشر ضمن صفحات "الشّهاب"، والذي عُنون ب"نص خطبة الأمير شكيب أرسلان"، اقتبس من المقال الأصلي عُنون ب"الوحدة العربية"[1].

كان لدى شكيب أربعون توكيلاً خطّيًا في مدينة جنيف من الحركات الوطنية الاستقلالية العربية ليمثلها لدى دوائر عصبة الأمم[2]، وحسب رواية توفيق المدني: فإن شكيب كان يردّ يومياً على عشرين رسالة تأتيه من مختلف مناطق البلاد الإسلامية، ولا يتخلف عن ذلك أبدًا كما ذكره في أحد الرسائل التي بعث بها له بعدما نُفي المدني من تونس إلى الجزائر [3]، وهذا جزء يسير من الجهد الذي يبذله في سبيل خدمة الأمة العربية من تحرير المقالات وتأليف للكتب، وحضور المجالس السياسية[4]، والجولات الماراطونية بين مختلف دول العالم.

العالم.

وقد قال عن نفسه –حول كثرة كتابة الرسائل– في رسالة أرسلها إلى الحاج عبد السلام بنونة المغربي:"...تجدون هذا الكتاب بغير خطّي لأنني من كثرة الكتابة حصل لي حريق في عيوني ورجعت إلى المعالجة بغسلها بمحلول وصفه لي الأطباء، ثمّ لم أجد فائدة أكثر ممّا في الراحة من الكتابة، ولمّا كان عليّ من الكتابات شيءٌ فوق التصوّر أخذت أملي على الأستاذ طاهر المصري الذي يعلّم لابني العربية، فلا يشغل بالك كون المكتوب بغير خطّي..."[5].

ويقول كذلك عن نفسه :"...وتراني كل يوم بدون انقطاع أشغل قلمي بالكتابة ثماني ساعات، وبالمطالعة خمس ساعات، وأستعمل لعيوني القطرات ثلاث مرات لتقوى على تحمّل العناء، ولا أزال أشكو تضايق الوقت عن الوجائب التي عليّ..." [6]، هذا مقتطف من رسالة بعث بها الأمير إلى محمد داود المغربي في **22** نوفمبر **1930**م، وفي رسالة أخرى يقول:"...لا يخفى عليك أني وحدي وأني أسوّد في كل نهار من **20**

---

[1] شكيب أرسلان، **"نص خطبة الأمير شكيب أرسلان"**، مجلة الشهاب، المجلد13، الجزء11، جانفي 1938م، ص ص474، 475.

[2] أرسلان، النهضة العربية في العصر الحاضر، ص 11.

[3] توفيق المدني، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"**، مجلة الثقافة، السنة الثالثة عشر، العدد 76، جويلية/أوت 1983م، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 75.

[4] توفيق المدني، مصدر سابق، ص75 .

[5] أرسلان، مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص 271.

[6] عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2015، سلسلة دراسات وثائقية، العدد الرابع عشر، ص87.

إلى **30** صفحة عدا سائر الأشغال، إن حملتي ثقيلة جداً لا يعلمها إلا من جاء إلى سويسرا وعلم ماذا نشتغل أنا وزميلي الجابري...."[1].

و لم تكن الصحف والمجلات البيروتية والمصرية والدمشقية أو الشمال إفريقية الوحيدة التي حظيت بحصة من مقالات الأمير، بل وصلت مقالاته الأمريكيتين، حيث قال في هذا الصدد:"...سألتك هل يأتيك "البيان" من نيويورك، و"العلم العربي" و"الاستقلال" و"الفطرة" من الأرجنتين، وهل اطلعت على مقالاتي في هذه الجرائد الأربع ؟ فقد أرسلت إليها نحواً من **20** إلى **25** مقالة في هذين الشهرين، انطبع منها **10** مقالات إلى الآن والباق آت في الطريق إن شاء الله..." [2]، وكان هذا الاقتباس من رسالة أرسلها أمير البيان إلى محمد علي طاهر بتاريخ **24** جانفي **1940**م، أُدرجت ضمن كتاب "رسائل علمية وأدبية".

وفي ذات السياق نوّه السيّد رشيد رضا في إحدى رسائله [3]، وقدّم النّصح للأمير للحفاظ على صحته، فيقول:"...ثم إنني أكاشفك بما في نفسي من أسى وامتعاض من أخبار صحتك، ومن كثرة تحدثك بتحديد عمرك، واستقبالك لشيخوختك...واستغرب منك مع هذا إصرارك على ما تعودت من إسراف في القراءة والكتابة غير مشفق على عينيك من كلل ولا تعب ولا وجع ولا على صدرك من ضيق ولا شجى فأرفق بنفسك..."[4]، ويمكن أن نستشفّ مما ذُكر حجم ما يعانيه الأمير من تحريرٍ للمقالات التي تخص مختلف قضايا العرب والمسلمين، والجهد الذي يبذله خلال كتابة الرسائل والرد على من يكتب له من شخصيات العالم من الشرق والغرب.

بالمقابل نجد أنّ الكثير من المستشرقين يطعنون في جهوده حيث يقول مارتن كرامر MARTIN KRAMER تعليقا على كتاب (الإسلام ضد الغرب : شكيب أرسلان والدعوة إلى القومية الإسلامية) لوليام كليفلاند WILLIAM CLEVELAND أن أرسلان لم يهتم لأمور العرب كثيرًا، وكان تركيزه على القومية الإسلامية بدل العربية فكانت شعاراته مضللةً، وحجة الكاتب في إبداء رأيه أنّ عشرات المقالات

---

[1] أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 239.

[2] أرسلان، **رسائل أدبية وعلمية**، الدار التقدمية، الشوف ،لبنان، ط1، مارس 2012م، ص139.

[3] الرسالة مؤرخة في 18 رمضان 1347 هجرية الموافقة ل28 فيفري سنة 1929ميلادية.

[4] أرسلان، السيد رشيد رضا أو إحاء أربعين سنةً، ص522.

التي كتبها أرسلان بعيدة كل البعد عن مصالح العرب [1]، وهذا تغليط للقرّاء لأن شكيب أصلا كان ذا تخصّصات مُتعددة وله مئات المقالات تخص الكثير من المجالات، وقد عايش مراحل عدة، لكل مرحلة أحداثها ومقالاتها تعالج حيثياتها فكيف له أن يسخّر جل كتاباته في قضية دون أخرى.

وقد أثنى فيصل بن الشريف حسين على جهود أرسلان حول الوحدة قائلا له:" عزيزي الأمير شكيب كتابك المؤرخ في **03** جانفي **1931م** كان لي بمثابة الإكسير كنت يائساً بائساً من كل ما قرأته في الصحف حول الحلف العربي الذي يشهد الله أنك أنت أول من تكلم وإياي بشأنه..." [2]، فكان صاحب فكرة الحلف العربي، لكن بعض الجرائد شنّت حملة ضده، فكان بينه وبعض أصدقائه سوء تفاهم على غرار عبد العزيز الثعالبي.

وقد راسل الأمير المفتي الحاج أمين الحسيني حول مسألة الحلف العربي في **07** ماي **1931م**، وقد تم نشر مضمون الرسالة على صفحات جريدة الجامعة العربية لصاحبها منيف الحسيني بتاريخ **22** مارس **1931م** وتضمنت الرسالة بعض تفاصيل مشروع الوحدة العربية الذي تم وضع أسسه، وعلى الأمة العربية أن تكمله بجهودها ليصبح حقيقةً بعد اتفاق المخلصين من العرب على أن يكون عربياً خالصاً، ويضيف الأمير رغم أن جزءًا من المنطقة العربية فقد استقلاله، فعلى الجزء التام استقلاله تقوية الناقص ليصبح كاملاً؛ كذلك البعض يتحجّج بأنّ الأمة العربية جاهلة ولابد من التربية العلمية وضرورة التعليم...، وجواب الأمير أن الحلف يجب أن يُرافق سير العلم ولا يكون عائقاً في طريقه، ثم أعطى نموذجاً أوروبياً حديثاً، وهو المشروع الجرماني الذي بدأ اقتصادياً إدارياً ثم ارتقى ليصير وحدة سياسية متكاملةً [3]، هذا مختصر ما حوته الرسالة؛ وتجدر الإشارة إلى نقطة جدّ هامة وهي تاريخ الرسالة التي أُرّخت في شهر ماي ونُشرت في مارس من السنة نفسها أي في **1931م**، فلا يُعقل أن يكون تاريخ النشر قبل تاريخ إرسال الرسالة من طرف الأمير، إلا إذا كان هناك خطأ من الناشر، من مضمون كتاب:" مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر".

---

[1] MARTIN KRAMER : **BOOK REVIEWS**, **Islam against the West**: **Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism** by William L. Cleveland. Austin: University of Texas Press (Modern Middle East Series,No.10), 1985. P2.

[2] شكيب أرسلان: **رسائل علمية وأدبية**، ص 15.

[3] أرسلان، مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص ص 266، 267.

وبتاريخ **02** أفريل **1933م** راسل الأمير الدكتور أحمد قدري [1] من جنيف، يخبره من خلالها أن مشروع الوحدة العربية يواجه صعوبات ودسائسَ، وفي رأيه يجب تجنّب توسيع برنامج نقاشات المؤتمر وحصرها في العراق وسوريا وفلسطين[2]، لكنه لم يذكر تفاصيل ذلك، ومن كان وراء تلك الدسائس، أو من الذي أراد تثبيط القائمين على هذا المؤتمر.

وفي سنة **1937**م، ألقى أرسلان محاضرة عن الوحدة العربية في النادي العربي بدمشق، تكلم فيها على ضرورة وحدة الأقطار العربية لتحقيق الأمن والاستقرار لشعوبها والوقوف بحزم ضد الأطماع الاستعمارية، وقبيل المواجهة الأوروبية الثانية تكهّن بوقوع هذه الحرب، وأنّ نتائجها ستكون وخيمة على الشعوب المستعمرة ومنها الأمة العربية التي لا حل لها إلا الإتحاد لمواجهة هذا الخطر الداهم [3]، وذكر أن فلسطين لا خلاص لها أبدا من خطر الصهيونية إلاّ باتحاد العرب[4].

تفرّدت شخصية شكيب أرسلان ببذل الجهود والمساعي الحثيثة لصالح القضايا العربية التي لم تُثمر وقتها، لكن طال به العمر إلى أن رجع إلى مسقط رأسه ورأى دولة لبنان مستقلة، وأي استقلال، فالشّتات والانقسام والنّعرات الطائفية التي ترك آثارها الاحتلال الفرنسي، والتركة الثقيلة من الصراعات والأزمات الحدودية بين الأقطار العربية التي رسم حدودها الاستعمار الأوروبي في المشرق والمغرب العربيين، كما بقي المغرب العربي بعد الحرب العالمية الثانية قابعًا تحت ظلم الاستعمار الفرنسي.

4) تصوّرات الأمير حول كتابة التاريخ ونماذج من كتاباته التاريخية والسياسية والأدبية:

لم يكن أمير البيان شاعرًا وأديباً فقط أو سياسياً ترقّى في المناصب، فإعجابه بآثار العرب وأمجادهم وقراءة الصفحات اللامعة عنهم من خلال الكتب العربية والغربية جعل منه مؤرخًا، وذلك من خلال كتابة تعليقاته وملاحظاته حول كل ما يقرؤه من تلك الكتب، فينقل من مصادر التاريخ وكتب الأدب ويترجم عن

---

[1] أحمد قدري دكتور في الطب وسياسي عربي، من مؤسسي جمعية الفتاة بباريس سنة 1911م، التحق بالأمير فيصل سنة 1918م، حُكم عليه بالإعدام من قبل الفرنسيين، فاضطر مغادرة دمشق إلى مصر سنة 1920م، ثمّ عُيّن من قبل الملك فيصل قنصلا على قنصلية العراق بالقاهرة عام 1930م، مثّل سوريا في عديد المؤتمرات الدولية، عاد إلى دمشق سنة 1936، ثم عُيّن أمينا عاماً لوزارة الصحّة في دمشق. أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص 308.**

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص ص 337، 338.

[3] البشير فايد، مرجع سابق، ص 515.

[4] شكيب أرسلان، **رسائل علمية وأدبية**، ص ص 15، 16.

اللغات الأوروبية بعد التدقيق في ما جاء من مادة تاريخية، وقد بادر بزيارة العديد من البقاع في أوروبا التي فتحها المسلمون وعمّروها في فترة من الزمن، ووصفها وصفاً دقيقاً دراسةً وتحليلاً وكتابةً، فكانت كتاباته جد مميزة خاصة بعد كسبه للمنهج التاريخي الصحيح في كتابة التاريخ، وقد علّق في كثيرٍ من المواضع عبر مقالاته ومؤلفاته عن تصوّره حول كتابة التاريخ فأبدع وأجاد.

4 4 كتابة التاريخ من منظور أمير البيان:

كان أمير البيان مُولعًا بقراءة التاريخ منذ ريعان شبابه، وكان بودّه أن يكتب عن البلاد التي يحسبها لازالت عربية، حيث أحبّ شكيب بلاد الأندلس، وعكف على جمع ما قيل عنها من العرب وكُتّاب الغرب، وعند بلوغه السابعة والعشرين، ترجم رواية للمؤلف " Château Brian شاتو برايان" الذي كتب عن غرام آخر بني سراج بأميرة إسبانية، فرأى الأمير أن الرواية جد موجزة مقارنة بالفترة التي مكثها العرب بالأندلس، فكان تركيزه مُوجّهًا لفترة الجلاء ورحيل العرب عن الأندلس، وهو موضوع جدير بالبحث والاستقصاء والوصف الدقيق لتلك الأحداث المأساوية، فبرع في التذييل على الرواية الفرنسية، ليؤلّف كتابا أتى في ثلاثمائة صفحة يصف فيها نكبة العرب، تحت عنوان:"خاتمة تاريخ العرب في الأندلس" وختمه في جوان **1897م**[1].

كان الأمير ميّالاً لكتابة التاريخ ومُلهمًا بقراءته، وإقامته في أوروبا واحتكاكه بمثقفيها وإتقانه الجيّد اللغات الغربية التي تُعد من العلوم المساعدة لكتابة التاريخ كان إضافة قيّمة أعانته في البحث والتحقيق والمقاربة بين المصادر العربية والغربية، فكان مؤرخاً متميزاً.

حيث زار عديد المناطق في أوروبا التي وصلت إليها الجيوش العربية الإسلامية حيث عمرتها ثم غادرتها مُضطرة، خلال فترات متباينة، فبقيت آثارهم على جدران عمرانها، ليصف شكيب المدن والأنهار التي مرّوا بها على حقيقتها، وبهذا يمكن اعتبار أمير البيان رحّالة مُنقبًا عن المفاخر والأمجاد العربية، مُسطّرًا ما شاهدته عيناه وما سمعته أذناه، مستندًا على ما كتبه الأجداد، ومُعتمدا على ما كتبه المستشرقون بالمقارنة والتحقيق[2].

بدأ الأمير في مقدمة كتابه غزوات العرب بكلام جد رائع عن التاريخ فقال:" ...وبعد فإنه مما يجب أن يخلد في الصدور قبل السطور، وأن يكتب على الحدق قبل الورق، إن حفظ التاريخ هو الشرط الأول لحفظ

---

[1] سامي الدهان، مرجع سابق، ص ص257، 258.

[2] سامي الدهان، المرجع نفسه، ص 264.

الأمم وسموّها، وأنه لا يتصور علة وجه الكرة وجود أمة تشعر بذاتها وتعرف نفسها قائمة بنفسها، إلا إذا كانت حافظة لتاريخها واعيةً لماضيها....مما لا يقوم به إلا علم التاريخ الذي هو الواصل بين الماضي والمستقبل، والرابط بين الآنفِ والمُستأنفِ..."[1].

وقد كتب الأمير عديد المقالات أورد فيها المعاني الصحيحة للتأريخ ومواصفات المؤرخ الحقيقي، فيذكر في هذا السياق أن التدقيق في التاريخ و التمحيصَ لَيْسَ المخالفةَ فقط أو الإتيان بالجديد، بحيث يقال عنهم أنهم كشفوا حقائق جديدة أي حقائق تاريخية لم يعرفها غيرهم من قبل، أو عرفوا أسرارا تجاهلها المؤرخون، أو أغفلتها الأقلام ذات البعد الديني، أو أهملتها أهواء السياسيين وأخفتها عن الجمهور، ويسمون ذلك تحقيقا وتمحيصًا، فيظن هؤلاء أن التمحيص والتحقيق هما مجرد المخالفة والخروج عما عليه الرأي العام ويضيف أرسلان:"... أنه إذا كان مقصدهم مجرد المخالفة وتغيير الأسلوب لعدم الصبر على طعام واحد فقد أصابوا الغرض..."[2].

وإن كان زعمهم أن هذه الأدلة والتعليلات الغريبة كما وصفها الأمير هي الأصل في تلك الوقائع فيجب عدم تصديقهم، لأن التاريخ يكون بالأدلة العقلية والنقلية والتدقيق والملاحظة فيما سبق تلك الأحداث وما لحقها ثم استنباط النتائج دون تخرّصات[3] أو افتراضات وأبنية على غير أساس فإن كان هذا هو التمحيص التاريخي في نظر هؤلاء المؤرخين العصريين الذين قلدوا الإفرنج (المؤرخين الغربيين) فهو قلب للحقائق حسب الأمير، وقد جلّ علماء الإفرنج إن كان تمحيصهم على هذا النمط، ثم أعطى الأمير عدة نماذج لأحداث تاريخية أراد هؤلاء المؤرخون الخوض في مجرياتها على غرار حروب الردّة التي خاضها الخليفة الراشد أبي بكر الصديق، حيث أنه حارب أهل الردة بهدف تأسيس الملك وليس إقامة الدين، فلم يعطي المؤرخ أدنى دليل فحاول أن يتخذ مناهج الممحصين وهو يظن أن الخروج عن الإجماع حتى ولو كان الإجماع صحيحاً هو التدقيق في التاريخ، فلم يصب في ذلك مرماه.

---

[1] شكيب أرسلان، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط** ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 4، سامي الدهان، مرجع سابق ، ص264.

[2] شكيب أرسلان، **"التاريخ لا يكون بالافتراض ولا بالتحكم"**، مجلة الزهراء، العدد 8، 01 أوت 1925م، ص ص 462-470. https://archive.alsharekh.org/Articles/262/18904/427734/9

[3] **التخرّصات**: في اللغة العربية هي الكذب والافتراء، خرص الرجل أي قال بالظنّ أو بالتخمين أو بالحدس. الموقع الإلكتروني لمعجم المعاني، الرابط:https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AA%D8%AE%D8%B1%D8%B5%D8%A7%D8%AA/ ، 2023/01/31م، 20:50.

ثم يتّهم هاته الفرقة التي تدّعي التحقيق في التاريخ أنهم يشيرون من طرف خفي إلى دُنوّ مستوى الحضارة زمن الصحابة، وأن شرائعهم وقوانينهم كانت في طفولية المدنية كما وصفها الأمير، لكنهم نسوا أن زمن الصحابة لم يعرف وجود "السانسور" [1] ولا مراقبة الرواية، ولا ديوان للتفتيش، أما مراقبة الكتب فكانت في الحضارة الرومانية بروما والقسطنطينية، وفي أيام سلطة الباباوات، وقد بالغ في هذا الإجراء نابليون الأول ثم الثالث، كذلك على عهد الخلفاء العباسيين، لكن لم تكن هاته المراقبة موجودة زمن الخلافة الراشدة، وأيام الصحابة الكرام[2].

ثم يضيف:"....فيا إخواننا إن التاريخ لا يكون بالظنّ، إن الظن لا يغني من الحق شيئا، وهذا نتف من كثير، ووشلٍ[3] من بحرٍ، ولو كانت بيدنا الآن كتب لأحلناكم على شواهد لا تنتهي، فإن كنتم مع هذا تصرون على المخالفة لأجل المخالفة، فليس هذا مما يزيد الثقة بعلمكم بل هو مما ينقصها، وبدلا من أن يضع العلم على قواعد اليقين يضعه على قواعد أوهن من بيت العنكبوت..."[4].

وقد ختم بكلمات رائعة في سيرته الذاتية حول تدوين الأحداث والتأريخ من شاهد العيان فيقول:"...هذا ما اخترنا ذكره من خبر هؤلاء القوم مما عرفناه بالذات، وشاهدناه بالعين، وسمعناه بالأذن، فيكون ذا قيمة عند الخَلَفْ الذين يهمهم أن يعرفوا حقائق ما جرى...أنه بيان من عيان، وقد علمت الخلق التجارب، أنه كلما تطاولت الأيام وتراخت الآماد على الحوادث، زيد في الأخبار، ونقص منها، وما زالت تعتورها التصورات بالقلب والإبدال، إلى أن تصبح الأخبار في واد، والحوادث الحقيقية في واد آخر، ويعود التاريخ قصصاً موضوعاً، فالخبر أمانة في ذمّة المعاصر للحادث، ولا سيّما المطلع والشاهد، ينبغي أن تؤدي تلك الأمانة على أصلها، نصحا بالرواية، وحرصاً على التحقيق، والله تعالى وحده من وراء العلم.."[5].

---

[1] **السانسور**: كلمة فارسية وتعني الرقابة أو التفتيش أو الكنترول. الموقع الإلكتروني أباديس، الرابط : https://abadis.ir/fatofa/%D8%B3%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%88%D8%B1/. تاريخ الزيارة: 2023/02/01. 16:20.

[2] أرسلان، "التاريخ لا يكون بالافتراض ولا بالتحكم"، ص 464.

[3] الوشل: هو الماء القليل الذي يتحلّب من الجبل أو الصخرة، ولا يتّصل قطره، أي يسيل بشكل قطرات متقطعة. الموقع الإلكتروني معجم المعاني، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B4%D9%84/، تاريخ الزيارة : 2023/02/01. 16:20.

[4] شكيب أرسلان، "التاريخ لا يكون بالافتراض ولا بالتحكم"، ص 464.

[5] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 207.

يقول سامي الدهان عن الأمير أنه أفضل معاصريه همّة في التأليف ومن أبرعهم في تأثر الغربيين بطرق التأريخ والتصنيف، فقد جاور المستشرقين وجاور القدماء من العرب، فجمع بين هؤلاء وهؤلاء في صعيد واحد، لذلك كانت الصفحات في كتبه التاريخية غير متعادلة أو متكافئة، ترتفع حيناً فتورد الآراء الغربية النادرة، وتنخفض فتورد المعلومات القديمة المبتورة أو البعيدة عن التحديد والمشاهدة [1]، فهناك الكثير من مؤلفات الأمير في مجال التاريخ على غرار ما سنورده لاحقاً، وأفضل مثال على ما قاله الأستاذ الدهان نجد المقال الذي كتبه أمير البيان في مجلة المقتطف تحت عنوان علاقة التاريخ باللهجات العربية [2]، ففي خمس صفحات، وظّف الأمير المقارنة والتحليل والتعليل وأضفى على بحثه التشويق للاستزادة وتحفيز الباحثين في الخوض في هذا المجال من الدراسات التي لم تكن شائعة في تلك الفترة.

أما عن ما تركه أمير البيان من مؤلفات، فقد نكتب بعض الأسطر حول كتاباته وأسلوبه وطريقته في النقد ونظرته حول الشعر والأدب، لكنّها لا تفيه حقّه أبدا، لغزارة ما تركه من ملفات، تنوعت بين: الأدب والأشعار والنثر، والتاريخ والاجتماع والرحلة والسياسة، فألّف الكتب الضخمة والمتوسطة والصغيرة اللطيفة...، وكل هاته المؤلفات مرتبطة بأحداث دعت لتأليفها، فكان يستجيب لِوَحْي الأحداث ويسارع للتأليف[3]، كموت صديقه ومعلمه أحمد شوقي سنة **1932م**، فيؤلف شكيب كتاب: (شوقي أو صداقة أربعين عاما)، كذلك مع صديقه رشيد رضا سنة **1935م**، إذْ بعد وفاته وبداعي الوفاء، ألّف كتاب: "السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين عاما"، ومن هنا نجد أنّ الأحداث دافعٌ مهم لكتابات شكيب في الغالب دائماً [4].

إنّ معظم ما ألِّف من طرفه طُبع بعد موته لكثرة انشغالاته فيقول عن نفسه في إحدى رسائله عن أرشيفه :" إن المكتوب الذي يأتيني من تسعة أيام لا يعود لي سبيل إليه من كثرة ما يتوارد من المكاتيب (الرسائل) التي تبلغ عندي الألوف ولا يوجد عندي سكرتير يجمعها ويرتبها، من سنتين خصصت وقتا في الليل لتمزيق ما لا فائدة منها وحفظ ما يناسب حفظه، فبقيت ستة أشهر أشتغل حتّى جمعت خمسة أو ستة آلاف

---

[1] سامي الدهان، مرجع سابق، ص ص 266، 277.

[2] شكيب أرسلان، **"علاقة التاريخ باللهجات العربية"** ، مجلة المقتطف، العدد3، تاريخ الإصدار: 1مارس 1932، ص ص 323-327. https://archive.alsharekh.org/Articles/107/9575/191942

[3] الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج1، ص196.

[4] المرجع نفسه، ص197.

مكتوب(رسالة) ورتبتها، وأخيرا ضجرت وتركت فملوك العرب لهم عندي وحدهم أكثر من خمسين أو ستين مكتوبا...خدمة للتاريخ"[1].

والملاحظ في كتابات شكيب أنها غير مهمشة و لم يضع الهوامش الخاصة بالمراجع المعتمدة في كتاباته وهذا ليس جهلا منه لأنه ذكر هذا في بعض كتبه، وأن الأوروبيين في مؤلفاتهم وبحوثهم يتبعون طرق منهجية حديثة فيقول :"...فهم لا يروون خبرا ولا ينقلون جملة ولا أثرا إلا يضعوا في الحاشية (يقصد الهامش) مأخذها، والكتاب الذي أخذوها عنها، مع ذكر الصفحة، وذكر طبعة الكتاب، وتعيين المطبعة أحيانا، وكل ذلك توثيقا للنقل، ونصحا بالتبليغ، وتمهيدا للحكم الصحيح الذي لا يتهيأ للقارئ إلا بعد مقدمات صحيحة، وبيّنات رجيحة..."[2].

ويعلّق الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي على كتابات شكيب أرسلان، فيقول أن أشخاص الجيل الذين عاصرهم ممن قرؤوا كتابات شكيب أرسلان، كانوا في الحقيقة يقرؤون أعمالا للدفاع والتبرير وليس أعمالا للبناء والتوجيه، ويُضيف أن تلك الكتابات بدلا أن تترجم جهودهم الذهنية عن نفسها في صورة مذهب دقيق للنهضة، ومنهاج منسجم، لأنّها كانت تنطلق في صورة شُعلات دفاعية أو جدالية [3]، وهذا تعبير جد منطقي من ابن نبي على عدم وجود مشروع واضح أو منهاج يجسده شكيب لقرّائه من صلب أفكاره للدفاع عن العالم الإسلامي.

4 2 كتابات الأمير في مجال السياسة والتاريخ:

شكيب أرسلان خبير في القضايا العربية وله إلمام كبير بأسرارها ووقائعها، عارف بصنّاع القرار فيها ورجالها والفاعلين في مختلف المجالات، فهو محيط بالمسائل الإسلامية في شرقها وغربها رغم اتساعها وكثرتها، ودارس لأحوال المسلمين ومدقق في أوضاعهم رغم تشعبها [4]، لذا كان من السهل عليه الخوض في أي مسألة من مسائل العرب والمسلمين سواء كانت تاريخية أو قضايا راهنة عاشها، فخلّف تركة كبيرة من المؤلفات،

---

[1] شكيب أرسلان، **رسائل علمية وأدبية**، ص 20.

[2] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 198.

[3] مالك بن نبي، **مشكلات الحضارة، القضايا الكبرى**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1991م، ص48.

[4] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 197.

يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: بين ما هي مطبوعة ومنشورة، كذلك خلف مؤلفات لم ترقى إلى أن تطبع بسبب مشاغله الكثيرة في شكل مخطوطات بخط يده، إضافة إلى الكتب المقترحة أو كانت في نيته تأليفها.

لا يكفي المقام لذكر كل مؤلفاته أو حتى أبرزها لذا سنورد بعضها أو أهمها، وقد عددها كلها أحمد الشرباصي في كتابه "أمير البيان شكيب أرسلان" الجزء الثاني، وسوف نركز على المؤلفات أو المنشورات التي تناولت بالحديث التاريخَ والسياسةَ بدايةً بالكُتب المنشورة.

هناك كتب تركت بصمة على قُرائها وعلى من كان يكن الحب لشكيب، أو من كان يبغضه، فبعض كُتُبِه مُنع تداولها بيعًا أو شراءً في بعض مناطق العالم العربي المحتلة، مثل كتاب :"لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم".

هذا الكتاب الذي طُبع عشرات المرات، وقد عُنون بسؤال :"لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم"، ويرجع سببُ تأليف هذا الكتاب إلى الرسالة التي بعث بها الشيخ محمد بسيوني عمران من جزيرة جاوة الأندونيسية إلى صاحب مجلة المنار رشيد رضا، وفحوى هذه الرسالةِ الثّناءُ على جهود شكيب أرسلان والتقدير له على خدمة الإسلام والمسلمين، وفيها اقتراحٌ على الأمير بأن يُبيّن لقراء جريدة المنار أسباب ما صار إليه المسلمون من الضّعف والانحطاط، وأسباب تطور وتقدم أوروبا وأمريكا واليابان، وما إذا كان بإمكان المسلمين مجاراتهم في التطور والسباق الحضاري[1].

فأحال السيد رشيد رضا الرسالة إلى أمير البيان التي حركت مشاعره وأوقدت ضميره وأثارت حسّه، ففي غضون ثلاثة أيام قبل نهاية جولته إلى إسبانيا والمغرب انتهى من تأليفه، ثم نشر في جريدة المنار، ثم أعيد طبعه في كتيب، وقدم له السيد رشيد رضا في أواخر سنة **1940م** بمطبعة المنار وأضاف له بعض العناوين، وأعيد طبعه مرات عديدة، وتناقله العالم الإسلامي بلهفة وشوق، لأنه تضمن إجابات صريحة واضحة على تساؤلات كانت تُثار في ضمائر وخواطر شعوب العالم الإسلامي في فترة وصل العالم الإسلامي إلى الحضيض[2].

وقد قال فيه رشيد رضا شعرًا :

---

[1] أرسلان، لماذا تأخر المسلمون...، ص 20.

[2] المصدر نفسه، ص ص 20، 21.

سارت بها الركبان تطوي نفنفا فنفنفا وسبسبا فسبسبا

ويضيف :" ....اضطربت بها بعض دول الاستعمار، وزلزلت زلزالاً شديدًا ، حتى قيل لنا أنها أغرقت حكومة سوريا بمنع نشرها فيها وهي أحقّ وأهلها فانفردت بهذه العداوة للإسلام دون من أغروها بها..."، وقابلتها فرنسا بالمنع في الجزائر، وجعلت عقوبة لمن يطالعها، وقد رحبت بها شعوب العالم الإسلامي، فاقترح السيد تقي الدين الهلالي في كلية العلماء بالهند تعميم نشر الكتاب وتدريسه للطّلبة وأن يُترجم إلى اللّغات الأخرى[1].

هذا الكتاب الذي هو أصلاً جواب رسالة نشر في صحيفة المنار واستطاع صاحبه الأمير تقديمه في غضون ثلاثة أيام للصحيفة معتمدا على الذاكرة دون المذاكرة أو الاعتماد على المراجع، كان موضع انتقاد بعض المفكرين والمختصين في مواضع عديدة كالإكثار من المقارنات بين المسلمين، بين الأمس واليوم، وصياغتها بأسلوب صحفي [2]، فمثلاً يقول عنها أحمد الشرباصي أنها أشبه بخطبة مُطوّلة فيها من الإثارة والتحميس أكثر مما فيها من البحث والإقناع، ويصفها سامي الدهان بالرسالة الكبيرة [3] فيعلق عليه الشرباصي أن الدهان انخدع بضخامة حروف الطبعة الثالثة من الكتاب [4]، لكن أهمية الكتاب لا تكمن في عدد أوراقه بل ما تحويه تلك الأوراق قلّت أو كثرت، من أفكار وبلاغة ورصانة، ومدى تأثيرها على من طالعها.

فالأمير شكيب أرسلان واسع الإطلاع على آثار الأوروبيين في الحديث عن ديننا وتاريخنا وشعوبنا، وهناك كُتب غربية كثيرة نقلها إلى العربية، ولشدّة مقدرة شكيب على الترجمة وتحكمه في سبك العبارة تَمُرّ على قلمه وكأنها وُلدت عربيةً، فتتساوى العبارات المترجمة في القوة والجودة والمتانة [5]، وقد بدأ الترجمة في عنفوان الشباب، حيث ترجم كتاب :"اختلاف العلم والدين" للعالم درابر الأمريكي إلى العربية عن النسخة الفرنسية وهو في سن الثامن عشر[6].

---

[1] أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون**...، ص ص20، 21.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص21.

[3] الدهان، مرجع سابق، ص 328.

[4] الشرباصي، **أمير البيان**، ج2، ص 518.

[5] الدهان، مرجع سابق، ص 233.

[6] المرجع نفسه، ص 234.

ومن الكتب المترجمة مع الكثير من التعليقات نجد كتاب :"حاضر العالم الإسلامي" لصاحبه الكاتب الأمريكي "لوثروب ستودارد"، حيث ألفه ونشره في **1921م**، قام في بداية الأمر بترجمته الأستاذ عجاج نويهض[1]، وقام أرسلان بإضافة تعليقاته الكثيرة على آراء وتحليلات صاحب الكتاب فكاد أن يضيع أصل الكتاب، وصار ينسب إلى شكيب أرسلان أكثر ما ينسب إلى مؤلفه أو إلى مترجمه[2].

وقد نشرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة **1925م**، في ألف صفحةٍ وتوزّعت في مُجلدين، وفي فيفري **1927م** زار شكيب صديقه في علم الاجتماع لوثروب ستودارد في مدينة بوسطن الأمريكية بدعوةٍ من الأخير، وجرى بينهما حديثُ مطول حول ما جاء به الكتاب، وفي سنة **1933م** أعاد شكيب طبع الكتاب مع إعادة النظر في حواشيه وتوسع في تعليقاته، لذا جاءت هذه الطبعة في أربعة مجلدات، وقد بيعت كل نسخ الكتاب وبأثمان عالية، ويقول شكيب في مقدمته :" أما كتابنا هذا في أجزائه الأربعة هذه المرة فإنه إن لم يتاح للإسلام حظ هذا العمل الكبير...يكون من الكتب التي تفي بجانب من هذا الفوز...ويجوز أن يقال أنها معلمة إسلامية صغيرة، بل هو في المعالم الجغرافية والتاريخية والإحصائية..."[3].

تحدث المؤلف لوثروب في كتابه على نشأة العالم الإسلامي وارتقائه ثم اليقظة الإسلامية والجامعة الإسلامية في الجزء الأول، أما الجزء الثاني فيتحدّث في فصوله السبعة عن سيطرة العرب على الشرق، ثم تطورهم السياسي، وكذلك عنّ العصبية والتطوّر الاقتصادي والاجتماعي ثم التوتر الاجتماعي والبُلشفية، وقد حاول المؤلف أن يكون موضوعيا بعيدا عن الذاتية أو العداء للإسلام.

أما عن تعليقات الأمير شكيب أرسلان فقد أصبحت جوهر الكتاب من خلال تعليقاته المطولة، ففي الجزء الأول كانت حول مسلمي الصين وإندونيسيا وروسيا وإفريقيا والعرب في الكونغو ومسلمي الحبشة ومدغشقر، وعن جمال الدين الأفغاني وعبد الكريم الخطابي، ومسلمي الفيليبين، في حين تعليقات الجزء الثاني كانت حول الوهابية وابن سعود، وتاريخ الممالك الإسلامية في الهند والمعتزلة والخوارج، والطريقة البكطاشية، ومبادئ الاشتراكية في الإسلام، وأنور باشا ورفقائه، وموقف الأمّة الإسلامية إزاء البلشفية، وكل تعليقات شكيب كانت لتقديم الصورة الحقيقية لأوضاع المسلمين المعاصرة في مناطق كثيرة للعالم الإسلامي.

---

[1] **عجاج نويهض:** مساعد السكرتير العام للمجلس الإسلامي الأعلى لفلسطين آنذاك، ترجم كتاب حاضر العالم الإسلامي وقد دامت فترة ترجمته سنتين كاملتين، وعند إنهائه للترجمة قدمه للأمير شكيب أرسلان ليعلق عليه، فأضاف له أكثر من ثلثي حجم الكتاب الحالي المترجم.

[2] الشرباصي، **أمير البيان**، ج2، ص 501.

[3] المرجع نفسه، ص ص 502، 503.

وقد علق محب الدين الخطيب على الكتاب قائلا: أن تعليقات شكيب أرسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامي لم تكن لأجل هذا المؤلَف، بل كانت سابقة له، وأفكار تعليقاته دوَّنها لما سنحت الفرصة فقط لذلك، وهناك من أثنى على الكتاب وعلى حواشيه مثل الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي والذي أهدى إليه شكيب نسخة من الكتاب، فكتب النشاشيبي إليه قائلاً :" ذكرتني هذه الحواشي بقولين لإمامين: قيل لأبي بكر الخوارزمي وهو على فراش موته : ماذا تشتهي ؟ قال : النظر في حواشي الكتب، وقال أستاذ الدنيا جار الله (الزمخشري) : الزيت مخ الزيتون، والحواشي أمخاخ المتون" [1]، لذا كان العرب سلفًا أكثر شروحهم تُكتب في الحواشي، وزُبدها تُوضع في الهوامش.

4 3 كتابات الأمير في مجال الأدب والشعر:

كما ذكرنا سابقًا، فإنّ شكيب كرّس سنوات مراهقته في تعلم اللغة العربية والتضلع فيها، وأنه تلقى تعليمه عند كبار اللغويين والمصلحين كمحمد عبده في مدرسة الحكمة أيام نفيه إلى بيروت، وأخذت ملامح الأديب تظهر قبل أن يبلغ سن الرابعة عشر [2]، فإذا تكلمنا عن نظم الشعر لدى أمير البيان فيطول بنا الحديث لأنه بدأ الشعر منذ سن الرابعة عشر، فوالده قال بعض الشعر، وأخواه نسيب وعادل نظما الشعر كذلك، لذا فموهبة الشعر متوارثة ومكتسبة، كما أن شكيب حفظ منذ نعومة أظافره الشعر والنثر من مناهل الأدب العربي القديم، وطالع أضعاف ما حفظه، كذلك نشأ في فترة كانت فيها بداية لنهضة أدبية حديثة، حيث ظهر الشعراء ونشرت الدواوين، فكان الشعراء في مصر والشام والعراق يتراسلون، وكانت الجرائد تهتم كتابة بأخبارهم ومساجلاتهم[3].

كان شكيب أرسلان علمًا من أعلام اللغة، ومن سادة القلم شعرًا ونثرًا، حتى لُقّب بأمير البيان عن جدارة، فكان لغويا محققًا، وجهبذا من جهابذة اللغة العربية الأفذاذ، وترك عديد المخطوطات التي لم تُطبع، لكنّها حُقّقت مؤخرًا مع بداية الألفية الثالثة، وأبرزها كتاب :"القول الفصل في ردّ العامي إلى الأصل" ، فيه شذرات لغوية وأقوال البلغاء، وفيه تناول أرسلان اللغة العامية بالبحث؛ والعجيب أنّ الأمير رغم انشغاله بقضايا العالم الإسلامي كان يكتب كل يوم عشرات الصفحات للمجلات والصحف اليومية، ويؤلف ويترجم

---

[1] الشرباصي، **أمير البيان**، ج2 ، ص 503.

[2] ليفي بروفنصال، مصدر سابق ، ص30.

[3] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 243.

ويكتب عشرات الرسائل؛ ورغم عيشه في منفاه فكيف تستوقفه اللغة العامية في ضجيج الأحداث وازدحام مشاغله فينصرف إلى دراسة ألفاظها بالتحليل والنقد والبحث عن أصولها، ليجمعها في مخطوطه المذكور آنفًا[1].

ويمكن تقسيم أشعار شكيب إلى قسمين: قسم يخص أواخر القرن التاسع عشر حيث ألف ديوانه:"الباكورة"، أما القسم الثاني: فقد كان في الثلث الأول من القرن العشرين حيث اشتد الوعي الأدبي لدى الشعراء العرب أمثال أحمد شوقي حافظ إبراهيم، خليل مطران...؛ فالمرحلة الأولى كانت بنظم الشعر عبر تقليده لفحول الشّعراء العرب، فنشرت له جرائد بيروت، وهو لم يتجاوز سن الرابعة عشرة من عمره، وكان الناس يتردّدون في تصديق أنّ هذا الشعر العربي الموزون، الفصيح الألفاظ، المتين التراكيب، الجزل العبارة، قيل من طرف فتى ناشئ، حتى كثرت أشعاره وتواترت الأدلة، فزال الشك وذهبت الريبة؛ وبعد ثلاث سنوات فقط من بداية نظمه للشعر ألّف ديوانه :"باكورة"، وبالضبط في سنة **1887م**[2].

وجعل شكيب إهداء الباكورة للسيد محمد عبده كما كتب هو :" لحضرة العالم العامل الفيلسوف الكامل واسطة عقد الحكماء ودرّة تاج البلغاء الأستاذ الأكبر الشيخ محمد عبده المصري أيده الله تعالى..." ويهديه قصيدة يقول فيها :

لو هاج مثل الفضل خاطر شاعر ألقيت بين يدي سواك بواكري
أو لو وجدت بمثل فضلك عاذلا كان الكمال إذا سلوتك عاذري

ثم يختمها فيقول :

أهديتها لا كي تليق وطالما قبل الكبير هديةً من صاغرٍ
هي دون ما يهدى إليك وإنما مثلي على ما فاق ليس بقادرٍ[3]

وفي سنة **1892م** اتجه شكيب إلى باريس قصد الاستشفاء من مرض أصابه، فالتقى أحمد شوقي الذي كان في بداية مشواره الشعري "فانعقدت بينهما الألفة دون كلفة "، كما وصف هو في سيرته وأحمد شوقي

---

[1] شكيب أرسلان: **القول الفصل في رد العامي إلى الأصل**، تقديم : محمد خليل الباشا، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط2، أوت 2008م، ص ص 10، 11.

[2] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص ص 244، 245.

[3] أرسلان، **باكورة**، ص ص3-5.

في الجزء الأول من ديوانه :"شوقيات"[1]، حيث قال شكيب أنه هو من أشار عليه بتسميته بالشوقيّات، أما عن تصور الأمير حول الشعر ففي كتاب "مختارات المنفلوطي" لمصطفى لطفي المنفلوطي الذي صدر سنة **1912م** كتب فيه شكيب أرسلان مقالاً بعنوان "حقيقة الشعر" جاء فيه :"...الشعر قول ثقيل وعبء عقلي باهظ، لا يحسنه إلا أصحاب الطبيعة الصافية التي لا تتاح إلا للآحاد ولا يؤتاها إلا الأفراد، يكاد قائله يتجرد من عالم المادة بقوة نفسه..."[2].

أما عن الشعراء الذين تأثر بشعرهم فيذكر أنّه حفظ جميع قصائد الشاعر المصري محمود سامي البارودي الموجودة في كتاب "الوسيلة الأدبية"، يقول في ذلك: "لما قرأنا شعر محمود سامي سكرنا بأدبه، ورقصنا على قصبه، وبعث لنا نشأة روحية لم نعتدها في أنفسنا..." [3]، فيقرر أنه خريج مدرسة البارودي في الشعر، وأن البارودي إمامه.

ويضيف أن أشعر الشعراء عنده هو محمود سامي، ثم شوقي، ثم حافظ، وأن هؤلاء الثالثة هم السابقون في حلبة الشعر في هذا العصر، الفائقون في إجادته، حيث شبههم بالشعراء الماضين : أبي تمام الشعر، ومتنبيه، وأبي عبادته، بل حَسْبه أنهم اليوم لاتُ الشعر، وعُزّاه، ومَناتُه، فيشبّه البارودي بأبي تمام لعلو نفسه وقوة ملكته، ومتانة أسلوبه، ويشبه شوقي بالمتنبي، في دقة معانيه، وسمو حكمه وكثرة جوامع كلمه، وشبه حافظا بالبحتري لسلاسة لفظه، وحسن حبكه، وتأثيره في النفس[4].

وفي سنة **1935م** أصدر شكيب ديوانه، وقد تشرف خليل مطران بتصديره بمقدمة تحدث فيها عن شكيب بإسهاب والذي أجمعت الأمة آنذاك بوصفه بأمير البيان، حيث توقع الناس لما أصدر الباكورة أنه سيشق طريقه نحو الشعر، لينال مترلة بين كبار الشعراء، إلا أن شؤون الأمة وبحر السياسة الذي خاضه صرفه إلى النثر، إذْ ظلّ يُتحف قراءه عبر مقالاته ورسائله، وقد ذكر خليل مطران في المقدمة عنه ما يلي :"...وما زال حفظه الله منذ خمس وأربعين سنة يتحف قراء العربية في مشارق الأرض ومغاربها بكتب قيمة يقتبسون من أنوارها هدى أو يفيدون من مختلف الآثار المنبثة فيها ما يهيئ لهم من أمرهم رشدا، إلى رسائل متنوعة يجتلون

---

[1] شكيب أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص45.

[2] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 225.

[3] المرجع نفسه، ص 340.

[4] المرجع نفسه، ص ص 340، 341.

محاسن أغراسها وأزهارها ويجتنون ما يغذي العقول ويفكه العقول من أطايب ثمارها، إلى فصول ومقالات تنشرها المجلات الدورية أو الجرائد اليومية في كل قطر..."[1].

أما في مقدمة ديوانه فنجده يعبّر عن غرضه من جمع أشعاره من أيام الصغر إلى أيام الكبر أوجزها في ثلاثة خصال: الأولى أنه يرى أن الشعر لقائله وخوفًا بعد موته أن ينسب له شعرا لغيره، وقد وقعت له في حياته فما بالك بعد موته، أما الثانية فإن بعض القصائد متعلقة بأحداث تاريخية بارزة تتضمن مبادئ سياسية مأثورة، ليعرف من ضل ممن اهتدى، ومن اعتدل عمن اعتدى، ثم الثالثة يقول فيها :"أنه كان لي أصدقاء وأتراب وإخوان، ترافقني عليهم الحسرات إلى التراب، ومن الأعلام من لم اعرفه بوجهه لكنني عرفته بآثاره....فقد أحببت أن أبث أرواحهم الزكية...وأن أنشر بعد طيِّ أجسادهم ما أعرف من محاسن أخلاقهم، فأكون وفيتهم بعض حقوق الوفاء"[2].

ويشمل ديوانه قسمين: القسم الأوّل يأتي على ثلثي صفحات الكتاب تقريبًا وهو ما قاله بعد شعر الباكورة، وثلث الديوان وهو ما أبقى عليه من شعر الباكورة يمثل القسم الثاني، فبعد مقدمة خليل مطران ثم مقدمة شكيب، أورد لنا مراسلاته الشعرية السامية مع محمود سامي البارودي، ثم مساجلاته ومفاكهاته الأدبية مع العديد ممن صادقهم وداعبهم بشعره أمثال: عبد الله باشا فكري، وإسماعيل باشا صبري، وخليل مردم، ومحمد كرد علي....، ثم ينتقل إلى المدح، فيمدح الخديوي توفيق، ثم يشترك بقصائده في تكريم عبد الله البستاني سنة **1904م**، وحافظ إبراهيم سنة **1905م**، وخليل مطران سنة **1912م**، وأحمد شوقي سنة **1927م** ، وعبد الحميد الرافعي سنة **1928م**، ثم ينتقل إلى المراثي، فيرثى أحمد فارس الشدياق، وإبراهيم اليازجي، وسامي البارودي....، ولا يغض الطرف عن شؤون العرب في ديوانه، فيحث من خلال أشعاره على الجهاد ضد إيطاليا في ليبيا، وخاض في عديد القضايا العربية والإسلامية.[3]

---

[1] شكيب أرسلان، **ديوان الأمير شكيب أرسلان**، تصحيح رشيد رضا، تصدير خليل مطران، مطبعة المنار، مصر، ط 1 1935، ص ص 1-4. الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص 270.

[2] شكيب أرسلان، **ديوان شكيب أرسلان**، ص ص 1-3.

[3] الشرباصي، **أمير البيان**، ج1، ص ص 270-272.

لذا فالقارئ لشعره يلاحظ أنّ قصائده متصلة بحياته وتصرفاته ورحلاته، وعلاقاته، فقضايا الأمة السياسية التاريخية منها أو الآنية التي عايشها، وقد ساهم في تدوين جل ما شاهده من مجريات للأحداث في مؤلفاته المطبوعة أو المخطوطة والتي طبعت في السنوات الأخيرة.

5) مواقف الأمير وآراؤه تجاه (الشيعة، الشيوعية، الوهابية):

خلّف أمير البيان شكيب أرسلان رصيدًا هائلاً من الكتابات الصحفيّة والمؤلّفات المطبوعة والمخطوطة ضمّت مختلف قضايا عصره، فكتب عن كل الأحداث التي عايشها وعديد المسائل التي شارك فيها، وأعطى من خلالها آراءه، واتخذ منها مواقف، والآن هي مواضيع لدراسة المؤرخين والباحثين كلٌّ حسب اختصاصه، ولا يسعنا المقام للتعمق في فكره، وآرائه حول بعضها فما بالك الإحاطة بها جميعًا، لذلك ارتأينا أن نبحث عن موقفه من الشيعة و الوهابية والشيوعية، حتّى تتوزّع الدراسة بين الداخلي والأجنبي.

5 1 موقف الأمير شكيب وآراؤه من الشيعة والتشيّع:

للأمير شكيب أرسلان عديد المقالات عرّف من خلالها طائفة الشيعة وتاريخ نشأتها، ومناطق تواجدها، وصرّح من خلالها عن موقفه من التشيع، وآرائه في المتشيعين في الشام وإيران، وسنورد بعضاً من كتاباته حول هذه المسألة في سطور.

وأهمّ ما ذكره أمير البيان حول المذهب الشيعي، هو العصبيةُ الفارسيةُ بعد دخول الإسلام إلى بلاد فارس وانتصار العرب، وإبادة ملك كِسرى من طرفهم، فبسبب تراكم الكراهية وتزايد العداوة بين هاتين الأمّتين من حقب زمنية طويلة، نتج عنها احتقان صدور الفارسيين على العرب، وتربصوا بهم الدوائر إلى أن كانت الفتنة الكبرى فنصروا الفئة التي كان أغلب العرب ضدّها وهم شيعة أهل البيت، وحسب شكيب فإنّه كان لهم دور كبير في اتساع الهوّة بين الطائفتين العربيتين المتصارعتين، ويضيف أنّ الفارسي يكره العربي ويحتقر كل شيء لهم إلاّ الدّين[1].

ويستدلّ بقول السيّد "مهيار الديلمي" الذي قال:"...قد جمعت المجد من أطرافه : نسب الفرس ودين العرب..."، ويذكر الأمير أنه بالرغم من أن الدين الإسلامي يمنع العصبية بين الأجناس إلاّ أنّ بلاد فارس

[1] شكيب أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء1، ص156.

كانت تدين للعرق الفارسي، ثم استدل بقول بديع الزمان الهمذاني الذي ردّ على أحد الفرس كان يفتخر بأصله الفارسي :"...ما رأيت رجلاً يفضل العجم على العرب إلاّ وفيه عرقٌ من المجوسية يترع إليه..." [1]، وبالتالي فإن الأمير أعطى الأسباب الأساسية التاريخية لاتخاذ المذهب الشّيعي كعقيدة من قبل الفُرس، وهو عداوتهم للعرب، وكون العرب السبب الأساسي في سقوط الحضارة الفارسية، أي ملك كسرى الأعظم الذي لم يكن يجاريه في تلك الفترة إلاّ الدولة البيزنطية أو روما الشرقية.

ويضيف الأمير أنّه لّما ترسّخت قدم الإسلام في بلاد فارس وزالت كل مظاهر الدين المجوسي، عَشق الفرس التشيّع عشقاً، وكان عامل هذا الحب هو كره العرب، ثم استدل بقول الفيلسوف الفرنسي رِنان الذي قال أن الفرس هم شيعة أولاً ومسلمون ثانيةً، ويختم الأمير مقاله بالتقارب الذي حدث بين الشيعة والسنة أواخر حكم الخلافة العثمانية والسبب هو الانحطاط الذي أصاب العالم الإسلامي ككل [2]، وهو كما يجري اليوم في عديد الدول في الشرق الأوسط، وبعد ظهور الكيان الصهيوني بفلسطين كان بعض التعاطف السنّي الشيعي ضد هذا الكيان، إلاّ أن عديد الأزمات أظهرت مدى التعصب المذهبي للطرفين الذي لازال ينخر في وحدة كل البلاد العربية الإسلامية في المشرق.

ويشرح لنا الأمير شكيب أرسلان بعض المصطلحات الشيعيّة وأسبقية ظهروها في الشام أو إيران؛ حيث يذكر أن الشيعة في برّ الشام استفردوا باسم المتوالة عن غيرهم والكلمة تعني الموالاة أي التشيع، ويضيف أن الإسماعيلية والدروز خرجوا من الشيعة، لأن الشيعة في لبنان استقروا في جبل لبنان قبل هاته الطوائف، ولازالت الكثير من عشائر الفريقين من القرابات والكلالات والأنساب المتحدة في الأصل تواتراً، ذلك خلفا عن سلف، وأن هذه الطوائف من أصل عربي [3]، وكان له رأيه حول السبق في ظهور هذه الطائفة في الشام أو في إيران.

ففي مقال له رداً على مراسليه، كان أحدهم من تبريز الإيرانية وكذلك أحمد أفندي رضا من جبل عامل، وقد ذكروا أن التشيع ظهر بالشام قبل الحجاز وفي العجم قبل العرب، فأجابهم أن التشيع بدأ من أيام علي كرم الله وجهه، أي عند وقوع الحرب بينه وبين معاوية رضي الله عنه، وانقسام الصحابة إلى طائفتين،

---

[1] المصدر نفسه.

[2] شكيب أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء1، ص ص156، 157.

[3] شكيب أرسلان، "**المتوالة أو الشيعة في جبل عامل**"، مجلة المقتطف، العدد 2، 01 أوت 1910، ص ص 739-743.

قسم مع علي وقسم مع معاوية، وفي تلك المرحلة لم يكن الإسلام قد تبسّط ببلاد فارس فكيف يكون التشيع قد ظهر بها، ثم يضيف الأمير أن الدعوة العباسية لما بدأت في خراسان اجتمع أهلها نصرة لبني هاشم التي ضمّت العباسيين وأبناء عمومتهم العلويين، ولا يصح أن نقول أن الدعوة العباسية هي نفسها الدعوة العلوية بل يقال هما شعبتان من أصل واحد[1].

ويذكر أمير البيان أن الأسباب التي جعلت الفُرس يعتمدون الدين الإسلامي، هو نسب سلمان الفارسي الذي كان يُعدّ من كبار الصحابة، وقد جعله عليه الصلاة والسلام من آله فقال :"سلمان منّا آل البيت"، ويضيف الأمير حيثيات مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من طرف أبي لؤلؤة المجوسي، وقيام عبد الله بن عمر بالثأر لأبيه بقتله للأمير الفارسي الأسير بالمدينة المارزبان والذي أعلن إسلامه سابقاً، فاحتج علي بن أبي طالب على مقتله لعدم توفّر الأدلة عن علاقته بأبي لؤلؤة ومقتل الخليفة عمر، فكان هذا الموقف في انحياز عبد الله بن عمر إلى جانب معاوية خلال الفتنة الكبرى، وهو ما اتخذه الفرس كدليل على حبّ عليّ بن أبي طالب لهم، أضف إلى ذلك قصة سبي بنات الملك الفارسي يزدجر زمن خلافة عمر، حيث أمر الخليفة ببيعهن كسبايا، فردّ علي أن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن، فأخذهنّ علياً ودفع بواحدة لعبد الله بن عمر، وأخرى لمحمد بن أبي بكر، والثالثة زوّجها لابنه الحسين والتي أنجبت له زين العابدين، حيث صار أحفاد عليّ بن أبي طالب يتّصلون بالنسب الفارسي[2].

ويضيف الأمير لتبيان المسألة من منطلق قومي سياسي، فيقول أنّ أهداف العجم الفارسيّين هو صدع وحدة الدولة العربية لأنهم ذاقوا ذرعاً بحكم دولة العرب التي بسطت سيادتها من إسبانيا إلى الهند، وكان شغلهم الشاغل استقلال بلاد فارس، وأوّل ما فكّروا به هو إنكار مشروعيّة خلافة أهل السنّة، والظهور بمظهر نصرة آل البيت، وقاموا يبينون للعرب مبادئ لا يمكن لأحد أن يُنكرها، وهكذا بدأ المذهب الشيعي ينشأ في إيران، وقد صاحب هذا المنشأ عشرات المعارك والملاحم، ليخدم العجم الفرس في قضيتهم القومية، وقد جدّدوا كثيراً من منازعهم القديمة[3]، حيث أدخلوا عديد الأفكار المجوسية على العقيدة الإسلامية الشيعية.

---

[1] شكيب أرسلان، "**التشيّع**"، مجلة المقتطف، العدد1، 01 جانفي 1911، ص ص 47 – 52.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء1، ص ص163، 164.

[3] المصدر نفسه، ص 185.

ثم أضاف الأمير ردّا على الفاضل التبريزي أنه لما لبّى أهل خراسان الدّعوة العباسية سنة **132** للهجرة، أما انقسام الشام والحجاز أيام الفتنة الكبرى فكان سنة **35** للهجرة، وبين الحادثتين قرن من الزمن، فكيف نقول أن التشيعّ ظهر بين العجم قبل العرب، ثم لما انقسم العلوية والعباسية وخرج محمد النفس الزكيّة على أبي جعفر أخو السفاح، واتبعه أهل المدينة وقاتلوا إلى جانبه حتى قُتل، و لم يكن خروجه بين العجم، و لم يقاتل أحدٌ معه من فارس، ثم خرج أخوه في البصرة إبراهيم طالبًا البيعة وانهزم أمامه سفيان بن معاوية أميرها، واتبعه خلق كثير، واستطاع الاستيلاء على الأهواز وواسط وسار إلى الكوفة، ثم انهزم سنة **145** للهجرة و لم ينصره أحد من أهل خراسان حسب شكيب أرسلان، ثم أضاف أن أول دولة قامت للشيعة كانت الدولة الفاطمية التي تأسست بالمغرب و لم يكن للعجم يد في تأسيسها، وكانت الحروب قائمة في بلاد فارس بين الشيعة وأهل السنة، و لم يكن المذهب الشيعي رسمياً في الأقطار الإيرانية ومذهب الدولة الرسمي يعود إلى أيام حكم الملوك الصفوية أواخر القرن التاسع الهجري[1].

أما التواجد الشيعي في لبنان وبالضبط في جبل لبنان بالنسبة للمذهب الإثني عشري كان قد ظهر في مناطق الفتوح وجبّة المنيطرة مع بداية القرن الخامس عشر بعد مرحلة من السرية منذ الصدامات التي حدثت ضد المماليك سنة **1305** ميلادي[2]، أي بعد تأسيس دولة المماليك الذي كان سنة **1250**م.

وقد أثنى أمير البيان على كتاب "أصل الشيعة وأصولها" وعلى مؤلفه محمد الحسين آل كاشف الغطاء، حيث أُعجب بفحوى الكتاب ومضامينه، وذلك عبر رسالة أرسلها الأمير للمؤلف بتاريخ شهر ماي **1933**م، واعترف بأنه استفاد بما جاء في الكتاب، حيث ذكر أن من خلال هذه الدراسة يتعرف القارئ أين تكمن مواطن الخلاف ومسائل الاختلاف بين أهل السنة و الشيعة، ثمّ يعترف الأمير لصاحب الكتاب أن اجتهاداته المُمثّلة في بحثه "أصل الشيعة وأصولها" ستكون سبباً في التقارب بين الطائفتين، وفي تضييق التباعد ما أمكن بينهما[3].

ثم أشار أمير البيان إلى كونه سيضع نقاط الاستفهام على المسائل الغامضة ليلتمس منه كشف الغطاء، ويقدّم ملاحظاته على كل النقاط التي ستعجبه وعلى كل نقطة على حِدة، ثمّ نوّه الأمير للمؤلف السيد محمد

---

[1] أرسلان، **التشيّع**، ص ص 47 – 52.

[2] رباح أبي حيدر، مرجع سابق، ص 49.

[3] شكيب أرسلان، مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص342.

الحسين أنّه سوف يرسل له الطبعة الجديدة "حاضر العالم الإسلامي" في أربعة مجلدات، ويضيف وبكل تواضع:"...وإن كنت أعلم أنّ الماس لا يقابل الزجاج، وأنّ الغوالي هي أغلى من الزجاج، والسلام عليكم..."[1]، فبالرغم من مكانته الأدبية وما له من خبرة في الكتابات التاريخية، ومطالعاته حول هذه القضية إلا أنّ الأمير كان متواضعًا ويصف مُؤلفات كاتب "أصل الشيعة" بالماس ومؤلفاته بالزجاج، والحقّ يقال أنّه قلّ ما نجد عند غيره من المؤلفين مثل هذا النبل والدماثة والمروءة.

وما نختم به هذا العنصر وحريٌّ بنا ذكره، كما كتبه أمير البيان، أنّ الإيرانيّين الشيعة انتفضوا على العرب عديد المرّات، وحاولوا تأسيس ممالك فارسية في وجه الخلافة العباسية، واحتفظوا باللسان الفارسي في وجه اللسان العربي، وتحيّزهم للفرقة العلوية كان سببه الأغراض السياسية، والقصد منها مقاومة الحكم العربي، ويضيف ويكرر أن التشيع لم يبدأ في إيران بل بدأ في الحجاز موطن العرب[2].

5 2 انطباعات الأمير حول الفكر الشيوعي:

يقول أمير البيان أنّ في الشريعة الإسلامية مبادئ اشتراكيّة عظيمة ومتينة، لكنّها تفترق عن المبادئ الاشتراكية المعروفة في أوروبا[3]، لاعتبار أن المبادئ الإسلامية أوثق وأمتن، لأنها في أوروبا موضوعة من طرف البشر، عكس ما هي عليه عند المسلمين فهي أوامر إلهية لا يستطيع المسلم أن يحيد عليها، ثم يذكر أهمية الزكاة في الشريعة الإسلامية، و أنه لو أتى المسلمون الزكاة على الوجه الشّرعي، لما بقي فقيرٌ واحدٌ على وجه الأرض، فكان الأولى بمن يدعون المسلمين إلى الاشتراكية التي كانت سبباً في ظهور الطبقية وإثارة البغضاء، بأن يدعوهم إلى إقامة هذا الركن من الدين شرط تنظيم جمعها وكيفية إنفاقها، مع جعل الحكومات الإسلامية نظارة خاصة بها[4].

ويرى الأمير أنه سيقلّ التفاوت بين الطبقات وفي درجات الرفاهية، لكنه يتأسف لحال المسلمين الذين أهملوا أهمّ ركن في الإسلام، لذا هم مهدّدون بخطر الاشتراكية والشيوعية التي خرقت جميع الحدود بمبادئها رغم المقاومة، ويضيف أن الاشتراكيّة تتفق مع الإسلام في نفي الجنسية والقومية، بحيث أن المسلم يعترف

---

[1] مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص342.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء1، ص187.

[3] فهمي جدعان، مرجع سابق، ص 515.

[4] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء4، ص ص 362- 363.

بأخوة المسلم مهما كان أصله، وكذلك الاشتراكي فهو يتضامن مع الاشتراكي في أيّ وطن كان، ومن أي أمّة كان وأن تفضيل الوطنية على الاشتراكية كتفضيل المسلم للقومية على الإسلام[1].

وفي سياقٍ آخر فقد حاول شكيب أرسلان التقريب بين أنور باشا وكمال أتاتورك بعدما ساءت العلاقة بينهما، لعدة أسباب منها أن كمال باشا قام بعزل كل القادة الموالين لأنور باشا والذين كانوا مقربين منه كثيراً، إضافة إلى رفض كمال أتاتورك خلال توليه رئاسة الحكومة التركية أن يؤسس أنور فروع حزب شيوعي بمساعدة روسيا في تركيا، لذا نصح الأمير أنور بعدم توسيع مجال الخلاف مع كمال الذي كان أعز أصدقائه، وفي الوقت الذي لازالت الحرب قائمة بين تركيا والحلفاء، أيّد كلامه الدكتور ناظم لكن أنور لم يجب كلامه لا بالسلب ولا بالإيجاب وقد كرر له تلك النصائح عند إقامتهم في برلين، وكذلك عند زيارتهم لروسيا في جويلية **1921م**[2]، وكان الرأي الذي منحه الأمير لأنور باشا ليس حباً أو ميولا للفكر الشيوعي، بل هي الدبلوماسية وعدم الصدام مع أتاتورك.

وفي المقابل كان كمال أتاتورك قد أرسل إلى حكومة موسكو مطالباً بعدم مدّ يد المساعدة لأنور باشا تخوّفاً منه، بعد الوعود التي مُنحت له من طرف البولشوفيك بإمداده بالمال والسلاح، لكنّهم كانوا يوظّفونه كطعم لتهديد الحلفاء، لكنّه –حسب الأمير– لم يصدقهم إطلاقاً، إضافة إلى أنهم كانوا يستخدمونه بغرض تهدئة الشعوب المسلمة في روسيا، رغم أن أنور قد أعلن للشيوعيين أنه ليس شيوعيا بل يجمعه بهم مقاومة الحلفاء وفقط، ويذكر أرسلان أن الروس الشيوعيين لا يركنون إلا لمن هو شيوعياً مثلهم قولا وعملا، ويضيف :" وكنت قد نبهته مرارا إلى خطر إقامته في موسكو قائلا له : ...إن الحمر لا يجهلون أنّك أكبر دعاة الجامعة الإسلامية اليوم، وهم يناهضون هذه الجامعة مثل مناهضة الإنجليز لها أو أكثر، لأن في روسيا لا أقل من 35 مليون مسلم... وهم يذكرون ماضي ملكهم وسابق عزهم، فلا شك أن الروس يحسبون ألف حساب للحركة الإسلامية، ويحذرون منها ومنك بنوع خاص....فإذا كانوا يعلنون للعالم مناصرته...فلا يعملون ذلك إلا بشرط البلشفة... ولا ينصرون الإسلام وهو على قواعده الحاضرة إذ يرون فيها من الخطر على التركستان الروسي ما يرى الإنجليز على الهند..."[3].

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء4، ص ص 362- 363. فهمي جدعان، مرجع سابق، ص515.

[2] شكيب أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص 176 – 179.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص 180.

وكان سخط المسلمين في روسيا كبير جرّاء قيام البولشفيك بنهب أموالهم وبلشفتهم بالقوة وقتل عشرات الآلاف في أذربيجان وقازان، وتركستان، وطاغستان [1]؛ كان شكيب لا يمل من نصح أنور باشا للخروج على الشيوعيين وقد فعل بعدما وجد حرب تركيا ضد اليونان سببا لخروجه من موسكو ولجوئه إلى أذربيجان ليقود حرب مسلمي روسيا من تركستان وباقي الأقاليم ويكبّدهم الخسائر في العتاد والعدد.

وفي مؤتمر جينوة التقى شكيب رئيس الوفد الروسي تشيتشرين، ليناقشه قضيّة أنور وثورته في أذربيجان والمناطق التي حولها[2].

أول زيارة لشكيب أرسلان إلى موسكو كانت بإلحاح من أنور باشا، حيث كان الأمير في بادئ الأمر رافضا للفكرة تماماً، وبعد اقتناعه كان مراده مشاهدة حالة الحمر بنفسه، فيقول في هذه المسألة :"...كان مرادي مشاهدة حالة الحمر بنفسي، والفحص عما إذا كان يصح الاعتماد عليهم في المسائل التي نحن فيها أم لا؟ وعمّا إذا كان هناك من أمل تستفيد منهم البلاد الشرقية والأمم المستضعفة أم لا ؟ فأقمت بموسكو شهرًا أجريت فيها بنفسي التحقيقات التي أردتها..."، وقد غادرها في أوائل جويلية **1921م** ليودّع أنور باشا ويكون آخر لقاء به[3].

يقول شكيب أن طلعت باشا مال في بادئ الأمر إلى البولشفيك، وكانت له صلة وثيقة بأحد زعمائهم وهو القائد "رادك"، وكان متفائلاً للعمل معهم، حتى قصد موسكو، وقبل قتله بأيام حدث الأمير أرسلان قائلا:"...إنّ هؤلاء نقضوا كلّ ما كانوا وعدوا به المسلمين من الاستقلال والحرية، واستأنفوا سياسة بلادهم القومية، أفلا ترى كيف فعلوا بأذربيجان، وضموها ثانية إلى روسيا، بعد أن كانوا اعترفوا باستقلالها..." [4]، وفيما بعد أقلع طلعت باشا تمامًا عن فكرة البلشفة حيث صار يراها خطراً على الترك والإسلام، ومساويةٌ للاستعمار في الخطر، لاسيما بعد استردادهم حرية من منحوا لهم الاستقلال من الشعوب الإسلامية ثم بالغوا في نهب أموالهم وقتل الرجال وإهلاك الحرث والنسل[5].

---

[1] شكيب أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 180.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص184.

[3] المصدر نفسه، ص191.

[4] المصدر نفسه، ص193.

[5] المصدر نفسه، ص197.

رغم البغضاء التي كان يحملها الإنجليز للبولشفيك، إلاّ أنهم كانوا يفضلون انتصار البولشفيك على أنور باشا في ثورته ضد روسيا لاستقلال الأمم الإسلامية، وبعبارة أوضح: فإن الإنجليز كانوا يرون أنّ الخطر الإسلامي أعظم من الخطر البلشفي؛ وقد كانت شائعات حول من هو المسؤول عن مقتل جمال باشا، لكن البعض يُحمّل البلاشفة ذلك، والبعض الآخر يرجع مسؤولية اغتيال كل الشخصيات المعروفة التركية لجمعيات أرمينية، كانت لها علاقات وطيدة بالبلاشفة الروس[1].

حتى الأمير لم يسلم منهم، حيث كتب في إحدى رسائله أن هناك جريدة في بيروت اسمها "الرابطة" تبثّ الأفكار البلشفية وتطعن في شخص الأمير، ويقول أنّه لم يطلع على ما كتبه، إلا أنّه يعلم أن هناك جمعية في بيروت تستقي مبادئها من مركزها الأصلي في باريس، وهدفها ظاهريا هو استقلال الحبشة في حين أنّ المقصد الحقيقي هو الانتقام من موسوليني[2]، الذي قضى على البلاشفة في إيطاليا قضاءً تاماً، فلا يقدر البلاشفة فتح أفواههم في موضوع استقلال الأمم لأن قيصرية روسيا عبثت كثيراً باستقلال الأمم المجاورة لها، لذا أرادوا الحديث عن استقلال الحبشة فليبدؤوا بأنفسهم كما قال أمير البيان[3].

ثم ذكر شكيب أنّ أحد شبّان بيروت حاملي الفكر الشيوعي خطب في المسجد الكبير في بيروت وطعن في حقّه، وهو من البلاشفة الذين تحركهم جمعية "بلسيكيا" بباريس، والمؤسف كما يقول الأمير أنّهم اتخذوا من المساجد حقلا لنشر سياستهم وأفكارهم الشيوعية، ويتحدث عن حادثة أخرى في جامع البسطة، ويقول :"فعسى أن لا تتكرر هذه الأمور وعسى أن لا تنتشر الدعاية الشيوعية بين المسلمين، فإن الشيوعية والإسلام لا يجتمعان في قلب واحد، والشيوعية مبدأ خراب لا شك فيه..."،[4]

---

[1] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص203.

[2] **بينيتو أندريا موسوليني** (1883-1945م) من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية، أسس ما يُعرف بوحدات الكفاح التي أصبحت النواة لحزبه الفاشي، الذي وصل به إلى الحكم سنة 1922م، مسيرته السياسية بدأها من ميلانو، ودخل بعدها إلى روما، سُمّي بالدوتشي أي القائد من 1930 إلى 1943م وهو من أبرز الشخصيات المهمّة في تأسيس الفاشية، شارك إلى جانب دول المحور في الحرب العالمية الثانية، حيث انهزم وحاول الهروب مع معاونيه، لكن القدر كان عكس ذلك، حيث أُعدم رمياً بالرصاص وعلّقت جثته بإحدى محطات البترين بميدان بياتزال لوريتو بميلانو، وللإشارة فعند مقتله كان يلبس معطفاً عسكرياً ألمانياً، وقد قُتل إلى جانبه عشيقته كلاريتا بيتاتشي التي بقيت معه حتى النهاية، وعُلقت معه في مشهد مأساوي، وكان ذلك في 27 أفريل 1945م. جوسيبي دي لونا، **موسوليني**، تر عادل دمرداش، تق وتح لمعى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م، ص ص15، 38، 39، 75، 155.

[3] أرسلان، مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر،ص 384.

[4] أرسلان، المصدر نفسه، ص 390.

وقد ذكر أمير البيان في إحدى مقالاته التي نُشرت على صفحات جريدة الفتح، أن الصحف الروسية أشدّ تحاملاً عليه من جرائد فرنسا لمقاومته للفكر الشيوعي، خاصّة بعد تقديمه لتقرير شديد اللهجة ضد الشيوعية خلال انعقاد المؤتمر الإسلامي في القدس [1]، وقد ذكر الأمير خلاصة انطباعه للفكر الشيوعي من خلال ذكره لشخصية لينين أبرز شخصيات الاتحاد السوفيتي، حيث قال أنّ لينين دمّر عرش أعظم قيصرية في العالم وحلّ محلّها بحكومة صعاليك مفاليس لم يسبق لها مثيل في العالم [2]، فيرى الأمير أنّ رجال البولشوفيك مجرد صعاليك لا غير.

5 3 مواقف الأمير من الحركة الوهابية:

ضمن مقال نُشر في مجلة "المقتبس"، تحدّث أمير البيان عن أحداث الحرب التي جرت بين الوهابية وأمير مكة، والتي كانت في ظل حكم الدولة العثمانية، والمعنون "بإمارة مكة المكرمة"؛ وصف الأمير فترة ظهور الوهابية بالفتنة النجدية واتساع مناطق نفوذ ابن عبد الوهاب وقام بنصرته آل سعود، حيث استولوا على نجد وجزء من اليمن، وذكر حادثة حبس علماء ابن عبد الوهاب لما ناظروا علماء الحرمين في مكة وأقاموا عليه البرهان والحجة وكتبوا عليهم حجة عند قاضي الشرع في مكة تتضمن الحكم عليهم ، فأمر أمير مكة مسعود بن سعيد بسجنهم، وحين وصل الخبر إلى ابن سعود ازدادت العداوة بينهم، فبادر النجديون بِهَجَمَاتِهم على القبائل الواقعة تحت حكم أمير مكة، وبعد الكثير من المعارك استطاع النجديون السيطرة على الطائف وجدة ثم مكة لكن الشريف غالب بمساعدة الدولة العثمانية استطاع استعادة تلك المناطق، لكن الوهابيّين جمعوا أعدادًا غفيرةً وحاصروا مكّة المكرمة حتى أصاب أهلها الجوع والعطش فصالحهم الشريف غالب، ليدخل النجديّون العصاة مكة كما وصفهم أمير البيان[3].

ثم استولوا على المدينة المنورة ليحكموا الحرمين سبع سنوات والدولة العثمانية في غفلة من أمرها وذلك لانشغالها بحروبها في أوروبا، حتى أصدرت أمرا لمحمد علي باشا في مصر ليرسل ابنه طوسون باشا على رأس جيش، لكنه انهزم، فأعاد محمد علي باشا الكرّة لكن بعد مراسلة الشريف غالب أمير مكة واستشارته اقترح عليهم استمالة مشايخ حرب بالمال، فسيطر على المدينة ثم الطائف وجدة، وفي سنة **1228** للهجرة، سار محمد

---

[1] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص 94.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص184.

[3] شكيب أرسلان، **"إمارة مكة المكرمة"**، مجلة المقتبس، العدد7، 01 جويلية 1913م، ص ص 660- 663.

علي بنفسه إلى مكة وأخذ بترتيب الأمور هناك ليرسل الجيوش إلى عسير وغامد وزهران لقطع دابر السعوديين كما كتب الأمير ذلك في مقاله، :"....فأخمد جمرتهم وأناط هناك معرتهم وأغرس نعرتهم...." لكن محمد علي عزف غالب عن منصبه[1].

كان ولاء الأمير عظيمًا للخلافة العثمانية، وبعد إلغائها اتجه نحو فكرة الوحدة العربية، لذا كان من الحكمة مجاراة الواقع السياسي والتغيرات التي طرأت بعد ذلك، فأعداء الأمس أصدقاء اليوم وأصدقاء الأمس أعداء اليوم، وحنكة الأمير في صناعة العلاقات السياسية جعلته محل أنظار الشخصيات النافذة في تلك الفترة، فكانت له الكثير من المراسلات مع هؤلاء الرؤساء والملوك، على غرار الملك السعودي عبد العزيز الذي كانت تجمعه بالأمير علاقة جيّدة.

وحسب الدكتور قاسم الرويس فإنّ شكيب أرسلان تحصل على الجنسية الحجازية وهي التي ساعدته على الإقامة في أوروبا كمواطن سعودي وأضْفت عليه جنسيته السعودية الطابع الشرعي، فقد كان الأمير معجبا بأعمال الملك عبد العزيز وقد عبر عن ذلك في عديد المقالات، وكان مهتما بشؤون الحجاز بداية بكتابة مقال في جريدة أم القرى تحت عنوان "الأشياء فوق الأشخاص"، ثم الكثير من المقالات في العديد من الجرائد، وفي رسالة بعثها إلى نبيه العظمة بتاريخ **1926/05/26م** كتب:" ثم إنّني بعد ذلك أطلعت على بعض مراسلات سرية أكدت لي أن ابن سعود لا يفرط في حقوق العرب، وأنه باذل الجهد في تقليص النفوذ الأجنبي في الجزيرة..."، وهنا نقف متسائلين عن سبب سريّة تلك الرسائل، هل كانت بينه وبين الملك عبد العزيز مباشرةً أم عن طريق وسطاء، أو حصل عليها بشكل آخر و لم يكن طرفا فيها بل استخلص من خلال مضامينها نوايا الملك عبد العزيز وقد أخذ الأمير انطباع ايجابي عنه[2].

وقد عبّر الأمير عن مساعي عبد العزيز بن سعود في صيانة الاستقلال العربي من خلال تدخله لحماية الثوار الدروز في سوريا بعدما حاصرتهم القوّات الفرنسية وهددتهم الجيوش البريطانية فقال في حقّه :"...ولولا أن قيَّض الله عبد العزيز ابن سعود لصيانة الاستقلال العربي في قلب الجزيرة العربية لكانت سيوف الإفرنج تعمل الآن في رقاب العرب بين مكّة والمدينة...."، وحين حوصرت قوات شقيقه عادل أرسلان وسلطان باشا الأطرش، قالا للإنجليز :"...نحن قاصدون إلى أراضي ابن سعود فليس لكم أن تلحقونا إلى هناك، وليس لكم

---

[1] أرسلان، "**إمارة مكة المكرمة**"، ص ص 660- 663.

[2] قاسم الرويس، مرجع سابق، ص 3.

في أرض ابن سعود أدنى يد علينا، فقصدوا واحة النّبك، وقال الأمير أنهم تفيّأوا في ظلال تلك الراية العربية الحقيقيّة، ويضيف أنه لولا ظلّ ابن سعود لما قدروا أن يستقرّوا في مكان، ولضاقت عليهم الأرض بما رحبت وكان لعبد العزيز دور بارز في الحفاظ على استقلال تلك المناطق الحدودية من أطامع الإنجليز [1].

وقد اهتم الأمير بالحجاز والشام كتابة عبر عديد الجرائد محذرا من الأهداف الاستعمارية وأطماع الدول الأوروبية في المنطقة، ثم أكد أنّ ابن سعود أصبح كالشوكة في حلق بريطانيا بعد سيطرته على الجوف وما حولها، ثم يضيف أن على ابن سعود إطفاء نار الفتنة التي نشبت بينهم وبين الأشراف لقطع الطريق أمام أطماع البريطانيين[2]، كذلك برّأ أمير البيان آل سعود في مسألة الاتهامات التي أُلصقت بهم حول هجمات قبائل مطير وغيرها من قبائل نجد على العراقيين في الحدود بين العراق ودولة السعودية، في الفترة التي كانت العراق تناضل لاستقلال أراضيها من الانتداب البريطاني، فكانت الدسائس تُحاك من طرف الإنجليز لكن آل سعود حالوا دون ذلك حسب ما يُشاع في تلك الفترة من خلال مضمون رسالة الأمير التي أرسلها إلى محب الدين الخطيب صاحب جريدة الفتح بتاريخ **13** مارس **1931م**[3].

وقد شارك الأمير إلى جانب وفد تشكل على هامش المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة **1934**م قصد التوسط بين دولتي السعودية واليمن بعد الحرب التي وقعت بين الأشقاء، وقد وُفق هذا الوفد الذي تكوّن من الحاج أمين الحسيني، وهاشم الأتاسي ومحمد علي علوبة إضافة إلى شكيب أرسلان في مساعيه [4]، وفي هذه المرحلة يبدو أن الأمير أظهر إعجابه بابن سعود وأعمالهم، ليقتنع بحكمهم للحجاز رغم الفكر الذي اعترض عليه في ما مضى كما أوردنا في مقاله المذكور سلفاً.

وفي كتابه "مقالات للمستقبل أبحاث خطب محاضرات وذكريات شخصية" علق على النهضة العلمية والدعوة الوهابية، حيث ذكر جهود النجديين في القضاء على الأمية بفرض إجبارية التعليم وأن التعليم عندهم في مقام الجهاد، وأن فقهاءهم ومعلميهم يجوبون البوادي والحواضر لفتح الكتاتيب، في حين أنّ هناك من

---

[1] شكيب أرسلان، **زمن العروبة الأبتر، مقالات للأمير شكيب أرسلان في صحيفة الفتح**، الدار التقدمية، لبنان، د د ن، د ط، ص33.

[2] قاسم الرويس، مرجع سابق، ص4.

[3] أرسلان، **مراسلات أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص 261- 265.

[4] الشرباصي، شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية، ص76.

ينقدهم ويصف التعليم النجدي بقدم الأسلوب وأنّه لا يُساعد على الرقي المدني، ليرد الأمير عليهم بأن قولهم مردود لأن النجديين هدفهم القضاء على الأمية وهذا أسمى مراتب العلم في المجتمعات[1].

يقول الأمير :" ثمّ إن مترع النّجديين في الدين مترع إصلاح وترقية وتنقية، ومشربه بعيد بالمرّة عن الخرافات، فهو مشرب إصلاحي مستحب جدا في العصر الحاضر، وإذا سألت الأوروبيين أنفسهم قالوا لك : إن مثل هذا المشرب هو الذي فك قيود الأفكار وحل عقال العقول في أوربا، وكان فاتحة عهد الارتقاء، وكثيرا ما أطلق الأوروبيون على الوهابية لقب (بروتستان الإسلام)..."، ثم يثني الأمير على جهود الملك السعودي عبد العزيز بن سعود في بناء العمران وشق الطرقات واستخدام التلغراف السلكي واللاسلكي، وتجهيز جيشه بالطائرات وكان السبّاق لذلك في الشرق كلّه، ثم يضيف قائلا :" فالوهابيون يقبلون كل إصلاح ما لم يصادم الدين، والعلم والدين لا يتصادمان في الحقيقة إلا عند من لم يحسن فهم كل منهما[2].

وفي زيارته إلى الحج سنة **1929**م والرّحلات التي قام بها إلى معظم بقاع الحجاز علق الأمير على أعمال الوهابيين وإجراءاتهم، فلما كان بالطائف آتى قاضي قضاة مكة الشيخ عبد الله بن الحسن، وهو من ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث رأى القاضي بجانب الضريح العباسي خلف الجدار شجرة سدر صغيرة فأمر بقطعها، خشية أن يتبرك العوام بها، فيقول الأمير:" فلا إنكار أن الوهابيين يبالغون في الهدم والقطع والنقض والقلع، كلما مروا بقبة أو مزار أو شجرة تعلق عليها خرق تقشعر جلودهم من هذه المناظر"، ثم يعترف بأن أعمالهم لا تحيد عن الشرع رغم غلوهم[3].

ثم أنه أثنى على العلماء النّجديين أي الوهّابيين حينما استفتاهم الملك عبد العزيز بن سعود في قضية اللاسلكي والتلفون والسيارة الكهربائية حيث أجابوه بأنها محدثات إيجابية ولا يوجد في القرآن ولا السنة ما يمنعها رغم أنهم أبعد المسلمين عن التغريب[4]، فاستثنى الأمير علماء الوهابية عن الجامدين في الإسلام الذين هم سبب تخلف المسلمين.

---

(1) شكيب أرسلان، **مقالات للمستقبل أبحاث، خطب، محاضرات، وذكريات شخصية**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط1، 2010، ص63.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص 64.

(3) شكيب أرسلان، **الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف** ، وهي الرحلة الحجازية لأمير البيان ونادرة الزمان، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، ط1، 1350 ه، مطبعة المنار، مصر، ص144.

(4) شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 68.

في حين عند مقارنة الفكر الوهابي بالطريقة السنوسية، فقد قال الأمير أن الوهّابية أصابها الغلوّ والإفراط، حيث أورد في تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي ما يلي :"...سبق ذكر مجمل الدعوة الوهابية وأنها إصلاح ديني وإنابةً إلى عقيدة السلف الصالح لولا ما أصابها من الغلو والإفراط...أما السنوسية فهي طريقة عمل بالسنّة والشريعة بدون شرط ولا قصور..." [1]، حيث أن أمير البيان يجعل من الطريقة السنوسية أقرب إلى السنة والشريعة من الوهابية.

لذا كان الأمير يدرك جيّدًا ما هي الدبلوماسية وكيف يتعامل مع القادة السياسيّين من كل الديانات والطوائف، فرغم إيديولوجيته وتأثير حاضنته في بدايات نشأته إلاّ أنّه كان مترفعًا عن مصالح طائفته لحساب المصلحة العامّة للأمّة، وكان أثر احتكاكه بمحمد عبده والأفغاني ظاهرًا على شخصيته الفكريّة والسياسيّة، وبأفكاره هذه أثّر على مسار الحركات الوطنية في المغارب، بدايةً بليبيا من خلال جهوده المادية الحربية، وخاصة الإعلامية، كما سنبيّنه في الفصل الموالي.

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص141.

الفصل الثاني

الفصل الثاني : الاحتلال الإيطالي لليبيا وجهود شكيب أرسلان الدبلوماسية وعلاقته برموز الحركة الوطنية.

1 -الوضع العام في ليبيا العثمانية أواخر القرن **19** وبداية القرن **20**.

2 -الجهود الإيطالية الدبلوماسية لاحتلال ليبيا.

3 -التمهيد السلمي للاحتلال الإيطالي لليبيا ودوافعه.

4 -بداية الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب وموقف الدولة العثمانية منه.

5 -جهود أمير البيان لخدمة القضية الليبية.

6 -علاقة أمير البيان برموز الحركة الوطنية الليبية ودوره في المفاوضات مع الإيطاليين.

7 -آراء الأمير في الفاشية وحملته الإعلامية على ممارسات إيطاليا الاستعمارية في ليبيا.

يقول الأستاذ ناصر الحكيم في مؤلفه "جدلية الفكر والعمل عند شكيب أرسلان" مايلي :".... كان انتقال أرسلان نهائياً إلى الحظيرة العربية بُعيد اندلاع الثورة السورية الكبرى ومنذ ذلك التاريخ كرّس أرسلان جلّ اهتمامه بقضايا العرب، فلم يكن سورياً بقدر ما كان عربياً وقد أثبت بنضاله الدؤوب أنّه لم يعمل لقطر عربي دون آخر، أو لملك أو رئيس فكانت كل بلاد العرب عنده سواسية، تلك كانت ميزة أساسية في عمله السياسي وهي ميزة نادرة"[1].

وقد تجلّى ذلك في متابعته لكل القضايا العربية وربطه لشبكة علاقات واسعة مع أبرز الشخصيات السياسية في العمل النضالي العربي، فكانت اتصالاته من الشرق إلى الغرب لا تنقطع، وكتاباته حول المغرب العربي لا تنفد، ونقده لسياسة التسلط الاستعماري بصراحة وبقوة بلاغته عبر منابر الإعلام العربي، وكان له جهود مضنية في طرابلس الغرب التي زارها أيام حربها ووقف على جبهات القتال فيها، وبذل مساعي حثيثة على الصعيد العربي الإسلامي وعلى صعيد المفاوضات مع الطرف الإيطالي في سبيل رفع الغبن عن أهالي ليبيا الذين تعرضوا لكل أنواع ممارسات القمع والقهر من طرف جنرالات الفاشية الإيطالية.

1) الوضع العام بليبيا العثمانية أواخر القرن 19 وبداية القرن 20 :

تتوسط دولة ليبيا العالم العربي، وهي من دول شمال إفريقيا، موقعها الجغرافي كان سببا في سقوطها على يد الاحتلال الإيطالي، لقربها الجغرافي من إيطاليا، وقد تأخر احتلالها لموقعها غير الاستراتيجي مقارنة بالدول الأخرى على غرار الجزائر، مصر وتونس، ولبيئتها الصعبة، حيث تتربع على أكثر من **1760000** كلم^2، أغلبها صحراء وأراضٍ قاحلة لا تصلح للزّراعة، رغم امتلاكها لشريط ساحلي ناهز **1900** كلم، وواقعٌ جنوب البحر الأبيض المتوسط.

فمع مطلع القرن العشرين لم تكن الحدود رسمية بعد بين دول المغرب العربي، لذا فهناك مصادر تتحدث عن أن مساحة ليبيا لم تتعدى مليون و **51** ألف كلم^2، قُبيل الاحتلال الإيطالي، في المرحلة التي كانت فيها ليبيا أو طرابلس الغرب كما كانت تُسمى عبارة عن ولاية عثمانية[2].

---

[1] ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص76.

[2] أنطوان الجميل، "**السنوسيّون**"، مجلة الزهور، نوفمبر 1911م، السنة الثانية، ج7، ص373.

1-1 الوضع السياسي في ليبيا أواخر حكم آل عثمان:

كانت تُدار شؤون ولاية ليبيا من إسطنبول مباشرة منذ سنة **1835**م، أو ما يعرف بالعهد العثماني الثاني، بحيث كان السلطان العثماني يُعين حاكما على ليبيا بفرمان سلطاني، وقد حكم ليبيا بين سنتي **1835**م و**1911**م **33** والياً[1]، وقد عرفت البلاد حركات المقاومة والرفض لحكم الولاة المستبدين والتسلط باسم الخليفة الإسلامي وولايته الدينية، واستنكار فرض الضرائب المتعددة على المزروعات ورؤوس الماشية، فكانت انتفاضة سيف النصر بإقليم: "فزان"، وثورة غومة المحمودي بجبل نفوسة، وفي برقة ظهرت الحركة السنوسية [2] كحركة إصلاحية مهددة للوجود العثماني في المنطقة [3]، لذا أعاد العثمانيون سيطرتهم على طرابلس الغرب وبرقة بقوة السلاح عبر حصار عديد المدن التي تفشى فيها وباء الطاعون ووصل عدد الضحايا حسب إحصائيات قضاة مقاطعات طرابلس سنة **1837**م إلى أكثر من **80** ألف ضحية[4].

وبعد مقتل الثائر عبد الجليل وعديد القادة سنة **1842**م في نواحي سرت بعد لقائه بالقنصل الإنجليزي وتعهده بتقديم العون له، فأثار مقتله الشكوك وعلاقة الإنجليز بذلك [5]، ليأتي الدور على غومة الذي رغم تقديمه الولاء للأتراك والطاعة للوالي الجديد محمد أمين باشا الذي أمر باعتقاله ومن معه من الأشخاص –ابنه الأصغر، وابن عمه ميلود، وابن أحمد المريض الذي قُتل مع الثائر عبد الجليل– ثم وُضع ومن معه على سطح إحدى السفن التّركية ونُقل إلى إسطنبول، ثم إلى طرابزون بالبحر الأسود، مما أثار حفيظة سكان الجبل الغربي فثاروا مجددًا، ليخمد ذلك التمرد القائد العثماني أحمد باشا ويُسيطر على الوضع في أفريل **1843**م، وبعد شهر من تلك الحوادث دعا القائد التركي شيوخ الجبل إلى مقر قيادته لإكرامهم ووزع عليهم الأموال والبرانس

---

(1) الأمين ميلاد الأمين إبراهيم ، **"الأوضاع السياسية في المنطقة الغربية من ليبيا قبل الاحتلال الايطالي قبل 1912م"**، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد الثامن عشر ، سنة 2017م، الجزء 2، ص 3.

(2) يقول في حقها الأمير أنها طريقة تعمل بالسُنّة والشريعة بدون شرط ولا قصور مؤسسها سيدي محمد بن علي السنوسي الخطابي، أصله من الجزائر من قبيلة مجاهر بنواحي مستغانم، ونسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وقال الأمير أنه اطّلع على شجرة عائلته، ثم قال أن عدد أفراد هذه العائلة يصل إلى حوالي 70 ألف نسمة، وينضوي حولهم حوالي 200 ألف شخص، أكثرهم من عمالة وهران غرب نهر الشلف ويترأس هذه القبيلة أحمد الشارف بن تلوك، وهو شيخ الطريقة السنوسية بالقطر الجزائري، ثم يضيف الأمير أن هذه الطريقة تُمنع من نشر تعاليمها في المغرب من قبل فرنسا. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص141.

(3) إبراهيم فتحي عميش، **التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا**، برنيق للطباعة والترجمة والنشر، ط1، 2008م، ص23.

(4) إيتوري روسي، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م**، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي، مكتبة الإسكندرية، توزيع الدار العربية للكتاب، ط2، 1991م، ص 428.

(5) إيتوري روسي، المصدر نفسه، ص 431.

بسخاء، لكنها المكيدة والمكر، فحسب إيتوري روسي فإن القائد أحمد باشا قام بقتل ضيوفه عن آخرهم ونقل **65** رأساً إلى الأستانة[1].

باشرت السلطات العثمانية بعد هذه الثورات تغييرات جذرية في النظام الإداري الليبي فبعد سنة **1843م** قسمت الولاية إلى سنجقيات وقائمقاميات، وفي سنة **1869م** أنشئت في طرابلس المحاكم المدنية والتجارية والجنائية وظل الوضع على حاله في باقي المقاطعات، وفي سنة **1879م** قسمت ليبيا إلى مقاطعتين :ولاية طرابلس ومتصرفية بنغازي وقد ألحقت هذه الأخيرة إلى الحكومة المركزية في الأستانة ووضعت تحت الحكم المباشر لها، وكان على رأس الولاية باشا يعينه السلطان العثماني لمدة محددة ويساعده على الحكم مجلس الإدارة وتنقسم ولاية طرابلس الغرب إداريا إلى أربع سنجقات، يرأسها متصرف يتبع الوالي، وينقسم السنجق إلى أقضية (مفردها قضاء) أي مقاطعات، يدير شؤونها قائمقام، وتنقسم بدورها إلى نواحي يترأسها مدير.[2]

وحسب المؤرخ الإيطالي فرونشيسكو كورو [3] فإن متصرفية بنغازي(برقة) كانت مستقلة نهائيا عن ولاية طرابلس، لذا كان يعين على رأسها متصرف مدني أو عسكري من قبل السلطان مباشرة وبنفس اختصاصات والي طرابلس، بينما كان تابعاً للقيادة العامة بطرابلس باعتباره قائدا للقوات العسكرية لمتصرفيّة بنغازي، كذلك السلطات البريدية والجمركية والقضائية تابعة لولاية طرابلس، والتنظيم الإداري في بنغازي مماثلٌ للتنظيم في طرابلس حيث يساعد المتصرف مجلس إدارة، لكن السلطة العثمانية كانت قوية في المناطق الآهلة خاصة في الساحل وضعيفة في الداخل إزاء القبائل الرُحّل البدوية، وتكاد تكون منعدمة في مناطق الواحات الجنوبية حيث كان السنوسيون مسيطرين على تلك المناطق، فكان شيوخ الزوايا والإخوان يتمتعون

---

(1) إيتوري روسي، مصدر سابق، ص 433.

(2) فرانشسكو كورو، **ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني**، تع وتق خليفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط2، 1984م، ص 26.

(3) **فرانشسكو كورو** : هو ضابط إيطالي شارك في حرب بلده ضد الليبيين، وقد كان له دور بارز في احتلال بعض المناطق في ليبيا تحت قيادة الجنرال غراتسياني في المناطق الجبلية والغربية لطرابلس سنة 1922 ، وقد قام الضابط كورو باحتلال نالوت في 06 جويلية 1922، وشارك في كل مراحل الحملة العسكرية الإيطالية على الغرب الليبي، كما كان له دور جد هام في المكيدة التي أُحيكت ضد خليفة ابن عسكر والتي أدّت إلى القبض عليه ثم إعدامه كما ذكرها الجنرال غراتسياني في كتابه "نحو فزان"، وقد اهتم الضابط كورو بالدراسات الثقافية والتاريخية منها فكانت له مؤلفات عدة تناولت الزراعة الرومانية بجبل نفوسة، ودراسته الطوبوغرافية للطريق الروماني من زوارة (بسيدا) إلى لبدة وهناك عديد الدراسات التي قام بها تخص دولة ليبيا. فرانشسكو كورو، المصدر نفسه، ص ص7، 8.

بالنفوذ القوي لدى سكان الجنوب، حيث يذكر المصدر أنّ لطريقتهم الصوفية في برقة فقط **43** زاوية، وتمتلك الأراضي المنتجة والكثير من التجهيزات والأسلحة[1].

أما عدد سكان برقة حسب إحصاءات الدولة العثمانية قُبيل الغزو الإيطالي فقد قارب المئتي ألف نسمة (**200000**)، أما الرحالة الذين زاروا المنطقة فقد قدّروا عدد سكان متصرفية برقة قبل الاجتياح الإيطالي بسنوات بحوالي **230000** نسمة[2].

لم تكن هناك إصلاحات حقيقية قد مست مجالات الحياة للسكان الليبيين، لكن السيطرة الفعلية للحكام العثمانيين لم تتعدى المدن الساحلية في أغلب الأحوال، واقتصرت علاقة الحكام العثمانيين على أعيان البلاد، حيث ربطتهم المصالح الشخصية، بهدف الحفاظ على مكانتهم الاجتماعية ومصالحهم الاقتصادية، دون مراعاة مصلحة المواطن البسيط[3].

في خضم النشاط السياسي الذي شهده المشرق العربي وانتشار حركة الوعي الوطني والقومي، وفي إطار المنافسة الاستعمارية الأوروبية على أقاليم الدولة العثمانية، التي توالت في السقوط الولاية تلو الأخرى بدأت الأنظار تتجه نحو ليبيا، خاصة بعد احتلال الجارتين في الشرق والغرب، الاحتلال الفرنسي لتونس سنة **1881**م، والاحتلال البريطاني لمصر سنة **1882**م؛ هذا الوضع ساهم في ظهور أولى التجارب السياسية، وقد أكّدت معظم الكتب التاريخية أنّ في الفترة التي حكم فيها الوزير العثماني " أحمد راسم باشا"، وفي سنة **1882**م، قام مجموعة من الشباب المثقف الليبي بتأسيس جمعية سرية، بعد استئجار مكان لهم في المدينة تحت اسم :"فوائد ونصائح خيرية"، اتخذوا هذا الاسم لتغطية نشاطهم السري[4].

لكن هذا النشاط الجمعوي السري اكتشف من طرف السلطات العثمانية، فقامت بالتحقيق معهم لمدة ثلاثة أشهر عبر المدعي العام الذي وضع لائحة لمجموعة الاتهامات الموجهة لهم، وهم :"إبراهيم سراج الدين، وأحمد النائب، وحمزة المدني" وهناك أسماء أخرى وردت في التقارير الخاصّة بالتحقيقات التي أجريت معهم[5].

---

(1) فرانشسكو كورو، مصدر سابق، ص ص 27-29.

(2) فرانشسكو كورو، المصدر نفسه، ص30.

(3) الأمين ميلاد الأمين إبراهيم ، مرجع سابق، ص 3.

(4) إبراهيم فتحي عميش، مرجع سابق، ص ص 23، 24.

(5) إبراهيم فتحي عميش، المرجع نفسه.

تعرضت ولاية طرابلس الغرب للإهمال والتهميش الاقتصادي والاجتماعي أواخر الحكم العثماني، إضافة إلى ذلك قامت السلطات العثمانية بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني (**1876م-1908م**) بتجريد الليبيين من أسلحتهم، والقيام بإجراءات التفتيش داخل زوايا السنوسيين، بغرض جمع كل أنواع الأسلحة خوفا من استخدامها ضدهم في أية ثورة أو انتفاضة شعبية كالتي ذُكرت سابقاً، يصف الأستاذ سامي هاشم خيالة الحكم العثماني في ليبيا بالفوضوي لا الإصلاح، حيث تفشّي الجهل لقلّة المدارس، وارتفعت نسبة الفقر لتراجع التجارة وعدم الاهتمام بالزراعة وانعدام الصناعة، وظهرت الأمراض بأنواعها لقلّة المستشفيات والأطباء[1].

يصف الأستاذ محمد إبراهيم لطفي المصري اليوزباشي صاحب كتاب "تاريخ حرب طرابلس" الوضع الليبي في عهد الحكم العثماني المباشر فيقول :"....فقد جاء الحكم العثماني نكبةً على الوطن وأهله، فسرعان ما أبدلوا كل شيء عربي في نظام الحكومة وجعلوها مستعمرةً تركية محضة، فجعلوا لغة الدواوين الحكومية في كافة أعمالها هي التركية، وحرموا من الوظائف الكتابية والإدارية والعسكرية من لا يعرف اللغة التركية، كما جعلوا التعليم في المدارس الحكومية إجبارياً باللغة التركية..." [2]، وهذه الإجراءات كانت في معظم الولايات العربية التّابعة للدولة العثمانية آنذاك كما ذكرنا في الفصل الأول[3].

لكن أواخر حكم آل عثمان والفترة التي حكم فيها بعض ولاة الدولة العثمانية في طرابلس الغرب وبرقة أمثال أشقر باشا والمشير رجب باشا ورشيد باشا في بنغازي، وُصفت بالعصور الطيبة كما كتب محمد إبراهيم لطفي؛ ولّما نظّمت تركيا الانتخابات الخاصّة بالدستور سنة **1908**م، نظّمت كذلك عام **1909**م انتخابات البرلمان التي شهدتها ليبيا كذلك، فاختار الليبيون من يمثلهم في البرلمان العثماني من أبناء البلاد، فزادت بذلك محبة الليبيّين للدولة العثمانية كما ذكر صاحب كتاب "تاريخ حرب طرابلس"[4].

---

[1] Sami H Khayala, European States Position From the Libyan-Italy War 1911-1912, Doctor of Philosophy (Modern & Contemporary History) Under the supervision of Dr. Faisal Abdul-Jabbar 2011, Complementing the requirements for obtaining a PhD in modern history St. Clements Global, p p 26, 27.

[2] محمد إبراهيم لطفي المصري اليوزباشي، **تاريخ حرب طرابلس**، مطبعة الأمير فاروق، مصر، 1947، ط1، ص 19.

[3] يُنظر في الفصل الأ,ل ص 34.

[4] محمد إبراهيم لطفي المصري اليوزباشي، المصدر نفسه، ص 21.

2-1 الجيش في ليبيا خلال العهد العثماني الثاني:

أمّا من الناحية العسكرية فقد حاولت الدولة العثمانية تشكيل جيش محلي أهلي من المشاة يتكون من عناصر مختلفة تنتمي إلى القبائل الساحلية، لكن كانت النتائج ضعيفة والإقبال شبه منعدم للشباب الليبي، ورغم ذلك استطاعت تكوين قوة من القبائل القولوغلية [1] في طرابلس، وصل عددها إلى نحو ثلاثة آلاف فارس منظمين تنظيمًا عسكرياً[2].

ولّما اتضحت نوايا الإيطاليين سارعت الدولة العثمانية إلى إرسال عشرة آلاف عسكري عثماني إلى ليبيا بعد الغزو الفرنسي لتونس سنة **1881م**، مما اضطر الإيطاليين إلى تأجيل الغزو لنحو ثلاثين سنة، وبعد تراجع القوة العثمانية وسحب معظم قواتها من ليبيا لتتجه إلى اليمن والقضاء على ثورتهم هناك، وجدت إيطاليا الفرصة سانحة لتطبيق مخططاتها الاستعمارية، وكان للقنصل العثماني حقي باشا [3] في روما دورٌ بارزٌ في سحب تلك القوات من طرابلس وبرقة وتوجيهها نحو اليمن، فلمّا سُئل من طرف المسؤولين في الباب العالي عن مخاوفهم من أطماع إيطاليا في ليبيا ومدى جاهزيتهم العسكرية لاجتياحها، أجاب بالنّفي وبإمكانهم سحب ما يشاؤون من ليبيا من قوات لدعم جيوشهم في اليمن[4].

وقد أشار أمير البيان إلى هذه النقطة الخاصة بالصدر الأعظم حقي باشا، حيث قال أنه سمع كلاماً مهيناً بسبب إهماله وعدم وضع الاحتياطات اللازمة لحماية أقاليم الدولة العثمانية، لأن سعيد باشا رئيس مجلس الأعيان ذكر أن مطامع إيطاليا لم تكن مجهولة عند تركيا، وأن إيطاليا قدّمت سنة **1904م** مذكرة إلى الباب

---

[1] **القولوغلية:** هي قوة عسكرية للفرسان تنتمي لقبائل يصطلح عليها بالقولوغلية وهم من أحفاد وسلالة الإنكشارية الذين كانوا في خدمة الاتراك بين سنتي 1551 و1711، كانوا يقطنون بنواحي طرابلس الغرب، واكتسبت هاته القبائل باستطاعتها تجميع حوالي ثلاثة آلاف فارس منظمين تنظيما عسكرياً محكماً مهمتهم مساعدة السلطات في السلم والحرب مقابل إعفائها من الضرائب، وقد ساعد هؤلاء النظام العثماني في تسيير شؤون ولاية ليبيا طيلة فترة حكمهم فيها.

[2] فرانشسكو كورو، مصدر سابق، ص 133.

[3] حقي باشا (1862-1918م): سياسي تركي يُعد أبرز رجال الدولة مطلع القرن العشرين، تخرج من المدرسة الرشدية العسكرية، تعلّم اللغتين الفرنسية والإنجليزية، أصبح مترجما في البلاط العثماني، وأستاذا في كلية الحقوق، بعد عام 1908م عُين وزيرا للمعارف ثم وزيرا للداخلية، وفي عام 1909م عُين سفيرا في روما، وبعدها مباشرة رئيسا للوزارة، خلفا لحسين حلمي باشا، استقال من منصبه بعد عام 1911م ليعود للتدريس في الجامعة، أُرسل للتفاوض مع البريطانيين وبقي هناك 18 شهرا، ثم عين سفيرا للدولة العثمانية في برلين عام 1916م، ثم وافته المنية هناك بعد سنتين، ونُقل جثمانه إلى اسطنبول ودُفن هناك. الموقع الإلكتروني معرفة، الرابط:
https://www.marefa.org/%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85_%D8%AD%D9%82%D9%8A_%D8%A8%D8%A7%D8%B4%D8%A7، تاريخ الزيارة: 2023/02/02، 15:30.

[4] Sami H Khayala, op cit, p p 27, 28.

العالي بعد اتفاقها مع فرنسا وانجلترا مفادها :" ...إنّها ما دامت الحالة غير متغيّرة في البحر المتوسط، فإن إيطاليا لا تدعي بشيء في طرابلس الغرب، ولكن إذا حصل تغيير في البحر المتوسط يخل بالتوازن الدولي فهي مضطرة أن تتخذ تدابير لوقاية مصالحها..."، فاضطر حقي باشا إلى تقديم استقالته مغضوباً عليه، و لم يقدر حتى أن يدافع عن موقفه بعد أن ثبتت ضده كل التهم[1].

ورغم صدور قانون التجنيد الإجباري في ليبيا سنة **1902** من طرف السلطات العثمانية، لم تستطع الدولة العثمانية تشكيل جيش ليبي يعنى بأمور الولاية وحمايتها من كل الأطماع الأوروبية، والسبب في فشل هذا القانون هو تجريد القولوغلية من امتيازاتهم وبالأخص عدم دفع الضرائب، فسقطت نتيجةً لذلك التزاماتهم العسكرية تجاه السلطة العثمانية التي منعتهم بعد ذلك من حمل السلاح، كما أن القانون لم ينفذ تنفيذا مبدئياً إلاّ أوائل سنة **1911م**، أضف إلى ذلك المناوشات والمظاهرات العارمة التي حدثت بعد صدور هذا القانون وأثارت مشاكلَ خطيرةً في كافة أنحاء ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية برقة، ورغم العزيمة التي توفرت بعد الفرمان السلطاني الذي أصدر في السنة نفسها أي في **1911م**[2] إلاّ أنّ الاحتلال الإيطالي أوقف كل مشروع وكل قرار عثماني، لتتعامل الدولة العثمانية مع واقع جديد في ليبيا.

في السنة التي تعرضت لها ليبيا للغزو الإيطالي لم تكن أمورها العسكرية كما يجب، فقد ذكرنا سابقاً أن معظم فرق الجيش العثماني نُقلت إلى اليمن للحاجة الملحة للجيش هناك، فبقيت ليبيا لقمة صائغة للإيطاليين، ففي ماي **1911م** كانت الفرقة **42** بقيادة مشير تُرابض بطرابلس الغرب وبرقة، والتي تتكون من :

- كتيبة من الرماة (نيشانجي).
- أربعة آلايات(ألوية) من المشاة، كل آلاي(لواء) يضم ثلاثة كتائب.
- آلاي فرسان ، الآلاي يحوي ثلاثة فصائل.
- آلاي مدفعية ميدان، مكونة من مجموعتين، كل مجموعة بثلاث بطاريات، بطاريات مكونة من أربع قطع من عيار **7.5** طراز كروب.
- كتيبة من مدفعية الحصون، بثلاثة سرايا[3].

---

(1) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ملحق الجزء الأول، ص 352.

(2) فرانشسكو كورو، مصدر سابق، ص ص 134، 135.

(3) فرانشسكو كورو، المصدر نفسه، ص ص 135 136.

و لم تكتمل تجهيزات الفرقة **42** حتى سنة **1911**م، وبالأخص مدفعية الميدان التي تعد أساس جيش المشاة في كل الجيوش العالمية في تلك الفترة، وقد بلغ عدد أفراد الفرقة إلى حدود السنة نفسها إلى **4210** جندي، **3010** في طرابلس الغرب و **1200** جندي في برقة دون حساب الضباط [1]، وللإشارة فإن أحد الحراس الثقاة الذين يعتمد عليهم السلطان عبد الحميد الثاني كان من طرابلس الغرب واسمه علي باشا قيراط، إضافة إلى تجنيده لعدة فيالق من العرب والأرناؤوط [2] كحرس خاص بعد أن صار يتوجس خوفاً من الأتراك[3].

أما من ناحية التأهيل والمستوى الثقافي للضباط فبعد سنة **1908**م واستيلاء جمعية الإتحاد والترقي على زمام الحكم في تركيا بادرت حكومتهم بتصفية الجيش وبالأخص جهاز الضباط من الأفراد غير المؤهلين، والعمل على تثقيف وتدريب الضباط وصفْ الضباط تدريباً عملياً، وتجديد أساليب التدريب وعصرنة الجيش وبالاستعانة في ذلك بالجيش الألماني عبر المشير المارشال فون در جولتز Von Der Goltz الذي استدعي إلى تركيا لإعادة هيكلة الجيش التركي ورفع مستوى الثقافة الفنية للضباط الأتراك، لذا كان الضباط المرابطون في طرابلس وبرقة مؤهلين تأهيلاً جيداً ومعظمهم يتقنون اللغة العربية [4]، وهناك من أبناء ليبيا الذين تخرجوا من المدارس الليبية، من صاروا ضُباطاً ومأمورين، وكان بعضهم من كبار الضبّاط في الجيش، مما ساهم هذا في ميل الشعب الليبي إلى الحكم العثماني رغم ما اتصفت به السلطة العثمانية في تلك الفترة من عيوب[5].

أما عن الجندرمة فقد سعى الأتراك إلى تنظيم هذا الفصيل العسكري في ليبيا عن طريق ضباط إنجليز وكان ذلك في سنة **1911م**، ففي منتصف السنة نفسها وصل عدد أفراد قوة الجندرمة في ليبيا إلى **700** فرد بين مشاة وفرسان، وكان الهدف رفع عدد هذا الفصيل إلى **1500** جندي، مقسمة على ثلاث كتائب يوزعون على المناطق التالية: الكتيبة الأولى ببنغازي والثانية على طول الساحل الطرابلسي، والكتيبة الثالثة

---

(1) فرانشسكو كورو، المصدر نفسه، ص ص 135 136.

(2) الأرناؤوط هم شعوب جنوب البلقان على ساحل البحر الأدرياتيكي شمال المتوسط، ويُسمّون بالألبان، حيث يستقر معظمهم الآن في دولة ألبانيا، أسلم معظمهم بعد توسع سلطة الدولة العثمانية نحو أوروبا، وكان لهم دور بارز في الجيش الإنكشاري العثماني، وقد استقر عدد كبير منهم في الأقاليم العربية في الشام، ومصر، وشمال إفريقيا. الموسوعة الإلكترونية المعلم، رابط المقال :
https://elmo3alm.com/qustion/40922/ تاريخ الزيارة : 2021/10/13م، 17:14.

(3) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص 348.

(4) المصدر نفسه، ص ص 138 139.

(5) محمد إبراهيم لطفي المصري اليوزباشي، مصدر سابق، ص ص 20، 21.

بالجبل وفزان هذه الأخيرة يقضي المشروع بأن تتشكل من جنسيات مختلفة وتعمل في المناطق غير المأهولة جنوبًا، أي في قلب صحراء ليبيا الخالية من المياه[1].

وبالنسبة للقوات البحرية، فقد كانت الدولة العثمانية تحتفظ غالباً بسفينتين حربيتين في طرابلس، وزورق حربي صغير في بنغازي، لكن في سنة **1911م** كان بطرابلس سفينة حربية قديمة وبنغازي خالية تماماً من العتاد الحربي البحري[2].

وقد أعطى أمير البيان شكيب أرسلان رأيه في هذه المسألة وكتب عنها في عدة مواضع، ففي كتابه "تاريخ ابن خلدون"، كتب أنه بعد الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب، حصلت مناقشات في مجلس الأمة العثماني، فتبيّن إهمال الحكومة العثمانية –في ظل الدستور والحرية– لم يكن معهوداً في فترة حكم عبد الحميد الثاني، فحامية طرابلس من المفروض أن يكون فيها حسب النظام **17** تابوراً من المشاة، وعشرة كواكب من الفرسان، وست بطاريات من مدافع الصحراء، والواقع خلال الغزو لم يكن موجودا إلا أربعة آلاف جندي أو أقل؛ والجدير بالذكر أن الأهالي طالبوا التجنيد من تلقاء أنفسهم، وتقرّر في مجلس الأمة تخصيص النفقات المالية لذلك، وعند حضور الشباب للتجنيد وكان العدد يقارب **16** ألف شابٍ، لم يُقبل منهم إلاّ ثلاثة آلاف وأربعمائة مجند[3]، ويبقى السؤال مطروحًا من المسؤول عن هذا التخاذل ولمصلحة من.

وقد اقترح والي طرابلس المشير إبراهيم باشا إنشاء معمل للأسلحة والذخيرة بطرابلس، لأسباب عدة منها احتمالية تعرض طرابلس لهجمات أوروبية على غرار إيطاليا بعدما أبانت عن نواياها، فبُعد المسافة بين الأستانة وطرابلس الغرب، وعدم وجود قوة بحرية لتأمين إيصال الأسلحة إلى الليبيين، من المفروض أن يكون دافعًا لإنشاء مصنع أسلحة يلبّي حاجات الليبيّين ليدافعوا عن أنفسهم، كذلك أهمل الباب العالي هذا المقترح رغم علمه بأطماع إيطاليا في هذا القطر[4].

---

(1) فرانشيسكو كورو، مصدر سابق، ص 139.

(2) فرانشيسكو كورو ، المصدر نفسه، ص 139.

(3) شكيب أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص 328.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص 329.

وقد أخبر أحمد الشريف السنوسي الأمير شكيب حول سبب انتقال السيد المهدي السنوسي من واحة الجغبوب إلى واحة الكفرة التي تبعد مسافة **25** مرحلة[1] لسبب أساسي، وهو اقتناع المهدي بأن إقليم بن غازي سوف يتعرض للغزو الإيطالي، وأن الأهالي سوف يحتاجون للسلاح حتماً في المناطق الشمالية التي تفتقر إليه بسبب قيام السلطات العثمانية بجمعه كما أسلفنا[2].

من خلال العدد والعدة التي كانت تمتلكها ولاية ليبيا قبيل الغزو الإيطالي لا يمكن أبدًا مقارنتها بالجيش الإيطالي الذي أُنزل على الساحل الليبي أيام الاجتياح، فالخطأ الإستراتيجي المُمثل في نقل معظم الجيش العثماني الذي كان يربض بطرابلس وبرقة كان سببًا مباشرًا في هزيمة الليبيين في أولى المعارك، وليس قوة الجيش الإيطالي مقارنة بالجيش العثماني آنذاك.

1-3 أوضاع ليبيا الاقتصادية أواخر الفترة العثمانية:

ميّز الحكم العثماني في ليبيا خلال العهد الثاني بالركود وتراجع أبرز قطاعات الاقتصاد كالتجارة والصناعة والزراعة، والكثير يتحدث عن تقاعس العثمانيين عن النهوض بهذه القطاعات الحساسة، بعض الباحثين ذكروا أن الإدارة العثمانية في ليبيا وبالضبط سنة **1903** أدركت الواقع المزري للاقتصاد الليبي واتخذت جملة من الإجراءات لصالح المقاطعتين، بَيْد أنّ ركود التجارة مع بلدان إفريقيا الوسطى ساهم في ركود الصناعات المحلية ولو بشكل محدود، كما أنّه أثّر سلباً على الوضع الاقتصادي العام [3]؛ لكن الفترة ما بين **1860م** و**1880م** وُصفت من طرف البعض أمثال إيتوري روسي صاحب كتاب ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة **1911م** بأنها حركة انبعاث مبشرة بالخير بعد النشاط التجاري الذي عرفته الولاية [4]، مثل النشاط

---

(1) **المرحلة** هي المسافة التي يقطعها المسافر خلال يوم واحد، وتختلف المرحلة في قياسها من مذهب إلى آخر، فتتراوح ما بين 35 كيلومتر و44 كيلومتر . الموقع الإلكتروني للموسوعة الشاملة الرابط : http://islamport.com/w/hnb/Web/1741/1254.htm تاريخ الزيارة 2021/10/13م، 17:34.

(2) أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص 329.

(3) فرانشيسكو كورو، مصدر سابق، ص ص 63، 64.

(4) إيتوري روسي، مصدر سابق، ص 489.

التجاري الذي كان قبل بداية العهد العثماني الثاني حيث كانت المعاملات التجارية تتم بحوالي عشرين عملة [1] أو سكّة[2].

بفضل هذا تضاعفت قيمة الصادرات والواردات خلال تلك السنوات، حيث قفزت الواردات في ميناء طرابلس من **6.481** مليون ليرة إيطالية إلى **15.740** مليون ليرة سنة **1879**، وتضاعفت الصادرات في السنة نفسها من **6.937** مليون ليرة إلى **11.930** مليون ليرة إيطالية، وكان للحلفاء النصيب الأعلى في صادرات طرابلس الغرب، لكن سنوات **1886** و**1887** أصاب الاقتصاد الليبي شبه ركود وشلل في النشاط التجاري، حيث انخفض مستوى وارداتها إلى **0.309** مليون ليرة، والصادرات إلى **0.231** مليون ليرة فكانت الكارثة للاقتصاد الطرابلسي في تلك الفترة[3]، رغم التميز في التنوع الصناعي للاقتصاد الليبي.

كانت الصناعات الليبية المحلية لها سمعة جيدة وقد صُنّفت إلى خمسة أنواع هي : الصناعة النسيجية، صناعة الحصير، ودباغة الجلود، صناعة الصابون، وصناعات أخرى؛ فالنسيج أو الحياكة كان موزّعاً على مدن طرابلس مصراتة بنغازي ودرنة، وكانت عدد محلات صناعة النسيج في تناقص مستمر قبيل الاحتلال الإيطالي وقد اختصت بعض المعامل في نسج الصوف والبعض في نسج القطن وأخرى في نسج الحرير، وقد وصلت مداخيل المنسوجات سنة **1910م** في طرابلس الغرب وبرقة **1200000** ليرة إيطالية، وكانت تعتمد الصناعة النسيجية في ليبيا على استيراد المواد الأولية من إنجلترا وإيطاليا والنمسا، وتركزت كذلك الصناعات النسيجية على صناعة اللباس الرجالي وقد بلغت قيمة الحركة التجارية السنوية في هذا المجال إلى **600000** ليرة إيطالية كذلك صناعة الأغطية الصوفية كانت تدر ما قيمته **800000** ليرة إيالية سنوياً[4].

اشتهرت طرابلس أيضًا بصناعة المنسوجات الحريرية التي كانت تُصنع في شكل أردية (جمع رداء) وتنقل إلى بنغازي وغيرها من المدن الليبية، وقد كان للصناعة الحريرية بطرابلس ميزة هي مزج الحرير بالخيوط الفضية والذهبية لذا كان ثمنها جد مرتفع مقارنة مع باقي الأردية التي تصنع في المدن الأخرى، وقد نقل الليبيون هذه

---

(1) عمار جحيدر، **آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث**، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية، 1991م، ص 289.

(2) أكثرها تعاملا نجد الريال دورو، ثم الشريفي الطرابلسي، ثم المحبوب المصري، ثم الريال والشريفي، ثم البندقي والريال سبيلية، ثم الفندقلي، ثم القرش، ثم المحبوب والمحبوب الإسلامبولي، ثم القرش التركي، والمحبوب الطرابلسي، ثم الريال التونسي، ثم الدبلوني والشريفي الجزايري، والشريفي الذهب، والقرش المصري، والمحبوب الطرابلسي الذهب، وإليكليك التركي. عمار جحيدر، مرجع سابق.

(3) إيتوري روسي، مصدر سابق، ص ص 489، 490.

(4) فرانشيسكو كورو، مصدر سابق، ص ص 64، 65.

الحرفة من البندقية الإيطالية والتي بقيت هي المصدر الأول لاستيراد الأسلاك الذهبية والفضية، وقد بلغت قيمة ما أنتجته طرابلس سنة **1910** من صناعة المنتوجات النسيجية الحريرية مبلغ **350000** ليرة رغم أن معظم المادة الأولية كانت تستورد من فرنسا تركيا وجزيرة كريت[1].

أما عن صناعة الحصر أو الحصير فقد كانت لها شهرة وسمعة جيدة في طرابلس، وأبرز المراكز التي اختصت بهذه الصناعة نجد تاجوراء وتاورغاء، وانفردت هذه الأخيرة بتقديم أجمل الأنواع والتشكيلات، فكانت محل إعجاب المهتمين والمختصين لقوة حبكها وجمالها ورسومها المتنوعة، أما المادة الأولية فكانت ليبيا موطن نبات الحلفاء المادة الأولية لصناعة الحصير، وكانت الطلبات عليها تتصاعد قبل الغزو الإيطالي في الداخل والخارج، حيث استخدمت في فرش المساجد، ومنازل الأغنياء، وصنع الحصير بمختلف الأحجام وحسب الطلب، ووصلت ميزانية سنة **1910**حسب القنصل الإنجليزي ألفاريز Alvarez ما قيمته **300000** ليرة بالتقريب سنوياً منها **220000** قيمة صادرات هذا المنتوج[2].

اشتهرت طرابلس كذلك بدباغة الجلود قبل مجيء الإيطاليين وكانت تجري هذه الصناعة بطريقة تقليدية جداً، من خلال استغلال المواد المحلية من جلود الماعز والضأن، لكن بدأت بالاضمحلال مع الاجتياح الإيطالي لليبيا، وكانت تدرّ هاته الصناعة سنويا ما قارب **350000** ليرة[3].

ثم تأتي صناعة الصّابون التي تعد من الصناعات النشطة في ليبيا لكن مع دخول المنافسة الخارجية لم تستطع الصمود أمام الأنواع المستوردة ذات الجودة العالية، وانهارت بعد الإهمال الذي أصابها، إضافة إلى أن المواد الأولية لصناعة الصابون كانت تستورد من الخارج باستثناء الزيت الخاص كان ينتج محلياً، فلم تبلغ قيمة إنتاج هذه المادة سنة **1910م** في طرابلس وبنغازي مجتمعين إلا **100000** ليرة سنوياً[4].

أضف إلى ذلك صناعة الحليّ خاصة الفضة التي كانت تستورد سبائكها من فرنسا ليُعاد صهرها وتشكيلها في شكل خواتم، أسورة وأقراط في عدة مدن من ليبيا :طرابلس، بنغازي، درنة، مصراتة....، وكان أمهر صّناع هذا المُنتج يتواجدون في طرابلس، أما مقدار إنتاج هذا النوع من الصناعة فكان يتفاوت حسب

---

(1) فرانشيسكو كورو، مصدر سابق ، ص 66.

(2) فرانشيسكو كورو، المصدر نفسه ، ص ص 66، 67.

(3) المصدر نفسه، ص 67.

(4) المصدر نفسه، ص68.

أحوال الحصاد السنوي للبلد الذي هو أساس رغبة الناس في اقتناء الفضة بغرض الزينة والاستخدام خلال مواسم الأعراس، وقد وصل معدل الإنتاج إلى **500000** ليرة، تأتي في المرتبة الأولى مدينة طرابلس بقيمة **200000** ليرة، وفي ما يخص صياغة الذهب فكان هذا المجال هزيلاً مقارنة بالصناعات الأخرى فالطلب عليه داخلياً كان يقتصر على اليهود واقتناؤه بالنسبة للعائلات الميسورة الحال فقط، ففي سنة **1910** وصلت قيمة معاملات هذا المعدن **600000** ليرة في طرابلس وبنغازي معاً[1].

اتصفت التجارة الليبية مع دول الساحل الإفريقي بالمربحة والمدرة للفوائد الطائلة التي كانت عبر القوافل البرية من خلال الصحراء الشاسعة، لكنها بدأت بالركود بين سنوات **1870** و **1881** لعدة اعتبارات وعوامل[2]، كانت سبباً في كبح النشاط التجاري الليبي مع الوسط الإفريقي، هذه الظروف كانت كافية لإدخال ليبيا في دوامة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

فالتغيرات السياسية للدول الإفريقية في أواسط إفريقيا وانخفاض أسعار المنتجات في السودان وظهور طرق جديدة أقرب وتحوي سلعًا أفضل، كل هذا ساهم في تراجع تجارة القوافل بين ليبيا ووسط إفريقيا [3]، ولعلّ الاحتلال الفرنسي للمناطق الجنوبية لليبيا وتونس، ثم احتلال إنجلترا للسودان أواخر القرن التاسع عشر كانَا سبباً رئيساً في توقف التجارة الليبية نحو الداخل الإفريقي لاحتكار الدول الأوروبية الاستعمارية للتجارة في تلك المناطق، والمنافسة فيما بينهم على اكتشاف مناطق برية وبحرية جديدة، أضف إلى ذلك إدخال منتجاتهم الصناعية ذات المعايير العالمية، وحمل كل ما تنتجه دول إفريقيا من مادة خام لتنشيط تجارتهم في القارة الأوروبية.

ففي الفترة بين سنتي **1899م** و **1906م** قدرت ما تصدره قافلة التجارة الليبية نحو الجنوب بما قيمته نصف مليون ليرة إيطالية سنوياً، و **800000** ليرة قيمة ما تستورده من السودان، إلا أن قيمتها بدأت في التراجع بين سنتي **1907م** و **1911م**، وكان سبب ذلك كما ذكرنا سابقاً هو إدخال الإنجليز بضائعهم إلى السودان الأوسط (دول الساحل الإفريقي) بأسعار أقل وزمن أسرع[4].

---

(1) فرانشيسكو كورو، مصدر سابق ، ص 68.

(2) فرانشيسكو كورو، المصدر نفسه، ص 84.

(3) فرانشيسكو كورو، المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص 86.

أما السلع التي كانت تنقلها القوافل نحو الجنوب عبر مختلف الطرق من طرابلس وبنغازي إلى السودان الأوسط نجد في الغالب المصنوعات الزجاجية، الطواقي [1] والبرانيس، والمنسوجات الحريرية والقطنية وأفضلها هي ذات الصنع الإنجليزي، والتوابل، والورق المستورد من البندقية؛ وكان جل ما تحمله هذه القوافل من الصناعات الإيطالية، وفي طريق عودتها كانت في الغالب تُحمّل بريش النعام، والجلود المصنعة المتنوعة، والعاج والتبر[2] ومنتجات أخرى، وأفضل مادة مُدِرّة للربح كانت العاج الذي يُصدر نحو أوروبا، فبين سنتي **1872م** و**1882م** وصلت قيمة صادراته حوالي **900000** ليرة، وبدأ في الانحدار إلى أن توقفت تجارته نهائيا سنة **1911م**، و لم يبلغ سنة **1910م** إلا **100** ألف ليرة[3] .

إذا تحدثنا عن الزراعة في ليبيا فطبيعة البيئة الليبية هي من تقرر الوضع الزراعي في المنطقة، فخلال السنوات الأخيرة من حكم آل عثمان في بنغازي وطرابلس الغرب كان القطاع الزراعي لا يسد حاجة السكان لعدة ظروف أهمها قلة المياه، إهمال هذا القطاع الحساس من طرف السلطات الحاكمة، أضف إلى ذلك خمول الليبيين وعدم ميلهم لخدمة الأرض، مما ساهم في نقص اليد العاملة في هذا المجال، إضافة إلى الضرائب الباهظة التي ساهمت في توجه الفلاحين نحو أنماط عيش أخرى على غرار جمع الحلْفاء لسهولة العمل بها، وكانت تُدر أرباحاً أفضل من الزراعة التي كانت تعتمد كليةً على هطول الأمطار، أضف إلى ذلك المناطق الزراعية في طرابلس وبنغازي كانت تفتقر إلى التجهيزات المتطورة في هذا الميدان[4].

رغم إنشاء الحكومة العثمانية بطرابلس مصرفًا زراعياً لإنقاذ المزارعين من استغلال المرابين، غير أنّ الفلاّحين لم يستفيدوا منه كثيراً بسبب كثرة الإجراءات الإدارية الشكلية الكثيرة والدقيقة، ومحدودية قيمة القروض الممنوحة، والتي تستنفد معظمها في دفع الضرائب أكثر ما تستغل في تمويل المشروعات الزراعية[5].

إلاّ أن ولاية ليبيا تعد من المناطق التي تُنتج محاصيل الشعير والقمح والذرة والبشنة، ويحتل الشعير المرتبة الأولى ويكثر الطلب عليه خارجياً، وبالأخص في إنجلترا لتصنع به الخمور، فتُصدر كميات كبيرة إلى المملكة

---

(1) الطواقي مفردها طاقية وتعني غطاء الرأس من الصوف أو القطن أو نحو ذلك...

(2) التبر هو المعدن الذي يستخرج منه الذهب أو الفضّة، أو بالأحرى فتات الذهب المستخرج من مصدره كالمناجم أو الأنهار قبل أن يُصاغ.

(3) فرانشيسكو كورور ، مصدر سابق، ص ص 88، 89.

(4) فرانشيسكو كورور، المصدر نفسه، ص ص 91، 92.

(5) المصدر نفسه، ص 92.

المتحدة في السنوات الخصبة، وبكميات أقل يصدر القمح كذلك إلى الدول الأوروبية [1] طبعاً في الأعوام التي يكون فيها المنتوج وافراً، أمّا في السنوات العجاف تقوم السلطات العثمانية بتغطية النقص عبر الاستيراد من الخارج.

وفي تقرير للقنصل الإنجليزي "ياقو Jago" يذكر أن ولاية طرابلس الغرب صدّرت في الفترة الممتدة بين سنتي **1862** و**1878م** كمية معتبرة من الحبوب أي ما قيمته **18.786** مليون ليرة والشعير لوحده بقيمة **5.067** مليون ليرة، وفي المقابل استوردت طرابلس القمح ما قيمته **7.952** مليون ليرة، ومن الشعير **10.422** مليون ليرة، بفارق في الميزان التجاري قدره **5.479** مليون ليرة، في حين ذكر هذا التقرير أن الفترة الممتدة بين **1879م** و**1889م** انعدم فيها التصدير، وقُدرت قيمة واردات الحبوب إلى **18.550** مليون ليرة[2].

لم تكن متصرفية برقة أفضل حالاً من طرابلس، فالزراعة تتحكم فيها ظروف المناخ وكمية التساقط، فهذا القطاع لا يرتكز على قاعدة صلبة ويفتقر للهياكل والوسائل الضرورية للوصول على الأقل إلى مستوى الاكتفاء الذاتي في المواد الأساسية، والأرقام السابقة تبين مدى التذبذب الذي يعيشه الليبيون في القطاع الزراعي، كذلك يُمكن تعميم ذلك ليشمل الميدان الاقتصادي ككل، والتراجع الذي بدأ يصيبه جرّاء محاصرة الدول الاستعمارية لها عبر احتلال دول الطوق، والسيطرة على كل مصادر الإنتاج وطرق التجارة، وضرب الحياة الاقتصادية في العمق؛ ليختتم الوضع باجتياح القوات الإيطالية لأراضيها سنة **1911م** بعد الجهود الدبلوماسية لإيطاليا على الصعيد الأوروبي وإقناع الأطراف المتنافسة بنية إيطاليا تجاه ليبيا، وهذا ما سنورده في العنصر الموالي.

2) الجهود الإيطالية الدبلوماسية لاحتلال ليبيا:

بدأ الاهتمام الفعلي الإيطالي بليبيا منذ سنة **1878م** تاريخ انعقاد مؤتمر برلين الأول، عندما حاول القائد بسمارك إثارة قضية احتلال تونس لقادة دولتي إيطاليا وفرنسا كلٌّ على حدة في اجتماعات جانبية على هامش المؤتمر، ثم أحسّت الحكومة الإيطالية بالخطر بعد غزو فرنسا لتونس سنة **1881**، فعقد البرلمان الإيطالي اجتماعاً

---

[1] فرانشيسكو كورو، مصدر سابق، ص93.

[2] المصدر نفسه.

وقدم ثلاثة نواب استفساراً عن مسألة احتلال فرنسا لتونس، وانتهت جلسة البرلمان بالإشارة إلى الاهتمام الإيطالي بليبيا، فبدأ يقل اهتمام بريطانيا وفرنسا بليبيا بعد ذلك[1].

بذلت الدبلوماسية الإيطالية جهودا معتبرة، وجرت عديد اللقاءات وكانت المفاوضات عسيرة مع الدول الأوروبية المعنية بالتنافس الاستعماري، وبعد اقتناع الإيطاليين من ضعفهم دوليا وقلة خبرتهم على الصعيد السياسي العالمي، كذلك من عقم سياسة العمل الانفرادي، لجأت إيطاليا إلى التعاون وإتباع سياسة التحالفات، حيث أسفرت تلك الجهود عن إبرام عديد الاتفاقيات، خاصة بعد احتلال فرنسا لتونس سنة **1881**م، اتجهت إيطاليا إلى إقامة علاقات وطيدة مع الألمان بعد مساعي القائد بسمارك لذلك واعتقاده أن إيطاليا حليفة ألمانيا لميلهم الطبيعي لذلك، وما إن احتلت فرنسا تونس، استجابت إيطاليا لمطالب ألمانيا وأوقفت الدعاية الإعلامية ضد النمسا بعد تضارب المصالح معها والنزاع حول بعض المناطق الإيطالية في البحر الأدرياتيكي، ثم قام الملك أومبرتو الأول[2] بزيارة برلين وفيينا والإمضاء على اتفاقية عضوية الحلف الثلاثي في ماي **1882**م، ومن شروطها إلزامية تطبيق بنود المعاهدة من طرف الدول الثلاث لمدة خمس سنوات، وقد تنازلت إيطاليا على حقها في المطالبة بمقاطعتي (ترنت وتريستا) المسيطر عليهما من طرف النمسا والمجر، إضافة إلى خلو المعاهدة من أي نص صريح يتحدث عن أطماع إيطاليا الاستعمارية في ليبيا رغم أن شغلهم الشاغل هو السيطرة على الضفة الأخرى من المتوسط[3].

لكن بعد مرور خمس سنوات وتجديد المعاهدة التي سميت بالمعاهدة الثانية، أُضيفت بنود حول قضية مصالح إيطاليا في برقة وطرابلس، إضافة إلى انتقال الحلف من تكتل دفاعي إلى تكتل عدائي موجه نحو فرنسا

---

(1) عبد السيد السنوسي مراجع إبراهيم، **المقاومة الليبية للغزو الإيطالي في الفترة 1911م إلى 1918م في مدن شرق ليبيا** ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف د.محمد علي الطيب، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامة ام درمان، السودان، السنة الجامعية 2012، ص ص 13، 14.

(2) **أومبرتو الأول**(1844م-1900م) : والملقب بالصالح، حكم إيطاليا من 09 جانفي 1878م حتى تاريخ اغتياله في 29 جويلية 1900م في عهده حاول التوسع خارج الحدود الإيطالية وكانت له مطامع في القارة الإفريقية بداية في القرن الإفريقي حيث نجح في احتلال أريتيريا والصومال رغم هزيمته في الحبشة في معركة عدوة سنة 1896م، وفي سنة 1882م وافق الدخول في التحالف الثلاثي مع الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية، وبذل جهودا معتبرة قصد احتلال ليبيا لكن الأجل سبقه لذلك، واغتاله أحد اليساريين المعارضين لسياسته. الموقع الإلكتروني معرفة، الرابط:
https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%88%D9%85%D8%A8%D8%B1%D8%AA%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84_%D9%85%D9%86_%D8%A5%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7 تاريخ الزيارة : 2023/02/02م، 15:48.

(3) Sami H Khayala, op cit, p 32.

حيث ينص البند السري أنه في حالة توسيع فرنسا نفوذها في شمال إفريقيا ورأت إيطاليا أن ذلك يخل بالتوازن في البحر المتوسط ستضطر للتدخل في الأراضي التابعة لفرنسا أو الأراضي الفرنسية نفسها، فإن وقعت الحرب فعلى الأطراف المتعاقدة مساعدة بعضها البعض[1].

وخلال إبرام المعاهدة الثالثة سنة **1892**م استطاعت إيطاليا إحداث تغييرات لصالحها حيث أن البند التاسع من الاتفاقية كان متعلقا بشمال إفريقيا ونصّ على أن تتعاون الدول الحليفة مع الاحتفاظ على الوضع القائم في الشمال الإفريقي (برقة وطرابلس)، وإذا ما طرأت أمور دولية متعلقة بالقضية فإن ألمانيا تتعهد بمساندة أي عمل إيجابي تقوم به إيطاليا، أو أي احتلال تقوم به هذه الأخيرة لكسب امتيازات وحفظ التوازن الدولي، ثم تم تجديد الحلف في المعاهدة الرابعة في **28** ماي سنة **1902م** وإبقاء البنود المتعلقة بالشمال الإفريقي ثابتة؛ وسنة **1907م** تجدد الحلف بالموافقة على مضامينه السابقة، لكن تلك العلاقات كانت شبه جوفاء بسبب ميول إيطاليا إلى تقارب سياسي مع فرنسا منذ سنة **1896م**، وفي عام **1898م** أبرمت الدولتان اتفاقية تجارية أنهت الحرب الجمركية بينهما، وفي سنة **1900م** اتفق الطرفان على إطلاق فرنسا يدها على المغرب مقابل إطلاق يد إيطاليا على ليبيا؛ وفي عام **1902م** توصلت الدولتان إلى التوقيع على معاهدة ثنائية فحواها وقوف كل طرف على الحياد في الوقت الذي بدأت فيه علاقات إيطاليا بالتراجع مع النمسا والمجر بسبب تصادم المصالح حول البحر الأدرياتيكي، لذا أدركت الحكومة الإيطالية أن الحلف الثلاثي لن يضمن مصالحها الاستعمارية، فاتجهت نحو التقرب من دول الوفاق[2].

كذلك إبرام عدة اتفاقيات مع بريطانيا ففي سنة **1887م** كانت الدبلوماسية الإيطالية توصلت إلى عقد اتفاق ثنائي مع الإنجليز، ثم تجدد هذا الاتفاق سنة **1902م** بمبادرة من وزير خارجية إيطاليا جوليو برينتي Giulio Bernetti قصد التوسع في إفريقيا، وكانت المملكة المتحدة في أمس الحاجة للإيطاليين في تلك الفترة ومساندتها في استكمال احتلال مصر مقابل أن لا ينحازوا إلى الروس أو الفرنسيين[3].

أما الإمبراطورية الروسية فلم تكن في منأى عن مجريات الأحداث في أوروبا وما يحصل على الساحة السياسية بين الدول الاستعمارية المتنافسة من تجاذبات سياسية فيما بينها، والتقارب والتباعد حول المصالح ومناطق النفوذ في السّر والعلن.

---

(1) Sami H Khayala, op cit, p 32.
(2) Ib id., p 33.
(3) عبد السيد السنوسي مراجع إبراهيم، مرجع سابق، ص 15.

فالدبلوماسية الروسية كانت تهدف إلى تقوية علاقاتها مع إيطاليا بسبب المنافس القوي الذي يُعدّ عدوًّا مشتركا للروس والإيطاليين معاً وهي الإمبراطورية النمساوية المجرية [1]، لذا اتخذت روسيا إيطاليا حليفاً استراتيجياً لمواجهة الأطماع النمساوية المجرية، خاصة في منطقة البلقان ومحاولة تدعيم مصالح روسيا هناك، إضافةً إلى عوامل أخرى زادت توطيد علاقتهما أكثر، أبرزها الخلاف مع الدولة العثمانية، والعمل على تحقيق التطلعات الاستعمارية للدولتين، وقد توصلتا لاتفاقية ثنائية بتاريخ **24** أكتوبر **1909** بمدينة راكونيجي، بموجبها تتعهد الدولتان بالمحافظة على الوضع القائم في منطقة البلقان، مع تأييد استقلال دول هذا الإقليم، التشاور قبل عقد أي اتفاق مع طرف ثالث، وتأييد روسيا لإيطاليا في تحقيق مصالحها وسيطرتها على طرابلس الغرب وبرقة وفي المقابل تأييد إيطاليا لروسيا في السيطرة على المضائق[2].

وقد أبلغ السفير الإيطالي وزير خارجية روسيا في **26** أوت **1911م** بقرار إيطاليا غزو ليبيا مع التأكيد على سريّة وخصوصيّة القرار، مع الحرص على أنّ فرنسا وبريطانيا والنمسا والمجر لا تعارض هذا الفعل، وقد ذكر السفير الإيطالي أن روسيا أيّدت إيطاليا وشجّعت على الإسراع في التنفيذ[3].

رغم ضعف الدبلوماسية الإيطالية على الساحة السياسية الأوروبية في تلك الفترة إلاّ أنها نجحت في إقناع دول أوروبا المتنافسة في التخلي عن مصالحهم في ليبيا، عكس ألمانيا التي وجدت نفسها وحيدة مع مطلع القرن العشرين و لم تنل ما كانت تطمح إليه، وما أُعطي لها في الجنوب الغربي لإفريقيا بعض مناطق أنجولا والكامرون أغضب السياسيين الألمان، لتبدأ الأزمات الدولية ثم الدخول في حرب عالمية؛ أما إيطاليا فبادرت في تنفيذ مخططاتها في ليبيا أواخر سنة **1911م** بعد إنذار ثم إعلان الحرب على الدولة العثمانية، هذه الأخيرة كانت لها مبادرات عسكرية ودبلوماسية لاسترجاع آخر إيالة لها في الشمال الإفريقي كما سنورده في العناصر الموالية.

---

[1] تأسّست الإمبراطورية النمساوية المجرية سنة **1867**م وتسمى كذلك النمسا-المجر، تأسست بعد تسوية كانت بين النبلاء المجريين والملكية الهابسبورغية حفاظاً على الإمبراطورية القديمة التي ولدت عام **1804**، وكانت المجر لها حكم ذاتي عاصمتها بودابست لها دستور وبرلمان ووزارة منفصلة عن النمسا، وعاصمة الإمبراطورية فيينا، كان لهما جيش مشترك إضافة إلى جيشين منفصلين، واشتركا في الوزارات والسياسة الخارجية والاقتصادية شملت حدود الإمبراطورية النمسا الحالية المجر، بوهيميا، مورافيا، سلوفاكيا، بولندا، رومانيا، سلوفينيا، كرواتيا وأجزاء من إيطاليا، وقد شهدت عديد الاضطرابات جراء الاختلاف العرقي للدولة، تفككت الإمبراطورية بعد الحرب العالمية الأولى **1918**، والتي بدات بمقتل الأمير النمساوي فرانس فرديناند من طرف صربي، لتندلع الحرب في أوربا وتنتقل إلى مناطق عديدة من العالم، وبعد الحرب استقلت معظم تلك الأقليات في شكل دول .

[2] الحواس غربي، **الاحتلال الإيطالي بليبيا (1911–1951م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د.شايب قدادرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2017/2016م، ص 35.

[3] الحواس غربي، المرجع نفسه.

3) التّمهيد السلمي للاحتلال الإيطالي لليبيا ودوافعه:

بعد تحول الدول الأوروبية نحو احتلال دول إفريقيا وآسيا عبر أساليب جديدة كالحماية والقروض وإنشاء البنوك والمصارف والشركات بعدما كانت عبر القوة العسكرية بشكل مباشر، هذه الطريقة خلفت خسائر بشرية ومادية معتبرة من خلال مقاومة الشعوب لها ورفضها بشكل كلي، فطورت أساليبها وبالضبط بعد مؤتمر برلين الأول سنة **1878م** وبعد الاتفاقيات العلنية والسرية فيما بينها ، انتهجت سياسة التغلغل السلمي قبل الغزو العسكري إلى المناطق المستهدفة، أو على الأقل التمهيد عبر مرحلة معينة لتحين الفرصة والتدخل في شؤون تلك الدولة بشكل مباشر لتخفيف الخسائر وتقليل الأضرار والتي تمس بالتحديد الجيش والعتاد، وقد اتخذت إيطاليا المخطط نفسه في ليبيا من خلال تشجيع الهجرة وفتح فرع لمصرف روما هناك، والعمل على السيطرة على مصادر إنتاج ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية برقة كما سنتطرق في العنصر الموالي.

3-1 الهجرة الإيطالية نحو ليبيا:

وبعد إطلاق يد الحكومة الإيطالية من طرف الدول الأوروبية الصديقة على ولاية ليبيا العثمانية، قامت بوضع خطة طويلة المدى للسيطرة على ليبيا دون التعرض للهزائم العسكرية مثل الهزيمة النكراء التي تعرض لها الجيش الإيطالي في الحبشة [1] في مارس **1896م**[2] أو الخسائر الاقتصادية، واتخذت مجموعة من الإجراءات والتدابير أهمها :

- التركيز على الدعاية عبر الإعلام الإيطالي، والترويج لما تحويه ليبيا من خيرات، وإقناع الرأي العام الإيطالي بمساندة الحملة العسكرية الإيطالية فيما بعد [3]، خاصة في آخر سنتين من العهد

---

[1] عند إعلان الحرب على أثيوبيا من طرف إيطاليا بعد رفض الحبشة لبنود معاهدة أوتشيالي ليجد الإيطاليون الحجة لتحقيق أهدافهم الاستعمارية وإعلانهم الحرب على الأثيوبيين، تحرك الجيش الإيطالي بعدّته وعدده الذي ناهز 25 ألف جندي بقيادة الجنرال براتيري، وعند وصول الجيش عدوة العاصمة القديمة لإقليم تيجري، التقى بالإمبراطور منليك الحبشي الذي جمع كل القبائل الحبشية حوله، لكن الجيش الإيطالي قُسم من طرف قائده إلى مجموعات ورغم قوة المدافع التي يمتلكها إلا أن هجمات الأحباش تواصلت إلى أن تمكنت من القضاء على جنود المدفعية ثم حصار باقي القوات فانتشر الهلع بين الجنود الإيطاليين ليستسلم معظمهم، ثم فرت المجموعات المدنية الأوروبية نحو مدن الساحل المحصنة بعد الرعب الذي أصابها جراء خبر الهزيمة التي تلقاها الجيش الإيطالي، حيث أسر 5000 جندي إيطالي وجنرال واحد، وقتل ثلث الجيش، وغنم الأحباش 65 مدفعاً و11000بندقية، أما خسائر الأثيوبيين فقتل 6000 جندي وأسر 8000 آخر في المعارك التي تلت هذه الهزيمة، وقد اضطر الإيطاليون التوقيع على معاهدة صلح في 26 أكتوبر 1896م ضمنت بموجبه أإثيوبيا استقلالها الكامل.

[2] الحواس غربي، مرجع سابق، ص 7.

[3] عبد السيد السنوسي مراجع إبراهيم، مرجع سابق، ص 15.

العثماني، حيث قام الكثير من الرحالة والسياسيين والصحفيين الإيطاليين بزيارة ليبيا، أبرزهم السياسي هنريكو كورادييني [1]، زعيم الحزب الوطني الاستعماري المتطرف، والذي قاد الحملة الإعلامية لتحريض الرأي العام الإيطالي لاحتلال ليبيا[2].

- سعي الدبلوماسيين الإيطاليين من أجل الحصول على موافقة الدول الأوروبية المنافسة في تدخل إيطاليا في شؤون ليبيا الداخلية وفتح فروع لمصرف روما، والإنفراد بها سياسياً ثم السيطرة عليها عسكرياً.
- البحث عن مبررات مقنعة للتدخل في شؤون ليبيا الداخلية في الساحة السياسية العالمية وأمام دول العالم، وقد استمر هذا العمل إلى غاية سبتمبر **1911**م[3].

وقد استخدمت الحكومة الإيطالية ورقة استعمارية رابحة واستثمرتها لاحتلال ليبيا، من خلال قيام السلطات الإيطالية بتشجيع الهجرة نحو ليبيا والاستثمار هناك، فبدأ عدد الإيطاليين بليبيا يتزايد مع مطلع القرن العشرين مقارنة بالفترات السابقة، حيث أن عامل القرب الجغرافي ساهم بشكل كبير في زيادة التعاملات التجارية بين الإمارات الإيطالية وليبيا منذ العهد القرمانلي (**1711**م-**1835**م)، وقد تواجدت الجالية الإيطالية بليبيا واستمرت خلال العهد العثماني الثاني (**1835**م-**1911**م)، فأنشأت الحكومة الإيطالية قنصلية بطرابلس لتتولى رعاية شؤون الجالية الإيطالية التي بلغ عددها سنة **1902**م حسب القنصل الإيطالي ما يقارب **714** شخص، جلهم كان يشتغل إما في مجال التجارة أو الصيد البحري، ثم ارتفع عدد الإيطاليين باقتراب تاريخ الاحتلال وازداد نشاطهم حيث بلغ عددهم سنة **1911**م إلى **1100** إيطالي[4].

---

[1] كان هنريكو كورادييني أشدّ السياسيين الإيطاليين تشددًا ومن الغلاة الاستعماريّين زار طرابلس الغرب في جويلية **1911**م أي قبل الغزو الإيطالي بأشهر فقط، حيث قدم جهودا إعلامية معتبرة وتفانى في كتابة المقالات الصحفية والترويج عبر خطبه السياسية للدعوة على احتلال ليبيا، فلم يهتم بالحياة العامة قدر اهتمامه بإمكانيات ليبيا الاقتصادية، فمن خلال مقالاته بالغ في تصوير ما تحويه ليبيا من موارد، فأوهم القراء بالجنة الموعودة، إلا أنها تنقصها اللمسة الإيطالية لتطويرها أكثر. خليفة محمد التليسي، **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب** ، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط3، 1997م ص ص231- 232.

[2] خليفة محمد التليسي، المرجع نفسه، ص 231.

[3] عبد السيد السنوسي مراجع إبراهيم، مرجع سابق، ص 15.

[4] الأمين ميلاد الأمين إبراهيم وآخرون،" **الأوضاع السياسية في المنطقة الغربية من ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي قبل 1912م**"، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد 18، 2017م، ج2، ص 4.

وكان هؤلاء يعاملون كمعاملة القنصل أو موظفيه، كما أقر ذلك قانون الامتيازات الأجنبية، ومزاولة أعمالهم بحرية تامة وتحت رعاية قناصلهم، وكانوا لا يدفعون بعض أنواع الضرائب على غرار المواطن الليبي الذي أُثقل كاهله بها[1].

وقد اهتم الساسة الإيطاليون بجاليتهم في ليبيا، وبالأخص التي كانت تزاول أعمالها بطرابلس عبر فرع مصرف روما الذي أُسّس سنة **1907**م، حيث كان هذا البنك يمول استثماراتهم التجارية، كذلك فتح المصرف عدة مدارس وقام بتشجيع السكان واستقطابهم للتعلّم فيها، كذلك أسس عدة مراكز صحية، كل هاته المشاريع كانت للتمهيد السلمي للغزو الإيطالي؛ ورغم أن هذا المصرف كان ملكاً للقطاع الخاص إلا أن تمويله كان من طرف الحكومة الإيطالية والفاتيكان، فكان من أعماله التغطية المالية لتكاليف عديد البعثات الاستكشافية في ليبيا، مثل بعثة الكونت سيفورزا **Conte Sivorza** المكلف بدراسة ما تحويه أراضي ليبيا من معادن، وقد كلفت هاته البعثات البنك مصاريف كبيرة، مما أصاب مديريه بالضجر تجاه تسييس أعمال المصرف، لكن تدخل السياسيين كان لصالح تمويل مشاريع الاستعمار قدر الإمكان للتعرف جيدا على أوضاع ليبيا[2].

3-2 إنشاء فروع مصرف روما:

هذا البنك الذي استطاع بعلاقاته داخل الدوائر الحكومية في الباب العالي فتح فروع له بولاية طرابلس، وأثّر على سياسة السلطنة العثمانية من خلال نشاطه المتزايد في ليبيا، ففي سنة **1909**م رفض الوالي رجب باشا استثمار المصرف في مجال العقار وشراء الأراضي، لكن إدارة البنك وجدت الدعم من القنصل العثماني في روما حقي باشا والذي بعث برسالة إلى حكومته مفادها : " إنّ إيطاليا تبذل جهداً كبيراً لمساعدة الحكومة العثمانية، ومن الواجب على الباب العالي أن يتجاوب مع بنك روما تدعيماً لأوامر المودة بين الدولتين وإحكاماً لعلاقات الصداقة..."[3].

والدليل على وجود نفوذ إيطالي قوي في أروقة الحكومة العثمانية هو قرار العزل الذي مسّ رجب باشا الذي عارض تأسيس ونشاط بنك روما، وإصدار مجموعة تعليمات تتعلق بحرية نشاط بنك روما اقتصادياً

---

(1) الأمين ميلاد الأمين إبراهيم وآخرون، ص ص 4، 5.

(2) الأمين ميلاد الأمين إبراهيم وآخرون، المرجع نفسه، ص 5.

(3) الحواس غربي، مرجع سابق، ص 49.

وثقافياً، وكنتيجة لهاته القرارات أصبح الولاة تحت رحمة إداريي بنك روما والحكومة الإيطالية، ودعم موقفهم وصول حقي باشا إلى منصب الصدر الأعظم بمساعدة الحكومة الإيطالية[1].

بنك روما الذي تأسس سنة **1907**م في طرابلس وبنغازي، استمر في الانتشار، حيث فتح عدة فروع في الولاية الليبية، ليشمل مدن: زوارة، الخمس، سرت، زليطن، طبرق، السلوم، وقد تعددت نشاطات البنك، ففي المجال الصناعي أنشأ معامل الزيوت في كل من طرابلس، الخمس، مسلاتة، زليطن، ثم أنشأ مطحنة للحبوب، كذلك دعم المصرف إنشاء مطبعة والكثير من المشاريع الصغرى، كما ساهم في بعثات للتنقيب عن المعادن للتمهيد لاستغلالها مستقبلاً[2].

أمّا في مجال الزراعة فقد تمكن البنك من شراء آلاف الهكتارات الصالحة للزراعة في ضواحي مدينة بنغازي، قامت إدارته بتوزيع أكثر من **15** ألف رأس من الغنم مقابل حصول البنك على نصف المحصول، وقد كتبت الصحافة الإيطالية على إنجازات فرع مصرف روما في ليبيا، فعُنون أحد المقالات الذي نُشر على صفحات مجلة "البعث الإيطالية" بـــ:"إنها أعمال عظيمة لبنك يحمل اسم إيطاليا"[3].

أمّا تجارياً فبعد تلقّي البنك مساعدات مادية من قبل الحكومة الإيطالية، ساهم عن طريق فرع طرابلس في تنشيط الملاحة على مستوى حوض البحر المتوسط، وبرمجة خطوط تجارية بحرية بين موانئ طرابلس برقة وطبرق وربطها بموانئ مالطا وجِنوة وبالرمو وإسطنبول، وقد استخدم المصرف المضاربة مع متعامليه من التجار الصغار العرب عن طريق منحهم القروض مقابل الرهانات وبفوائد جد مرتفعة قصد إفلاسهم وكذا سهولة السيطرة عليهم وبالتالي السيطرة على التجارة في ليبيا[4].

ولّما تعرّض مصرف روما لبعض الضغوطات الإدارية من طرف الساسة في الدولة العثمانية، هدد وزير الخارجية الإيطالية عبر تصريحه الإعلامي ضد السلطات العثمانية وأن المساس ببنك روما هو المساس بالحكومة

---

(1) الحواس غربي، مرجع سابق ، ص 50.

(2) الحواس غربي، المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه، ص 51.

الإيطالية، وأن قصد السلطات العثمانية من تلك الإجراءات هو ضرب المصالح الاقتصادية الإيطالية، وهذه التصريحات تعكس مدى المكانة التي يتمتع بها المصرف لدى الحكومة الإيطالية[1].

وقد انتشرت إشاعة بين السياسيين والإعلاميين الإيطاليين –وكان البنك وراء هذا الخبر بغرض الضغط على الحكومة الإيطالية– ومفادها أنّ هناك مشروعًا ألمانيًّا منافسًا لبنك روما بطرابلس، وهدد مسؤولوا البنك ببيع مصالح بنك روما للألمان، مما استدعى التدخل سريعا من طرف صناع القرار في العاصمة روما وإيقاف الضغوطات من طرف السلطات العثمانية على مصرف روما، وعدم الاكتفاء بإصدار التصريحات وإرسال المذكرات بل المبادرة إلى العمل الفعلي، وهذا ما زاد من ذعر السياسيين الإيطاليين والعمل على اتخاذ التدابير اللازمة والاستعدادات النهائية لبداية الغزو، خاصة بعد تقديم أحد المسؤولين الإيطاليين تقريراً للبنك يخص الوضع الاقتصادي في طرابلس، ودخول التنافس مع شركة "كروب سيمنسي" الألمانية و"الدوتش بنك" الألماني، وإمكانية سيطرتهم على اقتصاد طرابلس والتمهيد لاحتلالها، وأن هناك مفاوضات سرية جرت بين الطرف الألماني والعثماني لتأجير ميناء طبرق للأسطول الألماني[2].

كل إجراءات السلطات الإيطالية الاقتصادية والثقافية في طرابلس الغرب ومتصرفية برقة كانت من ورائها عوامل دفعتها للتحرك نحو غزو آخر إقليم عثماني في شمال إفريقيا، وجعلت ساسة إيطاليا يسارعون إلى وضع آخر اللمسات لاحتلال ليبيا، فكان لإيطاليا عديد الدوافع التي ارتكزت عليها حملتها وبالتالي المضي لتحقيق مشاريعها الاستعمارية، تنوعت بين الدافع الاجتماعي والاقتصادي والقومي وكذا الدخول في نادي التنافس الاستعماري، أضف إلى ذلك خيانة بعض قيادات الدولة العثمانية التي ساهمت بشكل مباشر في تقديم جميع التسهيلات كما سيوضح في العنصر التالي.

3-3 دوافع الاحتلال الإيطالي لليبيا:

بعد أن حققت الوحدة بين الإمارات والكونتات بعد عام **1871**م وضعت إيطاليا إقليم طرابلس ومتصرفية برقة نصب أعينها، وبدأت بالتدخل في الشؤون الداخلية لليبيا، وكان لهذا التدخل والرغبة في احتلال الإيّالة العثمانية الوحيدة في شمال إفريقيا عدة دوافع وأسباب.

---

(1) الحواس غربي، مرجع سابق، ص 51.

(2) الحواس غربي، المرجع نفسه.

أهم دافع هو الكثافة السكانية التي كانت تعاني منها إيطاليا في تلك الفترة، والعمل على تصدير فائض السكان إلى المستعمرات الجديدة، وكان معظم المهاجرين الإيطاليين يتجهون نحو الأمريكيتين؛ وتتزايد هذه الظاهرة بعد الظروف الاجتماعية المتدنية، فرأت الحكومة أن توجه هذه الهجرة نحو مناطق أقرب، وكانت ليبيا مفتاح القارة الإفريقية للتوسع الاستعماري وهي إحدى مستعمراتها القريبة التي تحقق أهدافها قريبة وبعيدة المدى[1].

كذلك التحفيزات التي تلقتها الحكومة الإيطالية من بعض ساسة الدولة العثمانية الذين وضعوا خدمة مصالحهم فوق كل اعتبار طبعاً على حساب شعوب أقاليم الدولة العثمانية، مثل إيالة ليبيا التي يرجع بعض الدارسين أسباب اتجاه إيطاليا نحوها هو التسهيلات التي قدمها القنصل العثماني في روما.

فخيانة أحد ولاة طرابلس وهو حقي باشا الذي كان سفيرا لتركيا في روما وفي فترة تواجده بإيطاليا، حيث اتفق مع الساسة الإيطاليين أن يمهد لهم طريق احتلال ليبيا ووجد الفرصة سانحة لّما أصبح وزيرا وله شأن، وعندما ثارت بعض قبائل ولاية اليمن أشار إلى الحكومة العثمانية بسحب القوات العثمانية والمدافع المتواجدة في ليبيا ونقلها إلى اليمن، وحجته في ذلك أن طرابلس هادئة ومخلصة للباب العالي، ولا داعي لإبقاء **45** ألف جندي بمعداتهم هناك، وقد ثّمنت تلكم المبادرة بعض الصحف المأجورة واستحسنت الفكرة، فلم يبقى إلاّ **400** جندي ببرقة، وستة مدافع، والعدد نفسه في طرابلس، و **250**جندي بمدينة مرزوق عاصمة إقليم فزان ومدفعين، أما باقي المدن الساحلية فلم يبقى فيها إلا رجال البوليس[2].

وفيما يخص المؤرخ الطاهر أحمد الزاوي، فإنه ينفرد بوصف الوزير حقي باشا بصاحب الدور الريادي في مسألة تسهيلات التمهيد للتغلغل الإيطالي السلمي خلال عمله سفيرا بروما، والتأثير الواضح من زوجته الإيطالية، لذا الزاوي يجعل حقي باشا المسؤول الأول عن الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب نتيجة نزعته الإيطالية التي أوصلته إلى رئاسة الوزراء في الدولة العثمانية جانفي **1911**م[3]، حيث ساهم بعد توليه منصب

---

[1] عبد السيد السنوسي مراجع إبراهيم، مرجع سابق، ص 14.

[2] محمد إبراهيم لطفي، مصدر سابق، ص ص 28، 29.

[3] يصف الشيخ الطاهر احمد الزاوي حقي باشا :" أنّه المسؤول الأول عن هذا الاحتلال، وهو رئيس العصابة التي بيّتت الشر لطرابلس، ومكّنت الإيطاليين من الاستيلاء عليها، وهو إيطالي النزعة منذ صغره، اشتهر بحبه للمدنية الإيطالية، ومعاشرة الإيطاليين....وله علاقة ودية بالسفارة الإيطالية في الأستانة، وقد حمله حب الإيطاليين طلب العمل في السفارة في روما، ...وبعد تعيينه سفيرا بروما ازدادت أواصر المحبة بينه وبين الإيطاليين ...ولما استقال حسين حلمي باشا من منصب الصدارة، أرسل السنيور ناتان اليهودي شيخ مدينة روما إلى جمعية الإتحاد في سلانيك برقية ليقابل أحد أعضائها وقد قابل رحمي بك، فأبلغه رغبته في تعيين حقي باشا صدراً أعظم، فقبلت الجمعية، واستدعي حقي باشا إلى الأستانة في 11

رئاسة الوزراء بعد استشارته في سحب جميع الأسلحة المتواجدة في ليبيا كما ذكرنا سابقاً، والسلطات العثمانية ذكرت حجة صيانتها، إلا أن الزاوي يرى أنّ الحقيقة من إخلاء البلاد من معدات الدفاع هو التسهيل للاحتلال الإيطالي لليبيا[1]، ورغم أن مجلس الأمة العثماني طالب بمحاكمة حقي باشا وزملائه الوزراء لإهمالهم الواضح لطرابلس، إلاّ أن القرار لم يُنفّذ لسبب أن بعض الوزراء كانوا أعضاء بارزين في جمعية الاتحاد والترقي فكيف يمكن للجمعية محاكمتهم ثم إدانتهم ؟ فبقي القرار حبراً على روق[2].

ويقول الأمير شكيب أرسلان في هذا الصدد : "وكان يوجد في طرابلس أربعون ألف بندقية من نوع سنيدر (شنايدر) Schneider فاسترجعتها الحكومة إلى الأستانة على وعد أن ترسل بدلاً عنها أربعون ألف بندقية موزر Mauser، ولكنها لم ترسل شيئاً"[3]، وهنا يتبين لنا أن الأمر مخطط له من قبْل ومن قِبل مسؤولين نافذين في الدولة، وهنا تجتمع الآراء حول المسؤول الأول حقّي باشا الذي كان وراء رأي سحب القوات والمعدات من طرابلس الغرب وبرقة وإرسال بعضها إلى اليمن بحجة العمل على استتباب الأمن هناك.

كما تُثبت الوثائق تواطؤ الوالي حسن حسني باشا [4]، الذي ساهم وساعد في عملية للتغلغل الاقتصادي في طرابلس، والذي عين واليا على طرابلس سنة **1903**م، وقد وصفه المؤرخ الطاهر أحمد الزاوي بأنه ضعيفُ الإرادة، تركيٌّ بجنسيته، إيطاليٌّ بروحه وأعماله، وأنّه كان من معاول السياسة الإيطالية الهدّامة، حيث قضى على كل ما تبقى في طرابلس من أسباب للمقاومة للسياسة الإيطالية، هذا الخضوع والخنوع جلب للوالي النقد الإعلامي في طرابلس واسطنبول ثم العزل عن ولايته[5].

أضف إلى ذلك أنّ هناك دوافع اقتصادية جعلت من ساسة إيطاليا يضعونها في أولويات أعمالهم، فرأوا في أراضي ليبيا الشاسعة مصدراً للدخل القومي الإيطالي عبر السيطرة عليها والاستثمار فيها واستغلالها من

جانفي 1911م، وصدرت الإدراة السنية بتعيين حقي باشا صدراً أعظم مع الإنعام عليه برتبة الوزارة، وحقي باشا هو الذي عزل إبراهيم باشا بطلب من السفير الإيطالي بطرابلس السنيور غالي. الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب** ، الناشرون دارف المحدودة، لندن، المملكة المتحدة ط3، 1984م، ص 47.

[1] فاتح رجب قدارة، **"الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي"** ، المجلة الجامعة، العدد السادس عشر،المجلد الرابع، نوفمبر، 2014، ص25.

[2] أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص ص 329، 330.

[3] الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 48.

[4] حسن حسني باشا هو أحد ولاة طرابلس الغرب وهو صهر رحمي بك الذي سافر إلى روما برغبة من شيخ روما السنيور ناتان اليهودي الذي أوصى الاتحاديين بتعيين حقي باشا على رأس الصدارة العظمى في جانفي 1911 وبالفعل تم له ذلك.

[5] فاتح رجب قدارة، مرجع سابق، ص 25.

خلال دعم الفلاحين الإيطاليين المهاجرين نحو إيالة ليبيا بُعيد احتلالها [1]، وحلاً لمشكلة الهجرة وإعادة توجيهها من أمريكا إلى أقرب نقطة للوطن الأم، والاستفادة من المهاجرين وخبرة اليد العاملة الإيطالية بدل خسارتها للأبد، كذلك استثمار فائض رؤوس الأموال في الوطن الجديد.

من الدوافع نجد الدافع القومي، وهو إعادة استرجاع أمجاد روما الضائعة، والعمل على سيطرتهم على الشمال الإفريقي كما فعلت قديماً، وهذا باستغلال ضعف نفوذ العثمانيين في ليبيا وفقدان ثقة القبائل بهم، وتقاعس المسؤولين العثمانيين وتعاون بعضهم لخدمة مصالح الإيطاليين، وضعف الحامية العثمانية في طرابلس وبنغازي بعد سحب معظم قطع الجيش العثماني من هناك، كذلك اليأس الذي أصاب الأهالي من حكم آل عثمان المباشر[2].

وهناك أسباب أخرى كالمنافسة التي اشتدت بين دول أوروبا سواء الدول الأوروبية الاستعمارية الكبرى أو القوى الناشئة التي أظهرت نيّتها في الاستعمار على غرار ألمانيا وإيطاليا، هذه الأخيرة أرادت دخول النادي الاستعماري من خلال مزاحمة الكبار وبذل جهود دبلوماسية على صعيد العلاقات الدولية وإثبات الوجود على أرض الواقع وفرض واقع جديد من خلال اللعب على وتر المصالح المشتركة وعبر سياسة التحالفات وإبرام الاتفاقيات السرية والعلنية.

إضافة إلى محاولة غسل العار الذي أصاب إيطاليا في هزيمتها النكراء في واقعة عدوة بالحبشة سنة **1896**م، وتجاوز الشعور بالنّقص الذي أصابها طيلة تلك الفترة، خاصة بعد خسارتها لمستعمراتها هناك، وإعادة الاعتبار للجيش الإيطالي وتكريساً للشعور الوطني القومي الإيطالي[3].

كما لا ننسى الدافع الحضاري الذي جعلته معظم الدول الأوروبية الاستعمارية غطاءً لأعمالها الحربية وحُجّةً لتحقيق مآربها الخاصة، فادّعت إيطاليا عبر إعلامها أنّها تحمل رسالة حضارية، وتتحمّل عِبء الرّجل الأبيض في ليبيا وتمدين الشعوب المتخلفة، فربطت تاريخها وأمجادها بتاريخ المنطقة والتذكير بأن ليبيا خضعت سابقاً للحضارة الرومانية[4].

---

(1) Sami H Khayala, op cit, p 53.
(2) Sami H Khayala, Ib id, p 53.
(3) Ib id, p 54.
(4) خليفة محمد التليسي، **معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931**، الدار العربية للكتاب، ، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1983م، ص20.

رغم اتخاذ عديد الأسباب لاحتلال ليبيا وإيجاد الكثير من الأعذار الاستعمارية؛ فإن الأهداف واحدة وهي خدمة المصالح الذاتية على حساب شعوب قارتي إفريقيا وآسيا خاصة العربية منها، فاحتلال إيطاليا لليبيا كان له عديد التبريرات فقط لتمرير المشاريع الخفية وتحقيق مآربها السرية.

4) بداية الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب وموقف الدولة العثمانية منه:

مهدت الحكومة الإيطالية لعملية الغزو واتخذت جميع الاستعدادات وراهنت على أن يكون النصر سريعاً، وأخذت جميع احتياطاتها لكي لا تتكرر هزيمة موقعة عدوة الأثيوبية، فكان لزاماً لها أن تحشد ما أمكنها من جندٍ، وتجمع ما لها من إمكانيات مادية عسكرية لدحر أعدائها في غضون ساعات، فلم تفكر الحكومة في طول معركتها، و لم تحسب لما بعد نجاح عملية الإنزال وبداية مرحلة جديدة طويلة الأمد استنزفت قدراتها العسكرية من حيث العدد والعدة.

4-1 بداية الغزو الإيطالي لليبيا :

بعد الاجتماع السري الذي عقده مجموعة من الوزراء الإيطاليين، على رأسهم وزير الخارجية سان جوليانو Anton di san Giuliano ووزير الحربية باولو سبينقاردي Paolo Spingardi ووزير البحرية باسكوالي ليوناردي Pasquale Leonardi Cattolica ووزير المالية فرانشسكو تديسكو Francesco Tedosco بتاريخ **21** سبتمبر **1911م** وعلى عجل، ناقش الحاضرون الوضع السياسي والاقتصادي للمُضي قُدماً نحو احتلال آخر أقاليم الدولة العثمانية في شمال إفريقيا، ويرجع المؤرخ محمد مصطفى سبب التسرع الإيطالي في هذه المرحلة بالضبط هو رواج إشاعة على الساحة الدولية الأوروبية ووصول أخبار اهتمام ألمانيا بليبيا وأنّها تعمل جاهدة للحصول على مرفأ لتزويد أسطولها البحري في البحر المتوسط بالوقود[1].

لذا كان من الضروري تقديم إنذار [2]إيطالي للدولة العثمانية وإلحاقه مباشرة بإعلان الحرب، رغم أنه لم يكن أي رد من طرف تركيا وهو ما سيجعل إيطاليا تُقدم على تنفيذ مخططها العسكري في ليبيا [1]، إلا الرسالة

---

[1] محمد مصطفى بازامه، **العدوان أو الحرب بين تركيا وإيطاليا في ليبيا** ، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ط 1، 1965م ، ص ص18، 19.

[2] **نص الإنذار الإيطالي** : المقدم إلى رئيس الوزارة العثمانية (حقي باشا): يا صاحب الدولة ما انفكت الحكومة الإيطالية منذ سنين تذكر الباب العالي بضرورة وضع حد لسوء النظام وإهمال الحكومة العثمانية في طرابلس وبنغازي، ....وهذا التغيير الذي يقتضيه التمدن يجعل المصالح الحيوية

التي سُلمت إلى السفارة الإيطالية صباح يوم الجمعة **29** من سبتمبر **1911**م والتي جاء فيها:" إنّ طرابلس الغرب ولاية عثمانية لا يتخلى عنها الباب العالي بأي حال من الأحوال، والطليان المقيمون بها لا خطر عليهم البتة، ولا لزوم مطلقا لإرسال جنودا إيطاليين إليها....ولّما كانت العلائق الودية لا تزال متصلة بين الدولتين فالتجهيزات التي قامت بها إيطاليا في البر والبحر تخالف عواطف الولاء وتضاد تلك العلائق، بل هي تعاكس التأكيدات التي قامت بها حكومة الطليان مؤخرا بتصريحها بلسان وزير خارجيتها باعترافها بسلامة الأراضي العثمانية...فالباب العالي مستعد للدخول في المخابرات بشأن مطالب إيطاليا...." [2]، وهذا بعض ما اجتزئ من الرد العثماني على الإنذار الإيطالي، وقد أكّدت الدولة العثمانية من خلاله أحقيتها في ولاية طرابلس وأنّها لن تتخلى عنها مهما كان، والملاحظ كذلك أن الدولة العثمانية كانت تجنح للسلم من خلال استعدادها للدخول في مفاوضات حول مطالب الإيطاليين.

والقارئ لمجريات الأحداث في تلك المرحلة جيداً، يجد أن إيطاليا أعلنت الحرب بشكل مباشر على الدولة العثمانية وليس على إيالة طرابلس العثمانية، لأن مسارها السياسي الخارجي كان لم ينضج بعد كما وصفها الكثير من الدارسين في هذا الحقل من التاريخ، وقد وصف المؤرخ الليبي محمد مصطفى بازامه الدبلوماسية الإيطالية في تلك الفترة بطفولة إيطاليا السياسية.

ويرجع المؤرخ المذكور آنفا أن إجراء إيطاليا كان خلافاً لإجراءات فرنسا في الجزائر وتونس التي احتلت الدولتين، في حين لم تعلن الحرب على الدولة العثمانية، كذلك بريطانيا احتلت مصر و لم تعلن الحرب ضد الدولة العثمانية رغم كون هاته المستعمرات أقاليم تابعة للدولة العثمانية، والسبب يرجع إلى وضعية الدول المحتلة سياسيا وعلاقتها مع الدولة العثمانية، حيث أن الجزائر وتونس ومصر كانت تتمتع بحكم شبه ذاتي، لها

بحسب ما تستلزمه مصلحة إيطاليا بأول درجة بالنظر لقصر المسافة بين تلك البلاد والشواطئ الإيطالية، وبالرغم من حسن مسلك الحكومة الإيطالية التي كانت دائما موالية لتركيا.....كانت الحكومة العثمانية تجهل رغائبها في طرابلس، ...وجميع مشاريعها هناك كانت تلاقي مقاومة مطردة لا تحتمل، فالحكومة العثمانية هي دائما تبدي العداء نحو الحركة الإيطالية الشرعية في طرابلس وبني غازي، وما زالت كذلك حتى الآن، واقترحت الحكومة الملكية الإيطالية أن تتفاهم معها...المفاوضات التي برهن الاختبار على عدم نفعها وهي لا تشتمل على ضمانة للمستقبل، ولن تكون إلا سببا للاحتكاك والنزاع. Sami H Khayala, op cit, p 151

[1] محمد مصطفى بازامه، مرجع سابق، ص 19.

[2] الطاهر الزاوي، مرجع سابق، ص ص 54-55.

جيشها الخاص، ولأصحاب القرار حرية اتخاذ القرارات وعقد المعاهدات، عكس إيالة طرابلس ومتصرفية برقة اللتان كانتا تابعتين للدولة العثمانية مباشرةً، وتُدار أمورهما من العاصمة العثمانية إسطنبول[1].

فقُبيل الغزو بدأت إيطاليا في افتعال الأزمات مع الحكومة العثمانية، فاتهمت العثمانيين بعرقلة مصالحها في ليبيا، وبدأت الصحافة بتحريك الرأي العام الإيطالي والدعوة إلى التدخل العسكري [2]، وبعد تأكد الإيطاليين من حصولهم على مساندة الدول الأوروبية، أخذوا في الاستعدادات العسكرية للحملة على طرابلس، و لم يأتي شهر سبتمبر حتى اكتملت الترتيبات النهائية، وزُوّد كل ضابط مشارك في الحملة بدليل عسكري يحوي تفاصيل جغرافية طرابلس مناخها طرقها ونظامها الإداري وعاداتها الاجتماعية والدينية، كذلك مُنح لهم قاموسان الأول إيطالي-عربي، والثاني إيطالي-تركي، وخرائط للإيالة[3].

ثم وجهت إيطاليا إنذارها المشهور إلى الدولة العثمانية كما ذكرنا سلفاً والذي كان في **27** سبتمبر **1911**م، ولّما لم تقبل الدولة العثمانية هذا الإنذار، أقدمت إيطاليا على إعلان الحرب ضد تركيا في **29** سبتمبر **1911**م[4]، ويذكر الأمير في تعليقاته على كتاب تاريخ ابن خلدون أن إيطاليا كانت لها خمسة مطالب وهي : خروج الجيش العثماني من طرابلس الغرب وبنغازي ودرنة، وتشكيل جندرمة قيادتها تكون من ضباط إيطاليين، وأن تكون إدارة الجمارك لموظفين إيطاليين، وآخر مطلب يتمثل في وجوب استشارة الحكومة الإيطالية عند تعيين والي طرابلس[5].

كانت إيطاليا تخطّط ليكون نصرها سريعاً، وفي ظنّ الكثير من الضبّاط الإيطاليين أن الليبيين سوف يستقبلونهم بالورود[6]؛ ويذكر أمير البيان أن الحكومة الإيطالية ظنّت أنّها سوف تستولي على طرابلس الغرب وبرقة في غضون **15** يوماً، ولّما سمع اللورد الإنجليزي "كتشنر" -المشهور الذي كان مندوبًا في مصر وصاحب

---

(1) محمد مصطفى بازامه، مرجع سابق، ص ص 15، 16.

(2) خليفة محمد التليسي، **معجم معارك الجهاد في ليبيا**، ص21.

(3) Sami H Khayala, op cit, p 57.

(4) خليفة محمد التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، ص 22.

(5) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ملحق الجزء الأول، ص 352.

(6) فمن المحرّضين على احتلال ليبيا نجد الإعلامي الإيطالي **جيوسبي بياتزا** صاحب الكتاب المعروف بعنوان (الأرض الموعودة) بعد جمعه لمقالاته المكتوبة في صحيفة (**ستامبا**) الصادرة في تورينو، وقد أُدين هذا الصحفي من قبل المؤرخين الإيطاليين بتهمة تضليل الرأي العام الإيطالي والتحريض على الحرب، والمبالغة في تصويره للاستعدادات التي تنتظر الجيش الإيطالي في الساحل الليبي للتخلص من الوجود العثماني. خليفة محمد التليسي، **مدينة طرابلس...**، ص 233.

خبرة وحنكة- بطموح إيطاليا، حيث قال :" إنّي أرى الطليان مفرطين في التفاؤل، وإنّ تجربتي الطويلة في حروب إفريقيا تجعلني أخطأ هذا الرأي وأقول : أنّ احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب وبرقة قد يستغرق ثلاثة أشهر..."، فثلاثة أشهر التي توقّعها القائد الكبير كتشنر، و **15** يوماً التي احتملها الإيطاليون لإتمام احتلال طرابلس الغرب وبرقة، لم تكن شيئاً في مقابل العشرين سنةً بالتّمام[1].

أي بعد أسر الشيخ عمر المختار وإعدامه سنة **1931**م، ورغم أن الجيش الإيطالي بعدته وعدده الذي تجاوز المائة ألف، لم يتجاوز المدن الساحلية شبراً إلى الداخل الليبي، فلو كان أهل ليبيا يملكون من العدّة والعتاد ما يسدّون حاجتهم لاستطاعوا إخراج الإيطاليين من برّهم إخراجا[2].

بُعيد إعلان الحرب مباشرةً قامت إيطاليا بفرض الحصار البحري على سواحل طرابلس وبرقة، وأرسلت الحملة الأولى من نابولي Napoli إلى طاربلس، ضمّت فرقتين وفوجين من الجنود وكتيبة آلية، وأربع بطّاريات جبلية، وعدة وحدات احتياط بلغ عددها الإجمالي حوالي **40** ألف جندي منهم **6300** من الفرسان، **1500** عربة و **72** مدفع منها **48** مدفعاً جبلياً، أمّا بنغازي فقد وُجّهت لها حملة ثانية انطلقت من بالرمو Balirmo مكوّنة من **36** ألف جندي تحملهم **19** قطعة بحرية[3].

عرف الغزو الإيطالي لليبيا في البداية أشدّ المعارك حيث قامت الأساطيل الإيطالية في **3** أكتوبر **1911**م بدكّ طرابلس وقصفها بأحدث ما أنتجته الصناعة الحربية الإيطالية من مدافع، ثمّ قامت القوّة الإيطالية بعملية الإنزال واحتلال المدينة القديمة بطرابلس بعد انسحاب نشأت باشا من حاميته العثمانية، ليتجه نحو الداخل لإعادة تنظيم صفوف المقاومة، وفي الوقت نفسه قامت وحدات عسكرية إيطالية أخرى بالسيطرة على مدينة طبرق وميناءها في الجهة الشرقية، وزوارة في الجهة الغربية للحيلولة دون الدخول في الصراع مع الدول التي تسير شؤون الأقاليم المجاورة[4].

لم تدم صدمة الأهالي طويلا حتى بدأت المقاومة في هجماتها العنيفة على مواقع تجمع القوات الإيطالية، فبعد تاريخ **27** أكتوبر **1911**م تتابعت المعارك الضارية، وكثّفت المقاومة الليبية هجماتها في نوفمبر

---

(1) يذكر الأمير أن هذه المدّة من الحرب خلفت خسائر بشرية ومادية معتبرة، حيث قُتل ما لا يقل عن 150 ألف قتيل إيطالي وكلّفت الحرب 300 مليون جنيه ذهب. شكيب أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص 117.

(2) أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص 330. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، م1، ج2، ص 117.

(3) الحواس غربي، مرجع سابق، ص57.

(4) محمد خليفة التليسي، **معجم معارك الجهاد**..، ص 25.

وديسمبر[1]، وتوالت الحملات على مدن الساحل حتى ارتفع عدد القوات العسكرية الإيطالية إلى **120** ألف جندي مع **122** مدفع ثقيل و **66** مدفع متوسط، و**28** مدفع ميدان و**15**مدفع رشاش، و**2500** آلية، وإدخال عدة طائرات للحرب لأول مرّة في تاريخ الطيران، إضافة إلى **145** سفينة سيطرت على المجال البحري الليبي، وجلبت كل ما تحتاجه الحملة من عتاد وجنود احتياط، في حين لم يصل عدد القوّات العثمانية في ليبيا إلى **5000** جندي بطرابلس و **2000** في برقة، مسلحة بأسلحة تقليدية لا تفي بالغرض [2]، خاصة بعد سحب معظم القوات وعتادها ونقلها إلى اليمن كما ذكرنا سلفاً.

استطاعت القوات العثمانية إلى جانب المتطوعين المجاهدين وقادة الثوار امتصاص الصدمة بعد تراجعهم عن الساحل وإعادة تنظيم أنفسهم وتنشيط عمليات التجنيد والتدريب، ورغم بساطة العتاد وقلة العدد مقارنة بالآلة الحربية الإيطالية، إلا أن المقاومة الليبية استطاعت تهديد الوجود الإيطالي في المدن الساحلية الليبية، واسترجعت الكثير من المواقع المحتلة، وخاضت عشرات المعارك ضد الوحدات العسكرية الإيطالية التي ارتكبت عديد المجازر ضد المدنيين بعد الهزائم التي تعرضت إليها [3]، كالمجزرة التي حدثت بعد معركة شارع الشط بطرابلس بعد أن خسر الإيطاليون **21** ضابطاً وما يقارب **500** جندي، وقد أشار لذلك الملازم الأول ريناتو تيتوني Renato Titouni[4].

طول هاته الفترة بقيت القوات الإيطالية متمركزة في مدن الساحل أين تعتمد على الحماية البحرية من قبل الأسطول الإيطالي الذي يملك مدافع بعيدة المدى ذات قوّة تدميرية كبيرة، ساهمت بشكل كبير في إبعاد خطر هجمات الجيش العثماني ومجموعات المقاومة الليبية التي تلقت المساعدات العسكرية من طرف الدولة العثمانية.

4-2 موقف الدولة العثمانية من الهجوم الإيطالي على ليبيا:

لم تكن ردود فعل الدولة العثمانية حازمة منذ البداية، أي منذ الإنذار الذي تلقته من إيطاليا قبيل الغزو، فبعد عملية الإنزال أبرقت السلطات العثمانية للقيادة في طرابلس عبر التلغراف، حيث أمرت خلالها بعدم

---

(1) محمد خليفة التليسي، مرجع سابق، ص25.

(2) الحواس غربي، مرجع سابق، ص 58.

(3) الحواس غربي، المرجع نفسه، ص 61.

(4) المرجع نفسه، ص 64.

مقاومة القوات العسكرية الإيطالية التي تنزل على الشواطئ الليبية إلا بعد حصول الامتيازات المتنازل عليها من طرف الدولة العثمانية، وعمل الباب العالي على ربح وساطة الدول الكبرى للوصول إلى نتيجة، وبالموازاة أرسل سعيد باشا رئيس الوزراء مذكّرة يوم **30** سبتمبر **1911**م لحكومات الدول الكبرى قصْد تدخّلها والضغط على الحكومة الإيطالية واللجوء إلى التفاوض وتجنّب إراقة الدماء[1].

إلاّ أنّ ردود فعل حكومات الدول الأوروبية كانت سلبية تجاه المطلب العثماني، فاختارت الحياد وعدم التدخل، طبعاً هذا نتيجة الجهود الدبلوماسية الإيطالية في السنوات التي خلت، حيث كسبت مودة معظم الدول ووقّعت عديد الاتفاقيات الثنائية السرية، وعدم التدخل في شأن ليبيا مستعمرة إيطاليا المحتملة.

وفي هذا المقام يمكن الاستئناس برأي شكيب أرسلان الذي يذهب إلى أنّه:"...عندما استغاثت تركيا بدول أوروبا جمعاء ممّا فعلته إيطاليا، اصمّت انجلترا وفرنسا آذانهما عن سماع نداء تركيا **!!** وليتأمل المتأمّل في تلوّي السياسة ودناءة مبادئها، وذلك عندما يرى أن اعتداء إيطاليا على طرابلس لم تقابله انجلترا بأدنى كلمة استنكار، على حين أنها اليوم تحشد **180** بارجة حربية وتجمع خمسين دولة من أعضاء جمعية الأمم، على مقاطعة إيطاليا التجارية بحجّة أن إيطاليا شنّت الغارة على الحبشة ظلماً وعدواناً، كأنّ الغارة على طرابلس لم تكن عدواناً وظلماً..."[2]، فكانت الدول الأوروبية الاستعمارية وبالخصوص فرنسا وإنجلترا تتعامل مع قضايا العالم بازدواجية، حسب ما تتطلب مصالحها وما تميل إليه قيادتها بخلفية الدين أو القومية أو العرق.

فبعدما فشلت الدولة العثمانية في مساعيها لإيقاف الغزو الإيطالي عن طريق الجهود الدبلوماسية على الساحة الأوروبية، قررت المقاومة ومواصلة العمل الحربي بعد إرسال برقية بتاريخ **03** أكتوبر **1911**م إلى القيادة في طرابلس مفادها:" يجب المقاومة ضد العدو في المناطق الساحلية إلى آخر لحظة، وإذا لم تبق إمكانية المقاومة فيها، يمكن أن تنسحب القوات إلى الوراء لتدافع فيها عن الوطن بشجاعة"[3].

إلا أن هذا الموقف كان متأخرًا، فالاحتلال الإيطالي على الأرض احتل معظم مدن الساحل واستطاع نقل جيش بكامل عدته وعتاده لتحقيق مكاسب على الأرض بالقوة لا بالسياسة، وفي **05** نوفمبر **1911**م

---

(1) الحواس غربي، مرجع سابق، ص 99.

(2) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ملحق الجزء الأول، ص 356.

(3) الحواس غربي، مرجع سابق، ص ص 69، 70.

أصدرت السلطات الإيطالية مرسوما بموجبه تضم طرابلس وبرقة إلى ممتلكاتها رغم أنها لم تحقق نصراً حاسماً، ولازالت تواجه مقاومة شرسة[1].

ثم بدأت المساعدات المادية تتوافد على المقاتلين الليبيين، فأرسلت الدولة العثمانية عدد من القيادات العسكرية أمثال القائد أنور بك [2]، مصطفى كمال، فتحي أوفيار، وخليل بك عمّ أنور بك، سليمان العسكري، عزيز علي المصري، وأدهم باشا الحلبي (كما هو موضّح في الصورة من الملحق رقم **02**)[3]، يذكر أمير البيان في سيرته أنّ أنور باشا كان ملحقاً عسكريا ببرلين فحركّته الحميّة وجاء إلى الأستانة وأخذ معه مبلغاً من المال واستصحب مجموعة من الضباط ودخلوا ليبيا متنكرين في اللباس المدني عبر الإسكندرية، كذاك فتحي بك كان ملحقاً عسكريا بباريس فسار إلى طرابلس عن طريق تونس [4]، هؤلاء أرسلوا تقاريرهم العسكرية للحكومة العثمانية التي بادرت بإرسال المساعدات [5]، تمثلت في عدة بواخر حربية سقطت بعضها في أيدي الأسطول الحربي الإيطالي[6]، وأخذ المتطوعون من المشارق والمغارب يتوافدون إلى ليبيا ووصلت البعثات الطبية من مصر وتركيا، وقامت الصحافة العربية والإسلامية بتغطية شاملة لكل الأحداث والمعارك ونقل كل الأخبار للعالمين العربي والإسلامي[7].

عيّنت الحكومة العثمانية أنور بك على رأس القيادة العامة في طرابلس في حربها ضد الإيطاليين، وقسّمت الجبهة إلى ثلاثة مناطق، المنطقة الأولى يترأسها عزيز المصري، والثانية درنة يترأسها مصطفى كمال، والثالثة طبرق بقيادة ناظم بك، وقد عمل القائد أنور بك جاهدا لجمع شتات المقاتلين ودعم المتطوعين ورجال القبائل والزوايا حول القادة العثمانيين، حيث أن المتطوّعين المجاهدين كانوا عماد الجيش التركي، كما أرسل إلى السيد

---

(1) الحواس غربي، مرجع سابق، ص ص 69، 70.

(2) يذكر أمير البيان في تاريخ ابن خلدون أن أنور باشا هو من اقترح على السلطات العثمانية تنظيم الجهاد في طرابلس الغرب مع مجموعة من الضباط، فلم يعتقد أحد من الحكومة العثمانية أن هذا الآمر يكون ذو فائدة حربية لليبيين والعثمانيين، وعندما همّ بالرحيل قال له محمود شوكت باشا ناظر الحربية:" لا أرى فائدة من سفرك، وربّما يقتلك العرب في الطريق، لأن الطليان يقدرون أن يرشوهم بالمال فيغتالوك..."، فقال له أنور:" لقد أهملنا طرابلس إهمالاً فظيعاً ضاقت فيه فسحة العذر، فيجب علينا تعويض تفريطنا في حقّها، وأن نبذل كل ما نستطيعه في سبيل الدفاع عنها، وإذا كان العرب يقتلوننا في الطريق فيكون الذنب ذنبهم، ونعود نحن معذورين..."، هذا ما قاله انور باشا للأمير حين التقى به في معسكر درنة. أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص 331.

(3) عبد السيد سنوسي مراجع إبراهيم، مرجع سابق ص34.

(4) أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص 73، 74. أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص 331.

(5) عبد السيد سنوسي مراجع إبراهيم، مرجع سابق ص34.

(6) أرسلان **سيرة ذاتية**، ص74.

(7) عبد السيد سنوسي مراجع إبراهيم، مرجع سابق ص34.

الشريف السنوسي بالكفرة رسالة تنبيه وتحذير من خيانة الإيطاليين لعهودهم، ويرجوه من خلالها إرسال منشور إلى أتباعه ليحاربوا أعداء الدين والبلاد[1].

بعد عودة أنور باشا إلى قاعدته درنة، وصل عدد جيشه إلى حوالي خمسة آلاف من المشاة والفرسان من عرب ليبيا، كما أحضر معظم الجنود العثمانيين المتفرقين في الصحراء قصد إحلال الأمن، وبقيت مجموعات الليبيين تتوافد على المعسكر حتى ناهز عدد المتطوعين تسعة عشر ألف جندي، من بينهم خمسمائة جندي نظامي؛ وقد حدثت عديد المعارك بقيادة أنور باشا أسفرت عن إيقاف زحف الإيطاليين إلى الداخل، وبقيت الأمور على حالها طيلة العام الأول من الحرب، من أكتوبر **1911م** إلى **18** أكتوبر **1912م**، أين وقّع الطرفان اتفاقية الصلح في أوشي [2](لوزان الأولى)، بمقتضاها تعهد الطرفان بوقف الحرب، وقيام الدولة العثمانية باستقدام الجيش والضباط وموظفيهم المدنيين من طرابلس[3].

يذكر المؤرخ محمد الشنيطي أنّ سبب توقيع العثمانيين لهذه المعاهدة كان عدم استعدادهم الجيد للحرب وتفرغهم لأقاليم البلقان والحرب التي نشبت هناك، وفي المقابل أوكل الإيطاليون حربهم لجيشهم الذي قارب **120** ألف جندي ناهيك عن تجهيزاته المتطورة والدعم الأوروبي غير المتناهي، هذا الجيش الذي فتح جبهات أخرى في البحر المتوسط والأحمر ليشتت أنظار العثمانيين، حيث استولى على جزيرة رودس والدوديكانيز، وهددت موانئ العثمانيين في البحر الأحمر، لذا كان لزاماً على الحكومة العثمانية المضي قدما لتوقيع الصلح والحفاظ على ممتلكاتها الأخرى، وفي الوقت نفسه لم تتخلى صراحة عن طرابلس الغرب فيتخلى عنها العالم الإسلامي، فكان للاتفاقية وجهان: فالمعاهدة تقرّ السيادة الإيطالية على طرابلس حسب منشور الملك الذي

---

(1) محمد الشنيطي، **قضية ليبيا**، ملتزمة النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1951م، ص ص 50-52.

(2) اتفاقية لوزان الأولى أو معاهدة أوشي والتي عُقدت بين الدولة العثمانية وإيطاليا في قلعة أوشي بمدينة لوزان السويسرية بين شهري أوت وأكتوبر من عام 1912، بموجبها تم الاتفاق على توقيف إطلاق النار، وتنازل الدولة العثمانية على السيادة الليبية للأهالي في طرابلس وبرقة أي منحهم استقلالا ذاتيا داخليا تاماً على أن يعين ممثلا له يلقب بنائب السلطان، سحب الجنود والضباط العثمانيين من ليبيا، والملك الإيطالي بدوره وزّع منشوراً على الليبيين يذكر من خلاله أنّ ليبيا أصبحت خاضعة خضوعا كاملا للملكة الإيطالية ويعفو عن الليبيين الذين يخلدون للهدوء، ويعدهم بالمحافظة على الشعائر الدينية الإسلامية، ويسمح لهم بذكر السلطان في صلواتهم العامة بصفته خليفة المسلمين.شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا– تونس– الجزائر– المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977، ص378. محمد وليد عبد صالح، "**موقف الدول العثمانية من الغزو الإيطالي (لليبيا)**" ، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد 81، 2020، هامش ص120. رابط المقال :https://www.iasj.net/iasj/download/a1839c31d23e6dcc.

(3) محمد الشنيطي، مصدر سابق، ص 52.

وُجّه للسكان الليبيين، وهو يعدّ الملحق الثاني لنص الاتفاقية، والمادة **38** من القانون الصادر يوم **25** فيفري **1912م** تنصّ على أن طرابلس الغرب وبرقة خاضعتين خضوعاً مطلقاً عاماً للسيادة الملكية الإيطالية[1].

والوجه الثاني من المعاهدة يبقي الارتباط القائم بين الدولة العثمانية وطرابلس الغرب، يتمثل في احتفاظ الدولة العثماني في حقها في تعيين نائب السلطان يرعى مصالح العثمانيين في طرابلس وبرقة، كذلك تعيين قاضٍ للبلاد تدفع الدولة راتبهما، كما ورد ذلك في الملحق الأول من المعاهدة، أمّا أهم ما جاء في الملحق الأول هو منح السلطان العثماني الاستقلال الذاتي لسكان ليبيا، وهذا اقتباس من نص في الملحق :"..لما كانت حكومتنا السنّية في حالة يستحيل معها عليها أن تسير لكم المساعدات التي تحتاجون إليها للدفاع عن وطنكم....فرغبةً منا في اتقاء مواصلة حرب مدمرة لكم ولعائلاتكم، وذات خطر على إمبراطوريتنا، وفي إدخال السلام إلى والهناء إلى وطنكم، قد منحتكم استقلالاً داخلياً مطلقاً وتامًّا بما لي من حقوق السيادة عليكم."[2].

فرسالة السلطان من الملحق الأول للمعاهدة تضمنت اعتراف صريح للسلطان العثماني بعدم مقدرتهم منح المساعدات الحربية للدفاع عن ليبيا ووصفها بالأمر المستحيل، ويضيف أنه ورغبة منه في عدم مواصلة الحرب لعدم الإضرار بالأهالي الليبيين، وما يصيب الإمبراطورية من خطر حسب قوله، هذا يوضح كذلك أولويات السلطان في اتخاذ قراراته ومصالح الأستانة في ذلك، ومنحه الاستقلال الذاتي لليبيين كان اضطراراً ومحاولةً منه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في الفترة التي أصاب الضعف كيان الدولة وتوالي المصائب والأزمات عليها تباعاً، الأزمة الليبية واليمنية ثم البلقانية.

طبعاً كان لأمير البيان ما يدلي به من آراء حول قضية اتفاقية الصلح التي عُقدت بين الطرفين، وكان له جهد معتبر في التأثير على مجريات مفاوضات الاتفاقية كما ذكر وسنذكره في العنصر القادم الخاص بموقف الأمير من توقيع معاهدة الصلح بين العثمانيين والإيطاليين في أوشي بلوزان السويسرية.

---

[1] محمد الشنيطي، مصدر سابق، ص ص 52-53.

[2] محمد الشنيطي، المصدر نفسه، ص ص 53-54.

وقد وقّعت الدولة العثمانية معاهدة الصلح دون استشارة زعماء البلاد في طرابلس وبرقة، وانتدبت شمس الدين باشا إلى طرابلس كنائب للسلطان، واستدعت ضباطها أنور باشا [1] ومصطفى كمال، وتركت القيادة العامة للقائد عزيز المصري.

في هذه الفترة بالضبط، خرجت الدولة العثمانية من الحرب الإيطالية الطرابلسية، وانتقلت الزعامة إلى السنوسيين في مقاومة الاحتلال الإيطالي، فعبر هذه المعاهدة انتهت المرحلة الأولى من الحرب الإيطالية الليبية، وتمكنت القوات الإيطالية من السيطرة على مدن الساحل وبقيت قواتهم محصورة هناك [2]، هذا الاتفاق لم يثني أهالي طرابلس وبرقة عن مواصلة القتال، كانت المعارك شرسة خاصة بعد تنظيم السنوسيين لصفوفهم، وبداية ظهور الحركة الوطنية الليبية ببرقة وطرابلس.

وكان لهذا الاتفاق نتائج عدة نذكر منها :

- الأثر السلبي لهذا الصلح على الليبيين، فقد كانت المعنويات مرتفعة عند اجتماع العرب والترك في مواجهة القوة الإيطالية المغتصبة، وكانت قلوب الليبيين لازلت مرتبطة بدولة الخلافة.
- بعد عقد هذا الاتفاق مباشرة، بادرت بعض الدول الأوروبية بالاعتراف [3] بالسيادة الإيطالية على طرابلس الغرب وبرقة رغم تنازل السلطان العثماني عن السيادة الليبية للأهالي الطرابلسيين بصراحة في نص المعاهدة .
- سحب الأتراك لقواتهم المتواجدة في ليبيا رغم قلّتها جاء كالصاعقة على الليبيين، فأدركوا أن الدولة العثمانية قد تخلّت عنهم دون إعطائهم الفرصة للاستعداد، فكان لزاماً عليهم مواجهة الاحتلال بأنفسهم وبإمكانياتهم المتواضعة، وكان هذا الإجراء نظير سحب الإيطاليين لقواتهم من جزر الدوديكانيز (Dodicanese) التي احتلتها إيطاليا للمساومة على طرابلس.

---

[1] قبل رحيل أنور باشا عن البلاد الليبية تلقى من احمد الشريف السنوسي رسالة مفادها :" نحن والصلح على طرفي نقيض ولا نقبل صلحا بوجه من الوجوه، إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد إلى العدو..."، وحذر من أثر توقيع الصلح في نفوس المسلمين في جميع الأقطار، ما يحدثه من نفور شديد من الدولة العثمانية، على أن أنور باشا أراد أن يكون الرد مباشراً فآثر على زيارة شيخ السنوسية إلى واحة الجغبوب حيث بقي هناك ثلاثة أيام، وضّح فيها وجهة نظره والدافع الحقيقي للسلطان، وأبلغه أوامره المتمثلة في إسناد أمر الأمة إلى سيادته ليدعم أركان الإمارة السنوسية المستقلة. محمد الشنيطي، مصدر سابق، ص ص 55-56.

[2] عطا الله شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 377.

[3] أول دولة اعترفت بالسيادة الإيطالية على ليبيا هي إنجلترا في 19 أكتوبر 1912م، ثم تلها فرنسا في 21 أكتوبر، ثم رومانيا في 23 أكتوبر، ثم توالت الاعترافات من عديد الدول الأوروبية تباعاً. عطا الله شوقي الجمل، مرجع سابق، هامش الصفحة 378.

- عدم اعتراف الوطنيين بانتقال السيادة من العثمانيين إلى الإيطاليين في البلاد، فولاؤهم للسلطان العثماني في نظرهم لازال قائما على أساس الرابط الديني لا غير[1].

أمّا السنوسيون فرأوا أن التنازل عن السيادة الليبية للأهالي الليبيين قد منحهم الحق في الاستقلال، واعتبروا ما جاء في بنود المعاهدة بمثابة الإعلان عن استقلال الإمارة السنوسية، من خلال هذا أن أصبح في ليبيا قيادتان: الأولى في برقة وفزّان بقيادة السنوسيون، فكانت الوثائق تصدر من الجغبوب بختم الحكومة السنوسية، والثانية في طرابلس يتولاها سليمان الباروني[2].

ثم استؤنفت العمليات القتالية بين السنوسيين والجيش الإيطالي، الذي استطاع السيطرة على عديد المناطق كبنينة، بو مريم، الأبيار، طوكره، جردس العبيد، البرج، مرسى سوسه... لكن تكبدت القوّات الإيطالية خسائر فادحة في العدد والعتاد، نظراً لحرب العصابات التي انتهجتها القوات السنوسية في هجماتها[3].

أمّا طرابلس فقد أعلن الوطنيون استقلالها وقيام حكومة وطنية بقيادة سليمان الباروني، لكن هذه الحكومة لم تستطع الصمود أمام هجمات الطليان المتتالية، مما اضطر سليمان الباروني إلى مغادرتها نحو الأستانة أواخر عام **1913**م[4].

عند اندلاع الحرب العالمية الأولى (**1914-1918**م) انضمت إيطاليا إلى الحلفاء، ودخلت تركيا إلى جانب المحور، فقامت بريطانيا بحصار السواحل الليبية والحدود المصرية لمنع وصول الإمدادات العسكرية للمقاتلين الليبيين، وأصبح الأتراك يموّلون أحمد الشريف السنوسي بالذخائر العسكرية، كما أن الغواصات الألمانية منحت المؤن والذخيرة للسنوسيين [5]، وللإشارة فإن الأمير كان له دور في جذب الألمان إلى خدمة قضايا العرب بحكم علاقته التي بدأت مع السلطة الألمانية منذ سنة **1895**م[6].

أما عن السلطة العثمانية التي وقعت المعاهدة مكرهةً، ساهمت في فترات مقبلة وخلال الحرب العالمية الأولى في دعم الثوار الليبيين وبالأخص السنوسيين بالمال والسلاح، وكان للأمير شكيب أرسلان من هذا

---

(1) عطا الله شوقي الجمل، مرجع سابق، ص ص 377، 378.

(2) عطا الله شوقي الجمل، المرجع نفسه، ص 378.

(3) المرجع نفسه، ص 378.

(4) المرجع نفسه، ص 379.

(5) المرجع نفسه.

(6) ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص109.

الدعم نصيب، فبذل ما أمكنه من خدمات جليلة في سبيل تحرير الوطن المفقود، إعلامياً ومادياً وعلى جبهات القتال.

5) جهود أمير البيان شكيب أرسلان في خدمة القضية الليبية:

أحدث الاعتداء الاستعماري للإيطاليين على ليبيا ردود أفعال عربية وإسلامية واسعة، وخلق حالة من الاحتجاجات والمظاهرات في معظم المدن العربية والإسلامية مشرقا ومغربا، فضلا عن التجمعات وجمع الإعانات المادية دعما للقضية الليبية [1]؛ كان أمير البيان شكيب أرسلان من المبادرين المسارعين إلى نصرة إخوانه الليبيين عبر كتابة المقالات الصحفية وهذا ما يجيده في حقل الإعلام، وسارع كذلك إلى جمع المساعدات المادية وتجنيد المتطوعين للمشاركة في معارك استرداد الأرض الضائعة، هذه الجهود سطّرها الأمير في الواقع وعلى أوراق المطابع، فخلّف مناقبه في ما خطّطه حول القضية الليبية سواء في المجال الصحفي أو الحربي، أو ما كُتب عنه من طرف المقرّبين منه.

5-1 جهود أمير البيان في مجال الصحافة والإعلام:

بعد الاعتداء الإيطالي السافر على طرابلس الغرب ومتصرفية برقة، ووصول أنباء ذلك إلى مسامع الأمير كان غضبه شديداً وردّه سريعاً حيث بادر بكتابة الرسائل إلى مختلف الجهات تحريضاً لنجدة الليبيين، والحثّ على تمويلهم ودعمهم، وأبرق إلى السلطة العثمانية في الأستانة، فردّ عليه شوكت باشا ناظر الحربية شاكراً له على اهتمامه وتقديراً له على اندفاعه للقضية، ثم راسل المصريين لرفع الهمم وجمع الجيوش، فكتب إلى صديقه محمد رشيد رضا [2] ليخبره عن وجوب مساعدة الطرابلسيين فيقول :"سيدي الأخ الفاضل أعلم أن جهادكم

---

[1] أرويعي محمد علي قناوي، **سليمان باشا الباروني ونشاطه السياسي في المهجر 1924-1940م**، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا، ص ص 4، 5.

[2] نصر رسالة الأمير إلى السيد رشيد رضا كاملةً : "سيدي الأخ الفاضل أعلم أن جهادكم في تهذيب الأنفس وإقامة الشريعة على قواعد العلم وأخذ المؤمنين بحقيقة الدين وإثلاج الصدور ببرد اليقين هو الجهاد الأكبر والبلاء الأسنى ...وإن الأمة التي تفهم الدين فهمكم لا يخشى عليها من اعتداء إيطالي، ولا استبداد أجنبي ...وقد ظهر لنا بعد تقليب وجوه الحيل كلها، وتمحيص آراء الإغاثة بأجمعها، أنه لم يبقى إلا طريق البر، وإن هذا الطريق مهما كان شاقًّا صعباً طويلاً معطشاً، فغنه هو الوصلة الوحيدة والممر الممكن...فإن لم تساعد السياسة على إمرار جنود منظمة فلا أقل من متطوعة، وإن لم يكن نهوض متطوعة فلا أقل من تسريب ذخائر وأرزاق على ظهور الجمال...فإن من طرابلس وبنغازي والصحراء ومن قوم السنوسي رجال يشاغلون إيطالية سنين طوالاً...أفلا ينهض الإسلام في كل الممالك إلى إغاثتهم بما يمسك أرماقهم على الأقل، حتى تطول الحرب، ويستمر الدفاع، فإن طول الحرب يستدعي تدخل الدول، ويفت في عضد تجارة إيطالية...فيا ما أحلى الغلبة للإنجليزي بالقياس إلى هذه الحالة، ويا ما أحلى طعم الموت إذا صرنا ننهزم أمام من هزمهم الأحباش ! ...أفلا يمكنكم في مصر عقد الاجتماعات لوضع هذه الإعانة في موضع التحقيق،

في تهذيب الأنفس وإقامة الشريعة على قواعد العلم وأخذ المؤمنين بحقيقة الدين وإثلاج الصدور ببرد اليقين هو الجهاد الأكبر والبلاء الأسنى ...وإنّ الأمة التي تفهم الدين فهمكم لا يخشى عليها من اعتداء إيطالي، ولا استبداد أجنبي .....ووفقكم إلى هذه الغاية، أفندم أخوكم شكيب أرسلان"[1].

فمضمون الرسالة يتضمن نظرة شكيب أرسلان السياسية وخطته التي ذكرها عديد المؤرخين، وآراؤه حول الحرب الليبية، وكيف يكون الرد على الهجوم الإيطالي ودعم حركة الجهاد في طرابلس الغرب، في الوقت الذي كانت فيها السلطات العثمانية تتجرع مرارة الهزائم المتكررة في أقاليمها المتباعدة، كذلك حملت رسالة الأمير لغة رصينة مؤثرة تحرك مشاعر القومية العربية الإسلامية والأحاسيس الجياشة، عبّرت الرسالة عن حقيقة الانتماء والتعلق العاطفي والولاء للأمة الواحدة، وفيها كذلك استصراخ للمصريين ومدحٌ في حقّهم وذكرٌ لبعض من مناقبهم وتاريخهم، ولمدّ العون لإخوانهم في ليبيا، كما ذكّر الأمير آخر هزيمة تلقّاها الجيش الإيطالي في الحبشة في موقعة عُدوة.

كذلك بعث برسالة إلى الشيخ علي يوسف، فردّ عليه الشيخ واقترح أن يحضر إلى مصر ويعمل على مساعدة اللّيبيين، فأعجب شكيب باقتراح الشيخ علي يوسف [2]، فكان للأمير اليد الطولى في تجييش المصريين لمساعدة أهل الجهاد في برقة وطرابلس، عبر الرسائل الخاصة التي كان يبعث بها إلى مقربيه المصريين أو مقالاته التي كانت تُنشر خاصة في مجلة المؤيد لصاحبها الشيخ علي يوسف[3].

وقد ألحّ عليه الخديوي عباس حلمي أن يحول مسار الجهاد إلى مشروعات سياسية أخرى تخصّه [4]، فردّه الأمير واعتذر عن قبول مقترحه وقال له :" إنّي قاصد إلى الجهاد في طرابلس وما خرجت من بيتي في جبل

وإيفاد السعاة على الهند وإلى السنوسي...وما نستصرخ إخواننا المصريين أولى اليسار وأهل الحمية إلا المدد المادي إن تعذّر كل مدد غيره، وأي شهم يضطلع بهذا العمل أكثر منكم...قصدت استيراء زندكم في هذا الغرض وليس ذلك على همتكم بعزيز، ونحن في انتظار الجواب شدّ الله بكم الأزر، ووفقكم إلى هذه الغاية، أفندم أخوكم شكيب أرسلان". أحمد الشرباصي، **شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، ص ص29، 32.**

[1] المرجع نفسه.

[2] أحمد الشرباصي، المرجع نفسه، ص 32.

[3] شكيب أرسلان، **شوقي أو صداقة أربعين سنة**، ص 35.

[4] أثار الأمير في سيرته الذاتية هذه النقطة فقال أن الخديوي لم يكن يريد للأمير الذهاب إلى طرابلس بحجة أن الحالة العامة حرجة وأن مستقبل الدولة العثمانية مظلماً، واقترح عليه أن يبقى في مصر لاستقبال الطوارئ وقد يكون خطرها أعظم من حوادث طرابلس، والحقيقة كما وصف الأمير أن الخديوي كان يفكر بحركات في بلاد العرب، ويهدف إلى جمع مفكري العرب وزعمائهم، فيقول الأمير :"أمّا أنا فكنت مخالفاً لهذا الرأي قائلا أن كل حركة اليوم ضدّ الدولة العثمانية تلحق بها ضعفاً وتزلزل أركانها، وتفيد الإفرنج، وتضرّ العرب والترك معاً...". أرسلان **سيرة ذاتية**، ص75.

لبنان إلاّ بهذه النيّة فلا بدّ لي من إتمامها بالعمل..."، فتكلم الخديوي مع السيد رشيد رضا والشيخ علي يوسف ليتوسطا لدى الأمير ويحوّلاه عن مقصده، فتكلّما معه لكنّه رفض، وعندما قطع الخديوي أمله من استبقاء الأمير في مصر، استدعاه قبل سفره وبقيا يتبادلان أطراف الحديث ساعةً من الزمن، وقبل مغادرته حاول تكريمه بمبلغ من المال بحجة أنه ذاهب إلى الجهاد، فاعتذر الأمير عن قبول المال وأخبره أنه لن يتردد لحظة في طلبه عندما يرى أنه في أمس الحاجة لسموّه[1].

وقد التقى الأمير في مصر برفيق بك العظم أحد القادة والمفكرين السوريين، والذي حاول كذلك أن يثني أرسلان عن إكمال الطريق إلى ليبيا، قائلا للأمير :"ليس عندنا اليوم وقت للاشتغال بصحاري طرابلس"، فأجابه أمير البيان:"إن لم نقدر أن نحفظ صحاري طرابلس لم نقدر أن نحفظ جنان الشام"[2].

خلال مرور الأمير بمصر في رحلته الجهادية نحو ليبيا، مكث بها أربعين يوماً، كتب خلالها أربعين افتتاحية في "المؤيد" المصرية[3]، فيقول في هذا الشأن عن نفسه:" ...كنت في كل صبيحة أكتب في المؤيد مقالة افتتاحية خمسة أو ستة أعمدة، أكتبها قطعةً وراء قطعة، ومُرتِّب الحروف يصُفّها بينما أنا لم أنته منها..." [4]، وكان شكيب يلقي بقصائده الشعرية حول الحرب الليبية في الأماكن العامة كالملاهي والمقاهي كما فعل في ملهى الأوبرا إلى جانب أحمد شوقي والخليل بك المطران تحفيزاً لجمع المؤن لليبيين[5].

ويرى شكيب أن غيرته على عروبته جزءٌ من عقيدته، وهو من قال شعرا على الوطن الليبي في حربه ضد الاحتلال الإيطالي:"

ترى النفس دينا وقفة في صفوفها قضاء عن الأرحام بعض ديونها
فما الشام والنيل السعيد، ودجلة سواها لدى أفراحها وشجونها
و والله لا أعطى المقاد لظالم ولما أرد بالنفس حوض منونها
إذا بات إخواني ببرقة سُهادًا فكيف تنام العين ملأ جفونها ؟[6]

---

[1] شكيب أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، ص 149.
[2] ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص66.
[3] شكيب أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 47.
[4] شكيب أرسلان، **شوقي أو صداقة أربعين سنةً**، ص 40.
[5] شكيب أرسلان، المصدر نفسه، ص41.
[5] أحمد الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج1، ص 10.

وقد تقدم الأمير شكيب أرسلان بخطة إستراتيجية، طويلة المدى ارتكزت على ثلاثة نقاط أساسية :

1 - الناحية التموينية تكون عبر الطريق البري، أي تمر الإمدادات من خلال الأراضي المصرية وإلى المجاهدين بسبب الحصار الذي ضُرب على السواحل الليبية من طرف القوات البحرية الإيطالية.

2 - من الناحية الإعلامية تكثيف الاجتماعات وبعث السعاة إلى مختلف مناطق البلاد الإسلامية قصد دعم القضية الليبية مادياً.

3 - وآخر نقطة ارتكزت على الجانب العسكري واعتمد على إستراتيجية حربية، أي إطالة أمد الحرب، واستمرار المقاومة والذي سيؤدي بعد ذلك تدخل الدول الأخرى في القضية، إضافة إلى استتراف الاقتصاد الداخلي لإيطاليا مما يسفر عن ظهور معارضة داخلية، بعد التأثير على الرأي العام الإيطالي.

وقد رحب العديد من الشخصيات بهذه الخطة فصرّح الباروني :" لو أخذت الحكومة العثمانية بتفاصيل الخطة التي رسمها الأمير شكيب أرسلان ونفذتها بحذافيرها لما ضاع الأمل في اتخاذ طرابلس وبرقة أو لاستطعنا على الأقل إطالة أمد الحرب ثلاث أو أربع سنوات أخرى "[1].

كان لأمير البيان فضل كبير في الجانب الإعلامي وكتابة المقالات في مختلف الجرائد والصحف العربية والإسلامية حول المسألة الليبية، فكانت له مساعي حميدة في بداية الحرب قصد إعانة الليبيين وعدم التخلي عنهم، ورغم العلاقة التي جمعته بالقائد موسوليني [2] إلا أنّه لم يهدأ له بال، وشنّ حملته الإعلامية ضد فظائعهم الوحشية خاصة بعد وصول الحكومة الفاشية إلى الحكم كما سنورده في عنصر قادم.

وفي هذا الشأن ذكرت الجمعية الطرابلسية البرقاوية فضل أمير البيان في تقديم الشواهد المادية والوثائق من مقالات وشهود عيان حول ممارسات الإيطاليين الشنيعة، والتي جُمعت في كتاب "الفظائع السود الحمر" لاطلاعه الشاسع بقضايا الأمة والذود عن حمى المسلمين، وبالأخص المسألة الليبية التي كان له دور كبير في

---

[1] أرويعي محمد علي قناوي، مرجع سابق، ص ص 4، 5.

[2] وقد ذكر أمير البيان في مدونته أن الزعيم موسوليني أُعدم رمياً بالرصاص بعد محاكمة صورية في 20 أفريل 1945م، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الأول بأنه أُعدم في 27 أفريل من طرف العصابات الشيوعية الإيطالية المناهضة للفاشية سنة 1945م، اعتماداً على كتاب " **موسوليني** **لمؤلفه** :جوسيبي دي لونا. أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي**، 348.

دعم جهاد الشعب الليبي إعلاميا ومادياً، فكان يتابع عن كثب كل مجريات الأحداث في طرابلس الغرب وبرقة، خاصة ما تكتبه الصحف الأوروبية عن مجمل الأحداث في ليبيا والعالم الإسلامي، وقد أورد أمير البيان ما كتبه أبرز المراسلين في كبريات الصحف الأوروبية عن فظائع الإيطاليين في ليبيا[1].

5-2 جهود الأمير المادية والحربية :

تنوّعت إسهامات أمير البيان شكيب أرسلان في دعم القضية الليبية، بين كتابة الرسائل إلى من كانت له صلة أو نزعة وطنية أو علاقة جيدة مع الأمير، أو عبر كتابة الشعر والقصائد المؤثرة والمحفزة على تقديم الإعانات المادية للقضية الليبية، أو تحرير المقالات الصحفية كما ذكرنا سابقا في أشهر الصحف والمجلات كما كتب على الصفحات الافتتاحية لمجلة المؤيد، كذلك كانت له جهود في جمع ما استطاع من المتطوعين للحرب ضد الاحتلال الإيطالي مثل ما تضمنته إحدى رسائله الخاصة بهذه الحرب لكنها غير مؤرخة و لم يُعرف لها زمن.

ولا بأس والحال هذه أن نضرب مثالاً برسالة الأمير إلى صديقه محمود الطويل حمادة من بعقلين [2]، أين مركز طائفته الدروز، حيث طلب من خلالها متطوعين للحرب الليبية، يذكر أمير البيان في فحوى رسالته تفاصيل سفر مجموعات المتطوعين من لبنان، فكتب أنه يوجد **50** متطوعاً، وأنه سوف يلحقهم أفواج أخرى من حوران ومن مجدل شمس، والأمير سوف يأخذ معه مجموعة من الشبان من الغرب اللبناني، وأن أهل بعقلين يسعون لإرسال عشرة شبان من القرية و لم يشترطوا تكاليف السفر عليه، بل سيسعى نسيب بك ابن عمّه في

---

[1] هيئة تحرير ليبيا ، **الفظائع السود الحمر، من صفحات الاستعمار الإيطالي في ليبيا أو التمدين بالحديد والنّار** ، مطبعة الكرنك، مصر، ط 2، 1948، ص3.

[2] بعقلين هي إحدى القرى الدرزية المزدهرة توجد في لبنان في جبال الشوف تقابل مدينة دير القمر، تجاور المدن والقرى (دير دوريت، الجاهلية، داريا، غريفة، عينبال، عثرين، بيت الدين، ودير القمر...)، ترتفع على سطح البحر بين 850 م و920 م، تبعد عن العاصمة بيروت ب42 كم، تبلغ مساحتها 1400 هكتار، ذكرت لأول مرة في التاريخ عندما استوطنتها القبائل التنوخية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان،توفي فيها الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين ودفن بدمشق، كانت مركزاً لقائمقامية قضاء الشوف بين سنتي 1840 و 1860، كذلك في عهد المتصرفية حتى الحرب العالمية الثانية، كتبت المصادر أن الأمير مصطفى أرسلان بنى سراياً بعقلين التاريخية أين تقع المكتبة الوطنية حالياً. من الموقع الإلكتروني موسوعة التوحيد الدرزية http://www.al-amama.com/index.php?option=com_content&task=view&id=771 توقيت وتاريخ الزيارة : 17.00/ 2021/06/02.

طلب الإعانة هناك والأمير في الشام، ثم يعطي الأمير بعضاً من النصائح حول توقيت الخروج، والسبيل الأفضل للوصول إلى مبتغاهم مع تجنب تأخير السفر، وفي الأخير يختم الرسالة ببعض الوصايا[1]

كان إلحاح الأمير حول مشاركته الحرب الإيطالية الليبية شديداً، ولتمكينه من ذلك دون إثارة الشبهات عُيّن على رأس بعثات الهلال الأحمر المصري كناظر عام لها، حيث دخل ليبيا بهذه الصفة [2]، وذاق مرارة السفر الشاق عبر الطريق البرّي بين مصر وليبيا، حيث التقى بأنور باشا واشترك إلى جانبه في عدة معارك حربية خطّها في إحدى رسائله المؤرخة بتاريخ **14** مارس **1911**م[3].

وكان من المبادرين لجمع المؤن والمساعدات المادية بعد المعنوية، فكان على رأس بعثة طبية، باجتهاده الخاص وصل عدد جمال القافلة التي وصلت ليبيا إلى **650** جملاً بصحبة خمسة أشخاص من أصدقائه المقربين[4]؛ وفي كتابه شوقي أو صداقة أربعين سنة وفي سيرته الذاتية ذكر أن جمعية الهلال الأحمر المصري عهدت له بقيادة قافلة ستمائة جمل محمّلة أرزاقاً للمجاهدين في برقة، وخصصت له منها ثلاثين جملاً له ولأصدقائه محملة بالمأكل والملبس[5]، وفي المقابل استطاع الأمير أرسلان جمع مائة وخمسين متطوعا من الدروز للمشاركة في الحرب، ضد الهجوم الإيطالي عام **1911**، وخلال رحلته مرورا بمصر نظّم إلى جانب جمعية الهلال الأحمر حفلا لجمع التبرعات [6]، حثّ فيه المصريين على منحهم الأموال للحرب عبر إلقاء قصائده الشعرية[7].

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص62.

(2) ممن رافق الأمير في رحلته إلى ليبيا برّا الشيخ سليمان بك كنعان، أحد أعضاء مجلس إدارة جبل لبنان وقد مُنعا من دخول ليبيا من طرف السلطات الإنجليزية، لذا ذهب بصفته ناظر عام في منظمة الهلال الأحمر، وقد خاطب المجاهدين هناك وأثار الحمية الوطنية وأشعل حماسهم وأيقظ وجدانهم الروحي. أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص142.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص 47.

(4) عبد السيد سنوسي مراجع إبراهيم، مرجع سابق ص34.

(5) شكيب أرسلان، **شوقي أو صداقة أربعين سنة**، ص 36. أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 76.

(6) محمد سالم عمايرة، مرجع سابق، ص156.

(7) هاته بعض أبيات القصيدة:" ... وهل نظروا من نحو برقة موهنا فلاحت منها بروق الصوارم
دفاعا عن الأوطان ان حفاظها لدى كل عصر كان أولى المكارم
كفى بالهلال الأحمر اليوم هاديا من حار في ليل من الخطب داهم
وإخوانكم بالغرب صرعى مقيلهم ظهور المزاكي أو بطون القشاعم
لقد حوصروا برا وبحرا وأمطروا بحمر المنايا من سواد الغمائم

وقد نشرت مجلة الهلال قصيدته في أحد أعدادها [1]، وفي أحد رسائله التي كتبها الأمير من ليبيا، ذكر فيها أنه لم يكن في نيته السفر مع قافلة الهلال الأحمر المصري، بل قصد الجهاد من الشام على نفقته، لكن بوصوله إلى مصر طلب منه عديد الأصحاب أن يرافق القافلة فلبّى طلباتهم [2]، وهي القافلة نفسها التي وصل عدد جمالها **650** جملاً كما ذكرنا سابقاً.

تعددت طرق جمع الإعانات المالية للحرب الطرابلسية الإيطالية وبالأخص الجرحى، فقد حضر شكيب إحدى المسرحيات بمصر كانت تمثيل لرواية صلاح الدين الأيوبي، كذلك أُقيمت سوق خيرية للغرض نفسه وكان الناس يقبلون عليها بكثرة ويقتنون حاجياتهم[3].

وبعد سفر الأمير إلى الأستانة بعد أن وصل أسماعه مسألة المفاوضات بين الدولة العثمانية والحكومة الإيطالية، جاءته برقية من الأمير محمد علي شقيق الخديوي ورئيس الهلال الأحمر بمصر طلب منه المجيء إلى مصر، لكنه اعتذر بسبب انشغاله بقضية متصرفية لبنان، ثم جاءه مكتوب ثاني من قبل السيد أحمد بك العريس البيروتي يطلب منه المجيء إلى مصر كذلك وبإلحاح، وبعد الانتهاء من مشاغله من قضية لبنان، وبعد حضوره إلى مصر طلب منه الخديوي عبر الشيخ علي يوسف الاتجاه إلى الحدود المصرية الليبية قصد منح مبلغ عشرة آلاف جنيه إعانة مصرية للقائد عزيز المصري قائد القوات العثمانية والمجاهدين في ليبيا ضد إيطاليا، فاعتذر الأمير عن هذه المهمة، والسبب وصول معلومات أن الخديوي كان يسعى إلى إقناع عزيز المصري بأن ينسحب من القتال في ليبيا إرضاءً للإيطاليين فطلب إعفاءه من المهمة[4].

وفي كتابه تاريخ ابن خلدون ذكر الأمير أنه من خلال تصريحات القائد جيلوتي رئيس نظّار إيطاليا في تلك الفترة في مذكراته المطبوعة أنّ الخديوي عبّاس حلمي كان من بداية الحرب الإيطالية الطرابلسية إلى نهايتها يُساعد الإيطاليين بما أمكنه من وسائل، وقد اطّلع ساسة الدولة العثمانية على ما كتبه الضابط جيلوتي بعد الحرب العالمية الأولى فكان وقعه سيئاً عليهم[5].

---

[3] شكيب أرسلان، **"قصيدة شكيب أرسلان"**، مجلة الهلال، العدد 6، صدر بتاريخ 1 مارس 1912، ص ص 361، 362. من الموقع https://archive.alsharekh.org/Articles/134/13047/255049 (2020/11/04)

[4] شكيب أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجالات العصر**، ص47.

[3] شكيب أرسلان، **شوقي أوصداقة أربعين عاماً**، ص 40.

[4] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص 89، 90.

[5] أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص 336.

حتى بعد توجه الإعانات المصرية إلى الأستانة خلال حربها ضد دول البلقان، سعى الأمير جاهداً إلى عدم قطع خط الإمدادات الذي كان يصل إلى المجاهدين الليبيين ولو للحد الأدنى، فبعد انصراف المسلمين من المهم إلى الأهم كما قال الأمير، أخذت لجنة الإعانة تحت رئاسة الأمير عمر طوسون(أمين الأمة) ترسل الإعانات إلى الدولة، فأراد أن يحوّل الإعانات الموجهة إلى طرابلس نحو الأستانة، فترجّاه أمير البيان أن يُبقى على تلك الإعانات لليبيين، لأن هذه الإعانة لا يكون لها دور مهم في الحرب البلقانية، أمّا في الحرب الطرابلسية فهي تسد رمق المجاهدين الذين يكتفون بالقوت الضروري، فالفرد الواحد كان يكفيه قرش ونصف في اليوم[1].

وخلال سفر الأمير إلى المدينة المنوّرة التي مكث بها شهرين ونصف، راسله الشيخ أحمد الشريف السنوسي طالباً منه بيع قطعة الأرض التابعة للزاوية السنوسية بالمدينة المنورة بعد تفويضه، والتي تساوي عشرات الألوف من الجنيهات حسب الأمير، قصد تخصيص تلك المبالغ للجهاد في ليبيا، فأجابه الأمير بصعوبة معاملات البيع وعدم تفرغه لذلك، وقد يدخل فصل الصيف قبل انتهاء إجراءات البيع، لذا وعده الأمير أن يغنيه عن بيع فسحة الأرض والأفضل أن تبقى تابعة للزاوية، وبعد أن صار أنور باشا ناظراً للحربية، والذي كانت بينه وبين الأمير صداقة، أبرق إليه الأمير بالتهنئة وذكّره بقضية ليبيا وعمّا كلّفه السنوسي به حول بيع الأرض السنوسية لأجل الجهاد، فأجابه أنور باشا الذي كان صديقا لأحمد الشريف السنوسي كذلك ويقدره كثيراً، أنّه باشر بإرسال الإمدادات للسيد السنوسي، وبالفعل استمر بإرسال المال والضباط إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى وسقطت الخلافة العثمانية[2].

هذه الإمدادات ساهمت في حصار القوات الإيطالية في المرافئ البحرية الليبية، لا يستطيعون الخروج منها إلى الداخل مسافة ساعة واحدة، وكان الفضل لحميّة أنور وتضحية الأهالي وشجاعة المقاتلين وثبات القادة السنوسيّين[3].

وكان لأمير البيان مساعٍ حثيثة مع الضباط الألمان، ففي إحدى رسائله للثعالبي المؤرخ في شهر مارس **1924**م، ذكر أنّه تكلّم مع الضبّاط الألمان حول إقامة مصانع سلاح بطرابلس وقد وافقوا، ولما جاء إلى مرسين

---

(1) أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص 335.

(2) أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص 95، 96.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص96.

بتركيا تكلّم مع السيد السنوسي في الأمر، واقترح أن يبدأ بالصغير، أي بمعمل للقرطاس ولإصلاح البنادق، ويكون ذلك في واحة الكفرة بليبيا لتواجد الحديد هناك، فبادر الأمير بمراسلة الضباط الألمان لإرسال هيئة فنّية إلى واحة الجغبوب[1]، لكن أرسلان لم يفصل في هذه المسألة، هل تمّ لهم ذلك أم لم تنجح الفكرة بتاتاً.

بذل الأمير جهود كبيرة في سبيل تحقيق هدف تلبية حاجات المقاتلين الليبيين على جبهات القتال إلى جانب ضباط الدولة العثمانية الذين لهم خبرة واسعة في حروب الدولة العثمانية وفي تنظيم الجيوش، وكان له الفضل في جمع مبالغ معتبرة وإسهامات كبيرة في هذا الجانب، ثم دخل طرابلس الغرب إلى جانب المقاتلين المتطوعين العرب حيث كان شاهدا على عديد المعارك ضد الطليان، لينفرد عن بقية أقرانه من المفكرين بمشاركته عن قرب في الدفاع عن حمى العروبة والإسلام.

5-3 أمير البيان على جبهات القتال:

أما عن تفاصيل سفر أمير البيان ودخوله عبر الحدود المصرية الليبية البرية إلى طبرق، فقد وصف النشاط البدني الذي لم يعهده من قبل، وقد بقي يمشي من آخر سكة حديد مربوط إلى أولى مواقع الحرب بليبيا **15** يوماً، وقد سلّمه المصريون الكرام كما وصفهم إعانات للمجاهدين وجرحى الحرب ما يفوق الوصف، ثم ذكر في رسالته قوافل المساعدات المتصلة ببعضها البعض جمعها العثمانيون والمصريون حيث تقطع بين **20** و**30** يوما براً، أمّا قافلته التي ذكرناها سابقا حسب بعض المصادر فإنّ عدد الجمال فيها فاق **650** جملاً، وذكر هو في أحد رسائله أنّ قافلته فاقت الخمسمائة جمل منها **68** جملاً تحمل أمتعته وأمتعة مرافقيه من خيام ولوازم المطبخ[2].

وعند وصوله إلى طبرق لقي أدهم باشا الحلبي فسلّم بعض المساعدات للمجاهدين هناك [3]، ثم أتم مسيره إلى أن وصل إلى معسكر عين منصور المشرف على مدينة درنة، حيث التقى القائد العام أنور باشا هناك فمنحه

---

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص14.

(2) شكيب أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص 47.**

(3) يذكر الأمير في سيرته أن أنور باشا أمر أدهم باشا الحلبي بإرجاعه إلى الحدود المصرية فلم يوافقه أدهم باشا على ذلك وأنّ العرب المجاهدون في جيشه قد يسوؤهم ذلك، فأراد شكيب أن يقصد معسكر أنور باشا بدرنة ليكون بالقرب منه وتسهل مراقبته كما وصف ويرى الأمير أن سبب إصدار هذا الأمر من أنور باشا هم الذين حذروهم منه وأرادوا الأمير أن يسافر إلى برقة لأرجع منها ساخطاً عن الأتراك، ثم دسّوا أخباراً إلى مصر والأستانة مفادها أن الأمير أرسلان ذاهب إلى الجبل الأخضر لتحريك العرب ضد الأتراك، فوصلت الأخبار من الأستانة إلى أنور باشا فأصدر هذا القرار، ويضيف الأمير أنّ أنور باشا لعدم معرفتي به مسبقاً صدّق ما ورده فأعطى لأدهم باشا ذلك الأمر، ولّما وصل شكيب إلى معسكره كان أنور باشا حذراً جدّاً منه كما ذكر الأمير، والأمير لم يكن لديه أدنى فكرة لتفاصيل تلك القضية، وبعد يومين فقط غيّر أنور باشا نظرته نحو الأمير،

كذلك ما خصص له من إعانات مادية لجيشه من بعثات جمعية الهلال الأحمر المصري، ثم انتقل إلى بنغازي حيث كان هناك القائد عزيز بك علي المصري، وسلم للبعثات المصرية التي هناك ما تبقى من إعانات، وكان إلى جانبهم الدكتور حافظ عفيفي[1].

أمّا أحمال الثلاثين جملاً التي خُصصت له من طرف جمعية الهلال ولجنة الإعانة –حيث أعطته حرية التصرف فيها كما يشاء– فقدْ وزّعها على مشايخ الزوايا السنوسية مثل سيدي العلمي الغماري شيخ زاوية البراعصة، وسيدي محمد الغزالي شيخ زاوية ترت، وسيدي الدردفي شيخ زاوية شحات وآخرون؛ وقد أهدى الأمير جميع ما بقي لديه إلى أنور باشا، و لم يستأثر لنفسه بشيء؛ وكانت لجنة الإعانة قد خصصت للأمير شكيب مائتي جنيه لنفقته الخاصة، فوزّعها كهدايا للمجاهدين لتطييب خواطرهم كما ذكر، وبقي يُنفق على نفسه من حر ماله منذ أن غادر جبل لبنان[2].

وصف أرسلان حالة جنود الطليان في بداية الحرب وبعد الإنزال البري، قائلاً:" الطليان محصورون في أساكل[3] معلومة ولا يقدرون أن يخرجوا، وكلما خرجوا صُدّوا ولولا أساطيلهم لما أمكنهم الثبات في البرّ..." ثم يضيف أنّه لو كان للعرب أسلحة وذخيرة بقدر عدد أساطيلهم لأمكنهم من طردهم من مدة[4].

وفي رسالة أخرى بعثها إلى صديقه محمود الطويل يصف أحداث الحرب وما تلقته القوات الإيطالية من هزائم بعد عملية الإنزال، وعدم تمكّنهم من التوغل في الأرض الليبية رغم قوة عدتهم وكثرة عددهم، ويتطرق الأمير إلى معارك طبرق التي خلفت قتل **200** جندي إيطالي وأسر عدد لا بأس به من الجنود، وغنم **50** بندقية، وقُتل من العرب **20** وجُرح أربعون؛ أما في درنة وبنغازي فالمعارك قائمة وفي أغلبها نصر للعثمانيين

واقتنع أنّ الذي وصله هي دسائس مفتعلة، وأقرّ له بكل ما وصله عنه، ثم انعقدت بينهما صحبة أكيدة استمرت بعدها إحدى عشر سنة إلى أن جاء خبر استشهاده في بخارى التي فجّر فيها ثورة ضد بلاشفة الروس بعد الحرب العالمية الأولى. أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص76، 77.

[1] شكيب أرسلان، **شوقي أو صداقة أربعين عاماً**، ص36.

[2] المصدر نفسه.

[3] الأساكل جمع الإِسكلة وهي مرفأ للسفن وهي من الكلمة اللاتينية Escale أي توقف أو محطات السفن أو أماكن مخصصة لتوقف السفن مؤقتاً، وبمفهوم آخر هي نقاط عبور أو مراكز عبور أقامها الفينيقيون على السواحل الغربية للبحر المتوسط وذلك لقيامهم برحلات لمسافات بعيدة عن موطنهم، وغالباً ما تبنى بمواد بسيطة والغرض منها إيجاد محطات بسيطة لاستراحة البحارين مساء كل يوم من مشقة التجديف. رابط الموقع الإلكتروني: https://arbyy.com/detail1167730123.html **تاريخ الزيارة** 22:40/ 2021/05/30.

[4] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 48.

كما قال شكيب، وكانت آخر خسارة للإيطاليين في درنة قد خلّفت **1600** قتيل، ومن الليبيين **80** قتيلاً، ثم كتب أرسلان أنه وأصدقاءه لم يكونوا يصدقون تلك الأرقام حتى رأوها بأعينهم[1].

وفي رسالة أُرِّخت في يوم **1** جويلية **1911**م أرسلها الأمير إلى أحد أصدقائه واصفاً المعسكر في مدينة بنغازي والمعارك التي جرت هناك ونقل مجريات الأحداث وكشفه عن ما دار من معارك بين طرفي الحرب، وما يملكه كل فريق من قوة[2].

ثم ذكر أمير البيان الأهوال التي قضاها هناك، وتجشمه للمشاق الجسام، لكنها أسعد أيام حياته وأشرفها كما وصف، وأضاف أنه أحس باللذة التي لا يحس بطعمها إلا من عرف واجبه تجاه إخوانه وأوطانه، ولولا تكرار طلب عودته إلى مصر لما فكر في الرجوع ومفارقة الحرب التي لا زال الاحتلال الإيطالي يعبث فيها على أرض ليبيا[3].

وفي الرسالة نفسها يصف الوضع الحربي هناك، فيذكر أن الجيش الإيطالي الذي وصل عدده **150** ألف جندي موزع على خمسة نقاط أساسية لا يستطيع مبارحة أمكنته بضع كيلومترات، وكلّما جرّبوا الخروج من أماكن سيطرتهم التي لا يزيد طول مساحتها ستة كيلومترات وعرضها ما يقارب نصف طولها، أُمطروا بطلقات المدافع العثمانية وبنادق المقاومة الليبية، فيتركون خلفهم مئات القتلى[4] ليغنم العرب أسلحتهم وذخائرهم[5].

وحسب الأمير شكيب فإنّه لو كان للمقاومة الليبية المدافع اللازمة لاستطاعت دحر الإيطاليين بشكل كلي من البر ومحوهم بحد السيف، ويقول أرسلان أن المقام لا يكفي لشرح كل الوقائع؛ وبشكل عام فإن الإيطاليين انتصروا في موقعة واحدة، وأن العرب يتحرشون بهم كل ليلة ويعملون ما بوسعهم لإخراجهم من حصونهم، ولا يخرجون إلا نادراً مع أخذ جميع احتياطاتهم اللازمة من البر والبحر، وفي كل احتكاك تكون فيه المعارك حامية الوطيس يسارع الإيطاليون ويفرّون للاحتماء بحصونهم، وفي تلك الفترة اتجه الإيطاليون للهجوم

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص50.

(2) المصدر نفسه، ص51.

(3) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص84.

(4) تحدث الأمير عن خسائر الإيطاليين في العشرة السنوات الأولى للحرب فقال أن الطليان أصبحوا في حيص بيص من تمادي هذه الحرب التي كلفتهم مبالغ طائلة بلغت الثلاثة مائة مليون من الجنيهات وعشرات الألوف من قتلى جنودهم، وقد ذكر في كتابه زمن العروبة الأبتر أن الإيطاليين خسروا مائة ألف قتيل لكن نصفهم من الأهالي المجندين، و 250 مليون جنيه وربما أكثر، وكان ذلك سنة 1931م تاريخ نشر مقال الأمير، أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص84.

(5) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص51.

على الجزر القريبة من سواحل ليبيا والسيطرة عليها لعلمهم بقلة جنود الدولة العثمانية الماكثين بها في مراكزهم، في حين لم يستطيعوا التوغل في الداخل الليبي رغم ما يمتلكه الجيش الإيطالي من معدات حديثة، بالمقابل فإنّ الليبيّين لا يملكون إلا شجاعتهم وما تحمله أيديهم من بنادق قديمة[1].

وقد روى الأمير في هذه الرسالة حادثة جرت في تلك الأيام، حيث تقدمت طليعة من البدو الليبيين بلغ عددهم **120** ألف في بنغازي واقتربوا كثيراً من حصون الإيطاليين، فخرج إليهم ثلاثة آلاف جندي من الجيش الإيطالي يتقدمهم عدة كتائب من العبيد السود، وقد استخف الطليان بالمسلحين الليبيين أهل البدو، ويضيف:" فلم تمض ساعة حتى كسرهم العرب القلائل وقتلوا منهم **60** رجلاً وغنموا سلاحًا وذخيرةً وخيلاً..." [2]، يذكر هنا الأمير أن عدد جند البدو **120** ألف وهو رقم مبالغ فيه نوعاً ما ومشاركتهم في هجوم واحد، فمن الممكن أن هناك خطأ في الطبع أو سهو عند كتابة أسطر تلك الرسالة الحماسية، حيث يقول في ما بعد فلم تمض ساعة حتى كسرهم العرب القلائل وهذا دليل قاطع على أن العدد غير صحيح ومبالغ فيه، كذلك قال في أسطر أخرى من الرسالة حول الحادثة نفسها لما خرجت فرق الطليان للبدو المسلحين :"...وظنّوا أنهم يمحون هذه الشرذمة القليلة..."، وهذا دليل آخر أن رقم **120** ألف مجنّد من البدو مبالغ فيه لكن لا توجد أية إشارة في الكتاب حول هذه النقطة من طرف القائمين على جمع رسائله في هذا الكتاب، ربما أبقوا عليها كما هي، أما النقد والتحليل فهو لمن أراد التعمق في ما تتضمنه الرسائل من أحداث.

ثم يضيف شكيب أرسلان أنه في تلك الحادثة التي لم يحضر شخصيًّا، حيث أنه كان طريح الفراش بسبب عملية جراحية أجراها، ويذكر أن الإيطاليين قبل عشرين يوما من تلك الموقعة حاولوا الخروج جهة طرابلس في مكان يسمى بظنظور، وكان عددهم قد جاوز الثلاثين ألف جندي إلا أنهم انكسروا كسرة شنيعة، كذلك حاولوا الخروج في نواحي مدينة خُمس فانهزموا وقُتل من جنودهم حوالي الألف، أما في المنطقة التي كان الأمير ورفقاءه يتمركزون بها، كان الإيطاليون يرسلون الطائرات والبالونات لقصفهم بالديناميت، إلاّ أن مفعولها كان جد محدود فيقول أن طيلة الفترة التي مكثها ببنغازي أي حوالي شهر لم يُقتل بفعل قنابل البالونات إلا بدوي واحد، فكان الليبيون يقاومونها برمي الرصاص والعمل على إبعادها عن معسكراتهم قدر

---

[1] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر** ، ص52.

[2] أرسلان، المصدر نفسه.

المستطاع، أما في مدينة درنة فيذكر شكيب أن كل المعارك التي حضرها وكان شاهد عيان عليها انهزم فيها الإيطاليون، ولولا مدافعهم التي تستمر في إمطار العرب بمقذوفاتهم لقضى عليهم الليبيون منذ فترة[1].

وقد مكث شكيب في السنة الأولى من الحرب في أرض الجهاد بليبيا أكثر من سبعة أشهر [2]، ثم عاد إلى مصر في شهر رمضان وقد عيّد في الإسكندرية وهو ضيف لدى الخديوي في سراي رأس التين [3]، و لم يبقى لديه ما يسد حاجته من نقود، فلم يرجع للخديوي [4] عباس حلمي كما طلب منه قبل سفره ووعده شكيب بذلك، بل أرسل إلى أهله في لبنان ليبعثوا له ما يحتاجه من مصاريف سفره إلى الأستانة لمذاكرة الدولة في القضية الطرابلسية قصد الاستمرار في إمداد المجاهدين دون انقطاع، حتى ولو تمّ إبرام اتفاق الصلح مع

---

[1] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر** ، ص52.

[2] يذكر الأمير تفاصيل معظم المعارك التي جرت في السنة الأولى من الحرب في طرابلس الغرب وبرقة في تعليقاته في كتاب حاضر العالم الإسلامي المجلد الأول الجزء الثاني الصفحات 85-118.

[3] لّما نزل الأمير عبر الإسكندرية قاصداً الأستانة، أرسل إليه الخديوي أحمد بك العريس ليستقلّه إلى النزول نحو سراي رأس التين، ولّما نزلا كان يظنّ الأمير أن الخديوي سوف يفتح النقاش مطوّلا حول الحرب الطرابلسية، إلا أنّ الأمير لم يجد شيئاً من ذلك، ثم علم الأمير أنّ الخديوي كان على اتفاق مع الطليان على أن يبيعهم سكة حديد مريوط بقيمة مليون ونصف مليون جنيه، لأن الشركة المذكورة كانت ملكاً خاصاً له، وفي مقابل ذلك كان الخديوي قد وعد الإيطاليين أنّه سوف يقوم بتسكين الثورة السنوسية، وفعلاً قام الخديوي بإرسال مجموعة وفود إلى السيد أحمد الشريف السنوسي ينصحه بترك الجهاد والاتفاق مع إيطاليا، ويذكر الأمير أنّه لما كان على مائدة الإفطار لأنّهم كانوا خلال شهر رمضان إلى جانب الخديوي وقاضي مصر التركي وحسين رشدي باشا ناظر الداخلية، والشيخ علي يوسف، أخذ الخديوي يبين عقم المقاومة في طرابلس ويثبت أن الدولة مضطرة للصلح مع الطليان، وكان الشيخ يوسف يوافق الخديوي في الرأي، فكان جدالاً عنيفاً بين الأمير والخديوي، فندم الأمير ندماً شديداً أنه نزل ضيفاً عند الخديوي، أما قضية سكة حديد مريوط فيذكر الأمير في كتاب حاضر العالم الإسلامي أن الطليان لم يستطيعوا شراءها بسبب رفض الحكومة المصرية بالتواطؤ مع الإنجليز. أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص 77، 78. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** ، مجلد1، جزء2، ص 126.

ويضيف الأمير في هذا الشأن في كتابه تاريخ ابن خلدون أن احمد الشريف السنوسي عندما جاءه رسول الخديوي قال له:" كنّا نتلقّاك بالإكرام والاحترام مراعاةً للذي أرسلك، وإن كنّا لم نستطع إجابة طلبه، ولكن بعدما تكررّ قدومك علينا بالطلب نفسه فإنّنا مضطرون أن ننذرك بأنك إذا جئت بعد هذه المرّة من قبل سمو الخديوي تنصح لنا بترك الجهاد فليس لك عندنا أمان على نفسك.. أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص 333.

[4] هو لقب اختص به الولاة في مصر العثمانيّة، دون غيرهم من ولاة أقاليم الدولة، وكان ذلك منذ سنة 1866م، ظهرت الكلمة أول مرة على مستوى السلطة المصرية بين سنتي 1866 و 1867م بعدما كان يسمى الوالي بحاكم مصر صار "الخديوي"، وأوّل من لُقب بهذا اللقب "الخديوي إسماعيل"، وظلّ هذا الاسم يُستخدم إلى غاية سنة 1914م، حيث صار يلقب الحاكم بالسلطان، الموقع الإلكتروني: أخبار اليوم، "خديوي" تاريخ اللقب من الدولة العثمانية حتى إعلان السلطنة العثمانية، رابط المقال:
https://akhbarelyom.com/news/newdetails/3453854/1/ -خديوي--تاريخ-اللقب-من-الدولة-العثمانية ،تاريخ الزيارة: 2022/10/14م، 18:36.

الإيطاليين[1]، وهذا ما ينم على حرص الأمير في توفير ما يحتاجه المقاتلون الليبيون والمتطوعون حتى في فترة السلم، مقتنعًا أن الأوروبيين لا يُؤتمن جانبهم في السلم والحرب، ولا يهمهم إلا خدمة مصالحهم.

بعد علم أرسلان بأن هناك رغبة تركية في إبرام الصلح سارع إلى السفر نحو الأستانة رغبة منه في تغيير خطط الصلح، وسعى إلى عدم تسليم السيادة الليبية إلى الإيطاليين، بل تُسلم إلى أصحابها الليبيين، مع استمرار العثمانيين في إرسال الأسلحة والمساعدات العسكرية للمقاتلين الليبيين، وبالفعل هذا ما حصل، حيث بقيت الإمدادات تتدفق بشكل معتبر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى وسقوط السلطنة[2].

ومع كثرة مشاغل أمير البيان بعد خروجه من ليبيا وتحوّل مسؤولية الحرب إلى أهلها عاد الأمير مرة أخرى، وهذه المرّة كانت عند بداية الحرب العالمية الأولى، فمن خلال مضمون رسالة بعث بها الأمير إلى محمود الطويل حمادة من بعقلين بتاريخ **10** ديسمبر **1914**م، كلفه فيها بجمع الرجال من طائفته ليرافقوه إلى الحرب في ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي، ويطلب منه حث الناس على التطوع وإرسالهم إلى جبهات القتال، فبعد صدور الأمر من نظارة الحربية العثمانية بواجب الجهاد، كُلّف الأمير بتجنيد **150** من نخبة شبان الدروز إضافة إلى مجموعة كبيرة كانت معه وصفها بالحاشية، من جملة أصحابه وخلانه ومعارفه الذين اختاروا الجهاد بالسلاح، أما الشباب الذين أمر الأمير بتجنيدهم كمتطوّعين فمصاريف السفر ولوازم الحرب من سلاح ومؤن ولباس كانت على عاتق الحكومة، ثم طلب من صديقه أن يرد عليه بجواب وإن كان شرط حضور الأمير إلى بعقلين ذا فائدة ومصلحة سوف يحضر وتكون النتائج أفضل[3].

وفي رسالة أخرى أُرّخت بتاريخ **15** ديسمبر **1914**م كتب الأمير إلى السيد سليم العياش من بعورته بجبل لبنان، قصد تجنيد شباب الدروز من بني العياش للجهاد مع الجيش العثماني ضد الحلفاء في مصر، ويبرّر عملية التطوع بين أبناء طائفته بتبييض وجه الطائفة[4].

وفي رسالة أخرى مؤرخة بتاريخ **17** ديسمبر **1914**م هي عبارة عن جواب لمكتوب أرسله الأمير علي آل ناصر الدين، يعتذر عن عدم التحاقه بوفد الأمير للحرب نحو ليبيا، فيقبل الأمير عذره، ويطلب منه تنشيط

---

(1) شكيب أرسلان، **شوقي أو صداقة أربعين عاماً**، ص ص37، 44.

(2) ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص66.

(3) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص90.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص91.

عملية التجنيد والتطوع للحرب لاسيما شباب منطقة كفر متى، لإرسال مجموعة شبان يمثلون الطائفة الدرزية لتشريفها وتبييض وجهها، والإسراع في اللحاق بالوفد الذي سيمرّ عبر الشام، ويذكره الأمير بأن تكاليف السفر ولوازم الحرب على عاتق الدولة، ويختم كلامه بالدعاء قائلاً:"... وإن شاء الله يفتح الله مصر ويكونون غانمين فوق المأمول ودام بقاكم." [1]، دعا الأمير الله أن يفتح مصر للوضع الاستعماري الذي تعرضت له بعد سنة **1882م**، ثم فرضت عليها الحماية الإنجليزية سنة **1914م**، أين تم تغيير اسم الدولة إلى سلطنة مصر، ثم إلغاء الحماية سنة **1922**م والاعتراف باستقلالها وسنّ أول دستور سنة **1923**م.

وفي رسالة بعث بها الأمير إلى الشيخ محمد الفراج المنياوي [2]، رئيس جمعية العلماء في مصر يدعوه فيها إلى ضرورة تقديم يد المساعدة لليبيين خاصة منهم جرحى الحرب، وقد نشرت الرسالة[3] على صفحات جريدة الأهرام المصرية بتاريخ **19** فيفري **1925**م[4].

لم يشر في كتاب الأمير شكيب "مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر" تاريخ هذه الرسالة بالضبط، بل أعطى تاريخ نشر نص الرسالة في جريدة الأهرام فقط، وقد عُنونت الرسالة في الكتاب "بإعادة الجرحى والمنكوبين في ليبيا"، في حين تكلم الأمير عن جرحى الريف دون تحديد أي ريف؛ والمعروف لدينا أن ثورة الريف في المغرب كانت بين سنوات **1920م** و**1927م**، هل يمكن أنّ من صنّف رسائل كتاب الأمير أخلط بين الحربين في تلك الفترة؟، وقد ذكر الأمير سعيه لجمع المساعدات من الطلبة العرب في برلين عبر رئيس جمعيتهم، وقد كان متذمّرا محبطاً في ختام الرسالة، حيث نوّه في رسالته بأنه أشار إلى الطلبة العرب لجمع ما يمكنهم من خلال رئيس جمعيتهم الذي ردّ على الأمير أنّهم سيفعلون، وختم بدعائه بالهداية للجميع ولاسيما الأغنياء، فأبان الأمير عن شدّة الضجر الذي أصابه، في حين كان هو مسارعاً مبادراً توّاقاً لمساعدة إخوانه في الأوطان العربية.

---

[1] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص93.

[2] صاحب مجلة "المؤتمر الإسلامي العام للخلافة بمصر" وكان ذلك سنة 1924م، حيث كتب الشيخ محمد فراج أن مجلته جاءت للدعوة إلى عقد مؤتمر يبحث شؤون الخلافة الإسلامية التي أُلغيت في تركيا في السنة نفسها. وليد نويهض، **"الدولة الحديثة بعد إلغاء الخلافة"** ، جريدة الوسط، العدد 1911، نوفمبر 2007م، ص18.

[3] وهذا نص الرسالة كما نشرت حيث كتب الأمير :" أُقدم لفضيلتكم ورقة مائة فرنك سويسري أي نحو أربعة جنيهات، أرجو ضمّها إلى إعانة جرحى الريف، وهي كما لا يُخفى لا تُغني ولا تسمن من جوع، ولكنني أروّح بها عن وجداني بعض الثقل الذي أشعر به من إهمالنا أولئك المساكين، وقد أشرت إلى أبنائنا طلبة العرب في برلين، أن يتبرعوا بما استطاعت أيديهم في هذا السبيل، وجاءني من رئيس جمعيتهم الناهض زكي بك كرم الدمشقي أنهم سيفعلون. هدى الله الجميع لا سيما الأغنياء". المصدر نفسه، ص61.

[4] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص61.

وخلاصة القول أن معظم المصادر تؤكد أن الأمير لم يستطع الوصول حتى إلى مصر بداية الحرب العالمية الأولى، وبعد دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء، ثمّ خروج أحمد الشريف السنوسي ضد الإنجليز والإيطاليين في ليبيا ومصر، إلا أنه لم يتلقّى أية مساعدات، مما اضطره إلى توقيع الصلح بينه وبين الإنجليز والطليان طيلة حوالي ثمانية سنوات، حيث وصلت الحكومة الفاشية إلى سدّة الحكم في إيطاليا، والتي ألغت كل الاتفاقيات واستأنفت الحرب ضد المقاومة الليبية، وبدأت مرحلة جديدة في التوسع نحو الداخل الليبي [1]، أمّا الاتفاقية التي أبرمت بين العثمانيين والإيطاليين فكان لأمير البيان رأيٌ فيها كما سيوضح في العنصر الموالي.

5-4 موقف الأمير شكيب من اتفاقية أوشي لوزان أكتوبر 1912م:

كان موقف الأمير شكيب أرسلان منذ بداية احتلال إيطاليا لطرابلس مستنكراً لهذا الفعل، ناقماً على ممارسات هذا المحتل، شارك الليبيين في مقاومته بالكلمة عبر عشرات الرسائل وعشرات المقالات في كثير من الجرائد، وجمع الاشتراكات والإعانات المادية من الأقطار العربية والإسلامية، وسعى في الأستانة بكل ما أوتي من جهد لتقديم المساعدات العسكرية من قبل السلطة العثمانية للثوار الليبيين، فكان موقفه من هذه المسألة واضح، وعند توقيع اتفاقية أوشي بين العثمانيين والإيطاليين كان له رأيه في هذه القضية.

في رسالته المؤرخة في **30** سبتمبر **1931**م، والتي بعثها إلى جريدة "الجهاد" المصرية، ثم تم نشرها على صفحات جريدة "الجامعة العربية" بتاريخ **14** أكتوبر **1931**م، تضمن المقال الإشادة بجهود ومناقب القائد عمر المختار، إضافةً إلى ذكر تفاصيل وموقف الأمير من عقد الاتفاق الثنائي بين السلطة العثمانية والمملكة الإيطالية في لوزان بقلعة أوشي.

يذكر شكيب أرسلان في هذه الرسالة كيف غدرت إيطاليا العثمانيين واغتصبت طرابلس الغرب عبر مراحل دُرست بعناية، فخلال إعلان البرلمان الإيطالي قرار إلحاق طرابلس إلى أملاك المملكة الإيطالية، فاكان الجميع يهزأ من إجراءاتها، و لم يقم لهذا الإجراء خبراء الحقوق الأوروبيون أدنى وزن، فلم يكن السلطان العثماني سيد طرابلس الشرعي، ولا الأهالي الليبيين اعترفوا بأدنى حق لإيطاليا على ليبيا، ثم يضيف كيف أن

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص 121.

الإيطاليين أثاروا بدسائسهم منطقة البلقان ضد السلطنة العثمانية [1]، وكان لها اليد الطولى في إشعال تلك الحرب كما وصفها الأمير شكيب قصد إشغال السلطنة عن طرابلس الغرب[2].

وفي الوقت الذي همت فيه دول البلقان الأربع بإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية، سارعت إيطاليا بإنذار الباب العالي أنها سوف تنضمّ إلى الحرب ضدها إن لم تتخلى عن طرابلس الغرب، يقول الأمير :"في ذلك الوقت كنت في برقة فبادرت بالسفر إلى الأستانة لأسعى في تخفيف وطأة الصلح الذي كنت رأيت الباب العالي أصبح مضطراً إليه...." [3]، يقرّ الأمير هنا أن الباب العالي لم يكن راضياً ببنود الصلح بل كان مضطراً لتوقيعه، وذلك سارع للسفر للعاصمة قصد تخفيف وطأة الصلح، أي محاولة رفع الضغوط الإيطالية على المسؤولين العثمانيين.

فالتقى الأمير أرسلان بالسادة كامل باشا، وشيخ الإسلام جمال الدين، وناظم باشا، وحسين حلمي باشا، وآخرين....[4]، وراح يُقنعهم أنّه مهما ضاق الخناق على الدولة فإنّه فلا يجوز لها أن تتخلى عن السيادة على طرابلس الغرب لإيطاليا، وإذا أرادت الدولة اتقاء دخول الإيطاليين الحرب إلى جانب دول البلقان فعلى السلطان العثماني التخلي عن سيادة طرابلس لأهالي طرابلس الغرب أنفسهم، وإعطائهم الحق في جميع شؤونهم وقد قال له كامل باشا يومئذٍ كما جاء في الرسالة:" ...إنّنا نحن إزاء أربع دول تناجزنا القتال، وقد أنذرتنا إيطاليا بإنزال عساكر في البلقان أيضا فنصير بإزاء خمس دول، وذلك تعذرونا أنتم إخواننا العرب في تخلّينا عن طرابلس حفظاً لما هو أهمّ، ولكنّنا نعدكم بأنّنا لا نتخلّى عن سيادة السلطان على طرابلس لدولة إيطاليا مهما بلغ منّا الخناق"[5]، هذا كلام كامل باشا.

---

[1] ذكر الأمير في سيرته الذاتية أن دولة روسيا هي من كانت وراء هذه الحرب و لم يقع الاتفاق بين دول البلقان إلا تحت الكفالة الروسية برئاسة قيصرها نيكولا الثاني الذي قتله البلاشفة مع أسرته ونكّلوا به شرّ تنكيل بعد ثورتهم سنة 1917، ثم لّما نشبت الحرب البلقانية في 1912 وانصرفت الأنظار نحوها فتجاهل الناس مسألة طرابلس الغرب. أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص80.

[2] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص291**.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص292.

[4] في سريته الذاتية يذكر الأمير أنه التقى كمال باشا ومختار باشا وجمال الدين أفندي شيخ الإسلام، وناظم باشا ناظر الحربية، وحسين حلمي باشا، ثم قابل عبد الحميد باشا الذي يقال له الخليفة يومئذٍ وكان ثاني لولي العهد (طريقة وصفه تدل على أن الأمير لم يسبق له التعرف عليه)، وقد تكلم الأمير مع كل هؤلاء في قضية طرابلس، وعمل جاهداً على أن تستمر الدولة في منح المساعدات المالية سرًّا إلى المجاهدين، وإذا تنازل السلطان عن السيادة فليتنازل عنها لأهالي طرابلس، فلا يبقى للطليان الحق في ادعاءاتها حول ملكها للسيادة الليبية وقد انتقلت إليها عبر مفاوضاتها مع الدولة العثمانية. أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص79.

[5] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص292.

وقد تم الصلح كما وعد كامل باشا، حيث إن الإيطاليين بذلوا جهداً كبيرا عبر المفاوضات لإقناع المندوبين العثمانيين بالتخلي عن السيادة العثمانية عن طرابلس الغرب وبرقة لهم، لكنهم لم يفلحوا في ذلك، وذلك للأوامر الصارمة التي كانت تصدرها الأستانة فيما يخص هذه النقطة بالذات، حتى ولو لزم الأمر قطع المفاوضات مع الإيطاليين، ويضيف الأمير في مقاله أن الدولة العثمانية عملت كل ما بوسعها للمحافظة على سيادة طرابلس الغرب، و لم ترضى أبدا أن تُسلم الأراضي الإسلامية للأجنبي مهما كان الأمر خطيراً[1].

فيدافع الأمير عن مواقف الدولة العثمانية رغم أن الكثير يتهمها بالتقصير تجاه الأقاليم العربية، لكن المسلمين بدؤوا يعرفون قيمتها ويدركون مقدار الذلّ الذي وقعوا فيه بعد زوال تلك الدولة، ثم يستدل الأمير بكلمات قالها ناظم باشا :"...إنّنا وإن كنّا مكرهين على إخلاء طرابلس نظراً للأخطار المحدقة بالدولة، فكُن واثقاً بأنّنا لن نتخلّى عن إمداد إخواننا الطرابلسيين بما يُمكننا من الإعانات بالمال والسلاح بكل طريقة ممكنة..."، فلم يتنازل العثمانيون عن طرابلس وبرقة للإيطاليين –حسب الأمير– وما جاء في معاهدة أوشي، بل تنازلت الدولة عن السيادة الليبية لليبيين، فلا تستطيع إيطاليا أن تدّعي أنها تسلمت سيادة طرابلس الغرب من الدولة العثمانية وصارت ملكها[2].

ويستدل الأمير في رسالته على أن الدولة العثمانية لم تتخلى مطلقا عن الليبيين، وأن ما تضمنته بنود الاتفاقية في أوشي (لوزان الأولى) هو منح الدولة الحكم الذاتي لليبيين، فلا يعقل أن تُسلم السيادة الليبية مرة أخرى أي عبر اتفاقية لوزان الثانية من قبل حكومة جمهورية تركيا، فيقول:" فمن البديهي أن الإنسان إذا تخلى عن ملك كان يملكه لأحد لا يحق له أن يرجع ويتخلى عنه لآخر ..."، ثم يضيف الأمير أن الليبيين استطاعوا خلال الحرب العالمية الأولى طرد الإيطاليين من معظم أراضيهم ماعدا مدن درنة، بنغازي، طرابلس، وزوارة أي المدن الساحلية أين تقع أبرز المرافئ التي تحميها مدافع الأسطول البحري، ولو كان الليبيون يملكون مدافعاً مثلها لأخرجوهم، وقد استطاع السنوسيون تأسيس حكومة في برقة أميرها إدريس السنوسي، واعترفت بها إيطاليا وإنجلترا، كذلك جمهورية طرابلس التي كانت تتعامل مع الإيطاليين دبلوماسياً لسنوات، وفي سنة **1923**م

---

[1] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 292.

[2] أرسلان، المصدر نفسه.

قامت حكومة الجمهورية بنشر خطاب للدول الأوروبية بشكل رسمي، وعد الأمير أنّه سوف ينشره في مجلته لاناسيون آراب[1].

ومن رسائله كذلك مكتوب أرسله إلى السيد عباس أفندي المصفي بتاريخ **11** أكتوبر **1922**م، يشرح من خلال الرسالة أوضاع المسلمين في البلغار، الذين تعرضوا لمختلف المضايقات والفظائع والانتهاكات التي مورست ضدهم لمجرد أنهم مسلمون، وقد تعرض الأمير في رسالته لقضية تهديدات إيطاليا لتركيا بإنزال جيشها في الروملي، فاضطرت تركيا إلى توقيع وثيقة صلح غير مشرف، فوصف الليبيين بالمساكين[2].

ثم يؤكد أن العرب في طرابلس سيقاومون بعد التلغرافات التي بعثوا بها إلى تركيا، وأن الحرب بعد هذا الصلح ستكون أشدّ من الأول، لأن الحرب لم تبقى بين دولتين بل بين دولة وأهالي، وستضطر إيطاليا إلى تغيير شروط الحرب، لتعطي الحاكم المكلف من طرفها النفوذ لفرض الأمن، وإعطائه الصلاحيات الكاملة لإسكات المقاومة الليبية، ثم يختم قائلا:"...والحاصل أن على الشرق مصائب لابد من أن يشرب كأسها إلى أصبارها، وتلك الأيام نداولها بين الناس"[3]، وتستمر جهود الأمير في محاولة التذكير بالمسألة الليبية كلّما سمحت الفرصة إعلاميا أو عبر المراسلات مع كبار الشخصيات، حتى خلال الحرب العالمية الأولى.

فمساعي الأمير حول المسألة الليبية لم تخلو من ربطه لمختلف العلاقات مع عديد الشخصيات الليبية، فأشاد بأعمال عمر المختار عبر كتاباته، وراسل البشير السعداوي، والتقى بالشيخ القائد أحمد الشريف السنوسي ومكثا معاً، وقال فيه الأمير وفي الطريقة السنوسية الكثير كما سنوضحه في العنصر الموالي.

6) علاقة أمير البيان برموز الحركة الوطنية الليبية:

بدأ أمير البيان بتوثيق علاقاته برموز الحركة الوطنية الليبية من خلال مشاركته المباشرة في تمويل وتموين حركة الجهاد في طرابلس الغرب بعد زيارته للبلاد، ووقفوه مباشرة على واقع العمليات الجهادية هناك، ومعرفته حقيقة الوضع، لذا بدأت بعض الشخصيات تتصل به طلباً للمساعدة، وبعض شخصيات كان لها الأثر الأكبر على شخص الأمير أمثال شيوخ السنوسية، في مقدمتهم أحمد الشريف السنوسي، وقيادات ميدانية أخرى أشاد بها وبأعمالها على غرار الشيخ عمر المختار.

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر** ، ص292.

(2) المصدر نفسه ، ص ص 118، 119.

(3) المصدر نفسه.

6-1 أمير البيان والإشادة بأعمال القائد عمر المختار:

يعد القائد الليبي عمر المختار أبرز القادة السنوسيين للعمليات العسكرية في الحرب الليبية الإيطالية من خلال طول مدة النضال ضد الاحتلال الإيطالي والتي دامت حوالي عشرين سنة، وكذا نوعية العمليات العسكرية التي قام بها، وطريقة جهاده المميزة ضد الفرق العسكرية الإيطالية التي تجرعت الخسائر المادية والبشرية، وكان لأمير البيان تنويهات عدة بأعمال القائد عمر المختار ومراسلة واحدة كانت بينهما كما ذكر الأمير.

فمناقب الرجل كثيرة وعلوّ شأنه في نظر الأمير كبيرة، فأوْلى أعمال القائد الشيخ عمر المختار التي أشاد بها الأمير، كانت في كتابه "تاريخ ابن خلدون"، حيث ذكر الأمير حادثة عزيز المصري أو"قضية السلاح"، إذْ بعدما قامت الدولة العثمانية بالتوقيع على اتفاقية الصلح مع إيطاليا، أمرت القائد عزيز المصري بإخلاء برقة والانسحاب نحو مصر إلى جانب أربعمائة جندي عثماني، فالتمس السنوسيةُ من عزيز بك المصري أن يترك لهم الأسلحة والعتاد الذي كان بين أيديهم، فاعتذر عن ذلك، واحتج على أن بنود الصلح نصّت على انسحاب الجيش بسلاحه، فحصلت بين الطرفين معركة في "دفنة" بالقرب من السلوم، قُتل من العسكر العثماني بضعة عشر رجلاً ومن العرب تجاوز عدد القتلى الستين[1].

فاجتمعت حول العثمانيين الآلاف من المقاتلين العرب ونيتهم إفناء الأربعمائة جندي العثماني، فوصلت الأخبار لأسماع أحمد الشريف السنوسي، فأرسل الشيخ عمر المختار، الذي سار مسافة أربعة مراحل في **24** ساعة ليصل فيجد العرب قد أحاطت من كل جانب بالقائد عزيز بك المصري للأخذ بالثأر منه، فأبلغ عمر المختار رسالة أحمد الشريف السنوسي لقبائل العرب، وأنّه من المؤسف أن يقتلوا العساكر الذين قدموا لهم يد المساعدة في محنتهم وهم مسلمون ومجاهدون مثلهم، ففرّق عمر المختار بين الفريقين، ومضى عزيز بك المصري مع جنوده في طريقه إلى مصر تاركاً وراءه كل السلاح للعرب[2].

وفي رسالة بعث بها الأمير من جنيف بتاريخ **30** سبتمبر **1931**م إلى صاحب جريدة "الجهاد" المصرية، ونشرتها جريدة "الجامعة العربية" بتاريخ **14** أكتوبر **1931**م، من خلالها يشيد بجهود الزعيم الثوري الليبي عمر المختار، فيصفه بأعظم رجال العصر، حيث وقف في وجه آلة الاحتلال الإيطالي طيلة عشرين سنة، متقلدا

---

[1] أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص ص 333، 334. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، جزء2، ص ص 124، 125.

[2] أرسلان، المصدر نفسه.

سلاحه، ناضل ضد المحتل فانقطع نظيره وقاومه بما أتاحت له إمكانياته من وسائل ضئيلة، حارب دولة عدد سكانها **42** مليوناً تمتلك من التجهيزات والعتاد الحربي المتطور لا يقل عما تمتلكه أكبر الدول في العالم[1].

ثم يقول الأمير أنه يتعذّر علينا حساب عدد المواقع والمعارك التي شهدها القائد عمر المختار ضّد أعدائه في العشرين سنة التي خلت من جهاده، وربما يعرفها قلة من المجاهدون وربما لا يعرفها، فالسابقون من المجاهدين استشهدوا أو ماتوا و لم يعلموا ما حدث من بعدهم، واللاحقون علموا ما جرى من أحداث ومواقف للقائد و لم يشهدوا مواقعه الأولى السابقة لهم، فكان عمر المختار دائماً على قدم الجهاد لا فتور ولا عجز ولا ملل ولا وهن، وقد شهد شاهدٌ من أهلها، فقد روى أحد مراسلي جريدة "الطان" الذي وفد على بنغازي ومكث مدة شهرين إلى جانب مقاتلي عمر المختار، فكتب عنه أنّه لم يبرح خطوط الجهاد مدة عشرين سنة، فلم يخلو يومٌ واحدٌ من جهاد، رغم تجاوزه سن الثمانين سنة، ولكنّه يقضي معظم وقته فوق حصانه[2].

ويضيف الأمير أنه من الواجب كتابة سيرة هذا البطل الذي لا ينازعه أحد في مقامه الرفيع، فهو أكبر أبطال الإسلام دون منازع، لذا يجب تدوين معاركه، وتقييد وقائعه التي لا تحصى، وتُجمع في كتاب باسمه يطبع ويوزع في جميع أنحاء العالم الإسلامي، لتتلقى منه ناشئة الإسلام دروس الصبر والبسالة والنزاهة والإخلاص، وعظم الأخلاق التي تحلى بها هذا القائد في زمن انحدر فيه المسلمون، لعلهم يرتقون بها القمة في قادم الأيام[3]

وبالأخص إذا كُتبت سيرته من طرف الأدباء البرقاويّين وحسنت ترجمته إلى اللغات الأوروبية، فتاريخ هذا القائد كما وصف الأمير هو تجسيد لكفاح الأمّة الليبية ضد إيطاليا المغتصبة، فعمر المختار لم يكن رجل حرب فقط، بل كان ذا حنكة وصاحب خبرة سياسية، ذو اطلاع واسع بأحوال بلده، قال شكيب عنه :"ذا عقل سليم وحكم سديد وتدبير مصيب، وإنما كان العبقري الأمير في شجاعته وصبره وثباته وقوّة عزيمته وصلابة عوده وشدّة إيمانه، وكان كأنّه صاحبي كبير عاش في هذا القرن، ولقد استشهد ابنه وابن أخيه، وكثير من أهله في هذه الحرب، وأخيراً ختم الله له بالشهادة حتى تتم محاسنه في الدنيا والآخرة..."، ثم ذكر الأمير أيّام

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 288.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص 288.

(3) المصدر نفسه، ص ص 288، 289.

معرفته به، أي خلال فترة جهاده سنة **1911م** بمعسكر أنور باشا بعين منصور[1] ضاحية درنة، لّما كان الشيخ مع مجموعة مشايخ الزوايا، وكان يُشار له بالبنان لتميزه في الشجاعة والإقدام، وسعة البصيرة في مجال الحرب، فكان السيد السنوسي معتمدا عليه في جهاده ضد الإيطاليين[2].

ثم يعترف الأمير أنّه لم تكن هناك أية مكاتبة أو تبادل للرسائل بينه وبين الشيخ عمر المختار، إلا بعد تحرير الأمير لذلك المقال الذي كان له زخم سياسي كبير، حيث تكلّم فيه عن فظائع الإيطاليين في طرابلس وبرقة، وكان للمقال أثر واسع وهيجان شعبي إسلامي كبير، وقد اطّلع عمر المختار على هذا المقال الشافي للغليل فراسل الأمير على أثره برسالة ضمت عدّة سطور، ألحقها الأمير بهذه الرسالة المطولة التي تُشيد بالقائد عمر المختار[3].

وفي هذه السطور لرسالة عمر المختار ذكر من خلالها اطّلاعه على مقال الأمير الفاضح لفظائع الطليان وما اقترفته أياديهم من الظلم والعدوان، ثم يتقدم بالشكر للأمير باسمه ونيابةً عن جميع المجاهدين في ليبيا لجهوده لفضح أعمال الإيطاليين الشنيعة في الوقت الذي لا يجدون لهم الآذان الصاغية التي تسمعهم في العالم، ثم يختم القائد عمر أنّه والمجاهدون صامدون في جهادهم وعلى الله متوّكلون كما قال الله تعالى :"وَكَانَ حقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[4]"(قرآن كريم)[5].

ثم يذكر الأمير أنّه بعد أن أرسل عمر المختار هذه الرسالة قام هو كذلك بمكاتبته عبر وساطة، فأوصاه الأمير في هذا المكتوب بعدم المخاطرة وتجنب مناجزة الجيش الإيطالي لكثرة عدده وقوّة عتاده، وعليه بالحذر من التفافهم عليه ووقوعه في الأسر كما يخطط له قادة الجيش الإيطالي منذ زمن لسجنه، وقد حصل ما كان الأمير يخشاه، فقد وقع أسيراً نتيجة تدبير إيطالي وخيانة من بعض الأهالي، بعد أن أعلنوا منحَ جائزةٍ ماليةٍ لمن يقبض عليه أو يمنح معلومات للسلطات للقبض عليه، ووصفه الإيطاليون ب"رئيس عصابة أشقياء"، فيقول

---

(1) يذكر أمير البيان حين كان في معسكر عين منصور بأعلى درنة الذي يقوده أنور باشا، أن يوجد في ذلك المعسكر مجاهدين من غير الليبيين، من تونس، الجزائر، والمغرب الأقصى، ومن السودان، ومن مصر، ومن الشام، ومن الأتراك، ثم يضيف أنّه قدم خمسين مقاتلاً من أفغنستان، أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج1، ص312.

(2) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 289.

(3) المصدر نفسه، ص289.

(4) القرآن الكريم، سورة "الروم" الرقم: 30، الآية 47 حسب رواية حفص، والآية 46 على رواية ورش.

(5) المصدر نفسه، ص ص 289، 290.

الأمير لا يوجد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب من يصدّق هذه التهمة، وينبغي أن يكون إيطالياً فاشيستياً[1] حتى يصدق هذه العضيهة[2].

وقد نوّه أمير البيان في كتابه حاضر العالم الإسلامي للمراسلة التي حدثت بينهما، وألحقها بنص رسالة القائد الشيخ عمر المختار[3]، ثمّ ثمّن ما جاء في مضمون الرسالة، وأن الناس صعب عليهم تصديق ما أقدم عليه الطليان في طرابلس الغرب من شناعات ودناءات ونذالات ولاسيما الفاشيست، وعدم تصديق الرأي العام العالمي لهذه الروايات لغرابتها، وعدم تقبل العقل لها، فيذكر الأمير أنّهم صاروا يتحاشون الخوض في هذه المسائل في أوروبا خشية أنهم يُتّهمون بالافتراء والمبالغة، لكن الحقيقة التي رُويت ودونت في الكتب ككتاب "الفظائع السود الحمر" ما هو إلاّ نزر قليل من كثير[4].

6-2 مراسلات الأمير مع الزعيم الليبي بشير السعداوي:

من المعلوم أن عدد الرسائل التي كان الأمير يرسلها إلى جميع جهات العالم لا تعد ولا تحصى، وقد جرت بين الأمير شكيب أرسلان والقائد بشير السعداوي عديد المراسلات بينهما، بقيت بعض نصوصها إلى أن طبعت في بعض مؤلفاته التي صدرت في السنوات الأخيرة عن الدار التقدمية بالشوف بلبنان، وعلاقة أرسلان ببشير السعداوي كانت بعد أزمة الغزو الإيطالي لليبيا، ثم في الفترة التي بالغ فيها الاحتلال الإيطالي بالتنكيل بالليبيين عبر الاعتقالات وبناء المحتشدات ومصادرة أراضيهم، فكان الأمير واسطة الليبيين والحكومة الإيطالية ممثلة في الزعيم موسيليني الذي كان يُكنّ الاحترام للأمير، فبذل الأمير جهودا معتبرة لحل تلك المسائل

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 290.

(2) العضيهة : هي القذف بالباطل أو اختلاق الكذب. معجم المعاني، موقع إلكتروني: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B6%D9%8A%D9%87%D8%A9/ تاريخ الزيارة : 2022/10/14، 21:55.

(3) رسالة من الشهيد الأكبر بطل الجبل الأخضر السيد عمر المختار الكتاب الآتي:

" إنّه من خادم المسلمين عمر المختار إلى المجاهد الأمير الخطير أخينا في الله وزميلنا في سبيل الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله. وبعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته قد قرأنا ما دبجه يراعكم السيال عن فظائع الطليان وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار فإني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لسامي مقامكم خالص الشكر وعظيم الممنونية، كل ما ذكرتموه عما اقترفته أيدي الإيطاليين هول قليل من كثير وقد اقتصدتم واحتطتم كثيراً ولو بذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين لا توجد أذن تصغي لما يروى من استحالة وقوعه، والحقيقة والله وملائكته شهود أنّه صحيح وأنّنا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون وعلى الله في نصرنا متوكّلون وقد قال الله تعالى : وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، في 20 ذي الحجة 1349" انتهى. أرسلان، **مراسلات من أمير البيان** ...،ص 289، أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، ج2، ص84.

(4) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص 84.

التي أسلفنا ذكرها، وكان بشير السعداوي عين الأمير في ليبيا، بحيث يبعث له كل تفاصيل ممارسات الطليان هناك.

في إحدى الرسائل التي كانت ردًّا على رسالة بعث بها بشير السعداوي إلى الأمير شكيب عن طريق الأخ إحسان سامي، مفادها الاستقصاء حول إطلاق سراح الليبيين من أهل الجبل الأخضر وإرجاعهم إلى ديارهم، وبالتحديد الذين تخلفوا عن رجوع المجموعات الأولى بعد سماح القائد الإيطالي موسوليني لهم بالرجوع بطلب من الأمير، لذا كان الأمير يتابع كل صغيرة وكبيرة تخص القضية الليبية، والدليل مضمون الرسالة حيث قال للسعداوي أنّ موسوليني كتب له:"لا أظنّ بقي منهم أحداً ولكنّي معا هذا سأسأل..."[1].

فشكيب كان يشك في صدق المعلومات التي وصلته عن منفيّي الجبل الأخضر في ليبيا، لذا طلب من القائد بشير السعداوي أن يستقصي عن الأمر جيدا من الذين يحضرون من طرابلس حتى ولو اضطر أن يستحلفهم لقول الحقيقة، وأن تأخذ كل المعلومات منهم ومن غيرهم عن من بقي من عرب الجبل الأخضر الذين بقوا في صحراء سرت، ومن أي القبائل، وكم عددهم، فالأمير أراد معرفة كل تفاصيل القضية ليرجع إلى روما ويذهب بنفسه كما أخبر السعداوي في الرسالة، ليثير هذه النقطة وغيرها من المسائل المتعلقة بطرابلس الغرب[2].

ثم يذكر أمير البيان تفاصيل رحلة رجوعه من اليمن عبر أريتيريا، ومروره بمُدن مصوع وأسمرة[3] العاصمة وغفار، حيث التقى بأعيان المسلمين وغيرهم من الحجاز واليمن ومصر والأحباش، فأثنوا على تعامل الإيطاليين معهم، بعد استقصاء الأمير عن مجمل العلاقات الإيطالية بهم وأجابته عنها؛ ويستدل الأمير بمقال كُتب في جريدة "البوبيلار"(Populaire الشعبية) لسان حال الحزب الاشتراكي الفرنسي، تضمن هذا المقال رسائل عن حوادث تونس ومجموع الأسباب التي جعلت التونسيّين يتظاهرون ضد الاحتلال الفرنسي هو أن

---

[1] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص66.

[2] المصدر نفسه.

[3] هي مدن تابعة إدارياً لدولة أريتريا العربية والتي انفصلت عن أثيوبيا سنة 1991م، فمدينة أسمرا هي عاصمة الدولة منذ الاحتلال الإيطالي ومعنى كلمة أسمرا باللغة التجرينية (الغابة المزهرة)، أمّا مدينة مصوع فهي تحوي أهم موانئ الدولة الأرترية على البحر الأحمر والذي يبعد ب 120 كلم شرق العاصمة أسمرا. منى نجاشي رزقو حقوص، " **تطور الإعلام الإرتري في زمن الثورة، دراسة تحليلية تاريخية للإعلام المسموع والمقروء (1961-1991م)**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الإعلام، إشراف أ.د عبد الرزاق الدليمي، جامعة الشرق الأوسط، كلية الإعلام، ص19.

إيطاليا بدأت تحسّن معاملتها للمسلمين في ليبيا، أما الفرنسيون فليس لديهم الاستعداد لذلك، ثم يختم فيقول:" فهذا الكلام له معناه ومع هذا فافحص لي أنت مدققاً، وأجبني عن حقيقة الواقع لأعلم ماذا أقول..." [1].

أراد الأمير إعطاء بعض الحجج لبشير السعداوي على جهوده التي بذلها في سبيل إصلاح مشاكل الليبيين في ظل حكم الإيطاليين، ومدى استعداد الحكومة الإيطالية لتحقيق طلباته، ومقارنة معاملة إيطاليا للسكان المسلمين في طرابلس الغرب وغيرها من المدن الخاضعة لهم في شرق إفريقيا مع معاملة فرنسا للتونسيين وهيجانهم ضدها، لذا أكّد له في بداية الرسالة وفي ختامها التحقق من الأنباء التي وصلت مسامع الأمير حول من تخلف من المنفيين الليبيين في الصحراء، وحمل المسألة من جميع جوانبها إلى روما ووضعها على طاولة السياسيين الإيطاليين بالبراهين والأدلة، فيناقشهم من موضع قوة لا موضع شك وريب.

الرسالة المذكورة سلفا مؤرخة بتاريخ **9** أكتوبر **1934**م، بعث بها الأمير إلى بشير السعداوي رئيس اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية يسأله من خلالها التحقيق في مسألة الليبيين المعتقلين في محتشدات صحراء سرت هل عاد جميع من كان وراء الأسلاك الشائكة، أو هناك من بقي محجوزا لدى الجيش الإيطالي ؟[2] هذه الرسالة ذكرت في موضع آخر من الكتاب بالتحديد في الصفحة **347**.

وقد أورد أمير البيان خبر تأسيس "جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بالشّام" في دمشق من قبل السيد بشير السعداوي سنة **1938**م، حيث انتخب رئيساً لها، وفي سنة **1940**م أُعيد هيكلة هذه الجمعية في دمشق ليصبح الدكتور كامل عيّاد رئيساً لها [3]، هذه الجمعية كان لها دور بارز في الدفاع عن مصالح الليبيين، وقد استند أرسلان على الكثير من تقاريرهم الواردة من الداخل الليبي والمعبّرة عن الوضع الحقيقي المعاش في ليبيا المحتلة آنذاك، لكن الملاحظ أن علاقة الأمير بالشريف السنوسي كانت الأوثق من بين تلك العلاقات التي أقامها مع مختلف رموز الحركة الوطنية الليبية.

---

[1] أرسلان، **موسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص66.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص347.

[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 264.

3-6 علاقة الأمير بأحمد الشريف السنوسي :

تعتبر العلاقة التي كانت قائمة بين أمير البيان شكيب أرسلان والقائد أحمد الشريف السنوسي [1] هي العلاقة المميزة بين كل علاقاته مع قادة الثورة الليبية وشخصياتها البارزة، للمكانة التي كان أحمد الشريف السنوسي يختص بها عن باقي قيادات الحركة الوطنية في ليبيا، يقول الأمير في شخصه :"...رأيت في الرجل حبراً جليلاً، وسيداً غطريفاً [2]، وأستاذاً كبيراً، من أنبل ما وقع نظري عليهم مدة حياتي، جلالة قدر، سراوة حال، ورجاحة عقل، وسجاحة خلق، وكرم مهزة، وسرعة فهم، وسداد رأي، وقوة حافظة، مع الوقار الذي لا تغض من جانبه الوداعة، والورع الشديد في غير رياء ولا سمعة..."[3].

كيف لا وقد خلّف الأمير مخطوطا في شكل كتيّب تضمن رحلة الشيخ أحمد الشريف السنوسي من ليبيا إلى الحجاز خُطّ بيده، وقد طبع هذا المخطوط تحت إشراف الدار التقدمية؛ أتى هذا الكتاب على أربع وستّين صفحة بحجم عادي، وألحق بعدّة صور للرسائل وصورتين لشخصيتين الأولى للخديوي عباس حلمي، والثانية للشيخ عبد العزيز جاويش، إضافة إلى تخصيص عدة مقالات مطوّلة لأحمد الشريف السنوسي ضمن مؤلفاته أبرزها تعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامي بأجزائه الأربعة.

وقد ذكر أمير البيان أنه حين أقام في مدينة مرسين، كان يجتمع بالشيخ أحمد الريف السنوسي مرة كل يومين طول مدة إقامته في المدينة والتي دامت نحو سنة [4]، وسنحاول في سطور هذا العنصر تلخيص ما كتبه الأمير عن الشيخ محمد الشريف، ولقاءاتهما في عديد الأماكن.

---

[1] **أحمد الشريف السنوسي** (1873م-1933م) زعيم وطني ليبي ناضل ضد الاحتلال الإيطالي لليبيا، ولد الشيخ أحمد الشريف بواحة الجغبوب هو ابن العلامة محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي، عمه العالم محمد المهدي السنوسي، ويصل نسبه إلى علي بن أبي طالب الجدير بالذكر أن أحمد الشريف السنوسي جاهد الاحتلال الفرنسي في الحدود الجزائرية، والاحتلال الإيطالي حين غزوهم لليبيا، والاحتلال الإنجليزي في تشاد والسودان ومصر، فهو شخصيّة مميزة، لها من الجهود ما يفتقر إليها معظم مجاهدي المنطقة، نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء إفريقيا، وقد لُقّب (بالداعية، الشيخ العالم، والمجاهد)، وقد جاهد الإيطاليين حتى عام 1916م ليسلم مهام الجهاد لابن عمه محمد إدريس السنوسي، ويغادر ليبيا على ظهر سفينة ألمانية نحو النمسا ثمّ إلى تركيا، ثم نحو الحجاز..... شكيب أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي** ، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط1، أفريل 2010م، ص ص 7- 9.

[2] الغطريف هو السيد الكريم والشريف والسخي. الموقع الإلكتروني: معجم المعاني، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%BA%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%81/ تاريخ الزيارة: 2022/10/14م، 22:20.

[3] أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي**، ص18.

[4] أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، هامش ص335.

في هذا الكتاب بدأ الأمير بالتعريف بخصال الشيخ السنوسي وأعماله الجهادية ضد الفرنسيين والإنجليز والإيطاليين باختصار، ثم ذكر أن المجاهد السنوسي كان شديد الارتباط بالخلافة الإسلامية والتي تمثلها الدولة العثمانية، ويضيف الأمير أنه حين وصلت القوات الإيطالية الأراضي الليبية، قام السنوسي بتحويل زوايا الحركة السنوسية إلى معسكرات لإعداد المجاهدين بقيادة مجموعة من الضباط الأتراك[1].

وللإشارة فإن أحمد الشريف السنوسي لم يأبه لفحوى معاهدة لوزان بين العثمانيين والإيطاليين وتسليم ليبيا، حيث بادر إلى الإعلان عن تأسيس الحكومة السنوسية لسدّ الفراغ بعد انسحاب القوات التركيّة، ووضعَ شعارًا لتلك الحكومة:"الجنّة تحت ظِلال السُّيوف"، ثمّ أعلن الجهاد في منشور عمّمه على مشايخ الزوايا السنوسية والقبائل والمدن، وطلب من كل الرجال ما بين **14** إلى **65** سنة بحمل المؤن والسلاح والتوجّه إلى ميدان الحرب[2].

وذكر أمير البيان أن أحمد الشريف السنوسي أمر أخاه صفي الدين السنوسي بقيادة منطقة غرب برقة والتنسيق مع باقي قيادات طرابلس وفزان على غرار رمضان السويحلي [3] وأحمد بك سيف النصر [4] وغيرهم، لكن باندلاع الحرب العالمية الأولى سارعت الأطراف المتحاربة إلى كسب ودّ المجاهد أحمد الشريف السنوسي، حيث أرادت تركيا وألمانيا [5] فتح جبهة جديدة ضد الإنجليز في مصر وتخفيف الضغط على الإيطاليين، وأراد

---

[1] أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي**، ص ص9، 10.

[2] المصدر نفسه، ص11.

[3] هو رمضان بن الشتيوي بن أحمد السويحلي، والمعروف كذلك برمضان الشتيوي، أو رمضان السويحلي، ولد سنة 1881م دخل المعهد زاوية المحجوب الديني، حفظ القرآن قبل سن الرشد، تلقى علوم الدين، وفي السادس عشر انتقل إلى معهد سيدي أحمد الرزوق بمصراتة، من شيوخه العلامة رمضان أبو تركية وغيرهم، وبعد الاحتلال الإيطالي صار من زعماء الجهاد في ثورات طرابلس الغرب وكان من المؤسسين للجمهورية الطرابلسية في 16 نوفمبر 1918م، وقد وافته المنية في أوت 1920م بورفلة. محمد مسعود فشيكة، **رمضان السويحلي، البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان**، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ط1، 1974م، ص ص23- 29.

[4] ولد أحمد سيف النصر بمدينة سرت عام 1877م وكان أكبر إخوته، يصفه الباحثون بالتقي ورجل الحرب، خبير في تضاريس الصحراء ويجيد فنون الحرب بها، كان قادة الجيش الإيطالي يخشونه، لتميزه، اعتقل إلى جانب والده وإخوته بداية الاحتلال الإيطالي، وبعد إطلاق سراحه شرب الطليان مرارة نشاطه، حيث حرابهم 20 سنة، وكان شديد الولاء للزاوية السنوسية، فكانت له عديد المراسلات مع أحمد الشريف السنوسي، وقد لقب بفارس الجنوب حيث كانت فزان كلها موحدة تحت قيادته، وقد خرج مع أهله إلى مصر بعد فشل مقاومته. الموقع الإلكتروني ليبيا المستقبل رابط المقال: https://archive.libya-al-mostakbal.org/Articles1209/assadeq_shukri_171209.html تاريخ الزيارة 2022/10/15م، 17:02.

[5] تحدث الأمير عن هذه المسألة في "حاضر العالم الإسلامي" حيث قال أنه عندما طلب أنور باشا عن طرق أخاه نوري بك من احمد الشريف مهادنة الطليان ومهاجمة الإنجليز ان يكون من وراء ذلك فتح مصر، بل هي فكرة الألمان لفتح جبهة جديدة لتحميل إنجلترا خسائر جديدة، حيث يقول الأمير أنها كانت سياسة ألمانية لتخفيف الضغط على جيوشهم وتشتيت القوات البريطانية، ورغم أن أحمد الشريف لم يقتنع بالفكرة إلاّ أنه

الإنجليز دعم السنوسيين للقضاء على الإيطاليين العدوّ الأساسي لهم، ولعدة أسباب منها انتصارات الألمان واندلاع ثورات عدة في مستعمرات الإنجليز، سارع إلى فتح جبهة السلوم نحو مصر، حيث هاجم القوات البريطانية في نوفمبر سنة **1915**م وهزمهم هناك، لكن القوات البريطانية استطاعت صدّ الهجوم في معركة العواقير سنة **1916**م، والتي اعتقل خلالها عديد قادة المقاومة الليبية[1].

لكن المجاهد أحمد الشريف استمر في انتصاراته وسيطر على عدة واحات في المحور الجنوبي، بيد أنّه اضطر إلى التراجع بعد عدم استجابة زعماء قبائل دارفور والفيوم والصعيد، وكذلك للتباين العسكري، والتفوق الإنجليزي من حيث العتاد، واستمر القتال في الصحراء الغربية للسلوم بين السنوسيين والبرطانيين إلى غاية سنة **1917**م، وهو العام الذي انتصر فيه الجنرال البريطاني بيتون Peyton على القوات السنوسية[2].

وبعد هزيمته تعرّض للضّغوط الإنجليزية، حيث هددوه بقصف زاوية الجغبوب وهدم ضريح جدّه محمد بن علي السنوسي إن لم يترك واحة الجغبوب، فغادر البلاد على ظهر غواصة ألمانية من مرسى العقيلة ومعه كبار القادة أمثال محمد صالح حرب، ونوري باشا، وصالح أبو عرقوب، وعبد الوهاب الدرسي، أما البقية فانسحبت نحو الجبل الأخضر، وحين وصل الشيخ السنوسي إلى اسطنبول استقبل استقبال الأبطال، حيث ذكر الأمير أن السلطان محمد السادس قلّده السيف"علامة السلطنة"، ومنحه وساماً مجيدياً[3]، وأنعم عليه برتبة الوزارة[4].

والجدير بالذكر إلى ما أشار إليه أمير البيان، حول محاولة كل طرف من الأطراف المتصارعة في تركيا جذب الشيخ السنوسي إليها: الخليفة في الأستانة، أنور بك في القوقاز، ومصطفى كمال أتاتورك في الأناضول،

اضطر لفعل ذلك، لأنه يعلم بكل ما تمتلكه إنجلترا وكان همه إخراج الطليان لا غير والإلحاح التركي جعله يفعل ذلك. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص ص146، 147.

[1] أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي**، ص ص11، 12.

[2] أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي**، ص13.

[3] وبعد إلغاء نظام الخلافة الإسلامية ألغي معها أجر الشيخ أحمد الشريف السنوسي وقطعت عنه الحكومة الكمالية معاشه، بعد أن أمر السيد كمال أتاتورك بإلغاء الشريعة واضطهاد القائمين عليها، إضافة إلى فرض الرقابة عليه وعلى ما يرده من مراسلات، وأمرت الحكومة باسترجاع بعض الجنود الذين كانوا يحرسونه، فما كان عليه إلاّ الخروج من تركيا ليتّجه نحو الحجاز سنة 1924م. أرسلان، المصدر نفسه، ص21.

[4] المصدر نفسه، ص13.

للمكانة الدينية المرموقة التي يتصف بها لدى الشعب التركي، لكنه اتخذ موقف الحياد إزاء الزعماء الثلاثة رغم أنه كان يميل إلى أنور باشا في أحاديثه كما ذكر أمير البيان[1].

ويذكر الأستاذ عبد السيد السنوسي مراجع إبراهيم أنّه عند زيارة الشيخ أحمد الشريف السنوسي تركيا و إلى مناطق التماس ونقاط الحرب ضد اليونان، وبالضبط إلى أسكي شهر ثم إلى أنقرة حيث التقى مصطفى كمال أتاتورك الذي رحّب به وبالغ في ضيافته، ثم اقترح عليه أن يعمل معه وأن يتقلّد منصب نائب الخليفة في تركيا، لكن الشيخ أحمد الشريف ردّ عرضه وأخبره أن المقام مقام حرب جئنا لمؤازرتكم[2].

وقد ساهم الشيخ أحمد الشريف في إخماد ثورة الأكراد بطلب من مصطفى كمال، بعد أن توسط لدى شيوخ منطقة ديار بكر، حيث حثهم على وجوب لمّ الشمل والوحدة ضد الخطر اليوناني الذي وصل إلى مشارف أنقرة، وطلب منه كذلك شيوخ الأكراد أن يقيم بينهم ليتولّى أمرهم فامتنع عن ذلك وقال:" إنما أنا مجمع لست مفرق، مصلح ولست بمفسد..."، فسمعه الأكراد وأطاعوه وأخذ منهم الشيخ أحمد الشريف مواثيق غليظة على أن يتعاونوا مع مصطفى كمال ضد الجيش اليوناني، ثم انتقل الشيخ إلى طرسوس بعد أن مكث هناك حوالي سنة كاملةً، ثم انتقل إلى مرفأ مرسين حيث التقى هناك مع صديقه الحميم أمير البيان شكيب أرسلان[3].

إضافةً إلى مجموعة من الليبيين، وقد تعرّض الشيخ أحمد الشريف إلى مضايقات وضغط السلطات الفرنسية في الشام، وكان في ضائقة مادية إلى أن وصله مبلغ **400** جنيه إسترليني، بعث بها أمير البيان كهدية من الشيخ جاسم بن إبراهيم أحد تجار اللؤلؤ ببومباي الهندية، فعند وصول خبر الإعانة المالية للشيخ أحمد الشريف خرّ ساجداً وحمد الله كثيراً ورفع يديه إلى السماء قائلا:" فرّجت علينا يا شكيب فرّج الله عنك كرب الدنيا والآخرة، وساعدتنا في محنتنا ساعدك الله على أمور دينك ودنياك..."، فنال شكيب الدعاء الكثير لمساعدته المادية التي رفعت عن الشيخ ومرافقيه الضيق والحرج[4].

---

(1) أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي**، ص14.

(2) عبد السيد السنوسي مراجع ابراهيم، مرجع سابق، ص ص 71، 72.

(3) عبد السيد السنوسي المرجع نفسه.

(4) أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي**، ص26. عبد السيد السنوسي، المرجع نفسه.

وتجدر الإشارة إلى ما أورده الأمير حول مكانة أحمد الشريف السنوسي عند الساسة الأتراك، حيث أصدر مجلس المبعوثان قراراً في أفريل **1921**م يقضي بتعيين السيد أحمد الشريف السنوسي ملكاً على العراق، لكن فيصل بن الحسين بمساعدة الإنجليز وصل إلى العراق قبله، ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ مصطفى كمال قد عرض عليه الخلافة، لكنّه رفضها متعلّلا بأن ظروف العالم الإسلامي في تلك المرحلة لا تساعد على اتخاذ مثل هذه الخطوات[1].

ويضيف الأمير أنّ أحمد الشريف السنوسي لم يهدأ له بال، حيث باشر في تحركاته بين سنتي **1921**م و**1922**م للمّ الشمل وخلق جبهة إسلامية، فاتصل بالخديوي عبّاس المصري، وعبد العزيز آل سعود أمير نَجْد، وأحمد الجابر الصباح أمير الكويت، والحسن الإدريسي أمير عسير، وحميد الدين إمام اليمن، والقصد منها تحرير العالم العربي الإسلامي، ثمّ انتقل إلى سوريا لتحريض الأهالي على العمل لطرد الفرنسيين بمساعدة تركية، غير أن السلطات الفرنسية كشفت تحركاته فأمرت بطرده إلى تركيا سنة **1924**م[2].

وبعد إلغاء الخلافة وغلق البلاد العربية في وجهه كما ذكر أمير البيان، انتقل أحمد الشريف السنوسي إلى الحجاز، والتي أقام فيها من **1924**م وإلى غاية **1933**م، وكان هو من يحرّك عمليات الجهاد في شرق ليبيا [3]، ومن الأعمال التي تُحسب للشّيخ في فترة مكوثه بالحجاز: توسّطه بين يحي إمام اليمن وأمير عسير الحسن بن علي الإدريسي، والملك عبد العزيز آل سعود، عبر توقيع معاهدة صلح بتاريخ **21** أكتوبر **1926**م[4]، لكن لم يذكر الأمير إن كان له دور في هذه الوساطة كما فعل بعد ذلك سنة **1932**م، بعدما زادت حدّة الصراع.

حيث إنّ الأمير شكيب أرسلان بعث برسالة إلى ملك العراق فيصل الأول بتاريخ **20** نوفمبر **1932**م، وناقش فيها قضية الخلاف الذي وقع بين الإمام يحي عاهل اليمن وابن سعود ملك المملكة العربية السعودية حول منطقة عسير الحدودية، وقد اقترح الأمير أن يبعث السيد أحمد الشريف السنوسي ليقنع الإدريسي [5]

---

(1) أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي**، ص15.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص16.

(4) المصدر نفسه، ص17.

(5) وقد ذُكر في كتاب الأمير "خلاصة رحلة المرحوم..."، أنّه عند زيارة أحمد الشريف السنوسي إمارة الأدارسة التفّ به جمع كبير من النّاس واشتكوا له حول ممارسات الأمير علي الإدريسي، حيث قالوا أنّه خرّب البلاد ونهب أموال الناس، ونفى خلقاً كثيراً، فنفرت القبائل منه، وكثر السلب والنّهب، فاستغل ملك اليمن الفرصة فصار كل يوم يحتلّ قريةً من قرى الأدارسة، وذكروا كل ما يتعلّق بسوء سيرته، والجدير بالذكر أنّ

حاكم عسير بالصلح ويحذره من أطماع إيطاليا في المنطقة [1]، لكن ليس لدينا المعلومات حول ردّ الملك فيصل على مقترحات الأمير، والتي من شأنها حل المسألة الحدودية بين السعودية واليمن، ورأي الملك في هذه المقترحات.

ويذكر الأمير أن أحمد الشريف السنوسي كان يستغل موسم الحجّ والعمرة للاتصال بالليبيّين، ويستقبل الرسل الوافدة إلى مكّة من قادة الجهاد، حيث كان يعطيهم التعليمات والتوجيهات، إضافةً إلى الإمدادات من خلال جمع التبرعات خلال مواسم الحجّ التي جعلها منبراً إعلامياً لحث المسلمين على دعم القضية الليبيّة [2].

ويعود أمير البيان في كتابه "خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي" ليروي كيف للشيخ أحمد الشريف يقضي شهور في معاناة التنقل بين مدن الشام، ومضايقات السلطات الفرنسية والإنجليزية عليه وعلى مرافقيه، ليقرر في الأخير التوجّه نحو نجد عند آل سعود، وكيف له أن مرّ بعديد الصعوبات في سفره خاصة عندما تاهوا في الصحراء وفقدوا اتجاه الطريق المؤدية إلى نجد، إلاّ أن الألطاف الإلهية كما قال الأمير حالت دون أذيّتهم، خاصة بعد توافق سفره مع الحملة التي قام بها الأمير عبد الله أمير شرق الأردن على قبيلة الحويطات الداخلة في حدود آل سعود [3].

وبُعيد لقائه بالملك عبد العزيز آل سعود الذي أكرمه أيّما إكرام، خصّص له إقامة في مكة وبقي يتنقل بين الحرمين، ومرّات أخرى يقصد إحدى زوايا السنوسية بالطائف إلى أن وافته المنيّة سنة **1933**م بعد لقائه بأنجاله وقراءته لوصيّته.

في حين أورد أمير البيان أربع رسائل في تعليقاته على كتاب "حاضر العالم الإسلامي" المجلد الأول الجزء الثاني في مقال عُنون بأربعة كتب واردة للسيد أحمد السنوسي"، هذه الرسائل أتته من السادة "اللورد كتشنر" و"السير ماكماهون"، و"الجنرال مكسويل"، الرسالة الأولى أُرّخت في شهر صفر **1331** هجرية يقابلها في الميلادي شهر جانفي **1913**م، أي قبيل الحرب العامة بعام، وبعد الديباجة البليغة من اللورد كتشنر، بدأ طرح شكواه له من أتباع الطريقة السنوسية في فزّان، الذين هجموا على جماعة من عربان الكبابيش التابعين لحكومة

أحمد الشريف كان له الفضل في تغيير الأمير علي بعد تحريض عمّه الأمير الحسن الذي حاصر الأمير علي الذي فرّ عبر البحر. المصدر نفسه، ص41- 43.

[1] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص317، 318.

[2] أرسلان، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي**، ص17.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص ص25- 29.

السودان، وأخذوا متاعهم وأكثر من **140** من الجمال، ثم يضيف أنه كان بمقدوره تقفي أثر الطغاة البغاة الجناة، إلا أنّه يعرف أن السيد أحمد الشريف من ذوي حب العدل والإنصاف، وغيرته على إقامة تعاليم الشريعة فإنّه لم يفعل ذلك[1].

لذا يطلب منه إحقاق الحق وأن يأمر أتباعه بكفّ الأذى عن جيرانهم، وأن يأمر أولئك الظالمين بردّ الأحمال والجمال إلى أهلها، مع دفع الفدية لمستحقيها، والتعويض للجرحى، ثم يخبره أنه ألحق بالرسالة أسماء الأشخاص المعتدى عليهم من عرب الكبابيش، وختم رسالته بالدعاء له[2].

وفي الرسالة الثانية المؤرخة في شهر صفر سنة **1333** هجرية الموافقة لشهر جانفي من سنة **1915**م، أخبر من خلالها السير ماكماهون عن توليه حكم مصر بعد قرار الملك جورج الخامس ملك بريطانيا، ليبلغه استمرار العلاقات الودية وعلى النهج نفسه مثل سابقيه[3].

أمّا الرسالة الثالثة والتي أُرّخت في **25** محرم سنة **1334** هجرية الموافقة لشهر ديسمبر من عام **1915**م أي بعد بداية الحرب العامة، حيث يشتكي بتعجّب من هجمات قام بها أتباعه على الحدود المصرية، إضافةً إلى السبعين رجلاً إنجليزياً الذين احتجزوا من قبل مجاهدي الطريقة السنوسية، بعد إغراق سفينتهم من طرف غواصة ألمانية، ثم بدأ تهديداته حول من يتجاوز الحدود المصرية، ثم يذكره بضعف الألمان وقوة الحلفاء التي ستسقط الإمبراطور الألماني وحلفاءه لا محال على حدّ قوله، ويقول أنّ الأتراك مقصدهم قضاء مآربهم ثم ينبذونكم، ويختم رسالته بطلب تبيان نيّة أحمد الشريف من خلال إخلاء سبيل السجناء البريطانيين، ثم طرد المستشارين الأتراك والألمان أي نوري بك والألماني مانسمان وغيرهم [4]، وتجدر الإشارة إلى طريقة كتابة الرسائل واللغة المستخدمة من طرف قادة الاحتلال الإنجليزي، وما تمتاز به من دبلوماسية ولباقة حتى عند التهديد، وذلك ما يجعل القارئ ملامسًا للحقيقة، قريبًا إلى الميل صوب الإقتناع لبلاغة تلك اللغة الموظفة.

وفي آخر رسالة والتي أرسلها الجنرال السير جون ماكسويل القائد العام للجيش الملكي بمصر، والتي أُرخت في الثامن مارس **1916**م، حيث بدأ الجنرال بالتذكير بما كتبه سلفاً حول خطر الإصغاء إلى نصائح

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص ص129- 131.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص132.

(4) المصدر نفسه، ص ص132- 134.

نوري بك وجعفر وغيرهم، ثم يذكر تفاصيل المعارك التي حدثت، وكيف للغواصات الألمانية أن أنزلت المساعدات العسكرية، ثم ينفي وجود معاهدة عقدتها دولته بريطانيا إلى جانب دولة إيطاليا، ثمّ عدّد شروط التفاوض التي هي أربعة نقاط (ردّ الأسرى البريطانيين، إبعاد الألمان والأتراك عن الأراضي الليبية، سحب رجال السنوسيين من مصر، الجلاء من الأراضي المصرية من سيوة والسلوم والعودة إلى الجغبوب)[1].

ثمّ خصّص مقالاً مطولاً حول الطريقة السنوسية، في حدود **25** ورقة في تعليقاته حول كتاب "حاضر العالم الإسلامي"، حيث عرّف بشيخها المؤسس لها، السيد محمد بن علي السنوسي الذي خرج من الجزائر بعد احتلالها من طرف الفرنسيين، وتابع شرحه حول الطريقة وشيوخها ومناطق انتشارها في إفريقيا وآسيا، وأعمالهم لصد جيوش الإيطاليين، خاصة المعاناة التي شهدها أحمد الشريف السنوسي وجنوده لّما ازداد الخلاف مع ابن عمّه الذي صار أميراً على برقة، فتوجه نحو الغرب ليلتقي بجيش رمضان السواحلي الذي حاربه كذلك، ورغم انتصار أحمد الشريف السنوسي في أولى المعارك، إلاّ أنّه حوصر بين الإنجليز في الشرق، وابن عمّه في الجغبوب جنوباً والقوات التركية التي مالت إلى السويحلي غرباً، فوصل بهم الحد إلى أكل الحشيش كما ذكر الأمير، وقد كان معه قرابة الثلاثة آلاف جندي، فمات منهم الكثير، لكن بعد نهاية الحرب انتقل إلى تركيا كما ذكرنا سلفًا[2].

أمّا في الجزء الرابع من كتاب "حاضر العالم الإسلامي"، فقد خصّص أمير البيان مقالاً تحت عنوان "بقية السلف الصالح وخاتمة المجاهدين سيدي أحمد الشريف السنوسي رضي الله عنه"، ونقل هذا المقال عن قائد الجيش السنوسي العراقي جعفر باشا العسكري، في حين نقل المقال السابق من الجزء الثاني على لسان الشيخ أحمد الشريف شخصياً، حيث يقول الأمير"...لأن روايتي الأولى كانت عمّا سمعته عن فم السيد وقد تكون ثمّة أمور فاتت السيد و لم تفت القائد العسكري..."، وقد ركّز في مقاله على المعارك الحربية ضد الإنجليز خلال الحرب العامة سنوات **1915**م و**1916**م، ثم رحلته إلى مرسين بتركيا ويومياته هناك، وذكر الأمير لقاءاته معه لعدة أشهر، فوصف أسلوب حياته هناك ثم سفره الثاني نحو الحجاز كما ذكرنا سابقاً[3].

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص ص134، 135.

(2) المصدر نفسه، ص ص150- 152.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء4، ص ص398- 408.

وتجدر الإشارة إلى الأبيات التي خطّها الأمير حول السنوسي وكفاحه في ليبيا ضد الإيطاليين ودونها ضمن ديوانه وهذه بعض الأبيات :

واسأل الواح كلها كيف عاشت والسنوسيّ تلكمُ الصحراء
ليس يخشى الإفرنج مثل السنوسي وما هم في خوفهم أغبياء
عرفوا قدره وبعد مراميه فأشهاد فضله الأعداء
كم غدت من سطاه ترجف رعباً دولةً ملء أنفها الكبرياء [1]

فكان لأحمد الشريف السنوسي النصيب الأكبر في كتابات الأمير؛ وفي مواضع أخرى كتب حول جهاد إدريس السنوسي، حيث ذكر أمير البيان جهود محمد إدريس المهدي السنوسي ابن عمّ أحمد الشريف السنوسي في تشكيل جيش ليبي لاسترجاع الأراضي الليبية من بين أيادي الإيطاليين، حيث اجتمع في **23** أكتوبر **1939**م في بيته بالإسكندرية حوالي أربعين زعيماً ليبياً من المتواجدين في مصر، وخرج المجتمعون بقرار تزكية السنوسي للتفاوض مع الحكومة المصرية والحكومة البريطانية قصد تأسيس جيش سنوسي للمشاركة في تحرير ليبيا، وقد أُبلغ الجنرال ويلسون قائد الجيوش البريطانية في مصر [2]، لذا بقيت عائلة السنوسي في جهادها ضد الإيطاليين لاسترجاع الاستقلال، إلى أن تمكن لها ذلك بعد التفاف الليبيين حولها، خاصة وأن الإيطاليين حاربوا إلى جانب المحور فكانت الفرصة سانحة لتلقي الدعم من بريطانيا ضدها.

4 6 دور شكيب أرسلان في المفاوضات العثمانية الإيطالية:

يقول أمير البيان في كتابه زمن العروبة الأبتر :"...فمن المعلوم أننا لسنا ممثلين لدول ولا لحكومات إسلامية ليتسنّى لنا أن نفاوض دولاً وحكومات أوروبية بصورة رسمية، وإنّما نحن أشخاص غير مسؤولين نتعاط السياسة باسم الوطنية، وبتفويض من أبناء وطننا والجمعيات الوطنية العربية في المهجر، ونناضل في أوروبا عن حقوق العرب وحقوق المسلمين أجمع، وليس لشيء من أعمالنا صبغة يقال لها رسمية حتى يمكن أن نعلن عن مفاوضاتنا مع الدول الأجنبية بكلّ ما نريد من الصراحة..."[3].

---

[1] الأبيات من (بحر الخفيف) أرسلان، **ديوان الأمير شكيب أرسلان**، ص ص31- 33.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص286، 287.

[3] أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص 283.

في مسألة المفاوضات يبرر الأمير كل أعماله من اتصالات ولقاءات وأسفار...بأنّها ليست من قاعدة رسمية ذات بعد دبلوماسي في إطار علاقات دولية، بل هي نتاج جهود شخصية بخلفية وطنية وبتكليف من اللجان والجمعيات الوطنية، لذا ليس من الضروري أن يصرح عن تفاصيل لقاءاته أو عمّا دار في مفاوضاته مع الشخصيات الأوروبية البارزة على الساحة السياسية.

وقد كتب الأمير عن عدد التفويضات المُسلمة لشخصه من طرف الجمعيات العربية، وقد أسلفنا في الفصل الأول أنّه كان لدى شكيب في مدينة جنيف أربعون توكيلا خطّياً من الحركات الوطنية الاستقلالية العربية ليمثلها لدى دوائر عصبة الأمم[1].

أمّا عن بداية الاتصالات، فيقول أحمد الشرباصي في هذا الشأن، وبالتحديد في قضية أولى الاتصالات التي جرت بين الأمير والحكومة الإيطالية، أن السيد رشيد رضا سبق الأمير شكيب في الاتصال بالحكومة الإيطالية قصد تغيير طريقة تعاملها مع الشعوب العربية، وحثّها لتكون خِلاف ما كانت عليه إنجلترا وفرنسا اللتان خانتا العهود و أخلفتا الوعود، وكان هذا الاتصال في سنة **1921**م[2].

وفي الشأن نفسه هناك رسالة لا يوجد لها تاريخ صُنّفت ضمن رسائل الأمير في كتابه مراسلات أمير البيان إلى كبار رجال العصر من الصفحة **63**[3]، عُنونت ب"مساعي الأمير في القضية الليبية"، وقد ضاعت الصفحتان الأولى والثانية منها، حيث قام الأمير من خلالها بالاتصال بالزعيم الإيطالي موسوليني الذي كان يُكنّ لأمير البيان الاحترام، وسبب المراسلة هو وصول أخبار تهجير ثمانين ألف ليبي عن بيوتهم في الجبل الأخضر ونقلهم إلى الصحراء إلى مسامع الأمير، حيث مات منهم الكثير، بعد أن استولى الجيش الإيطالي على الأوقاف الإسلامية والأملاك الخاصة، فبادر شكيب للتوسط وحل المعضلة وإعادة المهجّرين إلى ديارهم، في حين لم يتجرأ قائد عربي واحد على معاتبة الحكومة الإيطالية أو مراسلة القادة الطليان، فمن خلال فحوى ما تبقى من صفحات الرسالة، نجد أن مجمل اهتمامات ونقاشات الأمير مع القائد موسوليني تتلخّص في النقاط التالية:

---

(1) أرسلان، **النهضة العربية في العصر الحاضر**، ص 11.

(2) أحمد الشرباصي، **شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام**، ص 42.

(3) هناك مقالة مرتبة ضمن عديد المقالات الخاصة بأمير البيان التي نُشرت في جريدة الفتح الصادرة بمصر وجمعت في كتابه **زمن العروبة الأبتر** المقالة من ص 283 مؤرخة بتاريخ 1935/02/02 عُنونت ب"جواب للكتلة المغربية الوطنية في مصر" يوضح من خلالها أسباب الإفصاح عن بعض تفاصيل مفاوضاته مع القائد موسوليني، وأتبع الرسالة بملحق يقول فيه :"...بينما أنا أحرر هذا المقال (المرسل للكتلة الوطنية المغربية) جاءني من روما بلاغ رسمي وسرد فيه تفاصيل نجاحات الأمير في طرابلس الغرب من إفراج عن المساجين وقضايا أخرى، فهذه المقال توضح أن الرسالة مجمهولة التاريخ كانت قبل أسابيع فقط أو أشهر من نشر هذا المقال.

– **التعليم العربي الإسلامي:** حيث طلب الأمير من القائد الإيطالي وجوب الاهتمام بالتعليم الإسلامي واللغة العربية في مكاتب الحكومة، فأجاب الإيطاليون شكيب بأنهم ازدادوا اعتناءً بها، وقد أنشأ موسوليني مدرسة للتعليم العالي للعلوم الإسلامية [1]، في حين نجد ما كتبه الأمير في هذا الشأن حول ممارسات الإيطاليين العكس تماماً وما وعد به القائد موسيليني[2].

– **سياسة التنصير** : كذلك كتب الأمير في رسالته أنه طلب من الزعيم الإيطالي موسوليني منع التبشير في ليبيا، فردّ عليه أنه ممنوع قطعياً وأي تجاوز في هذا الشأن فعليه أن يخبره به، فأراد الأمير التأكيد والتحقق من الأمر جيّداً من ألد أعداء الطليان وهو بشير بك السعداوي فسأله عن أمر التنصير في ليبيا فنفى هذا الأخير عن وجود التبشير في ليبيا رغم مختلف المظالم التي تعرّض لها الشعب الليبي[3].

– **مسألة الأوقاف الإسلامية**: يقول شكيب في هذا الشأن أن الحكومة الإيطالية استولت على الأوقاف الإسلامية في طرابلس وتدير أمورها بمعارفها، فطلب بأن تُشكّل لجنة إسلامية صرفة لتسيير أمور الأوقاف، فتشكّل مجلس أوقاف في كل بلدة، وتسلّمت هذه المجالس أوقاف المسلمين وخرجت من إدارة الحكومة الإيطالية[4].

– **أملاك العائلة السنوسية وأراضي زواياها** : بعد قيام الإيطاليين بالاستيلاء على أملاك السنوسيين طلب الأمير بإعادة النظر في هذا الإجراء من الزعيم موسوليني، فأعادت الحكومة بأمرٍ من قائدها بإرجاع ممتلكات السنوسية لأصحابها والأراضي المصادرة للزوايا السنوسية[5].

– **طلب العفو العام:** بطلب من الأمير كتب القائد موسوليني رسالة بيده إلى والي طرابلس الماريشال إيطالو بالبو Italo Balbo [6] مع إرفاقها بكتاب للأمير يستوصيه فيه بالمسلمين خيرًا،

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص63.

(2) يذكر الأمير أن الإيطاليين فرضوا التعليم الإجباري بحيث قضت على التعليم العربي الاسلامي وفتحت دور الفحش والدعارة بإفساد أخلاق الشباب، كذلك مسألة التنصير، ودفع المسلمين إلى اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكي، وقد صرح أحد سفراء الدول لأمير البيان أنه تحدث مع أحد رجال السلطة الإيطالية فأخبره قائلا:"...إنّنا نأمل كثيراً تنصير الجنس البربري من أهل طرابلس وبرقة..."، وهذا ما فعلته فرنسا في الجزائر وتونس والمغرب. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد 1، ج2، ص83. **الفظائع السود الحمر**، ص 87.

(3) شكيب أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص63.

(4) شكيب أرسلان، المصدر نفسه، ص64.

(5) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص64. كل تفاصيل مصادرة أراضي القبائل الليبية في برقة والجبل الأخضر وفي طرابلس ذكرها الأمير في تعليقاته في كتاب حاضر العالم الإسلامي المجلد الأول الجزء الثاني الصفحات 64-128.

(6) إيطالو بالبو Italo Balbo : هو أشهر وأبرز قادة الاحتلال الإيطالي في ليبيا، هو أحد كبار الضباط في الحركة الفاشية في إيطاليا، هو مصمم خطة توحيد مستعمرتي برقة وطرابلس الغرب حيث صدر مرسومها في الثالث من ديسمبر 1934م، عُيّن حاكماً على ليبيا من طرف

فأفرجت السلطات الإيطالية في ليبيا على ثلاثمائة معتقل كان محكوم عليهم بين **20** و**30** سنة سجناً، ثم أرسل موسوليني رسالة الأمير كتب فيها :"...إن كان عندك معلومات عن وجود أناس لا يزالون محبوسين فأرسل لي أسماءهم..."، فقام الأمير بالاستعلام عن ذلك عبر الكتلة الطرابلسية بالإسكندرية فأخبروه عن الثلاثمائة شخص الذين أُفرج عنهم ولا يزال عشرين شخصاً في السجون فأعطوه أسماءهم، بدوره أرسل شكيب قائمة الأسماء إلى رئيس الحكومة الإيطالية، فلم يمضي شهر من المراسلة حتى أطلق سراحهم جميعاً [1]، وقد ذكر الأمير في كتابه "زمن العروبة الأبتر" تفاصيل البلاغ الذي أُرسل إليه من روما والذي تضمن قضية الإفراج عن الأسرى المحكوم عليهم بسبب الثورة بين **20** و**30** سنة، وأنّ الحكومة الإيطالية قرّرت منحهم اعتمادات مالية بغرض زيادة أعداد الماشية لديهم، وأنّ السلطات ستبدأ في دفع مبالغ للفقراء قصد شراء الجمال، أمّا الأغنياء ستفتح باب الاقتراض من صندوق التوفير بفائدة خفيفة[2].

- **المقدسات الإسلامية:** قامت حكومة الاحتلال الإيطالي في ليبيا بترميم بعض المساجد وتشييد جوامع جديدة أخرى لم تكن موجودة، وذلك لما نصح به الأمير الحكومة الإيطالية حول واجب تعظيم مقدسات المسلمين وشعائرهم[3].

لكن كتابات الأمير توضح جلياً مدى افتراءات السلطات الإيطالية وبالأخص الحاكم الإيطالي إيطالو بابلو في ليبيا، هذا الأخير أصدر قراراً في **18** جوان **1935**م أي بُعيد الرسائل المبعوثة من طرف شكيب المذكورة آنفاً، والتي ردّ عليه قائدهم موسوليني بالإيجاب، فحوى هذا القرار منع الممارسات الدينية التي يقوم بها فقراء الصوفية في جميع أنحاء ليبيا [4]، كذلك تعزيز وجود إيطاليا بليبيا من خلال زيادة عدد القوات العسكرية هناك، وكان ذلك في أكتوبر **1935**م[5]، وهذه الأخبار أوردها الأمير شكيب في مدونته، بحيث أن أرسلان كان على علم بممارسات الساسة الإيطاليين السيئة، وأنّ كلامهم مجرد فقاعات إعلامية لا غير.

الزعيم موسوليني لمدة قاربت السبع سنوات، قُتل في ليبيا سنة 1940م بعد إسقاط طائرته التي كان يقودها بقذيفة إيطالية، وقيل كان خطأً بعد دخول إيطاليا الحرب في العاشر جوان 1940م أُسقطت طائرة المارشال بنيران صديقة. الموقع الإلكتروني: Rattibha رتيبها الرابط: https://rattibha.com/thread/1273010148559278086، تاريخ الزيارة:2023/02/03م، 20:23.

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص64.

(2) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص 291.

(3) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر** ، 64.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 232.

(5) المصدر نفسه، ص 233.

هناك قضايا أخرى تطرّق إليها أمير البيان في ملحق للمقالة المنشورة في جريدة الفتح من كتاب "زمن العروبة الأبتر" تخص هذه المسألة، حيث ذكر أن الحكومة الإيطالية خصّصت مليوناً و **500** ألف ليرة (فرنك إيطالي) لأجل إصلاح الآبار والمعاطن [1]، فيقول الأمير حول رد فعل الأهالي الليبيين وتلقيهم هاته التبليغات على وعود الإيطاليين بالشكر العظيم للسنيور موسوليني زعيم إيطاليا[2].

ويذكر الأمير أن هذا ما جاء في البلاغ الرسمي، وأنه أحبّ نشره مع مقاله في جريدة الفتح حتّى ولو كان الواقع خلاف ذلك، وهذا أفضل أن يُشاع بشكل رسمي ثم لا يكون الأمر صحيحاً، ويضيف أنّه إذا كان صحيحا:"... أفلا يكون حقّاً أن نشكر نحن أيضاً موسوليني على جميل صُنعه بإغاثة أولئك المساكين؟ وإذا شكرنا زعيم إيطاليا على هذا الجميل الذي لولاه لم يكن الحصول عليه، أفنكون ارتكبنا إثماً وقمنا بدعاية استعمارية لإيطالية" [3]، لم يترك الأمير ثغرة من الشكوك إلا وسدّها باحتمالاته، ورفع الشكوك وتجنب السقوط في متاهات المتربصين بالهفوات من الأعداء لضرب المقربين من الأصدقاء.

ويرد على المنتقدين له في تفاوضه مع الإيطاليين لإغاثة المسلمين الطرابلسيين والتخفيف من ويلات الحرب عنهم، وما الطريقة التي يجدونها هؤلاء المنتقدون لتسكين أوجاع الليبيين وتضميد جروحهم ؟ ولبقاء الإسلام في طرابلس ؟ ويضيف أن الليبيين كانوا يجاهدون من سنين طويلة ويتحمّلون ما يتحمّلون من العذاب ومن الجوع في جهادهم، وأنّه أي أمير البيان يعلم تاريخ جهاد طرابلس أكثر من أي أحد ويعلم تاريخ أحمد الشريف السنوسي، لأنّه يده اليمنى، فلذلك يرى أنّه يختار السكوت[4].

وكان الأمير يتابع عن كثب كل مستجد في القضية الليبية، وقد راسل السلطات الإيطالية في كثير من المسائل والتي لازال بعضها عالقاً كقضية الممتلكات الخاصة التي وعد موسوليني بالسعي لحلها، عبر إعادة الممتلكات نفسها لأصحابها أو دفع تعويضات عنها؛ وفي ختام ما كتبه الأمير في هذه الرسالة ذكر أن المظالم الإيطالية استفحلت وكانت سببا في تدخله لدى موسوليني الذي كان بادر إلى النظر في المسائل التي شكاه

---

[1] لا نعلم ماذا يعني بها الأمير في هذا الموضع من رسالته هذه، لكن من خلال التطرق لمعجم المعاني الجامع، فهي مبارك الإبل أو مرابض الغنم، أو المكان الذي تُدبغ فيه الجلود بعد وضع الملح عليها، ثم يُلّين ليكون جاهزاً للاستخدام. الموقع الإلكتروني: معجم المعاني الجامع، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%86/، تاريخ الزيارة :2022/10/16م، 21:11.

[2] أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص 291.

[3] أرسلان، المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه، ص 292.

إياها الأمير، فاعتدلت الأحوال إلى حد بعيد، فلا يُنكر ذلك أحد، وقد كتب رشيد رضا عن جهود الأمير في مسألة طرابلس في إحدى مقالاته :"...إنّ الأمور التي ذكر الأمير شكيب أنه كان السبب في إصلاحها في طرابلس لم يقدر أحد أن ينكر حصولها، ولا أن يكذبه بشيء..."[1].

وقد انقطع الأمير مدة عن كتابة الرسائل ونشر المقالات التي تخص مسألة طرابلس الغرب وبرقة، إلا أنه لم يغض الطرف عنها مطلقاً، ففي رسالة بعث بها إلى الأستاذ والأديب أكرم زعيتر [2] أحد المجاهدين الكبار وأحد أعيان مجلس النواب الأردني بتاريخ **11** مارس **1931م**، تضمّنت عديد المسائل أبرز مسألة هي القضية الليبية، حيث أخبره أنه على علم بكل ما يجري من فضائع إيطاليا في ليبيا، لكنه صابرٌ ومتحمّل مراعاةً للمودة التي كانت بينه وبين موسوليني، والفضل الذي قابله به في مقالات كتبها الأمير ونشرها موسوليني عندما كان محرّراً لمجلة "البولولو ديتاليا"، وقد راسله البشير السعداوي رئيس اللجنة الطرابلسية البرقاوية بالشام مراراً قصد مساعدتهم، فردّ عليه الأمير قائلاً:"...يا أخي ضاقت علينا الأرض بما رحبت: إنجلترا ضدنا، فرنسا ضدنا، تركيا ضدنا، الأجانب كلهم ضدنا، ثم نثير عداوة إيطاليا من جديد، ونستحيي من موسوليني لأنه سبق له مساعدة لقضيتنا، فانشروا أنتم ما شئتم وأنا أساعدكم بالمساعي وبالنشريات بدون إمضاء لي، وفعلاً كنت أنشر بغير إمضاء لي...ثم تفاقمت أفعال إيطاليا فما استطعت الكتمان، ونشرت في لاناسيون أراب مقالة انتقاد مع الاعتدال، ونبّهت موسوليني للأخذ على أيدي قوّاده "[3].

وقد ذكر الأمير أن الفاشيست يفكّرون في احتمالية اغتياله، لكن في المقابل فالمسلمون في بقاع كثيرة من العالم لا يعجزون عن إيجاد قناصل إيطاليا في بلدانهم، ثم يقول الأمير:" ...ثم اعلم يا ولدي أنّ من خاف

---

[1] شكيب أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص64.

[2] أكرم زعيتر (1909م-1996م) أديب وسياسي فلسطيني وهو من القوميين العرب، ولد بنابلس، والد الشيخ عمر زعيتر الجزائري من كبار أعيان مدينة نابلس، أخوه العلامة عادل زعيتر والمسمى بشيخ المترجمين، درس في الابتدائي في مدينته نابلس، ثم انتقل إلى كلية النجاح ثم إلى الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم التحق بمعهد الحقوق بالقدس، اشترك في تأسيس عصبة العمل القومي في سوريا في بيروت سنة 1933م، شارك في الإضراب العام الذي دام ستة أشهر والذي مهد للثورة سنة 1936م، فكان اول معتقل في هذه الثورة، وبعد إطلاق سراحه توجه نحو العمل الصحفي في دمشق لنصرة القضية الفلسطينية، ثم اتجه إلى العراق بعد المطاردة من طرف القوات الفرنسية والإنجليزية، حيث تقلد عدة مناصب في وزارة المعارف حيث كان مفتشاً ثم أستاذاً في دار المعلمين العراقية، وشارك في ثورة رشيد رضا الكيلاني عام 1941م، ولما فشلت لجأ إلى بادية الشام ثم إلى تركيا كلاجئ سياسي، وبعد استقلال سوريا سنة 1946م عاد إليها ليعين كمستشار للوفد السوري في جامعة الدول العربية، وعضو في لجنة فلسطين الدائمة في هذه المنظمة، له الكثير من المؤلفات، توفي في بيته بعمان سنة 1996م. الموقع الإلكتروني: الموسوعة الفلسطينية ، رابط المقال: https://www.palestinapedia.net/%D8%A3%D9%83%D8%B1%D9%85-%D8%B2%D8%B9%D9%8A%D8%AA%D8%B1/ تاريخ الزيارة، 2022/10/16م، 20:55.

[3] أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر** ص ص 254 ،255.

من شيء سلّطه الله عليه، فأنا لا أخاف ولا أحب أن أخاف، و موسوليني ومصطفى كمال وأمثالهما عندما يقرؤون ترجمة كلامي أو ما أكتبه بالفرنسية رأساً، يعلمون أنّه ليس بكلام من يحسب لهم حساباً، والله خير حافظ..."[1]، فالأمير له حساباته في كل خطوة يخطوها، وإيمانه ثابت بمسألة القضاء والقدر، فلا ضرر إلا بما كتبه الله له، فأقرّ أن لا خوف يمسه.

وجدير بالذكر أنّه حتى قادة المقاومة الليبية كان لهم نصيب من هذه الأكاذيب، حيث كتبت الشهاب الجزائرية في مقال ردّ من خلاله الأمير شكيب على المقال الذي نشرته مجلة "الرابطة العربية" الصادرة بمصر ثمّ سارعت مجلة "الأمة" الجزائرية إلى نشر ذلكم المقال رغم ما حمله من علل، وقد تضمّن نص المقال هجوم السيد سليمان الباروني على الأمير شكيب أرسلان، حيث وصفته الشهاب بالحملة السخيفة الطائشة، وقد كتب الباروني في مقاله:"...أما شكيب فيعلن بدون داع وبدون أن يسأله أحد عن رأيه في الاتفاق مع المسلمين المصابين بالاستعمار، براءته من المسلمين كافة من الغرب الأقصى إلى نهاية الهند ومن التركستان إلى البلقان إلا عرب الجزيرة ومصر الغنية بذهبها الوهاج..."[2].

فردّت الشّهاب بقوّة دفاعاً عن الأمير فكُتب :"...متى أعلن شكيب براءاته من المسلمين كافة و لم يستثن عرب الجزيرة ومصر؟ متى وأين وفي أي تاريخ وفي أي مكان وفي أي نادٍ أو في أي محاضرةٍ وفي أيّ جملةٍ وفي أيّ سطرٍ وفي أيّ وفي أي كلمة قال شكيب أرسلان قولاً كهذا تصريحاً أو تلميحاً أو منطوقاً أو مفهوماً..."[3]، فكان ردّ الشهاب قوياً مدوياً إعلامياً، بإعطاء الأدلة الدامغة والبراهين الواضحة على ما يبذله من جهود في سبيل استقلال الدول.

وفي ذات السياق يتّهم الباروني أمير البيان بأنه كان يتقاضى على مهمّته في ليبيا الذهب، ما جعله قادراً على شراء بيوت في ألمانيا وغيرها، فردّ الأمير عليه وأعطى كل حيثيات دخوله طرابلس وما كان يحمله من ماله الخاص وما أعطي له من قبل الهلال الأحمر المصري، وكيف صرفه على المجاهدين هناك، ثمّ بين كيف اشتدت الأزمة في ألمانيا بين سنوات **1921**م إلى **1930**م وانخفضت أسعار العقّار في برلين، فسارع الكثير من المهاجرين لشرائها، لكن الحكومة الألمانية توجّست من هذه الحالة فأصدرت قراراً يقضي بمنع بيع البيوت وكل

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 256.

(2) الشهاب، **"المباحثة والمناظرة بين محبي الحقيقة المتعاونين على الوصول إليها، ردّ الأمير شكيب أرسلان على مزاعم واتهامات سليمان باشا الباروني"**، مجلة الشهاب، الجزء1، المجلد14، مارس 1938م، ص ص 14-27.

(3) الشهاب، المصدر نفسه.

أنواع العقّارات للأجانب، ثم يصرّح الأمير بأسماء الأشخاص الذين يعرفهم وكانت لهم عقّارات ببرلين، وقد اقترض هو من السيد الدكتور ميشل بيضا التاجر البيروتي لشراء البيت، وقد كان له ذلك، واستفاض في هذا الجانب واتهم الأمير الباروني بتهوره وتجرئه على الكذب، ردّاً عليه وعلى افتراءاته[1].

ومن ردوده مقاله الذي عنونه "بيت برلين وما أدراك ما بيت برلين"، حيث كُتب في "عروة الاتحاد" أن سليمان الباروني أراد استرضاء الانجليز وهو في بغداد بغرض جعله في أحد المناصب لدى سلطان مسقط، فكوفئ على حملته ضد الأمير بتعيينه مستشاراً للسلطان العماني، وقد كتبت إحدى الصحف العراقية أن الله انتقم للأمير لمّا ظهر رضا الإنجليز على الباروني بعد أن كان عدواً لها من قبل[2].

وفي سياق آخر ففي رسالة بعث بها الأمير إلى السيد الحاج عبد السلام بنونة أحد رواد الحركة الوطنية المغربية بتاريخ **26** أفريل **1931**م حدّثه فيها عن عديد القضايا على غرار قضية الاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب، حيث ذكر مسألة تقاعس العرب عن قضية الليبيين، وعن مراسلات الجمعية الطرابلسية البرقاوية في الشام له وطلب العون منه فقام الأمير بجمع كل تفاصيل معلومات الشأن الليبي ووضع برنامجاً لهذه الجمعية لتسير عليه في الشام، وحرّر مقالاً حول قضية فضائع الاحتلال الإيطالي في ليبيا، فأحدثت المقالة ضجة كبيرة، ففي مصر أضرب طلاب الأزهر عن التعليم، ونقموا على سكوت شيخ الأزهر المطبق[3].

وفي سوريا هاجت الجماهير، خاصّة بعد قيام الجمعية الطرابلسية بتوزيع نسخ المقال على أعيان مدينة دمشق، ثم انعقد اجتماع هناك وحضره خمسمائة شخص، ثم أرسلوا ببرقيات الاحتجاج إلى جمعية الأمم والحكومة الإيطالية وإلى ملوك الدول الإسلامية، وقد أُغلقت كل حوانيت مدينة الشام للاحتجاج، وقد عمّ الهيجان سائر مدن سوريا؛ كذلك فعل الشعب المقدسي بعد قيام أرسلان بإرسال مكتوب خاص إلى المفتي أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي، فأُلقيت الخطب في المسجد الأقصى بعد صلاة الجمعة، وأُرسلت البرقيات الاحتجاجية بعبارات شديدة اللهجة إلى إيطاليا وجمعية الأمم، والشيء نفسه حدث في نابلس والمسجد الأعظم، وفي صفد وسائر مدن فلسطين، لكن حكومة إيطاليا عبر قناصلها كذّبت ذلك، وقد أوفى

---

(1) الشهاب، **"المباحثة والمناظرة بين محبي الحقيقة..."**، ص ص 26، 27.

(2) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص32.

(3) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص 268، 269.

رياض الصلح بأخبار هيجان في الشارع البيروتي بعد قراءة مقال الأمير فكانت الاحتجاجات ومقاطعة للإيطاليين، فأذاع القنصل الإيطالي هناك تكذيباً لما جاء في المقال[1].

فطالب أعيان بيروت بإيفاد لجنة تقصي إسلامية، فأبرق القنصل إلى حكومته هذا المطلب، فوافقت السلطات في روما على ذلك، وكان صاحب الرسالة الأمير وإحسان الجابري قد أُقترح عليهما الذهاب إلى ليبيا على رأس لجنة التحقيق، فكانت الاحتجاجات قد عمّت مدن مصر سوريا، والعراق، ثم انتقلت إلى جميع أقطار العالم الإسلامي لأن الدول الثلاث هي مركز قوة العالم الإسلامي[2].

وقد ذكر الأمير أنّه وافق على المقترح إلى جانب الجابري، وأنّه سوف يبرق إلى بيروت على أنّهما سيذهبان على رأس لجنة التحقيق إلى طرابلس الغرب، على شرط أن يكون الوفد مؤلفاً من اثنين من سوريا، وواحد من فلسطين، واثنين من العراق، واثنين من مصر، ليصل أعضاء الوفد بالأقلّ إلى عشرة أشخاص، وتتعهّد الحكومة الإيطالية بأن لا يمسّ الوفد سوء وأن يعملوا بحرية مطلقة، ثم يذكر الأمير للحاج بنونة أنّه لأول مرة تقبل فيها دولة استعمارية بإيفاد لجنة تحقيق من طرف الأمة الإسلامية عن أحوال المسلمين في مستعمرتها، ويظنّ الأمير أن سبب قبول الطليان لهذا المقترح هو ارتباكهم والمقاومة الليبية لم تخمد بعد، لذا أرادوا مجيء وفد يتوسّط بين الطرفين وعقد الصلح ليسود الأمن وإيقاف الثائرين[3].

لكن لم نجد في مواضع أخرى حديثًا للأمير عن هذا الوفد وتفاصيل الزيارة إن جرت طبعاً، أم بقي هذا المقترح حبيس ورق الإيطاليين، إلاّ بعض الأسطر التي كتبها الأمير في تعليقاته في كتاب حاضر العالم الإسلامي المجلد الأول الجزء الثاني، حيث ذكر أنه بعد الحملة الإعلامية في الصحف العربية والإسلامية والاحتجاجات التي مست عديد مناطق العالم الإسلامي، ردّت الحكومة الإيطالية عبر قناصلها أن السلطات الإيطالية طلبت عبر جمعية الأمم المتحدة انتداب لجنة استقصاء وتحقيق حول ما يُنسب إليها من أعمال شنيعة [4]، فذكر الأمير أن الإيطاليين طلبوا من جمعية الأمم تشكيل لجنة لا منه أو من شخصيات عربية معروفة، لذا كان طلب انضمام الأمير إلى هذا الوفد من قبل أعيان بيروت لا غير، ووعدت الحكومة الإيطالية عبر قنصلها في بيروت

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص 268، 269.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص270.

(4) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** ، المجلد1، ج2 ،ص 71.

بتحقيق ذلك وأنّها طلبت ذلك من جمعية الأمم فكانت مجرد وعود لتسكين هيجان الشعوب العربية الإسلامية وإسكاتها.

لم يدخر الأمير جهداً في مساعيه التفاوضية مع الإيطاليين لأجل رفع الغبن عن الطرابلسيين وحل عديد المسائل العالقة عبر علاقته بالقائد موسوليني لكن الأوضاع تفاقمت، وممارسات الاحتلال الإيطالي لم تخرج من نطاق الفظائع الاستعمارية رغم التغطية الدبلوماسية الموسولينية عن طريق عديد البلاغات التي تسلمها أرسلان حول جوهر القضايا في ليبيا، فبقيت أفعالهم حقًّا كارثية رغم عمليات التجميل المتتالية عبر المفاوضات أو الدعاية المغرضة لصحافتهم، مما اضطر أمير البيان إلى أن يواجه الفظائع الفاشية بسلاحهم، وأن يشنّ عليهم حملة إعلامية كان لها صدى في العالم العربي والإسلامي وحتى على الصعيد الأوروبي.

7) آراء الأمير في الفاشية وحملته الإعلامية على ممارسات إيطاليا الاستعمارية في ليبيا :

كان الأمير يميّز بين قيادات الحكومة الإيطالية ومن يتبنّى الفكر الفاشي أو غير ذلك، فرغم العلاقة التي توطدت بينه وبين الزعيم الفاشيستي موسوليني، إلا أنّه كان على يقين وعلى علم بكل خبايا الفاشية وبأهدافهم القريبة وبعيدة المدى في القارة السمراء أو في أقاليم العالم العربي والإسلامي، أضف إلى ذلك متابعته لكل تفاصيل مجريات الأحداث في ليبيا، والإعراض بوضوح عن ممارساتهم غير الإنسانية والعنصرية في حق الطرابلسيين والبرقاويين، فجمعنا القليل من آرائه حول الفاشية من خلال كتاباته الكثيرة، وبالأخص تلك الرسائل المتعلقة بالمسألة الطرابلسية.

يقول السيد أماندولا وزير المستعمرات الإيطالية :"...أرجو أن يعمد العصاة إلى المقاومة ليكون ذلك واسطة لتدويخ القطر، ولكن الحكومة لن تعاملهم كذي قبل..."، حيث كانت النية مبيتة من طرف الفاشيست لتغيير ممارساتها نحو التشديد والتضييق على الشعب الليبي، بعدما طبقت سياسة اللين في مرحلة ما بعد الحرب الكونية الأولى كما أوصى بذلك بعض من مثقفيها على غرار الدكتور أنريكو أنساباتو Enrico Insabato الذي قال :"...إن دولة غير مسلمة، إذا عرفت أن تنهج خطة ولاء للمسلمين وتعطف عليهم، أمكنها أن تصير صديقة لكل البلاد الإسلامية..." [1]، فالحكومة الإيطالية سعت لذلك عدة سنوات وكان

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، جزء2، ص 324.

لجنودها الكبت والحقد الدفين حيث عبّروا عنه بمجرد وصول الفاشيست للحكم بممارسات لا إنسانية لا يتقبّلها العقل.

1-7 آراء شكيب أرسلان في الفاشية الإيطالية:

بعد وصول الفاشيست إلى الحكم في إيطاليا سنة **1922**م، تغيّرت الكثير من الأمور وانعكس ذلك على مستعمراتها، وبالأخص في ليبيا التي استبدل حاكمها المدني بحاكم عسكري، هذا الأخير أعلن في الأوّل من شهر ماي **1923**م إلغاء جميع المعاهدات التي تمّ توقيعها بين الإيطاليين والليبيين[1] .

يصف أمير البيان انعكاسات الحكم الفاشستي على طرابلس الغرب وبرقة في كتابه حاضر العالم الإسلامي الجزء الثاني، حيث يرى أن الإسلام بدأ في الانقراض في طرابلس الغرب وبرقة بعد استيلاء الحزب الفاشستي على إيطاليا برئاسة موسوليني، ومن مبادئ هذا الحزب الفاشستي هو الوصول إلى أهدافهم بكل الوسائل دون النظر إلى حقوق الأمم وحقوق الإنسان وما تعارفت واتفقت عليه الدول في تلك الفترة[2]، وهذا ما يسمى في علم السياسة بالميكيافلية "الغاية تبرر الوسيلة" [3]، يضيف الأمير في الجزء الثالث من كتاب حاضر العالم الإسلامي أن الحكومة الإيطالية عمدت إلى تنفيذ سياسة الشدة والإرهاق خاصة بعد وصول الفاشيست للحكم، حيث أضافوا إلى تلك الشدّة فكرة "الإبادة" ومحو ليبيا عن آخرها لتخلو لهم البلاد واستعمارها بأبناء جلدتهم[4].

---

[1] ناصر الحكيم، مرجع سابق، ص99.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** ،ج2 ،ص64.

[3] الميكيافلية (Machiavellianism) هي نظرية سياسية تبرر استخدام الزعيم أو الملك أو الحزب الحاكم كل الوسائل المتاحة كانت مجحفة أو غير أخلاقية حفاظا على المصالح وتحقيقا للأهداف، فهي تعزز الأفكار الانتهازية وتبرر التلاعب والخداع وكل الأخلاق المرفوضة إنسانياً، وسمّيت بهذا الاسم نسبةً للكاتب والسياسي الإيطالي نيكولو مكيافيلي (Niccolo Machiavelli) المولود بإيطاليا سنة 1469م، نال منصب وزير الدفاع في إمارة فلورنسا، كان متعصبا لإيطاليا،فكان غير مرحباً به لآرائه السياسية المتطرفة، ومع هذا يعتبره الكثير أباً للعلوم السياسية الحديثة، دخوله عالم السياسة أتاح له التعرف على الكثير من الشخصيات والزعماء التاريخيين، من بينهم **لويس الثاني عشر** الفرنسي، البابا **يوليوس الثاني**، إمبراطور رومانيا المقدّسة **ماكسيمليان الأول**، والذي أثّر تأثيرا كبيراً في شخصية ميكيافلي هو أمير الإمارات البابوية **سيزار بورجيا** الذي استلهمت منه الشخصية الأساسية في كتابه الشهير "الأمير". (.....)، **"الفروق بين مرتفعي ومنخفضي الوصولية (الميكيافيلية) في ضوء بعض اضطرابات الشخصية والمتغيرات الديماغوجية"**، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد168، الجزء4، أفريل2016م، ص365. رابط المقال : https://jsrep.journals.ekb.eg/article_32080_b7e24c4a2302a39d94797a7cd88aa225.pdf .

[4] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، ج3 ،ص ص 381، 382.

فمنذ حكم الفاشية في إيطاليا لم تعد هناك حرية قول ولا حرية كتابة، فكل من يتصادم مع أفكارهم فهو مُتابع، وقد كان التضييق على الصحافة سمتهم، مثل ما قام به بعض الجنود الإيطاليين، أي تدمير مكاتب جريدة "إيطاليونو دي تونيسيا" " Italiano di tunisie" المناوئة للحكم الفاشيستي [1]، كذلك لّما أراد البابا تأليف جمعيات كاثوليكية هبّ إليه الفاشيست ومنعوا كل من أراد ذلك وأقفلوا كل مكاتب تلك الجمعيات، فاحتج البابا على ممارساتهم الاستبدادية، ثم اشتد الخلاف بينه وبين موسوليني، فأهانه أنصار الفاشية بعد أن داسوا على صوره في أسواق روما، ثم يقارن أمير البيان بين حكم الفاشيست في إيطاليا وحكمهم في طرابلس الغرب وبرقة، حيث قال :"لا شك إذا تسلّط على طرابلس الغرب كانت مباديه أفظع وأشنع وأبعد في الظلم مدًى ..."[2].

يقول أمير البيان في إحدى مقالاته التي كتبها في جريدة الفتح المصرية وأصدرت في كتابه:" زمن العروبة الأبتر" مايلي :" وأمّا إيطاليا فإنّ السياسة الفاشيستية معلومة، ومبادئ الفاشيست مناقضة للحرية في كل شيء، مبنية على أن كل ما يعود بتقوية إيطاليا...فهو واجب الإجراء بدون نظر إلى حق أو عدل أو قانون دولي أو قانون مدني أو مبدأ اجتماعي أو مبدأ إنساني، بكل هذه الأمور لا يقام لها أدنى وزن في سبيل مصلحة إيطاليا أولاً ومصلحة الحزمة الفاشيستية ثانياً..." هذه المبادئ الفاشيستية التي تحدث عنها شكيب أرسلان في مقالاته، أمّا أهدافهم في طرابلس فهي طَلْيَنَة ليبيا ثم التوغل نحو الداخل الإفريقي، فكانت أحلامهم تملي عليهم أفعالهم، حيث أرادوا الوصول إلى بحيرة تشاد والوصول إلى البحر الأحمر شرقًا وبالمحيط الأطلسي غرباً، و لم تكن أحلامهم هذه تتحقق إلا بإزالة الدين الإسلامي، فكان البرنامج الفاشيستي الاجتماعي كاثوليكياً رومانياً [3].

لذا قرّروا جعل طرابلس الغرب وبرقة بلاداً لاتينية وخططوا لترحيل مليونين أو ثلاثة من الإيطاليين إليها زاعمين أن إيطاليا ضاقت بسكانها، لكن الحكومة الفاشستية لا تستطيع تهجير حتى نصف مليون، لما يتطلبه الأمر من نفقات فوق استطاعتها، ورغم أنّ ليبيا تفتقر للأراضي الجيّدة فإنّها لا تستحق الهجرة إليها، في حين توجد في إيطاليا أجود الأراضي وهي مهملة على غرار جزيرة سردينيا التي تكاد تكون خالية[4].

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 258.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2 ، ص ص 64، 65.

[3] أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص 98، 99.

[4] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1 ،ج2 ،ص ص 65، 66.

ولمّا قام السّاسة الإيطاليون بإقناع الأهالي الليبيين بطرابلس الغرب بقبول استقلال ذاتي داخلي ذات حكومة نيابية تحت حمايتها، وكانت بعض القيادات في طرابلس قد مالت لقبول هذا المقترح، جاء الجناح الفاشيستي في الدولة الإيطالية ليقلب الأمور رأساً على عقب، ومن المعلوم أن الدكتاتورية الفاشيستية كما وصفها الأمير قد اغتصبت الحكم في إيطاليا، ومعظم الأحزاب الديمقراطية في إيطاليا ترى أن الحكومة الفاشيستية في إيطاليا غير قانونية[1].

ومن الطبيعي أن الذي اغتصب الحكم في بلاده ظلماً وعدوًا سوف يأخذ غصباً كل ما أخذته إيطاليا خارج حدودها، واغتصاب السلطة في إيطاليا وقع من وجه واحد، أمّا في طرابلس الغرب فواقع من وجهين: حيث تعرضت ليبيا لاغتصاب حقها من الإيطالي الأصلي، ثم اغتصاب الإيطالي الفاشستي الذي ليس له أساس قانوني في وطنه، لذا فالحكم الفاشستي وغير الفاشستي ليس له الحق في امتلاك السيادة الليبية في طرابلس الغرب وبرقة، وقد بدا الاستبداد الفاشستي في ليبيا بعد إلغاء الحكومة الفاشيستية للمعاهدات التي وُقّعت من قبل مع الحكومة السنوسية في برقة، ومقترح نظام الاستقلال الداخلي مع بعض الليبيين في طرابلس الغرب، ثم يضيف الأمير أنه من الواضح أن إجراءات الحكومة الإيطالية في طرابلس من البداية إلى النهاية كانت سلسلة أعمال استبدادية واعتداءات[2].

ففي آخر هذه الرسالة يرى الأمير من خلال كلامه أن الحكومة الإيطالية سواء فاشيست أو غير ذلك فهي حكومة احتلال ليس لها أي أساس قانوني، وعلماء القانون يرون أن المقاومين للوجود الإيطالي في ليبيا لهم كل الحق في مجابهة المعتدين الأجانب، ولا يحقّ لهم أن يُلقِبوا عمر المختار بزعيم أشقياء، والحكم عليه بالإعدام ظلما هو وإخوانه، وغرور إيطاليا سوف يلقى عاقبته وأن الدّهر أطول من أهله.

ويؤكد أن هدف احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب لم يكن اقتصادياً أبداً، بل لأجل دخول مضمار التسابق والتنافس الاستعماري الأوروبي لا غير، لأن طرابلس لم تكن ولن تكون بلاداً تؤتى أكلها على إثر استعمار أو استثمار كما قال الأمير، ويضيف قائلاً:"...وخلاصة القول أن إخواننا الطرابلسيين لأمر يريده الله

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص293.**

(2) أرسلان، **المصدر نفسه.**

ابتلوا من الاستعمار الإيطالي الفاشيستي بالداهية الدهماء والبلية الصماء التي مهما كثرت مصائب الإسلام في هذا العصر فلا شيء منها يشبهها..."[1].

وقد ذكر أمير البيان أنّ الفاشيست في ليبيا منعوا الليبيين ممارسة شعائرهم الدينية طيلة ثلاثين سنة، فبعد جلاء القوات الإيطالية من ليبيا، قرّرت القوّات البريطانية في السابع من شهر أكتوبر **1943**م السماح لليبيين في طرابلس الغرب ممارسة شعائرهم الإسلامية بكل حريّة [2]، فكان الاضطهاد الديني أبرز ممارسات الحكم الفاشيستي في ليبيا، لذا شنّ أمير البيان حملة إعلامية شرسة ضد ممارساتهم وسياستهم المتبعة في طرابلس الغرب، وكان لهذه الحملة انعكاسات على الحكم الإيطالي في ليبيا وعلى مصالحهم في الشرق ككل، رغم العلاقة التي جمعته مع القائد الإيطالي موسوليني.

7-2 الحملة الإعلامية لأمير البيان على ممارسات إيطاليا الاستعمارية في ليبيا وموقفها منه:

ذكر أمير البيان في كتاب حاضر العالم الإسلامي أنّ عدد سكان ليبيا قبل الغزو الإيطالي ناهز مليون ونصف المليون نسمة، وبعد الغزو بسنوات تراجع العدد إلى سبعمائة ألف نسمة فقط، أي تناقص إلى أقل من النصف جراء القهر والظلم والقتل والتجويع والتهجير القسري والطوعي [3] نحو دول الجوار طيلة عشرين سنة الأولى للاحتلال، أي خلال فترة المقاومة المسلحة، فبعد وصولهم واحة الكفرة معقل السنوسية في **13** جانفي **1931** استباحوا قراها ثلاثة أيام، فقتلوا كل من صادفهم حتى كبار علماء الزاوية السنوسية أمثال الشيخ محمد بن عمر الفضيل والشيخ حميدة الفضيل وغيرهم[4].

ورغم انتهاء المعركة، قتل الإيطاليون بدم بارد **200** شخص، ثم انتشر الجنود ونهبوا كل ما وقعت عليه أعينهم، وقد اقتفى جنود الجيش الإيطالي مجموعة من نساء أشراف السنوسية اللواتي فررن نحو الصحراء قبل بداية المعركة، وألقوا القبض على حوالي **200** امرأة، حيث خلا بهنّ الضبّاط واغتصبنهن، فكتبت الصحف

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** ، المجلد1، ج2 ،ص 66.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص331.

[3] يقول أمير البيان أنه وصل عدد النازحين من الليبيين خارج الحدود إلى 200 ألف شخص والبعض يذكر رقم 300 ألف ليبي منهم 20 ألف اتجهوا تونس والجزائر، و 60 ألف دخلوا مصر، وعدة ألوف اتجهوا نحو السودان، ومنهم من تفرقوا باتجاهات مختلفة في صحاري ليبيا الشاسعة. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** ، المجلد1، ج2 ، ص72.

[4] أرسلان، المصدر نفسه، ص ص 69، 70.

الإيطالية حول هاته القصة بافتخار، وقد قال الأمير شكيب أن قصد الصحافة الإيطالية هو التبجح، فكان لهاته الأخبار وقعها السيئ على العالم الإسلامي[1].

وقد بالغوا في هتك الأعراض واستباحوا الزاوية السنوسية المسمّاة "بالتّاج"، وأراقوا الخمور داخلها، وداسوا على المصاحف الشريفة، ونكّلوا بشيوخ الزاوية تنكيلاً، فقامت قيامة الشعوب الإسلامية في كل أصقاع العالم الإسلامي شجباً لفظائع الإيطاليين وممارساتهم، وكتبت الصحف العربية حول أعمال الفاشية، وأبرق البعض إلى جمعية الأمم المتحدة، وكان لأمير البيان نصيب في هذه الحملة التي فجّرت الشوارع العربية بالمظاهرات والاحتجاجات والمقاطعة للبضائع الإيطالية [2]، وفي هذا الشأن أصدرت حكومة فلسطين قراراً يقضي بتطبيق مبدأ المقاطعة الاقتصادية على إيطاليا بتاريخ **01** نوفمبر **1935**م، وانضمت إلى هذا الإجراء حكومتي سوريا ولبنان في الخامس من نوفمبر **1935**م[3].

وفي مقال آخر صدر عن جريدة الفتح في العدد **236**، السنة الخامسة بتاريخ **29** جانفي من سنة **1931**م، والذي كان قد صُنّف ضمن عدد لا بأس به من المقالات التي طُبعت في كتاب :"الإسلام والحضارات" لأمير البيان بعنوان :" الحملة اللاتينية على الإسلام"، ذكر أرسلان أنه تلقّى خطاب من سياسي أوروبي جرى بينه وبين قائد إيطالي حديث مطوّل حول مستعمراتهم، فأخبره القائد الإيطالي أنّ خطتهم في طرابلس الغرب هي فصل البربر عن العرب كما تفعل فرنسا في المغرب والجزائر، ومحاربة اللغة العربية، وحمل البربر على التنصر[4]، فبهذا المقال كان أمير البيان يفضح مخططات الإيطاليين في ليبيا.

وفي هذا السياق، نشرت جريدة الجهاد السورية مقالا للأمير بتاريخ **10** مارس **1933**م، من خلال رسالة أرسلها الأمير صُنّفت ضمن مجموعة رسائله في كتابه مراسلات الأمير إلى كبار رجال العصر، عُنونت في هذا المُؤلف بـــ "ابتداء الحملة على إيطاليا"، فحوى المقال هو ممارسات الاحتلال الإيطالي في ليبيا، وسياسة الاستئصال التي يقوم بها الجيش الإيطالي في طرابلس الغرب، حيث كتب الأمير عن محاولة الإيطاليين محو العنصر العربي الإسلامي من هذا القطر، وتحويله إلى بلد لاتيني بامتياز، ويذكر الأمير أنه هو أول من نبّه العالم

---

[3] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** ، المجلد1، ج2، ص ص 70، 71.

[2] المصدر نفسه.

[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص234.

[4] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص 30.

الإسلامي إلى الفادحة الطرابلسية كما وصفها، وكشف أعمال الطليان في ليبيا، وهو يتابع عن كثب مجريات الأحداث هناك ويسعى لرفع البلاء ومحاولة التخفيف عن الشعب الطرابلسي البائس[1].

وفي هذا المقال جاء الأمير ليفضي عن بعض المعلومات، حيث يقول أنّه لم يقصد من خلال هذا المقال التشفي أو الانتقام من الطليان ولا فضح أعمال الإيطاليين في طرابلس، بل عمد كما تعوّد دائماً العمل في هدوء والعمل على التنفيس عن الليبيين دون إثارة القيل والقال.

نظراً للعلاقة التي كانت قائمة بين الأمير والزعيم الفاشستي موسوليني، وصداقةٍ كان يعلمها جيّداً عبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين في مصر منذ سنة **1922**م، كان هذا الزعيم قد انتصر للسوريين في قضية استقلالهم، ونشر الأمير عدّة مقالات بتوقيعه في جريدة "بوبولو ديتاليا"، دفاعاً عن القضية السورية، فيذكر الأمير أنه في البداية رأى مراعاة العلاقة والأولى به العودة إلى القائد موسوليني للكفّ عن هذه الأعمال المشينة ضد الإنسانية وفي حقّ الليبيين، وتضرّ بالسمعة الإيطالية، وبقناعة أنه من الممكن أن القائد موسوليني ليس له علم بتفاصيل ما يجري في طرابلس، لأن المأمورين يخفون عنه أكثر الحقيقة، ولعلّ باستطاعة الأمير التخفيف عن الليبيين دون طعن وتشهير أو صراخ، حيث لا يكون فيه فائدة إلاّ زيادة الأضغان[2].

ثم يذكر الأمير أن الأمور لم تتوقف عند ذلك الحدّ بل تفاقمت وازداد الانتقام، فقام بتحرير مقال في جريدته "لاناسيون آراب" يذكر فيها محبتهم للشعب الإيطالي وإعجابهم الخاص بالقائد الأكبر موسوليني الذي كانت له مواقف محمودة في القضية السورية لم ينسها الأمير، فسعى أرسلان لإرجاع الثمانين ألف ليبي إلى ديارهم، ولرفع الضغط والتعسف والتحقير وإهانة المسلمين، ولعدم قتل الرجال بإسقاطهم من على الطائرات الإيطالية أمام أعين نسائهم وأولادهم، لكن هذه النصائح ذهبت أدراج الريّاح، كأنّما هي صرخة في واد أو نفخة في رماد كما وصف الأمير[3].

---

(1) أرسلان، **موسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص333.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص334.

ثم يضيف أرسلان أنّه بدأ حملته الشديدة في مجلته "لاناسيون آراب"، فتجنب معاملتهم بالرقّة وأسلوب المعاتبة المألوف، بل ذكر ما في تلك الفظائع من العار على الإيطاليين وضد الإنسانية، ليسمّي الأشياء بمسمّياتها، لكن لم يستفد الليبيون في هذه المرحلة شيئاً[1].

وعند نشره للمقال المشهور في جريدة "الفتح"، الذي نُسخ منه عشرة آلاف نسخة في مصر، وطُبع المقال في الشام عشرة آلاف كذلك، والذي أحدث هبّة شعبية لا مثيل لها في جميع مناطق العالم نصرةً لطرابلس الغرب وتنديداً لممارسات الإيطاليين الهمجية، فكانت ردود الإيطاليين بالتوسّل واقتراح الوساطات وتكذيباً للأخبار المتناقلة عن أعمالهم في ليبيا عبر قناصلهم في العالم الإسلامي، واقترحوا إرسال وفد للتحقيق في الأمر وفضح الافتراءات[2].

ثم يذكر افتراء الحكومة الإيطالية عبر دبلوماسييها في جاوة الإندونيسية بعد اجتماع عشرات الآلاف من المسلمين منددين بالاحتلال الإيطالي لليبيا وممارساته الطائشة، وقرّروا مقاطعة المنتجات الإيطالية، زعموا أن السلطات الإيطالية راسلت عصبة الأمم لانتداب وفد إلى طرابلس مهمته كشف حقيقة تلك التهم الموجهة لهم وتكذيبها جملةً وتفصيلاً، فدعوا شوكت علي بأن يمرّ عبر روما ليؤكدوا له أن تلك الأخبار كلّها كذب، لكن نسوا **60** ألف[3] ليبي من برقة مهجرين وموزعين بين مصر والسودان يتناقلون تلك الأخبار في الصحف وأكثر، ونسوا أنّه لجأ إلى تونس عشرون ألف من طرابلس، وإلى الجزائر **15** ألفاً، وكلهم يقولون أن تلك الأخبار هي دون ما حصل، ثم يذكر الأمير أن الثمانين ألف ليبي الذين هم وراء الأسلاك الشائكة في صحراء سرت مات نصفهم، ويأمل الإيطاليون أن يموت الباقي [4]، وذكر تفاصيل مسألة السكّان الليبيين المحشورين داخل الأسلاك الشائكة في عديد المقالات، على غرار المقال الذي نُشر في جريدة الفتح بتاريخ **09** أفريل **1931م** والذي صُنّف ضمن كتاب الإسلام والحضارات[5].

---

[1] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص334**.

[2] أرسلان، المصدر نفسه.

[3] في موضع آخر من الكتاب وفي رسالة للأمير أرسلها إلى الشيخ عباس المصفي يتحدث عن حالة الجيش العثماني السيئة في حربه ضد دول البلقان الأربعة سنة 1912م وينوه على الحرب الطرابلسية ومضاعفاتها على مصر التي استقبلت 150 ألف لاجئ ليبي على أراضيها لكن في هذه الرسالة التي أرسلت سنة 1933م يتكلم الأمير عن عدد 60 ألف لاجئ موزعين على دولتي مصر والسودان، ويرجح أن الأعداد تراجعت بعد تراجع العمليات العسكرية للحرب الليبية الإيطالية. أرسلان، **مراسلات أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 67.

[4] أرسلان، **المصدر نفسه**، ص334.

[5] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص 33-40.

فانتهج الإيطاليون سياسة خاصة من أجل إتمام مشاريعهم في الداخل ومواصلة التكذيب في الخارج، ومعظم أعمالهم غير معهودة لدى العامة لذا لا يصدقها الغالبية، كما كتب القائد عمر المختار للأمير :"...بل أنت لم تذكر كل ما فعلوه..."، ثم يعيد الأمير ذكر مسألة العرب المحصورين ضمن الأسلاك الشائكة ومراسلة موسوليني حول قضيتهم ليكذّبوا ذلك مجدّدا، بعد أن قام الأمير بمراسلة أحد أصدقائه بمصر كان على صلة بالبرقاويين هناك ليتحرّى عن الأمر، فأخبره أنّ البقية الباقية من عرب الجبل الأخضر لازالوا في صحراء سرت داخل المحتشدات و لم يتغيّر شيء، وأنّ أراضي الزوايا السنوسية وأراضي القبائل هي في حوزة الطليان لم يتبدل شيء[1].

تلك الأراضي وبالتحديد الخصبة منها كانت تُمنح للفلاحين الإيطاليين، وقد أورد أمير البيان خبراً مفاده إصدار الحكومة الإيطالية قرار توطين **1800** مزارع إيطالي مع عائلاتهم في ليبيا في **23** أفريل **1938**م[2]، وقد وصل عدد الإيطاليين الذين تم توطينهم في ولاية درنة الليبية لوحدها ما يناهز **18** ألف إيطالي حسب ما أعلنته الحكومة الإيطالية في **08** نوفمبر **1938**م[3]، وفي أكتوبر **1939**م أعلنت الحكومة الإيطالية أنّه في غضون هذا الشهر أي شهر أكتوبر سيتوجّه نحو ليبيا عشرون ألف مزارع إيطالي[4].

ثم كتب الإيطاليون في جرائدهم أنهم عفوا عن **50** شخصاً ممن هم في سرت ورجعوا إلى مدينتهم طبرق، في حين يوجد الآلاف في المعتقلات والمحتشدات، ويضيف الأمير أن الإيطاليين كتبوا مرّة أخرى في صحفهم أن السلطات الإيطالية عفت عن أربعة آلاف ليبي، لكن من يثق فيما يكتبه إعلامهم [5]، وقد شهدت شخصيات أوروبية بارزة على ممارسات الفاشية الوحشية، فقد ذكر السيد"فارنس ماكولا" الإنجليزي الذي رافق الجيش الإيطالي في معاركه فقال:"...أرفض البقاء مع جيش لا همّ له إلاّ ارتكاب جرائم القتل، وإنّ ما رأيته من المذابح وترك النساء العربيات المريضات وأولادهن يعالجون سكرات الموت على قارعة الطريق، جعلني أكتب للجنرال (كانيقا) كتاباً شديد اللهجة قلت له : إنّي أرفض البقاء مع جيش لا أعدّه جيشاً بل عصابة من قطّاع الطرق والقتلة..."، كذلك شهادة الكاتب الألماني "فون غوتبرغ" الذي قال :"...إنّه لم يفعل جيش بعده

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص335.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 267.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص 274.

(4) المصدر نفسه، 286.

(5) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص335.

من أنواع الغدر والخيانة ما فعله الطليان في طرابلس، فقد كان الجنرال كانيقا يستهين بكل قانون حربي، ويأمر بقتل جميع الأسرى..."[1].

وذكر المراسل النمساوي "هرمان رنول" معاناة الأسرى الليبيين الذين نُفوا إلى الجزر الإيطالية دون مسوغ، فكان على متن إحدى الباخرات الإيطالية التي نقلت بعضهم فقال :"...في الساعة السادسة من كل يوم يُكبّل هؤلاء المرضى بالحديد من اليد اليمنى والرجل اليسرى، حقّاً إنّ موسيقى هذه السلاسل تتّفق مع (المدنية) التي نقلتها إيطاليا إلى إفريقيا، لا ريب أن الطليان قد أهانونا كثيراً، فلم يكف أنهم أسقطوا منزلة أوروبا العسكرية في نظر إفريقية حتى شوّهوا اسم النصرانية أمام الإسلام..." [2]، وهناك عديد الأحداث والمجازر والفظائع التي قام بها الطليان قبل الفاشيست، ناهيك عن ما فعله بعد مجيئهم في ثلاثينات القرن العشرين لا يكفي المقام لذكر تفاصيل ما أورده أمير البيان في كتبه ورسائله ومقالاته.

يضيف الأمير في رسالته أن الإيطاليين أرادوا استمالة المسلمين بعدما فعلوه، بنشرهم نظاماً خاص برمضان يُعاقب كل مسلم يأكل في رمضان نهاراً، أو يشرب خمراً أو يرتاد الأماكن المخصّصة للمومسات بعد غلقها نهاراً، فيردّ الأمير على هذا الإجراء الإيطالي، أنّه جاء لأجل استفادة المسلمين من هذا النظام يجب أن يكون هناك مسلمون في طرابلس، والواقع يقول أن ثُلثيهم أُبيد، وأن الحكومة الإيطالية مستمرة في استئصالهم، فأي فائدة في تطبيق الشريعة الإسلامية في بلاد يتلاشى فيها الإسلام بعد القضاء على المسلمين، والمسلمون ليسوا بأغبياء إلى هذا الحدّ، فيرى شكيب أنّ الأولى بإيطاليا إرجاع الثمانين ألف عربي [3] الذين هم ضمن

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** ، المجلد1، ج2 ،ص ص71-74.

[2] أرسلان، المصدر نفسه. **هيئة تحرير ليبيا، الفظائع السود الحمر**، ص3.

[3] تحدث الأمير عن السبب الحقيقي وراء عملية تهجير سكان الجبل الأخضر : تعد أراضي الجبل الأخضر من برقة أجود الأراضي في ليبيا خصوبةً، ففيها المياه الجارية والعيون الصافية بها الغابات والمروج الخضراء، فبعد الغزو مباشرة توجهت أنظار الإيطاليين نحوها قبل غيرها تمهيداً لعملية استيطان الجنس اللاتيني، فبادروا بترحيل سكان الجبل الأخضر من القبائل العربية، فجمعوا نحو ثمانين ألف نسمة رجالاً ونساءً وأطفالاً، ونُقلوا إلى صحراء سرت، في مناطق تفتقر لأدنى متطلبات العيش، فمات منهم الكثيرا جوعاً وعطشاً، وماتت جل مواشيهم لفقدانها للكلأ والماء، فلمّا اشتكوا للحكومة حالهم، ردت عليهم بأخذ الرجال ما بين سن البلوغ إلى الخامسة والأربعين لتجندهم في جيشها، ثم جمعت الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين الأربع سنوات إلى 12 سنة، وأخذتهم قهراً من أحضان أمهاتهم وآبائهم، وأرسلتهم إلى إيطاليا لتنشئتهم على النصرانية، وهذا العمل الذي لم تقدم عليه أية حكومة أوروبية في هذا العصر، وهو يشبه ما فعله الإسبان بالمسلمين في الأندلس منذ أربعة قرون، أعاده موسوليني في طرابلس في هذا القرن، دون مراعاة صراخ الأيامى والمساكين وقد احتجت بأنها عزلتهم عن الثوار بقيادة عمر المختار، في حين أنها أبقت عليهم حتى بعد شنق القائد الشيخ عمر المختار، وأرجعت ما يقارب الخمسة آلاف لأراضيهم لزراعتها لا كمالكين بل عمّالا ومأجورين مقابل قوت يومهم في أرضهم التي سلمتها السلطات الإيطالية للملاك الجدد من المستعمرين. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص ص 67، 68.

الأسلاك الشائكة في صحراء سرت إلى مسقط رأسهم بالجبل الأخضر، وإعادة الزوايا وأراضيهم الوقفية إلى شيوخ الزوايا السنوسية الذين كانوا نُظّاراً على أوقافها، وإعادة الأطفال الذين انتزعوا من حجور والديهم إلى ذويهم[1].

ومن الممارسات الإيطالية المنتهجة في ليبيا والمُمثلة في الإغراءات الإدارية، ومن بينها قانون الجنسية الذي صدر في الرابع من ديسمبر **1938**م، الذي يُخوّل للرعايا الليبيين الحقّ في التجنس بالجنسية الإيطالية [2]، وبالتالي الحصول على بعض الحقوق التي يتمتع بها الإيطالي في ليبيا.

ثم يهدّد الأمير السلطات الإيطالية إن لم تنفذ هذه المطالب في القريب العاجل فعلى المسلمين في كل الأقطار تأسيس لجاناً خاصة تقوم على تنظيم مقاطعة شاملة للبضائع الإيطالية، والأرجح أنّه الدواء المناسب لهم، ولو أنّ المسلمين داوموا على مقاطعة كل ما هو إيطالي منذ إثارة هذه المسألة لتمّ حلّها منذ سنتين، لكن ما يضرّ المسلمين هو سرعة نسيانهم للأذى والإهانة، وهذا سبب أطماع الأوروبيين في المسلمين، وهو أكثر من أي سبب آخر، فعلى المسلمين أن يعلموه[3].

وقد زار الأمير العاصمة روما شخصيًّا قصْد النظر في مسألة استرجاع أملاك الطرابلسيين التي كان يعيش بها عشرات الألوف من الليبيين، وقد وعد الأمير الليبيين أنّه سيعمل جاهدا لاسترجاعها، فأُعيد جزء يسير من تلك الأملاك وبقي الجزء الأعظم محجوزاً، فراجع الأمير الزعيم الإيطالي موسوليني فأحاله إلى نظارة المستعمرات، فردّت عليه بجواب كلّه تعليلات القصد منها عدم تسليم المحجوزات، فباشر السعي و لم يفشل في ذلك وهدفه الأخذ بأيدي أولئك المساكين من الليبيين واستعادة أملاكهم ولو تدريجيًّا، وكانت المعلومات من نص الرسالة مؤرخة بتاريخ جانفي **1937م**[4].

وهناك مزاعم حول العلاقة الحقيقية بين أمير البيان والإيطاليين، فالشيخ حسين حمادة سماحة الشيخ الأكبر كما وصفه الأمير، قال أنّ إيطاليا أعطت للأمير **40** ألف ليرة ذهباً لكي يعمل لهم دعاية، كان هذا في

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص335، 336.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص275.

(3) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص336.

(4) أرسلان، **المصدر نفسه**، ص393.

إحدى رسائله المؤرخة في سبتمبر **1936**م، لكن الأمير نفى ذلك وكتب أنّ في ذمّته دين لشركة "فورمن" في أمستردام مرهون تحتها بيته في برلين[1].

ثمّ اتُّهم كذلك الأمير بالتوسّط بين الحزب القومي السوري وإيطاليا، لكنه كذّب هذا الأمر أشدَّ تكذيبٍ، حيث قال أنّه لم يسمع يوما بوجود حزب سوري تحت هذا الاسم، وقد كانت له أسبابه الخاصة في التقرب من الإيطاليين والتوسط لأهل طرابلس وإيصالهم لحقوقهم، وقد تحققت الكثير من المطالب التي رافع من أجلها الأمير عبر علاقته بالقائد موسوليني[2].

وفي مقال للأمير تحت عنوان :"ما تفاهمنا مع إيطاليا إلاّ لأجل تخفيف ويلات المسلمين" نشرته جريدة الفتح بتاريخ **31** جانفي **1935**م، ذكر حملته ضد ممارسات إيطاليا ثم عاد ليشكر مساعيها في ما يخص المسألة العراقية حيث يقول:" ...بينما كنّا نهاجم إيطاليا تلك المهاجمات التي كل أحد يعلمها والتي لم يقم فيها أحد مقامنا ولسنا الآن في صدد بيان ما علمناه في ذلك الوقت، إذ لسنا ممن يعمل رياءً وسمعةً، ظهر من إيطالية مساعدة فعلية للعراق في أمر إلغاء انتدابه والاعتراف باستقلاله، فلم نتوقّف طرفة عين عن أن نشكر لإيطالية صنيعها الجميل هذا حتّى تعلم إيطاليا أنّنا منصفون وأنّنا نقيّد الحسنات كما نقيّد السيّئات، وأنّنا ليس لنا غرض في التحامل ..."[3].

وفي الفترة التي خطّ فيها أرسلان مقاله موضّحا وجهة نظره نحو الإيطاليين، أي في فيفري **1935**م زار القائد بنيتو موسوليني البلاد الليبية ليقابل الحاكم العام الإيطالي في ليبيا المارشال إيطالو بالبو قصد إجراء محادثات للحالة العامة في طرابلس الغرب كما ذكر ذلك أرسلان في مدونته [4]، وكرر زيارته مرّة أخرى في مارس **1938**م[5]، فكان الأمير شكيب معترفاً للجميل غير ناكرٍ للخير، لكن وقّافاً للحق منتصراً للمظلوم ومناهضاً لممارسات الظالم.

في الوقت الذي أثنى فيه أرسلان على أعمال القائد موسوليني، خاصة فيما تعلق بالقضية العراقية التي تُعد إحدى المسائل العربية العالقة والمرتبطة بالانتداب البريطاني، فإنّ موسوليني في الفترة ما قبل الحرب العالمية

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**،ص ص، 380، 381.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص 385.

(3) أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص 113.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 231.

(5) أرسلان، المصدر نفسه، ص266.

الثانية، وبالضبط في الثاني من سبتمبر من عام **1938**م أصدر قراراً يقضي بإخراج كل اليهود المتواجدين في إيطاليا منذ سنة **1919**م وذلك في غضون ستة أشهر [1]، هذا القرار في ظاهره امتداد لممارسات هتلر ضد اليهود حليفه الاستراتيجي في تلك الفترة، وفي باطنه خدمة مجّانية للحركة الصهيونية وإعانة لفائدة المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين.

وقد كان شكيب من بين الذين عايشوا تلك الحرب، فكتب عن جرائم الإيطاليين التي ارتكبوها في حق المدنيين الليبيين، فذكر في عديد المقالات أن الجنود الإيطاليين كانوا يهتكون الأعراض ويدوسون على المصاحف في المساجد بأقدامهم ويقتلون الأبرياء، ومن فظائعهم: حملهم للشيخ سعد شيخ قبيلة الفوائد وخمسة عشر شيخًا من أقرانه على طائراتهم ليقوموا بقذفهم من الجو على مرأى من عائلاتهم، وكلما سقط أحدهم على الأرض ليتقطع إربا هتف الإيطاليون وصفقوا، ونادوا العرب قائلين :"أين نبيكم البدوي محمد الذي أمركم بالجهاد لينقذكم...."[2].

وقد كتب أمير البيان في كتابه "تاريخ ابن خلدون" بعض ما اقترفته أيادي الإيطاليين من مجازر في حق الطرابلسيين، فبعد أن تكبّد الجيش الإيطالي خسائر جسيمة في العدد والعتاد، توجه غضبه وحقده نحو المدنيّين، ففي حادثة المنشية قام الجنود الإيطاليون بذبح جموع الأهالي دون استثناء –النساء والأطفال والشيوخ–، فنشرت الصحف الأوروبية هذه الأفعال المشينة غير الإنسانية[3].

ثم أكّد ذلك الأمير في تعليقاته على كتاب"حاضر العالم الإسلامي"، فذكر رقم عشرين ألف ليبي عدد الذين عُلّقوا على مشانق الإيطاليين، منهم الكثير ممّن أُعدم بغير محاكمة، بإرادة قائد أو انتقام ضابط صغير، وقد عُلّقت الكثير من النساء على المشانق مجرّدات من ثيابهن لأيّام؛ ومن أساليب التعذيب قيامهم بربط ستين أو سبعين شخص مع بعضهم البعض في سلسلة واحدة ويسجنوهم بهذا الشكل إلى أن يلقوا مصرعهم، والبعض يرمونهم بهذا الشكل في البحر، وقد قذف البحر مرات عدة جثثا مربوطة بهذا الشكل نواحي السلوم، فعلم الناس أنها لأسرى طرابلس؛ وقد برّر الطليان أعمالهم بحجج واهية، ونسوا أنهم أقدموا على الألوف من تلك

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص271.

(2) عبد العزيز بن عبد الرحمان بن ثنيان العمران، **الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث**، د د ن، دس ن، ص 49.

(3) أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، ص328.

الأفعال دون سبب سوى أنهم يميلون إلى حب الانتقام والعمل على استئصال الإسلام من أرضه [1]، وقد قال الأمير للشيخ الثعالبي في إحدى رسائله أنه لا يجهل شيئا من مآرب إيطاليا في طرابلس كما لا يجهل مآرب فرنسا في الجزائر وتونس ومرّاكش[2].

والجدير بالذكر أنّ أمير البيان أعطى الكثير من الدلائل والبراهين حول ما اقترفته أيادي الإيطاليين في ليبيا، وبالأخص ما كتبه عديد المراسلين الأوروبيين في صحفهم، كذلك أرّخت الجمعية الطرابلسية البرقاوية في الشام لكل فظائع الطليان، وطبعت كتابًا يخص هذا الشأن عنوانه:"الفظائع السود الحمر" أو التمدين بالحديد والنار، وقد تضمنت صفحات الكتاب ممارسات الإيطاليين في ليبيا ونقلهم كل أخبار الحرب بالوثائق، ومن مقالات كبار مراسلي كبرى الجرائد "التايمس، الطان، وست مينستر غازت...."، ونقلوا كذلك عن كتاب "فظائع الطليان في طرابلس الغرب" [3]، وقد ذكر الكتاب ممارسات الإيطاليين الوحشية منذ بدأ الاحتلال سنة بعد سنة وإهاناتهم المتكررة للإسلام والمسلمين في ليبيا.

فرغم العلاقة الجيّدة التي ربطت أمير البيان بالزعيم موسوليني إلاّ أنّها اتجهت نحو التوتّر لأسباب ذكرناها سلفاً وقد ذكر الأستاذ الإيطالي "إمانويل وليامز Manuela Williams" أن الأمير شكيب أرسلان شكّل أحد الروابط الأكثر إثارةً للاهتمام والمثيرة للجدل بين إيطاليا الفاشية والدوائر القومية العربية في العالم العربي، ويُضيف أنّ اسم الأمير ظهر كثيراً في تقارير المخابرات والشرطة الأسبوعية والشهرية المُرسلة إلى لندن منذ سنة **1934**م، في الفترة التي فتحت فيها وزارة الخارجية البريطانية ملف خاص بالشخصيات السياسية السورية، فركّزت على ملّف الأمير الذي وُصف بالذكي والحاذق، ووُصفت مجلته "لاناسيون آراب" بالفتية لكنّها ساخنة ومحرّضة[4].

لذا كان عداؤه شديد للنّظامين الفرنسي والبريطاني منذ الحرب العالمية الأولى، وبداية التواجد الاستعماري للدولتين في المشرق العربي، خصوصاً في بلاده الشام، هذا العداء دفع به إلى طلب الدعم من

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص66.

(2) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص67.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص 77.

(4) Manuela Williams, " Between Arab Nationalism and Zionism: Fascist Politics and Propaganda in the Middle East in the 1930s", Eunomia, Rivista semestrale del Corso di Laurea in Scienze Politiche e delle Relazioni Internazionali, 2013, p100.

الفاشية في إيطاليا فكوّن علاقة وطيدة بزعيمها ونظامها، لكن هذه العلاقة لم تدم طويلاً، حيث يذكر الأستاذ إيمنويل وليامز أنّ هذا التحالف جعل مصداقية الأمير لدى القوميين العرب تتقوض، ويضيف أنّ الأمير كان يعتقد أن إيطاليا أقلّ تهديداً على الوحدة الإسلامية من بريطانيا وفرنسا، إضافةً إلى شعوره بأن نظام موسوليني حليف قويّ ضد الانتداب البريطاني الفرنسي [1]، لكنه بعد فترة وجد السياسة نفسها وكل الدول الأوروبية تسعى لتحقيق مصالحها وعلى حساب الشعوب العربية الإسلامية، فكانت حملته ضد الإيطاليين كما ذكرنا، وكان للإيطاليين ردود فعل إعلامية وسياسية.

أما الموقف الإيطالي بعد هذه الهجمة الإعلامية الأرسلانية، فقد جنّدت الحكومة الإيطالية بعض العملاء المحسوبين على الإسلام والمسلمين، أمثال صاحب جريدة الترقّي في تونس، حيث يقول الشيخ الثعالبي في إحدى رسائله التي شرح فيها ظروف الليبيين داخل ليبيا وفي المهجر، "...ومن المفارقات العجيبة في السياسة الإيطالية ما وافتنا به المصادفة، ففي الساعة التي كنت تتحدّث فيها إلى رسل إيطاليا عن تحسين علائقهم وإصلاح سياستهم مع العالم الإسلامي على قاعدة تغيير سلوكهم في طرابلس...وهم يعدونك بذلك، كان بعض أذنابهم من هؤلاء المستدجنين [2] يشتغلون ضدّك بمساعٍ دنيئة في تونس وسوريا، وقد فضحتهم بعض الجرائد التونسية..."، حيث ذكر الثعالبي أنّ صاحب الترقي راسل بعض فضلاء عدّة أقطار قصد لمز الأمير واتهامه بمساومة إيطاليا، ولا يستبعد الشيخ الثعالبي أن الإيطاليين الذين صانعوا الأمير هم من كانوا وراء هذه الفعلة، حيث حرّكوا أذنابهم بإلقاء هذه التّهم[3].

ثم يضيف الثعالبي أن صاحب الترقي قد تحدّاك واتهمك بالاتفاق مع الإيطاليين على غير حق، وهو لن يفعل ذلك إن لم يكن من صنع الإيطاليين الذين دفعوا به لهذه المؤامرة الخبيثة، وقد أخبر الثعالبي الأمير أنّه أرسل إلى تونس طلباً لهذه النصوص للإطلاع عليها، والتي كتبها صاحب الترقي، ووعده بإرسالها ليقف على ما هو عليه من حرب دول الاستعمار وأذنابهم [4]، والمسمى بصاحب الترقي لم يذكر الثعالبي اسمه إطلاقا، وقد ذكر

---

[1] Manuela Williams, op cit, p101.

[3] **مستدجنين** من المفرد مستدجن أو مُدجن من المصدر تدجين وهي تليين طبائع الحيوانات وتطويعها وإخضاعها، أمّا في القاموس السياسي فتنطبق الكلمة على من استطاعت السلطة تطويعهم وإدخالهم بيت الطاعة، وإخضاعهم، لذا أطلق عليهم أمير البيان الأذناب المستدجنين. الموقع الإلكتروني معجم المعاني والمعجم المعاصر، الرابط:
https://lexicon.alsharekh.org/result/%D8%AA%D9%8E%D8%AF%D9%92%D8%AC%D9%90%D9%8A%D9%86 والرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AA%D8%AF%D8%AC%D9%8A%D9%86/،

[3] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص63.

[4] أرسلان، المصدر نفسه، ص64.

أمير البيان في مدونته معظم الصحف التي أسسها التونسيون في مختلف مدن تونس، فذكر عرضاً اسم صاحب الترقي وهو السيد صالح بن محمود، الذي أصدر أولى أعداد الجريدة سنة **1905**م بتونس[1].

وفي الشأن نفسه يذكر أمير البيان أن القائد موسوليني بعد سنة **1933**م، يرى أن الأمير هو المحرّك الرئيسي للثورة الطرابلسية، وأنّه يحرّك من جهة ويعود فيتوسط للصلح من جهة أخرى ليحصل على شروط أكثر موافقة، لذا تجنب شكيب التوسّط حينما طلب منه الطرابلسيون في الشام ذلك، فرأى أن يتصلوا بالإيطاليين مباشرة ويكون لهم سنداً في الرأي والنصيحة[2].

وحرصاً منه على أهمية موضوع الطّعن في شخصه من قبل الطليان وعمّالهم، ردّ أمير البيان على الثعالبي في هذه المسألة، واتضح له أنها دسيسة من قبل إيطاليا، قصدهم منها إسقاط كلامه وتأثيره على المسلمين، وإقناعهم أن جهوده كلها لمآرب شخصية، فيذكر أنه يعلم أن لإيطاليا في طرابلس جواسيسَ وعملاء تشتريهم لبثّ سياستها، وأنّ دول الاستعمار كلّها تتّبع هذا النهج، أي كلما رأت وطنيّاً قاومها، أرسلت من بني جلدته ليبثّ بين الناس أنّ هذا الوطنيّ يأخذ من دولة الاحتلال المال، وبهذه الأكاذيب تهزّ من مكانة الوطنيين وتسقط مترلتهم، ثم يذكر الأمير أنه لا يخشى من ممارساتهم، لأنه غير عاجز عن إظهار الحقائق ودحض الأباطيل، وهذه الإشاعات لن تثبط عزيمته، وقد وصلته معلومات أنّ الجنرال قراتزياني **Rodolfo Graziani** [3] شخصياً كتب مقالة طعن في حقه، لكن الأمير لم يطّلع عليها[4].

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 537، 545.

(2) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص 75.

(3) **الجنرال رودولفو غراتسياني Rodolfo Graziani** (**1882م–1955م**) : التحق بالكلية العسكرية الإيطالية ببارما سنة 1906م ثم بكلية النخبة بمودينا ضمن 300 طالب، تدرج في الرتب إلى أن أصبح عقيدا و لم يتجاوز 36 من عمره، لُقب بأسد الصحراء، وأصبح قائد الجيوش الإيطالية بليبيا المحتلة، في فترة قيادته احتلت إيطاليا الكفرة واستطاع القبض على الزعيم الشهيد عمر المختار وإعدامه وقد شارك في جرائم القتل والإبادة الجماعية التي مارستها إيطاليا في ليبيا باستخدام غاز الخردل في مقذوفات المدافع والطائرات، فلقب غراتسياني بسفّاح فزان، هو من أمر بغلق الحدود الليبية المصرية، كذلك هو من أنشأ المحكمة الطائرة سنة 1930م، حيث فتح السجون في كل المناطق ورفع المشانق، وفي آخر المطاف خرج من ليبيا ذليلا بعد أن أمره موسوليني أن يتنحى عن منصبه بعد خسائره الفادحة أمام الحلفاء في بنغازي، وقد لقي حتفه بعد سلسلة من الهزائم الإهانات والفضائح، فصار أضحوكة، وقد توفي سنة 1955م بروما. الموقع الإلكتروني: الإيطالية نيوز، الرابط : http://www.alitaliyanews.com/p/blog-page_37.html تاريخ الزيارة : 2022/03/21 17:08، أرسلان، المصدر نفسه، هامش ص76.

(4) أرسلان، **المصدر نفسه**، ص 76.

بصرف النظر عن موقف الإيطاليّين من نشاط أرسلان وجهوده للمسألة الطرابلسية وحملته الإعلامية الشرسة ضد ممارستهم، فإن الأمير رأى أنّه في تلك المرحلة لا يوجد أمل لإخراج إيطاليا من ليبيا وأن قصارى ما يقدرون على فعله هو الحصول على حقوق محليّة وحفظ الملكية والعقيدة واللغة، لأنه التمس عدم الراحة لبعض ممثلي أهل طرابلس في الشام في وساطته مع الطليان، حيث كتب يقول :"...فلمّا جاء وسيط من إيطاليا يبدينا بالمفاوضة في قضيّة التأليف بين المسلمين والطليان، وإزالة أسباب العداوة تدريجياً ...لاحظت منهم أنهم لم يكونوا مسرورين وكان جوابهم بأن الطليان لن يعملوا شيئاً و لم ينجزوا من هذه المواعيد شيئاً...وأن هذا الرجل(الأمير) سوّد مائة صفحة من حاضر العالم الإسلامي عن أفعال الطليان في طرابلس..."[1]، لذا بدأ الأمير يتوجه نحو قناعة التفاوض مع الإيطاليين والاستمرار في انتزاع الحقوق تدريجيا، خيرٌ له من الكتابة والتأليف التي لم تأتي أكلها.

وعليه فيقول:"...فإنّي لا أرى فائدتنا من استمرار القذف والطّعن في الجرائد بقدر فائدتنا فيما لو تمكنّا من تخفيف هذه الأضرار الواقعة على إخواننا في طرابلس وبرقة، إنّ رجوع قبيلة واحدة إلى وطنها وإنقاذها من الانقراض التام بالتغريب والتشريد هما أنفع للإسلام من ألف مقالة طعن بحقّ إيطاليا..."[2].

فالحملة التي أقامها شكيب أرسلان ضدّ دولة الطليان وضدّ ممارساتها لم تحقق المطلوب، والأسباب معروفة لديه، فحينما ذكر المقاطعة الاقتصادية للإيطاليين، ذكر مدى تهاون شعوب العالم الإسلامي في التفاعل معها، والتي لم تنجح في نظره، رغم أنها سلاح الضعفاء.

---

[1] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 75، 76.

[2] المصدر نفسه، ص76.

الفصل الثالث

الفصل الثالث : علاقة شكيب أرسلان برموز الحركة الوطنية التونسية.

1 -أحوال تونس السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبل فرض الحماية الفرنسية.

2 -العلاقات الفرنسية التونسية قبل وبعد فرض الحماية.

3 -موقف أمير البيان من السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس.

4 -بروز الحركة الوطنية التونسية وعلاقة رموزها بالأمير شكيب أرسلان.

5 -جهود الأمير السياسية لاستقلال البلاد التونسية وردود فعل السلطة الفرنسية اتجاهه.

بعد الهزة التي تعرضت لها الشّعوب العربية والإسلامية جراء وقوع مصر تحت الاحتلال النابليوني الفرنسي، على إثرها شعرت الأمة الإسلامية بالخطر الداهم، أحسّت بالضعف مقارنةً إلى ما وصلت إليه أمم أوروبا من تقدم علمي على جميع الأصعدة وبالأخص في المجال العسكري، هذه الصدمة خلّفت آثاراً عميقة في قلوب شعوب الأقاليم التابعة للدولة العثمانية خصوصاً في شمال إفريقيا.

يأتي الدور على الجزائر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث اجتاح الاحتلال الفرنسي أراضيها وعينه على تونس، ليفعل الشيء نفسه خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما قال أمير البيان :"...أفلا يرى المصريّون كيف كان سقوط الجزائر باباً لسقوط تونس ثمّ سقط المغرب..." [1]، على هذا الأساس كانت البلاد التونسية في ترقب دائم وصارت المسألة مسألة وقت فقط، خاصة بعد دخول تونس في أزمة مالية خانقة زاد في عمقها المتعاملون الأوروبيون عبر اللجنة المالية الدولية التي تأسست لهذا الغرض على الرغم من أن ظاهرها تجاوز الأزمة المالية وتسديد ديون الباي.

تغيّرت أحوال التونسيّين السياسية والاقتصادية وانعكس ذلك على ظروفهم الاجتماعية، وبدأ عهد جديد بعد فرض الحماية الفرنسية على البلاد التونسية خاصة بعد تزايد أعداد الجاليات الأوروبية واستبدلت فئة المجتمع التونسي البرجوازية بالتجار الأوروبيين وفئة اليهود التي هيمنت على التجارة الداخلية والخارجية لتونس لكن بظهور حركة سياسية نشطة مطلع القرن العشرين برزت في الأفق آمال الحرية، كانت للحركة الوطنية التونسية تيارات مختلفة خدمت القضيّة الأساسية للبلاد التونسية، واجتمعت على غاية واحدة وهي الاستقلال وفك الارتباط مع سلطة الاحتلال الانتهازية.

وكان للأمير شكيب أرسلان بصمة بارزة في موقفه من احتلال تونس ومن السياسة الاستعمارية الفرنسية المنتهجة في البلاد التونسية، فخطّ عديد المقالات والكتابات حول المسألة التونسية، وعقد علاقات وطيدة مع شخصيات حركتها الوطنية البارزة، على غرار عبد العزيز الثعالبي [2] الذي أقام معه علاقة صداقة

---

[1] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص 15.

[2] **عبد العزيز الثعالبي** (1874-1944م): رجل سياسة ومفكر إسلامي تونسي، من أصول جزائرية، ينتمي إلى أسرته الشهيرة التي خرجت عديد العلماء على غرار العلامة عبد الرحمان الثعالبي، عبد العزيز هو أبرز قادة العمل السياسي في تونس، ألّف كتابه "تونس الشهيدة"، باللغة الفرنسية انتقد من خلاله ممارسات السلطات الفرنسية في تونس وسياستها التسلطية، أسّس الحزب الدستوري التونسي سنة 1920م، اعتقل من طرف الفرنسيين لكنه غادر تونس سنة 1923م، طاف على عدة دول إسلامية وأوروبية مثل الهند اندونيسيا، مصر....شارك في مؤتمر القدس سنة 1930م، كانت له علاقة جيدة مع أمير البيان وعديد المراسلات بينهما. عبد القادر حليفي، **توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية**

طيّبة والتقيا في عديد المناسبات وكانت بينهما عشرات المراسلات جمعها أمير البيان في كتابه :"الرسائل المتبادلة بين شكيب أرسلان والثعالبي"، إضافة إلى الحبيب بورقيبة والشيخ صالح الشريف التونسي [1] والإخوة باش حانبه محمد وعلي.

وقد كان لأمير البيان أفكار جسدها في مشروع خاص باستقلال تونس، هذا النشاط جلب له المتاعب مع الفرنسيين، مما تسبب في تشديد الرقابة عليه ومنع كتاباته دخول تونس وبلدان شمال إفريقيا، كل هذه التفاصيل سنبيّنها بين مضامين عناصر هذا الفصل الخاص بالحركة الوطنية التونسية وعلاقتها بشكيب أرسلان.

1) أحوال تونس السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبل فرض الحماية الفرنسية:

لم تكن تونس في منأى عن السياسة العثمانية في ولاياتها الشمال إفريقية، حيث كانت تعتمد كثيراً في اقتصادها على القرصنة كقاعدة أساسية للدخل القومي لإيالة تونس، وهي عامل أساسي للثراء الذي يمس سكان الإيالة، وممارسة القرصنة لم تكن حائلاً دون تنظيم علاقاتها الخارجية مع الدول الأوروبية، على غرار إسبانيا والدّانمارك وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية، فقد نشطت التجارة فيما بينهم، وربطت تونس علاقات رسمية خاصة مع فرنسا وتبادلت الدولتان القناصل، وحصلت فرنسا على امتيازات كبيرة من طرف الدولة العثمانية[2] .

مع مطلع القرن الثامن عشر وبالضبط في سنة **1705**م، سيطر على الحكم في تونس آغا الجيش حسين بن علي بعد فوضى واضطرابات عمّت البلاد مدة أربعين سنة، وبدأ عصر جديد توارثت عبره الأسرة الحسينية

بتونس والجزائر 1899– 1983م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2007/2006م، هامش ص 62.

[1] **الشيخ صالح الشريف التونسي** (1860–1920): أحد أبرز شخصيات الحركة الوطنية التونسية، من أصل جزائري، رجل دين، سافر إلى برلين سنة 1914م رفقة أحد أبناء الأمير عبد القادر، عمل في قسم الأخبار في وزارة الخارجية الألمانية، ترأس "اللجنة من أجل استقلال تونس والجزائر" عام 1916م، شارك في مؤتمر الاشتراكية الدولية في استوكهلم عام 1917م، عمل في "الجمعية الألمانية للمعارف الإسلامية، عمل إلى جانب أمير البيان شكيب أرسلان، سافر إلى سويسرا، وشارك في تأسيس "مجلة المغرب"، و"اللجنة التونسية الجزائرية"، قدّم باسمها عريضة إلى مؤتمر الصلح برفقة الشيخ إسماعيل الصفايحي سنة 1919م للمطالبة بحقوق شعوب المغرب العربي في استعادة استقلالها، كما راسل في الثاني من جانفي 1919م الرئيس الأمريكي وودرو ولسون في الشأن نفسه.مهند إبراهيم أبو لطيفة، **"العمل الإعلامي العربي في ألمانيا 1896م–1945م"**، رأي اليوم، 27 أفريل 2019، ص8. من الموقع الإلكتروني للجريدة :
https://www.raialyoum.com/مهند-إبراهيم-أبو-لطيفة-العمل-الإعلامي ، تاريخ الزيارة : 16:00/ 2022/03/12

[2] الحبيب تامر، **هذه تونس**، مكتبة المغرب العربي، مطبعة الرسالة، د س ط، د م ط، ص ص 21، 22.

الحكم في تونس، استطاع الآغا حسين القضاء على كل مظاهر الثورات في عهده الذي دام خمسة وثلاثين سنة، فأصلح شؤون الإيالة، حيث استتبّ الأمن وانتعش الاقتصاد فنشطت التجارة، واتسعت مناطق الفلاحة، وأُنشأت المؤسسات العلمية، وأشهر حكام البيت الحسيني: علي باي الذي وطّد الحكم وحقّق لتونس الأمن والاستقرار والرخاء بين سنتي (**1735-1756**م)، والباي حمّودة الذي حكم بين عامي (**1782- 1814**م)، والذي ربط علاقات عدّة مع الدول الأوروبية، خاصة مع نظيره الفرنسي الإمبراطور نابليون سنة **1802**م[1].

لكن كانت العلاقة مع فرنسا سابقة لهذا العهد بكثير، حيث عُيّن أول قنصل فرنسي في تونس سنة **1577**م، وهو القبطان "لويس درياس" وكان من أعيان مدينة مرسيليا [2]، لكن لم يكن لإيالة تونس قناصل أو سفراء خارج حدودها، إلا الرسل والمبعوثون الذين تنتهي صلاحية إقامتهم في الدول الأخرى بعد انتهاء مهامهم بها، المثلة في حل نزاعات اقتصادية أو مسائل سياسية، لذا فتونس لم يكن لها نواب رسميون قارّون يمثلونها في الدول الأوروبية على غرار القناصل[3].

بالنسبة للوضع الاقتصادي نجد أنّ التسرب التجاري الأوروبي انعكس بالسّلب على التّجارة التونسية منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر بالسلب، حيث تغيّرت خصوصيات التجارة الخارجية للبلاد التونسية، للتحول نحو الانفتاح، وفي المقابل نحو التهميش أمام الاقتصاد الأوروبي العالمي، ومن ملامح هذه التغيّرات ارتفاع نسبة الواردات وتراجع الصادرات، لتتدهور شروط التبادل التجاري بعد تغير تركيبة المبادلات، فزادت الواردات بالنسبة للمصنوعات والكماليات، في حين انخفضت مستلزمات الإنتاج، أما الصادرات فتقلصت نسبة المصنوعات فيها، وتضخّم في بعض المنتجات الفلاحية على غرار منتوج زيت الزيتون، وفي بعض الأحيان حتى الحبوب، ففي سنة **1826**م ارتفع التضخم إلى **72 %**، وظهر الاختلال الاقتصادي جلياً في توالي سنوات عجز الميزان التجاري، فتضرر الريال التونسي جرّاء التزيف المالي لتتراجع قيمته للثلث سنة **1824**م[4].

---

(1) الحبيب تامر، مصدر سابق، ص ص 21، 22.

(2) محمد ابن الخوجة، **"هل كان لتونس نواب سياسيون يمثلونها في الخراج قبل عصر الحماية"**، المجلة الزيتونية، المجلد الأول، الجزء7، ص337.

(3) محمد ابن الخوجة، المرجع نفسه، ص338.

(4) خليفة الشاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال** ، تأليف نخبة من الأساتذة الجامعيين، إشراف خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005م، ج3، ص8.

هذه التحولات الاقتصادية في تونس دعّمت مكانة التجار الأوروبيين على حساب الفئة الحاكمة ونشاطها التجاري التي أفلست، وبعد أن استفاد الأوروبيون من الامتيازات القنصلية تكدّست أرباحهم وأفلس الطرف المحلي، فسيطروا على طرق تصدير زيت الزيتون الذي أصبح المورد الاقتصادي الخارجي الأوّل في البلاد، وبذلك اكتملت سيطرهم على التجارة الخارجية تصديراً وتوريداً، في حين دخل الباي وكبار التجار في نفق المديونية بعد الخسائر التي تكبّدوها، وبعد أن كانوا المستفيدين من فائض إنتاج البلاد والمحتكرين له قصد بيعه للتجار الأوروبيين، تغيّرت الظّروف بعد تطبيق البايلك لسياسة السّلم، أي بيع منتوج الزيت للأوروبيين قبل الجني، وبعد تقلبات الإنتاج في زيت الزيتون سقطت الدولة في المديونية، وبعد سنة **1828**م فُرض على تونس تسديد ديونها نقداً، فلجؤوا إلى الاقتراض الربوي، وبذلك بدأ التسرب التجاري الأوروبي في تونس يتدعم بالتسرب المالي[1].

لكن جان غانياج[2] يصف الوضع في تونس بالمزدهر إلى غاية سنة **1837**م، أي بنهاية حكم مصطفى باي حيث لم يكن هناك أي دين خارجي على عاتق الإيّالة، وكانت أجور أفراد الجيش وموظفي الدولة تُدفع بانتظام، وكانت الفلاحة مزدهرة حيث بلغت مساحة الأراضي المستغلة أكثر من مليون هكتار، كما أن هناك نشاط تجاري خارجي مربح، وأساس الاقتصاد هو الاكتفاء بالعيش على موارد البلاد[3]؛ وكانت لتونس علاقات جيدة مع الدول الأوروبية على غرار دولة بلجيكا بعد قبول قنصلها لشروط قدّمها المشير أبو العباس أحمد باي تونس في **10** أكتوبر من سنة **1839**م[4].

---

(1) خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 8.

(2) **جان غانياج** (Jean Ganiage) ولد في 08 جوان من سنة 1923م مؤرخ فرنسي قضى معظم سنوات عمره في التدريس والبحث العلمي في فرنسا وتونس، يحمل رتبة أستاذ متميز مدى الحياة بجامعة السربون ساهم في تأسيس الجامعة التونسية، أصدر عديد البحوث من كتب ومقالات في مجال تخصصه أي قضايا الاستعمار والتحرر والعلاقات الدولية على غرار جذور الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية 1861-1881م، ثورة علي بن غذاهم 1864م، وغيرها، توفي سنة 2012. من الموقع الإلكتروني : https://www.goodreads.com/author/show/14904274 تاريخ الزيارة 20:40 2021/09/28.

(3) جان غانياج، **التبذير، المديونية، والسيطرة الأجنبية، قروض القرن 19 الخارجية، أصول الحماية الفرنسية على تونس (1861-1881)**، ترجمة عادل بن يوسف، محمد محسن البواب، برق للنشر والتوزيع، د س ط، ص147.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص24.

وقد نوّه الأمير لحدث هام لهذا الباي -أي أبو العباس أحمد- حيث قام بجمع أهل المجلس الشرعي في جامع الزيتونة وساوى بين علماء المالكية والحنفية والجند الأتراك في الرواتب [1]، وهذا ما يدلّ على ارتفاع المستوى المعيشي بعد الازدهار الذي مسّ الاقتصاد التونسي في تلك الفترة.

وقد ورده فرمان من السلطان يُعنى "بالتنظيمات الخيرية المبني على أساس العدل والحرية"، فردّ باللغة التركية كما ذكر أرسلان برسالة خلاصتها:"...أنّ هذا غرض محمود، ولابد من زمنٍ لإبرازه للوجود، لاختلاف الطباع والبقاع، وهو أمر لا محيص عنه ولا بد منه ..." [2]، وهي توصيات سلطانية للباي حول العمل الخيري في ولاية تونس والعدل بين رعايا الدولة العثمانية في البلاد التونسية.

وحرصاً من الباي على تطبيق ما جاء في فحوى الفرمان، قام بإصدار أمر بموجبه يُمنع بيع الرقيق في الأسواق كالبهائم، مع إسقاط المال الموظف من قبل الدولة عن أثمانهم [3]، ثم أصدر أمرا آخر يقضي بأن كل مولود يولد في تونس لا يباع ولا يُشترى[4].

وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، بدأ الاهتمام الفرنسي بإيالة تونس يظهر جلياًّ، فبالاعتماد على شهادات بعض الشخصيات الفرنسية التي كان لها اهتمام واضح بالمصالح الفرنسية في المستعمرات وبسط النفوذ خارج الحدود، نجد شخصية دوفايري Duveyrier الذي كتب سنة **1881**م "...إنّ مناطق الشمال والشرق الخصبة والمعرّضة للأمطار الشتوية تذكرنا بالمناطق الأكثر حظوة بجنوب أوروبا..."، كذلك كتب المقيم العام بول كمبون Paul Cambon[5] عن تونس سنة **1882**م، حيث يقول :"... إنّ موارد الإيالة هامّة، وإنّ خصوبة المناطق الساحلية والوطن القبلي والأعراض والساحل وجزيرة جربة تفسر الشهرة التي تتمتع بها في هذا المجال "أفريكا" ونوميديا عند الرومان، ولا يمكن أن تعتمد هذه الشهرة على خصوبة وادي مجردة فحسب، فالساحل وجزيرة جربة يتمتعان بخصوبة لا وجود لنظيرها في أي مقاطعة فرنسية..." [6]، هذا وصف لبيئة

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه،** ص24.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص25.

(3) المصدر نفسه، ص28.

(4) المصدر نفسه، ص 29.

(5) ثاني مقيم عام في تونس بعد فرض الحماية الفرنسية على البلاد التونسية، حكم ما بين 1882/02/28م إلى 1886/11/23م.

(6) علي المحجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية في تونس** ، تعريب (عمر بن ضو، حليمة قرقوري، علي المحجوبي)، سراس للنشر، تونس، الثلاثي الثاني، 1986م، ص 17.

تونس الزراعية لا عن حالة تونس الاقتصادية، ويفتقر إلى لغة الأرقام حول ما تُدِرّه أراضي تونس الخصبة قُبيل الحماية الفرنسية.

وباعتبار أن الزراعة أساس قوة الاقتصاد التونسي في تلك الفترة، فقد اشتهر شمال الإيالة بزراعة الحبوب حيث أن هذا الإقليم ينتج الجزء الأهم من الإنتاج الإجمالي في البلاد، حيث تراوح إنتاج تونس من الحبوب قبيل الحماية بين مليونين وثلاثة ملايين قنطار، في حين كانت أفضل الأراضي خصوبة لدى الأقلية المقربة من الباي ومعظمهم من المماليك، يقطنون بالحواضر ويأجرون أراضيهم للفلاحين الصغار، فزاد ثراؤهم على حساب الفلاحين الفقراء[1]، وقد أكد هذه المعلومة المؤرخ جون غانياج Jean Ganiage في كتابه Les Origines Du Protectorat Français En Tunisie (**1861-1881**) أو جذور الحماية الفرنسية للبلاد التونسية[2].

والجدير بالذكر أن الوزير خير الدين[3] رغم ميوله للصالح العام واهتمامه للحالة الاجتماعية للشعب، فإنّه لم يُستثنى عن قاعدة المعاملات الخاصة باستغلال الأراضي بين الملاك والفلاحين، حيث كان يمتلك أراضي فلاحية شاسعة، وقد أصدر بين سنتي **1874**م و **1875**م قانوناً يخص الفلاحين الخمّاسة، تضمّن هذا القانون نظاماً تُستغل من خلاله الفئة الكادحة من المجتمع بطريقة بشعة، لتبقى هذه الفئة تكدح بشكل مُزرٍ تحت رحمة الملاّك، ليعيش الفلاح البسيط حياة البؤس والضنك في الأرض التي أفنى فيها عمره، كما وصف المؤرخ علي المحجوبي[4]، وقد عُزل هذا الوزير أي خير الدين التونسي في **31** جويلية من سنة **1877**م من طرف الباي محمد الصادق باشا[5].

---

[1] علي المحجوبي، مرجع سابق، ص ص 17 ، 18.

[2] Jean Ganiage , **Les Origines Du Protectorat Français En tunesie (1861-1881)**, Preface Par khalifa Chater, PRESSE Universitaires De France, Couverture De l'édition du livre (1959), p 69.

[3] يُعتبر من أبرز رجال الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، تولى منصب وزير الحربية بتونس، ثمّ رئاسة الوزراء في تونس سنة 1870م، وبعد مغادرته البلاد التونسية سنة 1878م عُيّن في منصب الصدر الأعظم، اشتهر بإصلاحاته، حيث أيّد عهد الأمان الصادرة سنة 1857م والتي أقرت المساواة بين التونسيين في الحقوق، وساهم عام 1861م في وضع قوانين المجلس الأكبر (الشورى)، وتولى رئاسته.

[4] علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 18.

[5] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 45.

أمّا الساحل فقد ارتكزت زراعة الزيتون بقوة، حيث بلغ منتج مادة الزيت سنة **1880**م في إقليمي سوسة والمنستير **140** ألف هكتولتر، في حين قُدّر منتوج البلاد الكلّي في السنة نفسها **210** ألف هكتولتر، وميّزت هذه المناطقَ الملكياتُ الصّغيرة، لذا كانت هناك فوارق اجتماعية متباينة مقارنة بالأقاليم الأخرى، لكن لم يَسْلم سكان هذه الأقاليم من دفع الضرائب المرتفعة مع استشراء آفة الربا وتزايد عدد المرابين، وقد ذكر علي المحجوبي أن السكان الذين شاركوا في ثورة سنة **1864**م، تعرّضوا لأبشع أنواع القمع، وبالأخص على يد القائد أحمد زرّوق، الذي أجبرهم على الاقتراض من التجّار اليهود بفوائد ربوية بلغت **40** % قصد دفع غرامة الحرب، وقد كتب جون غانياج في هذا الشأن مايلي:" ...إنّ الربا اليهودي قد عمل على مواصلة تخريب جهة الساحل، كما ساعد أيضا على انتقال ملكية الكثير من غابات الزيتون إلى المرابين..." [1]، ومما لا شك فيه فإن الثروة لا محالة ستنتقل إلى أقلية مستفيدة من هذه الممارسات على حساب شريحة واسعة من المجتمع التونسي التي نهشتها الضرائب وأموال الربا.

ومن الموارد الهامة في ميدان الزراعة إنتاج التمر من خلال واحات الجنوب التونسي وبالضبط في واحات الجريد التي تُعد موطنا جيداً لغرس النخيل، حيث تراوح إنتاج ثمار التمر سنوياً بين **200** و**300** ألف قنطار، حيث تعتبر المورد الأبرز للسلطة، بصرف النظر عن الحالة الاجتماعية التي كان يعيشها سكان هذه الأقاليم، حيث كان أغلبهم تحت مستوى الفقر [2]، وكان لتجارة التمر منافسة شرسة بين التجار اليهود والتجار الفرنسيّين، والسبب أن هامش الربح لهذا المنتج قد يصل إلى **100** %، حيث كان الفرنسيون يحاولون دائماً الاستئثار بقوافل التمر عل سواحل القيروان، وقد نجحوا في ذلك ولفترة من الزمن، وكان لتمر الجريد دور كبير في تنشيط التبادل التجاري بين منطقة الجريد ومختلف موانئ الإيالة التونسية، خاصة نحو القيروان، وكانت هذه المدينة –القيروان– تشهد توافدًا كبيرًا للتجّار الأوروبيين[3].

أمّا في الداخل التونسي، كان نمط عيش السكان مختلفاً نوعاً ما، حيث كانت القبائل في ارتحال دائم، حيث تعيش على ممارسة الرعي فتنتقل بحثا عن الكلأ لمواشيها، وقبائل أخرى اتخذت من زراعة الحبوب مورداً

---

(1) علي المحجوبي، مرجع سابق، ص18.

(2) علي المحجوبي، المرجع نفسه.

(3) مبروكة خرنق، **العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1605م– 1705م)، سياسياً وتجارياً**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف عمار بن خروف، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، السنة الجامعية 2012/2011، ص 100.

أساسياً لعيشها، وبالأخص زراعة الشعير، مع التنويه على أن تقلبات الطقس هي التي تتحكم في ارتفاع أو انخفاض معدلات إنتاج الحبوب في أراضيهم فكانت الأرقام متذبذبة، لذا كانت هاته الموارد غير منتظمة ولا تحقق الاكتفاء لهم، ليضطروا إلى النهب في المناطق الحضرية أوقات الانتفاضات [1]، وقد كانت هناك عدة ثورات أشهرها ثورة **1864**م التي كادت أن تشمل جميع مناطق البلاد والسبب الأساسي هو الضرائب الباهظة[2]؛ وأشهر ثورة تلك التي كانت بقيادة علي بن غذاهم [3]، والتي تركّزت في غرب البلاد التونسية [4]، وقد أورد أرسلان تاريخ اعتقاله في مدونته، الذي كان في الأول من مارس من سنة **1866**م على يد باش حانبه مبعوث الباي محمد الصادق، الذي جاء به إلى مدينة باردو، وأمر الباي بسجنه وبعث له كسوةً وطعاماً من داره بعد أن عُومل معاملة سيئة من قبل سجّانيه[5].

ولابد من الإشارة إلى أن هذه القبائل لها دور بارز في اقتصاد الإيالة التونسية، من خلال تربية المواشي التي تُدرّ كميات معتبرة من الأصواف والجلود التي تُعدّ مادة أولية تُستخدم في صناعة المستلزمات الفردية والعائلية التقليدية الجلدية أو الصوفية، حيث تعتمد عديد المدن العتيقة على هذه الصّناعات التقليدية، مثل تونس والقيروان وغيرها؛ وتجدر الإشارة إلى أن الصناعات الأخرى كالمعادن والصياغة والعطور قد شهدت تدهوراً كبيراً قُبيل الحماية، وهذا لسبب أساسي وهو عدم قدرتها على المنافسة الخارجية، مع العلم أن المنتجات الأوروبية لا تُفرض عليها الضرائب، في حين أنّ المصنوعات المحلية يدفع أصحابها تكاليف باهظة، لا سيما أن

---

[1] علي المحجوبي، مرجع سابق، ص ص 18، 19.

[2] يذكر المؤرخ جان غانياج في مسألة الأسباب الحقيقية للثورة، أن السبب الأساسي هو الضرائب التي فُرضت على السكان وارتفعت قيمتها مرات عدة، إلا أن الغضب الشعبي كانت له أسباب أعمق من هذا، حيث أن الإصلاحات التي جاءت بعد تأثر بايات تونس بالتطور الأوروبي الحاصل، فبادرت القيادة بتغيير نظام الإدارة والقضاء، فلم يتقبل الكثير بهذه التغييرات، خاصة بعد وفاة حمودة باي سنة 1863 وبداية الشكوك في أن تكون للوزير مصطفى خزنه دار يد في موت الباي ومن الممكن قد سمّمه، وكانت الكثير من الشخصيات تعارض إجراءات وزير المالية مصطفى خزنه دار، وبعد اندلاع الثورة كان للتجار اليهود المستقرين بالساحل التونسي دور كبير في دعم الثوار بالبارود، فكانت القوارب المحملة بالسلاح والبارود الإنجليزي والرصاص تأتي من مالطة. جان غانياج، **ثورة علي بن غذاهم 1864، الباب الخامس من كتاب أصول الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية**، ترجمة لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر، ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1965م، ص ص 12- 20.

[3] علي بن غذاهم عند قيام ثورته في مارس 1864م كان عمره تجاوز الخمسين سنة، وكان أبوه قاضياً بماجر، ويُقال أنه توفي مسموماً من طرف مسؤول الجهة العربي البكوش السهيلي، تلقّى علي بن غذاهم تعليمه في جامع الزيتونة، وقد أطلقت عليه قبيلة ماجر؛ باي الشعب، وقد امتد نفوذه إلى قبائل أخرى على غرار أولاد عيار، الفراشيش، وونيفة....، حتى صار الزعيم الأعلى للثوّار. جان غانياج، المرجع نفسه، ص ص 19، 20.

[4] جان غانياج، **ثورة علي بن غذاهم 1864**، ص ص 19، 20.

[5] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 41.

الحكومة التونسية لم تستطع منع أو تحديد دخول بضائع الدول الأوروبية إلى البلاد، وذلك لتمتع دول المصدر لهاته البضائع بالامتيازات الاقتصادية[1].

فأُغرقت السوق المحلية بالبضائع الأجنبية مما أدّى إلى إفلاس أصحاب المؤسسات الصغيرة أمام هذا الزخم الصناعي الأوروبي، على غرار الأقمشة الحريرية من ليون الفرنسية، والقطنية من مانشستر الإنجليزية التي تسببت في غلق الحائكين التونسيين لمحلاتهم، ناهيك عن انخفاض معدلات التصدير، كالشّاشية التي كانت تُصدر بشكل كبير، انخفضت مبيعاتها إلى أدنى قيمة سنة **1875**م، حيث وصلت إلى **250** ألف فرنك بعدما كانت قيمة مبيعاتها تفوق ثلاثة ملاين فرنك فيما بين **1861**م و**1863**م، وهذا طبعاً للمنافسة الشرسة مع الصناعات التركية والمصرية ثم دخول الطرابيش الفرنسية والمجرية النمساوية التي لاقت رواجاً كبيراً في أسواق البلاد التونسية المحلية؛ وبطبيعة الحال سيتجه الكثير من الحرفيّين التونسيين إلى استبدال مِهنهم أو إلى عالم البطالة [2] كما ذكرنا سلفاً، فشملت السيطرة الأوروبية وبالأخص الفرنسية معظم مجالات التجارة الداخلية والخارجية، فأصبحت صادرات تونس ووارداتها ملك للتجار الأوروبيين.

وقد ألقت هذه الأزمة بظلالها على الطبقة البرجوازية الإسلامية التي أفلست، كذلك جرّاء المنافسة الأجنبية غير الشرعية، فتخلّى معظمهم عن تصدير المنتجات الفلاحية وتوريد البضائع المصنعة لمجموعة من تجار مرسيليا الفرنسيين، وجينوة الإيطاليين، حيث انضمت إليهم كذلك ثلّة من التجّار اليهود التي استغلّت الأزمة المالية لتحقق الثراء الفاحش، فسيطر هؤلاء على معظم المبادلات التجارية التي كانت قائمة آنذاك مع مرسيليا والمدن الإيطالية وإنجلترا وجزيرة مالطا[3].

والجدير بالذكر أن الفقر وتراجع المستوى المعيشي له دور بارز في ظهور الأمراض والأوبئة بين طبقات المجتمع الهشّة، مثل ما جرى في مدينة باجة كما ذكر أمير البيان في مدونته، هذه المدينة التي كاد وباء الكوليرا أن يستأصل سكانها، حيث استشرى هذا الوباء بين أهل المدينة، وكان ذلك في شهر جوان من سنة **1867**م، وانتشر بين الجنود وضباطهم فمات منهم الكثير[4].

---

[1] علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 19.

[2] علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 19.

[3] علي المحجوبي، المرجع نفسه.

[4] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص41.

أما عن النظام الضريبي المُطبق في تونس قبيل فرض الحماية الفرنسية، فيذكر المؤرخ علي المحجوبي أن الجباية كانت مرتفعة جداً سنة **1881**م، حيث كانت تُفرض على الأشخاص وتُسلّط على البضائع التجارية والمنتجات الفلاحية، وقسّمها إلى صنفين : ضرائب مباشرة وضرائب غير مباشرة، حيث يشمل الصنف الأول من الضرائب (المجبى، العشر والقانون) [1]، في حين يشمل الصنف الثاني أي ضرائب غير المباشرة الضريبة على التجارة أي (المحصولات، الرسوم الجمركية، واللّزمات)[2].

وتجدر الإشارة إلى أن كل هذه الضرائب لا تذهب إلى الخزينة العامة ولا تخدم مصالح البلاد بل تذهب معظم هذه المداخيل نحو تسديد ديون الباي، والأدهى من ذلك أنها لا تُجمع تحت أنظار الحكومة التونسية بل تحت رقابة دولية [3]، تحت إشراف لجنة دولية كما سيأتي تفصيله في العنصر الموالي، وقد ذهب المؤرخ جان غانياج إلى أنّ جزءًا غير يسير من تلك الضرائب يذهب إلى جيوب حاشية الباي خدمة لمصالحهم[4].

لكن قيمة ما تجمعه الجهات المكلفة بجمع هذه الضرائب أخذت في التراجع إلى أن فُرضت الحماية على تونس من طرف الحكومة الفرنسية، رغم أن الفرنسيين كانوا طرفا في اللجنة الدولية المالية المكلفة بمراقبة الوضع المالي لتونس قصد تسديد ديونها للمدينين، وهذا ما يدلّ على أن التونسيين غُيّبوا عمداً في منح الأرقام الخاصة بالضرائب والميزانية وكل الأمور المتعلقة بالمالية التونسية، والعمل على توريط الباي لتعقيد الوضع أكثر، والتمهيد لإدخال تونس في أزمة مالية خانقة لتنفيذ مشاريع فرنسا الاستعمارية.

وبِلغة الأرقام، نجد أن ضريبة المجبى التي تُعد أهم مورد للحكومة التونسية قد تراجعت عائداتها من ثلاثة ملايين فرنك سنة **1878**م إلى **2.4** مليون فرنك سنة **1879**م، بانخفاض ما قُدّر بـــ **20 %**؛ كذلك بالنسبة للمداخيل الخاصة بنفقات الدولة أخذت في الانخفاض حيث كانت بين سنتي **1874**م و **1875**م ما قيمته

---

(1) **المجبى** : هي ضريبة شخصية أقرّها محمد باي سنة 1856، تُفرض على كل السكان في تونس بالنسبة للذكور البالغين، باستثناء أصيلي تونس والقيروان والمنستير وسوسة، وصفاقس، والجنود المنتدبين، والقدامى، والطلبة ورجال الدين، وأعوان الباي والعجزة، وتمثل أكبر قسط من عائدات الحكومة، **العشر** : هو أداء عيني يُفرض على الحبوب، يشمل سكان مجردة، وقد كلفت إدارة خاصة لجمع هذه الضرائب سميت بالرابطة، **القانون** : هو ضريبة تمس ملاك أشجار الزيتون والنخيل، ويأخذ نقداً، ويشمل مناطق الساحل والجريد. علي المحجوبي، المرجع نفسه، ص ص11- 13.

(2) **المحصولات**: هي آداءات محلية تشمل المكوس بانواعها، والضريبة على الكراء، تُفرض على المنتجات الفلاحية والماشية، والصناعات التقليدية، كالصوف والجلود والصابون والشاشية، حيث كانت تمثل موردا أساسيا للحكومة. علي المحجوبي، مرجع سابق، ص12.

(3) علي المحجوبي، المرجع نفسه، ص 13.

(4) Jean Ganiage op cit, p 69.

8.776 مليون فرنك، ولم تبلغ سوى **5.760** مليون فرنك ما بين سنتي **1880**م و **1881**م، أي تراجع نفقات الدولة بأكثر من الثلث أي ما نسبته **34.36** %، والسبب في ذلك هو أنّ حرص الدول الأجنبية كان منصبًّا على تسديد ديون الدولة التونسية على حساب النفقات المخصصة للدولة [1] -طبعاً لصالح المدينين-، وقصد تأزيم وضعها المالي أكثر كما ذكرنا سابقًا؛ في حين يتّهم المؤرخ جان غانياج حاشية الباي بسرقة تلك الضرائب والاحتيال على الفلاحين بتغيير حجم المكاييل الخاصة بقياس العشر ضريبة الحبوب [2]، طبعاً هذا كلام المؤرخ الفرنسي وبناءً على تصريحات الحكومة الفرنسية من خلال الوثائق الأرشيفية أو المذكرات الشخصية، لذا هو يصب حتماً في مصلحة السلطة الفرنسية ويغطي عن ممارسات اللجنة المالية.

كذلك يمكن إدراج العامل الاجتماعي في تونس كسبب في فرض الحماية عليها، والتوسع الاستعماري الأوروبي على أراضيها، حيث تضاعف عدد الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر في أوروبا، فظهرت حركة هجرة ضخمة أوروبية نحو مختلف المناطق في العالم.

فقام البعض بالاستكشاف والتبشير والمغامرة والرحلات العلمية تمهيدا للهجرة ثم الاستيطان والتوسع وبسط النفوذ في عوالم جديدة، ووُضعت خطط ومشاريع لتحقيق ذلك، على غرار مشروع قنصل إمارة سردينيا الكونت فيلبي Comte Filippi بتونس، الذي وضع خطة الهجوم على الإيالة بين سنتي **1825**م و**1830**م، كذلك عملت فئة واسعة من النخبة الأوروبية السياسية والصحفية على التنظير للاستعمار تحت شعار "المهمة الحضارية للرجل الأبيض". [3]

كما كان للجمعيات اليهودية دور كبير وقوة ضغط على الحكومات الأوروبية قصد التوسع ليتسنّى لها ربط علاقاتها مع الجاليات اليهودية المحلية وتنظيمها والنهوض بفئة اليهود في العالم، كما فعلت جمعية "التحالف الإسرائيلي العالمي" في باريس منذ تأسيسها سنة **1860**م في مواكبة تطور أوضاع تونس وتدخلها لفائدة الجالية اليهودية بها[4].

---

(1) علي المحجوبي، مرجع سابق، ص13.

(2) Jean Ganiage op cit, p 70.

(3) خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص9.

(4) خليفة الشاطر وآخرون، المرجع نفسه، ص9.

على هذا الأساس رأت فئة عريضة من الشعب التونسي أن هذا الانقلاب الاجتماعي هو من مظاهر فناء الأمة والدين والخير ونصرةٌ للشرّ، أما رجال الدين فكان موقفهم سلبي جدّاً من خلال هجرة غالبيتهم نحو المشرق الإسلامي، على العكس من الطبقة المثقفة المستنيرة التي رأت أنه لابد من العمل على تطوير البلاد بإمكانياتها الخاصة والأخذ بأسباب التقدم، ونقل كل ما يفيد تونس من البلاد الأوروبية مع مراعاة خصوصية المجتمع التونسي[1]، رغم أن الباي محمد الصادق ساهم فعلاً في وضع أسس التفوق العلمي عبر تأسيسه لمطبعة تُطبع فيها الجرائد الخاصة بالأخبار والأحداث المحلية والعالمية والكتب، وطُبعت بها أوّل صحيفة سُمّيت بالرائد التونسي[2].

ساهمت هذه الظروف في تفكك المجتمع التونسي، وابتعاد الجماهير عن تحمّل مسؤولياته، والسبب الرئيس هو خضوع الشعب التونسي للحكم الفردي المطلق، الذي ساهم بطريقة أو بأخرى في تراجع دور فئات المجتمع سواء المثقفة أو رجال الدين أو التجار، بعد أن وجدت هذه الفئات نفسها بعيدة كل البعد عن مركز صناعة القرار، في حين كان للأوروبيين كلمتهم على جميع الأصعدة[3].

أما في ما يخص الجانب العلمي أو التطور الصناعي بالنسبة للمجال العسكري، كان له دور مهم في فرض الهيمنة الأوروبية، فاختلاف موازين القوى بين ضفتي المتوسط الشمالية والجنوبية عامل أساسي في تفوق أوروبا على الشعوب الإفريقية والآسيوية، فالتخلف في تونس في ميدان العلم والتقنية جعلها في تبعية التوريد والاستدانة، وتحولت بعض الصفقات التجارية التي تخص الأسلحة عمليات نصب واحتيال أوروبي، حيث قدّم من خلالها تجار الأسلحة الأوروبيون تجهيزات ووسائل حربية رديئة مقابل مبالغ طائلة بفوائد ربويّة، مثل الخسائر التي لحقت بأحمد باي عند محاولته بناء جيش نظامي حديث وتجهيزه، وأسطول بحري بين سنتي **1827**م و**1855**م[4].

---

[1] الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، 1830–1956**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس، ط 2، ص16.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 37.

[3] الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 16.

[4] خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 9.

رغم أن للباي أحمد طموحات كبيرة، فقد أسّس مدرسة عسكرية بعد تولّيه الحكم مباشرةً سنة **1838م**، كانت تحت اسم "المكتب الحربي بباردو"[1]، في حين يذكر أمير البيان أنّ هذه المدرسة أسّسها الباي محمد الصادق في أفريل من سنة **1860م** سُمّيت بمكتب الحرب بباردو [2]، وهي تُعنى بتخريج ضبّاط ومهندسين تلقّوا تعليمهم لدى ضباط من إيطاليا وفرنسا وإنجلترا –من بينهم المستشرق الإيطالي الضباط "الأمير ألاي كالبقاريس"–، من المواد المدرسة: الرياضيات والهندسة والتعبئة الحربية والجغرافيا، واللغتان الفرنسية والإيطالية، فكان لهذه المدرسة دور بارز في التعريف بما وصلت إليه التكنولوجيا العسكرية الأوروبية[3]، يضيف جان غانياج أن تونس جلبت الأزياء والأسلحة والبارود من فرنسا، وأنجز الباي أحمد صناعة عسكرية لتمويل الجيش، فمنح منجم الرصاص بجبّة لمهندسين فرنسيين، وبنا جيشاً نظامياً عصرياً، قوامه **26** ألف جندي[4].

كذلك فعل الباي محمد الصادق باشا الذي أمر في **11** مارس **1866م** بإصلاح الحصون في مدن المهدية والمنيستر والقيروان والوطن القبلي والأعراض وبنزرت وعار الملح بعد ثورة علي بن غذاهم المساهلي، وفي **03** جويلية من السنة نفسها صدر عن الباي قرار، بمقتضاه مُنع الضباط والعساكر تقبيل يد أي كان، سوى يد الباي، ومن وقع عليه هذا الفعل فالعقوبة على المُقبِّل والمُقبَّل عليه..."[5]، وقد فصّل الأستاذ محمد بن الخوجة[6] الخوجة[6] في كتابه "صفحات من تاريخ تونس" في شرح هذه الظاهرة الاجتماعية، فيقول أن تقبيل اليد صارت حقًّا على التابع نحو متبوعه، وصار المأمور لا يتحاشى عن بسط يده للمأمورين، ثم يضيف أن تلك

---

(1) الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 16.

(2) أرسلان ، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 37.

(3) الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 16.

(4) جان غانياج، **أصول الحماية، ص 147.**

(5) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص41.

(6) **الشيخ محمد بن الخوجة:** ولد بتونس في شهر فيفري 1869م، التحق في سن السابعة بالمدرسة الصادقية، ثم إلى المدرسة العلوية، عمل مترجما لدى الحكومة التونسية سنة 1887م، وفي سنة 1892م عين رئيسا لقسم المحاسبات، وكان عضوا في اللجنة المكلفة بتأليف الفهرس العلمي لمكتبة جامع الزيتونة، كان من بين الذين ساهموا في تأسيس جريدة "الحاضرة" وذلك سنة 1888م، شارك في تأسيس الجمعية الخلدونية، وكان من أعضاء الهيئة المسيرة لها سنة 1896م، شارك في مؤتمر شمال إفريقيا بباريس سنة 1908م إلى جانب نخبة حركة الشباب التونسي، عين مديرا للمطبعة الرسمية التونسية من سنة 1902م إلى غاية 1915م، تولى تدريس التعريب والنقل والتاريخ، بالمدرسة العليا للغة والآداب العربية بتونس، عين واليا على قابس ثم الكاف ثم على بنزرت سنة 1924م، أحيل على التقاعد سنة 1934م، وعين مستشارا للحكومة التونسية إلى أن وافته المنية سنة 1942م. محمد بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط 1، 1986م، ص ص 10، 12.

الفترة تفشّت النقائص والعيوب في الأواسط التونسية إلى أن جاء المشير محمد الصادق باي، فجعل ترتيباً قصد ضبط قواعد التحية بين الرعية[1]، فكان غرضه فرض النظام وتمييز مكانته عن مكانة الضباط في الجيش.

بالرغم من أن جهود بايات تونس تصب في مصلحة البلاد عبر تحديث جل مجالات الحياة المدنية والعسكرية بالاعتماد على كفاءات أوروبية، وهدفهم من ذلك الوصول إلى ما وصلت إليه المدنية الغربية من تطور وتحول جذري في جميع الميادين، لكن الساسة الأوروبيّين كانت نواياهم عكس ذلك تماماً، فكل إعانة قدمتها فرنسا لتونس لم تكن بريئة، بل تربصًا وانتظارًا للفرصة من أجل الاستيلاء على البلاد لاستنزاف مواردها واستغلال إمكانياتها البشرية والمادية، فكان لها ذلك بعد فرض الحماية سنة **1881**م.

2) العلاقات الفرنسية التونسية قبل وبعد فرض الحماية:

قبل الاعتداءات الفرنسية على الأراضي التي في حوزة الدولة العثمانية أو حتى التي كانت تابعة لها شكلياًّ كانت تربط فرنسا وتونس علاقات جيّدة اتسمت بالاستقرار والتعاون، دون ذكر بعض الفترات التي ساءت فيها العلاقة بينهما؛ لكن بمجرد أن ظهرت مطامع الفرنسيّين خصوصاً في أقاليم شمال إفريقيا اتجهت العلاقة نحو التذبذب، ورغم الاهتمام البالغ بالبلاد التونسية من قبل الحكومات الفرنسية، ومعرفة الحكام في تونس بنيّات الفرنسيين إلاّ أن العلاقات بقيت جيدة كما سنوضحه في العنصر الموالي.

2-1 العلاقات الفرنسية التونسية قبل فرض الحماية :

بصرف النظر عن الأطماع الفرنسية في تونس، كانت هناك علاقات قائمة بين البلدين، أو بالأحرى بين الإمبراطورية الفرنسية وولاية تونس العثمانية، تعود هذه العلاقات إلى المعاهدات التي تمّت بين السلطان العثماني سليمان القانوني والمملكة الفرنسية، بموجبها منحت الدولة العثمانية لفرنسا امتيازات سياسية اقتصادية وقانونية، فانتدبت فرنسا قنصلا بتونس بداية من سنة **1577**م لتمثيل الجالية المسيحية بها تماشيا مع بنود الامتيازات، وفي سنة **1604**م أُضيف بند أعطى الحق لفرنسا معاقبة القراصنة الذين لا يمتثلون لنصوص قوانين المعاهدات التي وُقّعت بين الدولتين، ممّا سمح للسلطات الفرنسية العودة إلى حكام شمال إفريقيا دون الرجوع إلى

[1] محمد بن الخوجة، مصدر سابق، ص ص 270، 271.

الباب العالي[1]، لذا كان لحكام تونس حرية التصرف واتخاذ القرارات التي تخدم مصالحها دون العودة أو استشارة السلطة العثمانية في تلك الفترة، طبعاً مع بقاء الرباط التاريخي الديني قائماً.

والجدير بالذكر أن فرنسا كانت تجدد كل مرة بنود معاهدات الامتيازات الاقتصادية مع تونس بفرض نفسها على بقية الدول المنافسة، لذا كان التعامل مع تونس على أساس استقلالها عن الباب العالي في اتخاذ قراراتها، لكن خلال الحملة الفرنسية على مصر سنة **1798**م بقيادة نابليون بونبرت ، أعلنت تونس الحرب على فرنسا بأمر من السلطان العثماني، و لم تستتب الأوضاع إلا بعد انسحاب الفرنسيين من مصر، واسترجاع فرنسا لمكانتها التقليدية في ولاية تونس؛ وفي **15** نوفمبر **1824**م منح باي تونس لفرنسا امتيازات جديدة، حتى أنه وقف موقف المتفرج من قضية احتلال فرنسا للجزائر [2]، وهنا يُطرح السؤال حول الموقف الرسمي الحقيقي التونسي من احتلال فرنسا للجزائر، حيث لم يكن الموقف نفسه مع الاحتلال النابليوني لمصر كما ذكرنا سلفاً، هل السبب يكمن في ضعف شخصية الباي، أو الخوف على مصالحه ونفوذه، أو تعرضه للضغط والتهديدات المتكررة من طرف الفرنسيين، أم إنّ الضعف الذي أصاب الدولة العثمانية كان سبباً أساسياً في موقف تونس السلبي تجاه المسألة الجزائرية.

وعلى هذا الأساس كانت العلاقات الفرنسية التونسية تتوطد عبر الزيارات المتبادلة، حيث قام أبناء الملك الفرنسي لويس فيليب[3] في جوان سنة **1846**م بزيارة البلاد التونسية، واستقبلهم الباي أبو العباس أحمد وعظّم ضيافتهم، وبالغ في إكرامهم، وأكّد على فضل الصلة فيما بينهم كما ذكر أمير البيان، وقد أهدى له الملك لويس فيليب باخرة صغيرة ركب على ظهرها وقام بزيارة فرنسا، حيث وصل إلى ميناء طولون في **08** نوفمبر **1846**م، ثم توجّه إلى باريس قاصداً قصر إليزي بربون Elysee Bourbon واستمرت الزيّارة إلى غاية **31** ديسمبر **1846**م[4]، فذِكر الأمير لمبالغة الباي التونسي في إكرام أبناء الملك الفرنسي هي استنكار لهذه

---

(1) محمد عصفور سلمان، "**الحماية الفرنسية على تونس عام 1881م، والموقف العثماني والأوروبي منها**"، مجلة ديالى، العدد 56، 2012م، ص3.

(2) محمد عصفور سلمان، المرجع نفسه، ص3.

(3) يُعتبر الملك لويس فليب الأول أشهر ملوك فرنسا لاتصافه بالذكاء والفطنة، وكان أصغر الجنرالات في الجيش الفرنسي، تُوج ملكًا على فرنسا سنة 1830م وإلى غاية 1848م بعد الإطاحة به، وقد وُصف عهده بالمستبد، لحكمه المطلق ودعمه للطبقة البرجوازية على حساب الطبقة العمالية. الموقع الإلكتروني: المرسال، الرابط: https://www.almrsal.com/post/651274، تاريخ الزيارة: 2023/02/05م، 19:52.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 31، 32.

الممارسات، وردّ الملك الفرنسي بالمثل ما هي إلا شراء لذمّة الباي مقابل سكوته على احتلال الجزائر ، وتمهيداً لإخضاع تونس ولو بعد حين.

والذي نأسف لذكره هو ذهاب الباي محمد الصادق إلى الجزائر في زيارة رسمية من **15** أفريل **1860**م واستمرت إلى غاية **21** سبتمبر **1860**م[1]، هذه الفترة التي قضاها الباي محمد الصادق في الجزائر طبعاً لم تكن في صالح الجزائر ولا الجزائريين، مادامت رسمية فهي بطبيعة الحال تكون ترفيهية ذات أبعاد سياحية اقتصادية واستعطافاً له ظاهرياً، وتحمل الزيارة كذلك رسالة للباي ليعتبر بما جرى لداي الجزائر بعد مقاومته للقوة الفرنسية، أضف إلى ذلك ليشاهد بعض ما أسّست له المدنية الغربية في الجزائر.

وبعد مجيء الباي أبو عبد الله محمد في جويلية من سنة **1855**م إلى سدّة الحكم، أرسلت فرنسا قنصلاً جديداً وهو ليون روش[2]، حيث كان أوّل قنصل يعمل بشكل مغاير على من سبقه من قناصل، فكان يتحدّث العربية بطلاقة -كما ذكر الأمير شكيب-، ويحسنها كتابةً [3]، والجدير بالذكر أن لهذه الشخصية دور بارز في الإطاحة بثورة الأمير عبد القادر في الجزائر، بعد أن كان أحد مرافقيه وأعلن إسلامه نفاقاً ، والسؤال المطروح ما المهمة التي جاء لأجلها في تونس وما الأهداف التي حقّقها بعد مجيئه؟.

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص37.

(2) **ليون روش** (**الحاج عمر**) من مواليد غرونوبل شهر سبتمبر من سنة 1809م، درس بمسقط رأسه ثم انتقل إلى طولون، تحصل على عدة شهادات، كان والده من المُشاركين في الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م، بعد سنتين من الاحتلال الفرنسي قَدِمَ ليون روش إلى الجزائر ليكون في خدمة الاستعمار الفرنسي، بعد وصوله إلى الجزائر سنة 1832 م تعلم اللغة العربية حتى أتقنها، فعمل مُترجماً في الجيش الفرنسي، يُقال أنه أسلم واعتدل إسلامه في نظر المسلمين ، ثم قصد معسكر الأمير عبد القادر مُبديا له إسلامه عارضاً عليه خدماته، وكان ذلك سنة 1837م حيث أصبح اسمه الجديد عُمر ، كلفه الجنرال بيجو الحاكم العسكري للجزائر بمساعدة الزاوية التيجانية والطيبية المغربية في الجزائر بالسفر إلى تونس ومصر والحجاز للحصول على فتوى تدعوا أهل الجزائر إلى قَبول الحكم الفرنسي مقابل أن يَحترم هذا الحُكم دينهم وعاداتهم وتقال يدهم ، عمل ليون روش في ما بعد قنصلا لدى القنصلية الفرنسية في تونس
ورحل روش ومعه نصّ الفتوى ويُقال أنه حصل على مُصادقة علماء جامع الزيتونة في تونس وعلماء الأزهر في مصر، وعلماء المسلمين المجتمعين في مدينة الطائف بالحجاز حيث مقر الشريف الأكبر شريف مكة المكرمة، وقد وصل الحجاز أثناء موسم الحج فأراد أن يشهد هذا الموسم، لكن بعض من الجزائريين تعرف عليه في وقفة عرفات ورفعوا أصواتهم استنكارا لوجوده، وكاد أن يفقد حياته لولا الحراس الذين كلفهم الشريف بمراقبته سراً إذ قام هؤلاء باختطافه ومضوا به إلى جدة ومنها إلى مصر ومنها إلى أوروبا، (انظر: ليون روش، ثلاثون سنة في رحاب الإسلام، ليون روش، **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز** ، ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، دار جداول للنشر ، الكويت، ط1، ديسمبر 2011م، ص ص12- 16. نور الدين بوحلية، **جمعية العلماء والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما**، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط2، 2016م، ص ص156- 157.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 34.

كان لشخصية ليون روش المميزة رحلة إلى البلاد الإسلامية، وقد زار تونس من قبل، وهدفه كان جلب فتوى تحرم الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين، وهي فكرة الجنرال بيجو، بعدما علم ليون روش أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بدينهم، فسلّمه بيجو رسالة بتاريخ **19** جويلية **1841**م إلى القنصل الفرنسي بتونس لتسهيل القيام بمهمته السريّة، وبعد أن نال روش موافقة التيجاني الذي استدعى مقدمي الطرق الحليفة له، وأمر بإرسال ممثل لكل طريقة مع روش، وقد امتثل كل الرؤساء مطلب إلى التيجاني، توجّه روش بالثياب العربية الإسلامية ومعه قافلة من المرافقين إلى تونس، وعند وصوله سلّمه القنصل جواز سفر إلى مدينتي صفاقس وقابس، ثم دخل مدينة القيروان واستطاع بمساعدة مرافقيه من أتباع الطريقة التيجانية أن ينال مقصده، ويجلب فتوى تحريم الجهاد، من مجلس علماء القيروان، ثم واصل رحلته إلى مصر ليصادق علماء الأزهر والطائف وشريف مكّة المكرمة على هذه الفتوى.

ولابد من الإشارة إلى الاستنكار البريطاني الذي وضحته من خلال قنصلها في تونس، ففي ستينات القرن التاسع عشر وبالضبط في نوفمبر من سنة **1864**م احتج القنصل البريطاني ريشارد وود Richard wood لدى الباي التونسي محمد الصادق لتميّز العلاقة التونسية بنظيرتها الفرنسية على باقي الدول الأوروبية، حيث كتب :"...لا نعرف آمراً غيرك في هذه الإيالة العثمانية، ويلزمك أن تعاملنا بمثل ما تعامل به دولة الفرنسيس، فإنّ دولنا أكفاء فإذا توقّفت في أمورك على إذْن الفرنسيس، فتوقف على إذْن الإنجليز، أيضاً، ولا نسلم أنّ للفرنسيس في هذه المملكة أمراً زائداً على دولنا" [1]، وبناءً على ذلك فإن النفوذ الفرنسي بدأ يؤثر بشكل واضح في قرارات القصر التونسي، واحتجاج الإنجليز لدى الباي على هذا التغلغل الفرنسي في صنع القرار التونسي يصب في إطار التنافس الاستعماري قبل التوافق الفرنسي الإنجليزي على تقسيم المصالح كما سنشير له لاحقاً.

وقد وصل بضعف الباي التّونسي أن اشتكى إلى قناصل الدول (بريطانيا، النمسا، إيطاليا) على أنّ القنصل الفرنسي منع سفر الوزير خير الدين التونسي إلى الأستانة لتقديم واجب الطاعة والولاء، حيث قال:"...إنّ بلادي والحالة هذه تشبه أن تكون في حالة حصار، ولا أظنّ أن إمبراطور الفرنسيس يرضى بذلك ويأمر به والسبب في سفر خير الدين هو شكر الدولة العثمانية، وإظهار الطاعة، وتقوية أسباب الوصلة

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص39.

والالتحام"[1]، ولا يفوتنا أن ننوه على ما جاء في بنود معاهدة الحماية -كما سنوضحه لاحقاً- وقد طُبّق قبل فرضها بحوالي عشرين سنة، من خلال ما ذكره أمير البيان من وقائع في مدونته.

ومن مظاهر التأثير المباشر على السلطة التونسية من قبل الفرنسيين ما جاء في قرار الباي التونسي محمد الصادق في **21** نوفمبر **1864**م، حيث قام باستبدال اللباس الرسمي لطائفة من الجيش النظامي التونسي بلباس فرنسي استخدمته السلطات الفرنسية في الجزائر، وشبيه بالزي الذي لبسه العسكر الذي دخل مصر، وفي **17** فيفري من سنة **1866**م شمل هذا اللباس الضباط الذين برتبة أمير لواء وما دونهم[2]، ومن البديهي أنّ هذا الأمر يعبّر عن مدى الخضوع والتبعية التونسية للفرنسيين قبل فرض الحماية بسنوات عدّة.

وإلى حدود سنة **1865**م، كان التنافس الفرنسي البريطاني في تونس على أوجّه، حيث قامت الملكة البريطانية فكتوريا[3] بإهداء أشرف وأفخر نياشين الإمبراطورية إلى باي تونس محمد الصادق باشا، حيث قلّده هذا النيشان القنصل ريتشارد وود في **27** جويلية **1865**م بمدينة باردو، وهذا رغبة من المملكة في تقوية المودة بين الدولتين كما كتب أرسلان :"....تقوية المودة القديمة الخالصة من الشوائب، يوماً فيوماً، وتأخذ في النمو والتمكن بدوام المخالطة الخالصة بين الدولتين الحبيبتين..." [4]، ولابد من التأكيد على أنّ عديد الأخبار التي يذكرها أمير البيان نجده يقتبس من القرارات أو الأمريات أو الرسائل بعض ما جاء فيها حرفياً، لذا من الواضح أنّ الدول الأوروبية تستخدم جميع الوسائل لتحقيق مآربها وبسط نفوذها، إمّا تهديداً أو ترغيباً وتودّداً عبر منح الهدايا والعطايا، كما جاء فيما سبق حول مضمون رسالة الملكة، والقصد منها تعزيز العلاقة التي مسّها الفتور ومحاولتها تقوية الصلة بينهما.

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 39، 40.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص40.

[3] الملكة البريطانية فيكتوريا (1819-1901م): لُقبت بملكة بريطانيا العظمى وإيرلندا منذ سنة 1837م، وإضافة لقب وإمبراطورة الهند سنة 1876م، تسلمت مقاليد الحكم وسنها 18 سنة فقط، وكان للملك في تلك الفترة صلاحيات محدودة إلاّ أنها عُرفت بحسن إدارتها للحياة السياسية في لندن، وقد كانت شغوفة جدًا بالفنون، وقد لُقبت بأمّ أوروبا. الموقع الإلكتروني: معرفة، الرابط: https://www.marefa.org/%DA%A4%D9%8A%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7_%D9%85%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%85%D9%84%D9%83%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9، تاريخ الزيارة: 2023/02/05م، 20:10.

[4] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص40.

ومن هذا المنطلق كان الفرنسيون يولون تونس أهمية بالغة باعتبارها امتداداً للجزائر في الجهة الشرقية، وأن المسألة مسألة وقت فقط، خاصة بعد التدخل المباشر للعثمانيين في طرابلس الغرب، وإعادة الولاية للحكم المباشر، ومحاولتهم إعادة تونس كذلك تحت الحكم المباشر، فردّ الفرنسيون عليهم بالتهديد واللجوء إلى استخدام السلاح لو تعذّر الاتفاق عن طريق التفاوض، وقد كان الأسطول الفرنسي دائما على أهبة الاستعداد، فكلما اقتربت السفن العثمانية من الأراضي التونسية تحرك الأسطول الفرنسي كذلك من ميناء طولون وإرسائه في ميناء حلق الوادي بتونس [1]، رغم أن الفرنسيين تلقوا هزيمة عسكرية كارثية أمام الألمان في موقعة سيدان سنة **1870**م[2]، وخسارتهم لإقليمي الألزاس واللّورين، فإنّهم توجّهوا باهتمامهم وتركيزهم نحو البلاد التونسية، في حين الحليف الاستراتيجي لتونس وهو الطرف العثماني، تلقّى كذلك هزيمة نكراء على يد الإمبراطورية الروسية سنة **1877**م[3]، وتتابعت المصائب عليها مما نتج عنه التراجع في قوتها العسكرية ومكانتها الدولية.

وعلى هذه السياسة الفرنسية المنتهجة تجاه تونس، عملت حكومة فرنسا ما بوسعها للقضاء على النفوذ العثماني بها، وبحجة الدفاع عن الوضع القائم في تونس، عملت على أن يستمر هذا الوضع إلى غاية سنة **1881**م، حيث بدأت تبحث عن مبررات لها للتدخل في الشؤون الداخلية لتونس والعمل على تنفيذ مخططاتها الاستعمارية[4].

2-2 ذرائع التدخل وفرض الحماية عبر معاهدة باردو:

من بين الحجج الواهية التي برّرت تدخلها السافر المسلح في تونس، هي الأزمة الحدودية بين تونس والجزائر التي أشعلت فتيلها المناوشات بين القبائل المقيمة على الحدود في شهر مارس من سنة **1881**م، حيث أسفر القتال عن توغل القبائل التونسية داخل الأراضي الجزائرية، مما أعطى لفرنسا المبررات لتدخلها في الشأن

---

[1] محمد عصفور سلمان، مرجع سابق، ص4.

[2] جرت معركة سيدان بين الجيش البروسي الألماني بقيادة بسمارك والجيش الفرنسي بقيادة الإمبراطور نابليون الثالث والذي أُسر على إثر هذه المعركة، وخسر الفرنسيون إقليمي الألزاس واللورين، وأعلنت الجمهورية الثالثة، وانتهى عهد الإمبراطوريات إلى الأبد، وبعد هذه المعركة توحدت كل المقاطعات الألمانية، وبدأ عهد جديد في ألمانيا وفي أوروبا بعد التغييرات التي حدثت في الخريطة السياسية الأوروبية. جفري برون، **تاريخ أوروبا الحديث**، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م، ص ص432- 433.

[3] الحبيب تامر، مصدر سابق، ص 24.

[4] محمد عصفور سلمان، مرجع سابق، ص4.

التونسي[1]، ويروي المؤرخ علي المحجوبي هذه الأحداث بالتفصيل حيث يذكر أن القصة بدأت عندما اغتيل مواطن تونسي من أولاد سدرة قبيلة بني خمير، بسبب علاقته مع فتاة من قبيلة ناهد الجزائرية، فوُجد بصحبتها حيث كانا على موعد بمقاطعة قسنطينة، فقُتل من قبل بعض رجال قبيلتها في فيفري **1881**م،[2].

فانجر عن هذه الجريمة مناوشات بين القبيلتين كما ذكرنا، أدّت في النهاية إلى تدخل السلطات الفرنسية التي تذرّعت من قبل بضرورة حماية الحدود الجزائرية، لتبرر تدخلها في تونس، متهمة القبائل التونسية بتكرار هجماتهم وبالأخص قبائل بني خمير، مما خلّف مواجهات عسكرية بين الجيش الفرنسي والقبائل التونسية في أواخر مارس سنة **1881**م[3]، وهذا ما نتج عنه احتلال القوات البحرية الفرنسية لميناء بترت، وقامت القوّات البرية القادمة من الجزائر بالاحتلال مدينة تونس[4].

ثم انتقل العمل إلى أروقة البرلمان الفرنسي، حيث استغلّ جول فيري Jules Ferry [5] الوضع ليقترح على البرلمان الفرنسي مشروع احتلال البلاد التونسية على أن تُخصص فرنسا اعتمادات مالية قيمتها خمسة ملايين فرنك فرنسي لتجهيز الجيش، ومعاقبة القبائل التونسية القاطنة على الحدود الجزائرية، رغم أن هذه المناوشات على الحدود التونسية الجزائرية لم تكن وليدة تلك الحادثة، فالسلطة في الجزائر سجلت بين سنتي **1870**م و**1881**م ما لا يقل عن **2380** اعتداء حدودي من الطرفين، بمعدّل **200** حادثة في السنة، والملاحظ أن كل تلك الاعتداءات لم تُعر لها الحكومة الفرنسية أي اهتمام إلاّ هاته الحادثة[6].

كذلك لم تردّ فرنسا على تعهد الباي التونسي محمد الصادق بدفعه لتعويضات مادّية على تلك الاعتداءات وضمان الأمن على الحدود [7]، ونافلة القول أن فرنسا تذرّعت بهذه الحادثة لّما تأكدت أنّه حان

---

(1) محمد عصفور سلمان، المرجع نفسه، ص4.

(2) علي المحجوبي، مرجع سابق، ص40.

(3) علي المحجوبي، المرجع نفسه، ص40.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص49.

(5) جول فيري (1832م-1893م): سياسي فرنسي من أشدّ أنصار الحركة التوسعية الاستعمارية، وتتجه فلسفته نحو أنّ الشعوب الأوروبية تتبنى وتتمتع بواجب الوصاية نحو الشعوب المتخلفة في إفريقيا وآسيا وأمريكا، حيث تقوم بتأهيلها وترقيتها، ويستند إلى أنّ قاعدة (الحرية والمساواة والأخوة) لا تصلح للأمم المتخلفة، وقد تقلد منصب عمدة باريس، وارتقى إلى أن اعتلى لمنصب وزير الحكومة لمرتين، وكان له دور كبير في توسيع النفوذ الفرنسي. فغرور دحو، **"جول فيري: مهندس الإمبراطورية الفرنسية"** ، مجلة عصور الجديدة ، المجلد 1، العدد 1، 2011م، ص ص111- 112. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/178/1/1/54462.

(6) علي المحجوبي، مرجع سابق، ص40.

(7) الحبيب تامر، مصدر سابق، ص 27.

الوقت لتحقيق مآربها في تونس ووجوب البحث عن أسباب مهما كانت واهية وغير ذات أهمية، لتكون مبررا للرأي العام العالمي والفرنسي خصوصاً، للتغطية عن أفعالها والتبرير عن ممارساتها.

وبناءًا على ذلك فرضت فرنسا الاحتلال على البلاد التونسية بصيغة الحماية التي شعارها "لا جلاء ولا إلحاق"[1]، بعد قيام الجيش الفرنسي بحصار القصر في باردو تحت قيادة الجنرال الفرنسي بريار، حيث فرض القنصل الفرنسي روستان على الباي التوقيع على بنود المعاهدة المعروفة بمعاهدة باردو في **12** أفريل [2]، رغم أنّه في هذه السنة أي في **1881**م لم يكن بإمكان الفرنسيين الخوض في مغامرة عسكرية كالتي مرّت بها في الأرض الجزائرية، حيث كانت الفاتورة باهظة جداً، في حين لم يستفد منها إلا ثلّة من الرأسماليين والمضاربين، أضف إلى ذلك الوضع المالي التونسي المثقل بالديون الذي لم يشجع الفرنسيين على إلحاق تونس غصباً، ولا يكلف الخزينة الفرنسية إلاّ الحد الأدنى، مع إعطاء الحرية كاملة للتونسيين داخلياً، وهذا ما من شأنه تمكين الإدارة التونسية تسديد ديونها بوسائلها الخاصة اعتماداً على مواردها الذاتية[3].

لذا الصيغة التي تمّت عليها بناء بنود معاهدة الحماية كانت غير واضحة ومرنة للغاية، حيث تُمكّن للسلطات الفرنسية السيطرة على مقاليد الحكم في تونس دون معارضة للبرلمان ولا الرأي العام الفرنسي، كما تُجنّب نصوص المعاهدة معارضة الدول الاستعمارية الكبرى حيث تسمح بدفع أموال الدائنين من طرف المدينين من تونس، مع تسديد تكاليف إدارة النظام الاقتصادي والسياسي للحماية دون مساهمة مالية فرنسية، والجدير بالذكر أن سيادة الباي شكلية رغم أنها مبدأ أساسي للسياسة الفرنسية في تونس[4].

ويجب التنويه هنا بأن باي تونس راسل السلطة العثمانية في هذا الشأن، فبتاريخ الخامس من مارس من سنة **1881**م كتب الباي قائلاً: " لقد وضعت مصيري ومصير الولاية بأيدي الصدر الأعظم والسلطان، إنّنا سنترحم باسم الإنسانية ... المساعدة من جلالتكم حتى تتبنوا الإجراءات السريعة للتوسط والتي ستتكفل

---

[1] أحمد القصاب، **تاريخ تونس المعاصر**، (**1881–1956**)، تعريب حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 1، 1986، ص ص 11-12

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص49.

[3] أحمد القصاب، مرجع سابق، ص ص 11-12.

[4] أحمد القصاب، المرجع نفسه، ص12.

بوضع حد لويلات الحرب التي اكتسحت الولاية الآن، وللوصول إلى تصريح أوروبي مشترك يضمن مستقبل هذا البلد..."[1].

والملاحظ أن باي تونس رغم علمه بضعف الدور العثماني في تلك الفترة إلاّ أنه ربط مصير تونس بالدولة، وفي المقابل ينتظر تدخل أوروبي وبالأخص البريطاني المنافس الأشد للفرنسيين، في حين يعلم كذلك أن بريطانيا أطلقت يد الفرنسيين هناك لتنال النفوذ في مصر ومناطق أخرى، لذا فإن كل مبادرة أوروبية تُعتبر مجرد فقاعات دبلوماسية كما سنرى.

ومن هذا المنطلق بادر رئيس الوزراء البريطاني إلى التفاهم مع ممثلي الدول الأوروبية قصد الوصول إلى حل يرضي الجميع، لكن فرنسا بادرت بتطبيق إجراءات الحماية وسارعت إلى فرض بنود هذه الاتفاقية، لذا قررت الحكومة البريطانية سحب اقتراحها مع الدول الأوروبية الكبرى[2].

والنّقطة التي يجب الإشارة إليها تتعلق بعدم معارضة الدول الكبرى لإجراءات الاحتلال الفرنسي، وهي الجهود الدبلوماسية غير العلنية بين الدول الاستعمارية التي تنتهي في الغالب إلى اتفاقيات سرية ترضي الجميع، تتمثل في المفاوضات تحت الطاولة، ثم التقسيمات الاستعمارية على أرض الواقع.

وقد نصّت معاهدة باردو الموقعة في **12** ماي **1881**م[3] -التي فُرضت على التونسيين تحت التهديد-، على منح الباي مجموعة من الصلاحيات باستثناء القضايا المالية، واحتفظ الباي باستقلاله الداخلي، وبمجموعة من الصلاحيات، سياسية وإدارية وقضائية؛ وبموجب هذه المعاهدة للجيش الفرنسي الحق في السيطرة على بعض المواقع الإستراتيجية، الواقعة على الساحل التونسي وبين الحدود التونسية الجزائرية بصفة مؤقتة [4]، وهذا ما تضمنته المادة الثانية من المعاهدة[5].

فالمعاهدة تقضي بإقصاء سلطة البلاد التونسية عن ممارسة حقوقها التي تتعلق بالشؤون الخارجية للبلاد؛ ولابد من الإشارة إلى أنّ تونس المحتلة بقيت تحتفظ بشخصيتها الدولية، ورايتها، وشعارها، ونشيدها، ولا

---

(1) محمد عصفور سلمان، مرجع سابق، ص10.

(2) محمد عصفور سلمان، المرجع نفسه، ص10.

(3) نص معاهدة باردو الموقعة بين الفرنسيين والتونسيين كاملاً ينظر : كتاب "**هذه تونس**" للمؤرخ الحبيب تامر من الصفحة 115.

(4) أحمد القصاب، مرجع سابق، ص13.

(5) الحبيب تامر، مصدر سابق، ص 27.

يُمزج التراب التونسي بالتراب الفرنسي، مع احتفاظ التونسيين بجنسيتهم، وتُسكّ النقود باسم الباي، ويحتفظ بحق التمثيل بالخارج، كما يستقبل الدبلوماسيين التابعين للدول الأخرى، وله حق إبرام المعاهدات والتفاوض في تفاصيلها، على أن تتولى السلطة الفرنسية الحامية هذه الصلاحيات المتعلقة بالشؤون الخارجية طول فترة الحماية[1]. وهذا ما يتجه نحو محو مظاهر السيادة التونسية خاصة بعد تعيين القنصل الفرنسي تيودور روسطان (Théodore Roustan) مقيماً عاماً ووزير الخارجية للباي في **08** جوان **1881**م[2].

ولا يفوتنا أن ننوّه إلى أنّ ممارسة التمثيل الدبلوماسي يجب أن يرجع إلى السلطة الفرنسية، من خلال ما نصّ عليه الفصل الخامس من المعاهدة، وليس للباي الحق في إمكانية تعيين من يمثله لدى الحكومة الفرنسية، حيث أن المقيم العام الفرنسي هو حلقة الوصل أو الواسطة بين الباي والحكومة الفرنسية فيما يتعلق بالمسائل المشتركة بين البلدين، كما يقضي الفصل السادس من المعاهدة بتكليف أعوان فرنسا الدبلوماسيين والقناصل برعاية المصالح البلاد التونسية ومصالح الجالية التونسية بالخارج[3].

إلاّ أن الحكومات التي كان لها تمثيل دبلوماسي بتونس سيستمر عملهم طبيعياً كما كان من قبل، لكن تم تعديله لتتمكن فرنسا من ممارسته عبر المقيم العام، من خلال الأمرية المؤرخة في **9** جوان **1881**م والتي أبلغت من خلالها فرنسا الدول أنّها قامت بتكليف المقيم العام بمهمة "الوسيط الرسمي والوحيد"، في العلاقات القائمة بين سموّ الباي وبين الأعوان الدبلوماسيين التابعين للدول الأخرى؛ وفضلا عن ذلك أصبح غير مسموح للباي أو وزرائه الاتصال المباشر بممثلي الدول الأجنبية بتونس [4]، رغم أن المادة الأولى والمادة الرابعة والمادة السادسة من المعاهدة قد اعترفت بكيان تونس الدولي وبالسيادة الخارجية، وفي السياق نفسه فقد حمل صدر ديباجة المعاهدة جملة "معاهدة وداد وصداقة" في حين حملت معاني النصوص الأخرى اعتداء صارخ على السيادة التونسية الداخلية والخارجية[5].

وعلاوةً على ذلك فقد انتزع حق إبرام المعاهدات والتفاوض في تفاصيلها من الحاكم التونسي وأسندت للسلطة الفرنسية، فلا توجد إمكانية إبرام أية معاهدة دون الإطلاع عليها من قبل الحكومة الفرنسية، وأن

---

(1) أحمد القصاب، مرجع سابق، ص13.
(2) خليفة الشاطر وآخرون، مرجع سابق، ص 32.
(3) أحمد القصاب، مرجع سابق، ص13.
(4) أحمد القصاب، المرجع نفسه، ص14.
(5) الحبيب تامر، مصدر سابق، ص 28.

يتفاهما في شأنها مسبقاً معاً، فنتج عن هذا الإجراء فقدان حق التصرف في القضايا المصيرية للباي كإعلان الحرب وإبرام الصلح، حيث أن الدولة الحامية هي من تتولى الدفاع عن الأرض وعن شخصه وأهله[1].

وجدير بالذكر أن الدولة المحمية بقيت تتمتع بشخصيتها الدولية، ومن هذا المنطلق فباستطاعة تونس في أي وقت أن تنقض أي معاهدة أو اتفاقية أبرمت بينها وبين الدولة الحامية، وأن تطالب باسترداد السيادة كاملة، مع سحب الحقوق التي فوّضتها لها والتي تخلت عنها لفترة لم تحدد، أمّا إذا نشب نزاع بين الدولة الحامية وبين تونس، فذلك النزاع بالضرورة يتخذ الصبغة الدولية، بحكم أن الحماية تمت بين دولة ودولة أخرى، وإذا ما اندلعت الحرب فعليا بين الدولتين فستنتهي فاعلية اتفاقية الحماية بينهما تلقائياً[2].

كما تجدر الإشارة إلى أن الدول التي لها مصالح إلى جانب فرنسا في تونس، قد أمضت عدة معاهدات صداقة على غرار إيطاليا وإنجلترا التي كسبت امتيازات بمقتضى معاهدة باردو حسب ما جاء في الفصل الرابع من الاتفاقية، وهذا لا يعني إمكانية التدخل في الشأن التونسي، ففرنسا صارت لا تقبل أية سلطة تُؤثّر على قراراتها في تونس، سواء تلك المتعلقة بالمسائل الخارجية أو الداخلية للبلاد التونسية، فمنذ مجيء بول كمبون في **12** فيفري **1882**م إلى تونس كمقيم عام، حرص على التخلص من اللجنة المالية الدولية [3] وذلك عبر توقيع اتفاقية المرسى التي سمحت لفرنسا أن تضمن للدائنين لتونس استبدال أو تسديد الديْن الثابت أو الديْن المتقلب

---

[1] أحمد القصاب، مرجع سابق، ص14.

[2] أحمد القصاب، المرجع نفسه، ص15.

[3] **اللجنة المالية الدولية** : كانت القضايا المالية التونسية سنة 1881م تخضع لرقابة أجنبية بعد أن هيمنت عليها سنة 1869م إنجلترا فرنسا وإيطاليا، فبعد عجز التونسيين عن تسديد ما عليهم من ديون، أنفقت الدول الأوروبية لجعل المالية التونسية تحت نفوذها بهدف حماية مصالح مواطنيها في تونس، وبإيعاز من هذه الدول أسس محمد الصادق باي سنة 1869م لجنة مالية دولية، حُددت خصائصها بموجب القانون الصادر في مارس 1870م حيث قُدّرت ديون البلاد في تلك الفترة بما يقارب 125 مليون فرنك، لذا قُسمت مداخيل الإيالة إلى قسمين، القسم الأول خاص بنفقات الدولة، والقسم الثاني خُصّص لتسديد الديون، تشكّلت هذه اللجنة من موظفين تونسيين وأجانب، دام عملها طيلة الفترة الممتدة بين سنتي 1870م و1884م حيث كانت لها مهام وزارة المالية، فزيادة على إدارتها وتصرفها في المداخيل المخصصة للديون، كانت تراقب عن كثب موارد الدولة بشكل مباشر، ولم يكن للباي الصلاحية في الاقتراض أو الاستدانة أو منح امتيازات للأجانب.

ولهذه اللجنة المالية جهازين أساسيين هما : **اللجنة التنفيذية، ولجنة المراقبة**، تتألف اللجنة التنفيذية من ثلاثة أعضاء، الوزير الأكبر ومساعد تونسي، ومتفقد مالية فرنسي، مهامها جباية الضرائب المخصصة لتسديد الديون التونسية، كما تعتبر هذه اللجنة بمثابة وزارة المالية لحكومة الباي.

أما **لجنة المراقبة** فتتشكل من ستة أعضاء منتخبين، يمثلون مقرضي الحكومة التونسية، إثنان من فرنسا واثنان من انجلترا واثنان من إيطاليا ولهذه اللجنة الحق في مراقبة كل العمليات التي تقوم بها اللجنة التنفيذية، والتثبت منها والمصادقة عليها إن لزم الأمر. علي المحجوبي، مرجع سابق، ص ص 9، 10.

كما جاء في الفصل الثاني من معاهدة المرسى [1]، وخلاصة القول أن فرنسا اتجهت نحو الاستفراد بالبلاد التونسية ومنح بعض الامتيازات للدول التي كانت لها مصالح معينة في تونس.

على غرار الولايات المتحدة الأمريكية التي وقّعت اتفاقاً ثنائياً مع الحكومة الفرنسية في **15** مارس **1904**م يقضي بتحديد العلاقات بين الدولتين فيما يتعلق بالبلاد التونسية[2].

كذلك دولة إيطاليا التي أبرمت اتفاقاً ثنائياً مع فرنسا يضمن مصالح رعاياها بتونس، وتم توقيع هذا الاتفاق بين الطرفين في **28** أفريل سنة **1896**م[3]، وقد ألغت السلطات الفرنسية هذه المعاهدة بتاريخ **9** أفريل **1918**م أواخر الحرب العامة والمتعلقة أساساً بالإيطاليين المقيمين في تونس وبالمدارس والمؤسسات الثقافية [4]، لكن الأمير شكيب لم يذكر سبب هذا الإجراء الفرنسي ضد إيطاليا رغم أن هذه الأخيرة انضمت إليهم في الحرب الأخيرة ضد دول المحور.

ثم تمّ توقيع اتفاقية ثنائية بين الدولتين، أي فرنسا وإيطاليا في **12** أوت **1919**م تقضي بضبط الحدود الفاصلة بين مستعمراتهما في شمال إفريقيا [5]، ثم تجدد العمل ببنود هذه الاتفاقية شهر جانفي **1935**م، وتم التوقيع على بنودها التي تتعلق برسم الحدود بين ليبيا والمستعمرات الفرنسية في إفريقيا، إضافة إلى التطرق إلى قضية مصالح إيطاليا في تونس[6].

ورغم كل هذا فإن العلاقة ازدادت توتراً مع قرب اندلاع الحرب العالمية الثانية وانضمام إيطاليا لحلف المحور، حيث ناشدت محطة إذاعة إيطاليا في التاسع من أفريل **1939**م مسلمي تونس بأن يشاركوا في مظاهرات ضد الفرنسيين في تونس [7]، وفي الثاني من جويلية **1944**م وقرب نهاية الحرب العالمية الثانية نشرت الجريدة الرسمية الفرنسية قراراً يقضي بإلغاء بنود الاتفاقية الموقعة بين فرنسا وإيطاليا في **28** أفريل سنة **1896**م،

---

(1) أحمد القصاب، مرجع سابق، ص18.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص62.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص 59.

(4) المصدر نفسه، ص89.

(5) المصدر نفسه، ص105.

(6) المصدر نفسه، ص230.

(7) المصدر نفسه، ص280

والتي تتعلق بالوضع الشخصي للأفراد ذوي الأصول الإيطالية في تونس [(1)]، وعليه فإنّ الفرنسيين بهذه الإجراءات يرومون التضييق على مصالح الدول المنافسة، وبالتّالي الاستحواذ على الوطن التونسي والقضاء على مطامح الأهالي ومطامع الأوروبيين.

2-3 معاهدة المرسى "جوان 1883م" واستكمال السيطرة الفرنسية على تونس:

في **08** جوان **1883**م وقّعت الحكومة الفرنسية مع باي تونس معاهدة المرسى، التي تقضي بمنح فرنسا حق الحماية على تونس، حيث نصّت مادّتها الأولى:" على أنّ حضرة الباي المعظم لما كان قصده أن يسهل للحكومة الفرنسية إتمام حمايتها تكفل بإجراء الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة الفرنسية فائدة في إدخالها..."[(2)]، هي طبعاً تتمة للتنازلات السيادية للفرنسيين، ليخلوا لهم المجال في تسيير شؤون البلاد التونسية لوحدهم دون تدخل القوى المنافسة.

ضمنت بنود معاهدة المرسى وضع حد لعمل اللجنة المالية الدولية، وأعادت تنظيم الشؤون المالية التونسية بغرض ضمان مصلحة القرض الذي تكفلت به فرنسا، لتتولى تسديد الحاجيات الخاصة بالإدارة التونسية، وإقناع الباي بإصلاحات واسعة تمس مجالات الإدارة والقضاء والمالية، ليتسنى للحكومة الفرنسية فرض حمايتها، كما نص الفصل الأول من الاتفاقية[(3)].

ولابد من التأكيد على أن اتفاقية باردو لم تنص على تدخل الدولة الحامية في الشؤون الداخلية لتونس بصريح العبارة، وباستطاعة الباي رفض أي تدخل في أي وقت في قضايا الداخل التونسي، وهذا خلافاً لما جاءت به بنود اتفاقية المرسى في **08** جوان **1883**م[(4)]، التي أبرمت بين الباي علي الذي خلف الصادق باي

---

(1) المصدر نفسه، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص337.

(2) المصدر نفسه، ص53.

(3) أحمد القصاب، مرجع سابق، ص ص 17، 18.

(4) بعض ما جاء في مضمون اتفاقية المرسى الموقعة في 08 جوان 1883م :

الفصل الأول: يتعهد سمو باي تونس بإجراء الإصلاحات الإدارية والقضائية والمالية التي تراها الحكومة الفرنسية صالحة، حتى يتسنى لها إنجاز حمايتها.

الفصل الثاني: تضمن الحكومة الفرنسية في ذلك التاريخ وبحسب الشروط التي تبدو لها أحسن، القرض الذي سيبرمه سموّ الباي لاستبدال أو تسديد الدين الثابت الذي البالغ 120 مليون فرنك والدين المتقلب البالغ 17.55 مليون فرنك على أقصى تقدير، ويمتنع سمو الباي من إبرام أي قرض في المستقبل لحساب الإيالة دون الترخيص له بذلك من الحكومة الفرنسية.

الفصل الثالث: يقتطع سمو الباي من مداخيل الإيالة :

المتوفى في أكتوبر من عام **1882**م، وبين المقيم العام بول كمبون، خوّلت لفرنسا التدخل في المسائل الداخلية لتونس[1].

ومن هذا المنطلق تمكن المقيم العام بول كمبون من تجاوز المرحلة الثانية واكتمال السيطرة الفعلية على البلاد التونسية دون خوف من أي عقاب، واستغلال ضعف شخصية الباي علي، إضافة إلى انعدام المهابة التي ميزت شخصية الوزيرين الأكبرين محمد الجلولي ومحمد العزيز بوعتور، اللذان وصفهما المؤرخ أحمد القصاب بالوديعين[2].

ومن البديهي أن الدول الأوروبية تقبّلت الأمر الواقع، بعد أن لجأ الجيش الفرنسي إلى شن عملياته العسكرية ضد المقاومة التونسية الرافضة لهذا الإجراء، ونتيجة لذلك أصبحت البلاد التونسية خاضعة للسيادة الفرنسية وسيادة الباي الذي احتفظ بالسلطة التشريعية، وهو الذي يصدر ويصادق على القانون المطبق بالإيالة، في حين لفرنسا حق الاضطلاع بعمل السلطة التشريعية، حيث هي من تتخذ إجراءات التغيير الطارئة على المؤسسات المالية والقضائية والإدارية، حيث أن لفرنسا المبادرة في سن القوانين وما على الباي إلا القبول والمصادقة عليها[3].

وبمرور الوقت صارت صلاحيات الباي في السلطة التشريعية لا تتعدى الشأن التونسي المتعلق بمصالح التونسيين، في حين الأمور التي تتعلق بمصالح الأوروبيين وبالأخص الفرنسيين، فللحكومة الفرنسية وحدها الحق في سن قوانينها ثم يصادق عليها الباي، فانجر عن هذه الممارسات بسط السيادة الفرنسية على تونس بصورة تكاد تكون مطلقة، خاصة بعد إصدار الأمر العلي بمبادرة من المقيم العام في **10** نوفمبر **1884**م الذي أعطى حق المصادقة باسم الحكومة الفرنسية على إصدار وتنفيذ جميع الأوامر التي يصدرها سمو الباي للبلاد

---

1 - المبالغ اللازمة لضمان مصلحة القرض الذي كفلته فرنسا

2 - مبلغ مليوني ريال (1.200.000 فرنك) لمخصصات الملك.

على أن يخصص الفائض من المداخيل لنفقات إدارة الإيالة ولتسديد أعباء الحماية .

الفصل الرابع: تؤكد هذه الاتفاقية وتتمم، حسبما يقتضيه الحال معاهدة 12 ماي 1881م ولا تغير التراتيب المتخذة سابقاً لتسديد الغرامة الحربية. أحمد القصاب، مرجع سابق، ص ص 20، 21.

(1) أحمد القصاب، المرجع نفسه، ص19.

(2) المرجع نفسه، ص20.

(3) المرجع نفسه، ص21.

التونسية[1]، حيث أن كل الأوامر الخاصة بالباي غير نافذة إلا بعد المصادقة عليها من طرف المقيم العام الفرنسي في تونس نيابةً عن الحكومة الفرنسية[2].

كذلك فيما تعلّق بالأمور المالية، فلم يبقى للباي أية سلطة، حيث أصبحت الحكومة الفرنسية تتصرف بمفردها في المسائل المالية التونسية، و لم يعد للباي حق الاقتراض دون حصوله على موافقة من طرف الفرنسيين[3].

رغم أن هذه الصلاحيات انتزعت منه منذ سنة **1869**م، أي خلال تأسيس اللجنة المالية الدولية وإصدار قانونها في مارس **1870**م، أي لا يستطيع إبرام اتفاقية قرض أو منح أي امتياز دون موافقة اللجنة المالية [4]، ناهيك عن إجباره على عرض ميزانية إيالة تونس على الحكومة الفرنسية ممثلة في شخص المقيم العام، قصد مراقبتها؛ أما المؤسسة القضائية فلفرنسا الحق في إجراء أي تغيير من شأنه يخدم مصالح الدولة الحامية، كما فعلت مع المحاكم القنصلية للدول الأوروبية التي لديها امتيازات قضائية على غرار اليونان، إيطاليا، بريطانيا، روسيا، هولندا، والدول الاسكندينافية، حيث قامت فرنسا بإلغاء محاكمها، وتخلت عن حقوقها القضائية لفائدة فرنسا، وهذا ما جاء في مضمون الأمر العلي المؤرخ في **05** ماي **1883**م، حيث قرر ما يلي: "...إنّ مواطني الدول الصديقة التي ستلغي محاكمها القنصلية سيرجعون بالنظر إلى المحاكم الفرنسية..."[5].

والملاحظ من الأمر العلي المؤرخ في **31** جويلية **1884**م، أنه تقرر بموجبه أن تنظر المحاكم الفرنسية في جميع القضايا المدنية والتجارية التي يشترك فيها التونسيون والأوروبيون، ويجب على كل تونسي مهما كانت وضعيته سواء كان مدّعياً، أو مدّعى عليه، في قضية تهم أحد الأوروبيين أو الفرنسيين، أن يمتثل أمام المحاكم الفرنسية لدى ولاية تونس[6].

كل هذه الإجراءات الفرنسية، والتحولات السياسية، ونقض لبنود معاهدة الحماية الأولى، خلفت ردود فعل تونسية تمثلت في المقاومة الشعبية، وفيما بعد بروز الحركة الوطنية التونسية، دون أن نتجاهل ما قامت به

---

(1) أحمد القصاب، مرجع سابق، ص22.
(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص54.
(3) أحمد القصاب، مرجع سابق، ص23.
(4) علي المحجوبي، مرجع سابق، ص 10.
(5) أحمد القصاب، مرجع سابق، ص23.
(6) أحمد القصاب، المرجع نفسه، ص 2.

القبائل من مقاومة قبل إبرام معاهدة باردو في وسط البلاد، وظهرت زعامات ثورية قادت المقاومة ضد الجيش الفرنسي على غرار القائد علي بن خليفة(1)، لكن لم يكن للمقاومة العسكرية دور مهم في دفع قوات الاحتلال الفرنسي.

والجدير بالذكر أنّه لمّا ثار علي بن خليفة ضد الاحتلال الفرنسي، أعطت هذه الثورة الحجة لاحتلال الجنوب التونسي كما ذكر أمير البيان في مدونته أحداث العالم العربي ووقائعه، أضف إلى ذلك مقاومة أبي إمامة التي كانت ضد الوجود الفرنسي كذلك في جويلية **1881**م، حيث لم تستطع السلطات الفرنسية القضاء عليه إلاّ في سنة **1883**م(2).

ومع مطلع القرن العشرين ذكر أمير البيان معلومة تخص ثورة لأهالي منطقة القصرين، وكان ذلك في سنة **1907**م، حيث قامت في مدينة القصرين ثورة ضد الاحتلال الفرنسي بقيادة علي بن عثمان أحد شيوخ القبائل، كانت الثورة عبارة عن ردّة فعل على سياسة مصادرة الأراضي ومنحها للمعمّرين، فوجّهت السلطات الفرنسية حملة عسكرية ضد الثائرين في القصرين انتهت بإخمادها، واعتقال زعيمها الذي حُكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص(3).

لذا اتجهت فئة عريضة من النخبة نحو الإصلاح والعمل السياسي، وكان للاحتلال الفرنسي ممارسات فظيعة اضطهد من خلالها الشعب التونسي عبر سياسات انتهجت سابقاً في مواطن عديدة على غرار الجزائر، وقد أبدى أمير البيان شكيب أرسلان مواقف تجاه هذه السياسة، فاهتم بتونس عبر تعرضه للإقليم التونسي في كثير من المقالات والمؤلفات، ودوّن في مضامينها موقفه من التجنيس والتنصير والتجنيد الإجباري وغير ذلك،

(1) علي بن خليفة (1807م-1885م) من القادة المغمورين في الساحة السياسية التاريخية التونسية، هو علي بن خليفة النفاتي نسبةً إلى قبيلته (نفات)، منحدرة من قبيلة بني سليم النجدية العربية، كان ولاؤه للباب العالي للأستانة، وتمسك بهذا الولاء للخلافة الإسلامية حتى وفاته، ومن أعماله المشاركة في قمع ثورة علي بن غذاهم لأسباب شخصية وتهديد هذه الثورة الوحدة الإسلامية، وثاني أبرز عمل هو خلع بيعته للباي بعد توقيع هذا الأخير وثيقة الحماية، وقال مقولته المشهورة(الآن أصبحت طاعة الباي كفرًا)، وقد اتصل بشيوخ القبائل لتوحيد الصف، وإشرافه على اجتماع القيران في جوان 1888م، قام بتجنيد الشباب، وفك حصار قابس، وفي سنة 1884م غادر نحو الحدود التونسية الليبية ووافته المنية هناك وهو على ظهر حصانه. الموقع الإلكتروني: باب نت Babnet، الرابط: https://www.babnet.net/festivaldetail-171404.asp، تاريخ الزيارة: 2023/02/05م، 21:10.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص49.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص65.

حتى مُنعت بعضٌ من كتاباته دخول تونس لما تحويه من تسفيه لفرنسا وبغض لقياداتها، فأبدى الأمير عن مواقفه صراحة، وسنبذل ما لدينا من جهد لجمع ما نستطيع في هذه الأسطر.

3) مواقف أمير البيان من السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس :

بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس العثمانية بدأ عهد جديد مع السياسة الاستعمارية، فالحماية هي مجرد شكل من أشكال الاستعمار، تغيّرت طرق تنفيذ المخططات الاستعمارية و لم تتغير أساليب السلب والنهب والاستغلال والسيطرة والتسلّط، ورغم كل هذا الظّلم والاستبداد الاستعماري في تونس لم يمنع من بروز نخبة تحمّلت مسؤولية الدفاع عن حقوق الأمة التونسية، من خلال نشاط إصلاحي توعوي، ومسار سياسي حافل بالحيوية، وكان لبعض الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية التونسية علاقة جيدة مع رموز الحركة الإصلاحية في المشرق، على غرار السياسي والأديب الشاعر أمير البيان، الذي اهتم بالبلاد التونسية عبر التأليف، وكانت له مواقف ثابتة تجاه السياسة الاستعمارية في تونس.

يقول أمير البيان في إحدى مقالاته المنشورة في مجلة الشورى"....لا أدّعي التعرض لجميع ما جرى ويجري في تونس من مظالم الفرنسيين، واعتدائهم على حقوق البشر، وإرهاقهم الأهالي هناك، عسفاً يفوق جميع ما رواه الرّاوون، ورآه الراءون، فإنّ ذلك غاية لا تدرك، وأمدٌ لا يملك، وإنني لأوصي من شاء أن يرتوي بعض الشيء من معين هذا الموضوع، أن يقرأ كتاب (تونس الشهيدة)..."، ثمّ أوصى الأمير بوجوب تعريب هذا المؤلف، وأن يُوزّع منه الألوف من النسخ على الناطقين باللغة العربية، ليعلم أكبر عدد من الناس ممارسات الفرنسيين في أرض تونس، وما مدى التعارض بين شعارت الحرية والمساواة التي تدّعيها فرنسا، وبين ما يحدث في مستعمراتها[1].

3-1 لمحات تاريخية حول البلاد التونسية بعيون أرسلانية:

كان الأمير كاتبًا موسوعيًّا، حيث خاض في عديد المسائل التاريخية والسياسية، وغاص في مجال الأدب والشعر حتّى لُقّب بأمير البيان، وفي مضامين كتاباته لم يترك وطناً من البلاد العربية والإسلامية إلاّ وخصّص له

---

(1) شكيب أرسلان، **"نكتة من نكات العدل الفرنسي في تونس"**، مجلة الشورى، العدد12، 7 جانفي، 1925م، ص1، من موقع مجلة الشورى الإلكتروني، رابط المقال : https://eltaher.org/publications/newspapers/pdfs/ashoura/Ashoura_1925-01-07.pdf، تاريخ الزيارة : 2023/01/12م، 16:07. شكيب أرسلان، **ولاء حتى الفناء**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط 1، 2011م، ص9.

موضوعاً في ثنايا مؤلفاته، أو مقالاً في إحدى المجلات التي كان يمطرها بكتاباته؛ والوطن التونسي رغم قلّة ما كتب عن قضاياه إلاّ أنّه أتى على ذكره في عديد المواضع، وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أنّ أمير البيان زار البلاد التونسية خلال الحرب الطرابلسية أي سنة **1912**م بغرض جمع المواد الغذائية للجيش المرابط في ليبيا ضد إيطاليا، وقد ساعده على ذلك علي جبارة التونسي[1]، ففي هذه الأسطر سوف نتطرق لبعض إشارات شكيب حول البلاد التونسية ضمن مؤلفاته.

أشار الأمير إلى أصول ساكنة شمال إفريقية فقال أمير البيان:"...كذلك شمالي إفريقية من برقة إلى السوس الأقصى بلاد فيها عرب وبربر، وقد تحقّق أنّ قسماً كبيراً من البربر هم ساميون، من أصل فينيقي، ولا يخفى أن قرطاجنة هي معمورة فينيقية بناها أهل صور، وعلى فرض لم يكن البربر كلهم فينيقيون، أو لم يصح أن يكونوا كلهم حيموريّين كما يزعمون، فقد استعربوا الآن، وصارت ثقافتهم عربية تامة..." [2]، وفي الملحق الخاص بتعليقات الأمير حول كتاب تاريخ ابن خلدون، ذكر مراحل السيطرة العثمانية على دول شمال إفريقيا وبالأخص تونس لمّا كان يحكمها الحفصيون[3].

فذكر الأمير كيف أنّ للسلطان محمد الحفصي صاحب تونس قد استخدم الأخوين خير الدين وعروج بربروس في خدمته لمواجهة هجمات الأوروبيين على سواحل شمال إفريقيا بعدما كانا يشتغلان على اللصوصية البحرية[4]، حيث واجه الإخوة بربروس أمير الأساطيل المسيحية أندريا دوريا Andrea Doria[5]، واستطاعا السيطرة على سواحل الجزائر، وبعد مقتل عروج في معركة ضد الجيش الإسباني في تلمسان، انفرد أخوه خير

---

(1) سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، ص115.

(2) الشرباصي، **شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام**، ص 83.

(3) أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، الملحق 1، ص 192.

(4) اللّصوصيّة البحرية وهي القرصنة البحرية، والتي كانت من وجهة نظر كل الأطراف أنها أمر واقع، حيث يمارس كلّ من الأوروبيين المسيحيّين أو المسلمين هذا الشكل من الحرب، فبالنسبة للمسلمين كان يُصطلح عليه بالجهاد البحري، بحيث يحاول كل طرف السيطرة على حوضي البحر الأبيض المتوسط ليفرض على الآخر دفع ضرائب مقابل أمنها وسلامتها عند المرور، كما فعلت البحرية الجزائرية طيلة ثلاثة قرون، وكانت السبب في تحالف دول أوروبا ضد الجزائر في مؤتمر فيّنا(1814- 1815م) بعد الحرب النابليونية، ومطالبتهم الجزائر بوقف القرصنة البحرية، فكانت بداية تراجع القوة البحرية الجزائريّة.

(5) أندريا (أندري) دوريا (1466م-1560م): قائد بحري شهير، أسرته من مدينة جينوة الإيطالية، عريقة في المجد والشرف، خدم القائد أندري الإمبراطور الروماني شارلكان وضد الملك الفرنسي فرانسوا الأول، ثم العكس، واشتهر بحروبه المستمرة ضدّ السفن الإسلامية في البحر المتوسط ومهاجمة السواحل الإسلامية في شمال إفريقيا خاصة، درات بينه وبين الأساطيل العثمانية معارك عديدة أشهرها معركة بروزة سبتمبر 1538م أمام القائد خير الدين بربروسا، وقد مُني فيها بهزيمة ساحقة. عبد الشافي محمد عبد اللطيف وآخرون، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي**، شركة سفير، القاهرة، ج10، 1996م، ص492(إلكترونيا). رابط الكتاب : https://shamela.ws/book/36578/1589.

الدين بالعمليات العسكرية ضد الحملات الصليبية حتى لُقّب من طرف السلطان بأمير البحر سنة **1533**م، فاستطاع الاستيلاء على تونس، لكن الإمبراطور شارلكان [1] استطاع استعادة تونس بالقوة وإطلاق **50** ألف أسير مسيحي في البلاد، وإعادة تنصيب سلطانها مولاي الحسن، الذي كان موالياً له شرط أن يدفع له إتاوة، وإبقاء ثكنة عسكرية اسبانية هناك لحماية المصالح الإسبانية[2].

وقد أعاد الكرّة القائد الاسباني الدون جوان دوتريش Don Juan، حيث جاء إلى تونس بأسطول بحري وردّ مولاي الحسن الحفصي بالقوّة، لكن لم يزد هذا الوضع عن سنة ونصف حتى جاء سنان باشا قائد الأسطول البحري العثماني على رأس أربعين ألف جندي، فطرد السلطان الحفصي وجيوش الاحتلال الإسباني معاً، وسيطر على قلعة حلق الواد التي احتمى بها الجنود الأسبان، ليبدأ عهد جديد لتونس الحفصية وبداية الحكم العثماني منذ سنة **1574**م تاريخ إلحاق تونس الرسمي بأراضي السلطنة العثمانية[3].

وفي المصدر نفسه أي "تعليقات شكيب أرسلان على كتاب تاريخ ابن خلدون"، نوّه الأمير عن توجّه فرنسا نحو احتلال تونس في خضمّ الضعف الذي أصاب السلطنة العثمانية واستغلال الفرنسيين للوضع العثماني المزري، حيث ذكر أنّ فرنسا لم يصعب عليها الأمر حتى لتُوجِد سبباً لاستيلائها على تونس، فشنّت هجومها وأجبرت باي تونس محمد الصادق على توقيع معاهدة الحماية، بموجبها تضمن للتونسيين استقلالهم الداخلي تحت الحماية الفرنسية، وذكر الأمير أن تاريخ إمضاء تلك الاتفاقية كان سنة **1879**م، وقد احتج العثمانيون على هذا الفعل إلاّ أنهم لم يحرّكوا ساكناً ضدّ فرنسا لأجل تونس، إلاّ أنّه كانت هناك مقاومة من طرف الأهالي وبعض الجند العثماني بقيادة علي بن خليفة كما ذكرنا سابقاً، إلاّ أنّها لم تُغيّر من الوضع شيئاً بسبب فارق القوة بين الطرفين[4].

---

[1] شارلكان أو كارلوس الخامس (1500م-1558م): من أشهر الملوك في زمانه، وأعظم الشخصيات في أوروبا، تم تتويجه بملك اسبانيا وملك إيطاليا وأرشيدوق النمسا، كان على رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة، حكم إمبراطورية مترامية الأطراف، هاجم روما وسجن البابا، أفلت من هزيمة محققة بعد حصار العثمانيين له في فيينا سنة 1532م، صاحب الحملة الصليبية على الجزائر سنة 1541م التي فشلت في عملية الإنزال على السواحل. الموقع الإلكتروني: الرحيق، الرابط: https://nektar.co.at/arab/?p=398، تاريخ الزيارة: 2023/02/05م، 21:54.

[2] أرسلان، أرسلان، **تاريخ ابن خلدون**، الملحق 1، ص192.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص222.

[4] أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص315.

ذكر أمير البيان سنة توقيع المعاهدة على أنها كانت سنة **1879**م بدل **1881**م، ربّما سهواً منه أو له معلومات أخرى حول مسألة الحماية وما سبقها من ضغوطات فرنسية على الباي التونسي وبداية التحضير لذلك كان قد سبق التوقيع على الاتفاقية بثلاث سنوات خلتْ.

في موضع آخر أشاد الأمير بجهود دول الجوار في حرب طرابلس، وما قدّموه من مساعدات مادية للمجاهدين الطرابلسيين، فذكر بما قام به التونسيون في الغرب الليبي، حيث أنفقوا دون حساب، ونفثوا في روح المقاومة بعد أن دعّمت السلطة العثمانية الجبهة الطرابلسية بمجموعة من الضباط أمثال نشأت بك، وفتحي بك، وخليل بك ونوري بك، حيث انضمّ إليهم زعماء طرابلس على غرار سليمان الباروني زعيم الإباضية في ليبيا، وآل سيف النصر، ورجال المحاميد، وأهالي مدن مصراتة وترهونة زليطن وأرفلّة....، وقد وصلت مختلف الإعانات العينية لمراكز المقاومة الليبية في هذه الجبهة[1].

في سياق آخر، وفي مؤلفه "النهضة العربية في العصر الحاضر"، سلّط أمير البيان الضوء على تطوّر الحضارة عند العرب، حيث يستعرض نقاط الضعف والقوة عبْر النقد، ومن خلال إلمامه بمسار تطور العالم العربي ورؤيته المستقبلية، ومُسجّلا للكثير من الأحداث التاريخية من خلال ذاكرته، ليحدد معالم توجه العالم العربي مستقبلاً شرقه وغربه[2].

وقد تعرّض للحركة العلمية مُنوِّها لأهمّية الصحافة، حيث خصّص عُنصراً حول الصحافة في شمال إفريقيا، فقال:"...إنّ شمالي إفريقيّة قد نهض في العصر الحاضر نهضة أكيدة، وكثرت فيه الجرائد العربية والمطابع وسائر أدوات النشر التي تُعوّل عليها كل أمّة ناهضة..."، وذكر الصحف الرائجة في تونس، بدايةً بجريدة الرائد التونسي التي كانت تصدر قبل فرض الحماية الفرنسية، ثم يضيف شكيب أن هناك جرائد ومجلات راقية أخرى على غرار " الزهرة"، "النهضة"، "الصوّاب"، "والمجلة الزيتونية" [3]، وقد فصّل في هذه النقطة، فذكر معظم الصحف والمجلات التي صدرت في تونس قبل وبعد فرض الحماية، وبالضبط خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، في الملحق الخاص بمدونته أحداث العالم العربي ووقائعه[4].

---

(1) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون، ملحق الجزء الأول**، ص ص 364، 365.

(2) أرسلان، **النهضة العربية**، ص7.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص41.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 537-545.

ثم ذكر أهمية الجوامع التقليدية في التصدّي لأمواج الجهل والفوضى على غرار الزيتونة في تونس والأزهر والقرويين والأموي بدمشق، حيث خرّجوا العلماء الأعلام، والمصابيح الذين أناروا الإسلام في فترات الظلام كما وصف أمير البيان، ثم يضيف أن هذه الجوامع خرّجت أيضاً العلماء الوطنيّين الذين أرادوا إدخال العلوم العصرية في البلاد العربية[1]، وهذا ما يدل على انفتاح الأمير على فكرة المزج بين ما هو أصيل وما هو معاصر، للوصول بالشرق إلى ما وصل إليه الغرب.

أمّا كتابه المعنون بالإسلام والحضارات، عرّج أرسلان من خلاله على موضوع ذي أهمية بالغة ألا وهو مواكبة ساكنة شمالي إفريقيا عصر التطور وما وصلت إليه المدنية الغربية، ومدى انتشار أفكار محمد عبده في المنطقة.

كان مقاله تحت عنوان :"صدى الحركة العصرية في شمالي إفريقية"، بدأ أرسلان بالكلام حول مدى تغلغل أفكار محمد عبده الإصلاحية في الشمال الإفريقي، حيث ذكر أن هناك تفاوت بين الأقاليم (تونس، الجزائر، ومراكش)، وأن هناك الكثير من الشباب والمفكّرين تبنّوا الأفكار الإصلاحية، في حين أنّ أصحاب العمائم كانوا أشدّ المنكرين لها، فوصفهم شكيب بالجامدين؛ ثم ذكر أن شعوب شمال إفريقيا قد مسّها بعض الفتور تجاه دينهم، رغم أنّه لم ينقص من عقيدتهم فإنّه مسّ شعائر دينهم، وأعطى مثالاً على ذلك، في قوله:" مثال ذلك صوم رمضان الذي كان يتمسّك به أقلّهم تحمّساً بالدين قد مالت اليوم حبًّا له إلى الارتخاء..." [2].

بطبيعة الحال هذا الفتور كان بعد سيطرة الدول الاستعمارية الأوروبية على دول شمال إفريقيا، وفرض سياسة التجهيل أو بالأحرى التنكيل الثقافي، أي إخراج شعوب المغرب من دينهم الإسلامي وإبعادهم عن ثقافتهم، دون مساعدتهم على كسب مفاتيح التقدم والرقي إلى مصاف المدنية الغربية.

وعليه فإنّ سياسة تسلط الاحتلال الفرنسي معروفة، فقد مارستها في الجزائر، وانتهجتها في تونس مع تغيير طفيف على الصعيد السياسي والعسكري في هذه البلاد؛ نجد في كتاب "زمن العروبة الأبتر" أنّ الأمير تطرّق إلى آثار الكَثْلَكة التي كانت بادية على سياسة الجمهورية الفرنسية، حيث أنّ المؤتمر الأفخارستي

---

(1) أرسلان، **النهضة العربية**، ص48.

(2) أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص 142.

Congres Eucharistique[1] الذي انعقد في تونس كان تحت حماية الحكومة الفرنسية، حيث دخل المشاركون في هذا المؤتمر حاملين شعار الصليب، وهو الشعار نفسه الذي حمله الملك لويس التاسع[2] أيام غزوه لتونس، وذلك لتذكير التونسيّين بالحروب الصليبيّة كما قال أمير البيان [3]، رغم ادّعاء الفرنسيين أن الدولة علمانية لا دينية، إلاّ أنّها تعمل بجهد لخدمة أهداف الجمعيات التبشيرية وبالأخص الكاثوليكية.

وفي مدونته ذكر أمير البيان ردود الفعل التونسية حول هذا المؤتمر، حيث نظّم حزب الدستور التونسي تظاهرات قويّة سنة **1930**م، استنكاراً للمؤتمر الأفخارستي المنعقد في قرطاجة بتونس المذكور آنفاً، وضد احتفالات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر[4].

ثمّ يقول أمير البيان في تعليقه على مقال روجر لابون في كتاب حاضر العالم الإسلامي، أنّه وردت برقية من المهدية بتونس تخصّ مظاهر الاحتفال في تونس وصفاقس وسوسة حول انتصار الأتراك واسترجاع حقوقهم بقوّة المدفع، لذا فالتونسيون يميلون إلى الأخذ بحقوقهم بالطريقة نفسها [5]، وكأنّه ليس للتونسيين الحق في استرجاع ما فُقد منهم، أو ليس لهم الحق في توظيف ما لديهم من قوة ضد عدوهم، في حين كانت فرنسا تدافع بكل قوّة عن القوميات البلقانية كالبلغار والصرب واليونان لأخذ استقلالهم من الدولة العثمانية، واستخدامهم قوّة المدفع التي تكلّم عنها المسمّى روجر لابون.

---

(1) انعقد المؤتمر الأفخارستي في قرطاج بتونس ما بين 7 و 11 ماي 1930م، والأفخارستيا هي سر التناول أو القربان المقدس، هو أحد الأسرار السبعة المقدسة في الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذوكسية، والمؤتمرات الأفخارستية هي سلسلة المؤتمرات الدينية الكاثوليكية، نسبةً إلى أفخارستيا، نُظم أول مؤتمر أفخارستي في مدينة ليل الفرنسية في جوان 1881م، بمبادرة من لويس غاستون دي سيغور، وكانت هذه التظاهرة الدينية متواضعة في البداية من حيث الامتداد الجغرافي، وعدد المشاركين فيها، وباتساعها خرجت من فرنسا لأول مرّة، لكن داخل أوروبا، فانعقد مؤتمرها الرابع في مدينة فريبورغ السويسرية سنة 1885م، والمؤتمر التاسع في مدينة القدس سنة 1893م، أما في تونس فكان في قرطاج بتاريخ 1930م وهو المؤتمر الكاثوليكي الثلاثون، وتم اختيار مدينة قرطاج باعتبارها عاصمة قديمة للمسيحية في شمال إفريقيا.محمد السعيد عقيب، "**المؤتمر الأفخارستي بقرطاج ماي 1930م وتطور العمل الوطني بتونس**"، مجلة البحوث والدراسات، العدد 22، السنة 13، صيف 2016م، ص302.

(2) **لويس التاسع** أو **سان لويس** Saint Louise قائد الحملة الصليبية الثامنة على تونس سنة 1270م، قاد حملته على تونس وتوفي مع عدد كبير من جنوده بسبب وباء الطاعون الذي أصاب جيشه، وفي 1297م أدرجت الكنيسة اسمه ضمن قائمة القديسين ، وكان من الذين يوظفون حس الفكاهة لكسب التأييد من المؤيدين والمعارضين لشن حروب فرنسا الصليبية. إسماعيل العربي، "**السياسة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي سنة 1930م**"، إشراف معمر العايب، مجلة القرطاس ، العدد الثامن، جانفي 2018م، ص 68. من الموقع الإلكتروني : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/558/4/8/100428 تاريخ الزيارة 2022/03/06 / 21:00.

(3) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص 99، 100.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص194.

(5) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء 2، ص325.

واستناداً على ما سبق، يعقّب أمير البيان على المستشرق روجر لابون فيما قاله وحول قوله كذلك، أن أغلب الذين يطالبون الاستقلال من بلدان المغرب العربي هم الذين تلقوا تعليمهم في فرنسا، فيقول:"...إذاً فالفريق الذي تلقّى تربية إسلامية والفريق الذي تلقى تربية أوروبية كلاهما واحد في طلب الحرية، وهذا أمر بديهي، إذْ لا الإسلام يرضى لأبنائه بهذا الاهتضام ولا أوروبا تجيزه على أمّة من أبنائها، وكلا التعليمين ملتقيان في نقطة الاستقلال وإن السفسطة التي معناها أن المسلم لابد أن يكون تحت حكم أوروبي لأجل انتظام سير المدنية التي ديانته تمنعه منها، هذه لا يقبلها المسلم العتيق ولا الجديد..." [1]، والخلاصة أن أمير البيان أراد التأكيد على أن الحرية يطلبها المتأصل والمعاصر إن كان وجدان الوطنية حيّ لديهم، وحتى الخيانة يمكن أن تأتي من المتدين وكذلك من المتمدن.

وفي الشأن نفسه، يعرض الأمير جملة تناقضات المستشرق فيما قاله حول ما يخص قضيّة تونس المحتلة، فيذكر هذا المستشرق أنّه لا خوف من عامة الأهالي الراتعين في السعادة والأمان، ولكن يجب الحذر من تلك الطبقة المتعلمة التي قرأت بعض الأمور وأساءت هضمها عقولهم كما قال، فيردّ الأمير عليه، فيقول إذا كان الشأن يخص البلغار والصرب والأرمن، حيث نهضت الطبقات المتعلمة في بلدانها طلباً للاستقلال، فصارت هذه الطبقة محل إعجاب الأوروبيين وثنائهم، ونالت عطفهم، أمّا إذا جاء دور أية أمة إسلامية تطلب استقلالها، قامت دول أوروبا سدًّا في طريق تحريرها، ورموهم بمختلف التهم كالتعصب وكره الأوروبي، ورجال الدين من حرّضهم، وأن القرآن مازال في قلوبهم[2].

ثم استدل أمير البيان بقول الثعالبي حول موقف التونسيين بعد أن أدارت لهم فرنسا ظهرها، وتناست وعودها، فكتب :"...كانت مفاداة الشعب التونسي بجانب فرنسا، في الحرب التي اكتسحت العالم المتمدن **65** ألف مقاتل و**30** ألف فاعل من أمّة لا تزيد على مليونين من النفوس، وقد قُتل وجُرح من الخمسة والستين ألف مقاتل **45** ألفًا، وكانت لنا ثقة تامة في الحصول على أمانينا القومية على أثر ظفر الحق والعدل بين الأمم، وتنفيذ مبدأ تعيين الشعوب لمصيرها...ووعدوا هذه الشعوب أمام الله والناس...فكان دينًا على فرنسا إعطاؤنا حريّتنا من وجهين، الأول الخسائر التي تحملناها من أجلها، والثاني المواعيد الشهيرة التي قطعتها لنا...."، فيذكر الأمير أن فرنسا كافأت التونسيين بعد أن ضحّوا بخمسةٍ وأربعين ألفِ رجلٍ بقرارها إرسال كل المحاويج

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء 2، ص 339.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص 350.

والأفّاقين والسفلة من فرنسا إلى تونس، ومنحهم الامتيازات المالية والعقارية بعد مصادرتها من الشعب التونسي[1]، وأكثر بكثير كانت مجازاة الجزائريين في حربهم إلى جانب فرنسا ضد النازية في مجازر شهر ماي الأسود من عام **1945**م.

في سياق آخر، ذكر شكيب في مواضع عديدة بعض الشخصيات ذات الأصل التونسي، كانت ذائعة الصيت أو معروفة لدى دوائر السلطة العثمانية، فخلال ذكر الأمير لتفاصيل حكم جمعية الاتحاد والترقي وصراعهم مع أعضاء حزب الائتلاف والحرية بعد مقتل ناظر الحربية ناظم باشا أحد أعضاء هذا الائتلاف، أراد هؤلاء الانتقام له والإطاحة بوزارة الاتحاديين، فكان من بين الذين تحمسوا للثأر صالح خير الدين باشا ابن خير الدين باشا التونسي الذي كان صدراً أعظماً للدولة العثمانية سابقاً، وصهراً للعائلة السلطانية، وكان من المتآمرين على قتل محمود شوكت باشا بعد رشوتهم لبعض القتلة المأجورين، وكان ذلك في **28** جوان **1913**م، وبعد هذه الحادثة مباشرة أمرت وزارة الاتحاديين بمحاسبة المتآمرين ومن بينهم صالح باشا خير الدين الذي أعدم شنقاً إلى جانب مجموعة لا تقل عن عشرة من أصدقائه في ساحة بايزيد [2].

وكانت لأمير البيان اهتمامات كبيرة بتحرّكات ونشاط الحركة الوطنية التونسية، فدوّن بعضها، وبقي بعضها ضمن الرسائل المتبادلة بينه وبين الوطنيين التونسيين، وقد ظهر تركيزه في تتبع مجريات الأحداث في تونس من خلال مجموعة الأحداث التي دوّنها في مؤلفه الضخم الذي أتى على **585** صفحة، خصّصه لأحداث العالم العربي ووقائعه بين سنتي **1850**م و**1950**م، فكان للوطن التونسي نصيب من هذا الاهتمام، وسنبرز لاحقاً ذلك عبر ذكر الكثير من الأحداث التي أوردها بين صفحات مدونته.

3-2 انطباعات الأمير حول سياسات الاستعمار التسلطية في البلاد التونسية (التنصير، التجنيس، التجنيد):

كانت اهتمامات الأمير شكيب جادة في عديد القضايا الاستعمارية التي مسّت بالدرجة الأولى دول المغرب العربي على غرار تونس، التي لم تنأى عن موجة التنصير الممنهجة التي سطرها دعاة النصرانية بكل

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء 2، ص 338.

[2] أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ملحق ج1، ص ص 397، 399.

أطيافهم المذهبية، وكذا عملية التجنيس التي مسّت فئة قليلة من المجتمع في البداية، والتي أحدثت الفتن وتسببت في اضطرابات اجتماعية، وأحدثت الأحقاد بين أفراد العائلة الواحدة، فهذه الممارسات الاستعمارية ناهضتها الأقلام الإصلاحية فكان الأمير من الذين يتتبعون ما يكتبه وما يخطط له رواد التنصير في البلاد المستعمرة.

1 2 3 موقف الأمير من مسألة التنصير في تونس:

من خلال تتبع الأمير لكتابات بعض الأوروبيين حول النصرانية في تونس، علّق على ما جاء في كتاب "الإسلام والنصرانية في إفريقية" L'Islamisme et le Chrisianisme en Afrique لصاحبه السيد بونه موري G. Bonet Maury حيث ذكر حالة الأمن والتّسامح التي ميزت القرنين الثاني عشر والثالث عشر بين مسلمي تونس والنصارى الذين كانوا يقيمون هناك، ويمارسون شعائر النصرانية علانية، ثم يستدل بأهم الوثائق التي أثبتت ذلكم الوضع، مثل المعاهدة التي وُقّعت بين أبو عبد الله المستنصر صاحب تونس، وفليب ملك فرنسا، وشارل دوق أنجو، وتيبو ملك نافار سنة **1270**م، وتضمّنت الاتفاقية وبالضبط في البند السادس:" أنّ الرهبان والقساوسة يمكنهم أن يقطنوا ممالك أمير المؤمنين، وتُعطى لهم الأرض اللازمة، لبناء الكنائس والأديرة، ودفن الموتى، وللرهبان المذكورين أن يقيموا شعائر دينهم، ويُلقوا المواعظ علناً كما لو كانوا في بلادهم"، فازداد عدد النصارى في تونس وبجاية والمغرب الأقصى، لكن الدعوة المسيحية بين المسلمين كانت محظورة[1].

فكان همّ أمير البيان اقتفاء آثار ما كتبه المستشرقون في كل أوروبا، وبالأخص العاملين في مجال التبشير في البلاد الإسلامية، على غرار كتاب :"الإسلام، ماضيه، حاضره ومستقبله" لأشهر المبشرين البروتستنت في الحركة الاستعمارية الأوروبية، حيث حرّر الأمير مقالاً له في تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي عَنْونه "المبشر زويمر ومفترياته"، تكلّم فيه عن ما ذكره المبشر زويمر في كتابه، ومساعي المبشرين في الأقطار الإسلامية وطرق التبشير، مطباته ومدى نجاحها في مناطق دون أخرى [2]؛ كذلك المستشرق الفرنسي هونتو المتخصّص في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، الذي قال إنّ تونس مملكة قطعنا صلتها بمكّة، ردّ عليه الأمير بقوله أنّ كلامه فارغ، وأنه لا توجد قوة على وجه الأرض أن تكون حائلا بين أقاليم العالم الإسلامي [3].

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص ص364، 365.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

(3) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي**، ص38.

ثمّ يمدح شكيب الكُتاب الذين خلّفوا بصمة واضحة في مؤلفاتهم، بوصفهم بالكُتاب الأحرار على غرار السيد غاسطون غايار Gaston Gaillard الذي نشر كتاباً جديداً تحت عنوان (نهاية دور، وعلى عتبة عصر جديد، La fin d'un temps , au seuil d'un àge)، فيذكر أمير البيان أن الكاتب تعرض في كتابه لكثير من الأديان لكن دون تجريح أو ترجيح، ثم يضيف أن معظم ما كتبه المؤلف اتصف بتدقيقات نادرة وصراحة جديرة بالإعجاب، وقد قال هذا الكاتب الفرنسي أن "التبشير" هو من أهم بضائع التصدير عن الدول الغربية[1]، وهذا ما حدث في الشمال الإفريقي، على غرار البلاد التونسية.

ففي الفترة التي حكم فيها المقيم العام السيد "لوسيان سان [2]" تونس، استطاع الكاثوليك عقد مؤتمر ديني في تونس في ماي **1930**م سُمّي بمؤتمر الأفخاريستيا، نتجت عنه ضجة شعبية إسلامية كبيرة، فعبّر الأمير عن امتعاضه للحكومة الفرنسية التي تدّعي لائكية المنهج أي لا دينية، فأكّد أنّها هي أشدّ الدول حمايةً للنصرانية عموماً وللمذهب الكاثوليكي خاصّةً، والأحزاب الحرّة في فرنسا التي تؤمن بحرية الأديان لازالت بعيدة جدّاً عن منالها وهي ضعيفة للغاية، حسب ما ذكر الأمير في تلك الفترة أي بعد مرور نصف قرن من احتلال تونس وقرن عن احتلال الجزائر[3].

والجدير بالذكر أن قول أمير البيان أن المقيم العام لوسيان سان قدم تسهيلات كبيرة فترة حكمه لعقد المؤتمر الأفخارستي، في حين يذكر في مدونته أن السيد لوسيان سان اتجه نحو المغرب بعد استقالة المقيم العام الفرنسي في المغرب ج.ستيغ في **27** جانفي **1929**م، ثم عينته الحكومة الفرنسية خلفاً له، وقد وصل لوسيان

---

(1) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص 210، 211.

(2) ذكر أمير البيان في مدونته أن السلطات الفرنسية قامت بتعيين السيد لوسيان سان مقيماً عاماً على تونس خلفاً للسيد م.فلاندان في ديسمبر 1920م، ولوسيان سان هو المقيم العام الفرنسي العاشر في تونس، وقد أورد الأمير نبذة عن حياة المقيم العام في كتابه "الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي"، حيث ذكر أن لوسيان سان من مواليد مدينة إيفرو بفرنسا في 26 أفريل 1867م، تولى عديد المناصب ليرتقي إلى منصب المقيم العام سنة 1920م، حيث عُرف عليه بميزة الدهاء، فكسر نشاط الحركة الوطنية، وأدخل إصلاحات 1922م، لشل مجهودات الحركة التونسية، وأحبط مطالبها، وفي حقبته أصدر القوانين الجائرة سنة 1926م، التي قيّد بها الصحافة والعمل الحزبي، ثم انتقل إلى المغرب سنة 1929م، في المنصب نفسه، كان صاحب فكرة الظهير البربري ماي 1930م وأعطى التسهيلات للمبشرين والدعاية المسيحية في المغرب، نقل إلى مهام أخرى ليغادر المغرب سنة 1932م. أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه** ، ص126. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي** ، هامش ص24.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص 361.

سان إلى الدار البيضاء بتاريخ **21** فيفري **1929**م[1]، أي قبل سنة كاملة من عقد هذا المؤتمر، فهل يعقل أن للمقيم عام الفضل الأكبر في إقامة هذا المؤتمر بقرطاج بتونس.

ثم يضيف أرسلان في هذا الشأن في كتابه زمن العروبة الأبتر، أنّ آثار الكثلكة بادية على سياسة الحكومة الفرنسية بحيث أنّ المؤتمر الأفخارستي الذي انعقد في تونس، كان تحت حماية السلطات الفرنسية، حيث افتتح المشاركون هذا المؤتمر بحمل شعار الصليب، وهو الشعار نفسه الذي حمله الملك لويس التاسع أيام غزوه لتونس، وذلك لتذكير التونسيين بالحروب الصليبية كما قال أمير البيان[2]،

فيذكر الأستاذ محمد السعيد عقيب أنّه تمّ استعراض آلاف الأطفال الذين يرتدون لباساً موشحة بصلبان، تُذكّر بالحملة الصليبية الثامنة التي قادها لويس التاسع قصد احتلال تونس سنة **1270**م، وهذا استفزاز صارخ لمشاعر المسلمين التونسيين، الذين نظر معظمهم لهذه التّظاهرة على أنها حملة صليبية نجحت فرنسا من خلال فرض حمايتها على تونس، خاصة بعد تعهد الكنيسة بجلب الشعوب الضالة للمسيحية، وظهرت الصبغة التبشيرية من خلال توزيع رجال الدين لمنشورات كُتبت باللغة العربية، يدعون فيها المسلمين إلى اعتناق المسيحية[3].

وقد أورد شكيب أرسلان معلومات حول السياسة الفرنسية التنصيرية في تونس، فذكر أن الإدارة الفرنسية أقامت نصباً تذكارياً في تونس سنة **1925**م، بحيث يمثل هذا النصب تمثالاً لشخصية الكاردينال لافيجري، بحيث يحمل الصليب بيده اليمنى والإنجيل بيده اليسرى، وقد نظّم زعماء حزب الدستور تظاهرةً ردّاً على هذا المشروع، واحتجاجاً على هذا الإجراء، ممّا أدى إلى اشتباكات قوية بين المتظاهرين والقوّات الفرنسية بالقرب من باب البحر [4]، ويُعدّ هذا العمل إهانة للدين الإسلامي وللمسلمين التونسيين، فهو يمسّ بعقيدة سكان تونس من خلال المشهد الذي يمثله ذلكم التمثال، وما يعنيه من تفاصيل حول الجهود التنصيرية التي بذلها في سبيل نشر تعاليم المسيحية في عديد الأقطار العربية على غرار الجزائر، فتُوّج عمله بإكرامه والإشادة بأعماله بنصب تذكاري على أرض تونس التي يُدين أغلب سكانها بالدين الإسلامي.

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 189.

[2] أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص 99، 100.

[3] محمد السعيد عقيب، مرجع سابق، ص 292.

[4] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص159.

3 2 2 موقف شكيب أرسلان من مسألة التجنيس في تونس:

من بين مظاهر التسلط الاستعماري لفرنسا في مستعمراتها، هو قيام السلطات الفرنسية بتوظيف امتياز التجنيس، بحيث من خلاله تُمنح حقوق المواطنة للمستفيدين منه، ليصبحوا مواطنين من الدرجة الأولى، يتمّعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها المواطن الفرنسي في وطنه، أو في المستعمرات التي احتلتها فرنسا على غرار البلاد التونسية، والقصد من هذا الإجراء هو ترغيب التونسيين في التخلّي عن الهوية التونسية مقابل مكتسبات مادية، وكانت الإدارة الفرنسية لا تمنح الجنسية الفرنسية إلا بشروط مجحفة، وفي شكل مشروع قانون يصدر عن الجهة الوصية المختصة.

وقد أصدرت السلطات الفرنسية قانون التجنيس في تونس في **20** ديسمبر **1923م** حيث يقضي هذا القانون بفتح باب التجنيس بالجنسية الفرنسية على مصراعيه لكل من يقدم طلباً ويظهر تعاطفاً تجاه فرنسا [1]، فكانت ردود الفعل متفاوتة، بين من هو متقبل للفكرة، ومن كان رافضاً من الأساس، خصوصاً من لهم خلفية دينية، بعد إصدار فتاوى التحريم، وتكفير كل من أقدم على هذا الفعل.

حيث سعى العلماء التونسيون عبر عديد الصحف على غرار المجلة الزيتونية إلى نشر الفتاوى بتحريم التجنس بالجنسية الفرنسية، هذا الفعل الذي تسبب في تشتيت الكثير من العائلات وإحداث الفتن والأحقاد بين الإخوة والأقارب، فبادر العلماء إلى تحريم ذلك، ولجؤوا إلى استحداث مقابر خاصة بهم، حيث لا يُدفنون في مقابر المسلمين، فأدرك هؤلاء الخطر الذي وقعوا فيه، فأسسوا جمعية[2] لطلب إرجاعهم إلى حظيرة الإسلام، والتكفير عن آثامهم[3]، في حين هناك من كان من المحسوبين على الإصلاحيين في تونس يبرّر ما جاء في قانون التجنيس وصحّة إيمان المتجنس، حيث ذكر الشيخ الثعالبي أن وزير تونس الأكبر الهادي الأخوة [4] ألقى خطاباً

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص148.

(2) كانت الجمعية تحت اسم "اللجنة التحضيرية للمسلمين التونسيين المعتنقين للجنسية الفرنساوية للرجوع للجنسية التونسية"، لكن فئة أخرى من هؤلاء اغتنم حادثة الجلاز عند إخراج متجنس دفن في مقبرة الجلاز بعد دفنه بيومين فعقدوا الاجتماعات وصرّحوا فيها حسب قول الجرائد أن لا حرج في التجنيس ولا يوجب الكفر، واستدلوا بأقوال العلماء زوراً وبهتاناً كما ذكر صاحب المقال. محمد المختار بن محمود، **"حكم الله في التجنيس"**، المجلة الزيتونية، مجلة علمية أدبية أخلاقية، جامع الزيتونة، تونس، المجلد 1، الجزء10 ، جوان 1937م، ص 526.

(3) محمد المختار بن محمود، المصدر نفسه، ص 526- 528.

(4) **الهادي الأخوة** (1873م- 1941م): ولد بتونس، تعلم بالصادقية، عند تخرجه صار كاتبا بإدارة العلوم والمعارف، ثمّ مترجماً بإدارة بلدية تونس، ثم رئيساً للقسم المالي ، ثم رئيساً لقسم الحسابات بالحكومة، ثم مدير الأقسام، وانتقل سنة 1922م إلى رئاسة القسم الأول، ثم تولى خطّة

باسم الحكومة التونسية على المجلسين الشرعيين المالكي والحنفي بتونس وطلب منهما الإفتاء بغير ما أنزل الله كما ذكر الثعالبي، وما يطابق أهواء الحكومة، فيقول الثعالبي في هذا الشأن :"...وفرنسا مهما كانت جائرة فإنّها لن تستطيع أن تهيمن على الضمائر الطاهرة....لكن أبت النفوس الخاسرة إلاّ أن تكون حرباً دنيئة على الدين فتآمرت مع الأعداء على إتيان هذه الجريمة(التجنيس)..." [1]، لذا يدرج الثعالبي الوزير الهادي الأخوة ضمن قائمة الوصوليين في شمال إفريقيا.

وفي الشأن نفسه وضمن جواب الثعالبي الآنف الذكر، سأل الشيخ الثعالبي أمير البيان عن صحّة فتوى الشيخ محمّد بخيت[2] التي طلبتها السلطات الفرنسية أيام كان مفتياً للديار المصرية، عقب الحرب العالمية الأولى حول إيمان المتجنس، والذي أفتاها بصحّته، حيث ذكر الثعالبي أنّ هذه الفتوى مسجّلة ضمن دفتر الفتوى بدار الإفتاء، فطلب منه رأيه في مثل هذا الشيخ النحس كما وصفه الثعالبي، وأراد توضيح مآرب الوصوليين النفعيين عبر الإقدام على سلوكٍ منافٍ للدين حتى ولو كان على حساب الإسلام والمسلمين[3].

وفي إحدى رسائل الثعالبي للأمير، سرد من خلالها الوضع العام في تونس، وردّ على الأمير في مسألة تعاقب المقيمين العامين على تونس وتفاؤلهم بذلك، فذكر الثعالبي أنهم كلهم سواء، والمقيم اللاحق يستكمل ما بدأه السابق؛ حيث أنّ المقيم العام بيروتون سوف يُبادر إلى إنشاء مقابر خاصة بالمتجنّسين كرد على فتاوى عدم جواز دفن المتجنسين في مقابر المسلمين، حيث يقول الشيخ الثعالبي في هذا الشأن :"...ولكن سياسة التجنيس ستبقى فاغرةً فاها تلتهم الذاتيّة التونسية حتّى لا يبقى في البلاد وطني ولا وطنيّة، وسيوعز المنافقون بأن المقيم العام الجديد قد توفق بعبقريّته النادرة لإيجاد حلّ موفق لهذا المشكل الذي ارتطمت على صخرته

وزير للقلم والاستشارة سنة 1926م، ثم منصب الوزير الأكبر سنة 1932م إلى وفاته سنة 1941م. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص 50.

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص50، 51.

(2) **محمّد بخيت المطيعي** (1854م-1935م) : من كبار فقهاء مصر ، مفتي الديار المصرية، ولد ببلدة المطيعة مقاطعة أسيوط ، درس بالأزهر، شغل في مجال القضاء وفي تلك الفترة اتصل بجمال الدين الأفغاني، كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح في مصر وعلى رأسها محمد عبده، عين مفتيا للديار المصرية بين سنتي (1914م- 1921م)، له عدة مؤلفات، (إرشاد الأمّة إلى أحكام أهل الذمّة، إزاحة الوهم، الأجوبة المصرية على الأسئلة التونسية). أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي**، هامش ص 52.

(3) أرسلان، **المصدر نفسه**.

البلاد مدّة عشر سنين كاملةً، ويعود التونسيون بعد ذلك في اطمئنان تام إلى غطيطهم [1] الأوّل وينسون بعد ذلك كلّ شيء[2].

وقبل إصدار قانون التجنيس سالف الذكر، أصدرت السلطات الفرنسية تشريعاً في الثامن من نوفمبر **1921**م، يقضي بإخراج الأجانب الذين وُلد أجدادهم بتونس من الجنسية التونسية ومنحهم الجنسية الفرنسية باستثناء الإيطاليين الذين يتمتعون بامتيازات خاصة [3]، هدف الفرنسيين هنا هو تحويل فئة عريضة من المجتمع التونسي ذوي الأصول الأوروبية إلى فئة فرنسية لها صلاحيات وامتيازات وأفضلية على التونسيين، أي خلق مجتمع داخل مجتمع.

والجدير بالذكر أنّ البريطانيين كانوا على دراية بكل الإجراءات المطبقة من قبل الحكومة الفرنسية في تونس، حيث تمّ الاتفاق بين الطرفين على مسألة الجنسية التي ستُمنح للشعوب المستوطنة بتونس والمغرب والأطفال الذين يولدون هناك، وهذا الاتفاق كان بتاريخ **24** ماي **1923**م[4]، ففحوى هذا الاتفاق هو إعادة النظر في التشريع الذي أُصدر في نوفمبر **1921**م الآنف الذكر، والذي جاء كإجراء بريطاني احترازي دفاعاً عن مصالح إنجلترا في شمال إفريقيا وبالخصوص في تونس والمغرب، حيث أن بريطانيا فرضت هذا الاتفاق للحفاظ على نفوذها ومصالح جاليتها في الشمال الإفريقي.

3 2 3 موقف الأمير إزاء قضية التجنيد الإجباري في تونس:

بعد فرض الهيمنة الفرنسية على الأرض التونسية، سعت السلطات الفرنسية إلى استغلالها أقصى استغلال، حيث سطرت أهدافها مسبقاً، وفي جميع مناحي الحياة، سياسية كانت، أو اقتصادية وثقافية، وحتى العسكرية...، بل تجاوزت كل ذلك إلى أن وظّفت العنصر البشري لخدمة مصالحها، فجنّدت الآلاف في حروبها، سواء عبر زجّهم في معاملها لصناعة ترسانتها من الأسلحة المختلفة، أو عبر التجنيد المباشر، وتدريبهم لإرسالهم إلى مختلف الجبهات الحربية، كما جرى في الحرب العالمية الأولى والثانية.

---

(1) **الغطيط** هو صوت النائم عند ترديد نفسه، أو الشخير المتردد عند النوم في خياشيم النائم. الموقع الإلكتروني: معجم المعاني، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B7%D9%8A%D8%B7/ تاريخ الزيارة:2022/06/21م، 21:50.

(2) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص65.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص133.

(4) أرسلان، **المصدر نفسه**، ص144.

فكان لشكيب أرسلان اهتمامات في هذا الشأن، حيث أورد عديد المعلومات التي تخص تجنيد الشباب التونسي من قبل الإدارة الفرنسية في حروبها، لخدمة أجندتها الاستعمارية، لكن يُعتبر ذكر مسألة التجنيد في نصوص وكتابات الأمير شحيحة إذا ما قورنت بمختلف القضايا الأخرى.

وبناءاً على ذلك، أورد الأمير في هذا الشأن في مقاله "نكتة من نكات العدل الفرنسي في تونس" التي نُشرت في مجلة الشورى، مايلي:"...فلمّا نشبت الحرب العامّة، واحتاجت فرنسا إلى الرجّال، دار رجالها وعيونهم تفيض بدموع التماسيح، يدعون المغاربة من تونسيين وجزائريين ومرّاكشيين إلى نصرة (دول الحق والعدل) اللاّئي يجادلن لأجل تحرير الشعوب، بعكس الألمان الذين يقاتلون لوضع القوّة فوق الحقّ..." [1]، والخلاصة أنّ الفرنسيين كان همّهم الوصول إلى أهدافهم مهما ارتفعت قيمة الفاتورة البشرية، فكان التونسيون المجندين في كتائبهم عبارة عن وقود لحروبهم.

ومن نضالات أمير البيان في خدمة قضايا المغرب العربي والفضل الذي لم يكن لغيره فعله وكان له دون سواه، هو التوسط لدى الألمان خلال الحرب العالمية الأولى في حربها ضدّ الفرنسيين، فلمّا كانت له علاقة جيدة مع السفير الألماني في الأستانة البارون فانكنهاين [2]، طلب من هذا الأخير إطلاق سراح المجنّدين المغاربة في الجيش الفرنسي، حيث بلغ عددهم ألف وخمسمائة (**1500**) مجنّد، من بينهم شباب تونسي، بعد اعتقالهم في معارك الألمان ضد الفرنسيين، واقترح عليه الأمير إرسالهم إلى تركيا وهي أرض إسلام، فأُعجب السفير بالفكرة فأبرق إلى برلين، وحقًّا رضوا بالفكرة وأرسلوهم إلى الأستانة، لكن الأتراك لم يُحسنوا معاملتهم، ففرّ الكثير منهم وانتشروا في مختلف الأقطار العربية، ومنهم من قصد العراق، حيث اتصلوا بالإنجليز ليتوّسطوا لهم لدى الفرنسيين بهدف العفو عنهم[3].

---

(1) أرسلان، **نكتة من نكات العدل الفرنسي في تونس**، ص1.

(2) يصف المؤرخ الأمريكي وليام كليفلاند أن البارون ماكس فون أوبنهايم(1860م-1946م) هو صديق شكيب أرسلان الحميم، وكانت تربطهما علاقة ودّ، وكان أوبنهايم ينحدر من أصول يهودية، عمل قنصلاً في القنصلية الألمانية في القاهرة بين سنتي 1890م و 1910م، ثم استقال ليعمل في مجال تخصصه وهو علم الآثار الحثية في العهد القديم، لكنه استدعي مجددا من قبل الخارجية الألمانية سنة 1914م، لينشأ في السنة نفسها مكتب استخبارات الشرق، هدفه تحريض الإسلام ضد الحلفاء في حرب مقدسة، وبقيت علاقته بالأمير إلى آخر حياتهما. وليام كليفلاند، **الإسلام ضد الغرب، شكيب أرسلان والدعوة إلى القومية الإسلامية** ، تر محمد هيثم نشواتي، منتدى العلاقات العربية والدولية، الإيداع لدى دار الكتب القطرية، الدوحة، قطر، ط1، 2017م، ص ص250، 251.

(3) أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص102.

أضف إلى ذلك، فإن الشباب التونسيين الذين رفضوا التجنيد لقوا عقوبات صارمة، ومنهم من لم يحاكم إطلاقاً وأُعدم مباشرة، على غرار الحادثة التي ذكرها الضابط الجزائري رابح بوكابوية [(1)] الذي فرّ من الجيش الفرنسي سنة **1915**م، حيث ذكر أن **27** شاباً تونسياً فرّ من التجنيد ضمن الجيش الفرنسي، فأُعدموا دون محاكمة، وقد مارست السلطات الفرنسية ضغوطات رهيبة على باي تونس محمد الناصر، بغرض اقتطاع لأفواج تونسية قصد الانضمام إلى جانب فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، وفقا لمعاهدة الحماية كما قالوا[(2)].

إذْ يصرّح الأمير أن التجنيد مناف لبنود الحماية، وفي ذات السياق يذكر أنه خلال الحرب العالمية الثانية وبعد ضمّ ألمانيا للنمسا سنة **1938**م طالب الحزب الدستوري الجديد برئاسة الحبيب بورقيبة بتأسيس حكومة دستورية، حيث قال قادته :"...غداً ستدعون التونسيّين إلى الحرب كما دعوتمونا في الحرب العامّة(الحرب العالمية الأولى) فذهب منّا في سبيلكم **45** ألف قتيل، فهذه المرّة لا نريد أن نقاتل ولا أن نقتل في سبيلكم إلاّ إذا كانت لنا حكومة نيابيّة تمثيليّة..."، فردّت فرنسا بالقتل والقمع للمتظاهرين سلميّاً، حيث يذكر الأمير أنّه قُتل في مدينة تونس وحدها ثلاثون شخصاً، وكذلك كان في صفاقس والقيروان، وحكم على بورقيبة وسبعمائة شخص بالسجن لمدّة سنتين[(3)].

ويقول أرسلان في حق المغاربة المجنّدين في الجيش الفرنسي زمن الحرب العالمية الأولى والثانية، أنه كان يصعب على الفرنسيين شراء ضمائر البعض على عكس السنغاليين، فكان الفرنسيس يعظونهم، ويخطبون فيهم

---

(1) **رابح بوكابوية** ولد في الشرق الجزائري بمدينة ميلة سنة 1871م في وسط عائلة برجوازية، تخرج من مدرسة بوزريعة بالعاصمة الجزائر، استقر بقسنطينة منذ عام 1910م، امتهن حرفة التعليم، احتك بمجموعة من الإصلاحيين أمثال الدكتور موسى بن شنوف والمحامي مختار الحاج أحد أبرز وجوه حركة الشبان الجزائريين، انخرط في صفوف الجيش الفرنسي برتبة ملازم، ضمن الفرقة السابعة (الترايور) فر من الجيش الفرنسي في أفريل 1915م، رفقة 78 جندي أغلبهم من عمالة قسنطينة، لسبب أساسي وهو التهميش والتمييز وعدم تقليده لرتبة نقيب بعد مقتل قائد فصيلته، حيث استبدل بمستوطن فرنسي في الجزائر، مما أحسه ذلك بالإهانة، إضافة إلى الرقابة الصارمة التي كانت تفرضها السلطات العسكرية الفرنسية خاصة على المجندين الجزائريين الذين ينتمون إلى فيالق الخيالة والترايور، مما جعله يتذمر كثيرا من هذه الرقابة الصارمة، بعد فراره إلى الجيش الألماني أسر في بداية الأمر حتى تحققوا من أسباب فرارهم من قبل الاستخبارات الألمانية داخل محتشد الهلال (بزوسن Zossen)، ثم أطلق سراحه ليتوجه نحو عاصمة الخلافة ليضع نفسه تحت تصرفها، ويصبح صحفياً في عدة جرائد على غرار "الجهاد" الألمانية. حنيفي هلايلي، **"الجزائريون المجندون في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى (1914–1918) أضواء جديدة في كتابات الملازم الأول رابح بوكابوية"** ، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثالث، العدد الأول، جانفي 2021، ص ص164- 168.

(2) حنيفي هلايلي، المرجع نفسه، ص168.

(3) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص65.

ويعقدون المجامع، ويستملون العلماء والزعماء خلال الحرب، ويصرّحون أن هذه الحرب حرب تحرير الأمم، وكل من يقاتل فيها نال استقلاله بعد الحرب[1].

ثم يذكر الأمير أن الحلفاء بقوا يكررون تلك الوعود والعهود للبلدان المستعمرة، لاسيما دول المغرب العربي تونس والجزائر ومراكش إلى السنة الرابعة من الحرب، ثم بعدما بدأت ملامح النصر تلوح في الأفق، استبدلوا تلك النغمة، وبدأت الأمم المحتلة تلاحظ ذلك، وبدأت بالاقتناع أنّها انقادت لافتراءاتهم، فصارت الدول الاستعمارية ذئابًا بعد أن كانت حملاناً كما وصفها الأمير، وتناسوا كل ما تعهّدوا به من قبل، بدون أدنى خجل أو وجل، كما قال أمير البيان[2].

ثم يضيف ما قاله عبد العزيز الثعالبي في هذا الشأن، وقد ذكرنا ذلك في عنصر سابق، حيث يذكر أن فرنسا أدارت ظهرها للتونسيين، ونست وعدها بعد أن شاركوها حربها، بخمسة وستين ألف مجند في الحرب، وثلاثين ألف في مجالات التصنيع وغيرها، وقد قُتل خمسةٌ وأربعون ألفاً من المجندين التونسيين، فكان للتونسيين ثقة تامة بعدالة قضيتهم، والحصول على مرادهم بعد إحقاق الحق بين الأمم؛ وتنفيذاً لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، لكن الفرنسيين كافؤوهم بإرسال أراذل المجتمع الفرنسي من السفلة والمجرمين وغيرهم إلى تونس، وإعطائهم كل ما يحتاجون من أموال وعقارات بعد مصادرتها من ملاكها التونسيين، ومنحهم امتيازات في جميع مناحي الحياة [3]، وقد كانت مجازاة الجزائريين في حربهم إلى جانب فرنسا في حربها ضد النازية بمجازر شهر ماي الأسود من عام **1945**م، التي خلّفت عشرات الآلاف من القتلى والجرحى.

3-3 أخبار اليهود في تونس بقلم أمير البيان شكيب أرسلان:

كتب أمير البيان في الكثير من المواضع عن قضايا اليهود، وخصص العديد من المقالات، وتتبع في مدونته كل مجريات الأحداث الخاصة بتأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين، وعبّر عن خطرهم في الشمال الإفريقي، فكان له أول مقال يخص هذا الشأن تحت عنوان "سكنى الإسرائيليين في فلسطين"، نُشر في جريدة الأهرام المصرية في أفريل **1899**م، وهذا المقال موجود في عديد المواقع الإلكترونية، ومن خلاله حذّر أمير البيان من تزايد الهجرة اليهودية نحو فلسطين، أسبابها وأهدافها، وأن بعض اليهود المتحمّسين أباحوا ما في صدورهم،

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص 336.

[2] أرسلان، **المصدر نفسه**، ص ص 336، 337.

[3] أرسلان، **المصدر نفسه**، ص 338.

وحدثتهم أنفسهم بتأسيس مستعمرة، وتألفت لذلك جمعية تحت مسمّى "الصهيونية"، هدفها إعادة ملكهم الضائع في فلسطين، واسترجاع أرض الميعاد، وجمع اليهود تحت راية واحدة في وطنهم القديم، هذا عن فلسطين أمّا عن اليهود في تونس فأشار أمير البيان في عديد المؤلفات إلى هذه الفئة وما تريده أو فعلته قبل وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس.

ففي مدونته حول أحداث العالم العربي، كتب أمير البيان أحداث عدّة تخصّ يهود تونس وتأثيرهم على أمن واستقرار البلاد التونسية وعلاقتهم بالأمم الأوروبيّة، قبل فرض الحماية الفرنسية، فمن أبرز ما كتبه قصة الجندي الذي قتل شخص يهودي، حيث ذكر شكيب أنّه في **23** جويلية **1857**م قام أحد الجنود بقتل تاجر يهودي وأخذ سلعته، فاشتكى أهل اليهودي بشهادة جماعة من الناس، فأصدر باي تونس أبوعبد الله محمد الحكم بقتل العسكري دون أن يسمع منه، وفي المقابل شهدت جماعة أخرى من الناس على أنّ رجلاً يهودياً اسمه باطو يعمل لدى القايد نسيم رئيس اليهود شتم مسلماً تونسياً، وسبّ دينه وكان في حالة سكر، فأمر الباي أبو عبد الله محمد بقتله، فلمّا اعترض عليه ردّ الباي بقوله :"...بالأمس قتلنا عسكرياً مسلماً لقتله يهودياً..."[1] وهذه الحوادث في أغلب الأحيان تتخذها الدول الاستعمارية حجةً للتدخل في شؤون الدول الداخلية التي هي هدفاً مقترحاً للاحتلال.

وبعد تنفيذ الحكم على اليهودي، احتجت قناصل الدول الأوروبية على عملية الإعدام، فطالب القنصل الفرنسي ليون روش، والقنصل الإنجليزي ريتشارد هود بايَ تونس بإعطاء الحرية لرعيته، وواجب أمنهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وبالموازاة مع ذلك وصل الأسطول الفرنسي إلى ميناء حلق الوادي وإرساء الأسطول الإنجليزي في موانئ جزيرة مالطة، فاضطر الباي إلى إصدار أمرٍ بموجبه أعطى عهد الأمان لسائر أهل البلاد التونسية على اختلاف أديانهم وألوانهم وألسنتهم، وعلى أبدانهم المكرّمة وأعراضهم المحترمة، ولا يُجبر الذمّي على استبدال دينه[2]، والملاحظ أنّه بعد وصول القنصل المسمّى ليون روش بدأت الضغوطات السياسية والتدخل في الشؤون الداخلية لتونس من قبل السلطات الفرنسية عبره، والتمهيد للتوغل في فرض سياسة الأمر الواقع، والوصول بالنّفوذ الفرنسي إلى دائرة صنع القرار التونسي.

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 35.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

وفي الرابع عشر من أفريل سنة **1858**م أصدر باي تونس أبو عبد الله أمراً بمقتضاه يمنح لليهود الحق في لبس الشاشية الحمراء بعدما كان محرّمٌ عليهم ارتداؤها، ولهم حريّة شراء العقّار بحاضرة تونس وغيرها، وكذا حرية ممارسة الفلاحة [1]، وممّا لا شكّ فيه أنّ الفئة التي مهّدت الطريق لاحتلال الجزائر هي نفسها التي تفتح المجال للفرنسيين لاحتلال تونس لكن بطرق مختلفة وبشخصيات أخرى.

وبعد حوالي سنة من إصدار الباي لذلك الأمر الذي يُعطي عديد الحقوق لليهود، ينتقل أبو عبد الله محمد باي تونس إلى بارئه الأعلى في **22** أفريل **1859**م، ثمّ نُقل إلى بيته باردو وحُمل في موكب مهيب، وقد خلفه في الحكم محمد الصادق باشا، الذي دشّن عهدته بمشروع الاتصالات اللاسلكية (التلغراف) بين الجزائر وتونس لأول مرّة، ثمّ بإصدار حكم الإعدام في **30** أوت **1860**م على من ادّعى المهدوية وهو محمد بن عبد الله، حيث ظهر بجبل خمير[2].

هذا الباي بقي وفيّاً لمشاريع سابقيه، حيث قام باستحلاف الوزراء وأعضاء المجلس الشرعي فرداً فرداً على إتباع القوانين التي أسس لها البايات السابقون الخاصة بعهد الأمان والوفاء بحقوقه [3]، طبعاً تصب هذه الإجراءات كلّها في صالح فئة اليهود بالدرجة الأولى، ثم رعايا الدول الأخرى.

وبتاريخ **25** أوت من سنة **1861**م، أصدر الباي محمد الصادق مرسوماً لتأسيس مجلس مؤقت بوزارة الأمور البرانية[4] بباردو المعمورة، للنظر في النوازل التي تعرضها بالوزارة رعايا الدول الغربية، وشكاوي غيرهم بهم، إلى أن يقع الاتفاق مع دولهم فيما يتعلق بذلك [5]، حيث أن كل هذه الإجراءات كذلك تصب في مصلحة رعايا الدول الأوروبية؛ والقارئ لهذه السطور يلاحظ مدى المبالغة في وصفهم بالدول العظام والحبيبة ضمن قوانين ومراسيم، والأجدر أن تكون كلمات ذات دلالة قانونية بعيدة كل البعد عن الاستعطاف أو المداهنة.

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 36

[2] المصدر نفسه، ص ص 36، 37.

[3] المصدر نفسه، ص 37.

[4] وزارة الأمور البرانية هي نفسها وزارة الشؤون الخارجية، وقد استخدمت دول شمال إفريقيا هذا المصطلح وكذلك مالطا. الموقع الإلكتروني : دعوة الحق، الرابط: https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/7025، تاريخ الزيارة: 2023/02/06م، 16:30.

[5] المصدر نفسه، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 38.

وتوالت المِنح والعطايا للنفوذ والمصالح الغربية من قبل الباي محمد الصادق، ففي **10** أكتوبر من عام **1863**م عقد الباي اتفاقاً مع الإنجليز، جاء في بنده الأول ما يلي:" لرعايا الانجليز من الآن فصاعداً حق ثابت لا نزاع فيه بأن يشتروا ويملكوا ما لا ينقل على اختلاف أنواعه بالمملكة التونسية..." [1]، حيث إذا قلنا الرعايا الإنجليز فبالضرورة ترتبط مصالح اليهود بهذا القانون، على أساس أن المملكة البريطانية الدولة الأبرز في الدفاع عن مصالحهم.

دون أن ننسى جهود الفرنسيّين كذلك لتحقيق أهداف فئة اليهود في البلاد التونسية، حيث طلب القنصل الفرنسي من الباي السماح للجمعية الإسرائيلية العمل بحرّيّة في تونس، فردّ عليهم الباي محمد الصادق باشا بجواب بتاريخ **16** نوفمبر **1865**م تسلّمه المكلّف بشؤون القنصلية الفرنسية بتونس، جاء في نص الرسالة مايلي:"...إنّ وزيرنا الأكبر، وزير الأمور البرانية، عرض علينا مكتوباً منكم في مطلب السنيور قارسين، لتعرفنا بالجمعية الإسرائيلية بمملكتنا، وعلمناه، والجواب أنّنا لا نقبل هذا المطلب، ولا نتعرف بهذه الجمعية في مملكتنا وحماية رعايانا، إسرائيليين وغيرهم، نظرها لنا، ولا نبيح لأحد التدخل فيها إلاّ لعاملهم المتولّي منّا..." [2].

فرغم الضعف الذي ميّز الحكام التونسيين هذه الفترة، إلاّ أن الباي كان حازماً في هذه المسألة التي تُعد تدخلا سافراً في الشأن الداخلي، فكان صريحاً في ردّه على القنصل الفرنسي، ورفض منح الترخيص لعمل الجمعية اليهودية في تونس.

والجدير بالذكر أن فئة اليهود في البلاد المغربية وبعد أن وطأ الاحتلال الفرنسي الأرض المغربية زادت طموحاتها وارتفع سقف مطالبها من الجنسية إلى الامتيازات التجارية فأصبحت لها قوّة ضغط في البلاد المحتلة أو في مركز دولة الاحتلال، وقد تضاعفت أعداد اليهود في دول المغرب على غرار البلاد التونسية.

فقد أورد أمير البيان في مدونته نتائج إحصاء السكان في تونس لسنة **1931**م، حيث وصل عدد السكان التونسيين **2.215.399** نسمة، بزيادة **228.972** نسمة عن إحصاء سنة **1926**م، أي زيادة أكثر من ربع مليون بعد خمس سنوات فقط، في حين بلغ عدد السكان اليهود **56.248** نسمة بعد أن كان في سنة

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 39.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص40.

1926م **2.005** نسمة فقط، أي زيادة أكثر من **54.000** نسمة[1]، وارتفع سكان تونس بين سنتي **1930**م و**1955**م إلى نحو ثلاثة ملايين نسمة، أي خلال ربع قرن من الزمن[2].

فبالمقارنة بين الزيادة الطبيعية للتونسيين وفئة اليهود، نجد أن التونسيين خلال خمس سنوات زاد عددهم ب**10** %، في حين أن فئة اليهود ازداد عددهم ب **96.43** %، وهذا رقم خيالي وغير متوقع؛ وخلاصة القول أن السلطة الفرنسية كانت تقدم تسهيلات كبيرة لليهود، فكل هذا التحول في الأرقام لا يمكن أن يكون عبر الإنجاب بل عبر الهجرة من مختلف مناطق تواجد اليهود إلى تونس.

أما عن العلاقة التي كانت قائمة بين يهود تونس والسلطة الفرنسية، فقد أوردنا معلومات في العناصر السابقة تخص التجار اليهود وقوة الضغط التي يمتلكونها في تونس من خلال سيطرتهم على التجارة الخارجية.

أما في ما يخص قانون التجنيس لدى هذه الفئة، فحركة الشباب التونسي واجهت قرارات السلطة الفرنسية المتعلقة بمنح الجنسية الفرنسية ليهود تونس، رغم أنهم وجدوا أنفسهم موضع اتهامات وسخرية أنصار "تونس الفرنسية" المتعصبين، على غرار دي كارنيار Dé Careniere وأمثاله، فامتد نشاطهم إلى أقامة جلسات نقاش حول مسألة منح الجنسية لليهود، وقضية إصلاح التعليم بالجامع الأعظم (**1909-1910م**)[3].

وقد أورد أمير البيان في مدونته معظم الصحف والمجلات التي كانت تصدر في تونس منذ ظهور الصحافة بالبلاد أي سنة **1860**م، إلى فرض الحماية الفرنسية وإلى غاية **1950**م، فذكر عديد الصحف التي تصدر من طرف يهود تونس، على غرار اليهودي شالوم فلاّح الذي أصدر لوحده ستة جرائد (البدر الكامل، منور الحق، فاضح الأسرار، المترجم، الحرية والاتحاد) بين سنتي **1886**م و **1893**م، كذلك المسمّى سماح ليفي فقد أصدر لوحده كذلك تسعة جرائد حسب ما أورده أمير البيان وهي (مبشر صادق، الجنان، النجمة، حنصنيم، المحيّر، البرق، الفونوغراف، الكاتب، ها بارديس Le Jardin)، وقد صدرت بين سنتي **1885**م و

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص212.

[2] محمد الهادي شريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع محمد الشاوش، محمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، ط3، 1993م، ص104.

[3] محمد الهادي شريف، المرجع نفسه، ص114.

1911م، إضافة إلى السيد جاكوب كوهين الذي أصدر خمسة جرائد، هي (النصر Le Victoire، ناصر المحيّرين، الشعب، الصباح، خلط ملط Péle Méle) وأصدرها بين سنتي **1891**م **1910**م[1].

فبيّن أمير البيان من خلال ذكره لمختلف الصحف والمجلات ذات الخلفية اليهودية، والنشاط الإعلامي المكثّف ليهود تونس أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وبالأخص بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث بدأت صحافة الحركة الإصلاحية والنقابية، وبشكل عام جرائد ومجلات الحركة الوطنية في الظهور بشكل واسع.

3-4 مظاهر الفرنسة بتونس بقلم أمير البيان شكيب أرسلان :

من خلال تتبع مجريات الأحداث في تونس قبل وبعد فرض الحماية يُلاحظ أن السيطرة الفرنسية الفعلية كانت مع تأسيس اللجنة المالية الدولية سنة **1869**م في تونس، أمّا سياسة الفرنسة فبدأت مباشرةً بعد فرض الحماية، وتشجيع الاستيطان، وإصدار عديد القوانين والمراسيم، ومختلف الإجراءات التي تصب في هذا المشروع الاستعماري، وقد نوّه أمير البيان لهذه القضية في مدونته عبر ذِكر وتقرير ومناقشة الكثير من المعلومات التي تخص ممارسات السلطة الفرنسية في تونس.

فقبْل سنة **1907**م، بادرت السلطات الفرنسية بمصادرة بعض الأراضي ومنحها للمعمرين، فقامت في مدينة القصرين ثورة ضد الاحتلال الفرنسي بقيادة علي بن عثمان أحد شيوخ القبائل كما ذكرنا سلفاً، فوجّهت السلطات الفرنسية حملة عسكرية ضد أهالي البلدة، وانتهت بإخمادها واعتقال قائدها، وحُكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص[2]؛ هذه الأفعال لم تكن ضمن سطور بنود الحماية وتعهدات الإدارة الفرنسية، لكن كان يفهمها البعض ما بين السطور، أي من خلال ضرب ضمانات الاتفاقيات عرض الحائط، والشروع في تحقيق مشاريع الاحتلال، ومصالح المستطونين.

فمن إصدارات المقيم العام المختلفة حول تسيير شؤون تونس الداخلية، أعلن المقيم العام الفرنسي في تونس لوسيان سانت في شهر أفريل من سنة **1922**م رفع الأحكام العرفية، وأسّس على إثر هذا الإجراء المجلس الكبير ووزارة العدل، وقرّر كذلك الفصل بين السلطات، وفي غضون أيام عدة وخلال الشهر نفسه،

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 537، 545.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص65.

قام رئيس الجمهورية الفرنسي ألكسندر ميليران بزيارة البلاد التونسية، بداية من **27** أفريل وإلى غاية **03** ماي **1922**م[1]، في هذا الخبر لم يفصل أمير البيان في أهداف الزيارة الرئاسية إلى تونس.

وفي خضم هذه الإجراءات الفرنسية في تونس توفي الباي محمد الناصر، وخلفه الباي محمد الحبيب بتاريخ **10** جويلية **1922**م[2]؛ أما في سنة **1926**م فقد مُنحت للمحاكم الفرنسية صلاحيات واسعة، حيث أُعطيت لها أحقية النظر في المسائل السياسية، كما أُسندت المحاكم التونسية بقضاة فرنسيين[3]، حيث كل إجراء فرنسي في تونس إلا من ورائه غاية استعمارية ومصالح ذاتية وأهداف خفية، حيث منحت الإدارة الفرنسية صلاحيات واسعة للمحاكم الفرنسية، وفي المقابل بدأت تتقلص صلاحيات المحاكم التونسية، وتضيق مجالات عملها تدريجياً.

وقد أورد أمير البيان معلومات قيّمة عن سياسة الاستعمار الفرنسي في مجال الإدارة، وكيف كانت مجحفة في حق التونسيين من حيث الترشح، الانتخاب، والانتقاص من صلاحيات المنتخبين من خلال زيادة عدد الأعضاء المعيّنين من طرف إدارتها على حساب المنتخبين من قبل التونسيين، وهو تلاعب مفضوح من قبل الإدارة الفرنسية وعلى رأسها المقيم العام الفرنسي[4].

وفي الشأن نفسه، رفع أعضاء المجالس التونسية بتاريخ **22** جويلية **1925**م برنامجًا تضمّن عدّة مطالب إلى المقيم العام الفرنسي في تونس، تهدف إلى إصلاح قانون المجالس الصادر سنة **1922**م، أهم هذه المطالب:

- المساواة في عدد النواب الفرنسيين والتونسيين.
- إعطاء المجلس الكبير الحق في الاقتراع على الميزانية ومراقبة مصروفات الحكومة.
- الانتخاب العام بالاقتراع السرّي لمجالس القيادة.
- الفصل بين السلطتين الإدارية والقضائيّة.
- إشراك التونسيين في الوظائف العامّة.
- حريّة الصحافة والاجتماعات العامّة[5].

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص136.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص137.

(3) المصدر نفسه، ص171

(4) المصدر نفسه، ص164.

(5) المصدر نفسه.

المتمعّن فيما حوتْه المطالب، يجد أنّ السلطة الفرنسية كانت غير عادلة في منح المسؤوليات والمناصب، رغم أنها كانت تدّعي -بعد فرض الحماية- أنّها أتت للأخذ بأيدي التونسيين نحو النمو والوصول بهم إلى ما وصلت إليه المدنية الغربية، في حين نجد أنّ الحاصل يعكس واقعاً آخر، يشبه كثيراً واقع المناطق المحتلة بشكل مباشر على غرار الجزائر.

وقد ردّ حزب الدستور على هذه الإجراءات بتنظيم إضراب عام شمل كل التونسيين، سواء كانوا موظفين في دوائر الدولة التونسية المحتلة، أو كانوا رجال أعمال حرة، في مجالات التجارة أو الخدمات [1]، وبتاريخ العاشر من أفريل **1931**م قام الرئيس الفرنسي غاستون دوميرج بزيارة رسمية إلى الأراضي التونسية، تزامنت زيارته مع الاحتفالات الفرنسية في تونس بمناسبة مرور خمسين سنة على فرض الحماية الفرنسية على تونس، ودامت زيارته أسبوعاً كاملاً ، وبعد شهرين فقط افتتح المقيم العام الفرنسي لوسيان سانت في تونس فعاليات المؤتمر السابع للشمال الإفريقي بتاريخ الأول من جوان **1931**م واستمرت اجتماعاته إلى غاية الثالث من شهر جوان من السنة نفسها [2]، بطبيعة الحال كانت هذه الزيارات الرسمية، والمؤتمرات لها غايات استعمارية، يعمل من خلالها ممثلوا السلطة الفرنسية حُكّاماً أو مقيمين في مستعمرات الشمال الإفريقي عبر التنسيق فيما بينهم على خدمة مصالح الدولة الفرنسية.

ومن الممارسات التعسّفيّة في حقّ السياسيين التونسيين قدّم لنا أمير البيان بعض سلوكيات الفرنسيّين غير الأخلاقية، حيث يقول أنّ الفرنسيين في تونس منحوا حق زيادة عدد الوطنيين في الندوة التونسية شرط أن لا يكونوا الأغلبية، وأن لا يكون لهم الحق في التعرض للأمور السياسية إطلاقاً، وأن لا يمسوا أية مبادئ تخص المصالح الاستعمارية الماشية عليها الحكومة التونسية[3].

وبوصول السيد بيروتون Marcel Peyrouton [4] إلى منصب المقيم العام في تونس بدلاً من السيد مونسرون[1]، أصدر باي تونس قراراً يقضي بإعطاء للمقيم العام الفرنسي في تونس سلطات تخص الشرطة

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص171

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص204.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص 330.

(4) **مارسال بيروتون** (1887-1983): بدأ حياته السياسية في المغرب العربي، حي بدأ كسكرتير عام في الجزائر سنة 1931م واستمر إلى غاية 1933م ليتنقل إلى المغرب الأقصى في منصب المقيم العام سنة 1933م ثم إلى تونس في المنصب نفسه إلى غاية مارس من سنة 1936م وقد تأسس في عهدته حزب الدستور التونسي الجديد أي في مارس 1934م، وهو من أمر بإلقاء القبض على زعماء الحزب بعد ستة أشهر من تأسيس الحزب،

هناك، وكان ذلك في السادس ماي من سنة **1933**م[2]؛ وفي **27** ماي من السنة نفسها أصدر الباي قراراً آخر بموجبه يسري قانون الصحافة المطبّق على الجرائد التي تصدر باللغة العربية ليطبّق كذلك على الجرائد الصادرة باللّغة الفرنسية[3]، هذا القانون في ظاهره تنظيم شؤون الصحافة والإعلام في تونس، لكن في باطنه خدمة المصالح الاستعمارية، فلو كان في خدمة التونسيين لما صودق عليه من طرف المقيم العام وكان في طيّ النسيان، ولن تتقبّل الحكومة الفرنسية مثل هكذا قوانين تمسّ باللغة الفرنسيّة، إلاّ في حالة ما إذا كان هذا القانون يقصد بالدرجة الأولى الجرائد الصادرة بالفرنسية ذات الخلفية الإسلامية.

وفي المقابل ولمصلحة التونسيين، أصدر باي تونس قراراً في **03** جويلية **1933**م يقضي بمعاملة المواطنين التونسيين على قدم المساواة مع الرعايا الفرنسيين [4]، ولمصلحة الرعايا الأجانب أصدر المقيم العام الفرنسي في تونس مارسيل بيروتون بياناً يخص رعايا إيطاليا في تونس، كان ذلك في أواخر شهر أوت **1933**م[5].

وفي إطار تبادل الزيارات الرسمية، وخدمة لمصالحها، دعت السلطات الفرنسية في **28** جوان **1934**م باي تونس سيدي أحمد الثاني في زيارة رسمية إلى فرنسا [6]، بغية التباحث في ما وصلت إليه المدنية الغربية في أوروبا، وبالضبط إلى العاصمة باريس، لذا تُعد هذه الزيارة ضمن الإغراءات المادية لحكام المستعمرات من قبل الدول الاستعمارية.

ناهيك عن العديد من الإجراءات الفرنسية في تونس والتي تُصنّف ضمن سياسة الفرنسة، فقد أصدرت السلطات الفرنسية في تونس بتاريخ **14** فيفري **1936**م قراراً يقضي بأن يكون الموظّف الفرنسي العامل ضمن مجالات الخدمة المدنية ملمّاً باللغة العربية قصد قيامه بوظيفته على أكمل وجه، كذلك الموظفون من أصل

وعاد إلى تونس من جديد في جوان 1940م ولم يستمر حكمه إلا شهراً واحداً، ثم عين حاكماً عاماً على الجزائر في سنة 1943م بين شهري جانفي وجوان من السنة نفسها. الموقع الإلكتروني : يونيوبيديا، الرابط: https://ar.unionpedia.org/i/مارسيل_بيروتون تاريخ الزيارة : 2022/03/06م، 16:44.

(1) **فرانسوا مونسرون** (أو مانسيرون) ولد سنة 1872م، درس الحقوق بباريس، بعد تقّده لمناصب إدارية عدّة عين نائباً للمقيم العام بتونس سنة 1912م، أصبح كاتباً عاما للحكومة سنة 1919م، عين واليا على الموزيل في السنة نفسها 1919م، ثم مقيماً عاماً بتونس بين سنتي 1929م و1933م، حيث لبث في تونس أربع سنوات. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين أرسلان والثعالبي**، هامش ص55.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 213، 216.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص217

(4) أرسلان، المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه، ص218.

(6) المصدر نفسه، ص225.

تونسي يجب أن يتقنوا اللغة الفرنسية جيّداً [1]، فمن زاوية أخرى نرى أنه من واجب الموظف الفرنسي أن يُلمّ باللغة العربية على أساس معاملاته مع الأهالي التونسيين باللغة العربية، لكن ليس بالضرورة أن يكون الموظف التونسي ملمّاً باللغة الفرنسية بحكم أنّه في بلده بين أفراد شعبه، والذي يتّخذ من اللغة العربية لغة التواصل والمعاملات في كل المجالات.

وتماشياً مع ما تم ذكره، يذكر الثعالبي ضمن جواب أرسله لأمير البيان :"...أمّا تغيير المنهاج الاستعماري بمنهاج يليق بالكرامة والشرف والحقّ العام وتوسيع الحريات السياسية في شمال إفريقيا، وترفيه أهاليها وتعليمهم فذلك يعادل كلمة "مستحيل" التي كانت لا توجد في قواميس اللغة الفرنسية..." [2]، فقناعة الشيخ الثعالبي ثابتة حول ما إذا كان الفرنسيون سيقدمون منحة واحدة للشعوب المحتلة من قبلهم، بل محنة وراء أخرى كرّست الاضطهاد والتعسّف في احتقار الشعوب وقهر حرياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية.

ويضيف قائلا حول تكريس فرنسا لسياسة الفرنسة في المغارب الثلاث:"...وكيف يمكن لمحتلّ فرنسي في إحدى مستعمرات فرنسا أن يخرج عن سياسة تقليدية راسخة تسير عليها حكومته منذ قرن كامل وهي ترمي بها إلى جعل أقطار شمال إفريقيا إفرنسية لحماً ودماً وديناً وأدباً ولغةً..." [3]، فعبّر الثعالبي عن مدى تعصّب الفرنسي في إذلال الآخر وإهانة معتقداته، وفرض سياسته في جلّ مناحي الحياة، وجعله تابعاً لا شريكاً، رغم أن الفرنسيين تعهّدوا من خلال بنود معاهدة الحماية عكس ممارساتهم بعد التوقيع عليها.

وحول السياسة الفرنسية في تونس والجزائر، يذكر أمير البيان أنّه يجب الرجوع إلى كتاب تونس الشهيدة، أو قراءة كتابات الفرنسيين أنفسهم ومن جملتها ما كتبه فاليان كوتوريه Vaillant Couturier أحد أعضاء البرلمان الفرنسي من الحزب الشيوعي الذي زار تونس والجزائر ووقف على واقعهما [4]، ففكان الأمير من المطّلعين على أخبار الوضع التونسي من خلال أبناء تونس، وعبر كتابات صنّاع القرار الفرنسيين من سياسيين وإداريين عملوا ضمن دوائر الإقامة العامة في تونس.

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص237.

(2) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين أرسلان والثعالبي**، ص65.

(3) أرسلان، **المصدر نفسه**، ص ص 65، 66.

(4) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص ص329.

وبناءً على ذلك، سيكون لأمير البيان تصوّر حقيقي لواقع التونسيين في ظل حكم الفرنسيين، وتصله الأخبار حول أوضاع البلاد التونسية في كل الميادين، فصار أعرف الناس وأعلمهم بسياسة الأم الحنون (فرنسا) في جميع الأقاليم التي تسيطر عليها.

4) بروز الحركة الوطنية التونسية وعلاقة رموزها بالأمير شكيب أرسلان:

في أغلب ما ألّفه أمير البيان من كتب وتحريره لآلاف المقالات، ذكر من خلالها عديد الشخصيات المغربية، فربطته علاقات وطيدة معهم خاصة مع الشخصيات النافذة في الحركة الوطنية التونسية وأخرى لم يكن لها تأثير كبير على الساحة السياسية هناك، سنحاول في هذا العنصر ذكر كل ما تعلّق بالصلات التي ربطت الأمير برواد الوطنية التونسية.

ففي تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي الجزء الثاني، ذكر عدة أسماء لشخصيات تونسية رافقته إلى الأستانة بعد الحرب العالمية الأولى وبالضبط سنة **1918**م، فكان معه الشيخ صالح التونسي، والأستاذ الشيخ خضر حسين التونسي وبعض الرفاق ذوي الأصول التونسية لم يذكر أسماءهم [1]، وقد ذكر الأمير ذلك في سيرته الذاتية، حيث بعد انهيار الجبهة الألمانية العثمانية على إثر قبول شروط الاستسلام من قبل حليفتهم الإمبراطورية النمساوية المجرية، التقى الأمير في طريق عودته إلى الأستانة من ألمانيا مجموعة من الشخصيات العربية التونسية والمصرية على غرار الشيخ صالح الشريف التونسي، والأستاذ الشيخ خضر حسين التونسي، في جملتهم **16** شخصية كانوا يقصدون ألمانيا وسويسرا بعد الإطاحة بالحكومة العثمانية واستبدالها بحكومة الإتحاد[2].

ثم يذكر الأمير أن أحدهم أسرّ له بأن الحكومة التركية الجديدة أشارت له بأن يبقى تلك الأيام في أوروبا ليخدم القضية العربية على قاعدة برنامج الرئيس ويلسون، فأطلع الأمير هذا الشخص على كتاب أنور باشا الوارد إليه، فردّ عليه أنّ أنور وطلعت وجمال باشا كلهم انسلّوا خارج حدود تركيا خفيةً[3].

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، جزء2، ص146.

(2) أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 190.

(3) أرسلان، المصدر نفسه.

هذا وأنّ الأمير كان قد تعرّف على عديد الشخصيات التونسية، فوطّد علاقته مع زعماء الحركة النافذين فيها، ففي كتابه "عروة الإتحاد بين أهل الجهاد" ذكر شكيب أرسلان أقطاب الحركة الوطنية في تونس والجزائر ناكراً أنّه المحرّك الأساسي لها في شمال إفريقيا قائلا :" وقد كان كل ما ادعته فرنسا وجرائد فرنسا من اتهامي بأني أنا المحرّك الوحيد للحركات الوطنية في شمالي إفريقيا كذباً وبهتاناً، ولو كان ذلك صحيحا لما كتمته..." ويذكر أن الحزب الدستوري الوطني يعمل قبل أن تكون له أي صلة بهم وله تشكيلات منتشرة عبر ربوع تونس[1]، بطبيعة الحال كان أمير البيان صريحاً في ما قاله، وأن صلته بالوطنيين التونسيين كانت بعد سنة **1920**م وهو تاريخ تأسيس حزب الدستور التونسي.

ثم يضيف أنه فيما بعد صار التونسيّون يطالعون مجلته "لاناسيون آراب"، وقد أعجبوا بمقالاتها من خلال دفاعه عن القضايا العربية الإسلامية، فنشأت بينهم علاقة وطيدة، من خلالها تمت الكثير من المراسلات والمكاتبة فيما بينهم، وصارت جرائد التونسيين تنقل بعضاً من مقالاته، ثم ذكر أرسلان أن الحبيب بورقيبة خصص عدداً خاصاً بترجمة شكيب أرسلان، واصفا فيه فضله ونشاطه وقول جمال الدين الأفغاني فيه حيث قال :" إنّي أهنّئ أرض الإسلام التي أنجبتك..." [2]، هذا ما كتبه بالإجمال على علاقته بالوطنيين التونسيين، كذلك أورد عديد الأخبار وذكر من خلالها الكثير من الأسماء التونسية، سنحاول قدر الإمكان التقصي عن جوهر علاقة الأمير بهؤلاء الوطنيين كل على حدا.

4-1 علاقة الأمير بالشخصيات: النقابي محمد علي الحامي ومحمد خضر حسين التونسي وعلي بوشوشة:

قدّم الأمير لنا معلومات حول النقابي المميّز محمد علي الحامي قبل أن تكون له شهرة ومكانة سياسية على صعيد الحركة الوطنية التونسية، حيث ذكر أرسلان أنّه لّما كان في بدايات حرب طرابلس سنة **1911**م وراء المتاريس، في إحدى الوقائع كان إلى جانبه شاب تونسي صفاقسي اسمه "علي" كان قد استخدمه لجلب الطعام لهم[3]، وأغلب الظنّ أنّ هذا الشاب هو النقابي المشهور "محمد علي الحامي" من مدينة قابس وليس من مدينة صفاقس، ربّما اختلطت أسماء المدن على الأمير فقط.

---

(1) شكيب أرسلان، **عروة الاتحاد بين أهل الجهاد**، ص156.

(2) المصدر نفسه، ص157.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، ج2، ص 123.

حيث يقول الأستاذ الطاهر عبد الله في كتابه الحركة الوطنية التونسية، أنّ محمد علي الحامّي تطوّع في حرب طرابلس ضدّ الإيطاليين، بحيث كان يقود سيارة الهلال الأحمر التونسي لنقل المساعدات المالية والغذائية، ثم تعرّف إلى القائد التركي أنور باشا الذي رافقه من تونس إلى الجبهة الطرابلسية، فاختاره أنور باشا ليكون سائقه في ميدان القتال، وقد غادر ليبيا بعد انسحاب الأتراك منها إلى مصر ثم سوريا فاسطنبول، ثم إلى برلين بألمانيا[1].

وبعد فترة من الدراسة، عاد إلى تونس سنة **1924**م ليكون أحد أبرز قادة النضال النقابي في تونس [2]، لكن الأستاذ لم يُشر قطّ إلى لقاءات أمير البيان بالشاب التونسي محمد علي الحامي، في حين يذكر الأمير أنه التقى به في طرابلس دون ذكر تفاصيل ذلك، وعند مغادرة أمير البيان إسطنبول بعد انهيار الجبهة التركية الألمانية التقى بما مجموعه **16** شخصية تونسية، ذكر أسماء بعضِهم كما أسلفنا، لكن لم يذكر اسم الشاب محمد علي الحامي، حيث توجّهت المجموعة كلها نحو ألمانيا، وأغلب الظنّ كذلك أنّ محمد علي كان برفقتهم، وبطبيعة الحال سوف تتكون علاقة شخصيّة مع الأمير وسيكون هناك تأثير وتأثّر.

وفي موضع آخر يذكر أمير البيان شخصية النقابي محمد علي الحامّي، حيث يقول أن العمل النقابي كان من شأنه رفع مستواه المطالبي، حيث عبّر أمير البيان عن نجاح الحركة النقابية في تونس بفضل زعيمها محمد علي، ونقل الحركة من حظيرة النقابة إلى تكوين مؤسسة نقابية عمّالية تونسية مستقلة، لكن السلطات الفرنسية مُمثّلةً في المقيم العام لوسيان سان حال دون منحهم حريّة العمل في هذه المؤسسة، حيث ذكر أمير البيان أن المقيم العام الفرنسي قام بإبعاد محمد علي وأصدقائه في النقابة خارج حدود تونس، وكان ذلك سنة **1924**م، وقد مات كل هؤلاء بعيدا عن الأهل والوطن كما ذكر أرسلان[3].

لكن أمير البيان من خلال مؤلفاته لم يذكر العلاقة التي ربطته بالسيد محمد علي، ففي حدود اطلاعنا على مؤلفات الأمير شكيب أرسلان، تبيّن لنا أن الأمير يعرفه جيّدا دون ذكر تفاصيل العلاقة التي كانت قائمة بينهما.

---

(1) الطاهر عبد الله، مرجع سابق، ص 185.

(2) الطاهر عبد الله، المرجع نفسه.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص148.

أما فيما يخص الشيخ حسين الخضر التونسي [1]، فإنه يُعدّ من الشخصيات التونسية التي خلّفت إرثاً ثقافياً، عبر مساعيه الحثيثة في مجال التعليم والقضاء والفقه في مشيخة الأزهر، وقد ذكره أمير البيان في عدة مواضع من مؤلفاته، على غرار كتابه "الرسائل المتبادلة بين أمير البيان والشيخ عبد العزيز الثعالبي"، ففي إحدى رسائله إلى الثعالبي، أوصى الأمير الثعالبي بأن يسلم له على السيد حسين الخضر التونسي في مصر [2]، ومما لا شك فيه فقد كانت هناك علاقة قائمة بين أمير البيان والسيد حسين الخضر.

وقبل ذلك وخلال اندلاع الثورة العربية ضد الدولة العثمانية سنة **1916**م، ذكر أمير البيان أن جمال باشا بدأ يتراجع عن ممارساته الوحشية والتضييق المتزايد على رجال العرب وعلمائهم، وأطلق سراح العديد منهم، وقد صرّح الأمير أن له دور في ذلك، ومن جملة من أطلقهم الشيخ صالح الرافعي والشيخ محمد خضر حسين التونسي، حيث كانا قد اقترفا ذنباً في نظر جمال باشا وهو أنهما استفتيا في أحد المجالس في جواز الخروج عن الدولة أو عدمه فلم يُفتياَ بذلك، إلاّ أنّهما لم يُبادرا إلى إخبار جمال باشا عن هذا الاستفتاء، فأمر بسجنهما[3]، فكان لأمير البيان دور في إطلاق سراح الشيخ محمد خضر، ومعرفته به في تلك الفترة تدلّ على قدم العلاقة بينهما، وقد خدما السلطة العثمانية معاً.

إضافةً إلى ذكر اسمه، كذلك عند إرسال مكتوب من طرف الأمير إلى السيد رشيد رضا سنة **1933**م، حول طباعة كتابه حول الإمام الأوزاعي، فاقترحوا عليه أن يصححّه ابن أخ السيد رشيد رضا، فرفض الأمير واقترح أن يصححه السيد خضر حسين وقال فيه:"...ولكن أفضّل أن يكون تصحيح مسودّات الأوزاعي بواسطة الأستاذ الشيخ خضر حسين، لأن كتاب الأوزاعي هو كتاب فقه وحديث، ومحدّثين ليس كحاضر العالم الإسلامي، فالشيخ خضر أدرى بموضوعات كتاب الأوزاعي، وأجدر بأن يصحّحه، فاذكروا ذلك للسيد

---

[1] **محمد خضر حسين التونسي (1874م–1958م)**: فقيه وعالم تونسي من أصول جزائرية حيث ترجع أسرته إلى بيت العمري بطولقة ببسكرة، رحل والده إلى تونس منتصف القرن 19، إلى بلدة نفطة، رفقة صهره مططفى بن عزوز، في بلدة نفطة ولد الخضر، ثم انتقل إلى تونس العاصمة مع والده ليلتحق بمقاعد الدراسة فيحصل على شهادة التطويع من جامع الزيتونة، درس بمعهد الزيتونة والخلدونية، تولى مهنة القضاء في بنزرت إلى غاية 1904م، هاجر قسراً إلى دمشق ثم مصر عام 1922م، حيث نال هناك عضوية هيئة كبار علماء الأزهر، اختير إماماً لمشيخة الأزهر عام 1953م، وبقي هناك إلى أن وافته المنية. الموقع الإلكتروني: الموسوعة التونسية، الرابط: http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B6%D8%B1_%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86، تاريخ الزيارة: 2023/02/04م، 16:20.

[2] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص 15.

[3] أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص269.

عبد العزيز البابي..." [1]، فالظاهر أنّ للشيخ خضر مكانة علمية لدى أمير البيان من خلال هذه التصريحات حول مستواه العلمي، والّثقة الكبيرة التي حظي بها الشّيخ عند الأمير شكيب أرسلان.

أما عن شخصية علي بوشوشة ففي حدود اطلاعنا فإن الأمير لم يذكره إلاّ في موضع واحد، حيث ذكره أمير البيان في مدونته، وبأنّ علي أبوشوشة [2] صاحب جريدة الحاضرة التونسية جمع حول جريدته كتلة قويّة من أصدقائه ومن أفضل طلبة جامع الزيتونة لتقوية روابط تونس بحركة الجامعة الإسلامية، والمطالبة بتطبيق ما جاء في دستور تونس من سنة **1867**م، والذي اعترف به في اتفاقية باردو ومعاهدة المرسى[3].

4-2 خلاصة مراسلات أمير البيان مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي :

ذكر أمير البيان في عديد المواضع من كتاباته أخبار وسير نشاط الشيخ الثعالبي الإصلاحي والسياسي، فكان متابعاً لكل أخباره وأعماله في الحركة الوطنية التونسية، وقد انفرد الشيخ عبد العزيز الثعالبي عن أقرانه بعلاقته مع الأمير من خلال العدد الكبير للرسائل المتبادلة بينهما، وقد خلّفها أرسلان لتُجمع وتُطبع في كتاب تحت عنوان: "الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب والشيخ الثعالبي"، فأردنا من خلال هذا المُؤلَّف البحث في مضامين هذه الرسائل والقضايا التي شغلت الشخصيتين طيلة الفترة التي تواصلا فيها معاً، إضافة إلى محاولتنا تقصي كل أخبار الشيخ الثعالبي الواردة في مقالات ومؤلفات أمير البيان.

كانت معرفة الأمير بالثعالبي مبكرةً جدّاً، فعبْر متابعته لقضايا المغرب العربي، ذكر الأمير في مدونته عديد الأخبار المتعلقة بالشيخ الثعالبي، حيث كان أول ذِكر لاسم الشيخ في المدونة يتمحْور حول خبر تأسيس الأخير وأصدقائه حزباً جديداً سنة **1919**م، هدفه المطالبة بنظام دستوري، حيث أطلقوا على الحزب تسمية "حزب

---

(1) أرسلان، **رسائل علمية وأدبية**، ص21.

(2) **علي بوشوشة (1859-1917م)** : من أصول جزائرية، هاجرت عائلته من جيجل الجزائرية إلى بنزرت التونسية، وتصاهرت مع عائلة ابن الشيخ الجيجلية الجزائرية كذلك، التحق بالكتاب ثم إلى الجامع ثم أدخله أبوه إلى المعهد الصادقي عند افتتاحه، ثم أكمل دراسته بإنجلترا حيث قضى بها ثلاثة سنوات، وعاد إلى تونس سنة 1881م بعد فرض الحماية، أسس سنة 1888م جريدة الحاضرة التي خاضت في جميع ما يتعلق بالحياة العامة في تونس، وكان من المساهمين في تأسيس جمعية الخلدونية سنة 1896م، وقد انتقل إلى جوار ربه على إثر مرض عضال يوم 18 أوت 1917م. الصادق الزمرلي، **أعلام تونسيون**، تق وتع : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1986م، ص ص 133-140. خير الدين شترة، **"النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-1956م"**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، المجلد السابع، العدد 1، ديسمبر 2012، ص ص 109- 110. من الموقع الإلكتروني : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/142/7/1/6260 تاريخ الزيارة : 2022/03/12م، 16:35.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 62، 63.

الدستور"، ونشروا بيانًا [1] إعلامياً لتوضيح أهدافهم من تأسيس هذا الحزب [2]، ثمّ أورد الأمير خبر إصدار الثعالبي لكتابه "تونس الشهيدة" سنة **1920**م باللغة الفرنسية، حيث تضمّن الكتاب فظائع وفضائح الفرنسيين في تونس [3]، وبتتبع أخبار الحزب كتب الأمير خبر نشر جريدة "الدييش تونسيان La Depeche Tunisienne" بتاريخ **20** جوان **1920**م، مطالب حزب الدستور التونسي الملخصة في ثمانية نقاط، قد أرسلها الحزب إلى المقيم العام الفرنسي في تونس[4].

ثم أورد أمير البيان في مدونته خبر اعتقال الشيخ عبد العزيز الثعالبي في باريس من طرف السلطات الفرنسية في شهر ديسمبر من سنة **1920**م بتهمة التآمر على أمن الدولة الفرنسية، حيث نُقل إلى تونس وحُكم عليه تسعة أشهر يقضيها في السجن العسكري هناك [5]، لكن شكيب أرسلان لم يزوّدنا بتفاصيل سِجنه والسبب الحقيقي وراء اعتقاله.

وبعد خروجه من السجن قام الثعالبي وصديقيه الشيخ محمد الرياحي والشيخ صالح بن يحي [6]بإعادة هيكلة وتنظيم حزب الدستور بشكل متين، وركّزوا على انتشاره الواسع ليمسّ معظم مناطق تونس، وأصبح الثعالبي رئيساً له وأحمد الصافي[7] أمينه العام[1].

---

[1] جاء في هذا البيان ما يلي: "الغاية من تأسيس الحزب هي تبليغ الوطن رشده، وتحريره من الاستعباد، كي يصبح الشعب التونسي حرّاً، متمتعا بكامل الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الحرّة، وهو يريد أن يصل إلى هذه الغاية، عن طريق التحقيق العاجل لنظام دستوري يسمح لهذا الشعب بحكم نفسه بنفسه، وفاقاً للأسس التي يسير عليها كل العالم المتمدن". أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص94.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص94.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص112.

[4] المصدر نفسه، ص119.

[5] المصدر نفسه، ص126.

[6] **صالح بن يحي بن الحاج سليمان** : جزائري الأصل والمولد، عالم إباضي من مؤسس الحزب الدستوري التونسي القديم، ولد في بني يسقن في ميزاب، تلقى العلوم على يد العلامة محمد بن يوسف أطفيش، وغيره وأتم دراسته بجامع الزيتونة، وكان من الأغنياء حيث استقر بتونس قصد التجارة، فشارك في الحركة الوطنية التونسية التي قادها الشيخ عبد العزيز الثعالبي، حيث كان أبرز أعضاء حزب الدستور القديم، حيث قال أحمد توفيق المدني أن صالح بن يحي هو من أظهر حزب الدستور التونسي القديم، بدعايته وحماسه ومساندته للشيخ الثعالبي مادياً ومعنوياً، توفي سنة 1948م. عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ص194.

[7] **أحمد الصافي** (1882-1935م) من الوطنيين التونسيين والمناهضين للوجود الفرنسي الاستعماري في تونس، من رواد المدرسة الصادقية، ينحدر من عائلة عريقة بتونس العاصمة، درس الحقوق بباريس، والتحق بسلك المحاماة سنة 1919م، كان من مؤسس الحزب الدستوري التونسي سنة 1920م، تولى الأمانة بالحزب، تولى رئاسة ثلاثة وفود إلى العاصمة باريس، كتب عدد كبير من المقالات في عديد الصحف التونسية. الموقع الإلكتروني: لموسوعة عريق، الرابط :

https://areq.net/m/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B5%

بدأت مراسلات أمير البيان بالشيخ الثعالبي من خلال تواريخ الرسائل التي أُدرجت في الكتاب، من شهر جانفي **1924**م إلى غاية شهر ماي **1935**م، حيث ضمّ الكتاب بين دفتيه ما مجموعه تسعة عشر رسالة، ووصلت عدد أوراق الكتاب **92** صفحة فقط.

في الرسالة الأولى المؤرّخة بتاريخ السابع جانفي **1924**م، والتي أرسلها أمير البيان من الأستانة، افتتح كتابه بذكر الشقاق والأزمات التي ألّمت بالعالم العربي وبالأخص في مصر وتركيا، ثم استعرض قضية الإمام يحي[2] باليمن واختلافه مع الإنجليز، واقترح عليه أرسلان أن يكون -أي الثعالبي- ضمن وفد للعمل على إفشال مخطط احتلال اليمن، لأن الشافعية حسبه يطلبون الحماية الأجنبية، ثم طلب منه الاتصال بالسيد رشيد رضا[3]، وكذا جمعية الرابطة الشرقية لعلّها توافق على هذه المهمة[4].

ثم استرسل في إعطاء النصائح والمقترحات، كتشكيل إدارة خلفية متحدة، وإقامة العدل ومراقبة القضاة، ثم تأسيس جيش يمني وإنشاء معمل للسلاح داخل اليمن، وأضاف أن اليمنيين إذا احتاجوا معامل أوروبية فلا يتصلوا بالإنجليز، لأن لها مطامع هناك، لذا عليهم اللجوء إلى الألمان أو السوريّين، أو من أمم لا مصالح لها في اليمن، وختم رسالته بعدم قدرته على السفر إلى اليمن لفراقه عن العائلة لفترة غير وجيزة، وكذا دخول فصل الشتاء، مع إصابته بنزلة برد[5].

ولأن أمير البيان كانت أفكاره تتجاوز حدود بلده لبنان، وكل حدود الأوطان التي اهتم لشؤونها، ففي معظم رسائله التي أرسلها إلى الشيخ الثعالبي تناول من خلالها مسألة الوحدة العربية، ففي الرسالة المؤرخة في

D8%A7%D9%81%D9%8A_(%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A_%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A).html تاريخ الزيارة : 2022/10/23م، 17: 09.

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص127.

(2) **الإمام يحي (1869-1948م)**: هو يحي بن محمد بن يحي حميد الدين الحسني العلوي الطالبي، من أئمة الزيدية الشيعة في اليمن، ولد بصنعاء باليمن، تفقه في الدين وتعلم بمسقط رأسه، ثم انتقل مع أبيه إلى صعدة، ثمّ ولي الإمامة خلفاً لأبيه، ولما كانت صنعاء تحت حكم الأتراك هاجمها وحاصرها فاستسلمت له، لكن بعد معاودة القتال خرج منها رأفة بأهلها، وبعد تعيين الوالي محمد علي باشا، عادت الثورة وحوصرت صنعاء وانتهى القتال بعقد الصلح بين الإمام يحي والأتراك، فنصب ملكا على اليمن، لكن حكمه وُصف بالفردية والاستبداد، كان شديد الحذر من الأجانب منكمشا داخل حدود اليمن، توفي مقتولا على إثر انقلاب دُبّر له. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي**، ص9.

(3) وقد نوّه الأمير إلى هذه الرسالة في كتابه "السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة" والمؤرخة في 22 شعبان 1342هجرية، ويقابلها شهر جانفي من سنة 1924م ميلادية من الصفحات 349 و350.

(4) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 9، 10

(5) أرسلان، **المصدر نفسه**.

الثاني من مارس **1924**م، اقترح على الثعالبي إقامة مشروع ذي سلطة أدبية -كما قال- سلاحه الدّعاية في العالم الإسلامي ككل، يتمثل هذا المشروع في تأسيس جمعية تجمع عظماء المسلمين ومختلف الجمعيات في العالم الإسلامي، واقترح أن تكون لها فروع في تونس والجزائر والمغرب الأقصى، وباقي الأقطار العربية، والظاهر أن شكيب أرسلان كانت صلته بالشيخ وثيقة[1].

حيث يقول:"...من جهة المشروع أنا موافق عليه بدون اطلاعي على قانونه، لأنني أمضي لك على بياض كما يُقال، وما تراه حسناً أراه أنا حسناً....وأنا موكّلكم فإن وجدتم بي لباقة للعضوية فالأمر لكم..."[2]، ويُلاحظ أن أرسلان كان يُكنّ للشيخ احتراماً كبيراً، فملأ قلبه مهابةً وإجلالاً، فهو من اقترح ذلكم المشروع، ثم يصرّح أنه موافق على مقترحات قانونه الأساسي، حيث يمضي على بياض كما قال، ثم يقدّم نفسه على أنه موكلهم إن قبلوا ذلك، فالأمر يعود في الأخير للشيخ الثعالبي، وهذا دليل على مدى توقير شكيب للثعالبي، ومنحه المكانة الروحية المميزة.

والجدير بالذكر أن الأمير كان يستشير الشيخ عبد العزيز الثعالبي في أمور عدة، ففي رسالته المؤرخة في **23** ماي **1926**م كان شكيب يسأله عن عديد المسائل المتعلقة بانتقال الخلافة إلى قادة العالم العربي، وحيثيات مؤتمر الخلافة[3] الذي انعقد في مصر بطلب من شيوخ الأزهر وقد حضره الثعالبي، وقد بلغ الأمير أن الثعالبي كان ضد خلافة آل سعود، فسأله الأمير عن ذلك، وأضاف قائلاً :"... أمّا أنا فأناجيك بفكري لأني أثق بك كما أثق بنفسي وإن رأيت خطأً صححه لي فعندك خبرة، ورأيت بعينيك وسمعت بأذنك، ومن الأصل أصالة رأيك معلومة..."، ثم طلب الأمير من الثعالبي إعطاء رأيه في الحسين وأبنائه، وفي ملك اليمن، وكذلك في شخص الملك المصري، ومن هو الأجدر في حمل عبء الخلافة[4].

---

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 13-16.

(2) المصدر نفسه.

(3) **مؤتمر الخلافة** : انعقد في مصر في ماي 1926م تحت وصاية الملك المصري وبطلب من علماء الأزهر، كان الملك يهدف إلى الوصول إلى منصب الخلافة بعد إلغائه في تركيا، لكن أعمال هذا المؤتمر لم تثمر، ولم يخرج المؤتمرون بنتيجة، وأُجّلت مسألة انتخاب خليفة للمسلمين، وكان عبد العزيز الثعالبي من المشاركين في هذا المؤتمر ممثلا لدولة العراق مع عطاء الخطيب. أرسلان، **المصدر نفسه**، ص17.

(4) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص17-20.

وفي جواب للثعالبي وردّا على طلب أمير البيان المضي في تنشيط أعمال الجمعية الإسبانية الإسلامية [1]، كتب الشيخ أنه صار لا يثق في الجمعيات الأجنبية، وأن الساحة السياسية في مصر اتصفت بالتراع العنيف، فانقسمت الساحة إلى أحزاب متنافرة، فقال أن في مصر اليوم حمّى سياسية مزّقت وحدتها شرّ تمزيق، ثم يضيف قائلاً :"...لهذا ترانا معشر الشرقيين الأجانب عن مصر نحاذر أشدّ الحذر التورط في المشاكل الحزبية، والدخول في غمارها مع عطفنا لمصر وإخلاصنا لقضيتها واهتمامنا بها جميعاً..."، ورغم كل هذا فإن الثعالبي قدّم يد العون لهذه الجمعية بعد إرساله أسماءً لشخصيات اقتصادية وسياسية يعتمدون عليها، وكذا نسخاً من القوانين التجارية، ومجموعة قيمة من التقارير والمطبوعات المؤلفة بالعربية، وعرفهم ببعض البيوت التجارية المعروفة في الجزائر وتونس ومصر و.....، وبدورهم أي أعضاء الجمعية الإسبانية بعثوا له كشفاً عن المصانع الإسبانية وما تنتجه من البضائع، وطرائقها في البيع والشراء قصد ترويج منتجاتها في المشرق[2].

ولعلّ أهم ما كتبه الشيخ الثعالبي في هذه الرسالة هو فكرة النضال الاقتصادي، حيث أكّد على أهمية الاتصال المادّي بالجمعية، لأنه أنفع للطرفين وخيرٌ من الاتصال الأجوف كما قال، وهذا يساعد مستقبلاً على الاستعداد للكفاح عبر المقاطعة السلبية للمستعمرين، حيث يقول الشيخ أنّ ذلك أشدّ عليهم و أنكى من حروب الواجهات[3].

أمّا الرسالة المؤرخة في **14** أفريل **1933**م، نوّه الأمير على أهمية مساندة الجمعية الإسبانية الإسلامية، وأنّ البوليس الإسباني قد دخل بيت الطاعة الفرنسية، وصار في طوع إشارة فرنسا، وربّما أكثر من إشارة إسبانيا نفسها، لذا السياسة الاسبانية في الريف وبالأخص في تطوان تغيرت وبادرت إلى التضييق على الوطنيين هناك وبعض المتعصبين اللاتينيين صار يروج للسياسة الفرنسية لتكوين جبهة واحدة ضد الإسلام، ثم أشار

---

(1) **الجمعية الإسبانية الإسلامية :** تأسست بمدريد وكذلك البيت العربي، حيث تأسست في جوان 1932م، وكان هدفها التفاهم مع المغاربة وتمتين الصداقة مع العرب المسلمين، وكان أعضاؤها الاسبان من الحزب الاشتراكي، والبعض من أصل عربي، مثل خيل بني أمية أما تركيبة مجلسها الإداري المسير فهم الرئيس:خوشي فرانتشي، خليفتان(نائبان): الأمير شكيب أرسلان، وإميليو بيانديو، أما أمين المال:ملتشيور ماريال، والكاتب العام:إنريكي دي رافلس، وخلفتاه: سانتيا عونباردل، ومحمّد الفاسي. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص58.

(2) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص27- 31.

(3) المصدر نفسه، ص31.

الأمير إلى مسألة الشيخ الكتاني الموالي للفرنسيين في المغرب، والتي سنحاول شرحها في الفصل الخاص بالمغرب الأقصى[1].

وفي الرسالة رقم **07** المؤرخة في **21** أفريل **1933**م والتي كانت مختصرة جدًا، سأل من خلالها الأمير الثعالبي حول إمكانية التوسط له لدى مشيخة الأزهر، لأنّه لا يعرف أحداً في إدارة الأزهر، ثم انتقل إلى موضوع آخر، والذي خصّ الخلاف الذي جرى في الجزائر بين من سمّاهم الأمير بالسّلفيين من جهة، والطُّرقيين من جهة أخرى، دون تفصيل في القضية، حيث ذكر أن الطائفتين وصلت لدرجة السباب، فتجاوزوا العلويين والإرشاديين في الجاوة بإندونيسيا، والظاهر أن الأمير أراد الاستفسار في القضية، ومعرفة تفاصيل هذا الخلاف[2].

الذي نشب بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعض شيوخ الطرقية، حيث يقول الشيخ ابن باديس في هذا الشأن:"...فلمّا ارتفعت دعوة الإصلاح في (المنتقد) و(الشهاب)، حسب الناس الهدمت تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان، ورسّخها الجهل، وأيّدها السلطان، محال. ولقد صمد (الشهاب) للطرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فسائد عقائد، وعلى العقول من باطل أوهام، وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه..."[3]، فبيّن ابن باديس جهود جرائد جمعية العلماء في محاربة ضلالات وأباطيل الطرقية، ومُجاراتها للإدارة الفرنسية على حساب الدين، والابتداع فيه، وانحرافها عن العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ثم يضيف"...حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها-علم الله- من بلاء على الأمّة من الداخل ومن الخارج، فعملنا على كشفها، وهدمها مهما تحمّلنا في ذلك من صعاب..."[4]، حيث عبّر الشيخ ابن باديس صراحةً عن إعلان الجمعية حربها على الطرقية، والعمل على كشف مخطّطاتها وممارستها المخالفة للدين، طبعاً كانت حربهم تعترضها مختلف الصعاب والعراقيل، أبرزها الإدارة الفرنسية التي كانت تساندها بكل قوّة.

---

[1] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 32- 46.

[2] أرسلان، **المصدر نفسه**، ص 47.

[3] ابن باديس، **آثار ابن باديس، مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية**، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، الجزء 2، المجلد 2، ص369.

[4] ابن باديس، المصدر نفسه.

وقد ردّ الثعالبي على مسائل الأمير في الرسالتين السابقتين، وفصّل في قضية عبد الحي الكتاني [1] التي سنتطرق لها كذلك في الفصل الخامس، ثم طرح قضية من سمّاهم بالوصوليين ببلاد شمال إفريقيا، وذكر مجموعة أسماء لشخصيات من المغارب الثلاث (تونس والجزائر والمغرب) على غرار مولاي محمّد، أحمد باي، المقرّي، الهادي الأخوة، الطاهر خير الدين، ابن غبريط [2]....وغيرهم من الذين وصفهم بالمحرّضين للفرنسيين على قومهم وتحقيرهم والاستهتار بذاتيتهم، حيث أضاف أن همهم الطمع والعيش في أمن، مرفّهين في عيشة مادية سقيمة، لذا كررّ الثعالبي ناصحاً للأمير، أنه لا يغتر بزعانف الوصوليين، فهم شركاء فرنسا في كل محنة تتزل على شمال إفريقيا[3].

أمّا الرسالة التي أُرّخت في **31** أوت **1933**م، بدأها الأمير بالمسألة التونسية وأبدى حبّه في الإطلاع عليها وتبادل الآراء مع الشيخ الثعالبي في شأنها، وبالأخص الحوادث الأخيرة، ثم يضيف الأمير أنّ التونسيين استأنفوا نهضةً جديدة تدلّ على أنّهم لازالوا أحياء، ويظنّ أن سبب تغيير المقيم العام الفرنسي "مونسرون" في تونس إلاّ دليلاً على اضطراب الحالة في تونس، ومن الممكن أن تتغير سياسة فرنسا بعد تعيين مقيم عام جديد، ويضيف أنّ رفع المقيم العام في المغرب السيد سان لوسيان أفضل من بقائه[4].

وتماشيا مع ما تم ذكره، يظنّ الأمير أنه على فرنسا تعديل خططها في شمال إفريقيا، لأن في تونس والجزائر حركة قويّة وفي المغرب الأقصى حركة وطنية تزيد قوّةً عن سابقيها، ثم ذكر أنّه علم من مصادر

---

[1] عبد الحي الكتاني (1888م- 1962م)، رحالة مغربي، وعالم في الحديث النبوي، ولد بفاس المغربية، وقد اعتقل سنة 1909م بسبب عدم ولائه للأسرة العلوية، وحين فُرضت الحماية على المغرب قدم ولاءه للسلطة الفرنسية، كانت له علاقات واسعة في مصر والشام والحجاز وتونس والجزائر وعاد بعديد المخطوطات، ضُمّت مكتبته الضخمة إلى خزانة الكتب العامة في الرباط، بعيد الاستقلال جاهر ببيعته لابن عرفة (الذي صنعته السلطة الفرنسية) بعد أن نُفي الملك محمد الخامس عن عرش بلاده، ولّما استقلت المغرب توجه نحو باريس واستقر بها إلى ان وافته المنيّة هناك.
أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، هامش ص31.

[2] سي قدور بن غبريط أو عبد القادر بن غبريط (1868م-1954م) : ولد بمدينة سيدي بلعباس بالجزائر، يرجع أصله إلى عائلة من الأعيان بتلمسان، يقال أنه كان تلميذا مميزا في مرحلة الثانوي بالمؤسسة الثانوية (Lycée Taaibia) بالجزائر العاصمة، شرع في العمل بالقضاء الإسلامي في الجزائر، ثم انتقل إلى المغرب ليعمل لدى المفوضية الفرنسية بطنجة كمترجم سنة 1893م، وقد وُصف بمترجم البعثة الفرنسية بطنجة، ورئيس البروتوكول في المحكمة الشريفة بالرباط، ومؤسس مسجد باريس، ومقترح السياسة الإسلامية داخل فرنسا، شارك كذلك في البعثة الفرنسية في مؤتمر الجزيرة الخضراء، والذي أقرّت فيه أولوية فرنسا في المغرب، وصار وزيراً مفوضاً لسلطان المغرب، توفي في 24 جوان 1954م في باريس.
الموقع الالكتروني: التاريخ المغاربي، الرابط: https://maghrebhistory.com/%D8%A8%D9%86-%D8%BA%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%B7/، تاريخ الزيارة : 16:52/ 2022/03/14.

[3] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي**، ص ص48- 51.

[4] أرسلان، **المصدر نفسه**، ص55.

موثوق فيها أن الحكومة في باريس تعتقد اعتقاداً جازماً أن هذه الحركات فيها من الشرق من حركة "البانيسلاميزم Le panislamisme"[1]، وأنه إذا اندلعت حرب في أوروبا فسوف يثور المسلمون في الأقطار الثلاثة، وقد سمع من كلام أحد الوزراء الفرنسيين أنه قال :"...هذه المرّة سنضطر لإرسال عساكر من فرنسا لمحاربة مسلمي شمال إفريقية، بدلاً من أن نأخذ منهم عساكر إلى أوروبا..."، ويعتقد الفرنسيون كذلك أن الإيطاليين لهم اليد الطولى في تحريك المسلمين، فيظنّ الأمير أن هذه النقطة من جملة ضلال الفرنسيين، لأن المسلمين يبغضون الطليان لما فعلوه في طرابلس، فصار كرههم لهم أشد من كره الفرنسيين [2]، وعلاوةً على ذلك فقد ختم أرسلان رسالته بطلب النّصيحة والإرشادات من الشيخ الثعالبي ثم ترجّاه أن لا تنقطع أخباره عليه[3].

عالجت مضامين الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي عديد القضايا لمختلف أوطان العالم الإسلامي، ففي رسالة الشيخ الثعالبي المرسلة بتاريخ **15** سبتمبر **1933**م مسألة الطالب البوسني الذي أراد الالتحاق بالأزهر قصد التعلم والتفقه في الدين، فشرح الثعالبي ظروف مراسلة مشايخ الأزهر على غرار الشيخ سالم مفتيج الذي راسله منذ أربعة أشهر لكن لم يردّ، والطالب البوسني لم يعد وأغلب الظن رجع إلى بلاده، وفي الشق الثاني من الرسالة، وصف من خلالها الثعالبي ظروف الطرابلسيين في ظل الاحتلال الإيطالي جواباً على سؤاله، وفتح الثعالبي مسألة الحملة الإعلامية المضادة من طرف الإيطاليين بأيدي أذنابهم من النفعيين كما وصفهم، على غرار صاحب جريدة الترقي كما أسلفنا ذكر ذلك في الفصل الثاني الخاص بليبيا[4].

ولا بد من الإشارة إلى ما نوّه إليه الثعالبي في الشق الثالث من الرسالة، حيث يرى أن الحالة في تونس من سيء إلى أسوء، وأن تغيير المقيمين العامين الفرنسيين منذ فرض الحماية وإلى غاية كتابة تلك الأسطر - حيث تعاقب على المنصب **12** مقيما- لم يغير شيئًا، إلا التعاقب على التنافس في خدمة فرنسا وفي السلب والنهب وإرهاق الشعب التونسي بالمظالم والمغارم، باعتماد قاعدة الغرْم على التونسيين والغنْم للفرنسيين،

---

(1) حزب البانيسلاميزم Le panislamisme : كلمة فرنسية أو انجليزية تعني السياسة الإسلامية أو الوحدة الإسلامية حيث تعتمد أفكار الجامعة الإسلامية والأسس النهضوية للشيخين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، وغيرهم في مرجعية الدين الإسلامي في الحركة الإصلاحية العالمية للمسلمين. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، هامش ص55.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص ص55، 56.

(3) المصدر نفسه، ص57.

(4) المصدر نفسه، ص ص 59، 64.

ويضيف أنّ كل مقيم عام يأتي لا يعيد النظر في أخطاء سابقه ولو كان ظلماً وعدواناً صارخاً، بل يضيف لذلك الظلم ظلماً أشدّ وعدواناً أفظع كما صوّر لنا ذلك الثعالبي في جوابه للأمير، فذكر الشيخ أنه ليس متفائلاً لهذا الوضع، وما يجري في تونس يجري بعينه في المغربين، لأن الظروف تأتي على مقادير الفرنسيين وليس مقادير شعوب شمال إفريقيا [1]، فخالف الشيخ الثعالبي الأمير في تفاؤله عند مجيء المقيم العام الجديد، فيرى أنه لا تغيير في سياسة الفرنسيين في تعاقب المقيمين.

والجدير بالذكر أن الثعالبي قد اعترف للأمير شكيب بتفوق سلطات الاحتلال عليهم، والسبب الأساس في ذلك هو اعتماد التونسيين على قواعد سلبية في مواجهة المشاريع الاستعمارية، حيث وصفها بالحماقة التي تلازم الضعفاء، ولا تقوى على مجابهة الغارة الاستعمارية، فقد بالغ المقيمون العامون مونسرون ولوسيان سان في تنفيذهم لمشاريع التنصير والتجنيس بتظاهرات مزعجة تسببت في إيقاظ الخاملين من المؤمنين في تونس، وحرّكت نفوسهم الخامدة، مما توجّب على السلطة الفرنسية استبدالهما بآخرين لا شك أنهم لا ينقضون مشاريعهم الاستعمارية السابقة ولن يعدّلوها [2]، كلمات الشيخ الثعالبي التي كتبها في فحوى رسالته، هي إسقاط لواقع الشمال الإفريقي، فقالها من صميم فؤاده، فمعرفة الأمير به جيّداً جعلته يطلب نصائحه في مسائل المغارب، ناهيك عن قضايا المشارق.

وفي السياق ذاته وضمن الرسالة الأنفة الذكر، كتب الشيخ الثعالبي في الشق الثالث من جوابه مسألة المعلومات التي طلبها الأمير حول فتوحات العرب لجنوب إفريقيا، أنّه ليس لديه الوثائق الكافية للرجوع إليها في هذا الموضوع الخاص بتاريخ صدر الإسلام في شمال إفريقيا، لكنه جمع البعض من المصادر العربية والاسبانية والفرنسية قبل عشرين سنة تركها في تونس مبعثرة يصعب الاعتماد عليها، لكنه أخبره أنه سيضع بين يديه نتفاً من محفوظاته لعلّه ينتفع بها [3]، وقد ردّ عليه أمير البيان في رسالته المطوّلة المؤرخة في **28** سبتمبر **1933**م في هذا الشأن، فكتب أنه استفاد من تلك المعلومات التي أرسلها له، وفيها من الفوائد والنكات التي لم يطّلع عليها من قبل، لذا أشار إليه أنّه سيُلحقها في فصل خاص بفتح مالطا [4]، وتجدر الإشارة إلى أن الأمير لم يدرج اسم

---

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص64.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، **ص**65.

(3) المصدر نفسه، ص66.

(4) المصدر نفسه، ص67.

الثعالبي كما وعده في الرسالة حسب ما جاء في هامش الصفحة **67** من كتاب الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي.

وفي جوابه المؤرخ في التاسع من أكتوبر **1933**م، أكّد الثعالبي على موقفه من الطرف الإيطالي، وقد وصف الوسيط الإيطالي المفاوض بالمهرّج، حتى وإن اغترّ به الأمير نفسه، ويرى الثعالبي أن رأيه في الإيطاليين مثل رأي أمير البيان ويوافقهم في ذلك أغلب السياسيين المسلمين المتتبعين للسياسة الاستعمارية الدولية، ثم يضيف أن إيطاليا أخفقت إخفاقاً ذريعًا في طرابلس الغرب، خاصة بعد إفلاس العديد من رجال الأعمال الإيطاليين الذين أتوا من تونس برؤوس أموالهم إلى طرابلس لاستثمارها في مجال الاستعمار الزراعي، أتى بهم الشره الاستعماري فانجرّ عنه الفشل الشنيع، على غرار رجل الأعمال الكبير سنيور كالو، الذي تكبّد خسارة ما قيمته عشرون مليوناً من الفرنكات، بعد أن جاء من تونس منذ عشرين سنة ومعه ما يقارب الخمسين مليون فرنكًا، وأصبح مُهدّدًا بالإفلاس التام(1).

لذا يرى الثعالبي أن الوجود الإيطالي في طرابلس مهدد ما لم تبادر السلطات الإيطالية إلى إصلاح أمورها وتوثّق علاقتها مع الأهالي، وتبدأ في إعمار البلاد عبر بذل الجهود الجبارة، وإلاّ سيفلس الاحتلال الإيطالي في ليبيا؛ ثمّ أشار الثعالبي إلى قضيّة الجمعية الإسبانية الإسلامية، وصرّح للأمير أنّه لا يثق في مزاعمهم، حيث يقول:"...ولست أكتمك فإنّي مازلت على حذري من تصديق مزاعم الأوروبيين في ولائهم للشرق المسلم ما لم يقدّموا لنا على ذلك شواهد مادّية قاطعة تستحق الإطمئنان...فهل يجوز لنا تلقاء هذه الحالة أن نتجرّد من عقولنا ونقبل منهم مهزلة الولاء ؟ وهم ليسوا في الواقع إلاّ مهرّجين، يريدون أن يأخذوا منّا كلّ شيء ولا يعطوننا شيئاً..."(2)، وخلاصة ذلك أنّ الثعالبي لا يؤمن إلاّ بالملموس، فلا وعود تنفع ولا عهود تفيد دون توثيق ذلك وتدوينه ضمن اتفاقات لها بنود وشروط بتوافق كل الأطراف.

وقد أكّد الثعالبي على صدق كلامه من خلال التقرير الذي أرسله إلى السيد رافلس أحد أعضاء الجمعية الاسبانية الإسلامية، مدوناً فيه مظالم المقيم الإسباني خوان موليس Khouane Mulis (3) في الريف المغربي،

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص ص 78، 79.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص79.

(3) عُيّن خوان موليس Khouane Mulis في منصب المقيم العام بعد السيد لويس فرير Lupez Ferrer المستبد، وبعده كان المقيم العام ريكو أفيو Rico Avello المصانع، وكانوا كلهم يمنحون الوعود بحسن الكلام. الموقع الإلكتروني: مؤسسة هنداوي، الرابط: https://www.hindawi.org/books/49741819/1.13/، تاريخ الزيارة: 2023/02/06، 19:20.

فتحجج المسمّى رافلس ببعض الأضاليل آخذاً دور المدافع لا المُؤاخَذِ، حيث لو دافع المقيم عن نفسه لقال ما قاله السيد رافلس، لهذا يرى الشيخ الثعالبي أنّه من واجبه أن يكون حذراً في منح الثقة لهؤلاء، حيث كتب:"...إنّ الإسبان لا يطلبون منّا شيئاً قليلاً، يمكن لنا أن نفتديه على سبيل التجربة، بل إنهم يطلبون ويلحّون بأن نفتح لهم قلوبنا وأذرعنا ونمكّن أيديهم من خزائن الشرق وأسواقه، ولكن لقاء ماذا ؟ لقاء وعود وابتسامات خادعة سمعنا منهما شيئاً كثيراً في فرنسا وغيرها من عواصم أوروبا وكفانا بها عبرةً..." [1]، هذه الأسباب كافية ليقنع الشيخ الأمير بوجهة نظره، وليقف الأمير على ما وقف عليه الثعالبي من رأي سديد، ولا يمنحهم بحماسه الفياض أكثر ما يريدون منحه هم.

وفي آخر فقرة من الرسالة يشير الثعالبي إلى خبر قيام الإدارة الفرنسية في تونس بالسماح له بالعودة إلى بلده تونس، لكنه لم يرد ذلك خوفاً من الوقوع في الفخ كما ذكر، لسبب أساسي وهو الدعاية التي قام بها في العالم الإسلامي ضد سياسة التجنيس في تونس، لذا رأى الشيخ الثعالبي من الحكمة أن يتريّث حتى تنجلي الحالة السياسية، وإذا بقيت الأمور على حالها، ذكر أنه سيختار العمل في الخارج فذلك أرفق وأفضل له[2].

وضمن سطور الجواب المرسل من الثعالبي إلى أمير البيان بتاريخ **26** أوت **1934**م، تحدّث الشيخ مطولاً حول لقائهما بالبلاد الفلسطينية[3]، والأثر البالغ الذي خلّفه ذلك اللقاء في نفسه، فبادر الثعالبي في مدح الأمير والثناء عليه، وهذه بعض الكلمات التي سطرها الثعالبي في رسالته :"...ومن منّا معاشر الجنود من العرب لا يكون مغتبطاً في ساحة الوغى بلقاء الأمير، وقد بايعناه على المنشط والمكره...فلا غرو أن يكون يوم لقائه عندهم عيداً، وقد كانوا يتمنّون شهوده طيفاً في الحلم..." [4]، وللإشارة فرغم الاهتمام الذي أبداه الأمير

---

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص80.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

(3) وكانت للثعالبي عديد الزيارات إلى البلاد الفلسطينية وقد شارك كذلك في أعمال مؤتمر القدس الإسلامي سنة 1931م، ويقول الأستاذ مناصرية يوسف في كتابه "الصراع الأيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934م-1937م"، أنه طُلب من الثعالبي الذهاب إلى سويسرا والاستقرار هناك، حيث يستطيع الاتصال بجلّ الحركات الإسلامية المستقرة في أوروبا، بعد مشاركته في مؤتمر القدس عبر إلقاء مختلف المحاضرات إلى جانب أبرز الشخصيات الإسلامية الوافدة من مختلق أصقاع العالم الإسلامي، يوسف مناصرية، **الحركة الوطنية التونسية 1934م-1937م**، سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة(13)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس، 2002م، ص19.

(4) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص81، 82.

بالقضية الفلسطينية، إلاّ أنّه لم يحضر مراسيم مؤتمر القدس سنة **1931**م، في حين كانت مشاركته بقراءة الحضور لبرقيته التي أرسلها من جنيف[1].

وفي الجزء الثاني من الرسالة، أخبر الثعالبي الأمير سير نشاط التحضير لاختيار وفد من العالم الإسلامي ليتجه نحو لندن قصد الدفاع عن المسألة الفلسطينية، وقد اتفقوا على أن يكون ممثلاً لكل دولة: الهند، الأفغان، إيران، العراق، سوريا، مصر، تونس، الجزائر، ومراكش، وقد اقترح الثعالبي عدة شخصيات، وطلب من الأمير أن يعطي رأيه في ممثل المغرب وهو السيد أحمد بلافريج ثمّ أخبره الشيخ أنه اتفق مع الأخ عبد القادر البدايوني أن يأتي الوفد لحضور مؤتمر جنيف[2] في الموعد المقرّر والمحدّد في أوائل شهر أكتوبر من سنة **1934**م[3].

ثم يردّ الأمير شكيب على رسالة الشيخ الثعالبي حول لقائهما بفلسطين، ويذكر أن أيام الفرح قصيرة، ورغم قصرها فإنّه استفاد منه مالا يستفيد البعض في الأعمار، ثم باشر الأمير في سؤاله حول آخر الأحداث في تونس، والتي من ضمنها إصدار السلطات الفرنسية قرار منع بيع الأراضي المرهونة، وبيع المواشي وما يرتبط بالحالة الاقتصادية، ثم سأل شكيب حول مسألة تراجع بعض الشخصيات التونسية التي سارت في خط الحكومة، حيث استقالوا من اللجنة التي أسّسها المقيم العام الفرنسي بيرون، ثم أشار إلى أعمال فرنسا في المغرب في الشأن المتعلق بالظهير البربري، وأضاف بعض التفاصيل الخاصة بتأجيل أعمال المؤتمر الإسلامي الأوروبي، والوفود التي رحبت بذلك والتي لم تستطع المشاركة فيه، والجدير بالذكر أن أمير البيان أخبر الشيخ الثعالبي أنّه سيستأنف إصدار مجلّته "الأمة العربية"، وسيخصص مباحث كثيرة هذه المرّة حول تونس والجزائر والمغرب[4].

---

(1) فاتح باهي، **"مؤتمر القدس الإسلامي 1931م"**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 06، العدد 01، ماي 2022م، ص453. رابط المقال في المنصة الوطنية للمجلات العلمية :
https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/482/6/1/187062 تاريخ الزيارة : 2022/10/23م، 18:26.

(2) ضمن عديد المسائل المطروحة من قبل الأمير في رسالة بعث بها إلى الشيخ الثعالبي بتاريخ 19 أكتوبر 1934م، ذكر الأمير أنّه تمّ تأجيل أعمال المؤتمر الإسلامي المقرر إجراؤه بجنيف في أكتوبر 1934م، إلى فصل الصيف، لضيق الوقت، وقد ذكر أنه من الممكن عدم حضور مسلمي البلقان ما عدا ممثلي ألبانيا، وقد أعطى بالتفصيل جميع الذين سيشاركون في هذا المؤتمر الأوروبي الإسلامي بجنيف، وكيف يعمل الكماليون في تركيا وفي دول البلقان على ممارسة الضغط على الجمعيات الإسلامية للحؤول دون مشاركتها، ثم ذكر أنّ الطلبة في باريس وفي برلين لبّوا الدعوة، وقد أبرق لهم عن خبر تأجيل أعمال المؤتمر. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص85، 86.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص81، 82.

(4) المصدر نفسه، ص ص 84- 86.

ولابد من الإشارة إلى مسألة جد مهمة عكست التميّز الذي انفرد به أمير البيان في مجال بناء وإقامة العلاقات الشخصية بين مختلف شخصيات الحركة الوطنية المغاربية، فرغم أن أصول الأمير من لبنان أحد أقاليم الشام، إلاّ أنه كان همزة وصل بين قادة الحركة الوطنية المغاربية، وفي أحيان عديدة كان هو الوسيط بين تيارات الحركة الوطنية الواحدة.

ففي الرسالة المدرجة تحت رقم **17**، والمؤرخة بتاريخ **30** جانفي **1935**م، والمرسلة من الأمير إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي، ذكر أمير البيان أحد أسماء أبرز قادة الحركة وهو السيد محمد داود [1]، حيث أراد هذا الأخير أن يعرّفه بالشيخ الثعالبي وأنّه بصدد أداء فريضة الحج، وكان يرغب بأن يعرّفه الأمير بمن يعتمد عليه من أعلام الإسلام، ويثق في فضله الحقيقي، فاقترح الأمير على الثعالبي راجياً منه أن يكون له الرفيق والمعين في جلساته وجولاته إلى الشرق، وطلب منه أن يطيل اجتماعاته به ليحظى بنور علمه فيزداد علماً واطلاعاً ومعرفةً بأحوال الإسلام، ثمّ أشار الأمير إلى الشيخ أنّ محمد داود هو صديق السيّد أحمد توفيق المدني[2] حيث يقول:"...وإنّ ولدنا المشار إليه (محمد داود) هو صديق ولدكم السيد أحمد توفيق المدني، وكأنّ هذين الشابين فرقدان في العلم والفضل والحميّة والجدّ والاستقامة..."، ثمّ أخبره أن السيد المدني راسله وسأله عنه، فأجابه أن الشيخ يعزّه ويعتمد عليهم ويعدّهم من أنجب أولاده، وأفضل من يتفرّس فيهم الخير لمستقبل الأمّة[3].

---

(1) محمد داود ولد بتطوان في الفاتح أفريل سنة 1901م، استطاع حفظ القرآن والمتون اللغوية والعلمية دون سن البلوغ، على يد فقهاء وعلماء تطوان، وفي سنة 1920م انتقل إلى مدينة فاس لمتابعة تعليمه بجامع القرويين، وعاد سنة 1922م ليصبح مدرساً للشباب كتب في العديد من الصحف العربية المشرقية والمغربية، حيث اشتغل كمراسل خاص لجريدة الأهرام المصرية، خلال حرب الريف بقيادة الخطابي، كان كثير النشاط والحركية، أنشأ سنة 1936م جريدة الأخبار، وفي سنة 1939م عُين عضواً في المجلس الأعلى للأوقاف الإسلامي، وقد خلّف محمد داود الكثير من الأبحاث والدراسات والمقالات، أهمها موسوعة تاريخ تطوان في خمسة عشر جزء وغيرها تُوفي في جوان 1984م. الموقع الإلكتروني مكتبة محمد داود، الرابط: http://www.daoud.info/ar/biography.html تاريخ الزيارة : 2022/10/23، 17:57.

(2) **أحمد توفيق المدني** (1899-1983): سياسي مغاربي ذو أصول جزائرية وتونسي المولد والنشأة والتعليم، من نشطاء الحركة الوطنية التونسية منذ الحرب العالمية الأولى، وبعد تأسيس الحزب الدستوري التونسي نُفي إلى الجزائر من قبل السلطات الفرنسية سنة 1925م هو أحد المساهمين في الصحافة التونسية والجزائرية، من مؤسسي نادي الترقي في الجزائر، كان عضو في إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم أمينها العام سنة 1953م، كان ضمن الوفد الجزائري إلى القاهرة خلال الثورة التحريرية، ثم كُلّف في منصب وزير الثقافة في الحكومة الجزائرية المؤقتة، وبعد الاستقلال عُيّن سفيراً للجزائر في مصر، ثم وزيراً للأوقاف، له عديد المؤلفات على غرار تقويم المنصور، ومذكراته (حياة كفاح)، وله الكثير من المقالات في مختلف الجرائد التونسية والجزائرية. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، هامش ص88.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص88.

وفي الشهر الخامس من سنة **1935**م، كتب أمير البيان رسالة إلى الشيخ الثعالبي، كانت باختصار شديد أشار فيها إلى نقطة جدّ هامّة، حيث سأل شكيب الشيخ إن وصلته الأعداد الأخيرة الخاصة بمجلته "الأمّة العربية la nation arabe"، حيث أن معظم تلك الأعداد حَوَتْ قضايا الشأن التونسي، ثم نوّه الأمير على قضية الكتاب المزوّر، وأن معظم جرائد القطر التونسي تهافتت على نشر تلك الأكاذيب، وقد كاتبه عديد الإخوان التونسيين يأسفون لذلك، وذكر الأمير هذه النقطة للشيخ عبد العزيز الثعالبي قصد إحاطته علماً بها كما ذكر[1].

وفي ختام كتاب الرسائل المتبادلة بين أمير البيان وبين الشيخ الثعالبي، وفي الرسالة المدرجة تحت رقم **19** والمرسلة من قبل أمير البيان في **30** ماي **1935**م، أعاد الأمير تذكير الشيخ بآخر رسالة بعثها له وما تضمّنت من عتاب على الجرائد التونسية التي نشرت نص الرسالة المزوّرة التي نُسبت له زوراً، فذكر أنّه علم أن الإخوان التونسيين استنكروا جدّاً هذا التهافت، وتألّموا جدّاً لهذا الحدث، ثم بادر لتوضيح هذا الأمر، وأنّ عِتابه كان على بعض تلك الجرائد التي لم يتذكر أصحابها قول الله عز وجلّ :"إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا" [2]، وليس على الإخوان التونسيّين[3]، فكان الأمير بذلك قد أبرأ ذمّته من ذلكم الاتهام، وأراح ضميره من ذلكم العتاب، فوضّح للشيخ الثعالبي مقصده في إرسال رسالتين في أقل من يومين مبيّناً مدى محبّته للإخوان التونسيين، ومدى حذره في أن يمس بكرامة الآخرين.

وأفضل ما قاله الأمير في شخص الثعالبي حينما أراد الدفاع عنه حينما ساءت العلاقة بين الشيخ الثعالبي ومحب الدين الخطيب، حيث قال الأمير :"...الآن أنا أكتب إلى محبّ الدين بشأن الثعالبي وثق بأن محب الدين لن يتعرّض بعد هذا للأستاذ لأنّ محب الدين يكارم خاطري...وأنا والله وبالله وتالله برغم أنّي واجد على الأستاذ الثعالبي لتلك الكلمات التي تعلّمها ورددت عليه بها لا أقول فيه أقلّ كلمة سوء ولا أرضى أن يُقال فيه أقلّ كلمة سوء...لا لا مثل الثعالبي قليل في العالم الإسلامي..." [4]، فكانت معزة الثعالبي ومكانته لدى الأمير مميّزة.

---

[1] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص89.

[2] **القرآن الكريم**، سورة الحجرات الرقم: 49، (الآية 06)، برواية ورش عن نافع .

[3] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص90.

[4] أرسلان، **رسائل علمية وأدبية**، ص14.

ويُلاحظ أنّ ما جُمع من رسائل الأمير والثعالبي كانت تشوبه القلّة مقارنةً بنوع القضايا التي كانت تُناقش بين الشخصيتين، فالكتاب يفتقر إلى بعض الأجوبة والردود، وكانت نقاشاتهما كلّها تصبُّ في قضايا الأمّة الإسلامية، حيث ناقشا مسألة الخلافة الإسلامية، والشأن اليمني، ومشاكل المصريين والليبيين، إضافة إلى قضايا البلاد المغاربية تونس والجزائر والمغرب، والجدير بالذكر أن المكانة التي اكتسبها الشيخ الثعالبي لدى أمير البيان كانت جدّ مميزة، فكان الأمير يستشيره في معظم المسائل، والثعالبي كان يكنّ له الاحترام نفسه كذلك، فبادله التبجيل والتوقير والتعظيم، وقد أورد أمير البيان في مدونته نبأ وفاة الزعيم عبد العزيز الثعالبي على أنّه أوّل رئيس لحزب الدستور التونسي، وذلك بتاريخ الأول من أكتوبر من سنة **1944**م[1].

3-4 علاقة الأمير بالزعيم الحبيب بورقيبة:

كتب الأمير عن شخصية لحبيب بورقيبة في كثير من المرّات وفي عديد المواضع، فكان اهتمام أمير البيان بشخص السيد بورقيبة واضحاً وتركيزه عليه جلياًّ، من خلال ذكر اسمه دون ذكر أسماء رفقائه في نشاط حزبه السياسي في عديد المواضع في مدونته وباقي مؤلفاته.

أمّا الزعيم الحبيب بورقيبة فقد ذكر في كتابه "رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر" أن الأمير استقبله في بيته في جنيف سنة **1946**م، بعد رحلته إلى أثينا ثم روما وبعدها إلى جنيف، أين استقبله الأمير شكيب، وكان هذا اللقاء قبل حوالي شهرين من وفاته، كما تُوّضح الصورة من الملحق رقم (**06**)، حيث أُرّخت الرسالة في **13** أكتوبر **1946**م ووفاة الأمير كان في التاسع من شهر ديسمبر من السنة نفسها[2].

لكن هذا اللقاء لم يكن الأوّل بينهما، حيث التقى الاثنان في حفل أقامته شُعَبُ الحزب الدستوري التونسي الجديد لتكريم نجم شمال إفريقيا بعد حلّه في جانفي من سنة **1937**م، فجمعت جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين زعماء الأحزاب الوطنية في المغرب العربي في مأدبة ترأسها الأمير شكيب أرسلان بحضور مصالي الحاج[3] ومحمد الخلطي إضافة إلى الحبيب بورقيبة، حيث أكّد الحضور على تلاحم ووحدة الأحزاب

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص339.

(2) الحبيب بورقيبة، **رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر**، د.دار نشر، بيروت، جوان 1966م، ص8.

(3) مصالي الحاج بن أحمد ولد بتلمسان في 16 ماي 1898م، كان والده يعمل حذاء، التحق الحاج بالمدرسة الفرنسية لينال الشهادة الابتدائية، كما درس اللغة العربية بأحد كتاب الزاوية الدرقاوية، جُند سنة 1918م أواخر الحرب العالمية الأولى، كان يتلقى دروسه بشكل حر(مستمع) عبر جامعة بوردو، رجع إلى الجزائر لكن المضايقات الأمنية أعادته إلى فرنسا وكان ذلك سنة 1923م، امتهن عدة مهن حرّة، في النسيج وبيع متجول

الوطنية المغربية[1]، وقد أكدت المؤرخة جولييت ذلك حين ذكرت أن أرسلان يحظى بشعبية كبيرة في تونس، وقد خصص بورقيبة له مقالاً في إحدى مجلاته سنة **1937**م، حيث ذكر أن للأمير مكانة مرموقة في العالم العربي، وتُضيف بيسيس أنّ للأمير أثرًا بالِغ الأهمية على سير نشاط الحركة الوطنية في تونس وتطوّر الفكر القومي بها وفي باقي دول شمال إفريقيا[2].

ويؤكد شارل أندري جوليان لقاء الأمير شكيب بالزعيم بورقيبة أوائل سنة **1937**م، وعلى إثر هذا اللقاء كان بداية انتشار فكرة الوحدة العربية، ويقول جوليان أنّ انتشار فكرة الوحدة العربية كان في ميدان الوطنية أكثر منه في ميدان القومية العربية[3].

وفي رسالته إلى محمد علي الطاهر كتب الحبيب بورقيبة :"...ذهبت أفتّش عن الأمير شكيب أرسلان، فكانت مفاجأة سارّة إذ وجدته على صحّة طيّبة و لم تزده الأيام والسنون إلاّ قوّة وصلابةً وإيماناً بأنّ الله مع المسلمين طال الزمان أو قصر، وهو عازم على الرجوع إلى مسقط رأسه متى توفّرت لديه كل الوسائل المادّية..."، ثمّ أضاف أن كل أحاديثه كانت حول أبي الحسن(محمد علي الطاهر) وجهاده وإخلاصه لأصدقائه[4].

وفي ملحق هذه الرسالة ذكر بورقيبة فضْل الأمير في إطلاق سراحه وباقي معتقلي الحركة الوطنية التونسية من السجون الفرنسية [5]، من طرف السلطات الفرنسية التابعة لحكومة فيشي الموالية لدول المحور

للجوارب، وكذلك في شركة رينو RENAULT، كوّن نفسه بنفسه من خلال حضوره لمحاضرات تُلقى بجامعة السوربون ومعهد اللغات الشرقية، التقى بالأمير خالد إثر محاضرة ألقاها الأخير في قاعة المهندسين المدنيين برئاسة أحمد بهلول، ليتأثر بالأفكار الديمقراطية، فانخرط في الحزب الشيوعي لتبدأ مسيرته السياسية الحافلة، وستكون له علاقات واسعة ربطها مع مختلف الشخصيات في المغرب والمشرق، في مقدمتها شخصية أمير البيان شكيب أرسلان، كما سنورده في الفصل الرابع. عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914–1939م، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص ص58، 59.

(1) لخضر عواريب، **"جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا وعلاقتها بالتيار الاستقلالي في الجزائر 1927–1955م"**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد24، جوان 2016م، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص236.

(2) Juliette BESSIS, MAGHREB QUESTIONS D'HISTOIRE , Nationalisme et fascisme en Afrique du Nord dans l'entre-deux-guerres , L'Harmattan, Paris, France, 2003, p13.

(3) شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**..، ص88.

(4) الحبيب بورقيبة، **رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر**، ص8.

(5) يقول الأستاذ الصافي سعيد، في كتابه " **بورقيبة سيرة شبه محرّمة"** أن الحبيب بورقيبة لّما كان في السجون الفرنسية التقى بضباط ألمان، وكان يطمح أن يُنقل إلى برلين قصد لقاء رجال العرب الذين أصبحوا يتعاونون مع الألمان مثل الفلسطيني الحاج أمين الحسيني، والسوري شكيب أرسلان، ويضيف أن الأمير بعث رسالة إلى بورقيبة ليقف بحزم ضد فرنسا، فأعطته تلك الرسالة جرعة قويّة فبادر بقراءة ذلكم النداء الذي شكر من خلاله

خلال الحرب العالمية الثانية، بعد محادثات طويلة بينه وبين سفير إيطاليا بجنيف بسويسرا، ثم يذكر بورقيبة أنّه بعد إطلاق سراحه اتجه إلى أمريكا عبر جنيف ليلتقي بالأمير قصد التعرف عليه [1]، وهذا يعني أنّه قبل هذا التاريخ كان الزعيم بورقيبة لم يتعرف عليه شخصياً بعد، رغم أنهما التقيا فيما قبل كما ذكرنا سابقاً منذ سنة **1937**م في الحفل الذي أقامته شعب الحزب الدستوري التونسي قصد تكريم حزب نجم شمال إفريقيا المنحل، في حين كان الأمير يتابع نشاطه عن كثب وقد كتب في مدونته جلّ ما فعله الزعيم بورقيبة من جهود.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ الأمير شكيب قد ذكر أنّه بعد الإنزال الألماني على الساحل التونسي وعبر الاتفاق المبرم مع حكومة فيشي الفرنسية قام الأميرال جان بيار إستيفا (Jean-Pierre Esteva)[2] بإطلاق سراح السجناء التونسيّين خلال شهر أكتوبر **1942**م[3]، لكنّه لم يذكر مساعيه في هذا الأمر بالذات، والسبب في ذلك أنّ الأمير اقتصر ذكره عل الأخبار دون التفاصيل في مدونته، أمّا عن تتبع أخبار نشاط الزعيم بورقيبة من قبل الأمير فقد ذكر الأخير عدد لا بأس به من المعلومات القيّمة التي تخصّ جهوده السياسية في تونس.

وفي رسالة أخرى بعث بها الحبيب بورقيبة إلى أبي الحسن (محمد علي الطاهر) أوائل شهر نوفمبر **1946**م، أخبره من خلالها أنّ الأمير سافر إلى سوريا منذ أسبوع ثم إلى لبنان وقد مرّ بالإسكندريّة، وذكر بورقيبة أنّه تمكّن من الاتصال به، وأضاف أنّه على اتصال مباشر بعائلته بجنيف، والطلبة المسجّلين بالكلية هناك[4]، حيث كانت آخر رحلة للأمير يقوم بها من سويسرا ثم إلى الإسكندرية ثم وطنه لبنان.

في حين كانت المرّة الأولى التي أشار فيها الأمير من خلالها إلى شخصيّة الزعيم بورقيبة في مدونته "أحداث العالم العربي ووقائعه"، حين عقد أعضاء حزب الدستور التونسي مؤتمراً في تونس برئاسة الدكتور الشاذلي بتاريخ **30** أكتوبر **1930**م، حيث قررّ المؤتمرون مضاعفة نشاطهم السياسي والإعلامي لمناهضة الوجود الاستعماري في تونس، وانتخبوا هيئة قصد إدارة جريدة "صوت التونسي"، وكان من الأعضاء

إيطاليا وألمانيا لأنهم حرّروه من السجن، لكن الضابط الإيطالي ملليبي وبّخه واتهمه بافتقاره للشجاعة الكافية للتكلم حول السياسة الفرنسية في تونس، الصافي سعيد، **بورقيبة سيرة شبه محرّمة**، رياض الرايس للكتب والنشر، لبنان، ط1، نوفمبر 2000م، ، ص ص 121، 122.

(1) بورقيبة، **رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر**، ص9.

(2) جان بيار إستيفا Jean-Pierre Esteva المقيم العام الفرنسي في تونس رقم 16 حكم من 1940/07/22م إلى 1943/05/10م.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص318.

(4) الحبيب بورقيبة، **رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر**، ص10.

المنتخبين فيها السيد الحبيب بورقيبة [1]، فذِكر أمير البيان لعضوية الحبيب بورقيبة في هذه الهيئة تركيزاً منه على أبرز شخصية في الهيئة بين كل الأعضاء الذين لم يذكرهم، وتأكيداً على طموح هذا الشاب وما سيكون عليه مستقبلاً.

ثم نوّه الأمير في مدونته كذلك أنّ الحبيب بورقيبة وبعض أصدقائه من حزب الدستور التونسي، دون ذكر أسمائهم، على أنّهم أسّسوا جريدة تحت مسمّى "العمل التونسي" سنة **1932**م[2]، وجدير بالذكر أن حزب الدستور التونسي في مؤتمر قصر الهلال بتاريخ **2** مارس **1934**م قام بفصل أعضاء "العمل التونسي"، فانتخب هؤلاء المفصولون ديواناً سياسياً تحت زعامة السيد الحبيب بورقيبة، حيث اعتبر هذا الديوان السياسي هو حزب الدستور، ثم أطلق عليه :" حزب الدستور التونسي الجديد"، وهو الحزب الذي كان يُطالب بالاستقلال التام لتونس وفك الارتباط نهائياً عن فرنسا[3].

وبعد عدّة أشهر من تأسيس حزب الدستور التونسي الجديد وبالضبط في الثالث من سبتمبر **1934**م قامت السلطات الفرنسية بالقبض على قادة الحزب ونفيهم إلى برج القصير في الجنوب التونسي [4]؛ وفي تعليقه على قرار مشروع سنة **1936**م للسيد بيير جوري Pierre George الذي تضمّن تأسيس نظام فدرالي في شمال إفريقيا، ذكر أمير البيان أن الزعيم لحبيب بورقيبة أيّد هذا المشروع [5]، دون ذكر شكل هذا النظام، وتفاصيل مشروع القانون، هل هو فقاعة إعلامية استعمارية عبرها تُزجّ بلدان الشمال الأفريقي في الحرب التي توشك أن تبدأ، أم أنّ للسلطات الفرنسية مرامي وأهدافًا أبعد من ذلك تصبّ في مصلحة الشعب التونسي، ولذلك أيّد بورقيبة هذا القانون –وهذا مستبعد جداً–.

وفي إطار تنشيط الحركة الجماهيرية في مناهضة السياسة الاستعمارية، قدّم لنا الأمير فعاليات حزب الدستور بقيادة بورقيبة، حيث إنّه في العاشر من أفريل من سنة **1937**م، قاد رئيس حزب الدستور التونسي الجديد الحبيب بورقيبة مظاهرات حاشدة احتجاجاً على سياسة الفرنسيين في تونس، فأمرت السلطات

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص202.
(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص208.
(3) المصدر نفسه، ص224.
(4) المصدر نفسه، ص227.
(5) المصدر نفسه، ص235.

الفرنسية بقمع هذه المظاهرات بالقوّة، حيث خلّف هذا الإجراء مقتل مائتي تونسي حسب ما جاء في مدونة أمير البيان[1].

وفي العام نفسه من شهر نوفمبر **1937**م اعتقل قادة حزب الدستور التونسي الجديد وفي مقدمتهم الحبيب بورقيبة والهادي نويرة والصالح بن يوسف والدكتور سليمان بن سليمان [2]؛ ويذكر أمير البيان أن سبب اعتقالهم هو عقدهم لمؤتمر في تونس قصد النظر في ما يجب فعله ردّاً على سياسة القمع التي انتهجتها الحكومة الفرنسية في الجزائر ومرّاكش، ولتضامنهم مع الشعبين أعلن المؤتمرون الدخول في إضراب لمدة أربع وعشرين ساعة، لذا أمرت السلطات الفرنسية في تونس باعتقال قادة حزب الدستور [3]، وبناءً على ذلك فقد أبرز لنا أمير البيان مظاهر العمل المشترك، وبوادر الوحدة التي تتجلى في مثل هذه الفعاليات التي بادر إليها قادة الحركة الوطنية في تونس.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وبالضبط في الخامس من جويلية **1940**م قدّم وفد عن حزب الدستور التونسي عريضة إلى باي تونس، يطالب الوفد من خلالها إطلاق سراح الحبيب بورقيبة وإخوانه المعتقلين بمدينة مرسيليا الفرنسية، مع إلغاء وثيقة الحماية [4]؛ وبنزول القوات الألمانية على الشواطئ التونسية، ومن خلال

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص235.

(2) **سليمان بن محمد بن سليمان**: طبيب وسياسي تونسي، ولد بمدينة زغوان سنة 1905م، بعد حصوله على الشهادة الابتدائية التحق بالمدرسة الصادقية في أكتوبر 1919م، بدأ يهتم بالحياة السياسية في الوقت الذي تأسس فيه الحزب الحرالدستور التونسي سنة 1920م، وقد كان ممن استقبل الشيخ الثعالبي عند إطلاق سراحه سنة 1921م، وشارك في إضراب أفريل 1922م وفي المظاهرات للتضامن مع الملك الناصر باي والمناوئة للسياسة الفرنسية في تونس، وفي جوان 1928م تحصل على شهادة البكالوريا الثانية لينتقل إلى باريس ليزاول دراسته في مجال الطبّ، ليتحل على شهادة الدكتوراه في الطب سنة 1935م، ليتخصص في مجال طب العيون في السنة الموالية، وكان من المنخرطين في حزب النجم شمال إفريقي، وكان تركيزه على جمعية طلبة شمال إفريقيا التي تأسست سنة 1927م، وبعد عودته إلى تونس كان الرفيق الدائم للحبيب بورقيبة وفي جولاته داخل البلاد، وظل ينشط إلى جانبه إلى أن حققت تونس استقلالها، وقد زاره الرئيس بورقيبة إلى بيته في أوت 1973م ليقلده الصنف الأكبر من وسام بورقيبة مشيدا بجهوده ونشاطه وخصاله، وقد انتقل الدكتور سليمان بن سليمان إلى الرفيق الأعلى في 24 فيفري 1986م. الموقع الإلكتروني الموسوعة التونسية، الرابط:

http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86_%D8%A8%D9%86_%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86

تاريخ الزيارة: 2022/04/15، 23:11.

وقد ذكر أمير البيان أن مجموعة من الطلبة التونسيين في فرنسا أسسوا سنة 1938م لجنة سُميّت بلجنة الدفاع عن الحريات العامة في تونس"، بقيادة الدكتور سليمان بن سليمان أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص263.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص261.

(4) المصدر نفسه، ص292.

الاتفاق المُبرم مع حكومة فيشي الفرنسية، قام الأميرال ستيفان إطلاق سراح السجناء التونسيين خلال شهر أكتوبر **1942**م[1]، لكن بعد أيام فقط أنزلت القوات البريطانية والأمريكية قوات المظليّين لتحتلّ جميع مطارات تونس[2]، وفي **29** أكتوبر **1942**م احتلّت قوّات الحلفاء مدينة الجديدة التونسية[3].

وبعد إطلاق سراحه، غادر الحبيب بورقيبة الأراضي التونسية بتاريخ **26** مارس **1943**م في سرية تامّة، حيث ذكر أمير البيان في مدونته أن بورقيبة خرج من تونس رفقة مجموعة من رفقاء الدرب السياسي نحو العاصمة المصرية القاهرة لاستكمال الكفاح وتحقيق الاستقلال لتونس[4].

وبعد سقوط مدن تونس على التوالي صفاقس، سوسة، تونس، بترت، وتراجع قوّات المحور، أعلن الزعيم لحبيب بورقيبة أنه من الواجب على التونسيين في هذا الوقت، هو مساعدة الحلفاء ضد المحور لربح الحرب[5]؛ وللإشارة فإنّ الأمير لم يشرح لنا الموقف الحقيقي لبورقيبة من الحرب، وسبب مساندته المطلقة للحلفاء[6]، رغم أن فرنسا عضو في هذا التكتل، وهل كان موقف بورقيبة هو مجرد ركوب للموجة ومسايرة للوضع ؟ قصد الوصول بتونس إلى الاستقلال عبر مداهنة قادة الحلفاء.

وفي خبر آخر قّدم لنا أمير البيان خبر مراسلة بورقيبة الرئيس الأمريكي حول مسألة الحماية الفرنسية لتونس، حيث عبّر القائد لحبيب بورقيبة من خلال رسالته إلى الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت في الأول من جوان سنة **1943**م عن ارتياحه للسياسة المنتهجة من قبل فرنسا في تونس [7]، لكن لم يذكر الأمير تفاصيل

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص318.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص319.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص324.

(5) المصدر نفسه، ص325.

(6) يذكر الأستاذ الطاهر بلخوجة أن الحبيب بورقيبة تنبّأ منذ سنة 1942م أن نتيجة الحرب ستكون للحلفاء رغم أن هناك بعض الوطنيين راهنوا على انتصار دول المحور، حيث بعث برسالة إلى الحبيب ثامر منوّها عبرها أن ألمانيا لن تربح الحرب ولا يمكن أن تنتصر فيها، وسوف تُسحق كالحجر بين فكّي ملزمة، بين العملاقين الروسي والإنجليزي، اللذين يملكان كل أسباب الانتصار، حيث يسيطران على البحار، ويمتلكان قدرات صناعية غر محدودة، ثمّ أمر بعض أعضاء حزبه بالاتصال بالفرنسيين أنصار الجنرال شارل ديغول لتنسيق النضال سرّاً، ثم أضاف أن يكون دعمهم بلا قيدٍ أو شرط، لأن المسألة مسألة حياة أو موت بالنسبة لتونس، ورغم ذلك فإن الفرنسيين ألصقوا تهم التعاون مع المحور بالوطنيين. الطاهر بلخوجة، **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، شهادة على عصر**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1419ه، 1999م، ص ص4، 5.

(7) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص326.

هذه الرسالة، وهل فعلاً أن بورقيبة كان مرتاحاً للسياسة المتّبعة من قبل الفرنسيين في تونس، أم هي السياسة والدبلوماسية لاستعطاف الأمريكيين وعدم إغضاب الفرنسيين في وقت جد حساس من الحرب العالمية الثانية.

وبنهاية الحرب، وبالضبط في الثاني من شهر ديسمبر **1946**م وصل الحبيب بورقيبة إلى نيويورك قصد عرض قضية استقلال بلاده تونس على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكذا على نظارة الخارجية الأمريكية [1] هذا مجمل ما كتبه الأمير عن شخصية كان لها تأثير بالغ الأهمية على الحياة السياسية في البلاد التونسية فترة السيطرة الفرنسية، وبعد الاستقلال، كما كانت له صلات جيّدة سبقت هذه العلاقة، أقامها زمن الحكم العثماني وبعده، فحاولنا تقصّي حيثياتها من خلال كتاباته، وما أورده حول الإخوة باش حانبه.

4 4 علاقة الأمير بالإخوة باش حانبه علي ومحمد:

كان أمير البيان على اطلاع دائم بنشاط رواد الحركة الوطنية التونسية، فكتب عن سعيهم الحثيث في مجال السياسة وتفانيهم في مجال التدوين والصحافة، فأورد الكثير عن أعمالهم في مدونته أحداث العالم العربي ووقائعه، وكذا عديد المؤلفات التي تضمّنت جهود أبرز قادة العمل السياسي والنقابي في تونس، على غرار الإخوة باش حانبه علي ومحمد، اللذان ربطتهما بالأمير شكيب علاقة وثيقة.

فكتب عن حدث هام في نشاط الحركة الوطنية، ألا وهو إصدار جريدة التونسي باللغة الفرنسية من طرف علي باش حانبه سنة **1907**م، هدفها الدفاع عن مصالح التونسيّين، ثم انضم إليه الشيخ عبد العزيز الثعالبي سنة **1909**م، لتصدر مجدداً أعدادها باللغة العربية [2]، ثم أورد خبراً آخر، حيث في سنة **1908**م أسّس علي باش حانبه حزباً سياسياً لمناهضة الاستعمار الفرنسي في تونس سُمّي بحزب تونس الفتاة [3].

كذلك تحدّث الأمير شكيب حول حادثة الزلاّج (الجلاّز) **1911**م، فذكر أن عمّال الترامب(الترامواي) قاموا بإضراب ثمّ تطوّر الأمر إلى مظاهرات اختتمت بحادثة الجلاز...، والتي تمّ فيها صدام عنيف بين التونسيين والإيطاليين، والسبب الأساسي هو احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب، فبادر المقيم العام الفرنسي لتونس "غابريال

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص381.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص65.

[3] المصدر نفسه، ص66.

ألابوتيت Gabriel Alapetite[1] بحملة اعتقالات استهدفت أعضاء حزب تونس الفتاة، وعلى إثرها نُفي كل من علي باش حانبه والشيخ عبد العزيز الثعالبي خارج تونس[2].

وقد لجأ علي باش حانبه إلى الدولة العثمانية، وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى، عينته الحكومة التركية مستشاراً لوزارة الخارجية العثمانية بتاريخ **1916**م، ثمّ عُيّن مستشاراً للصدارة العظمى [3]؛ ثمّ قدّم لنا الأمير نشاط الإخوة باش حانبه في مجال الصحافة في مدينة جنيف، حيث ذكر أنّه في سنة **1916**م اتفق الأخوان باش حانبه محمد وعلي على إنشاء مجلة أسبوعية بمدينة جنيف باللغة الفرنسية سمّياها "مجلّة المغرب" [4]، هدفها الدّفاع عن حقوق المغرب ومناهضة الاستعمار هناك[5].

وفي سيرته الذاتية ذكر أمير البيان جلساته مع رفقائه في المجال السياسي والجهاد بالقلم، حيث كان يجتمع مع ثلّة من أصحابه في محلّ طلعت باشا بألمانيا –كان أشبه بدار للقراءة والمطالعة والمذاكرة–، ومن بين الذين كان يلتقي بهم في ذلكم المحل، المرحوم محمد باش حانبه التونسي[6].

حيث يقول فيه الأمير :"...كنّا نذهب إلى هناك أنا والأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش، والمرحوم محمد باش حانبه التونسي، الذي فقدناه ونحن أحْوجُ ما كنا إليه، إذْ كان من أفراد شبّان العالم الإسلامي علمًا وذكاءً، وعلوّ همّة، وطهارة أخلاق، وكنّا قبل ذلك بسنة فقدنا أخاه علي الباش حانبه، الذي كان رئيس دائرة التشكيلات في نظارة الحربية، وكان على طراز أخيه في كل مزيّة فكان هذان الصنوان من مفاخر تونس، وماتا

---

[1] المقيم العام الفرنسي في تونس غبريال ألابتيت (Gabriel Alapetite) حكم من 1907/2/7م إلى 1918/10/26م.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 68، 69.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص79.

[4] هي غير "مجلة المغرب" التي تأسست في باريس في شهر جويلية سنة 1932م تحت إدارة وتحرير مجموعة من المغاربة بلافريج ومحمد الحسن الوزاني وغيرهم من الاشتراكيين والراديكاليين الفرنسيين والإسبان، أمثال فرانسوا ألبرت -F.Albert بيرجيري -Bergery وجان لونغي Jean Longuet....إلخ، ولها الأهداف نفسها أي الدفاع عن القضايا المغربية وخصوصاً المغرب الأقصى، وكانت تأسيسها من تشجيع وفكرة أمير البيان شكيب أرسلان، وسنورد تفاصيل تأسيسها في الفصل الخامس الخاص بعلاقة الأمير بالوطنيين المغاربة. محمد بن الحسن الوزاني ،" **مجلة "مغرب" أو حقيقة الوطنية المغربية (1933)**"، مجلة الثقافة الجديدة المغرب ، مارس 1983م، العدد 20، ص 115. التحميل من الموقع : أرشيف الشارخ، رابط المقال : https://archive.alsharekh.org/Articles/27/588/60130 تاريخ الزيارة: 2022/12/28م، 16:35.

[5] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص79.

[6] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص193.

في الغربة، وهما يندبان وطنهما كما أنّ وطنهما يندبهما..." [1]، وهذا اعتراف صريح من الأمير للإخوة باش حانبه بمكانتهما لديه، وكيف كان يوقّرهما ويثني عليهما، بذكر مكارم أخلاقهما ووصفهما بالصنوان ومفخرة تونس، وقد ماتا مغتربين عن وطنهما الذي فقدهما في عزّ عطائهما.

4-5 علاقة الأمير بالشيخ صالح الشريف التونسي ومحمد الطاهر بن عاشور:

ذكر أمير البيان اسم صالح بن يوسف في مدونته لأول مرة بتاريخ عام **1934**م، وكان ذلك بعد تعيين الحكومة الفرنسية للسيد أرمان غيون Armand Guillon [2] مقيماً فرنسياً عاماً في تونس، فبعد تسلمه مهامه قام بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين من بينهم صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة [3].

وقد ذكرنا سابقاً أن أمير البيان التقى بعدة شخصيات تونسية رافقته إلى الأستانة بعد الحرب العالمية الأولى وبالضبط سنة **1918**م، من بينهم الشيخ صالح التونسي، والأستاذ الشيخ خضر حسين التونسي [4]، وقد وقد ذكر الأمير ذلك في سيرته الذاتية، حيث بعد انهيار الجبهة الألمانية العثمانية على إثر قبول شروط الاستسلام من قبل حليفتهم الإمبراطورية النمساوية المجرية، التقى الأمير في طريق عودته إلى الأستانة من ألمانيا مجموعة من الشخصيات العربية التونسية والمصرية على غرار الشيخ صالح الشريف التونسي، والأستاذ الشيخ خضر حسين التونسي، في جملتهم **16** شخصية كانوا يقصدون ألمانيا وسويسرا بعد الإطاحة بالحكومة العثمانية واستبدالها بحكومة الإتحاد [5].

وفي مقال للأستاذ مهند إبراهيم، ذكر أن الشيخ صالح الشريف التونسي وأمير البيان كانا قد تعاونا معاً في مناهضة الاستعمار في الديار الألمانية، وبعدها في دولة سويسرا، وكان للشيخ صالح الشريف التونسي ذو الأصل الجزائري جهود كبيرة في طرح مطالب الاستقلال عبر مؤتمر الصلح ورسالته إلى الرئيس ويلسون [6].

---

[1] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص193.
[2] هو المقيم العام أرمان غيون (Armand Guillon) حكم من 1936/3/21م سنة إلى 1938/10/18م.
[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص222.
[4] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، جزء2، ص146.
[5] أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص 190.
[6] مهند إبراهيم، مرجع سابق، ص8.

والجدير بالذكر أن أمير البيان لم يكن يرتبط بأشخاص ذي خلفية واحدة، سياسيّين أو صحفيّين أو فقهاء وعلماء الدين، أو حتى الأدباء والشعراء، فعلاقاته كانت تشمل جميع مجالات الحياة، حيث تعدّت صلاته حدود اختصاصاته، فقد كوّن علاقة جيّدة كذلك مع الفقيه محمد الطاهر بن عاشور المشهور [1].

فكانت لأمير البيان إذاً علاقات واسعة مع الشّخصيات البارزة في البلاد المغاربية، فلم يجعلها مقتصرة على مجال معيّن بل شملت عديد المجالات، حيث تحدّثنا سابقاً عن علاقته بالنقابيين السياسيين والإعلاميين وحتى العلماء الفقهاء والمفسرين؛ في هذا السياق نجد أن صاحب حاضر العالم الإسلامي أدرج مقالاً للشيخ الفقيه محمد الطاهر بن عاشور التونسي والذي عُنون "بمصير الأندلسيين"[2].

حيث كُتب في فهرس هذا الجزء من الكتاب مصير الأندلسيين لسيدي محمد الطاهر عاشور، وفي بداية المقال كُتب: "مصير الأندلسيين للأستاذ الأكبر سيدي محمد الطاهر بن عاشور التّونسي"، حيث أنّ الأمير أدرج عديد المقالات لشخصيّات معروفة مع ذكر أسمائهم فقط، لكن خصّ الشيخ الطاهر بن عاشور التونسي بكلمة الأستاذ الأكبر وسيّدي، دلالة على المكانة التي خصّه بها والمقام المميّز الذي منحه إيّاه في كتابه، وهذا دليل على أنّ الرجلين ربطتهما علاقة وثيقة، لكن في حدود إطلاعنا على مؤلفاتهما لم نجد ما يثبت ما كان بين الشخصيتين من علاقة أو مراسلات أو لقاءات.

5) جهود الأمير السياسية من أجل استقلال البلاد التونسية وردود فعل السلطة الفرنسية اتجاهه:

لم يدّخر أمير البيان شكيب أرسلان جهداً في سبيل تحرير دول الشمال الإفريقي، فقد عمل بكل ما لديه من وسائل من أجل تحقيق الهدف الأسمى وهو استقلال الشعوب العربية المضطهدة طيلة الفترات التاريخية

---

[1] **محمد الطاهر بن عاشور** (1879م-1973م): عالم وفقيه تونسي، يرجع نسب أسرته إلى الأشراف الأدارسة المغربية التي هاجرت إلى الأندلس، ثم عادت إلى تونس بعد سقوط آخر إمارة أندلسية في شبه الجزيرة الأيبيرية، وُلد بضاحية المرسى بضواحي العاصمة تونس، كان من طلبة جامع الزيتونة ثم صار من كبار أساتذته، تعرّف على الشيخ محمد عبده خلال زيارته إلى تونس سنة 1903م، عمل قاضياً على المذهب المالكي منذ سنة 1911م، ارتقى إلى رتبة الإفتاء منذ سنة 1932م وقد اختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي، بعد حذف منصب النظارة العلمية صار شيخ جامع الزيتونة ثم أُبعد عنه لأسباب سياسية، ليعود إلى منصبه سنة 1945م، وظل فيه إلى استقلال تونس سنة 1956م، ويُعدّ الشيخ بن عاشور صاحب أسرع خطبة في تاريخ الإسلام، حيث صعد على منبر جامع الزيتونية وقال في خطبته:"نساء شكون اللي في الأسواق "، وأعادها مرّة أخرى، ثمّ قال :" لا خير في صلاتكم ونساءكم عرايا" ثم قال أقم الصلاة يا إمام، تُوفي العالم الفقيه محمد الطاهر بن عاشور شهر أوت من سنة 1973م، بعد أن خلّف عديد المؤلفات أي ما يقارب الأربعين مؤلفاً أشهرها كتاب التفسير "التحرير والتنوير". الموقع الإلكتروني: المكتبة الشاملة، الرابط: https://shamela.ws/author/77، تاريخ الزيارة: 2022/04/12م، 19:57، الصادق الزمرلي، مصدر سابق، ص ص361- 368.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص 59.

المتباينة فيما بين الدول، فرغم أنّ التونسيين لم يُعاملوا بمثل ما عُومل به الأهالي الجزائريين أو الليبيّين، إلاّ أنّ أمير البيان اهتم لقضيتهم، بحكم العلاقة التي أقامها مع رواد الوطنية هناك كما أسلفنا، فكانت له مقترحات وأفكار تجسّدت في شكل مشاريع لاستقلال البلاد التونسية، وفي العنصر الموالي سنحاول عبر البحث والتقصّي الكشف عن هذه المشاريع.

5-1 مشاريع أمير البيان من أجل استقلال تونس:

كانت السلطات الفرنسية ترى في الأمير شكيب أرسلان العدو رقم واحد، لسبب واحد وهو التدخل في شؤون مستعمراتها في عديد المناطق، إلاّ أنّه لم يغلق طرق التواصل و لم يوصد منافذ التفاوض معها، وكان يربط حقوق الشعوب الشمال الإفريقي بمطالب المشرق العربي.

ففي رسالة أرسلها الأمير من جنيف إلى الرئيس السوري هاشم الأتاسي [(1)] بتاريخ **22** فيفري **1939**م، نشرتها جريدة الضحى في شهر أفريل **1963**م ندد من خلالها بسياسة الفرنسيّين في سوريا وفي دول شمال إفريقيا، لكنه طلب من الرئيس ترغيباً منه في التحالف مع فرنسا على قاعدة ما تقرّر في معاهدة سنة **1936**م، والمهم في هذه الرسالة هو أنّ الأمير ذكر أنّه طلب عبر جريدة "الطان" أنّهم كارهون لمحالفة فرنسا لكن مضطرّون لذلك، مع أن يشمل الاتفاق دول شمال إفريقيا المحتلة من طرف فرنسا[(2)].

وعلى هذا الأساس، كانت جميع مقترحات الأمير تصبّ في مصلحة الشّعوب المحتلة وبالأخص المغاربية، فرغم أن وطنه الأم سوريا محتلّة وتحتاج إلى جهود جبّارة لتحقيق استقلالها، إلاّ أنّه لم يتجاهل حقوق الشعوب المغاربية، ليربط مصالح السوريين بحقوق المغاربة، لاشتراكهما في العنصر الأساس وهو المحتل الفرنسي.

وفي خضم الحرب العالمية الثانية، وبعد سقوط فرنسا تحت سيطرة القوة الألمانية، حاولت حكومة فيشي الموالية للألمان السيطرة على المناطق المحتلة من قبل الفرنسيين على غرار أقاليم شمال إفريقيا؛ ففي تونس وصل

[(1)] **هاشم بن خالد الأتاسي** (1875- 1960م) سياسي سوري، نال منصب رئيس الجمهورية السورية، يرجع أصله إلى إحدى الأسر ذات العلم والوجاهة فقد كان جده محمد الأتاسي مفتي مدينة حمص مسقط رأسه، وخلفه أبوه خالد الأتاسي ثم أخوه طاهر، درس في مدينته ثم في بيروت، ثم انتقل إلى تركيا ليدرس في المدرسة السلطانية العليا، حيث تخرج منها سنة 1893م، ليعين واليا على بيروت، ثم قائمقام، اختير رئيساً للمؤتمر الوطني السوري سنة 1919م، حكم سوريا بين سنتي 1949م و1955م، خلال فترة اشتهرت بعديد الانقلابات العسكرية، وفي سنة 1958م اعتزل الحياة السياسية إلى ان وافته المنية سنة 1960م. الموقع الإلكتروني : الموسوعة العربية، الرابط: http://arab-ency.com.sy/ency/details/1342 تاريخ الزيارة : 2022/10/24م، 20:32.

[(2)] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص411.

الماريشال هنري بيتان Henri Philippe Pétain رئيس حكومة فيشي إلى تونس بتاريخ التاسع من ديسمبر **1940**م، للإطلاع على الأحوال السياسية هناك، وفي العاشر من فيفري من سنة **1941**م أعلن المقيم العام الفرنسي في تونس الأدميرال جان بيار استيفا أنّ تونس محصنّة من كل محاولة لاحتلالها [1]، وفي هذه الفترة رأى الأمير أنه أُتيحت الفرصة لاعتراف المحور باستقلال تونس على غرار ما فعلته في مصر كما سيأتي ذكره.

وفي ملحق لرسالة بعث بها السيد لحبيب بورقيبة إلى محمد علي الطاهر من كتاب "رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر"، ذكر بورقيبة أن المجاهد الدكتور الطيب ناصر أحد فضلاء مصر قد أخبره، أنه خلال الحرب العالمية الثانية كان حاضراً في حديث بين أمير البيان شكيب أرسلان والسيد سفير إيطاليا لدى دولة سويسرا في بيت الأمير بجنيف، حيث بعد طلب السفير من أرسلان المساعدة من خلال نشر نداء للمغاربة في الشمال الإفريقي لتأييد دول المحور، اعترض الأمير عن ذلك متحجّجاً بعدة أسباب، حيث أخبره أنّه ليس زعيماً للمغاربة، وأنّه لا يجوز له طعنهم في ظهورهم بهذا البيان، وأضاف أن زعماء الحركة الوطنية في تونس وزعيمهم بورقيبة يعانون عذاب السّجون الفرنسية، وبالضبط في قلعة سان نيكولا، ثم اقترح على السفير الإيطالي أن يُطلق سراح هؤلاء الزعماء ما دام الفرنسيون في حكومة فيشي خاضعين للمحور، ثم التفاوض معهم حول مصالح بلدهم ومصالح المحور[2].

ثم أضاف الدكتور الطيب ناصر من خلال رسالة بورقيبة، أنّ السفير الإيطالي تقبّل مقترح الأمير واتصل بحكومته التي استعانت بألمانيا على فرنسا، وتمّ بالفعل الإفراج عن الوطنيّين التونسيين وجيء بهم إلى روما مكرّمين، والجدير بالذكر أن بورقيبة لم يتفوّه بشيء، حيث وعد قادة المحور بدراسة الأمور في تونس أولاً، وحين وصل إلى تونس لم يف بوعده، حيث اتجه مباشرة إلى أمريكا عبر جنيف بعد مقابلة الأمير شكيب وتقديم واجب الشكر له والتعرّف على شخصه، والاعتراف بمساعيه النبيلة [3]، وبهذا المقترح نجح أرسلان على صعيدين، حيث تخلّص من ثقل المهمّة التي طُلب منه العمل عليها وهي تحرير نداء إلى شعوب شمال إفريقية دون العودة إلى قادة الحركة الوطنية المغاربية، والثانية تكليف الوطنيين التونسيين بالمهمة بعد الإفراج عنهم طبعاً، فكان له ذلك.

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 296، 297.

(2) بورقيبة، **رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر**، ص9.

(3) بورقيبة، المصدر نفسه.

أمّا الأستاذ الصافي سعيد فإنه يذكر أنّ الأمير أرسل برسالة إلى الحبيب بورقيبة يحثّه فيها على الوقوف بحزم ضد فرنسا، فأعطته هذه الرسالة جرعة أمل وحماسة ليبث ذلكم النداء عبر أمواج أثير راديو روما في برنامجه العربي، رغم أن ذلك النداء كان مضمونه جدّ محتشم و لم يناهض سياسة الفرنسيّين في شمال إفريقيا، ممّا تسبّب في إغضاب الضباط الإيطاليين والألمان الذين وصفوه بعديم الشجاعة [1]، في حين أن الأستاذ الصافي لم يذكر مضمون رسالة الأمير وما حوته، هل كان من المحفّزين على تحرير ذلك النداء، أم أنّه أراد إعطاء فرصة للوطنيين التونسيين وعلى رأسهم بورقيبة قصد التواصل مع قادة المحور لإبرام اتفاق يخدم بالدرجة الأولى استقلال تونس، وهذا أمر مستبعد، لأن أمير البيان كان جدّ حذر من الدّخول في مثل هذه المتاهات، ولا يثق في الإيطاليين، من خلال تجاربه السابقة في هذا الإطار فيما يخص الشأن الليبي.

لكن الحبيب بورقيبة كان يميل كثيراً إلى الطرف الفرنسي، حيث أنّه لّما سافر إلى القاهرة أقرّ بذلك علانية وقصد القنصلية الفرنسية في القاهرة وأبدى استعداده لتعاون مثمر مع فرنسا، وطلب جواز سفر فرنسي ليمكّنه من السفر إلى حيث يريد، فأغضب هذا الفعل أعضاء مكتب تحرير المغرب العربي وبالأخص الخضر حسين وعبد الكريم الخطابي [2]، فبادر بورقيبة لرسم مستقبله بنفسه وصُنع مجده بمفرده دون أن يراعي نشاط حزبه أو جهود رفاقه.

وحريّ بنا التطرق إلى الرسالة التي بعث بها الأمير إلى الدكتور الطيب الناصر المذكور آنفاً، صُنّفت ضمن كتاب "مراسلات أمير البيان إلى كبار رجال العصر"، والمؤرّخة بتاريخ **21** ديسمبر من سنة **1942**م، والتي خصّها بمسألة استقلال تونس، وقد تُرجم جزء من نص الرسالة وأُرسل إلى رئيس غرفة وزير الخارجية الإيطالي في **14** نوفمبر **1943**م؛ بدأ الأمير رسالته بسؤاله على حال صحته، ثمّ ذكر أسباب توقف مراسلة الأمير له طول تلك المدّة، حيث كان تبريره بغيابه عن جنيف لأكثر من شهر، وسفره بين زوريخ وبرن ولوزان قصد الترويح عن النفس، ثم بادله مشاعر المحبّة ونبل العواطف التي يكنّها له، ثمّ عرّج على موضوع الحرب في شمالي إفريقيا وانعكاساتها الإيجابية على شعوب المنطقة[3].

---

(1) الصافي سعيد، مرجع سابق، ص122.

(2) الصافي سعيد، المرجع نفسه، ص135.

(3) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص419، 420.

وبناءً على ذلك، ذكر الأمير شروط نيل المحور مساندة المسلمين هناك، فيجب عليها أن تفعل في تونس ما فعلته في مصر، حيث اعترفت إيطاليا وألمانيا باستقلال مصر التام، وقد كرّرت هذا الإعلان عدة أشهر، وقد استمالت به عواطف المسلمين، فوجب عليها أيضاً الاعتراف باستقلال تونس لإبراز نواياها وإظهار الفرق بينها وبين نيّة أعدائها، ويضيف أنّه لا أمل في مناصرة الفرنسيين، ويمكن عقد اتفاق بين المحور وباي تونس سرّاً على شرط استقلال تونس التامّ وعقد تحالف بين المحور والفرنسيّين لمدّة عشرين سنة[1].

ثمّ يصرّح الأمير أنّه يسُرّه سماع كون المسلمين في شمال إفريقيا يتمنّون انتصار المحور وهزم الحلفاء، ما يدلّ على معرفتهم للدّاء والدّواء، ثمّ دعا للمسلمين لتحقيق آمالهم وتسديد أعمالهم[2]؛ لكن الملاحظ في الشرط المذكور آنفاً، وهو استقلال تونس التام وألحقه الأمير بعقد تحالف بين المحور والفرنسيين، أنّ هناك خطأً في كتابة الرسالة أو هفوة مطبعية في هذا المُؤلَّف، أي أن التّحالف يكون بين المحور والتونسيين وليس الفرنسيين.

ولا يفوتنا أن ننوّه إلى أنّ الإدارة الفرنسية كانت حازمة في ممارساتها ضد كل من قدّم يد العون لحركات التحرر في المستعمرات التي تسيطر عليها وبالأخص في شمال إفريقيا، أو مجرد محاولة زعزعة استقرار أقاليمها كما تزعم صحافتها، حيث تعرّض أمير البيان للتضييق والضغط، فمُنعت كتاباته دخول الأراضي التونسية، وحذّرت منه الصحافة الفرنسية، ونُعت بمختلف الأوصاف، واتُّهم من طرف الإدارة الفرنسية بأنّه المحرّك الوحيد للحركات الوطنية في البلاد المغاربية، وهذا ما سنقدمه من تفاصيل في آخر عنصر من الفصل.

5–2 موقف السلطة الفرنسية من جهود الأمير السياسية لاستقلال البلاد التونسية:

موقف الفرنسيين من الأشخاص المعروفين لدى دوائر السلطة الاستعمارية على أساس ارتباطهم الوثيق بالوطنيين في الشمال الإفريقي معروف وثابت، كذلك تعاملت الإدارة الفرنسية مع الأمير شكيب أرسلان، بحيث كان يمثل الخطر الدائم على مصالحها في الأوطان العربية ككل وفي شمال إفريقيا خاصة، لذا سارع الفرنسيون إلى التضييق على كل من له علاقة به، وأصدرت قوانين الحظر على نشر أو توزيع أية مناشير، مقالات، مؤلفات من شأنها الإخلال بأمن مستعمراتها أو الإضرار بمصالحها.

---

[1] أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص420.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص420.

فكان التضييق المُمارس على الأمير من قبل فرنسا أو إنجلترا مُبكّرًا، أي منذ أن بدأ نجمه يظهر ومساعيه ضدهم في تصاعد واسمه يشتهر، فبإيعاز فرنسي بريطاني، تعرّض أمير البيان إلى هجوم عنيف قصد تشويه مساره السياسي أمام الرأي العام العربي، حيث أثارت علاقته مع إيطاليا الفاشية لاسيما صلته بموسوليني تحفظا لدى بعض الصحف العربية على غرار صحيفة "فلسطين" [1]، في حين نشرت جريدة "لسان الحال" في أعداد مختلفة عام **1935**م ما تعرض له الأمير من افتراءات وأكاذيب بخصوص علاقته بموسوليني[2].

ففي العاشر من أوت من سنة **1939**م أصدرت السلطات الفرنسية عبر الجريدة الرسمية التونسية قراراً يقضي بتطبيق القوانين الفرنسية المتعلقة بحظر توزيع أو بيع أو عرض أية مناشير من شأنها الإضرار بمصالح فرنسا صادرة خارج فرنسا وضمن الأراضي التونسية [3]، فهذه القرارات والقوانين سوف تمسّ بطريقة أو بأخرى ما يصدره مناهضو الدول الاستعمارية على غرار أمير البيان شكيب أرسلان.

حيث يقول أمير البيان :"...طبعًا أنّه فيما بعد صار التونسيون يطالعون مجلة (لاناسيون آراب) ..."، وقد أعجبوا بمقالاتها ودفاعه عن القضايا العربية الإسلامية، فنشأت بينهم علاقة وطيدة، من خلالها تمت الكثير من المراسلات والمكاتبة فيما بينهم، وصارت جرائد التونسيين تنقل بعضا من مقالاته، ثم ذكر أرسلان أن الحبيب بورقيبة خصّص عددًا بترجمة شكيب أرسلان، واصفًا فيها فضله ونشاطه وقول جمال الدين الأفغاني فيه حيث قال :" إنّي أُهنّئ أرض الإسلام التي أنجبتك..." [4]، وصدر هذا العدد الخاص بمقالة افتتاحية بقلم الحبيب بورقيبة في شهر جوان **1937**م ضمن صفحات مجلة "العمل التونسي"[5].

وقد كتب في إحدى رسائله إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي، المؤرخة بتاريخ **14** أفريل **1933**م، قائلا:" لقد قلت لكثير من الرجال الفرنسيين ومنهم المسيو بونصو بالصراحة أنّنا نحن مسلمي الشرق لسنا بأوصياء على مسلمي المغرب الراشدين مثلنا فلذلك لا نزعم أننا نعطيهم بروغراما[6] سياسيا، فهم أدرى منا بما يجب أن

---

(1) عبد الرحمان عبد الغني، **ألمانيا النّازية وفلسطين 1933–1945م**، مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط1، أفريل 1995م، ص461.

(2) علي عبد المنعم شعيب، **الصراع الإيطالي الفرنسي على بلاد الشام (1860–1941م)**، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2002م، ص100.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص285.

(4) شكيب أرسلان، **عروة الاتحاد بين أهل الجهاد**، ص157.

(5) سعود المولى، "شكيب أرسلان والحركة الوطنية المغربية"، ص 17.الموقع الإلكتروني: أكاديمية ، الرابط: https://www.academia.edu/3559484/ شكيب_أرسلان_والمغرب_العربي، تاريخ الزيارة : 2023/02/06م، 20:42.

(6) بروغراماً هي كلمة لاتينية (LE Programme) أي البرنامج، وبالضرورة يكون برنامجاً سياسيًّا، يضمّ بين دفتيه توجيهات ونصائح يمنحها الأمير إلى المغاربة للسير عبره قدماً نحو تحقيق استقلالهم كما يدّعي الفرنسيون.

يعملوه من جهة السياسة..." [1]، وعليه فإنّ الأمير أراد إبعاد الشبه عن نفسه من جهة، ومن جهة أخرى لم ينفي وجود اتصالات جارية بينه وبين رجال الوطنية في تونس وكل المغرب، وصرّح أنّه لم يمنحهم برنامجاً سياسياً، و لم يعترف أنّه يعطيهم النصائح أو الإرشادات، أو أنه واسطة لكثير من العلاقات واللقاءات بين مختلف تيارات الحركة الوطنية المغربية.

ورغم الجهود التي بذلها شكيب في سبيل نصرة حركات التحرر في المغرب، إلا أنّه كان يُنكر أنه من فعّل نشاط تيارات الحركة الوطنية في شمال إفريقيا، نافياً ما كانت تكتبه الصحافة الفرنسية من خلال حملات التشويه المبرمجة من طرف السلطات الفرنسية، حيث ذكر في كتابه "عروة الإتحاد بين أهل الجهاد" قائلا :" وقد كان كل ما ادعته فرنسا وجرائد فرنسا من اتهامي بأني أنا المحرك الوحيد للحركات الوطنية في شمالي إفريقيا كذباً وبهتاناً، ولو كان ذلك صحيحا لما كتمته..." ويذكر أن الحزب الدستوري الوطني يعمل قبل أن تكون له أي صلة بهم وله تشكيلات منتشرة عبر ربوع تونس.[2]

وضمن سطور إحدى الرسائل التي بعثها الشيخ الثعالبي إلى الأمير شكيب، وبعد المدح لشخصه والقدح في ممارسات أوروبا الظالمة، ذكر بعضاً من سياسة التضييق التي تعترض الأمير في رحيله و تِرحاله، حيث كتب يقول:"...ومهمة البطل هدم هذا الصنيع وتقويض أسسه الخبيثة، لذلك يرون وجودك في قطر من الأقطار التي انتهبوها خطراً عليهم فيما نحن وإيّاهم...معركة مستعدّة بين الشرق والغرب وتستمر إلى أن تظفر بالخلاص وحسبنا الله وهو الذي تكفّل بنفسه إلى المجاهدين الصابرين..." [3]، في مستهل الحديث بادر الشيخ الثعالبي بمدح الأمير وبالغ في الثناء عليه، ليذكر مدى الخطر الذي يشكّله الأمير عند زيارته لأيّ مستعمرة على مستعمريها، وتوجّسهم منه ومن زيارته، واحتكاكه بمثقفيها.

وفي تعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامي ذكر أمير البيان أن ما ادّعاه لابون حول كون النادي الشرقي ببرلين هو من مراكز دعوة الجامعة الإسلامية، وأنّه يصدر جريدة لواء الإسلام لبث دعوة النادي، وكان أمير البيان هو رئيس النادي الشرقي، فكذّب افتراءاته في بعض الجرائد، ووضّح على أن النادي هو محفل اجتماعي ليس له علاقة بالشؤون السياسية، يجمع جميع الأجناس الشرقية المسلمة بما فيهم المغاربة، وأنكر أن

---

(1) شكيب أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص 38.

(2) أرسلان، **عروة الاتحاد بين أهل الجهاد**، ص156.

(3) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص82.

تكون جريدة لواء الإسلام تابعة للنادي الشرقي، فكان مقصد لابون هو إيهام بني جلدته بوجود حركة إسلامية ألمانية[1].

ويُدلي المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان برأيه بالاستناد على الطرح الرسمي الفرنسي، حيث يذكر أنّ الأمير شكيب بادر إلى إحباط مساعي مُفتي بيروت الذي عمل على تحريض المسلمين قصد حمل السلاح إلى جانب جيوش الحلفاء، من خلال تأييد وجهة نظره المتمثلة في الاعتداءات الفرنسية في شمال إفريقيا حول القضاء على اللّغة العربية ومحاربة الدّين الإسلامي [2]، والملاحظ أنّ المؤرخ جوليان يعلّق على أنّ الأمير يؤيّد وجهة نظره بطرح الأدلّة والوقائع التاريخيّة للسيّاسة التسلطية الفرنسيّة، في حين كان هو يؤيّد وجهة نظر السلطة الفرنسيّة وما كانت تكتبه صحافتها بالحرف الواحد حول نشاط الأمير شكيب.

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص 333.

[2] شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير..**، ص117.

الفصل الرابع

الفصل الرابع : علاقة شكيب أرسلان برواد الحركة الوطنية الجزائرية ومساعيه للقضية الجزائرية

1 -اهتمامات شكيب أرسلان بالجزائر على صعيد التأليف قبل وبعد الاحتلال الفرنسي

2 -مواقف الأمير تجاه السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر

3 -علاقة الأمير شكيب برموز الحركة الوطنية الجزائرية

4 -موقف الطرف الفرنسي من نشاط الأمير السياسي لصالح الشأن الجزائري

يقول الشيخ الإمام ابن باديس رحمه الله في آثاره:"... مضى حقبة من الدّهر كاد فيها الشّرق العربي أن ينسى هذا المغرب العربي، وإلى عهد قريب كانت صحافة الشرق غالباً لا تذكره إلاّ كما تذكر قطعة من أواسط إفريقية...رغم التّجاهل والتّناسي من إخوانه المشارقة كان يبعث من أبنائه من رجال السّيف والقلم من يذكّرون به، ويُشيدون باسمه..."، صرّح الإمام ابن باديس بكل واقعية عن مكانة المغرب عند المشارقة ومعرفة الشرقيّين لفضلاء العلم والأدب المغاربة[1].

هذا إن كان الحكم على عامة أهل الشرق، ونستثني من ذلك الأمير شكيب أرسلان، الذي تفرّد بشخصيته في ربط علاقات واسعة مع أهل الفقه والأدب والسياسة والصحافة في المغرب العربي، فلم تكن صلته بهم ضمن علاقات الصداقة المجردة، بل فاقت كل التوقعات، فراح الأمير يستشير العلماء ويثير عواطف الشعراء، ويحرّك الفواعل السياسية التي مسّها الركود، فراسل وصاحب النقابيين والإعلاميين والطلبة المغاربة المغتربين عن بلدانهم، وكانت له صولات وجولات إلى البلاد الأوروبية وكذا المغاربية حاملاً على كاهله هموم شعوبها المحتلة، فاهتم لشؤونها وساهم بدوره في نصرة قضاياها.

1) اهتمامات شكيب أرسلان بالجزائر على صعيد التأليف قبل وبعد الاحتلال:

تعدّدت كتابات أرسلان بين ما هو سياسي أو تاريخي أو أدبي بحت، أمّا السياسي والتاريخي فلم ينفرد بالكتابة حول وطن دون آخر من البلاد العربية، أو كان ذاتياً في ميوله لوطنه لبنان أو بلاده الشام، بل تعدّت اهتماماته وشعوره بالوطنية حدود مسقط رأسه وموطن نباته إلى ما وراء إقليميته وقوميته العربية حتى شملت رابط الدين والعقيدة الإسلامية لتتركز كتاباته حول معظم البلاد الإسلامية، وحتى تلك التي اشتغل عليها في أوروبا والتي خصّصها للأقاليم التي حكمها المسلمون قبل قرون، وكانت الجزائر من البلدان التي أخذت نصيبها من اهتمام شكيب أرسلان.

1-1 لمحات أمير البيان التاريخية حول أوضاع الجزائر السياسية الاجتماعية والثقافية:

وممّا لا شك فيه فإنّ الأمير اتخذ من الفرنسيين العدوّ الأوّل، وكان له موقف ثابتٌ تجاههم، فبعد خيانة فرنسا للباب العالي واستيلائها على الجزائر بعد أن كانت علاقاتها جدّ حسنة مع الدولة العثمانية دامت لقرون، كسبت خلالها امتيازات اقتصادية ودينية وعسكرية مُنحت لها دون غيرها من الدول الأوروبية في الأراضي

[1] ابن باديس، **آثار ابن باديس**، الجزء 2، المجلد 2، ص144.

العثمانية، فصار الأمير يتتبع ممارساتها في مستعمراتها، فدوّن الكثير من الأحداث التي تخصها في الجزائر في عديد المؤلفات، ونقد سياسييها وردّ على مؤرخيها وقساوستها.

من بين المؤلفات القيّمة الخاصة بأمير البيان، والتي جمعت مئات الأحداث التاريخية في مختلف المناطق العربية كتاب "مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه **1800م- 1950م**" وقد ذكرناه في الفصول السابقة، احتوى على أبرز الأحداث في الوطن العربي طيلة قرن ونصف، فلم تكن الجزائر في منأى عن اهتماماته، فأورد الكثير من الأخبار، ودوّن عديد الأحداث، وقد رتّبنا معظم تلك الأخبار على مضامين عناصر الفصل حسب أهميتها وتصنيفها، دون أن نغض الطرف على أبرز مؤلفاته التي تركت أثراً على قرائها على غرار "حاضر العالم الإسلامي"، "تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون"، وكُتب المراسلات وغيرها التي لم تخلوا من حديثه عن البلاد الجزائرية ولو إشارةً.

فكتب عن احتلال الجزائر وحملة الجنرال دي بورمون [1] على سيدي فرج الجزائرية وخلع السلطات الفرنسية لداي الجزائر حسين باشا [2]، وقبل ذلك كتب أمير البيان شكيب أرسلان في تعليقاته حول كتاب تاريخ ابن خلدون حول أعمال خير الدين بربروس البطولية وأسطوله المستقر في الجزائر، مثل حدث إغراق أسطول الإمبراطور الإسباني شارلكان [3] قُبالة سواحل العاصمة الجزائر، كذلك العملية العسكرية التي قام بها

---

[1] **دي برمون:** (1773م-1846م)، اشتهر اسمه في الحرب الفرنسية الاسبانية سنة 1813م ، لكنه لم يشارك في معركة واترلو إلى جانب نابليون سنة 1815م، حيث فرّ إلى جان قوّات اللك لويس الثامن عشر، عُيّن من طرف الملك شارل العاشر في منصب وزير الحربية، رُقي إلى رتبة الماريشال في 24 جويلية من سنة 1830م ، وعمره 56 سنة، عُزل عن منصبه بعد وصول الملك لويس فيليب إلى الحكم، حيث عيّن مكانه الجنرال كلوزيل، ثم انتقل إلى بلده فرنسا حيث استقر واعتزل السياسة بقصره إلى أن تُوفي. حرشوش كريمة، **جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم " 1832-1847" (نماذج)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د.صم منور، قسم التاريخ وعلم الآثار، معهد العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران -السانيا، د ترقيم، د فهرس، د ت مناقشة، ص ص 25، 26. من الموقع الإلكتروني : https://theses.univ-oran1.dz/document/THA2363.pdf تاريخ الزيارة : 2022/05/19، 18:03.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 18.

[3] **شارلكان:** الإمبراطور شارل الخامس، تولى الحكم بعد وفاة الجد فرديناند سنة 1516م، حيث صار بعد سنة 1519م يحكم أكبر إمبراطورية في العالم، تميز عهده بكثرة الحروب وشن الكثير من المعارك في فترة حكمه التي انتهت إلى غاية جانفي سنة 1556م، من خلال تخلّيه عن منصبه وبعده عن المسؤولية ليتفرغ للتعبد داخل كنيسة يوست Yuste، وبقي على هذه الحالة إلى أن تُوفي في سبتمبر 1558م، وقد خلفه في منصبه ابنه فليب الثاني. طاهر تومي، **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد القادر صحراوي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، تاريخ المناقشة: 2015/2014، ص7. يُنظر كذلك مولاي بلحميسي، **"غارة شاركان على مدينة الجزائر، 1541م-948ه بين المصادر الإسلامية والمصادر الأجنبية"**، مجلة الأصالة، العدد08، الجزائر، 1972م، ص 91.

خير الدين بربروس[1] إلى جانب الملك الفرنسي فرانسيس الأول وهي تحرير مدينة نيس من قبضة الإمبراطور شارلو كان، حيث استخدم خير الدين بربروس مائة وعشرة بوارج تحمل أربعة عشر ألف جندي، في حين استخدمت فرنسا أربعين بارجة عليها سبعة آلاف مقاتل، فاستطاع هذا التحالف طرد الأسبان من مدينة نيس[2].

لكن القوى المسيحية الأوروبية نددت بأعمال الملك الفرنسي فرنسيس الأول وتحالفه مع العثمانيين المسلمين ضد المسيحيين فقامت قيامتهم، إلى أن تصالح الفرنسيون والإسبان، فأمر السلطان بعودة الأسطول العثماني إلى دياره، بعد أن أرسل الإمبراطور شارلوكان طلب الصلح إلى السلطان كذلك[3].

كذلك مشاركة صالح بك أمير الجزائر بأسطوله إلى جانب القوات البحرية العثمانية لغزو جزيرة مالطا قصد تأديب مُقاتلي فرسان مالطا[4] الذين غزو طرابلس الغرب، حيث وصل عدد قطع الأسطول العثماني إلى مائة وثمانين بارجة، أنزلت عشرين ألف جندي على الساحل المالطي، وكان ذلك سنة **1565**م[5].

ثم قّدم لنا الأمير معلومات حول مشاركة الأسطول الجزائري في واقعة ليبانت [1] سنة **1571**م، والتي وقعت بين الأساطيل العثمانية الإسلامية من جهة، والأساطيل المسيحية الأوروبية من جهة أخرى، التي جمعت

---

[1] **خير الدين بربروس** (1470-1547م): ولد بجزيرة ميدلّي بالأرخبيل المتواجد جنوب غرب تركيا وجنوب اليونان، اسمه الأصلي هو خضر بن يعقوب وعُرف باسم خضر ريّس، وتلقّب بخير الدين، وعُرف بأوروبا بباربروسا أي ذو اللحية الحمراء، هو أحد أشهر قادة الأساطيل العثمانيين، كان والياً على الجزائر ساهم بشكل ملفت من طرد الاسبان من سواحل شمال إفريقيا، فحرر مدينة بجاية الجزائر، تنس، شرشال....، وهاجم الإسبان في معاقلهم وهزمهم في جزر البليار وبعض موانئهم باسبانيا، عاصر حكم الإمبراطور الاسباني شارلكان، وواجهه في أبرز معركة وهي الحملة الصليبية التي كانت سنة 1541م، وعند وفاته خلفه ابنه حسن باشا في منصب الوالي على ولاية الجزائر. بسام العسلي، **خير الدين بربروس (والجهاد في البحر) 1470-1547م**، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1980م، ص ص18- 20. يُنظر كذلك: مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد درّاج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط1، 2010م.

[2] أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص ص 192- 198، يُنظر كذلك عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1997م، ص 54.

[3] أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص ص 192- 198.

[4] فرسان المعبد أو فرسان الهيكل: وفي كتب التاريخ الإسلامي يسمونهم بالداوية جمعية سرية من متعصبي الصليبيين، عاهدوا أنفسهم ان يحموا الحملات الصليبية، فاستخدموا جزر البحر المتوسط كقواعد لسفنهم كقبرص ورودس ومالطا لشن هجماتهم على المصالح الإسلامية سواء سفن أو موانئ، وخاصة جزيرة مالطا التي حملوا اسمهم عنها. شكيب أرسلان، **التعصب الأوروبي أم الإسلامي، تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية 1281م-1913م**، علق عليه وهذبه محمد العبده، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط2، 1995م، ص32.

[5] أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص 199.

السفن الحربية لمالطة والبندقية وأساطيل البابا والمملكة الاسبانية، حيث جمع هذا التحالف الأوروبي نحو **230** سفينة حربية، يقابلها من الجانب الإسلامي ما يقارب الثلاثمائة سفينة[2].

وذكرت مصادر أخرى أن التحالف المسيحي استطاع جمع **317** سفينة[3]، وحشدت الدولة العثمانية كذلك بولاياتها حوالي ثلاثمائة بارجة وسفينة، لم تنجو منها إلاّ أربعين سفينة كانت للدولة الجزائرية بعد أن فقد الطرف العثماني **94** سفينة حرقاً، و **130** سفينة غصباً، وغُنم **300** مدفع، وأُسر ثلاثين ألف جندي عثماني، وأُنقذ **15** ألف أسير مسيحي، في حين لم تخسر القوى الأوروبية سوى **15** سفينة، أما القتلى فقد تجاوز العدد ثمانية آلاف قتيل مسيحي، وبقيت هذه الواقعة تُستذكر لدى الأجيال ويُحتفل بها في إيطاليا إلى اليوم[4].

وبعد أن امتنع السلطان سليم الأول عن الطعام لمدة ثلاثة أيام، عاد وأمر الصدر الأعظم الصوقلي ببناء الأسطول مرة أخرى وبمساعدة أمير الجزائر علج علي الذي كُلّف بقيادة الأسطول العثماني أي أمير البحر المتوسط، فاستطاع العثمانيون بناء **150** سفينة استرجعوا من خلالها هيبتهم، فبعد عام فقط وصلت عدد قطع الأسطول البحري العثماني بقيادة العلج علي أمير الجزائر إلى **250** بارجة حربية، مما اضطر البنادقة الجنوح إلى السلم وعقد الصلح مع العثمانيين في السابع من مارس سنة **1573**م، بموجب هذا الاتفاق تخلّت سلطة البندقية عن جزيرة قبرص، ودفعوا ثلاثة مائة ألف دوقة تعويضات، ثم طرد العثمانيون الإسبان من تونس سنة

---

(1) تُعد معركة ليبانت أو ليبانتو Lépanto والتي حدثت سنة 1571م من أهم المجابهات العسكرية التي شهدها البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر، بين العالمين الإسلامي من جهة والمسيحي من جهة أخرى، حيث تتصدر الدولة العثمانية دول العالم الإسلامي، أما التحالف المسيحي فكان برعاية البابا في روما (بيوس الخامس)، وقد اعتمدت الدولة العثمانية في حروبها البحرية على ولاياتها المطلة على البحر المتوسط مثل مصر والجزائر، وقد سبق للجزائر مشاركتها في معركة بريفيزا سنة 1538م في عهد خير الدين، وفي معركة حصار مالطا سنة 1565م، وقد كان التحضير لمعركة ليبانتو من طرف المسيحيين منذ حصار جزيرة مالطا وبعد موت السلطان العثماني سليمان القانوني، خاصة بعد اعتلاء البابا بيوس الخامس منصب البابوية، والذي سارع إلى مراسلة ملك اسبانيا فيليب الثاني، لما كانت اسبانيا حامية المسيحية في البحر المتوسط أنذاك تضمنت رسالته خطر الحملات العثمانية على أوروبا والعمل على إيقافها، فكان السبب المباشر للمعركة هو استيلاء العثمانيين على جزيرة قبرص التابعة للبندقية، وبعض مدن جزيرة كريت، فكان نداء البابا بيوس الخامس إلى ممالك وإمارات أوروبا التي لبّت النداء ووقّعت الحلف المقدّس في 25 ماي 1571م، وكانت المعركة في السابع من أكتوبر 1571م بهزيمة العثمانيين. عبد القادر فكاير، **"دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571م"**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد 09، ديسمبر 2014، ص ص 415-422. من الموقع الإلكتروني : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/142/6/1/6449 تاريخ الزيارة : 22:06 2022/05/09.

(2) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص221.

(3) عبد القادر فكاير، مرجع سابق، ص 417.

(4) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص221.

1574م[1]، فكان للقائد علج علي أمير الجزائر فضل كبير في إعادة بناء الأسطول العثماني وتنظيمه، ففي غضون سنتين فقط استعادت الدولة العثمانية روح المبادرة وهيبتها الدولية في حوضي البحر المتوسط.

وبعد عقد العثمانيين عدة اتفاقيات لتبادل المصالح مع الفرنسيين منعت الدولة العثمانية الأعمال العسكرية والقرصنة في البحر المتوسط، فعزلت والي تونس وأمرت بخنق والي الجزائر [2]؛ ويذكر أرسلان أنه في عهد السلطان محمد الرابع توتّرت العلاقات بين العثمانيين من جهة وبين البندقية والنمسا من جهة أخرى، وبدأت تسوء العلاقة كذلك مع فرنسا التي كانت تنفرد بالامتيازات الاقتصادية عن باقي الدول الأوروبية حيث لا يدفع الفرنسيون الضرائب في البلاد العثمانية، والقراصنة الجزائريون لا يستطيعون مسّ السفن الفرنسية، وللفرنسيين امتياز صيد الصدف(المرجان) في السواحل الجزائرية، والسبب في توطيد هذه العلاقة بين العثمانيين والفرنسيين هو القنصل "ساڤاري دوبريف"، لكن بعد انقضاء عهده بدأت العلاقة في التوتر بين الطرفين[3].

وبعد أن أساء السفراء الفرنسيون لشخص الصدر الأعظم "محمد باشا الكوبرلي [4]"، أمر هذا الأخير بفرض الضرائب على الفرنسيين ورفع جميع الامتيازات التي مُنحت لهم سلفاً، وأخذت السفن الجزائرية بقرصنة السفن الفرنسية[5]، لكن عادت العلاقة إلى الأحسن بعد وصول أحمد باشا الكوبرلي بن محمد باشا الكوبرلي إلى الصدارة وعودة المجد الضائع إلى السلطنة[6].

---

[1] أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص222.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص239.

[3] المصدر نفسه، ص250.

[4] **محمد باشا كوبريلي** ولد سنة 1578م، تعود أصوله إلى أسرة ألبانية مسيحية، ولد بمدينة ريدنيك بمحافظة بيرات الألبانية، والتي فتحها العثمانيون سنة 1450م وبقيت تحت السيطرة العثمانية إلى غاية سنة 1912م، يعد أول صدر أعظم من سلالة كوبريلي، ةالتي هيمنت على الشؤون الغدارية للإمبراطورية العثمانية خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، والتي عرفت بالفترة الكوبريلية، تقلد مناصبا عدّة في الإدراة العثمانية في مختلف ولاياتها في الجيش والدولة، تخرج من المدرسة التي أنشأها السلطان مراد الثاني لإعداد الموظفين في قطاعات الدولة المختلفة، إدارة وجيش، حيث عُرف هذا النظام بنظام الدوشيرمة، تدرج محمد باشا كوبريلي في المناصب داخل القصر حتى أصبح والياً على إسطمبول ثم تقده منصب الصدر الاعظم، واستمر في منصبه إلى ان خلفه ابنه فاضل أحمد باشا الذي كونه بنفسه. من الموقع الإلكتروني : مرحبا، الرابط: https://mar7aba.com.tr كوبرلي-محمد-باشا-الصدر-الأعظم-الذي-أنق// ، تاريخ الزيارة : 2022/05/22م، 22:38.

[5] أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص251.

[6] المصدر نفسه، ص253.

لكن بعد الهزيمة التي مُنيت بها الدولة العثمانية على أسوار فينا بقيادة الصدر الأعظم قرة مصطفى باشا سنة **1683**م وتحالف الدول الأوروبية على الأستانة، قام الفرنسيون بقصف مدينة الجزائر وتدميرها و لم ترجع السفن الفرنسية عنها إلاّ بعد أخذهم لغرامة مالية حربية، وتسلمهم للأسرى المسيحيين الموقوفين في الجزائر[1].

أما مسألة مشاركة الأسطول الجزائري في معركة نافارين [2] في ثورة استقلال اليونان، فلم يشر أرسلان إطلاقاً إلى هذه النقطة، بحيث فصّل في مجريات أحداث الثورة اليونانية وكيف تعاملت معها الدولة العثمانية لإخمادها، بحيث استعانت هذه الأخيرة بالقوة البحرية المصرية عبر قائدها إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، الذي استعان بثمانين بارجة من أسطوله، في حين تدخّلت الدول الأوروبية الثلاث فرنسا وإنجلترا وروسيا بأساطيلها وهدّدت الدولة العثمانية، ثم بدأت المعركة بطلقة رصاص عثمانية واحدة أصابت نائب في المجلس الإنجليزي، فحُوصرت السفن المصرية العثمانية التي قُصفت بقوة المدافع الأوروبية، فلم يبقى من الأسطول العثماني سوى خمسة عشر سفينة[3].

و لم يذكر أبداً شكيب مشاركة القطع البحرية الجزائرية في هذه المعركة، ويذكر الأستاذ محمد بن جبور أن البحرية الجزائرية لم تبخل بمساعداتها مطلقاً للباب العالي، لذلك كانت الدول الأوروبية تعتبر أساطيل كل من طرابلس الغرب وتونس والجزائر جزءاً لا يتجزأ من القوة البحرية العثمانية، وهذا ما كان يَرِد في تقاريرهم

---

(1) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص256.

(2) **معركة نافارين** : كانت هذه المعركة من سلسلة معارك حدثت بين الدولة العثمانية والمقاومة اليونانية المدعومة من الحلف الثلاثي الذي تكوّن على إثر هذه الحرب، والذي ضمّ روسيا، فرنسا وبريطانيا، حيث اعترفت هذه الاخيرة باستقلال اليونان عن الدولة العثمانية، وقد حدثت هذه الحرب بين سنتي 1821م و1829م، وأُرّخت المعركة في أكتوبر من سنة 1827م، خطاب فطوم، التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية(1800-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الدبلوماسية والعلاقات الدولية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، إشراف د.شقرون الجيلالي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس-سيدي بلعباس-، السنة الدراسية (2014-2015)، هامش ص149.

ويذكر أغلب المؤرخين أن الأسطول الجزائري شارك في هذه المعركة إلى جانب القوات البحرية العثمانية، في حين نجد الأستاذ خليفة حميش نفى ذلك من خلال كتابه:"مشاركة الجزائر في الحرب العثمانية اليونانية 1821م-1827م"، معتمداً على عديد المصادر التي لم تشر إلى المشاركة الفعلية لقطع البحرية الجزائرية في هذه المعركة، وأورد في كتابه " **وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني** " مضامين عدة رسائل حول الحرب اليونانية العثمانية دون ذكر مشاركة الأسطول الجزائري في المعركة كذلك.خليفة حماش، **وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزء 1، مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 2016م، ص ص129- 138.

(3) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص ص 295- 297.

الحربية[1]، والملاحظ أن المعارك البحرية لإبراهيم باشا ضد الثوار اليونانيين كثيرة وحدثت عديد المعارك البحرية بنافارين ببحر إيجة بين سنتي **1825**م و **1827**م، ومن الممكن أن تكون مشاركة القطع البحرية الجزائرية في إحدى تلك المعارك.

ثم يذكر أمير البيان نكسة سقوط الجزائر تحت السيطرة الفرنسية بعد الضعف الذي أصاب السلطنة وموقفها السلبي في عجزها عن دفع هذا الاعتداء، لا سيما أن الجزائر كانت منفصلة ولها حكم شبه ذاتي وكانت سيادة الدولة عليها اسمية فقط [2]، و لم يفصل أرسلان في ما جرى بعد الاحتلال من جهود عثمانية على الصعيد الدبلوماسي أو العسكري.

والجدير بالذكر أن شكيب أرسلان بمؤلفاته العديدة اهتم بتاريخ الجزائر كتابةً رغم أنّه لم يزر الجزائر مطلقاً، فوصف المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي ثم مقاومة الأمير عبد القادر، ففي تعليقاته حول كتاب الحاضر الإسلامي خصص للجزائر مقالين: عُنون الأول بـــ"الجزائر والأمير عبد القادر وفرنسا"، والثاني تحت عنوان "الجزائر وقبائل البربر"، يصف من خلالهما حالة الجزائر في الفترة العثمانية، وحالة الأسطول الجزائري والانحطاط الذي وصل إليه، حيث ذكر شكيب تحوّل الأسطول الجزائري من قضية الجهاد والدفاع عن الديار المغاربية إلى النهب والسبي والاسترقاق، ممّا ألّب الدول الأوروبية عليه، ثم خسارة المغرب الأوسط أي الجزائر، واحتلالها من طرف الفرنسيين، والمقاومات الشعبية لهم [3]، وكأن الأمير يربط أسباب احتلال الجزائر والحملات الأوروبية المتتالية عليها بعامل القرصنة، التي أرهقت التجارة الأوروبية في البحر المتوسط، رغم أنّها كانت تُمارس من قبل الطرفين، الأوروبيين المسيحيين أو المغاربة المسلمين.

وفي مواضع أخرى أشار أمير البيان إلى مجالات الثقافة والعلوم وذكر بعض الأعلام الجزائرية، ففي تعليقاته حول كتاب "الإسلام والنصرانية في إفريقية" L'Islamisme et le Chrisianisme en Afrique لصاحبه السيد "بونه موري G. Bonet Maury" ذكر أمير البيان عديد المدارس ومشايخ وعلماء

---

(1) بن جبور محمد، **"البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني"** ، مجلة عصور، الأعداد: 12-13/14-15، 2008- 2009، ص118. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/167/7/2/94002 .

(2) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص300.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص ص 166-187. سلامة دربال، سليمان قريري، **الجزائر المحتلة في اهتمامات شكيب أرسلان وعلاقته برواد الحركة الوطنية " مصالي الحاج نموذجاً"** ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة 1، المجلد (21)، العدد(02)، ديسمبر، 2020، ص226.

الجزائر، وذكر الحواضر العلمية كبجاية وتلمسان والمتصوف الكبير أبـو مدين، وتعلم في مدارس هاته الحواضر ليونارد بوناكسي الحساب والجبر والهندسة، ففي تلمسان كانت مدرسة مشهورة قدم فيها ابن خلدون دروسه، وفي القرن التاسع عشر تخرج منها محمد السنوسي، ثم تحدث على أشهر المساجد، كجامع سيدي عقبة ببسكرة المبني على رفاة الفاتح عقبة بن نافع، كذلك جامع أبي مدين بتلمسان[1].

وقد استرسل الأمير في ذكر مواطن تأسيس المدارس الدينية وانتشار الطرق الصوفية في الجزائر، وجهودها في إفريقيا الغربية كما سنوضحه في العنصر الموالي، بعد شرح وافي لرأي الأمير في المسألة البربرية في الجزائر.

1-2 آراء الأمير حول مسائل قبائل البربر والطرق الصوفية في الجزائر:

خصّص أمير البيان للقضية البربرية أو قبائل البربر في الجزائر مقالاً صُنّف ضمن تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي، وأشار إلى القضية في عديد المناسبات في الكثير من المؤلفات، سنحاول من خلال اطلاعنا على ما كتبه الأمير جمع ما يمكن الوصول إليه في هذا الشأن.

ففي المقال المعنون ب"الجزائر وقبائل البربر"، بدأ أمير البيان مقاله بالنهاية المؤسفة لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، وعقد اتفاقية الصلح بين فرنسا والمغرب، وإعلاء كلمة الفرنسيين في القطر الجزائري بعد أسر الأمير عبد القادر، وبداية مرحلة جديدة وتقدّم الجيوش الفرنسية نحو الداخل الجزائري، لتوطيد موطأ قدمها في الصحراء الجزائرية الشاسعة، فأشار إلى ثورتي الزعاطشة والأغواط للقائدين محمد بوزيان والشريف محمد بن عبد الله[2].

ثمّ دخل الأمير في صلب الموضوع، ليصف شدّة مقاومة أهالي المنطقة القبائلية والتي وصفها ب(كابيلي) وعلى ما يبدو أنّه قام بترجمتها من الفرنسية إلى العربية، حيث اعتمد في كتابة هذه الأسطر على المصادر الفرنسية، وهذه الأخطاء التي سقط فيها شكيب أرسلان سوف ننوّه عن سبب وقوعه فيها ببعض التعليقات فيما يخصّ العنصر الخاص بالأمير عبد القادر.

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الاسلامي**، ج2، ص ص362، 363.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص175.

ثم يصف المنطقة على أنّها مستعصية على الفرنسيس شامخةً بأنفها، فزحف عليها كبار قادة الاحتلال الفرنسي أمثال الجنرال بوجو ، والجنرال سانت أرنو، والجنرال راندون، ثم يذكر طول فترة المقاومة التي امتدّت من سنة **1844**م إلى غاية **1857**م دون توقف ودفع القبائل لفاتورة دماء غالية جدًّا، وخضعت في الأخير بعد انهزام القائد بوبغلة، وبقيت قمم الجرجورة (جرجرة) محافظة على استقلالها إلى حين[1].

حيث أذعنت فيما بعد ولكن بشروط كالحفاظ على عاداتها وعرفها، وتولية رؤساء مسلمين عليهم، تحت مراقبة الضباط الفرنسيين، وجعلت الأقلام العربية في الإدارات الخاصة بهم، وهذا ما تفعله الدول الاستعمارية للشعوب التي تلتمس منها شدّة البأس وصعوبة المراس، فصنّف الأمير أهالي منطقة القبائل من هؤلاء، لكن لم تطل هذه السياسة، حيث بعد أن تحقق للفرنسيين مبتغاهم، بدأت الأحكام الاستعمارية في التطبيق، حيث طُبّقت على أكمل وجه، رغم أن الثورات لم تهمد في الجزائر بعد، حيث يقول الأمير أنّه كلّما انطفأت نارُ إحداها اشتعلت أخرى، ثم يصف بعض الثورات في الغرب الجزائري وفي شرقه، بعد أن ثار المقراني والحداد بعد انهزام فرنسا أمام الألمان سنة **1871**م ومشاركة سكان منطقة القبائل فيها[2].

ويضيف أمير البيان أن الثوّار في منطقة القبائل أحاطوا بكل الحصون والقلاع الفرنسية، وقاموا بتخريب مدينة بالسترو (الأخضرية) التابعة لولاية البويرة حالياً، وكادوا أن يسيطروا على متيجة لولا تدخل السلطات الفرنسية بجيوشها تحت قيادة الأميرال "غويدون" الذي اشتهر بالصرامة، حيث نشبت بين الطرفين **340** واقعة انتهت بإخماد الثورة للتفوق الحربي الفرنسي وخبرة قادة الجيش في مجال الفن العسكري، حيث سقط قائد الثورة المقراني قتيلاً بوادي سفلات، ثم خلفه أخوه بومزراق، لكن لم يلبث أن وقع في الأسر بالرْوِيسَات في **27** جانفي **1872**م، وبنهاية الثورة يصف أمير البيان كيف اقتصت فرنسا من القبائل، عبر إلغاء الاستقلال الإداري، ثم اغتصابهم ل **453** ألف هكتار من الأراضي، وزعتها على "الكولون" فيما بعد، والعقوبة الثالثة تمثلت في الغرامة المالية الحربية الفادحة التي فرضتها السلطات الفرنسية عليهم، حيث جعلت السّكان دائماً تحت ضغط الاستدانة[3]، والمُلاحظ أن الأمير يحصر ثورة المقراني في منطقة القبائل فقط، لكن المنطقة كانت جزءً من الثورة فقط، حيث شملت الثورة مناطق واسعة من الشرق الجزائري.

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2 ، ص175.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص ص 175، 176.

(3) المصدر نفسه.

وفي الشأن نفسه ذكر أمير البيان في مدونته كيف للسلطات الفرنسية أرادت إدخال القبائل البربرية في الجزائر بيت الطاعة الفرنسية بالعقاب تارةً، وعبر منح الامتيازات والصلاحيات تارةً أخرى، وكذلك من خلال السيطرة والاستحواذ عبر إصدار القوانين والمراسيم مثل ما جرى في **29** أوت **1894**م، حيث أصدرت فرنسا قانوناً بمقتضاه ألحقت القبائل الجزائرية بالمحاكم الفرنسية رأساً[1].

ولا بد من الإشارة إلى ما ذكره الأمير حول مخططات الفرنسيين حول لجوئهم إلى وسائل عدّة لتمكينهم في دول المغرب، وهي زرع الشقاق بين العرب والبربر، فحاولوا إقناع البربر أن أصولهم أوروبية، وأنّ لغتهم ليست عربية، فلا ينبغي لهم تعلّم اللغة العربية، و لم يكتم ذلك أنه على فرنسا محاصرة اللغة العربية، وتشجيع تعليم اللغة البربرية، وهذا يتنافى مع شعاراتهم التي تنادي بالمدنية الغربية، ثمّ يذكر أمير البيان بأن اللغة البربرية لا تصلح للمدنية، بخلاف اللغة العربية التي تُعدّ في الدرجة الأولى من لغات الأرض شرقاً وغرباً، ثمّ استدل على ذلك بكتاب "مراكش-Le Maroc" لصاحبه "فيكتور بيكه-Victor Piquet" والذي ظهر سنة **1818**م، حيث قال:"...إن البربر كان منهم مجوس ووثنيون ويهود، وفي صدر النصرانية قبلوا الدين المسيحي لكنهم نسوه عندما تمكنوا من الاستقلال، ثم دانوا بالإسلام الذي ببساطة قواعده يستميل العقل، ويرسخ في جميع الأمم التي تدين به..."[2].

ثم يضيف :"...إنه شعب(البربر) يظهر عليه الميل من نفسه إلى المدنية الفرنسية، لذا يجب علينا قبل كل شيء أن لا نعربه أكثر مما هو...يجب أن يحمل البربر على الثقافة الفرنساوية، وأن يتكلموا بالفرنساوي قبل وصول الثقافة العربية واللسان العربي إليهم..." [3]، حيث يحاول الكاتب فيكتور بيكه إقناع السلطة والرأي العام الفرنسي أن البربر في شمال إفريقيا لهم استعداد فطري لتقبل الثقافة الفرنسية، ويحاول أمير البيان إثبات النظرية الاستعمارية ومخططاتها التبشيرية من خلال كتابات أبرز مثقفيها.

ويقول أيضا في كتابه "مراكش" :"... إذا كانت بلاد القبائل في الجزائر ليس فيها إلا بعض أقوام من البربر، فإن قسماً عظيماً من أهل المغرب الأقصى لا يعرفون العربية، أو يتكلمون اللغتين العربية والبربرية، وليس لنا أدنى مصلحة أن ننشر بينهم اللغة العربية-لغة الجامعة الإسلامية-بل بالعكس..."، ثم ينفي أمير البيان

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص58.

(2) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص180.

(3) أرسلان، المصدر نفسه.

أن يكون كلّ المفكرين الفرنسيين بهذه الأفكار الدنيئة، يناصبون اللغة العربية والشريعة الإسلامية العداء، بل هناك من يجنح إلى الحريّة التامّة [1]، وقد اعترف المؤلف بأن بلاد القبائل في الجزائر لا يوجد فيها إلا بعض الأقوام من البربر هذا لسبب أساسي وهو تغلغل اللغة العربية إلى أقصى دواخل المناطق البربرية، وتقبلهم للإسلام، وتعرب معظم تلك القبائل، وهناك أسباب تاريخية، على غرار الهجرة الهلالية وما خلفته، وغيرها من الأسباب.

وفي موضع آخر استشهد الأمير بكتاب "البسيكولوجيا السياسية" للفيلسوف الفرنسي الشهير "غوستاف لوبون Gustave Le Bon"[2]، فيما تعلّق بسياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر، حيث كتب هذا الفيلسوف :"...فجزائر الغرب قطر مساحته كمساحة فرنسا، ولكن سكانه قليلون بالنسبة إلى سعة أرضه، وفيه خمسة ملايين من المسلمين، تُؤكد التقارير الرسمية أنّهم مخلصون للحكومة الفرنساوية، إلاّ أنّهم برغم إخلاصهم المزعوم يحتاجون إلى ستين ألف عسكري لتقيمهم على الطاعة، أي إلى جيش بمثله تقريباً تُخضع إنجلترا **250** مليون من الهنود، من هؤلاء **50** مليون مسلماً أشدُّ مراساً من الجزائريين، وبين هذه الخمسة ملايين من مسلمي الجزائر ثمانمائة ألف أوروبي من الفرنسيين...طليان واسبانيين...أمّا المسلمون فثلثاهم بربر والثلث عرب والفوارق بينهم قليلة أهمّها انقسامهم إلى حضر وبدو..." [3]، فاعترف الفيلسوف على لسان أمير البيان بعدم وجود الفوارق بين البربر والعرب في الجزائر، في حين ورغم طول فترة الاحتلال فإن الأوروبيين لا يختلطون بالمسلمين في النسب، والسبب الأساسي في الفوارق الاجتماعية التي حددتها الإدارة الفرنسية، وأساليب السيطرة التي حققتها عبر مراحل، جعلت طبقات المجتمع تتباعد، و لم تمتزج مطلقاً.

وقد استشهد أمير البيان بأقوال منظري الحركة الاستعمارية الفرنسيين، وكيف كان السجال فيما بينهم حول معاملة البربر والعرب على حد سواء في الجزائر، فيقول أن الفيلسوف غستاف لوبون يعلق على رأي لوروا بوليو الذي يزعم أن البربر من أصول أوروبية، ومن الممكن أن يتفرنسوا، حيث يستهزئ به ويردّ عليه

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص ص 180، 181.

[2] غوستاف لوبون Gustave Le Bon (**1841-1831**م): يُعد الطبيب والمؤرخ الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون أشهر المؤرخين الذين اهتموا بدراسة الحضارات الشرقية العربية والإسلامية، لك كتاب (تطور المواد)، وكتاب (سيكولوجية الجماهير) الذي حقق نجاحاً كبيراً، فكانت له سمعة جيدة في الأوساط العلمية، وعُرف عليه أنّه أشهر الفلاسفة الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. الموقع الإلكتروني : مؤسسة هنداوي، الرابط: https://www.hindawi.org/contributors/41830681/. تاريخ الزيارة: 2023/02/09، 16:08.

[3] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص ص 181، 182.

بأن العرب كلّهم رعاة وبدو، ومن العرب حضر في الجزائر كما في مصر وسورية والجزيرة العربية، وأن قابلية العرب للتمدن ثابتة بالحضارة الزاهرة التي كانت لهم و لم تكن للبربر مثلها، ومن زاوية أخرى يعلّق أمير البيان على كلام لوروا بوليو الذي تبنّى فكرة أن تعدد الزوجات عند العرب كان سبباً أساساً في تخلفهم، فيردّ عيه أرسلان بأنّ تعدد الزوجات الشرعي أفضل من تعدد النساء عند الأوروبيين بطريقة غير شرعية[1].

ثم يرد الفيلسوف غستاف على لوروا بوليو في قضية تعدد الزوجات، بأنها ليست سبباً في جمود المسلمين العرب، بل يعود الفضل للعرب الذين عرّفوا أوروبا بالعالم اليوناني اللاتيني، وأن جامعات أوروبا ومنها جامعة باريس بقيت مدّة ستة قرون متوالية تعيش بتراجم كتب العرب لتطبيق قواعدهم العلمية، حيث كانت المدنية العربية من أبهر المدنيات التي عرفها التاريخ، واضمحلت كباقي الحضارات، وليس من الممكن أن يكون تعدد الزوجات سبباً في تراجعها، لذا يقول الفيلسوف غستاف :"...فإن صحّ حلم لوروا بوليو أمثاله ممن يشيرون بتنشئة العرب في الثقافة الأوروبية فإن الجزائر تكون لنا ما كانت البندقية لأوستريا، وإيرلندا لإنجلترا، والألزاس لألمانيا..."[2]، وخلاصة القول أن الأمير شكيب يردّ على دعاة الفرنسة ببحوث فلاسفتهم، ويثبت ذلك بأقوال مثقفيهم، فبعد أن أثبت الفيلسوف الفرنسي غوستاف استحالة فرنسة الشعب الجزائري بربراً كانوا أو عربا.

ويضيف أمير البيان تصريحات الفيلسوف غوستاف مختاراً من كتاباته زبدة بحوثه، وخلاصة جهوده حول السياسة الاستعمارية الفرنسية في مستعمراتها، وهذا نزر قليل من كلام كثير، حيث كتب:"...إنّ مؤرخينا يندبون فقدنا الهند بعد أن كنّا فتحنا جانباً منها، وأنا أقول : لا ينبغي لنا كل هذا الأسف لأنه لو بقيت لنا الهند وأخذنا نديرها كما ندير سائر مستعمراتنا الآن بالطرق التي يشير لها "لوروا بوليو" لما طال الأمر حتى اشتعلت بها الفتنة وعمّ الخراب وخرجت من يدنا..."، ويضيف:"...ولقد طبّقوا في الهند الصينية وفي السودان وفي السنيغال هذه السياسة بعينها أي حمل الأهالي الوطنيين على أوضاعنا وقوانيننا فجاءت بأقبح النتائج، وكرّهتنا إلى أولئك الأقوام وأفقدتنا الرجال و الأموال..." [3]، فبصراحته المطلقة نجد أنّ الفرنسيين هم أقبح المستعمرين معاملة للشعوب، وأسوء سياسةً عن باقي المحتلين.

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص184.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص185.

[3] المصدر نفسه، ص ص185، 186.

ومن أفضل ما استدل به الأمير ردّا على المتشدّقين بالمدنية الغربية وأن البربر من ذوي الأصول الأوروبية أنّ التاريخ أثبت أنّ مدنيتين مختلفتين تمام الاختلاف لا تندمجان، وأنّه لا يمكن للأمة المغلوبة أن تندمج في الغالبة إلا إذا كانتا متشابهتين من الأصل، حيث أن الشرقي يندمج في الشرقي أما في الغربي فلا، وهذا هو سر نفوذ العرب في الشرق وفي الصين وفي الهند وحتى في إفريقيا، حيث استطاعوا طبع تلك الأمم بطابعهم وأعطوهم صبغتهم، أينما حلت حضارة الإسلام استقرت وثبتت[1]، وهذا ما حصل عند المجتمعات البربرية رغم معاكسة المبشرين بالإنجيل وتسهيلات الإدارة الفرنسية لهاته الإرساليات إلا أن البربر بقوا محافظين على ثقافتهم الإسلامية متمسكين بها لقرونٍ خلت إلاّ ما شذّ منهم.

وقد استشهد الأمير بما كتبه غستاف لوبون حول الأربعة آلاف يتيم مسلم الذين ربّاهم الكاردينال لافيجري في الديانة المسيحية، فقد نشؤوا في محيط منقطع عن الإسلام والمسلمين، فتلقّوا التربية المسيحية بأتمّ معنى الكلمة، ولّما بلغوا رشدهم عاد معظمهم إلى دين أجداده، إلا ما ندر منهم[2].

أمّا عن التصوف وطرائقه في الجزائر فقد أتى أمير البيان على ذكر الطرق الصوفية في عديد المواضع من مؤلفاته، خاصة تلك التي لها انتشار في الجزائر، وقد أعطى آراءه حول معتقداتهم، وطقوسهم، وتوجهاتهم السياسية، وأشار كذلك في مرّات عدّة إلى علاقاتهم بسلطات الاحتلال الفرنسي.

في تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي ختم أمير البيان جزءه الثاني بذكر أبرز الطرق الصوفية في شمال إفريقيا وغربها، كالقادرية والشاذلية، والتّيجانية والسنوسية، حيث تطرق إلى أصولها ونشأتها ومناطق انتشارها، وقد بدأ الأمير بالطريقة القادرية التي تأسست على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى في بغداد سنة **1166**م، حيث ذكر أمير البيان أن أتباع هذه الطريقة اتصفوا بروح التسامح مع النصارى واليهود، ثم ذكر الأمير أن مؤسس الطريقة في شمال إفريقيا هو مختار الكبير الذي أسس زاويته بمدينة عزاوات (الغزوات) بتلمسان غرب الجزائر، وانقسمت إلى ثلاثة فرق بعد موت مؤسسها، هي القادرية البكائية الذين بقوا في مركز الزاوية ثم انتشروا إلى تمبكتو، والفرقة الثانية انتقلت إلى أدرار [3]، والثالثة انتقلوا إلى ولاّتة المغربية وانتشروا في

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص186.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص187.

[3] في هامش الصفحة 395 من كتاب حاضر العالم الإسلامي عرّف أمير البيان هذه المدينة أو المنطقة على أنها واحة من الصحراء الغربية شرقي الرأس الأبيض على مسافة 400 كلم شمال السنغال أهلها بربر وعرب، أهم قراها شنقيط، ووادان، وآتار، عرفها الفرنسيون منذ سنة 1850م عن

السودان الغربي ضواحي موريتانيا والسنغال [1]، ففي أدرار كان الفضل يعود للشيخ عبد الكريم المغيلي في انتشارها وبالضبط في إقليم توات(أدرار وبشار) غربي الجزائر[2].

وقد قال الأمير في حقّهم أنهم هم أحمس مبشري الدين الإسلامي في غربي إفريقية من السنيغال إلى البينين أي بمحاذاة مصب نهر النيجر، فكان مريدوا الطريقة القادرية يعملون في مهنة الكتابة والتعليم فيفتحون الكتاتيب، ويلقنون صغار الزنوج الدين الإسلامي، ويرسلون النجباء من تلاميذهم إلى مدارس طرابلس والقيروان وجامع القرويين بفاس، والجامع الأزهر بمصر على نفقة زوايا الطريقة، فيتخرج من هناك طلبة مجازين، أي أساتذة، فيعودون إلى بلادهم قصد دخول عالم التعليم والهدف الأساسي مناهضة التنصير في تلك المناطق، أي غرب إفريقيا[3].

وفي هذا الشأن أشار الأستاذ محمد الصالح آيت علجت إلى ما ذكره أمير البيان حول جهود الطريقة القادرية في محاربة التبشير، وإزالة البدع والتمسك بمذهب أهل السنّة، وكان لهذه الطريقة في القرن الخامس عشر الفضل في دخول زنوج غربي إفريقيا للإسلام، حيث يستطرد أمير البيان في ذكر أعمال رجال الزوايا الحاضرين، وقد نقلت البلاغ عن جريدة النجاح القسنطينية ذلك، ونقلت كذلك فضل الشيخ العلوي في إنقاذ مئات الآلاف من القبائل الذين استحوذت عليهم جمعية الآباء البيض (بيربلان Pére Blancs) بزواوة والحمامات وغيرها من جهات القطر الجزائري التي انتشر فيها الفكر الصوفي على الطريقة القادرية[4].

ثم استطرد الأمير في التعريف بالطريقة الشاذلية [5]، حيث ذكر أنّها تأسست خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر للميلاد، وهي من الطرائق الأولى التي دخلت المغرب وبالضبط بمراكش ثم انتقلت إلى

طريق ليبولد بانه، وهي امتداد لإقليم توات، بحيث توجد كذلك ولاية غربي الجزائر بهذه التسمية(أدرار)، والكلمة أمازيغية وأصلها أذرار أي الجبل أو الجبال. المصدر نفسه، هامش ص395.

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص 395.

(2) بوغديري كمال، **الطرق الصوفية في الجزائر، الطريقة التيجانية نموذجاً، دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02، إشراف د.الميلود سفاري، السنة الجامعية 2015/2014، ص246.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص396.

(4) محمد الصالح آيت علجت، **صحف التصوف الجزائرية من 1338ه إلى 1373ه، 1920م إلى 1955م**، تعريف ودراسة ولتحليل لجملة من صحف الطرق الصوفية، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 1422ه/2001م، ص95.

(5) الطريقة الشاذلية من الطرق الصوفية ذلت الأصل المغربي، تُنسب للشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، وُلد بالمغرب الأقصى ببلدة غمارة المغربية من إقليم سبتة عام 593ه، حفظ القرآن ودرس علومه بمسقط رأسه، حيث برع في اللغة العربية وكان تلميذاً لأبي

الجزائر، أبرز شيوخها سيدي العربي الدرقاوي المتوفى سنة **1823**م، اتصف ببث الحماسة الدينية الشديدة في نفوس مريديه، فامتازوا بشدّة الطاعة لمشايخهم، حيث كان الشيخ الدرقاوي يقول لمريديه :"يجب على الإخوان أن يكونوا في يد المرشد كالجثة بين يدي الغاسل..."، فكان للدرقاوية دور فعّال في مقاومة التبشير المسيحي الفرنسي[1]، كان تعريف الأمير للطريقة مختصر جدّاً وربط الطريقة الدرقاوية مباشرةً بها، و لم يذكر أنّ الدرقاوية هي فرع من الشاذلية على غرار الطيبية والشيخية وغيرها.

ثم تطرق الأمير إلى التعريف بالطريقة التيجانية، حيث ذكر أن مؤسسها هو أحمد بن محمد التيجاني [2] المتوفى سنة **1782**م، ثم نوّه على أنه كان يتظاهر بالتسامح مع غير المسلمين، إلا أنّ الطريقة أظهرت عكس ذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والسبب في ذلك تزايد نشاط لافيجيري وجمعيته الآباء البيض وأمثالهم، ويبرر أمير البيان ذلك بقوله:"...فمِمّا لا مشاحة فيه أن التسامح يولّد التسامح، والتكالب يهيج التكالب..."[3].

ثم أضاف أمير البيان أن أهم مراكز الطريقة في عين ماضي بولاية الأغواط في الجزائر، وتماسين بتُقرت، وعدد لا يُحصى من مناطق السودان الغربي، ثم ذكر شخصية مؤثرة جدّاً وهو الحاج عمر، حيث اجتمع حوله كل مريدي الطريقة، فظل شيوخ التيجانية طيلة أربعين سنةً سادة السودان، من تمبكتو إلى الأقيانوس الأطلانتيكي، ثم أشار إلى حياة الشيخ الحاج عمر وجهوده في نشر الإسلام بالقلم والسيف حيث أعلن الجهاد على الزنوج الوثنيين، فهزمهم في تومبا واستولى على كونيا كاري، ثم السيطرة على مملكة سيغو وعلى بلاد

مدين شعيب وأحد كبار أولياء المنطقة وهو عبد السلام بن مشيش من كبار المتصوفة بالمغرب الأقصى، حيث وجّهه هذا الأخير بالسفر نحو تونس، ثم انتقل إلى مصر وبالضبط إلى الأسكندرية وصار الكثير من الأتباع هناك إلى ان وافته المنية هناك سنة 1258م ودفن بصعيد مصر، وبعد وفاته انتشرت طريقته في المغرب والجزائر، من مبادئها الحث على الفضائل والأخلاق والتوحيد كما تعتمد على الرحلة الفكرية والتأمل المستمر في وحدانية الله، وقد تفرعت عليها طرائق عديدة منها الدرقاوية والطيبية والزيانية والزروقية والشيخية.... بوغديري كمال، مرجع سابق، ص ص249، 250.

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص396.

[2] هو الشيخ أبي العباس أحد بن محمد التيجاني الحسيني ولد سنة 1737م ببلدة عين ماضي بالأغواط في الجزائر، لُقب بالتيجاني نسبة لقبيلة والدته (بنو توجين)، نشأ وسط عائلة محافظة، حفظ القرآن وعمره سبع سنوات وتعلم علوم الدين على يد شيخه المبروك بن أبي عافية التيجاني المضاوي، ثم انتقل إلى فاس المغربية ليلتقي بأعلام التصوف ليحل مبادئ التصوف وتعليم التربية الروحية، من أبرز مشايخه في فاس أحمد بن حسان القادري، ومولاي الطيب الوزاني شيخ الطريقة الطيبية، وقد مكث التيجاني بفاس 18 سنة كاملةً، وفي سنة 1773م بدأ رحلته للحج ولّما بلغ منطقة القبائل أخذ عن الشيخ أبي عبد الله الأزهري مبادئ الطريقة الرحمانية الخلوتية، ثم أخذ ينتقل بين مناطق الصحراء الشاسعة لنشر تعاليم الإسلام على طريقته بين توات والسودان الغربي وتونس، واستمر في بث دعوته إلى أن وافته المنية سنة 1815م بمدينة فاس المغربية. نور الدين بولحية، **مرجع سابق**، ص ص104- 106.

[3] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص396.

ماسينا، حيث تُوفي وهو في حروبه ضد الوثنيين الزنوج سنة **1865**م حيث خلّف للطريقة التيجانية مملكة إسلامية واسعة وسط بلاد الزنوج الفتيشيين[1].

ثم أورد لنا الأمير كيف للطريقة التيجانية أن أصبحت تُشكّل خطراً على مصالح فرنسا وعلى عمل المبشرين المسيحيين في السودان الغربي، حيث بدأت كتائب الجيش الفرنسي بقيادة مجموعة من الضباط ذوي الخبرة وبإمكانيات متطورة السيطرة على مناطق واسعة، تُوّجت هذه الجهود باحتلال تمبكتو في **10** جانفي **1894**م، حيث تم تخليد أعمال الجنود الفرنسيين بالشرف العظيم، بإعادة ذكرى ظفر شارل مارتل في موقعة بواتيه Poitiers، فعبّر الكولونال أرشينارد بتحقيقه لهذا الفتح بالإشارة إلى أن إفريقيا كانت تكون كلها إسلامية لولا قضاء فرنسا على السلطنة التيجانية، كما كانت أوروبا تكون إسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب المسلمين في بواتيه، وهي النظرية التي يتفق عليها المؤرخون الأوروبيين[2].

وفي موضع آخر وفي إحدى أجوبته على أسئلة أهل الشام حول الطريقة التيجانية فقال :" إنّ التيجانية كسائر الناس فيها الصالح والطالح، والناهض والرازح، وإنّه يجوز أن يكون لهذه الطريقة كما لطرف غيرها كثيرة، خدمة في نشر الإسلام في القارة السوداء، ولكن هذا لا يمنع أن يكون فيها أناس ارتكبوا إثم الاشتراك مع الأجنبي على أبناء ملّتهم ووطنهم، كما فعل مشايخ زاوية عين ماضي بمُمالئتهم للفرنسيس على المجاهد الكبير الأمير عبد القادر، كما تزوّج أحد هؤلاء المشايخ بامرأة فرنسية شديدة التعصب للكثلكة، أدارت تلك الزاوية لمدة خمسين سنة على وفق هوى فرنسا[3]، لكن الأمير لم يذكر التفاصيل الكافية حول اسم شيخ الزاوية ولا اسم المرأة الفرنسية الكاثوليكية المتعصبة التي تزوجها، والتي أدارت أمور الزاوية نصف قرن من الزمن.

وفي ختام مقاله يسترسل الأمير في التعريف بالطريقة السنوسية، بدايةً بذكر عدائها الشديد للأوروبيين بناءً على قاعدة الجهاد وجمع كلمة المسلمين، ثمّ نوّه على مناقب مؤسسها ونبذة من حياته، وهو الشيخ سيدي محمد بن علي السنوسي [4] المولود بمستغانم الجزائرية [1]، وقد خصص لهذه الطريقة مقالا قبل هذا في الكتاب

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2 ، ص ص396، 397.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص398.

[3] أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص282.

[4] **محمد بن علي السنوسي** ولد بمستغانم الجزائرية سنة 1791م تلقى التعليم القرآني بفاس وقد حجّ الشيخ محمد بن علي سنة 1829م وفي رحلته إلى الحج تلقى عدة إجازات لعدة طرق ثم عاد إلى المغرب ليمكث سنوات، ليرجع مرة أخرى إلى مصر ليتلقى عديد المشايخ خلال إقامته في الأزهر الشريف، حيث خلص لديه وبتأثير احد المشايخ صار يميل إلى استقلال الفكر، وقد أسس طريقة جديدة وقصد إفريقيا، ليستقر ببرقة وقم ببناء الزاوية البيضاء، وهي أول زاوية له، حيث كثر أتباعه من قبيلة الفرافرة، وكذلك في طرابلس، وفي إقليم توات، وفي السودان فكانت له هناك

نفسه وكذا عدة مقالات لمشايخها، فكانت له علاقات جيدة مع مشايخ الطريقة من خلال مشاركته في الحرب الطرابلسية الإيطالية، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الثاني، وخصصنا عنصراً لعلاقته بالشيخ أحمد الشريف السنوسي.

وتجدر الإشارة إلى المعلومة التي أوردها أمير البيان حول ما تعتقده السلطات الفرنسية تجاه الطريقة السنوسية حيث ذكر أن فرنسا كانت تراقب عن كثب تحركات كل الطرق الصوفية في الجزائر وفي المغرب، لكن كانت تمنع نشر الطريقة السنوسية في المغرب وتعلم جيداً خطرها الشديد، ولمبادئها المعادية للاستعمار فهي لا تقبل صرفاً ولا عدلاً من جهة السنوسية كما قال الأمير، ففرنسا تقدر ما تقدر على فعله الطريقة السنوسية والإمكانيات البشرية التي تمتلكها[2].

وقد نوّه الأمير في مدونته حول ما ذكره الضابط لويس ران Louis Rinn[3] في كتابه "المرابطون والإخوان MARABOUTS & KHOUAN " سنة **1884**م إلى عدد مريدي الطّرق الصوفية في الجزائر بلغ **168874** فرد[4]، والملاحظ أن المؤرخ الفرنسي لم يعطي رقماً تقريبياً بل رقماً دقيقاً فيما يخص عدد مريدي الطرق الصوفية، التي كانت في معظمها مصدراً أساسياًّ للتجنيد في الثورات الشعبية المناهضة للاحتلال

عشرون زاوية، وفي سنة 1855م أسس مركز طريقته في واحة الجغبوب، حيث صارت أعظم مدرسة لدعاة الإسلام في وسط إفريقيا، وبجهودهم صارت نواحي بحيرة تشاد هي مركز الإسلام العام في أواسط إفريقيا، وقد بلغ عدد مريدي الطريقة أربعة ملايين مريد، وأهم طريقة لنشر تعاليم الإسلام هي شراء العبيد صغاراً من أسواق النخاسة ليقوموا بتربيتهم على تعاليم الإسلام، حتى يبلغوا أشدهم ويكملون تحصيل العلم ليعتقوهم ويسرحوهم إلى أطراف السودان ليبلغوا رسالة الإسلام إلى الباقين على الفتيشية الوثنية، وهكذا كان يرحل من الجغبوب سنوياً المئات إلى سواحل الصومال شرقاً وإلى سواحل السنغال غرباً. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص ص399، 400.

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص399.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص140.

[3] **لويس ماري ران** ولد بفرنسا سنة 1838م، تقلد مناصب عدّة أهمها : قائد لمدفعية الجيش الفرنسي، ضابط جوقة الشرف، رئيس المصلحة المركزية لشؤون الأهالي في الحكومة العامة، مستشار للحكومة الفرنسية، نائب رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية، وقد اعتبر الضابط لويس ران أكثر الضباط دراية بالشأن الإسلامي في الجزائر، وبقضايا القبائل وله خبرة واسعة في شؤون الأهالي الجزائريين، ولكي يؤلف كتابه هذا لجأ لويس ران إلى التقارير الرسمية التي تصل إلى الإدارة المركزية تباعاً من المكاتب العربية والولايات، سواء كانت سرية أو عادية، ويقول المؤرخ سعد الله أنه استغل نفوذه كضابط فطلب تقارير من مختلف الشيوخ والمقدمين عن حالتهم مع إحصاء أتباعهم وأصولهم النسبية والدينية، ثم أضاف مراسلاته مع شيوخ المغرب وتونس، وتقارير القناصل الفرنسيين في مختلف البلاد الإسلامية. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، 1830–1954م**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1998م، ج4، ص302. مجدوب موساوي، **"الزوايا والطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية عند لويس رين"**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد3، العدد1، جانفي2020م، ص294.

[4] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص53.

الفرنسي في الجزائر، ومن المؤكد أن السيد لويس ران كان يعتمد على تقارير الجيش الفرنسي في إعطاء هذه الأرقام الإحصائية، بحكم عمله لفترة في الجيش الفرنسي ثم في دوائر الحكم لدى السلطة الفرنسية.

وقد ألحق السيد لويس ران [1] كتابه بحوالي **30** جدولاً إحصائياً يخصّ ما تضمّه الطرق الصوفية في الجزائر من إحصاءات حول مناطق انتشارها وعدد المريدين وإمكانياتها المتمثلة في الأوقاف وعدد الزوايا في كل ربوع الجزائر، وبشكل دقيق جدّاً [2]، وقد شبّه المختصون في مثل هذه الدراسات أنّ الدراسة المذكورة آنفاً تُشبه كثيراً التقارير المتعلّقة بالاستخبارات الفرنسية التي تهدف إلى غايات معينة، وتكون بأمر من السلطات المعنية، تُكلّف المختصّين بالعمل عليها لمعرفة خبايا وخصوصيات المجتمع المستهدف في كل المجالات.

ومن الطرق الصوفية إلى الثورات الشعبية وفي مقدمتها مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، حيث تحدثنا سابقاً عن المقال الذي خصّصه الأمير شكيب لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري في تعليقاته حول حاضر العالم الإسلامي، وفي الحقيقة لم يقتصر على ذلكم المقال، بل تعدى ذلك إلى التنويه إلى شخصه وأعماله في عديد المواضع، وفي مختلف كتاباته، سواء الصحفية أو التاريخية والسياسية، كما سنوضحه في العنصر الآتي مع التنويه إلى ما أشار إليه أمير البيان حول أبرز الثورات الشعبية في كتاباته.

3-1 ما خطّه الأمير حول مقاومة الأمير عبد القادر والثورات الشعبية:

لم تقتصر اهتمامات أمير البيان في كتاباته حول الفترة العثمانية أو ما يخص مسألة الحركة الوطنية، بل كانت له محطات تاريخية ذكر من خلالها عديد الأحداث وأبرز الشخصيات في المقاومة الجزائرية ضد الوجود الفرنسي، على غرار الأمير عبد القادر الجزائري، صاحب أهم مقاومة شهدتها الجزائر بدايات الاحتلال الفرنسي، فتحدّث أرسلان عن بعض تفاصيل ثورة الأمير عبد القادر وحياته في المهجر خلال إقامته في الشام.

من مجموع الأحداث التي ذكرها أرسلان حول مقاومة الأمير عبد القادر، المعاهدةُ التي عقدها الأمير عبد القادر مع الفرنسيين في الحرب التي جرت بين سنتي **1832**م و **1834**م، والتي سمّاها ديسميشيلز(دي

---

[1] حيث ذكر المؤرخ أبو القاسم أنّ لويس ران من الخبراء البارزين في الإدارة الأهلية الفرنسية، فهو ضابط تقلب في مختلف الوظائف في الجزائر، فعرف القبيلة والمسجد والزاوية وسكان المدن وسكان الريف، وعرف نبلاء السيف ونبلاء السبحة والعلم، وقد ألّف في مختلف الموضوعات التي تهم الحياة الجزائرية القبلية والدينية والاجتماعية والثورات. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، ص302.

[2] Louis Rinn, MARABOUTS & KHOUAN, étude sur L'islam En Algérie, Adolphe Jourdan, Librairie-èditeur, Alger, 1884, pp 526- 557.

ميشال) Desmichels، حيث اعترفت له فرنسا بحكم مسكرة ومنطقة أوران [1]، والملاحظ أنّ أمير البيان لم يذكر تاريخ تلك المعاهدة بالضبط والتي عُرفت في كُتب التاريخ الجزائري بمعاهدة دي ميشال [2] أي باسم الجنرال الفرنسي الذي كان طرفاً فيها، والظّاهر أنّه أخذ تسميات المدن الجزائرية من المصادر الفرنسية ليُترجمها بنفسه إلى العربية فلم يضبط كلماتها بدقة، وهي معسكر ووهران وليس مسكرة وأوران.

ومما لا شك فيه أنّ الأمير كان حديث العهد بكتابة تاريخ الجزائر، وقد ذكر ذلكم الغلط الذي كان قد وقع فيه، حيث يذكر الأستاذ الشرباصي أن أمير البيان لاحظ في شبابه الاضطراب الذي يقع فيه في تعريب الأعلام العربية المكتوبة باللغة الأجنبية، حيث عبّر الأمير شكيب عن ذلك في قوله:"...وقد كنت في أوائل عهد المعاناة عرّبت تاريخًا لبلاد الجزائر، وأخبار المرحوم عبد القادر، فوجدت فيه الكثير من الأعلام من أسماء وقبائل وأماكن لم أدْر تماماً ما حقيقة أصلها، فقيّدتها كلها في فهرس معي، وعرضته على حضرة العلامة الشريف السيد محمد مرتضى الحسني الجزائري ابن أخي المرحوم الأمير عبد القادر، وأحد علماء المغرب في المشرق، فحقّق لي ألفاظها، وهكذا أمكنني ردّها إلى أصلها، لأنه إن أمكنت معرفة الأعلام المشهورة مثل (أوران) بأنها (وهران)، فكيف تمكن -بدون موقّف- معرفة (أين مدهى) بأنها (عين ماضي) وهلمّ ما جرّ..."، ثم يضيف الشرباصي بعدم درايته بمصير هذا الكتاب المترجم[3].

ولابد من الإشارة إلى أنّ ما تحدّث عنه أمير البيان في هذا المخطوط هو نفسه ما أضافه في تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي، والذي عنونه ب"الجزائر والأمير عبد القادر وفرنسا للأمير شكيب أرسلان" بين

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص20.

[2] معاهدة دي ميشال 26 فيفري 1834م تمت بين الجنرال الفرنسي قائد الجيوش الفرنسية دي ميشال والأمير عبد القادر الجزائري بعد اللقاء الذي كان بين ممثلي الطرفين في ضواحي وهران، واتفقا على عدة نقاط أهمها :

- انهاء القتال بين الطرفين على أن يبختار الأمير ممثلين له في وهران وأرزيو ومستغانم، وممثلين من الضباط الفرنسيين في معسكر.
- احترام الدين الإسلامي وعادات المجتمع
- تبادل الأسرى بين الطرفين
- حرية التجارة التامة
- جلب الفارين من الطرفين وتسليمهم.

وتجدر الإشارة أن المعاهدة كانت في نسختين أصليتين كُتبت ضمن عمودين باللغتين العربية والفرنسية، ضمت شروط الأمير عبد القادر والجنرال دميشال، لكنها لم تحدد مناطق نفوذ الأمير عبد القادر. سلاماني عبد القادر، **الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1847-1932م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف صم منور، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2008-2009، ص ص53، 54.

[3] الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج2، ص583.

صفحتي **166** و**174** من الجزء الثاني، أي حوالي ثمان صفحات فقط، ومن الممكن أنه أضاف الكثير لهذا المقال وبقي في شكل مخطوط تعرّض للضياع، وكيف للأستاذ الشرباصي أن يغفل عن هذه النقطة رغم أنّه فصّل في جل مؤلفات الأمير المطبوعة والمخطوطة منها، حيث صنّف موضوع تاريخ الجزائر وأخبار المرحوم الأمير عبد القادر على أنّها مخطوط لم يُطبع بعد، في حين لم يذكر علاقة المخطوط بالمقال المصنف ضمن تعليقاته في كتاب حاضر العالم الإسلامي.

ثم يذكر الأمير شكيب شخصية جزائرية ثورية أخرى تمثلت في القائد الشريف بومعزة [1] الذي جاء من أولاد سيدي الطيب بنواحي وزان المغربية إلى الجزائر، حيث قام بنشر دعاية ضد الفرنسيين في منطقة جنوب وهران ثم انضم إلى ثورة الأمير عبد القادر ضد الجيش الفرنسي[2]، لكن دون ذكره لتفاصيل ذلك.

أمّا معاهدة التافنة [3] فقد ذكرها أرسلان على أنّها كانت بعد الحرب الثانية للأمير عبد القادر ضد الفرنسيين بين سنتي **1835**م و **1837**م، بموجبها سمحت للأمير السيطرة على مناطق الداخل الجزائري أمّا

---

[1] **الشريف بومعزة** : هو محمد بن عبد الله بومعزة أو محمد بن عبد الله بن وداح من أولاد خويدم، استقر أجداده منذ زمن في منطقة أولاد يونس بجبال الونشريس، وهم من أتباع الطريقة الطيبية الدرقاوية، امتدت ثورته من 1844م إلى غاية 1847م، لتشمل منطقة الظهرة وحوض الشلف وجبال الونشريس. بوعناني العربي، **المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830–1908م ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.ودان بوغفالة، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2018-2019م، هامش ص 138.

والبعض يقول أنّه من أصل مغربي جاء إلى منطقة الظهرة طفلاً ، وفي مرحلة شبابه تزوج من أولاد يونس ، وحسب الأستاذ كمال بن صحراوي وعديد الروايات الأخرى أن بومعزة بغرض لمّ شمل القبائل ادّعى أنه مبعوث من الإله، وقد ذكر ذلك الضابط الفرنسي مارتينفال Martinval وأنّه مسيحٌ دعيٌّ نزل على أرض إفريقية ليغرس راية الحريّة، ويحرّك مشعل الحريّة، ويضيف أن الأمازيغ الجهلة المتعصبون سايروه وناصروه، ولبّوا نداءه، ويذكر الضابط الفرنسي أن بومعزة ادّعى الألوهية وكان يخطب فيهم ويقول أنه مبعوث الإله فهو السيد الأعلى اختاره الله ليخلصهم من النصارى وليطردهم، أمّا تسميته بومعزة فقد سرد الضابط قصة تسميته، حيث أن بومعزة وجد عنزة في الجبل وقد نال منها التعب والعطش، فاعتنى بها وأطعمها وسقاها، فصارت تتبعه أين يذهب، وتوفر له ولمقاتليه الحليب الوافر، وقد التحق بثورة الأمير عبد القادر بعد فشله. كمال بن صحراوي، **"الشريف بومعزة ثائر الظهرة والونشريس من خلال كتابات الفرنسيين"**، الأيام الدراسية حول تاريخ وتراث منطقة الونشريس، مجلة أبحاث، العدد الثاني، ماي 2013م، ص ص81، 82.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص21.

[3] **معاهدة التافنة** : عُقدت هذه المعاهدة بين الأمير عبد القادر الجزائري والجنرال الفرنسي بيجو في 30 ماي 1837م، وتمّ الاتفاق بوادي التافنة بولاية تلمسان ،تضمنت المعاهدة 15 بنداً في نسختين باللغتين العربية والفرنسية، حيث يعترف الأمير بسلطة فرنسا على الجزائر بأقاليم وهران والجزائر وبالأخص المناطق الساحلية، واعتراف فرنسا بسلطة الأمير على معظم المناطق خارج المدن المسيطر عليها من طرف فرنسا، فوسّع سيطرته على مناطق واسعة في الغرب والشرق والصحراء، كذلك يتم تبادل الفارين بين الطرفين، وللأمير الحرية في التبادل التجاري وشراء الأسلحة، لكن الواقع كان في مصلحة الفرنسيين، حيث استفاد الجيش الفرنسي من هذه المعاهدة ليتفرغ إلى احتلال قسنطينة عاصمة بايلك الشرق، وبعدها يتجه نحو الغرب الجزائري مرة أخرى ليحطم آمال الجزائريين التي كانت ممثلة في مقاومة الأمير عبد القادر. سلاماني عبد القادر، مرجع سابق، ص ص56-59.

الفرنسيين فقد سيطروا على الموانئ [1]، حيث قسّم أمير البيان حرب الأمير عبد القادر إلى مراحل، فالحرب الأولى قبل معاهدة دي ميشال، والحرب الثانية بعدها وقبل معاهدة التافنة، والثالثة طبعاً بعد معاهدة التافنة إلى سقوط عاصمة الأمير عبد القادر وفشل المقاومة.

ثم يضيف أمير البيان أنّ الأمير عبد القادر تلقّى هزيمة في معركة وادي أيسلي على الحدود المغربية على يد الجنرال بيجو Bugeaud[2]، على إثرها لجأ الأمير إلى الأراضي المغربية [3]، وفي السياق ذاته ذكر الأمير شكيب أنّ الأمير عبد القادر استسلم في **23** ديسمبر **1947**م إلى القوات الفرنسية التي كان على رأسها الجنرال كريستوف لاموريسيار Lamoriciére، وأُخذ إلى فرنسا سجيناً، ثم أطلق الإمبراطور نابليون الثالث سراحه سنة **1852**م، ونُفي إلى دمشق إلى أن وافته المنيّة هناك سنة **1883**م[4].

وفي حياة المنفى يشير أمير البيان إلى دور الأمير عبد القادر في حوادث الستين **1860**م، المتعلقة بالفتنة التي جرت بين النصارى والمسلمين الدروز في لبنان والتي عمّت عديد المناطق في الشام، فقد ذكر أمير البيان أن الأمير عبد القادر لم يكن الوحيد الذي أنقذ النصارى من همجية بعض الغوغاء من المسلمين، بل هناك الكثير من الزعماء الدروز الذين أنقذوا أُلوف النصارى، وكذلك عددٌ لا بأس به من أعيان الشام على غرار محمود أفندي الحمزاوي، وصالح آغا المهايني، وعمر آغا العابد وعددٍ كبيرٍ من الوجهاء الدروز، ليس الأمير الجزائري فقط، وهذا بناءً على معلومات ذكرها صاحب كتاب"حسر اللثام عن نكبات الشام" [5]، وقد اعتمدنا على هذا المؤلف في الفصل الأول من الرسالة.

ويتحجج أمير البيان في ذلك بما ذكره المؤرخون الفرنسيّون الذين يحصرون فكرة المحافظة على أرواح النصارى في شخص الأمير عبد القادر الجزائري، ودون شك أنه حافظ على أرواح ألوف المسيحيّين، لكن لم

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص22.

(2) الجنرال بيجو هو توماس روبير بيجو Thomas Robert Bugeaud 1775-1849م: وفي مصادر أخرى وُلد سنة 1784م Limoges، كان ضابطاً بالجيش الفرنسي منذ سنة 1804م، ثم قائداً سنة 1809م، ثم ملازم وكولونيل في الحرب الإسبانية، رُقيّ إلى جنرال سنة 1836م، ثم حاكماً عامّاً على الجزائري بين سنتي 1841م و1847م، تُوفي بداء الكوليرا سنة 1849، كان له الفضل في إفشال مقاومة الامير عبد القادر الجزائري. طبعة حورية، "سياسة المارشال بيجو في مستعمرة الجزائر (1836-1848م)"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد السادس، العدد 1، 2021، ص14. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/article/150108 ، سلاماني عبد القادر، مرجع سابق، هامش ص46.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص30.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص32.

(5) أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص306.

يكن الوحيد الذي قام بهذا الواجب [1]، بالفعل كان أمير البيان محقاً في طرحه، لكنه حصر قصة إنقاذ الأمير عبد القادر للمسيحيّين على لسان المؤرّخين الفرنسيين فقط، في حين نجد ذلك في ما اعتمده هو في روايته عبر كتاب حسر اللثام.

في حين يذكر أمير البيان المعلومات نفسها في تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي، لكن دون ذكر مدح المؤرخين الفرنسيين لجهود عبد القادر الجزائري، بل أثنى على أعماله وكتب أنه استحق بهذا الفعل الجميل ثناء الجميع، وقد نال بذلك عديد الأوسمة، وعبارات الشكر من فرنسا وأكثر الدول الأوروبية، وأنّه قضى بقيّة حياته في مثافنة العلماء وإسداد الخيرات، ويضيف على ذلك أمير البيان أكثر تفاصيل حياة الأمير عبد القادر اليومية في دمشق مع المدح والثناء فيقول:"...وكان كل يوم يقوم الفجر ويصلّي الصبح في مسجد قريبٍ من داره في محلة العمارة، لا يتخلف عن ذلك إلا لمرض، وكان يتهجد الليل ويمارس في رمضان الرياضة على طريقة الصوفية، ومازال مثالاً للبر والتقوى والأخلاق الفاضلة إلى أن تُوفي رحمه الله سنة **1883**م فدُفن بمقام الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي في الصالحية..."[2]، فأظهر الأمير أرسلان بذلك احترامه وتوقيره للأمير عبد القادر فأثنى عليه، وذكر نبل أخلاقه وعلو مقامه بين قومه.

أضف إلى ذلك فإن صاحب كتاب حسر اللثام يمدح الأمير الجزائري بشتّى الأوصاف النّبيلة ويقرّ بجهود أمير الجزائر فيقول عنه:" هو السيّد السّند والفرد الأمجد والبطل الأوحد الأمير الخطير والمليك الشهير عبد القادر الحسني الجزائري صاحب بلاد الجزائر طيّب الله ذكره ورحمه ألف رحمة ورحمة، وأكثر الله أمثاله بين الآدميين..."[3]، وأن الأمير الجزائري هو من اجتمع بأحمد باشا الوالي وحرّم أذيّة أهل الذمّة ماداموا في طاعة الحكومة الإسلامية، وقام مع أعوانه بجمع شتات عائلات النصارى في دمشق وحمايتهم في إقامته ليطعمهم ويسقيهم ويواسيهم ويهدّئ روعهم، وكان يخرج في كثير من الأحيان بنفسه ويردّ القاتل عن ضحيته، وقد وصل عدد ما جمعه الأمير من نصارى دمشق إلى **12** ألف شخص[4]، فكانت مساعي الأمير عبد القادر مميّزة، لم يستطع فعلها عديد القناصل عبر وساطتهم وجهودهم التي باءت بالفشل، ثم يذكر عددًا لا بأس به من

---

[1] أرسلان، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون**، ص ص 306، 307.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص172.

[3] شاهين مكاريوس، مصدر سابق، ص ص 230، 231.

[4] شاهين مكاريوس، المصدر نفسه، ص ص 231، 232.

وجهاء دمشق الذين استطاعوا حماية الآلاف من النصارى، إلاّ أنّه لم يصف تفاصيل ذلك كما فعل مع الأمير الجزائري والمدح الذي رافق ذلك الوصف في عدد من صفحات كتابه[1].

وممّا لا شك فيه فإنّ جهود الأمير عبد القادر كانت مميّزة عن باقي شرفاء دمشق في مساعيه الحميدة لحماية المسيحيّين، لكن تبقى نيّة أمير البيان مبهمة في هذه النقطة، هل أراد التقليل من جهود الأمير مقارنة بأعيان دمشق والشام خاصة الدروز الذين كانت لهم جهود حثيثة لحماية النصارى كذلك وللغاية نفسها ؟ أو كانت ردًّا على كتابات المؤرخين الفرنسيين الذين يحصرون هذه الأعمال للأمير عبد القادر لوحده كما قال.

وبما لا يدع مجالاً للشكّ فإنّ كتابات أمير البيان قد تجاوزت مقاومة الأمير عبد القادر ليذكر عدد لا بأس به من الثورات الشعبية المناهضة للاحتلال الفرنسي في الجزائر، كتلك التي ربطت قياداتها علاقة وثيقة بمقاومة الأمير الجزائري، وأخرى حدثت في فترات زمنية لاحقة، وفي هذا الإطار ذكر الأمير أرسلان في مدونته أنّه في مارس من سنة **1848**م أصدرت السلطات الفرنسية مرسوماً يقضي باعتبار الجزائر جزءًا لا يتجزأ من فرنسا، وبعد سنة واحدة ثار أحد قادة الأمير عبد القادر السابقين وهو أبو زيان [2] في واحة الزعاطشة [3] واستأنف القتال في الصحراء الجزائرية حيث تركّزت مقاومته بمنطقة بسكرة وسط الجزائر، انتهت الثورة بقطع رأس القائد أبي زيان وأولاده الذين كان أكبرهم سناً لا يتعدّى ستة عشر سنة [4]، وقد عبّر عن ذلك المؤرخ أبو القاسم سعد الله بقوله أنّ المعركة لم تكن بسبب الضرائب الباهظة أو من أجل المنصب، بل كانت معركة

---

[1] شاهين مكاريوس، مصدر سابق، ص ص 333، 334.

[2] **الشيخ أبو زيان** : هو عبد الرحمان بن زيان والمشهور بمحمد بوزيان، يقول شيخ المؤرخين أن المعلومات شحيحة جداً عن الشيخ بوزيان، إلا أن المعروف أنه كان من موظفي إدارة الأمير عبد القادر في منطقته، برتبة شيخ على واحة الزعاطشة، وتذكر المصادر أنه كان من المرابطين الأشراف، وكان محارباً شجاعاً، يحسن الرمي والقنص، وله سمعة حسنة ومحترمة، حيث استطاع تجنيد عدد كبير من المجاهدين المرابطين، ومن مختلف المناطق من الحنقة، بوسعادة، أولاد جلال ومسعد، فكان يحترمه معظم مشايخ المنطقة، فاستشهد معه الشيخ الدرقاوي، والشيخ عبد الحفيظ، والشيخ ابن شبيرة، ولقو حتفهم تحت الأنقاض بعد القصف الفرنسي الشديد على الواحة. أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية، ج 1**، ص ص331، 332. العربي بوعزوز، **"مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849م، على ضوء الكتابات الأجنبية"** ، مجلة عصور الجديدة ، المجلد8، العدد1، ماي 2018/2017، ص ص 128- 141.

[3] **الزعاطشة** : هي بلدة تقع في الزاب الشمالي أي غرب مدينة بسكرة عاصمة الولاية، في وسط البلاد الجزائرية، حيث تبعد عن مركز الولاية بحوالي 35 كلم، ويعود تاريخ نشأتها إلى العهد الفينيقي، وكانت معروفة خلال العهد العثماني، واشتهرت الواحة بزراعة النخيل، والتي قُدرت في تلك الفترة بحوالي 70 ألف نخلة، وقد فرضت سلطات الاحتلال الفرنسي على سكان الواحة دفع الضرائب على النخيل.

[4] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص33.

عن الدين، وطنية المرجع، ضد المحتل الكافر ولكي لا تسقط راية الجهاد والوطنية التي رفعها الأمير عبد القادر[1].

وقد أشار الأمير شكيب إلى بعض تفاصيل ثورة المقراني حيث قال :"...في **15** مارس من سنة **1871**م اندلعت ثورة سيد المقراني (باشا آغا) ضد السلطات الفرنسية في الجزائر، يسانده الشيخ محمد الحداد شيخ الطريقة الدرقاوية الرحمانية، وقد تمكّنت القوات الفرنسية من القضاء عليه..."، ثم أضاف أنّه في الخامس من أفريل من السنة نفسها أي عام **1871**م قتلت القوات الفرنسية الباشا آغا الحاج محمد المقراني الذي تزّعم ثورة كبيرة في منطقة زواوة ومقاطعة قسنطينة وعمالة الجزائر، ونُفي عمّه الشيخ بومرزاق ومحمد الحداد إلى جزيرة كاليدونيا[2] في المحيط الهادي[3]، فكان أمير البيان محقّاً في معظم ما أورده حول ثورة المقراني، لكن معلوماته كانت شحيحة جدّاً وهذا لسبب أساسي وهو أن المدوّنة خصّصها للأخبار دون الإحاطة بكل الأحداث ومجرياتها.

وقد أورد أمير البيان خبراً مفاده أنّ القبائل المهرنانية في الجزائر قامت بثورة ضد الاحتلال الفرنسي بقيادة الشيخ أبي عمامة[4] سنة **1882**م واستمرت إلى غاية سنة **1885**م[5]، والظاهر أن أمير البيان ليس لديه المعلومات الكافية لسرد حقائق الثورة من أسباب ومعارك ونتائج، وعدم ذكر الصعوبات التي اعترضت

---

(1) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج1، ص332.

(2) تعد كاليدونيا من مناطق النفوذ الفرنسي ما وراء البحار، تقع الجزيرة في جنوب غرب المحيط الهادي، اكتشفت سنة 1774م بعد قرنين من اكتشاف جزر السالمون أي سنة 1568م، فكاليدونيا اكتشفها البحار الشهير جيمس كوك وتعرف على ساحلها الشرقي كما احتك بالأهالي الذين رأوا الرجل الأبيض لأول مرّة، وقد أطلق على الجزيرة اسم لمنطقة تشبهها في اسكتلندا، وبين سنتي 1835 و1843م وصلت أولى البعثات التبشيرية البروتستنتية والكاثوليكية، أمرت السلطات الفرنسية باحتلال الجزيرة قصراً سنة 1853م، وفي 1864م بُنيت أول مستوطنة بغرض تنفيذ العقوبات بها، وقد نُفي إليها ثوار الجزائر، ومن شمال الفيتنام، المعارضون الفرنسيين...الصديق تواتي، **المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة، مأساة هويّة منسيّة**، نتائج وأبعاد ثورة المقراني والحداد، شركة دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007، ص ص132- 134.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 43.

(4) **الشيخ بوعمامة** : هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن سيدي إبراهيم بن التاج والمعروف ببوعمامة، ولد بقصر حمام الفوقاني بمدينة فقيق المغربية حوالي سنة 1838م أو 1840م، تلقى في صغره التعليم القرآني، إضافة إلى بعض الممارسات الأخرى الخاصة بالزوايا من خرافات وأساطير يؤمن بها مريدوا الزوايا، ففي نظرهم هي مقياس التفوق ومفتاح الاستلهام، وأداة لاختراق الغيب، بدأ بوعمامة بتنفيذ وصيّة جدّه عبر إحياء تقاليد الطريقة الشيخية القائمة على الورع والتقوى، وحين قاد ثورته ضد الفرنسيين، كتبت عليه كبريات المجلات الأوروبية والعربية حيث كتبت "التايمز" "إن أبا أمامة قد أصبح عبد القادر الثاني"، وكتبت "البرهان" المصرية أن بو عمامة هو زعيم الثائرين من أهل الجزائر على فرنسا، والجدير بالذكر أن بوعمامة كان يتقن الاسبانية والإيطالية، وقد مرت ثورة بوعمامة على مرحلتين، الأولى عسكرية بين سنتي 1881-1883م، والثانية تعد سياسية بامتياز بين نتي 1883-1908م، وبهذا تُعد أطول الثورات زمنياً. عبد الحميد زوزو، **ثورة بوعمامة 1881-1908، الجزء الأول، (جانبها العسكري/ 1881-1883م)**، موفم للنشر، الجزائر، 2010م، ص ص37- 42.

(5) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص50.

السلطات الفرنسية التي حالت دون القضاء عليها، وطول مدّتها والتي ناهزت **27** سنة بين مرحلتيها العسكرية والسياسية، في حين نجد الأمير أرسلان يحصر فترة المقاومة في ثلاث سنوات فقط.

مع حلول القرن العشرين وبالضبط سنة **1904**م ذكر أمير البيان في مدونته أنّه تكوّنت في عمالة وهران بالجزائر جماعة أُطلق عليها :"جماعة اللصوص الشرفاء [1]"، هدفها اغتيال كل حاكم فرنسي أو رئيس جزائري متّهم بموالاة الفرنسيين، أبرز هؤلاء هو أبو زيان القليعي [2] من قبيلة قليعة إحدى قبائل الريف المراكشي [3]، ففي هذا الصدد يذكر الأستاذ فؤاد عزوز أن المصادر الفرنسية أطلقت عليهم مصطلح "لصوص الشرف"، أو "قطاع الطرق الشرفاء"، في حين فقد تداولت قصصهم الذاكرة المحلية للجزائريين على أنهم أبطال المقاومات والمناهضون للوجود الاستعماري، أمّا من حيث توزعهم الجغرافي، فقد ظهر هؤلاء الثوار في أغلب مناطق الجزائر، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً [4]، وللإشارة فإن بوزيان القلعي من القلعة ولاية غليزان الواقعة غرب الجزائر وليس مراكش كما ذكر الأمير، وقد أشرنا ذلك في هامش الخاص بتعريف شخصية القلعي.

ولا يفوتنا أن ننوّه أن أمير البيان أقام صلات وطيدة بأفراد عائلة الأمير عبد القادر الجزائري، حيث أشار في كثيرٍ من المرات في مواضع عدّة من مؤلفاته إلى أحداث وقصص متعلقة بأبناء وأحفاد الأمير عبد القادر، وقد ربطته بهم علاقات جيدة، سنحاول من خلال هذه الأسطر البحث في ما خلّفه أرسلان، والنّبش في ما خطّه حول هذه النقطة بالضبط.

---

[1] تُعدّ اللصوصية الشريفة امتداد طبيعي للنهج الثوري الشعبي، حيث لم ترتكز في نقطة دون أخرى بل شملت مناطق عديدة في الجزائر شرقها ووسطها وغربها وحتى جنوبها، إلاّ أن أمير البيان أفرد الجهة الغربية بالذكر دون المناطق الأخرى ليس تقصيرا منه بل غياب المعلومة وندرتها للتعتيم الإعلامي الاستعماري الذي كان يمارس على أعمال هذه المجموعات في الداخل الجزائري، فظاهرة العصاة من أجل الشرف بقيت تتأجج بين الفينة والأخرى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مبديةً رفضها القاطع للقوانين الفرنسية الجائرة، وكان أشهر هؤلاء الثائرين أبوزيان القليعي الذي أنهكته الضرائب الفرنسية كباقي الجزائريين الذين عانوا الكثير من ممارسات الاحتلال التعسفية. فؤاد عزوز، **المهمّشون في تاريخ الجزائر الاجتماعي اللصوص وقطاع الطرق أنموذجاً (1830– 1918م)**، أطروحة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ الاجتماعي للجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، إشراف :فارس كعوان، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الأمين دباغين سطيف 2، السنة الجامعية 2020-2021، ص ص 188-190.

[2] **أبو زيان القليعي** أو بالأحرى القلعي، اسمه الحقيقي بوزيان القلعي الجيلالي شقراني، المولود بتاريخ 1838م بالقلعة الواقعة بمنطقة غليزان بالجزائر وليس مراكش كما أورد أمير البيان، ويذكر الأستاذ فؤاد عزوز في أطروحته أن شخصية بوزيان القلعي غير معروفة ولا يمتلك عنها المؤرخون إلاّ القليل، حيث كان قروياً من القعلة ضواحي غليزيان بالغرب الجزائري، وقد برزت شخصيته بعد العملية التي قام بها من خلال تجريد الحاج محمد بن عبد الله لأمواله وهو أحد أغنياء مدينة الشلف، متهما إيّاه بالخيانة وتقديم مختلف المعلومات للإدارة الفرنسية، ثم مشاركته في انتفاضة سيدي الأزرق والتي ألقي القبض عليه خلالها، فأُرسل بعدها إلى سجن بوخنيفيس بسيدي بلعباس. فؤاد عزوز، مرجع سابق، ص190.

[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص62.

[4] فؤاد عزوز، مرجع سابق، ص 130.

4 1 صِلات أمير البيان بأفراد عائلة الأمير عبد القادر الجزائري:

بعد قضاء الأمير عبد القادر الجزائري أربعة سنوات كاملة في قلعة شبيهة بالإقامة الجبرية أو بالأحرى بالسجن بفرنسا، وبعد وصول نابليون الثالث إلى سدّة الحكم بعث له رسالة يبشره من خلالها بقرار إطلاق سراحه، ثم زاره بنفسه [1]، وقد أطلق سراح إخوته وأتباعه، ثم توجّه الأمير نحو عاصمة الخلافة إسطنبول سنة **1853**م ليختار مدينة بورصة موطناً لإقامته [2].

لكنه لم يمكث بها إلا ثلاثة سنوات، ليعزم هذه المرّة التوجّه نحو دمشق حيث وصلها شهر نوفمبر **1855**م، ليطول به المقام هناك إلى أن وافته المنيّة [3]، وإلى جانبه أفراد أسرته وأتباعه الذين انتقلوا معه، ليكون له أبناء ويزداد عدد أفراد عائلته الكبيرة، لتربط هذه العائلة علاقات واسعة في جميع مناطق الشام ومراكز صنع القرار في عاصمة الخلافة، خاصة مع علماء وأعلام الشام، إضافةً إلى الشخصيات النافذة في السلطة العثمانية، فكانت للعائلة الجزائرية مكانة اجتماعية وثقافية، وسمعة طيبة لدى الجميع، لذا كان من البديهي أن تكون لأمير البيان علاقات جيّدة مع أفراد عائلة الأمير عبد القادر، خاصة ومنهم العالم والسياسي والعسكري، والأديب الشاعر وقد ذكر معظم هؤلاء بين طيّات كتبه.

ففي مجال اللغة والأدب فقد أورد أمير البيان اسماً لأحد أفراد عائلة الأمير عبد القادر، حيث ذكر الأستاذ الشرباصي في كتابه "أمير البيان شكيب أرسلان" أن أمير البيان لاحظ في شبابه الاضطراب الذي يقع في تعريب الأعلام العربية التي كُتبت بحروف أجنبية، فحاول إصلاح ذلك من خلال جمع الكلمات في فهرس خاص وسلّمه إلى أبرز أعلام عائلة الأمير عبد القادر وهو محمد مرتضى الحسني الجزائري [4] ابن أخ الأمير عبد

---

[1] عندما التقى نابليون الثالث بالأمير عبد القادر الجزائري قدم اعتذاراته له لنقض الحكومة السابقة لوعودها، كما قال له :"...جئت لأخبرك بحريتك، ستُقاد إلى بروسة في دولة السلطان...ستتلقى من الحكومة الفرنسية معاملة كريمة تليق بمقامك العالي، منذ مدة طويلة ووضعكم يؤرقني لأنه يذكرني بالتزامات تم اتخاذها و لم تُنفذ، وأنا مستعد لتقديم العدالة الكاملة لشجاعتكم، فلا شيء أذل من حكومة دولة كبيرة لا تفِ بوعودها، لقد كُنت خصماً عنيداً لفرنسا، ولكن هذا لا يمنعني من الاعتراف بشجاعتك وقوتك وتواضعك في مأساتك، ولهذا فأنا ألتزم بشرف لإنهاء حبسك وثقتي كاملة في كلمتك...". الزهرة بقبق، **الأمير عبد القادر في الأسر(1849-1852م)**، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف منور الصم، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية معهد التاريخ، جامعة وهران السانية، السنة الجامعية 2010/2009، ص174.

[2] الزهرة بقبق، المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه، ص184.

[4] **محمد مرتضى الحسني الجزائري**(1827-1901م): عالم من رجال الفكر والإصلاح، جمع بين السيف والقلم، والمولود بالقيطنة حيث نشأ وتعلم، حارب الفرنسيين إلى جانب عمّه الأمير عبد القادر الجزائر، هاجر إلى بلاد الشام حيث قال عنه صاحب تاريخ الصحافة العربية أنه كان

القادر الجزائري، فقام هذا الأخير بتصويب كل الكلمات الصعبة والمبهمة، وقد وصفه أرسلان بحضرة العلامة وأنّه أحد علماء المغرب في المشرق [1]، حيث جمع بين القلم والسيف جاهد إلى جانب الأمير عبد القادر ثم برز في مجال الأدب والشعر، لكنه لم يذكر مناقبه في هذا المجال.

وخلال ممارسته للنشاط السياسي ربطت أمير البيان علاقات وطيدة مع أفراد عائلة الأمير عبد القادر فبين سطور كتاباته أتى الأمير على ذكر نشاط أبناء الأمير عبد القادر، أمثال الأمير محمد والأمير محي الدين [2] الذيْن قصدا الأستانة، وعُيّنا في مجلس الأعيان، وكان محي الدين شاعراً وأديباً [3]، حيث حصل على وظيفة "أزمير بايا مجردى" أي في مجال القضاء، وتحصّل على وسام الصنف الرابع من النيشان العثماني، وقد عُيّن سفيراً لدى السلطان العثماني في مرّاكش [4].

ومن أحفاده الأمير خالد بن الهاشمي، الذي وصفه شكيب بأنّه على رأس الحركة الوطنية الحاضرة في الجزائر؛ ثم ذكر الأمير عبد الله الذي هو على قيد الحياة ويعيش بدمشق، والأمير علي [5] الذي كان مبعوثاً عن

إماماً جليلاً سخياً ذا هيبة عظيمة وفهم عال، أخذ عنه محمد رشيد الدنا أحد السابقين إلى العمل في الصحافة في العالم العربي وصاحب جريدة "بيروت" سنة 1886م. عادل نويهض، مرجع سابق، ص112.

[1] الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج2، 583.

[2] هو محي الدين بن الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري الحسني المتصل نسبه إلى السيد عبد القادر الجيلاني الحسني ورث الإمارة عن أبيه، كان أديبا شاعراً، يحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من نظمه، وُلد بالجزائر في الثالث من ربيع الثاني سنة 1259 هجرية نشأ في حجر والده، حفظ القرآن عن ظهر قلب، وهو لم يبلغ تسعة سنوات بعد، حفظ المتون قرأ الفقه المالكي على يد الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي المغربي، وقرأ عن الإمام الشيخ محمد الطنطاوي الأزهري، وفي سنة 1282ه توجه إلى أوروبا سائحا فزار روما وسويسرا ثم باريس ليلتقي بالإمبراطور نابليون 3 فأكرمه واستقبله أفضل استقبال، ثم قصد مصر ، وفي سنة 1870م أراد تخليص الجزائريين من الاحتلال الفرنسي، فانتقل إلى تونس وقد أرسل حوالي مائتي رسالة إلى رؤساء القبائل قصد التحضير للثورة... عبد الرزاق البيطار، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، دار صادر بيروت، ج3، ص ص1423 -1449.

[3] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص172.

[4] عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس، الجزائر، ليبيا،من 1816 إلى 1871م**، الدار التونسية للنشر، ط 1، مارس 1972م، ص 115 وهامش ص115.

[5] **الأمير علي بن الأمير عبد القادر** من مواليد دمشق، تلقى الأمير علي دروسه على يد الشيخ أحمد أفندي الحلواني واللغة العربية على الأستاذ الشيخ محمد الطنطاوي، ودرس الحديث والأصول على يد العالمين الفاضلين الشيخين عبد الرزاق أفندي البيطار والشيخ الصوفي سليم أفندي سماره، وقد اعتنق الأمير مبدأ الدفاع عن الجامعة الإسلامية، وقد شارك إلى جانب الجيوش العثمانية في معركة طرابلس الغرب ضد الاحتلال الإيطالي سنة 1911م، من أشهر أعماله الصلح الذي أقامه بين الحورانيين وجيرانهم بني معروف الدروز. محمد سعيد(الأمير)، **تاريخ حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر ملك الأقطاع المغربية وسلطان الأرباض الجزائرية**، مطبعة الترقي، دمشق، 1918م، ص ص 9-10. عادل نويهض، مرجع سابق، ص106.

ولاية الشام حيث ربطهما علاقة جيّدة معاً، وقد اقترحه بعد استشارة طلعت بك [1] رئيس المجلس أن يكون نائبه الأمير علي مُمثّلا عن أبناء العرب[2].

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، أُرسل الأمير علي إلى ألمانيا ليقابل الإمبراطور غيليوم [3]، ليوقّع على المناشير التي تلقّى من الطائرات على المجنّدين العرب وبالأخص المغاربة في جيوش الدول الاستعمارية، في جبهات القتال ضد فرنسا وبريطانيا لتأليبهم ضد الحلفاء[4].

فبدأ الفرنسيّون بأخذ الحيطة والحذر من فعالية هاته المناشير باتخاذ مجموعة من الإجراءات، كجعل المغاربة في مؤخرة جيوشهم، وإبعادهم عن مناطق إلقاء تلك المناشير، ثم يُضيف أنّه بعد عودة الأمير علي من ألمانيا وجد أخاه الأمير عمر [5] محبوساً إلى جانب عدد كبير من أحرار العرب الذين حبسهم جمال باشا قائد الجيوش العثمانية في سوريا، بسبب أوراق وُجدت في القنصلية الفرنسية تذكره، فطلب الأمير علي جمال باشا شفاعة أخيه الأمير عمر، فلم يقبل شفاعته بل أمر بنفيه هو وأولاده وسائر أسرة الأمير عبد القادر إلى بورصة

---

(1) **طلعت باشا** ولد في 10 أبريل 1874 في كارجلي في برلين في 15 مارس 1921م، مؤسس جمعية الحرية العثمانية وهو أحد القادة البارزين في الدولة العثمانية، من مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي، كان له دوراً هاماً في إعداد ثورة 1908م، وكان أحد صنّاع القرار السياسي في الدولة العثمانية في الفترة الممتدة من 1908 حتى 1918، كما لعب دوراً في مشاركة الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى وأحداث أرمينيا، وفي عام1917 م شغل منصب الصدر الأعظم، وبعد هزيمتهم في الحرب، حلّ طلعت باشا جمعية الإتحاد والترقي وفرّ هارباً مع جمال باشا إلي خارج البلاد، ثم قُتل في برلين علي يد ناشط أرمني.

(2) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص172.

(3) هو وليام الثاني من أشهر أباطرة ألمانيا، حكم بين سنتي 1888م إلى سنة 1918م، حفيد وليام الأول، كان محبا للمظاهر العسكرية، شديد الاندفاع، سعى لجعل ألمانيا قوة استعمارية، فاصطدم بالقوى المنافسة على غرار فرنسا وبريطانيا، كان السبب في نشوء أزمة المغرب الأولى والثانية ثم اندلاع الحرب العالمية الأولى، وخرج منه منهزما، وقد اشترط الرئيس الأمريكي ولسون تنحي وليام الثاني عن العرش قبل البدء في التفاوض في مؤتمر فارساي. عبد الوهاب الكيالي، "**موسوعة السياسة**"، ج7،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994م، ص354.

(4) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص172.

(5) **الأمير عمر بن الأمير عبد القادر** بن محي الدين الحسني الجزائري (1866م-1916م): أمير ومجاهد وشهيد الحركة القومية العربية في الشام حيث أعدم من طرف جمال باشا المدعو بالسفاح في الشام، ولد بدمشق نشأ بها وترعرع وتعلم وكبر على ممارسة السياسة كان نائباً عن دمشق في مجلس النواب العثماني، لكنه اعتقل بتهمة الخيانة بعد ادعاء جمال باشا أنه وجد اسمه في رسائل الفرنسيين بقنصليتهم، ث نُفذ فيه الإعدام إلى جانب مجموعة كبيرة من القوميين العرب سنة 1916م، وقد سعى الأمير شكيب أرسلان ليطلق سراحه إلا انه فشل بسبب غطرسة وظلم جمال باشا. عادل نويهض، مرجع سابق، ص107.

دون مراعاة حرمة جهاد والده عبد القادر، أو جهوده هو -أي الأمير علي- في ألمانيا أو في طرابلس الغرب [1]، فاشتد عليه الغمّ ومرض مرضاً شديداً وبعد نقله إلى الأستانة تُوفيّ هناك [2].

ثم يصف أرسلان معاناة أسرة الأمير لّما قُبض على الأمير عمر بتهمة التعاون مع الفرنسيين بعد إيجاد وثائق متعلّقة به في القنصلية الفرنسية كما ذكرنا سلفاً، وقد كان من مجموع الأعيان الذين أُعدموا شنقاً من طرف المدعو بالسفاح جمال باشا، رغم شفاعة الأمير شكيب وتوسّل أخ يي الأمير علي، فيذكر أمير البيان في هذا الصدد ما يلي:"...وطالما راجعنا في أمرهم وطلبنا عنهم العفو أو تحويل جزاء القتل إلى النفي فلأمر يريده الله أبى جمال باشا إلا إزهاق الأنفس، فكانت من الأغلاط الكبرى التي ذاقت الدول العلية مرارة مغبّتها وسهّلت طريق الأجانب..."[3]، فقرارات القائد العسكري جمال باشا الظّالمة خلّفت كره العرب له ولكل قائد تركي مما ساهم في تكتل العرب حول الشريف حسين قائد الثورة العربية.

ثم يضيف الأمير شكيب مما تذكّره أنّ جمال باشا سأله عن إنكاره معاداة الأمير عمر لفرنسا [4]، فيذكر أنه هو نفسه أي جمال باشا لم ينكر ذلك، ويضيف أمير البيان جملة ما قيل له:"...فأجبته لست ممّن ينكر ذلك، ولكن أرى وجوب الصفح عنه حُرمةً للمرحوم والده الذي لا يخفى ما له من المكانة في العالم الإسلامي، فقال

---

[1] وقد أرسل الأمير علي ابن الأمير عبد القادر الجزائري إلى طرابلس الغرب بغرض إعلان الجهاد وجمع شمل المغاربة ضد الاحتلال الإيطالي سنة 1911م، ونص خطاباته وفتاويه منشورة في كتاب **"تاريخ حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر ملك الأقطاع المغربية وسلطان الأرباض الجزائرية"** للأمير محمد سعيد نجل الأمير علي، ينظر ص45.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص173.

[3] أرسلان، المصدر نفسه.

[4] يذكر الإعلامي سهيل الخالدي في هذا الشأن أن الأمير عمر كان مختبئاً عند المهجرين الجزائريين في حوران، وكان من الصعب معرفة مكانه من طرف السفاح جمال باشا، فاستخدم صديقه شكيب أرسلان ليعرف مكان اختبائه، فقم الأمير شكيب بطمأنة الأمير سعيد بأن عمّه عمر لن يُعدم، فذهب سعيد لمقابلة جمال باشا فأكد له ذلك، وعندها اكتشف مكان الأمير عمر، ليُعدم فيما بعد وقد اعتمد الصحفي على كتاب الثورات السورية لمؤلفه أدهم الجندي دون كتابة الصفحة المعتمد عليها في المصدر. سهيل الخالدي، **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في الشام**، دار الأمة، ط2، 2016م، ص158. سعد الله، أبحاث وآراء، ص117.

وعند اطلاعنا على هذا الأخير لم نجد ما يثبت كلام الصحفي سهيل الخالدي إلا ما وثقه الجندي في ترجمة الأمير طاهر الجزائري وأشار إلى إخفاء الأحرار العرب من طرف الأمير طاهر الجزائري ثم اعتقالهم ليُعدموا فيما بعد، رغم أنّ المؤرخ سعد الله اعتمد عليه في سرد هذه الرواية أي على كتاب الإعلامي سهيل الخالدي. أدهم آل جندي، **الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي**، مطبعة الاتحاد، سوريا، 1960م، ص ص531- 532.

لي جمال بالتركية (بكانهْ) أي وماذا يجيئني من ذلك..." [1]، فصلابة رأي جمال باشا وكرهه للعرب، وترفّعه عنهم جلب المهانة للأتراك والعرب معاً فيما بعد.

والجدير بالذكر أنه رغم العلاقة التي كانت تربط أمير البيان بالأمير علي ابن الأمير عبد القادر، فإن الأمير محمد سعيد ابن الأمير علي لم يأتي على ذكر جهود أمير البيان في طرابلس الغرب مع جمعية الهلال الأحمر المصرية، حيث قام الأمير علي بإلقاء الخطب، وذكر ما قدمته الجمعية من أعمال جليلة، وتقديم مساعدات كثيرة وكان لأمير البيان فضل كبير في هذا الشأن [2]، كما أسلفنا ذكر ذلك في الفصل الثاني، فالأمير محمد سعيد أورد جل مناقب والده الأمير علي، سواء مشاركته في الحرب الطرابلسية أو حثه المسلمين في المغرب والمشرق على الجهاد وجمع الاشتراكات لليبيين، في حين لم يذكر إطلاقاً ما إذا كانت له علاقة مع أمير البيان أو مشاركته الحرب الطرابلسية.

ثم يذكر أن ابن الأمير عبد القادر والملقب بمحي الدين هو شاعر وأديب [3]، وكان ذو همّة عالية، فقد قصد الجزائر سنة **1870**م دون علم أبيه ليترأس الثورة القبائلية التي اشتعلت في ذلك التاريخ، ولّما وصل الخبر إلى والده الأمير سخط عليه وغضب غضباً شديداً، لأنّه أعطى عهداً لفرنسا وحافظ على قوله إلى أنْ وافته المنيّة كما ذكر أمير البيان شكيب أرسلان [4]، ففي حدود اطلاعنا على ما هو بين أيدينا من مؤلفات لم يفصح أمير البيان عن الثورة القبائلية التي كان ينوي الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري أن يترأسها، وحسب التاريخ الذي نُسبت إليه الثورة، فإنّه من المؤكد أن تكون الثورة ثورة المقراني والشيخ الحداد، وفي هذا الشأن لم نجد إلا بعض الكتابات تتحدث حول هذه النقطة، أي مشاركة أو بالأحرى محاولة الأمير محي الدين المشاركة في هذه الثورة.

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص173.

[2] محمد سعيد، مصدر سابق، ص52.

[3] نقل عنه الشيخ عبد الرزاق البيطار في ترجمته الكثير من أشعاره فبعد فشل مهمته المتمثلة في إشعال الثورة ضد الفرنسيين ورجوعه إلى دمشق وبعد فتور همته وتباطأ عزيمته قال أبياتاً للرفع من همته :

على ماذا الخمول وأنت قرم مطاع في العشائر لا تماري
و إنك لا تنال المجد حتى تقود عرمرماً يملأ القفارا
تعوض من شدا الشادي صهيلا وعن طيب الغوالي اعتض غبارا
وأطيب من عناق الخود حقاً عناق مدرع يورى الشرارا
فقومي سادة عرب كرام بغير الحرب ما نالوا فخارا .عبد الرزاق البيطار، مصدر سابق، ص1428.

[4] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص173.

ناهيك عن الإشارة له من طرف المؤرّخ أبو القاسم سعد الله في كتابه الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الثاني من الصفحة **52** أنّها إشاعة رُوّج لها من طرف جنود الصبايحيّة، الذين ثاروا ضد فرنسا بعد قتلهم لضباطهم، ونادوا بالاستقلال وأخذوا يرددون أن باريس سقطت في يد البروسيين (الألمان)، وأنّ محي الدين ابن الأمير عبد القادر سيأتي من نفطة (تونس)، وأنّ الجزائر ستثور كلّها، وأنّ هذه فرصة سانحة لإخراج الفرنسيين، وكان ذلك في جانفي من سنة **1871**م[1].

أما التميمي عبد الجليل فقد استطرد في هذه المسألة، حيث ذكر أن اسم محي الدين بن عبد القادر ارتبط بشخصية ناصر بن شهرة أحد زعماء السلاح ضد الفرنسيين منذ سنة **1855**م، الذي أعلن عبر زعماء القبائل عن قراءة رسالة الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر والتي مفادها:"...لقد قَدِمنا لإنقاذ الإسلام الذي هو في خطر، إن الله سيهلك الفرنسيين إذ لم يبقى لهم لا أراضي ولا جيش، إن ساعة انطلاقتكم قريبة جدّاً وخلاصنا مؤكد...خذوا حذركم..."، ثم يضيف أنّه في إحدى الرسائل المحررة من طرف محي الدين وناصر بن شهرة لرؤساء الشعب والقبائل أن محي الدين نزل عند ناصر بن شهرة لإعلان الجهاد المقدّس، وأن سلطان اسطنبول قد أرسل جيشاً إلى طرابلس الغرب، وهو يرغب من الجزائريين التخلص من الفرنسيين قبل احتلالهم من طرف البروسيّين[2]، ويذكر سعد الله أن المقراني كان يتوقع المساعدة من الأمير عبد القادر والإمبراطورية العثمانية وتونس، لكن لم يتحقق ذلك [3]، وقد استفاض التميمي [4] في هذه القضية واستشهد بوثائق جد هامة حول محاولة الأمير محي الدين ترأس الثورة ضد الفرنسيين[5].

وقد ذكر أرسلان أعمال باقي أبناء الأمير عبد القادر، الأمير عبد الرزاق، والأمير عبد المالك وأسفارهم، وكتابات والدهم، وختم في مقاله المصنّف ضمن كتاب حاضر العالم الإسلامي بكتابة أبيات للأمير عبد القادر مبيّنا مستواه الراقي في كتابة الشعر [6]، وقد مدح كذلك أحد أفراد عائلة الأمير عبد القادر، وهو أبو طالب

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الإسلامي 1900-1930م، ج2، بيروت، لبنان، ط4(منقحة)، 1992م، ص ص52، 53.

(2) عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص ص113، 114.

(3) سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، ص53.

(4) للاستزادة في هذا الموضوع ومعرفة حيثيّات محاولة الأمير محي الدين بن عبد القادر الجزائري ترأس الثورة في الجزائر ينظر إلى المصدر : عبد الرزاق البيطار، مرجع سابق، ص ص1423- 1449.

(5) عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص ص 113- 120.

(6) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص172- 174.

ابن أخ الأمير عبد القادر، حيث وصفه بالعالم الورع، وذكر أنه سهر عنده في بيروت إلى جانب الشيخ طاهر الجزائري السمعوني ، وقد قصّ عليه رؤيا رآها[1].

ومن بين الأسماء التي كان لها مكانة سياسية في المشرق العربي وذُكر من طرف أمير البيان، هو الأمير سعيد، حيث عُيّن على رأس الحكومة السورية كما ذكر شكيب في مدونته، حيث أن الحكومة السورية تأسست برئاسة الأمير سعيد الجزائري واستمرت حوالي ستة أشهر فقط، وبالضبط من **27** أفريل **1918**م إلى غاية **30** سبتمبر **1918**م[2]، وقد أرسل سعيد الجزائري بعد يومين فقط إلى أهالي سوريا ولبنان برقية تطمين بعد استسلام الأتراك على أنّ الحكومة الجديدة تأسست على أساس الشرف وأن الحكومة هي حكومة عربية، وكل أعضائها عرب[3]، وللإشارة فإن الأمير شكيب لم يحدد ما إذا كان الأمير سعيد هو نفسه الأمير محمد سعيد ابن علي ابن الأمير عبد القادر الذي ذُكر سلفاً.

وهناك شخصية من آل الأمير عبد القادر الجزائري معروفة ولها أثر ثوري كبير في المغرب والجزائر، تمثلت في شخص الأمير عبد المالك [4]، الذي أشار له أمير البيان في عدة مواضع لكنه لم يذكر علاقته به، أو سيرته المليئة بالأحداث، ودوره في المغرب الأقصى بالأخص، خلال الحرب العالمية الأولى بعد إعلانه الجهاد ضد فرنسا بإيعاز ألماني عثماني، كما ذكر ذلك المؤرخ سعد الله في الحركة الوطنية الجزء الثاني [5]، ورغم أن أمير البيان دوّن معظم الأحداث التي جرت في العالم العربي في مدونته، إلاّ أنّه لم يذكر أية معلومة تخص ثورة الأمير عبد المالك في المغرب، ولعلّ السبب يكمن في تسارع أحداث الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى، قد

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1996م، ج4 ،ص117.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص89.

(3) أرسلان، **المصدر نفسه**، ص ص 89، 90.

(4) ولد الأمير عبد المالك الجزائري بدمشق سنة 1868م توفي والده وهو في سنة الطفولة لذا ترعرع في أحضان الوالدة الأذربيجانية شفيقة المنحدرة من مدينة دربند، تلقى تعليمه الأول في دمشق على يد ثلة من العلماء على غرار طاهر الجزائري والشيخ مصطفى التهامي إمام المالكية في الجامع الأموي بدمشق، ثم انتقل إلى الأستانة ليلتحق بالمدرسة الملكية، أتقن اللغة التركية والفرنسية، التحق بالكلية العسكرية باسطنبول، تخرج برتبة عقيد في الجيش العثماني ليصبح أحد قادة الحرس السلطاني، سافر إلى مصر ثم إلى المغرب واستقر بفاس، انضم إلى مقاومة الشيخ بوعمامة، وقد قبل مقترح السلطان المغربي بمنصب عسكري في جيشه، وقد استطاع الأمير عبد المالك إقناع الكثير من المغاربة للانضمام إلى مقاومته التي استمرت من 1915م إلى غاية 1924م، وقد استشهد في التاسع من شهر اوت 1924م بطلقة مجهولة المصدر، يُقال اسبانية ويُقال أن قناصاً للخطابي قام بغدره. محمد السعيد قاصري ، **"الأمير عبد المالك الجزائري وثورته بالمغرب الأقصى 1914– 1924م"**، مجلة عصور، المجلد 13، العدد2، جويلية– ديسمبر 2014م، ص ص 307– 329. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/167/13/2/96549 تاريخ الزيارة: 2022/06/20، 20:15.

(5) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص ص224– 231.

غطّى على الأحداث في المغرب الأقصى، ناهيك عن ذكره عرضاً عند الحديث عن الخطابي مع الضابط الفرنسي لتبرير موقفه تجاه الفرنسيين[1].

ناهيك عن ذكره من قبل أرسلان وكما كتب سعد الله في مؤلفه (أبحاث وآراء) أنه قضى بضع عشر سنة مجاهداً في المغرب الأقصى بين القبائل الثائرة على فرنسا وعلى إسبانيا، وأنّه لم يزل في تلك الديار يتحرك تارةً ويسكن أخرى إلى كتابة هذه السطور[2].

أما فيما يخص صلة الأمير شكيب بالأمير خالد الجزائري فسنعرج عليها في عنصر خاص، حيث أدرجنا اسم هذه الشخصية ضمن علاقة الأمير بأبرز شخصيات الحركة الوطنية الجزائرية بتياراتها المختلفة، وقد أخرنا هذا العنصر باعتبار أن نشاط الأمير خالد السياسي كان بالجزائر لا بالشام، إضافة إلى ما خلّفه من أثر سياسي وإعلامي على الساحة السياسية الجزائرية.

2) مواقف الأمير تجاه السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر:

عبّر الأمير شكيب بكل صراحة عن مواقفه تجاه ممارسات فرنسا الاستعمارية في بلدان المغرب، في تونس كما أوردنا في الفصل السالف، وفي الجزائر كما سنحاول تفصيل ما كتبه ضمن مؤلفاته حول هذه النقطة، حيث كتب عن السياسة الإدماجية عبر التجنيس، وخاض في مسألة التنصير ومحاولات تمسيح الجزائريين من خلال التعليم والتطبيب وبناء دور الأيتام، إضافةً إلى ذكر قضية تجنيد الشّباب الجزائري بشكل إجباري، ومشاركتهم في حروب لا طائل لهم فيها.

2-1 موقف الأمير من سياسة فرنسا الإدماجية (ومن مسألة التجنيس):

لم يعتمد أمير البيان في سرده لواقع السياسة الفرنسية في الجزائر على الواقع المعاش فقط، بل ولج إلى معظم كتابات الفلاسفة والمؤرخين الفرنسيين، حيث تعمّق في نظرياتهم النفسيّة ومخططاتهم في مجال علم الاجتماع السياسي، فاستشهد بأقوالهم ليُبيّن مقاصدهم الحقيقية في الجزائر.

وكمثال على ذلك أورد أمير البيان بعض ما كتبه السيد "لوروا بوليو- Leroy Beaulieu" من أساتذة مدرسة "كوليج دوفرانس"، من كتابه الذي ألفه عن المسألة الجزائرية، وهو زبدة التعبير كما وصف

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، ج3، ص202.

[2] أرسلان **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص173. سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، ص117.

الأمير عن رأي الأغلبية في فرنسا بشأن الجزائر والجزائريين وخلاصته (يجب أن نفرنس الجزائريين)، ثم يوضح الأمير عن الأساليب والكيفيات التي يريدون أن يفرنسوا بها الجزائريين، حيث شبّهها بالأسلوب الذي اتبع في أمريكا الشمالية مع الهنود الحمر، من خلال مصادرة أراضيهم وإطلاق سراحهم أحراراً ليموتوا جوعاً[1].

ثم يستدل بكتاب آخر وهو للسيد فينيون- Vignon" الذي يقول:"...لّما رأت الإدارة أن الولاّة كانوا بعد كل ثورة يضبطون جانباً من أراضي القبائل، رأينا أنه يمكن أيضاً اختيار أحسن الأراضي وتسليمها للكولون ودحر القبائل إلى الصحراء...وكُلّما كان العنصر الأوروبي في الجزائر ينمو كانت القبائل تخرج بالقوّة من أراضي آبائها وأجدادها...حتى خرجت قبائل بأسرها من بلاد كانت هي أوطانها ومسقط رأسها..."، وبهذا فإن الجزائري المدحور من أرضه أصبح لا يعتني لا بالحرث ولا بالزرع، ولو فرضنا أنه حرث وزرع فلن يستطيع استرجاع بذوره التي زرعها في الأرض، ببساطة لأنه حاول زرع الأراضي الجرداء المحرومة من المياه، لا تُنبت ما يقتات به هو، ولا أعلاف لمواشيه[2]، وبهذا الفعل الدنيء تزداد الحالة الاجتماعية سوءًا، ويضطر الكثير إلى الهروب من واقعهم عبر الهجرة.

ثم ذكر أمير البيان طريقة ثانية يستخدمها الاحتلال الفرنسي قصد مصادرته أراضي الجزائريين الخصبة، من خلال تغيير الصيغة والاسم، والتي أصبحت تُسمى:" الاستملاك لأجل المصلحة العمومية"، وتعتمد هذه الطريقة على نقطتين، الأمر الأول أن تكون الأراضي إلا من ممتلكات الجزائريين المسلمين، والأمر الثاني أن يُعوّض الجزائري المستهدف عن أرضه المنتزعة بمقابل **50** أو **60** فرنكاً عن كل هكتار، حيث إن صودر من الجزائري المسلم ثلاثين أو أربعين هكتاراً، أخذ مقابلها **1500** فرنك فقط، حيث أن هذا المبلغ هو كل ما بحوزته ليعيل به أهله طول عمره، وهو مبلغ لا يكفيه لأكثر من سنتين[3].

ويورد أمير البيان ما كتبه المستشرق فينيون أنّ من أغرب الحوادث التي جرت في الجزائر وتجلّى من خلالها استبداد الحكومة، حيث وُزّعت الأراضي المصادرة على أناس لم يعرفوا من الزراعة إلا ما تعنيه الكلمة

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص 182.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص 183.

لغةً، حيث لا يفقهون في هذا المجال شيء، فقامت الحكومة ببناء قرى فلاحية لم يبقى منها إلا آثارها، حيث أنفقت الدولة الفرنسية على احتلال الجزائر أربعة مليارات من خزانة فرنسا فضلا عن دخل البلاد الجزائرية[1].

ويُضيف الأمير ما قاله المسمّى فينيون :"...فإننا مذ احتللنا الجزائر لم يوجد عندنا في أمرها إلا رأيان، أحدهما نطرد العرب إلى الصحراء ونأخذ أراضيهم، والثاني أن نفرنسهم ونصبغهم بصبغتنا...فأمّا العرب فلم يتهيأ طردهم كما كان المظْنون لأن الصحراء لا تنبت ما يعيش به هؤلاء، وهم ملايين من النسمة، ولأن طردهم قولاً واحداً لا يمكن بدون مقاومة منهم، وكذلك لم يتيسر لنا أن نفرنسهم كما ظننّا، لأن نقل أمّة من عقلية نشأت عليها إلى عقلية أخرى غريبة شديدة الامتناع....فكل من هاتين الطريقتين مذمومة ولا مصلحة لنا بها، ولا تزال فرنسا باستعمالها تخسر وتضيع إلى أن تفهم أن أمثل الطرائق هي ترك أهالي الجزائر على عاداتهم وعقائدهم وطرز معيشتهم كما هو معمول به عند الانجليز والهولنديين في مستعمراتهم، فهي أبسط الطرق وأقلها خساراً وأعلاها حكمةً..." [2]، ويضيف الأمير أن الرأي العام في فرنسا ضد هذا الأسلوب، والسبب الأساسي عدم معرفة الناس لأهمية الوضع الديني في الشرق، وأن الحياة عند أتباع محمد ﷺ كما عند أتباع سيوا معبود الهنود، وأتباع بوذا معبود الصينيين، فهي تتماشى وفق أوامر دينية، لذا فإن الإنجليز لا يبيدون وطناً من أجل مبدأ حياة[3].

وتتجلى اهتمامات أرسلان بالمسألة ا لجزائرية في استمراره الردّ على كتابات الفرنسيين حول افتراءاتهم المتواصلة عن البلاد الجزائرية، من خلال كتابته لمقال تحت عنوان :" لا نريد الاستيلاء على الجزائر"، كتبه ردّاً على جريدة "الجورنال دي ديبا" الفرنسية التي نشرت صورة للمنشور الذي وُزّع على الجزائريين عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة **1830**م، حيث يذكر أن الدول الاستعمارية الأوروبية كلها تنقض العهود خاصة إذا تعلّق الأمر بغير الأوروبيين، ثم يذكر ما كُتب على ذلك المنشور من وعود وذمّ للأتراك وأهداف الفرنسيين في الجزائر وما يلي تلك العهود من قتل وإبادات وترويع، وتهجير....[4].

ثم يضيف أن العبارات نفسها كتبها نابليون للمصريين قبل احتلاله لمصر، وأضاف نابليون كلمات الحمد لله والاتكال على النبيّ، كذلك منشور إنجلترا للهند، والقصاصات البريطانية التي ألقتها طائراتها على

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص183.

(2) المصدر نفسه، ص ص 183، 184.

(3) المصدر نفسه.

(4) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر** ، **ص ص** 55، 56.

عرب فلسطين فترة الاحتلال، ووعودها باستقلال الشام وتأسيس المملكة العربية العتيدة، وليس فيها أقل إشارة للوطن القومي اليهودي، كذلك المنشور الذي أذيع على العراقيين حين الاستيلاء على بغداد، حيث أخبرهم أن عهد العباسيين سوف يُبعث من جديد، كذلك المنشور الفرنسي الإنجليزي الذي سُلم للسوريين سنة **1918**م حيث تضمّن عبارات المحبة والسعادة، فيرى الأمير أن الدول الأوروبية الاستعمارية تنسخ مناشيرها عن صيغة واحدة أصلية محفوظة ترجع إليها حين تحتاجها[1].

أما فيما يخص الشأن القانوني فقد أصدرت السلطات الفرنسية ترسانة من القوانين الجائرة، عملت على فرنسة الجزائر على مراحل، وقد تطرّق أمير البيان إلى أهم تلك القوانين، حيث ذكر أنّ السلطات الفرنسية قامت بتقسيم الجزائر إلى ثلاث مقاطعات أو عمالات هي (الجزائر ،وهران ،و قسنطينة) وجعل لكل مقاطعة إقليم مدني وآخر عسكري ومنطقة وسطى تسمى بالمنطقة الممتزجة[2]، هذا التقسيم مُنافي نوعاً ما إلى ما ذهب إليه المؤرخون الجزائريون، حيث ذكر يحي بوعزيز أن قرار التقسيم كان في أفريل من سنة **1845**م بعد إلحاق الجزائر بفرنسا، بحيث قُسمت الجزائر إلى ثلاثة مناطق،

1 - المنطقة الأولى مدنية تخضع للإدارة المدنية وتشمل المدن والقرى الساحلية التي يكثر فيها العنصر الأوروبي.

2 - أما المنطقة المزدوجة فيقل فيها العنصر الأوروبي، حيث يخضع الأوروبيون للحكم المدني والأهالي للحكم العسكري.

3 - والمنطقة الثالثة عسكرية لأنها لا تحوي العنصر الأوروبي إطلاقاً، وتشمل الهضاب العليا والصحراء ويخضع فيها الأهلي للحكم العسكري المطلق[3].

ثم أصدرت الحكومة الفرنسية بتاريخ **1846**م مرسوماً بموجبه تُعتبر الجزائر أرضاً فرنسية، يتم حكمها بطريقة مباشرة، حيث ذكر الأمير أنّ هذا التاريخ يصطلح عليه من طرف الجزائريين بتاريخ حكم السيف [4]، أي المرحلة العسكرية.

---

(1) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر** ، ص 56.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 30.

(3) يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، جويلية 1983م، ص13.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص31.

وفي شهر مارس من سنة **1848**م أصدرت السلطات الفرنسية مرسوماً بموجبه تُعتبر الجزائر جزءًا لا يتجزّأ من فرنسا، وهو تكملة للقانون المذكور آنفاً، وعلى إثر هذا المرسوم وبعد سنة واحدة ثار أحد قادة الأمير عبد القادر السابقين وهو أبو زيان في واحة الزعاطشة كما ذكرنا سلفاً، وعاد القتال في الصحاري الجزائرية، لتتركّز المعارك في ضواحي منطقة بسكرة أواسط الجزائر، وخلّفت الثورة كما كتبنا سابقاً قطع رؤوس القائد أبي زيان وأولاده[1].

وقد أورد الأمير معلومات حول زيارة الإمبراطور نابليون الثالث إلى الجزائر في مدونته وكيف كان يخاطب الجزائريين لإخضاعهم عبر المداهنة والمداراة، حيث ذكر مقطعاً من خطبته الشهيرة التي ألقاها في هذه الزيارة حيث قال :"...إنّني أعُدّ نفسي إمبراطور فرنسا كما أنّني إمبراطور العرب الفرنسيس، وكلهم في نظري متساوون..."[2]، لكن أمير البيان لم يعلّق على ما جاء في فحوى هذا الخطاب بل اكتفى بسرد مضمون الخبر فقط.

وكخدمة لمشروع الاستيطان في الجزائر أصدرت السلطات الفرنسية مرسوماً سنة **1875**م، بمقتضاه جرّدت القاضي الشرعي الجزائري من اختصاصه في القضايا العقارية ما عدا مسائل الميراث والوصايا [3]، وهذا لتسهيل عملية نقل الملكية العقارية للأوروبيين، وستصدر الحكومة الفرنسية سلسلة قوانين أخرى تُحاصر من خلالها المواطن الجزائري[4] ليرضخ أمام الأمر الواقع وتُصادر ممتلكاته بشكل قانوني.

وفي هذا الصدد قامت السلطات الفرنسية في سنة **1886**م بإصدار قانونٍ بموجبه خوّلت للقاضي الفرنسي الحكم بين المسلمين في الحالات التالية :

- في حالة ما إذا لم يوجد نص صريح في الفقه الإسلامي لتطبيقه.
- في كل حالة ينص فيها القانون على تطبيق الفقه الإسلامي ولكن لا ينصّ على اختصاص القاضي الشرعي الجزائري[5].

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص33.

(2) المصدر نفسه، ص40.

(3) المصدر نفسه، ص 44.

(4) يسرد أمير البيان قصة في هذا الشأن حيث يقول أنه تمّ قتل أوروبي في مدينة الجزائر من طرف أوروبي آخر، إلاّ أنّ القاضي حكم عليه بالبراءة والسبب في حجة القاتل الذي قال أنّه كان يظنّ المقتول عربي جزائري، وكأنّ قتل العربي جائز في قانون الفرنسيين ولا يستحق القصاص. أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص62.

(5) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص55.

وهذه تكملة لما جاء في قانون سنة **1875**م الذي فقد من خلاله القاضي الشرعي الجزائري حقوقه في الحكم في عديد المسائل القضائية، ومنحها للقضاة الفرنسيّين، تمهيدا لفرنسة القضاء في الجزائر نهائيّاً، وتيسير نقل الملكية العقارية عبر القضاة الفرنسيين للمستوطنين الأوروبيين.

ورغم إلغاء السلطات الفرنسية للحكم العسكري سنة **1879**م واستبداله بالحكم المدني إلا أنّ السّياسية المنتهجة بقيت كما هي [1]، مع العلم أن الحكم المدني بدأ بعد سقوط الإمبراطورية الثانية سنة **1870**م، وفي الجزائر كان أول حاكم عام مدني لها هو ألبير قريفي Albert Grévy[2]،حيث بدأ تسيير شؤون الجزائر الإدارية سنة **1879**م[3].

وفي هذا السياق ذكر أمير البيان أنه في سنة **1892**م قام الفرنسيون ببعض الإصلاحات الجزئية في الجزائر، حيث أسّسوا النيابات المالية على أن يكون ثلث أعضائها جزائريون، والثلثين من الفرنسيين [4]، وهذا كذلك إجحاف في حق الجزائريين، فإذا ما احتسبنا عدد المستوطنين الأوروبيين وما يقابله من عدد الأهالي الجزائريين في تلك الفترة فلا مجال للمقارنة، فكيف للأقلية تمثلها أغلبية في النيابات المالية، والعكس بالنسبة للجزائريين، فهم الأغلبية لكن تُمثلهم الأقلية.

وخلاصة ما أورده الأمير عن معاملة الفرنسيين للجزائريين قد أورده في كتابه "عروة الاتحاد بين أهل الجهاد"، قائلاً:"...وأمّا في الجزائر فلا يزال المسلمون يُعاملون كطبقة منحطّة لها قانون خاصّ بها يُسمّى L'indigenant، وهو يجعل المسلم غير مساوٍ حتّى للمالطي، ولا توجد طبقة أدنى من طبقة المسلم في الجزائر غير طبقة الحيوانات، مع أنّ مسلمي الجزائر أنبل شعوب الأرض..." [5]، حيث وصف الأمير واقع الجزائريين المرير بصدق، ونعتهم بأنبل الشعوب لمعرفته مدى تمسّكهم بوطنيتهم وحبّهم للحريّة.

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص47.

(2) ألبير قريفي Albert Grévy (1879-1881م) يعتبر أول حاكم مدني صرف في الجزائر، على يده تمّ إلغاء القسم الأكبر من الإدارة العسكرية، ثمّ أخضع منطقة التلّ إلى سلطة المحافظين ورؤساء البلديات الأوروبيين، ولم يبقى تحت السلطة العسكرية إلاّ حوالي نصف مليون نسمة، حيث وصل سنة 1881م عدد البلديات الكاملة الصلاحيات إلى 196 بلدية، و209 بلدية سنة 1884م و261 بلدية سنة 1900م، وتُمون هذه البلديات بالضرائب التي يدفعها الأهالي الفقراء الذين لا يستفيدون من خدماتها إطلاقاً. يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص31.

(3) يحي بوعزيز، المرجع نفسه.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص56.

(5) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص62.

أما في ما يخصّ قضيّة التجنيس في الجزائر وتتبّع الأمير في مدونته وفي باقي مؤلفاته لهذه المسألة، فقد تحدّث شكيب عن الممارسات الاستعمارية الفرنسية الدنيئة، حيث ذكر في مدونته أنّ السلطات الفرنسية أصدرت عدّة قوانين لصالح الجزائريين في ظاهر الأمر.

وكان أولى تلك القوانين لّما أصدرت السلطة الفرنسية سنة **1866**م[1] قانونها الخاص بالسماح للجزائريين انتخاب أعضاء المجالس البلدية[2]، ذكر أمير البيان المعلومة في شكل خبر دون التطرق لتفاصيل هذه الإجراءات التي تُعتبر مجرد ذرٌّ الرماد في العيون أو التمهيد لفرنسة الجزائريين، عبر منح بعض الإصلاحات مقابل التخلي عن رموز الهوية الوطنية، أو التجنيس مقابل شروط مجحفة، لا تُتاح إلاّ لقلّة وُصفت هذه الفئة بالموالية أو الخائنة أو المرتدة.

وفي المقابل أعطت السلطات الفرنسية سنة **1888**م الحق للمستوطنين الأوروبيين في الجزائر حق انتخاب المجالس في فرنسا[3]، وهذا اعتراف صريح بمنح حق المواطنة للمعمرين الأوروبيين في الجزائر، أي أنهم اكتسبوا كل الحقوق التي يتمتع بها الفرنسي في فرنسا، في حين لم يصل الجزائري إلى المستوى الأدنى من الحقوق السياسية والتي تمرّ عبر منح الجنسية الفرنسية [4] أولاً ثم حقوق الانتخاب والترشّح وباقي ما يتمتع به المواطن العادي من حقوق مدنية تجعل منه يرقى إلى مستوى المواطن.

---

(1) القانون الذي أصدرته السلطات الفرنسية في الجزائر وفي هذا التاريخ، يتعلق بقضية المواطنة والجنسية الفرنسية هو قانون سيناتوس كونسيلت الذي صدر في 14 جويلية 1865م، والراجح أن أمير البيان قد أخطأ تاريخه، ويتحدث سعد الله في هذا الشأن حيث يذكر أن القانون المذكور يميّز بين نوعين من الجزائريين: الرعايا : وهم الذين حافظوا على حالتهم الشخصية كمسلمين وبقوا يعيشون بالقانون الإسلامي، والنوع الثاني هم المواطنون : وهم الذين تخلوا عن حالتهم الشخصية ودخلوا تحت أحكام القانون الفرنسي، والجدير بالذكر أن النوع الأول وهم الرعايا ليس لهم الحقّ في الحقوق المدنية والسياسية، أما المواطنون من القسم الثاني فكانوا يتمتعون بكل الحقوق لأنهم كانوا مواطنين فرنسيين، ثم يضيف سعد الله أن شرط التخلي عن الحالة الشخصية كمسلمين المتعلق بالحصول على الجنسية الفرنسية هو السبب في رفض الجزائريون بأن يصبحوا مواطنين ورضوا أن يبقوا رعايا. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص272.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 41.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص 55.

(4) وفي ذات السياق يعرّف الأستاذ نور الدين ثنيو "الإدماج" ويذكر الفرق بينه وبين والمواطنة من زاوية السلطة الفرنسية، وكذا رأي الشبان الجزائريون، فيقول أنّ أحد مقتضيات الاندماج كما طرحتها التشريعات الفرنسية ونصّت عليها قوانين السلطة الفرنسية في الجزائر هي الحصول على الجنسية الفرنسية، والتي تُعدّ بدورها مقدمة للتمتّع بحقوق المواطنة عندما تعني الحقوق والحريات العامة المقررة في الدستور وقوانين فرنسا، لكن المسألة كما يراها الشبان الجزائريون فطلب الجنسية الفرنسية ليس بالضرورة الاندماج المطلق في البوتقة الفرنسية ومحو جميع الأصول والملامح الشخصية، ودليلهم على ذلك أن البعض منهم تحصّل على الجنسية وتزوّج بامرأة فرنسية لكنه لم يتنكر للدين الإسلامي ولا لتقاليد مجتمعه، بل صار من أكثر المطالبين بها، بعدما تقدّم خطوة نحو تحقيق البعض من حقوقه المدنية.

وفي الشأن نفسه ذكر أمير البيان أن الحكومة الفرنسية أصدرت قانوناً سنة **1919**م سمحت من خلاله لفئة من مسلمي الجزائر التخلي عن جنسيتهم الجزائرية [1]، هذا كما أورده أرسلان في مدونته، لكنه لم يوضّح ما معنى فقدان الجزائري لجنسيته الجزائرية في حين أنّه فقدها مباشرة بعد احتلال الجزائر سنة **1830**م، وبعد إصدار ترسانة من القوانين التي تُلغي الجزائري وحقوقه في وطنه، لذا كان الأجدر أن يقول التخلي عن عناصر الهويّة وبالأخص الدين وهذا ما جاء في إصلاحات الوزير جورج كليمنصو George Clemenceau[2].

ولاستكمال ما جاء في القانون السابق، أصدر مجلس النوّاب الفرنسي تشريعاً أساسياً في شهر فيفري من السنة نفسها أي في سنة **1919**م، من شأنه تنظيم الحقوق السياسية للجزائريين، لتمكينهم من الحصول على الجنسية الفرنسية في بعض الحالات الأكثر انفراجاً، ومنحهم حق اختيار نوابهم في المجالس البلدية [3]؛ وقد أورد الأمير هذا الخبر دون تعليق أو نقد، حيث بيّن أن الفرنسيين فتحوا مجال التجنيس للجزائريين في بعض الحالات القليلة فقط للشروط المجحفة لهذا الإجراء [4]، إضافةً إلى منحهم حق اختيار نواب المجالس البلدية دون إعطاء

ثم يضيف أن الحصول على الجنسية الفرنسية هو التكليف بمهمة خدمة الأهالي المسلمين بعدما توفر شرط الوظيفة العمومية، سواء كعضو في المجالس البلدية أو في مجال القضاء، فهي كذلك تحسين الوضع والمركز القانوني والسياسي، وهي الخروج من دائرة القوانين الاستثنائية نحو المجال الفرنسي العام. نور الدين ثنيو، " **الشبان الجزائريون، الجيل المؤسس للوعي السياسي الحديث في الجزائر**" ، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الملتقى الدولي الموسوم ب:(الاجيال الملتزمة والحركات الوطنية في القرن العشرين في البلدان المغاربية 25-26-27 أفريل2009) Générations engagées & mouvements nationaux Le XX^éme siècle au Magreb, Coordonné par Ouanassa SIARI-TENGOUR et Aissa KADRI, Edition CRASC, pp 46- 48.

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص94.

[2] **جورج كيلمنصو** (1841-1929م) سياسي ورجل دولة فرنسي معروف، بدأ حياته كطبيب وكان له ميل سياسي وله اهتمامات كثيرة بهذا الشأن، كان مناهض لسياسة نابليون الثالث، سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1865م، وعند عودته اشتهر بجرأته في نقد الحكومة الفرنسية، وكان له دور بارز في إسقاط النظام الإمبراطوري من خلال خطبه البليغة التي كان يلقيها في النوادي والمؤتمرات، وقد تقلد مناصب عدّة بداية بعضو في المجلس البلدي لبلدية باريس سنة 1871م، نائب لمجلس الشيوخ بين سنتي (1876-1914م) ثم وزير للداخلية فرئيساً للوزراء، ثم اعتزل السياسة سنة 1920م. الموقع الإلكتروني: الموسوعة العربية، الرابط: http://arab-ency.com.sy/ency/overview/9357/16. تاريخ الزيارة: 2023/02/10م، 21:25.

[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص96.

[4] أبرز النقاط التي احتواها قانون فيفري 1919م هي النقطة المتعلقة بقضية التجنيس، حيث وضعت السلطات الفرنسية عدة شروط تُعد عقبة لا يمكن اجتيازها تقريباً من طرف الجزائريين للحصول على الجنسية الفرنسية أبرزها:

- أن يكون عمر الشخص ما بين 21 و25 سنة مع الأولوية لمن يتمتع والده بالجنسية الفرنسية.
- أن لا تكون له سوابق عدلية ضد فرنسا أو جرد من حقوقه السياسية.
- أن يكون غير متزوج.
- حيازة بعض الممتلكات في المدن والأرياف.
- أن يكون موظفاً في الوظيف الفرنسي أو حاز على منحة التقاعد.

حق اختيار ممثلين لهم في مجلس النواب الفرنسي بباريس، والجدير بالذكر أن هذه القوانين جاءت في إطار إصلاحات سياسية واسعة تُمنح من خلالها بعض الحقوق السياسية للجزائريين بعد مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى.

ويذكر أمير البيان في هذا الشأن :"...فإنهم متّعوا ليس الفرنساوي فقط بل الإيطالي والإسبانيولي، بل اليهودي والمالطي، بحقوق لم يسمحوا بها للجزائري المسلم، وجعلوا المسلمين هم الطبقة الدنيا في السياسة والإدارة والاجتماع وكل شيء...وقصروا إمتاعهم بالحقوق التي يتمتع بها كل الخلق من سواهم على تجنسهم بالجنسية الفرنساوية، وقبولهم القانون الفرنساوي الذي يصادم الشريعة...." [1]، حيث بيّن الأمير السياسة المزدوجة التي كانت تُعامل بها السلطات الفرنسية الأهالي الجزائريين، وكيف أنها تمنح المنح والعطايا والحقوق لكل الشعوب دون سواهم، وحينما أرادت منحهم البعض من تلك الحقوق اشترطت عليهم تخليهم عن رموز هويتهم.

وبعد تعيين الحكومة الفرنسية السيد جورج جاك لوبا حاكماً عاماً للجزائر في **21** سبتمبر **1935**م[2]، أعطت في السابع عشر من شهر جويلية **1936**م[3] تعليمات للحاكم العام الفرنسي الجديد في الجزائر، تتعلق بمنح الجنسية الفرنسية للرعايا الجزائريين [4]، و لم يحدد الأمير من المقصود بهذا القانون، هل كلّ الجزائريين لهم الحق في كسب الجنسية الفرنسية؟ هل هو مشروع قانون لم يُرسّم بعد؟ أو مجرد فقاعات إعلامية لإسكات الأقلام الجزائرية المطالبة بحقوق المواطنة.

وأغلب الظنّ يُدرج هذا القانون ضمن مشروع موريس فيولييت [5]، والذي تبنّاه رئيس الحكومة للجبهة الشعبية ليون بلوم، حيث عُرف بمشروع"بلوم فيولييت"، والذي جاء بعد المخرجات التي خرج بها المؤتمر

– يحسن اللغة الفرنسية وشغل على منصب انتخابي أو متحصلا على وسام الشرف إضافة إلى عمله في الجيش الفرنسي. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص ص 272، 273. ياسين حمودة، **"إصلاحات سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر فبراير 1919م"**، مجلة القرطاس، العدد الرابع، جانفي 2017م، ص 219.

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص178.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص233.

[3] وقد أشار أمير البيان تفاصيل مشروع الحاكم العام حول إصلاحات المشروع الذي عُرف بمشروع "بلوم فيوليت" وكيف أنه اقترح منح المسلمين الجزائريين مقاعد ضمن البرلمان الفرنسي وينتخبهم 150 ألف جزائري كقاعدة انتخابية لهم. أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص63.

[4] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص242.

[5] موريس فيوليت Maurice Viollette ولد في الثالث من سبتمبر من سنة 1870م ، درس الحقوق، وعمل في مجال تخصصه، عُيّن في نقابة المحامين، تقلد عديد المناصب، نائب في البرلمان الفرنسي سنة 1902م، ثم عضو في مجلس الشيوخ الفرنسي سنة 1906م كما اعتلى منصب

الإسلامي ومطالب نادى بها المؤتمرون في السابع جوان من سنة **1936**م، حيث جمع هذا المؤتمر فدرالية المنتخبين وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين [1]، والحزب الشيوعي الجزائري، حيث طالبوا بإصلاحات سياسية أهمها منح جميع حقوق المواطنة للجزائريين المسلمين مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية، ولتحقيق ذلك على السلطات منحهم الجنسية الفرنسية دون التخلي عن الهوية الإسلامية، رغم أن جمعية العلماء كانت أشدّ المعارضين للتجنيس وبالأخص في حالة التخلي عن هويتهم الدينية [2]، وكان لصحافة الجمعية مساعي حثيثة لنبذ فعل التجنس عبر الكثير من المقالات على غرار المقال المعنون ب"المتجنسون المساكين عن (جريدة الصّوت الأهلي)"[3]، ضمن مجلة الشهاب لسان حال الحركة الإصلاحية.

إلاّ أنّ هذا المشروع المعلن عنه لم يُصادق عليه لسبب أساسي وهو نشاط اللوبي الجزائري الممثل في قوة الضغط للمستوطنين الجزائريين، رغم أن وصول الجبهة الشعبية للحكم جعل الجزائريين يعلقون عليها آمالاً كبيرة كما قال الإبراهيمي:"... وأن أحزاباً كثيرة قامت في فرنسا فلم يرى منها الجزائري خيراً ولا رحمة...ولكن ظهور الجبهة الشعبية جعل الجزائريين يُعلقون عليها آملاً عراضاً ويضعون فيها ثقتهم..."[4].

ويقول سعد الله بأنّ هذا المشروع لا يخرج عن تنفيذ خطة دمج الجزائر في فرنسا بصورة تدريجية، وفي المقابل عند ظهور بوادر مناقشات المشروع في أروقة مجلس النواب الفرنسي، بدأ المعارضون في التحرك، وبالأخص معمري الجزائر سادة البلاد الحقيقيين، حيث تجمع في مدينة الجزائر بتاريخ **14** جانفي **1937**م حوالي **300** شيخ بلدية، حيث صادقوا على لائحة موقّعين عليها استقالتهم الجماعية، وعارضوا المشروع

رئيس بلدية درو Dreux ثم نائب لرئيس الغرفة البرلمانية ما بين 1914م و1917م ، كما تقلد منصب الحاكم العام بالجزائر بين سنتي 1925م و1927م، ثم وزير دولة مكلف بشؤون الأهالي في حكومة "ليون بلوم". خميسة مدور، **"مشروع بلوم–فيوليت: إصلاحات ضائعة بيت تماطل حكومة الجبهة الشعبية وسلطة اللوبي الجزائري (1936م– 1938م)"** مجلة المعارف للبحوث والدراسات، مجلة دورية دولية محكمة، المجلد 2، العدد7، ص 141. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/111/2/4/34699

[1] يقول شارل روبير أجرون في هذا الشأن أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ساندت المشروع من أجل طرح مبدأ:"أن المسلم الجزائري يجوز له التمتع بحقوق المواطن دون التخلي عن قانون أحواله الشخصية"، حيث أنها لم تكن على استعداد للانخداع، ويضيف أنهم كانوا يكرّروا دائما:"...أن المسلمين لن يبدلوا دينهم مقابل كل أموال الدنيا، أو بالأحرى ببعض الحقوق الهينة التي يعدهم إياها مشروع فيوليت..."، وقد أنشأت الجمعية لجنة الدفاع والحفاظ على قانون الأحوال الشخصية في فيفري 1938م قصد تنوير الرأي العام الجزائري والفرنسي. أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954م**، شركة دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2013، ص728.

[2] خميسة مدور، المرجع نفسه، ص ص118، 119.

[3] عبد الحميد ابن باديس، **"المتجنسون المساكين(الصوت الأهلي)"** ، مجلة الشهاب، عدد أكتوبر 1930، الجزء8، المجلد6، ص ص 575-577.

[4] الشهاب، جويلية 1936م ص ص196- 197. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص28.

واتهموا مؤيديه بالخيانة، إضافةً إلى الضغط الداخلي في فرنسا فقد قررت الجبهة الشعبية عدم تحمل مسؤولية سقوط الإمبراطورية الفرنسية على يدهم[1].

وفي خضم النشاط السياسي المتزايد لتيارات الحركة الوطنية الجزائرية وبعد نجاح فعاليات المؤتمر الإسلامي في الجزائر، اغتيل مفتي الجامع الكبير للجزائر الشيخ علي بن محمود بطعنة خنجر في ظهره وبالضبط في الثاني من أوت **1936**م[2]، لم يعلق أمير البيان على هاته الحادثة، واكتفى بسرد الحدث فقط، والتي تُعدّ من بين المحطّات التي أرادت فرنسا من خلالها توريط أبرز قياديي جمعية العلماء وهو الشيخ الطيب العقبي الرجل الثاني في الجمعية[3]، من خلال اتهامه بتلك الجريمة، إضافةً إلى أنّ الأمير أخطأ في اسم المفتي الذي أورده في خبر اغتياله وهو محمود كحول وليس علي بن محمود.

وقد أورد سعد الله هذا الخبر في عدة مواضع من مؤلفاته، حيث ذكر أن شخصاً يُدعى عُكاشة قام بقتل المفتي محمود كحول المدعو ابن دالي الذي كان من المعارضين للمؤتمر الإسلامي ومن الموالين المخلصين لفرنسا، وقد ادّعى القاتل أن الشيخ الطيب العقبي هو من حرّضه على فعل أمر القتل، فقامت مصالح الأمن الفرنسية باعتقال الشيخ العقبي وأحد أنصار الجمعية وهو السيد عباس التركي، والقصد من ذلك القضاء على سمعة العقبي وبالتالي إنهاء نشاطه الإصلاحي في مدينة الجزائر، وتشويه سمعة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي شهر جوان من سنة **1939**م أطلقت السلطات الفرنسية سراح المتهمين[4].

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبالضبط في **11** أكتوبر **1940**م، ألغت حكومة فيشي الفرنسية قانون كريميو Cremieux[5] الصادر والمطبّق منذ سبعين سنة، والذي كان لصالح اليهود في الجزائر حيث

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م**، ج3، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، ط4(منقحة)، 1992م، ص ص29- 30.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص242.

(3) يقول مصالي الحاج في مذكراته :"...إن اغتيال المفتي كحول في يوم التجمع نفسه(02 أوت 1936م) قد أدهش كثيراً الجزائريين، فقد رأوا في هذه المؤامرة يد الاستعمار، وإن إيقاف الشيخ الطيب العقبي أحد الزعماء الثلاثة الكبار لجمعية العلماء قد كانت بمثابة الدليل على ذلك..."، وهو تحليل جد منطقي حيث ذكر مصالي في موضع آخر أن اعتقال العقبي كان بعد التجمع مباشرةً، أي أن الأمر كان مخططاً له مسبقاً، أولاً حادثة الاغتيال يوم التجمع، والاعتقال بعده مباشرة دون التحري على الفاعل أو التريث لجمع المعلومات والتأكد ثم الأمر بالإعتقال، أضف إلى ذلك أنه تم تبرئته بعد ثلاث سنوات من الاعتقال (جوان 1939م)، أي اعتقل هذه المدة لإبعاده عن الحياة السياسية وعرقلة نشاط الجمعية.

(4) سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص ص54، 55.

(5) يقول المؤرخ شارل أندري جوليان أن الوزير كريميو اليهودي الديانة سافر إلى الجزائر 17 مرّة استطاع من خلالها تحقيق هدفه الذي سطره منذ 12 سنة خلت، ورغم أن قانون مجلس الشيوخ سنة 1865م قد أجاز تجنسهم بصفة فردية إلا أن معظمهم بقي مرتبط بتعاليم اليهودية، حيث بلغ

يتساوى اليهود مع الفرنسيين، وبعد منحهم الجنسية الفرنسية، وقد أُعيد العمل به في **15** ديسمبر **1943**م من قبل الضبّاط الفرنسيين التابعين للجنرال شارل ديغول [1]، وفي ذات السياق نشرت الجريدة الرسمية الجزائرية في **20** فيفري من سنة **1942**م قانوناً بموجبه يُجرّد المواليد الجزائريين من فئة اليهود، وضعهم الخاص الذي مُنح لهم من طرف السلطات الفرنسية في الجزائر سنة **1870**م[2]، فهذه الإجراءات امتداد للمشروع الألماني النازي والخاص بتهميش فئة اليهود والتضييق عليهم في أوروبا وخارجها، ومنعهم من الحصول على امتيازاتهم التي كانوا يتمتعون بها في الجزائر.

وقد قامت الحكومة الفرنسية الموالية لألمانيا بعديد الإجراءات في الجزائر، ففي السادس عشر من شهر جويلية سنة **1941**م عيّنت حكومة فيشي الجنرال الفرنسي مكسيم ويغان حاكماً عاماً على الجزائر [3]، وفي العشرين من شهر نوفمبر **1941**م طُرد هذا الجنرال من وظيفته، وعيّنت الجنرال إيفي شاتيل حاكمًا عامًا فرنسيًّا على الجزائر[4].

وبعد استرجاع السيطرة على الجزائر من قبل حكومة فرنسا الحرة من أيدي ممثلي حكومة فيشي، أعلن المفوض السامي الفرنسي هنري جيرو في السابع من مارس **1943**م أنّ جميع قرارات حكومة فيشي في جميع مناطق شمال إفريقيا ملغاة، بما فيها تلك القرارات المتعلقة بفئة اليهود [5]، حيث استرجع اليهود في الجزائر حقوقهم التي مُنحت لهم سواء عبر قانون كريميو أو من خلال مضامين القوانين الصادرة من قبل الحكومات المتعاقبة على حكم الجزائر، والتي فُقدت في بدايات الحرب العالمية الثانية.

عدد طلبات التجنيس خلال 4 سنوات 144 من مجموع 37 ألف يهودي، أي 25 يهودي من 12000 في مقاطعة الجزائر، و77 من 15000 في وهران، و42 من 10000 في مقاطعة قسنطينة، إلا أن مرسوم كريميو الصادر في 24 أكتوبر 1870م أمر بتجنيس اليهود الجماعي، حيث ذكر يحي بوعزيز أنه وصل عدد المتجنسين اليهود إلى 38 ألف متجنس. شارل أندري جوليان، **تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1871م**، تر المعهد العربي العالي 2008، شركة دار الأمة، الجزائر، 2013، المجلد1، ص762. يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص30.

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص294.

(2) أرسلان، المصدر فسه، ص315.

(3) المصدر نفسه، ص307.

(4) المصدر نفسه، ص311.

(5) المصدر نفسه، ص323.

ثم أشار أمير البيان إلى إصلاحات مارس **1944**م[1]، حيث ذكر في مدونته أن السلطات الفرنسية في السابع من مارس قد أصدرت تشريعاً ألحقت فيه جميع الجزائريين بجنسية الدولة المحتلة، حيث يقضي هذا القانون بأن يكون الجزائريون مواطنين فرنسيّين[2]؛ والملاحظ أن أمير البيان لم يتحرى عن المعلومة بشكل كافي وقد أخطأ في نقل بعض جزئياتها، بحيث أن هذا القانون قد أُعلن عنه من طرف الجنرال شارل ديغول في الثاني عشر من ديسمبر **1943**م خلال خطاب له في مدينة قسنطينة، معلناً عن الشروع في إصلاحات واسعة تشمل عدة قطاعات، منها المنح الفوري للجنسية الفرنسية لعدّة آلاف من الجزائريين بدون اشتراط التخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية [3]، وقد عبّر الأمير خالد في عدّة مناسبات أنه يرفض التجنيس، وأنّ الإدارة الفرنسية لن تمنح الجنسية الجماعية للمسلمين، لأنها ببساطة واقعة تحت ضغط المستوطنين، وخشيتها من ذوبان الأقلية الأوروبية ضمن خمسة ملايين أهلي جزائري[4].

ولابد من التأكيد على أن أمير البيان لم يطّلع على بنود هذه الإصلاحات، أو المغزى من الإعلان الفرنسي على هذا المشروع قبل نهاية الحرب بحوالي سنة، ولماذا في هذا الوقت بالذات؟، ولقد فصّل المختصون في هذا الشأن بنود المشروع، حيث أن الأمير كتب بأن فرنسا أصدرت تشريعاً ألحقت فيه جميع الجزائريين بجنسية الدولة المحتلة، إلاّ أن البند الثالث من مشروع الإصلاحات فصّل من هي الفئات [5] التي بإمكانها

---

(1) ارتكزت هذه الإصلاحات على أهم نقطة وهي قانون منح المواطنة الفرنسية لبعض الجزائريين، والقانون مؤرخ في السابع من مارس سنة 1944م وأعلنت عنه اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني برئاسة الجنرال ديغول، وهذا القانون أصدر باللغة الإنجليزية عن نشرة (فرنسا الحرة)، ويتضمن هذا القانون سبعة مواد، تتحدث المادة الأولى عن حقوق المواطنة للمسلمين الفرنسيين في الجزائر، والثانية عن تطبيق القانون على الفرنسيين والجزائريين دون تمييز، ثم تحدد المادة الثالثة من هي الفئات التي تستفيد من حق المواطنة الفرنسية، والمادة الرابعة تتحدث حول إمكانية استفادة الفئات المتبقية من حقوق المواطنة بعدما يقرر المجلس الوطني التأسيسي ذلك.....سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص275.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص336.

(3) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص218.

(4) مولود قرين، **"الحركة الخالدية بين الدعوة إلى الإصلاح والبعد الاستقلالي (دراسة تحليلية نقدية في أدبيات الأمير خالد"** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد13، العدد1، 2022م، ص466. رابط المقال من المنصة الإلكترونية للمجلات العلمية: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/503/13/1/179960 تاريخ الزيارة :2022/07/17 23:52.

(5) ذكر سعد الله أن الفئات التي كانت تنوي الإدارة الفرنسية منحها الجنسية الفرنسية (قدماء الحاربين الحاصلين على شهادة من مدرسة فرنسية معترف بها(مع وضع قائمة للمدارس المعترف بها)، والموظفون المدنيون من طرف الدولة أو الولاية أو البلدية، وأعضاء الغرفة التجارية و الفلاحية، والعاملون في وظائف دائمة، والباش اغاوات والقياد، والأشخاص الذين مارسوا أو يمارسون وظائف انتخابية في المجالس المالية أو الاستشارية أو البلدية، وحاملوا أوسمة الشرف، أو القلادات الرسمية، وأعضاء مجالس اتحاد العمال المعترف بها(عملوا بها مدة ثلاث سنوات على الأقل)، والهيئة الإدارية من عمال وفلاحين للجمعية الأهلية الخيرية وفروعها، ثم يأتي نص البند الرابع ليقضي بحصول جزائريين آخرين على الجنسية الفرنسية وأن المجلس التأسيسي الفرنسي المنتظر سيضع إجراءات لهؤلاء. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص ص219، 220.

الحصول على الجنسية الفرنسية في الجزائر [1]، ويصفها فرحات عباس بالمتأخرة جدّاً، أمّا الوطنيّون فقد استقبلوا خطاب ديغول بسخريّة ومرارة، فلم تصدّق الجماهير الوعود الجديدة إلا ما ندر منهم في بعض المدن [2].

وبطبيعة الحال فإن سياسة الإدماج ترتبط أساساً بقضية التنصير، فلا إدماج ولا فرنسة إلا عبر تنصير الأهالي الجزائريين، وقد قدّمت السلطات الفرنسية منذ الاحتلال جميع التّسهيلات للبعثات الدينية المسيحية، وأقرّت بعديد القوانين التي تصبّ في مصلحة التبشير المسيحي، وقد كانت لأمير البيان اهتمامات بهذا الشأن وقد عبّر عن آرائه في مؤلفاته مُعلّقاً على آراء رجال الدين والمستشرقين.

2-2 موقف شكيب أرسلان من سياسة فرنسا التنصيرية (التبشير):

يذكر الأستاذ الشرباصي ضمن إحدى الرسائل التي بعث بها الأمير إلى السيد رشيد رضا، مؤرخة في التاسع من أفريل من سنة **1923**م، حيث يقول :"...نذكر أخبار كل بلد من بلدان المسلمين في الحال الحاضرة ليعلم المسلمون بعضهم بعضاً ويطّلعوا ما يُدسّ لهم ويُطبخ ...قرأت في الكتب المؤلفة على إفريقية-لأنني اشتريت أكثر من **100** مجلّد على أخبار المستعمرات-ما يعمله البلجيكيون في الكونغو والفرنسيس في النيجر والسنغال...هذا عدا مساعيهم في ذلك في جزائر الغرب، فليس الإسلام مهدّداً فقط بل العربية- ولعمري هل يعيش هذا بدون هذه؟..." [3]، لذا اشتغل الأمير على تتبع أوضاع شعوب المستعمرات فتحدث عن الأخطار التي تحدق بها، وما تُحيكه سلطات الاحتلال الأوروبي، فاتصف بكثرة المطالعة والإطلاع على ما يفكر به ساسة الدول الأوروبية في المستعمرات، فنوّه على خطط الفرنسيين في الجزائر وما يهدّد الهويّة العربية الإسلامية.

كتب الأمير الكثير في هذا الشأن، حيث ذكر في تعليقاته حول حاضر العالم الإسلامي، أنه قد أسس من قبل الرهبان الفرنسيون خلال القرن الثاني عشر جمعية تحت اسم نظام الثالوثيين هدفها الأساسي منع الأسرى النصارى من دخول الإسلام، والعمل على منح الفدية مقابل إطلاق سراحهم، فبلغ عدد رحلاتهم نحو الجزائر**73** رحلة لفداء أسراهم، واستطاعوا فداء **12** ألف و **500** أسير، وفي الوقت نفسه حاولوا نشر تعاليم النصرانية في الجزائر لكن لم يستطيعوا إدخال مسلم واحد للمسيحية، فوقع بعضهم في مشاكل مع السلطة في

---

[1] سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص ص219، 220.

[2] شارل روبير أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، المجلد2، ص898.

[3] الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج2، ص641.

الجزائر، ومنهم من قُتل، أمثال أنطوان ريفولي، ودانيال بلفيدير، وريموند لول، هذا الأخير كان متضلّعاً في اللغة العربية، فقصد تونس وأخذ يناظر العلماء المسلم ين، ويقذف النّبي محمد عليه الصلاة والسلام، فألقوا به في السجن، ثم عفى عنه أمير تونس، فقصد الجزائر للتبشير، ثم جاء إلى بجاية أين ضاق ذرعهم به فقتلوه بتاريخ **21** جوان **1315**م؛ والخلاصة أن بلاد المغرب انتشرت فيها النصرانية بشكل معتبر عبر المعاهدات التجارية وحسن المعاملة[1]، لكن ليس لردّة أهلها المسلمين، بل بسبب هجرة النصارى الأوروبيين إلى مدن الساحل، والتسهيلات التجارية التي قُدمّت لهم، وتجنيدهم كمرتزقة في جيوش دول المغرب.

ومع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر بدأت السلطات الفرنسية تقديم التسهيلات لعمليات الاستيطان وتيسير عمل الجمعيات التبشيرية والإرساليات المسيحية بعد عمليات الحجز والمصادرة التي مسّت الأوقاف الإسلامية في الجزائر، مُنحت هذه الأخيرة إلى رجال الدين المسيحيين.

حيث يذكر شكيب أرسلان أنه بعد منح عديد الأوقاف الإسلامية إلى القساوسة والمبشرين قام أحد البرلمانيين الاشتراكيين الفرنسيين بمطالبة الوزارة بإلغاء مادة في القانون سنتها الحكومة الفرنسية سابقاً في الجزائر وهي :"تحرّم المكافئات العقارية على المسلمين إنْ لم يتنصّروا"، فوعدت الحكومة بإلغاء هاته المادة من القانون لكن دون جدوى، فوصف الأمير هذا القانون بالعجيب [2]، فالعجيب في سياسة السلطة الفرنسية هو ادعاؤها أنّها لائكية أي لا دينية، في حين تخدم المصالح الخاصة بالجمعيات التبشيرية وبالأخص الكاثوليكية التي بدت للعيان مظاهرها في كل الممارسات الفرنسية في شمال إفريقيا.

ويذكر أمير البيان أنّ الجزائر كانت قاعدة لنشر الدعوة الإسلامية والنزعة الثورية في إفريقيا السوداء، حيث ذكر أن النصارى دهشوا لّما علموا عن قضية إرسال معلمين جزائريين لتعليم العقائد الدينية في مدينتي جنة[3] وتمبكتو[4]، لذا من الطبيعي أنّ عمل المبشّرين في الجزائر سيكون صعبًا جدًّا.

وفي السياق نفسه، لا ينكر الفرنسيون أنّ بعض الطرق الصوفية أفادت فرنسا في الجزائر ومرّاكش وغرب إفريقية، ويرون أن الخطر الذي يهدد سياستهم التنصيرية هي الطرق الإسلامية التي مراكزها الأصلية في

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص 366.

(2) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص 99.

(3) جنّة مدينة تقع في السودان الغربي في الأراضي المالية حاليًا، تقع جنوب غرب مدينة تمبكتو على مسافة 300 كلم وعلى 160 كلم شمال شرق مدينتي سيغو وسيكورو ، وأول أوروبي دخل مدينة جنّة هو رجل فرنسي اسمه رينيه كاليه سنة 1828م.

(4) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء2، ص 318.

غير مناطق نفوذها وخارج مستعمراها على غرار السنوسية في طرابلس [1]، ثم يضيف الأمير أن الفرنسيين يروا أنّ الجزائر تجهل لغة المستعمر أي اللغة الفرنسية، وأنه من الواجب تعميم اللغة الفرنسية التي هي منبع المدنية الأوروبية، ولاستغنائهم عن العربي مصدر ثقافة أخرى[2]، وهي الثقافة العربية الإسلامية.

ثم يعقد أمير البيان بعض المقارنات بين سكان المغارب وشعوب غرب إفريقيا من حيث التدين، حيث يرى أنّ المسلم في غرب إفريقيا وبالأخص السنغالي بعيد عن التدين المشهود لدى الجزائري والمراكشي [3]، ثم يقول أن الضباط الفرنسيين في الجزائر مضطرّون لتعلم لغة جنودهم عكس الضباط في السنغال والنيجر يجهلون لغة جنودهم، بل الجنود هم الذين يتعلمون لغة ضباطهم[4].

وكان الفرنسيون يتجنبون تجميع المجندين الزنوج في جيشهم في الجزائر في كتائب معيّنة، ففي مدينة فليبفيل (سكيكدة) يربض الآلاي الخامس عشر السنغالي، الذي عدده **1709** جندي، يتضمّن **542** جندي مسلم، و **132** جندي مسيحي، و **1033** فتشيًّا[5]، فتسعى السلطات الفرنسية جاهدة لرفع عدد المسيحيين وهذا هدف المبشّرين والمؤسسات الخيرية[6].

ويضيف الأمير أنّ الراهبات في مستشفى لافيجري بمدينة بسكرة كُنّ يُربّين صغار السنغاليين، والحكومة الفرنسية كانت على الحياد في هذه المسألة [7]؛ وفي موضع آخر وفي تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي يذكر الأمير أن السلطات الفرنسية كانت تستهدف دور الأيتام والمدارس الدينية المسيحية لتجنيد الأطفال في الجيش الفرنسي [8]، واستدل بقول الكاردينال لافيجري مؤسس جمعيات التبشير في الجزائر حيث يقول :"...لا حاجة بنا إلى الدعوة لنفس الدين، بل الحاجة هي إلى التعليم والتمريض [9]، أي استغلال ظروف الجزائري المزرية وحاجته الملحّة لبثّ أفكارهم التنصيرية.

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء2، ص 320.

(2) المصدر نفسه، ص 321.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) الفتشيّة Fetishism: تعني عبادة أشياء في الديانات القديمة كالأصنام أو أشياء أخرى، لاعتقادهم بحضور الروح الإلهية، وتُعطى لها قوى سحريّة، كما في الديانات الطوطمية، ثمّ لاحقًا تم استخدام الكلمة في المجال الجنسي. الموقع الإلكتروني: الكلمة، الرابط: https://alkalimeh.com/view/question/243 ، تاريخ الزيارة: 2023/03/13، 15:20.

(6) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء2، ص323.

(7) أرسلان، المصدر نفسه.

(8) المصدر نفسه، ص 178.

(9) المصدر نفسه، ص 320.

والملاحظ كذلك أن الفرنسيين كانوا يقومون بتهريب أطفال السنغاليين إلى الجزائر وكذلك فعلوا مع أبناء الجزائر وباقي مستعمراتها، وغض الطرف عن هذا الفعل المشين من طرف الحكومة الفرنسية كان تزويد ما يحتاجه الجيش من عدد لا بأس به من المجنّدين الأفارقة ضمن الفيلق الأجنبي في الجيش الفرنسي.

وقد أعطى لنا أمير البيان قصّة من واقع الجزائر المحتلة، ارتبطت هذه القصة بشخصية الكاردينال لافيجري وقد استشهد الأمير بما قاله الفيلسوف غستاف لوبون بأن مساعي المبشرين المسيحيّين كانت عقيمة، وكيف أنّ عدد الذين نصّروهم هو قليل جداً بالقياس إلى الملايين التي بذلوها، وأن المتنصرين كانوا من الطبقات الدنيا، ثم يذكر قصّة الأربعة آلاف يتيم مسلم الذين ربّاهم الكاردينال لافيجري على تعاليم الديانة المسيحيّة، حيث نشؤوا في مكان منقطع عن المسلمين، لا علاقات، ولا زيارات، فتلقّوا تكوينهم المسيحي بكل ما تحمله الكلمة وعندما بلغوا الرشد عاد معظمهم إلى دين آبائهم الإسلام إلا النادر منهم[1].

ثم يستشهد الأمير بقول الحاج عبد الله الجزائري المقيم ببرلين من مقال نشره في مجلة العالم الإسلامي الألمانية حول نشاط جمعية الآباء البيض في الجزائر، والتي أسّسها الكاردينال لافيجري، حيث أُرسلوا إلى شمال إفريقيا عبر الجزائر، وكانوا يتخذون من اللباس الإسلامي كمنطلق لربط علاقاتهم بالعائلات، حيث يتوسلون بكل الوسائل لنشر دعوتهم، خاصة بين الناشئة المسلمين، معتمدين على عضد ونفوذ الحكومة الفرنسية[2].

وتُعتبر جمعية الآباء البيض هي آخر الرهبانيات التي أُسست في إفريقيا، والتي أسسها الكاردينال لافيجري مطران الجزائر سنة **1869**م، وقد خالفه في هذا المشروع المارشال ماكماهون، الذي كان يرى وجوب تجنّب الدخول في مسألة التنصير، لكي لا تحصل مشاكل للإدارة الفرنسية في الجزائر، أما لافيجيري فكان يرى عكس ذلك، ووجوب الامتزاج مع الاهالي ومحاولة جذبهم للنصارنية وإبعادهم عن عقيدة القرآن التي هي حائل بينهم وبين المسيحية، فكان الكاردينال مصرّا على مشروعه إلى أن تحقق له ذلك، ثم ألحقها برهبانية أخرى تحت مسمّى "الراهبات المبشّرات لسيدتنا العذراء"[3].

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء2 ، ص 187.

(2) المصدر نفسه، ص358، 359.

(3) المصدر نفسه، ص373.

ويذكر الأمير أن هذه الجمعيات لاقت نفوراً كبيرا لدى الجزائريين، فرفع العديد منهم الشكاوي للإدارة الفرنسية، وحتى من سكان المستعمرات الفرنسية الأخرى [1]، ومجال عمل جمعية الأباء البيض هي الجزائر وتونس، ثم الصحراء والسودان، وبلاد خط الإستواء الإفريقية[2].

وهناك مساعٍ حثيثة لجمعية أخرى تحت مسمّى الكنيسة الإنجليلية المتيودية الفرنسية في منطقة بلاد البربر في الجزائر، حيث بادر مبشر اسمه "جالا برت" عظيم الثبات والمهارة له فأنشأ مركزا في المتن Matheu، وآخر في القصور، والثالث في بجاية، واستطاع تنصير عدد من المسلمين لا سيما من أهل القبائل، حيث اتضح أنه ليس من الصعوبة تنصيرهم كما كانوا يظنون[3].

وتماشياً مع ما تمّ ذكره، يُعقّب الأمير على المستشرق الفرنسي روجر لابون القائل أنّه منذ أن خفق العلم الفرنسي فوق مرسى الجزائر، تكوّن بين هذه الأمّة وئام لم تعرفه من قبل، وفي موضع آخر يقول أن حكّام فرنسا في الجزائر كانوا مقصّرين في توريث نار الشقاق بين العرب والبربر، أي أنهم لم يحققوا هدف التفرقة بين عناصر المجتمع الجزائري، فيردّ الأمير أن الفرنسيين لم يقصّروا قط في نفث سمومهم، و لم يهملوا أية وسيلة لشحذ العداوة بين العرب والبربر، فالذي جمع بين البربر والعرب في الجزائر ليس إهمالهم بل رابطة الإسلام، ورابطة الظلم المحيط بكلى الفريقين[4].

ثم ينفى ما قاله المستشرق روجر لابون حول مسألة البربر غير المسلمين الذين وجدهم فرنسا لا يدينون بالإسلام والذين عددهم **800** ألف، فيقول الأمير :...فالإسلام دين البربر قاطبةً منذ أكثر من ألف سنة، واللسان العربي هم يعرفونه جميعاً إلا ما ندر من جهلائهم، وقد اجتهد عمال فرنسا كثيراً في فتنتهم في دينهم، ووفقوا إلى بعض ما قصدوه وذلك بأن أدخلوا عليهم الشكوك في عقائدهم، فأصبح بعضهم معطّلين أو ملحدين، ولكن لم يتمكّنوا من نقلهم من الإسلام إلى النصرانية..."، ثم يضيف أن بعضهم أي الفرنسيين أدركوا أنهم إذا تعرضوا للجزائريين في عقائدهم وشريعتهم سيزدادون نفوراً، فيظنّ المستشرق روجر لابون أن هؤلاء هم الذين يجب التنديد بإهمالهم وتقبيح أعمالهم، ويزعم أنهم عزّزوا الدين الإسلامي، فيردّ الأمير أنّه لا يوجد فرنسي على الأرض عزّز الإسلام أو سعى لنشره، بل هناك فئتان من الفرنسيين على حد تعبيره، الأولى

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء2 ، هامش الصفحة 373.

(2) المصدر نفسه، ص374 .

(3) المصدر نفسه، ص ص 390، 391.

(4) المصدر نفسه، ص ص340.

تتعرض للمسلمين الجزائريين في كل شيء حتى في دينهم، والثانية ترى تلك السياسة أنها لعب بالنار فتتوجس من خلفها الفتن والثورات، لذا لا ترغب هذه الفئة أن تتعرض لدين الجزائريين لكي لا تثيرهم ضد مصالحهم المادية[1]، والأصل في تجذّر الإسلام عند الجزائريين، لذا يذكر المؤرخ أندري جوليان أن السبب الأساسي في بطأ احتلال الجزائر هو المقاومة الشرسة التي يغذّيها الإسلام المتأصّل[2].

ثم ينفي الأمير ما جاء في رواية المستشرق روجر لابون حول القسيس العربي الذي جاء من سورية إلى الجزائر فصارت له مكانة عند الجزائريين، فقام الحكام الفرنسيين هناك بطرده خوفاً من تنصير الجزائريين، فيكذّب الأمير هذه القصة، وحتى وإن كانت صحيحة فقرار السلطة الفرنسية لا يصبّ في مصلحة الجزائريين المسلمين كما يدّعي المستشرق لابون، وممارسات الفرنسيين مع طوائف سوريا واضحة، تدل على مدى مكرهم وكيف كانوا يبثون سموم فتنهم[3].

ثم يستهزئ الأمير بأفكار رجال الاستعمار حيث يظنّون أنهم إذا استطاعوا تنصير المغاربة فيمكنهم تأمين تلك البلاد أبديًّا لصالحهم، ويكفيهم شرّ استقلالها كما صرّح روجر لابون بنفسه :"...لسنا في الجزائر كالإنجليز بمصر، إذ هم يعتمدون على أقلية قبطية..."، فيصفه الأمير بالوَاهِمْ، لأنّ الأمم المستعمرة ستطلب استقلالها سواء كانت مسلمة أو نصرانية وستأخذه، ولا يمنع ذلك اشتراك المستعمِر والمستعمَر في الدين، ثم أعطى أمثلة على ذلك، على غرار أقاليم إمبراطورية النمسا، كذلك الحبشة مع إنجلترا ثم مع إيطاليا، وإذا ما ركزنا على القبطيين في مصر فهم أشدّ تمسّكا بالاستقلال وجلاء الإنجليز عن المسلمين رغم أنّهم نصارى[4].

وعليه فيقول أمير البيان في ما يخص آراء المستشرق روجر لابون، أنّ أفكاره ليست آراء فرد مستقل بل هي آراء الحزب الغالب في فرنسا بدليل ما جاء به كتاب السيد بريفيه [5]، والأوامر الصادرة بشكل رسمي منه للمسؤولين المباشرين في النيجر، ففشلهم في تنصير المسلمين شمال إفريقيا وغربها جعلهم ينتقلون إلى أفكار أخرى تجسدت في إحياء عادات البربر المنافية للإسلام على غرار الظهير البربري في المغرب، وإحياء عقائد

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، مجلد1، الجزء2، ص ص 340، 341.

(2) شارل أندري جوليان، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ج1، ص457.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص ص 343، 344.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص351.

(5) هو حاكم مقاطعة النيجر المحتلة من طرف الفرنسيّين، ألّف كتاب تحت عنوان :" الإسلامية ضد الطبيعة، في السودان الفرنساوي Islamisme contre Neturalisme au Soudane Français.

الفيتيشيين في السنغال والنيجر ووضع الأحكام لها [1]، وهذا ليس حباً لتقاليدهم وعقائدهم بل هي الخيار الثاني والبديل بعد فشل التنصير هناك.

وقد عمل الفرنسيون ما بوسعهم للنفث في عامل الشقاق بين العرب والبربر في الجزائر وتركيزهم على منطقة القبائل، وقد استدل الأمير بما كتبه توفيق المدني [2] في "كتاب الجزائر"حول ما حدث لكبرى الجوامع في مدينة الجزائر بعد تحويلها إلى كنائس، وتسليم منطقة القبائل للرهبان الفرنسيس لبث أفكار وتعاليم الدين المسيحي عبر توظيف عامل التعليم والصحة ودُور اليتامى [3].

ورغم كل هذا، فإن أمير البيان قد قال في حقّ القساوسة والرهبان والدعاة إلى النصارنية:"... وإنّي لأحترم هؤلاء الرهط من كاثوليك وبروتستنت أشدّ الاحترام وأتمنّى أن يكون في الإسلام أن يقوم بعشر معشار ما يقوم به هؤلاء من التضحية في سبيل ملّته..."، وليس لشيءٍ إلا أنهم يخاطرون بحياتهم ويقتحمون المناطق الممتلئة بالأوبئة، ويرضون بشظف العيش رغم فراقهم لأهلهم وكلّ ما يعزّ للإنسان في حياته، كل هذا في سبيل نشر تعاليم دينهم [4]، هذا من وجهة نظر مختلفة، أمّا المتعلقة بالنظرة الاستعمارية فتلكم قضيّة أخرى، حيث لم تقف السلطات الفرنسية عند هذا الحد من الممارسات اللاإنسانية بل وظّفت العامل البشري في صد أعدائها ولخدمة مصالحها عبر التجنيد الإجباري بعد الطوعي، فكانت لأمير البيان مواقفه الخاصة وتعليقاته حول هذا الأمر.

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص 354.

[2] أحمد توفيق المدني (1899-1983م) جزائري الأصل وتونسي المولد والنشأة والتعليم والتكوين، درس بالزيتونة، كان من رموز الحركة الوطنية التونسية منذ الحرب العالمية الأولى، وعند تأسيس الحزب الدستوري التونسي وتكثيف نشاطه نُفي إلى الجزائر وكان ذلك سنة 1925م، ساهم بكتاباته في الصحف التونسية والجزائرية (مجلة إفريقيا، الشهاب...)، من مؤسسي ناد الترقي في الجزائر، فكان من نشطاء الحركة الوطنية الجزائرية وأبرزهم في الحقل الإصلاحي كان عضواً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثمّ أميناً عامّاً سنة 1953م، كان موفد الثورة إلى القاهرة، فوزيراً للشون الثقافية في الحكومة المؤقتة، ثم سفيراً بمصر، ووزيراً للأوقاف بعد الاستقلال، له عديد المؤلفات أهمها (تقويم المنصور، ومذكراته حياة كفاح وهذه هي الجزائر، وقرطاجنة في أربعة عصور)، والكثير من المقالات ضمن الجرائد المغربية التونسية والجزائرية والمشرقية. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين أمير البيان والشيخ الثعالبي**، هامش ص 88.

[3] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، ج3، ص ص 360- 361. أجرون، مرجع سابق، ص540.

[4] أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص57.

2-3 موقف أمير البيان من التجنيد الإجباري للشباب الجزائري:

كانت لأمير البيان إشارات عديدة حول مسألة التجنيد الإجباري في الجزائر، كقانون جائر أصدرته السلطات الفرنسية لاستغلال موارد الجزائر البشرية وخدمةً لمصالحها الاستعمارية، رغم أن التجنيد وُجد بوجود الاحتلال الفرنسي وبطرق مختلفة قبل إصدار قانونه الخاص.

ففي ثلاثينات القرن التاسع عشر ومنذ أن وطئ الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر، بادرت السلطات الفرنسية إلى تجنيد الأتراك والجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، خاصة وأنّ الأتراك والكراغلة كانوا شبه جاهزين للقتال للخبرة المكتسبة في عملهم كجنود في الجيش الإنكشاري في الجزائر، ولمواجهة قوات الأمير عبد القادر شكّل الضباط الفرنسيون كتائب الفرسان(الصباحية) من العرب وكان ذلك بدايةً من سنة **1842**م، وكان التجنيد طوعيًّا في شكل كتائب للمرتزقة، أضف إلى ذلك كتائب الزواوة الذين خدموا إلى جانب العثمانيين، وقد وصل عدد المجندين الأهالي طوعاً سنة **1848**م إلى **6600** من مجموع **87** ألف فرد تابع للجيش الفرنسي[1].

أمّا عن التّجنيد الإجباري فكان أولى مشاريعه في الجزائر من طرف الجنرال موليير Molliere[2] سنة **1845**م، حيث صرّح قائلاً :"...إنّ النزعة القتالية طبْع متأصّل في الشعب الجزائري، وبما أنّه سيظلّ على حالة همجيته لمدّة طويلة، فإنّ فرْض التجنيد يبني صفوفه..." وقد تمّ ذلك، وكان تطبيق أوّل مشروع خلال حرب القِرم[3]، ثم مشروع الجنرال مارتيمبري Martimpry[4] سنة **1864**م، وقد شاركت فرقة الرماة الجزائريين

---

(1) شارل أندري جوليان، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ص ص460- 470.

(2) هو بيير ألكسندر جون موليير " pierre Alexender Jean Molliere" ولد بأروليون سنة 1800م دخل الجيش الفرنسي وهو جندي إلى وصل إلى رتبة جنرال، شارك في عديد الحروب الفرنسية، وعدة حملات عسكرية في الجزائر، له كتاب حول التنظيم العسكري الفرنسي في الجزائر، وكان من المساهمين في إثراء موسوعة الجيش الفرنسي البري، توفي سنة 1850م. حميد آيت حبوش، **"قانون التجنيد الإجباري 1912م، دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه"** ، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد9، العدد2، سبتمبر 2008م، ص284. رابط المقال على المنصة الإلكترونية: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/281/9/2/64398

(3) يتحدث سعد الله في هذا الصدد فيذكر أن الكثير من الجزائريين تطوّعوا لهذه الحرب للدفاع عن الدولة العثمانية أو بالأحرى الدفاع عن الخلافة الإسلامية، وليس ولاءً لفرنسا التي كانوا بالأمس القريب أعداءً لها، ومن المتطوعين نجد عدد لا بأس به من قادة الأمير عبد القادر على غرار أحمد الطيب بن سالم خليفة الأمير على منطقة القبائل سابقاً، أضف إلى ذلك قدور بن رويلة كاتب الأمير، وكذلك بومعزة صاحب ثورة جبال الظهرة سنة 1845م، كان سجيناً بفرنسا وأطلق سراحه وحارب في القرم واستشهد هناك، وغيرهم من الرجال الذين جُنّدوا في الجزائر وفي المشرق. أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م**، ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص394.

(4) مارتيمبري Martimpry : هو قائد القوات العسكرية للجنرال دي برمون، وفي سنة 1839م كُلّف بقيادة مقاطعة وهران، ثم صار حاكماً عاماً للجزائر بالنيابة. حميد آيت حبوش، مرجع سابق، ص285.

في الحرب الفرنسية البروسية [1]، وقد فشلت عديد المشاريع المقترحة من قبل الضباط الفرنسيين لتجنيد الجزائريين إلى أن صدر قانون **1905**م القاضي بجعل مدّة الخدمة العسكرية للفرنسيين سنتين بدل خمس سنوات، ممّا نتج عنه تقلّص في أعداد مجندي الجيش الفرنسي، وفي سنة **1908**م اقترح السيد ميسيمي Messimy مسؤول ميزانية الحرب بطرح فكرة الخدمة العسكرية الإجبارية على الجزائريين، مقترحاً أن تكون المدّة ثلاث سنوات والاحتياط سبع سنوات [2]، وسن القانوني للتجنيد **19** سنة، مع السماح بمبدأ التعويض، إضافةً إلى تقديم المنح للمجندين عند نهاية الخدمة [3]، وفي زخم الأحداث الإقليمية والدولية أصدرت فرنسا قانونها الإجباري في الجزائر مع مطلع سنة **1912**م.

حيث ذكر أمير البيان في مدونته أن السلطات الفرنسية أصدرت قانونها الخاص بالتجنيد سنة **1911**م، مما تسبّب في هجرة جماعية غير مسبوقة في الجزائر بقناعة أنّهم لن يدخلوا الحروب تحت عَلم غير عَلم المؤمنين[4]، وبالفعل كانت هناك هجرات فردية وجماعية داخلية وخارجية كنتيجة لذلكم القانون الجائر.

وقد أورد أمير البيان في هذا الشأن أرقام المجنّدين المغاربة، في كتابه الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ الثعالبي بحيث أنّ فرنسا طافت على التونسيين والجزائريين والمرّاكشيين ويقولون لهم :"...هذه هي الحرب الأخيرة وهذه هي التي ستُحرّر بها الأمم وأنتم من الجملة فكونوا معنا حتى ندفع خطر ألمانيا، وبعد ذلك يكون لكم استقلالكم..."، ثم يضيف الأمير أنهم مازالوا يقولون هذه الكلمات للمسلمين طيلة فترة الحرب، فجنّدوا من تونس تسعين ألفاً، ومن الجزائر **260** ألفاً، ومن المغرب كذلك عدد لا يُستهان به، فقتل منهم **45** ألفاً من

---

[1] جرت هذه الحرب بين سنتي 1870م و1871م، وكان الصراع قائماً بين الإمبراطورية الفرنسية الثانية وولايات الاتحاد الألماني الشمالي بقيادة مملكة بروسيا، وكان السبب الطموح الألماني في الاتحاد والعكس بالنسبة للفرنسيين، أي تخوفهم من تحقيق ذلك، حيث في 17 جويلية 1870م صوّت البرلمان الفرنسي على إعلان الحرب مع حليفاتها الألمانية، وبدأ العمل العدائي الفرنسي بعد أيام، لكن القوات الألمانية البروسية هاجمت بشكل خاطف الشرق الفرنسي وتوالت الهزائم إلى معركة سيدان الشهيرة في الأول من سبتمبر 1870م والتي اعتقل على إثرها الإمبراطور نابليون الثالث وهزيمة ساحقة للجيش الفرنسي، فألغيت الإمبراطورية وقامت الجمهورية الفرنسية الثالثة، واستمرت الحرب خمسة أشهر أخرى مُنيت خلالها فرنسا بهزائم أخرى، وفي 18 جانفي 1871م أعلنت الولايات الألمانية عن اتحادها كإمبراطورية ألمانية تحت قيادة "غيوم الأول". ياسين زينون، **"الحرب الفرنسية الألمانية 1870-1871م من منظور جول ميشليه (jules michelet)"**، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشر، العدد 48، جوان 2020م، ص 187. رابط المقال : https://kan.journals.ekb.eg/article_168428_2bddc0ea1350d22778fec32cb22b6922.pdf.

[2] حميد آيت حبوش، المرجع نفسه، ص ص276- 279.

[3] حورية جيلالي ،**"التداعيات الاجتماعية لقانون التجنيد الإجباري لسنة 1912م على الأسرة الجزائرية"** ، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية، جامعة عين تيموشنت، المجلد5، جوان2021، ص ص431، 432. رابط المقال على المنصة الإلكترونية : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/539/5/1/152782

[4] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص68.

تونس، و**62** ألفاً من الجزائر، لكن غطرسة الفرنسيين جعلتهم ينسون ما كانوا قد تعهدوا به شعوب المغارب الثلاث[1]، ومن الواضح أن الفرنسيين لّما قالوا هذه هي الحرب الأخيرة كان الكلام موجّهًا للجزائريين الذين شاركوها معظم حروبها، عكس التونسيّين الذين خسروا أراضيهم أواخر القرن التاسع عشر فقط فلم يواكبوا حروب فرنسا، أمّا المراكشيين فكانوا حديثي العهد بالاحتلال.

وفي تعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامي ضمن مقالات الجزء الثاني، أتى الأمير على ذكر ما قدّمه الجزائريون في الحرب العامة كوقود لها وجزراً للسيوف كما وصف، حيث جنّدت فرنسا أكثر من مائتي ألف مقاتل، قُتل منهم نحو **62** ألفاً من المجنّدين، وقد جنّدت فرنسا هذا العدد الهائل بعد تملّق قادتها للأهالي الجزائريين، وبدّلوا جلود النمور بأصواف النعاج، وطافوا على البلاد الجزائرية، ويقولون :"...إنما هو وطنٌ واحد ندافع عنه جميعاً، حتى إذا فُزنا بما نرجوه قسّمنا حقوقه بالمساواة، بدون تمييز بين فرنساوي عن جزائري، ولا لمسيحي عن مسلم، وإنّ إدارة الجزائر سوف تكون شكلاً آخر، لا يشبه شيئاً ممّا كان إلى ذلك الحين، وأنّ المسلمين سيتمتعون بجميع الحقوق التي تتمتع بها الأمم المستقلة..." وأضاف أن فرنسا والحلفاء كانوا يمنحون الوعود جِزافاً على الأمم المهضومة الحقوق، ترغيباً للقتال إلى جانبها[2].

ثمّ شبّه هذا الفعل بما جرى في الجزيرة العربية لّما وُعد العرب بإعادة إحياء السلطنة العربية، وخلاصة ذلك أنّه لا حسيب لأفعالهم بعد نقض عهودهم، حيث يبذلون كل ما يجول في خواطرهم، ونسوا ما كانوا يُنادون به وهم يقولون :"... هلمّوا أيها الأقوام إلى القتال في جانب الحلفاء لنُصرة الحق على الباطل، وانفروا خفافاً وثقالاً لمكافحة هذه الأمّة الألمانية الغاشمة التي تريد أن تستعبد الأمم..." فيعلّق الأمير على شعاراتهم ونواياهم الحقيقية من هذه الحرب، فذكر أنه بعد الحرب لم يُرفع ظُلمٌ و لم تُأتى الأمم حقوقها[3].

ثم يضيف :"...فما زالت هذه المواعيد تُبذل، وتلك الألفاظ تتكرر وتُصقل، حتى استوسق للحلفاء النصر وانتهت الحرب، وقضى الأمر فقلب الحلفاء لتلك الأمم ظهر المَجِنّ [4]، وتناسوا جميع تلك الوعود،

---

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي**، ص36.

(2) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص ص176، 177.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص177.

(4) قلب له **ظهر المَجن**: أي انقلب ضده وعاداه بعد مودّة، وهنا أدار الحلفاء ظهورهم للشعوب التي كانوا قد وعدوها على غرار الجزائريين. من الموقع الإلكتروني: معجم المعان الجامع: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B8%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%86 تاريخ الزيارة : 2022/07/17م، 23:21.

ونكثوا بعامة جميع تلك العهود، وأدرك أولئك الأقوام الذين بذلوا أرواحهم في سبيل نصرتهم أن هذه النصرة كانت عليهم لا لهم، وأنهم إنّما أعانوا على أنفسهم، وشاركوا في تخريب بيوتهم بأيديهم..."، فذكر الأمير أن من جملة هذه الأمم أهل الجزائر، حيث ثارت خواطرهم وغلت قلوبهم، فذكروا فرنسا بوعودها وب **62** ألف قتيل الذين فدوها، فبادرت سلطاتها بمنحهم بعض الإصلاحات والحقوق قصد ذرّ الرماد في عيون المطالبين بالحقوق حيث أعطتهم حق الانتخاب، وحق التدرج في الرتب العسكرية، والتخفيف من وطأة الضرائب[1].

ويذكر في موضع آخر أن الفرنسيين منّوا على الجزائريين بإعطائهم حق الانتخابات سنة **1919**م وهو أدنى ما يمكن أن يُكافأ به قومٌ قدّموا أكثر من **300** ألف مقاتل في الحرب الكونية الأولى قُتل منهم حوالي **62** ألفاً[2]، وبدلاً أن تُساوي بينهم وبين اليهود والمالطيين في الحقوق، كان أقصى ما منحتهم من الحقوق حق الانتخاب على المجالس البلدية [3]، حتى حقّ الانتخاب مُنح لأقليّة قليلة بشروط شبه مستحيلة التحقيق، وقد أوردنا بعض نصوص هذه الإصلاحات في العناصر السابقة، والتي لم يُصادق عليها فيما بعد، لتبقى حبراً على ورق.

ورغم هذا فإن الجزائريين ردّوا على نقض العهود الفرنسية ونكثهم لوعودهم بعدم ترشيح أي سياسي موالي للسلطات الفرنسية في هذه الانتخابات التي كانت محطّة لبداية بروز الحركة الوطنية الجزائرية وبقوة جرّاء سوء السياسة الفرنسية تجاه الجزائريين [4]، يذكر الدكتور مولود قرين في هذا الصدد أن الأمير خالد شارك بقائمة انتخابية لا تضمّ أي متجنّس، ونشّط حملته بشعارات عدّة على غرار:"...إنّ الوطني الصادق لن يقبل صفة المواطن الفرنسي في قالب غير قالبه، وفي قانون غير قانون أحواله الشخصيّة..."، لذا نجحت قائمته، ثم في انتخابات المجالس الولائية، وبعدها في انتخابات المندوبيات المالية سنة **1920**م، وفي الانتخابات الفرعية رشّح الأمير خالد نفسه بإلحاح من أصدقائه، ففاز بأكثر من ألفي صوت ليفوز على منافسه محي الدين زروق مرشّح المخابرات الفرنسية[5].

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص177.

(2) في موضع آخر كتب المؤلف أن المجلة الفرنسية " L'afrique Française" نشرت عدد المشاركين في الحرب العالمية الأولى : وحصيلة القتلى والجرحى الجزائريين: الجنود المقاتلون: 177000، العمال: 75000، القتلى: 76000، الجرحى: 82000 . حميد آيت حبوش، مرجع سابق، ص279.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، ج3، ص330.

(4) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص337.

(5) مولود قرين، مرجع سابق، ص458.

في حين أن أمير البيان يصف هذه الإصلاحات باللاشيء، حيث أن هذه الحقوق لا تساوي شيئاً أمام ما كان الفرنسيون يمنّون به الجزائريون فترة الحرب، فيقول :"...ما هي إلا فك بعض حلقات من تلك السلسلة الطويلة التي هم راسفون بها منذ نحو قرن، لذلك قاموا يناصبون الفرنسيس الحرب المعنوية التي بدأت تتجلّى في الانتخابات والاجتماعات، وأخذت تمتد بينهم الحركة الفكرية النازعة إلى الاستقلال..." [1]، فتطرّق هنا الأمير إلى بوادر ظهور حركة وطنية واعية تجرّعت كأس الظلم والقهر والخداع الاستعماري، وجربته وسايرته بعد تقديم فاتورة باهظة فداءً للنفوذ الفرنسي، فخلّفت تلك الحرب مئات الآلاف من الضحايا، قتلى، وجرحى ويتامى وثكالى.

ويقول الأمير في الشأن نفسه أنه بعد الحرب وبعد الغضب الذي ساد بين الجزائريين، انتهز الحزب الشيوعي الفرنسي فرصة القنوط والغضب لنشر أفكاره الاشتراكية الشيوعية، فتلقى هذه الدعوة الكثير من عملتهم وصعاليكهم وكذا من المتموّلين منهم كما وصف الأمير، ويضيف أن الكثير رحب بأفكارها لا رغبةً فيها بل للتخفيف من وطأة السلطة الاستعمارية الحاكمة [2]، وصف شكيب أرسلان هنا أتباع الفكر الشيوعي بالعملة والصعاليك في الأولى، ثم يبرر في الثانية أنّ من تلقّى فكرها واعتنق أفكارها لا لشيء سوى الرغبة في رفع بعض الظّلم، وكسب بعض المصالح المحدودة، حيث يؤكد على أنّه لا يوجد من كانت قناعته راسخة وثابتة تجاه هذه الدعوة .

ثم أتى أرسلان على ذكر ما فعله عدد من النّواب الفرنسيين الأحرار في البرلمان الفرنسي، حيث طالبوا بإلغاء القانون الذي بمقتضاه تُمنح الهبات العقارية للأوروبيين واليهود والجزائريين الذين أبدوا استعدادهم للتنصر، والذي سنّته الجمهورية الفرنسية منذ نحو ثلاثين سنة والتي تدّعي المساواة بين الأديان، وهذا مقابل ما قدّمه الجزائريون من تضحيات في الحرب العالمية الأولى، وقد أجاب ممثل الحكومة بالموافقة على استهجانه لهذا القانون معلنا نيّة الحكومة الفرنسية بإلغائه، لا سيما بعد التضحيات الجسام في سبيل نصر فرنسا، إلاّ أنّ أمير البيان شكّك في تصريحات ممثل الحكومة حيث قال:"...ولكن لست على ثقة من كونهم قرنوا القول بالفعل إذ طالما قالوا و لم يفعلوا..."[3]، فلم يثق الأمير إطلاقاً في وعود المحتلين وخاصّة منهم الفرنسيين.

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، ج2، ص ص177، 178.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص178.

[3] المصدر نفسه.

وتجدر الإشارة إلى نقطة جد هامة، وهي أن المدارس التبشيرية التي كانت تُبنى من طرف الجمعيات والإرساليات الدينية قد ساهمت في تجنيد أيتام المسلمين الذين سيقوا إلى دور الأيتام ونشؤوا وتعلموا في هذه المدارس، وقد تطرقنا إلى هذه النقطة سابقاً.

حيث ذكر أمير البيان أنّه التقى بأحد المجنّدين في الجيش الإيطالي طلب منه أن يُرسله إلى إحدى الحكومات الإسلامية للخدمة فيها، فسأله أمير البيان عن سبب ذلك فأخبره المجنّد أنه مسلم مغربي الأصل، وكانت هيئته تدلّ على ذلك كما وصف الأمير، فسأله الأمير كيفية وصوله إلى مصاف الضباط، فأجابه أنه تربّى في إحدى المدارس الدينية الكاثوليكية مع شرط جحوده للدين الإسلامي، ويتجنس بإحدى الجنسيات الثلاث (الفرنسية، أو الإيطالية أو الاسبانية)، فقبل الإيطالية، والآن يريد الرجوع إلى أصله [1]، وللإشارة فإن الأمير لم يذكر المدارس التي نشأ فيها ذلكم المجند لكن أغلب الظن في الجزائر، لأن المغرب كانت حديثة العهد بالاحتلال والمدارس التبشيرية لم تُنشأ كما هي في الجزائر، وقد أتى الأمير على ذكر هذه القصة في سياق تفاصيل ما قدّمه الجزائريون من تضحيات في الحرب العالمية الأولى، وعن التجنيد الإجباري للشباب الجزائري.

وكان هناك الكثير من المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي، وبعضهم انشق عنه للوهلة الأولى، وحين سنحت الفرصة، فمن الضباط الجزائريين الذين انشقوا عن الجيش الفرنسي الضابط الحاج عبد الله رابح بوكابوية، كان ضابطاً في الجيش الفرنسي حيث انشق وانضم إلى الجيش الألماني في أفريل عام **1915**م، وكان ينشط باسم الحاج عبد الله والسي رابح، وقد ساعد الألمان في تحرير جريدة "الجهاد" الألمانية إلى جانب مجموعة من الشخصيات السياسية البارزة أمثال صالح الشريف التونسي وعبد العزيز جاويش وغيرهم [2]، وكان معظمهم على صلة بالأمير شكيب، وقد ذكرنا سابقاً أن أمير البيان ذكر اسماً لجزائري كتب عن التبشير المسيحي في الجزائر، وهو الحاج عبد الله المقيم ببرلين [3]، وهو نفسه الضابط الجزائري المنشق عن الجيش الفرنسي سنة **1915**م والتحق بالألمان ليؤسس جريدة الجهاد كما أسلفنا ذكر ذلك.

وتبقى مواقف أمير البيان حول كل مجريات الأحداث في الجزائر المحتلة تعكس مدى اهتماماته بالقضية الجزائرية، فرغم قلّة ما كتبه عن التجنيد الإجباري و ما وصلت إليه أيدينا من مؤلفات تخص هذا الموضوع وفي

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص ص 178، 179.

(2) مهند إبراهيم أبو لطيفة، مرجع سابق ، **ص7**.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد1، الجزء2، ص358، 359.

حدود اطلاعنا، فإن مساعيه لم تبقى في هذا الإطار، بل تعدّت إلى تكوين علاقات وطيدة مع رموز الحركة الوطنية الجزائرية بمختلف تياراتها.

3) علاقة شكيب أرسلان برموز الحركة الوطنية الجزائرية:

من بين أهمّ الدراسات ما قدّمه المؤرخ أبو القاسم سعد الله، والتي اختصت في العلاقة التي ربطت شخصية أمير البيان برموز الحركة الوطنية الجزائرية، فرغم أن الدراسة كان في شكل ورقة بحثية لم تتعدى **27** صفحة ضمن عدّة مقالات تاريخية مرتّبة في كتاب (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر)، فإنها أتت على ذكر معظم الكتب التي أشارت إلى اهتمامات الأمير بالحركة الوطنية الجزائرية، بداية بتتبعه لنشاط الأمير خالد، ثم مراسلاته مع توفيق المدني والطيب العقبي، إلى لقائه بالحاج مصالي، حيث بدأت صلته بالحركة الوطنية الجزائرية منذ الحرب العالمية الأولى.

3-1 أخبار الأمير خالد الجزائري بقلم أمير البيان:

تحدّثنا سابقاً عن علاقة أمير البيان بأفراد عائلة الأمير عبد القادر، حيث فصّلنا في الصلات التي كوّنها مع بعضهم، وتكلّم عن المسار العلمي والمكانة الثقافية للبعض الآخر، وعمل في مجال السياسة مع آخرين، إلاّ أنّنا لم نتطرق إلى علاقته بالأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري، لسبب وجيه وهو أنّنا أدرجنا هذه العلاقة ضمن علاقة أمير البيان برواد الوطنية الجزائرية، للجهود التي بذلها الأمير خالد في الجزائر مطلع القرن العشرين.

ففي حدود اطلاعنا لم نجد ما يثبت أن الأمير شكيب أرسلان التقى بالأمير خالد، إلا أنّه أشار في الكثير من المواضع ضمن مؤلفاته إلى شخصه وجهوده في الجزائر، فنقل لنا عديد الأخبار التي أوردها في مؤلفاته، حيث أشار الأمير في مدونته إلى بعض تفاصيل الوفد الجزائري الذي تقدّم إلى الرئيس الأمريكي وودرو ولسون سنة **1918**م وهو بباريس، فقال أنّه تشكّل وفد من الضبّاط الجزائريين برئاسة الأمير خالد وطالب الرئيس الأمريكي ولسون بتطبيق مبادئه الأربعة عشر على الأمّة الجزائرية [1]، وفي معظم كتب التاريخ التي تناولت هذه القضية لم تُثبت أن الرئيس الأمريكي قرأ رسالة الوفد الجزائري، وثبت أنّه لم يردّ عليها، وفي الشأن نفسه ذكر

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص85.

سعد الله أنه في سبتمبر سنة **1918**م نشرت مجلة المغرب مذكرة أُرسلت إلى مؤتمر السلام الذي كان منعقداً في باريس مطالبةً بتطبيق تقرير المصير لإفريقيا الشمالية[1].

في حين عبّر الرئيس وودرو ولسون في رسالته التي بعث بها إلى الزعيم الصهيوني الحاخام حاييم وايزمن Haim Weizumann[2] بتاريخ **21** أوت سنة **1918**م بارتياحه لما جاء في مضمون وعد بلفور [3]، وفي **20** مارس **1919**م أصدر كذلك قراراً من مؤتمر الصلح في باريس يقضي بإيفاد لجنة دولية إلى الأقاليم العربية التي كانت تحت الحكم العثماني لمعرفة مطالب شعوبها والوقوف على آرائه وسُمّيت باللجنة الأمريكية [4] (لجنة كنغ-كراين)[5]؛ فمن خلال هذا القرار الذي يُعتبر أمريكي أو بإيعاز الرئيس الأمريكي، فإنّ الأمريكان يعاملون الشعوب المحتلة بازدواجية، لم يردّ على الوفود من شمال إفريقيا في حين يُرسل اللّجان لتقصّي حالة المناطق الأخرى وما تريده شعوبهم، والقصد من هذه السياسة ليس كبح أطماع الدول الأوروبية بل البحث عن موطأ قدم في تلك المناطق.

ثم أشار أمير البيان إلى فحوى البرنامج السياسي للضابط المتقاعد من الجيش الفرنسي الأمير خالد كما وصفه، بعد تأسيس "كتلة المنتخبين الجزائريين" سنة **1919**م، وقد أعلنت هذه الكتلة عن أهدافها والتي أوردها لنا أرسلان في مدونته وهي:

- حصول الجزائريين على كامل الحقوق.
- إصلاح أحوال الجزائريين الاجتماعيين.

---

(1) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص210.

(2) هو زعيم صهيوني وعالم كيميائي وهو أول رئيس لدولة إسرائيل، وُلد في روسيا، عمل أبوه في مجال التجارة، تلقى التعليم الديني اليوهودي منذ صغره، كان من العناصر النشطة منذ تأسيس الحركة الصهيونية، وكان من زعماء الجناح الديمقراطي في المؤتمر الصهيوني السادس الذي دعا إلى انتهاج الصهيونية العملية بعد فشل هرتزل من اقتطاع أرض لليهود في فلسطين، عمل ببريطانيا في جامعة مانشستر منذ سنة 1904م، عمل مديراً لمختبرات سلاح البحرية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى، ساهم في تطوير مادة الاسيتون الحارقة، كان من المساهمين في المفاوضات الجارية حول وعد بلفور، انتخب كأول رئيس لإسرائيل بعد سنة 1948م، له عدة مؤلفات أهمها (التجربة والخطأ). عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، ج7 ، ص ص254، 255.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص87.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص ص 98، 99.

(5) سُمّيت هذه اللجنة باسم الشخصيتين الأمريكيتين لتقصي حالة آهل الشام والنظر في آراء شعوب أهل المنطقة وهما شارل كراين وهنري تشرشل كنغ، مهمتها تقديم تقرير يخص مطالب الشعوب العربية في الشرق الأوسط إلى عصبة الأمم، وكان تاريخ بداية عمل هذه اللجنة الدولية في 03 أفريل 1919م. وقد قدّمت اللجنة تقريرها بتاريخ 27 سبتمبر 1919م إلى البيت الأبيض وحسب شكيب أرسلان أنه لم يؤيد الإدعاءات الصهيونية في فلسطين، كما أنّه لم يحبّذ الانتداب الفرنسي في سوريا. أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 99، 107.

- إيقاف الهجرة الأجنبية[1].

والملاحظ أنّ أمير البيان قد قدّم لنا الأهداف والمطالب بشكل مختصر جداً، فبرنامج الأمير خالد كان جدّ ثريّ ونشاطه في فترة وجيزة كان فعّالاً وأثمر في حينه، لولا السياسة التسلطية للحكومة الفرنسية التي ضيّقت الخناق على مساعيه وكبحت حيويته، بعد أن صار محلّ احترام وتقدير الجزائريين، حيث ساومته إدارة المحتل بالاستقالة من النيابات الثلاث(البلدية، العمالية، والمالية) ومغادرة الجزائر مقابل تسديد ديونه المتراكمة بسبب الإنفاق على نشاطه السياسي وعمله الصّحفي عبر جريدته(الإقدام) [2]، أو الزجّ به في سجونها، لذا آثر الرحيل(النفي) بعد أن وعدته الإدارة الفرنسية بدفع ديونه ونقله إلى سوريا، ومنحه أجر تقاعده، وحقوقه التي كان يتقاضاها بصفته حفيد الأمير عبد القادر[3].

وفي تعليقاته على مقال روجر لابون المذكور آنفاً ضمن كتاب حاضر العالم الإسلامي، أورد لنا أمير البيان ما قاله هذا المستشرق حول الحركة الوطنية الناشئة في الجزائر وخاصة حول نشاط الأمير خالد، فنقل لنا توجّس الفرنسيين من حركته، حيث كتب لابون :"...كانت نتيجة انتخابات **1919**م مما يوجب قلق الفكر فإن الستمائة ألف وطني، الذين آتيناهم حقّ الانتخاب بموجب أمر الرابع شباط (فيفري)، رشّحوا بأجمعهم كل من عُرف ببغض فرنسا، وكان من جماعة الأمير خالد، وكذلك الشبان [4]...الذين حصلوا على العلم من مدارسنا، وتلقوا تربية أوروبية، كانوا أشدّ الناس مناهضة لقضية تجنيد الوطنيين...." [5]، والملاحظ أن الأمير أرسلان كان على دراية بكل ما يحمله الفرنسيون من أفكار آراء ومواقف حول الوطنيين الجزائريين وعلى

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص94.

(2) هي جريدة علمية أدبية سياسية واقتصادية، صدرت أول مرّة في 02 فيفري 1919م، أسبوعية صدرت أول مرّة باللغة الفرنسية ثم أضيفت لها طبعة باللغة العربية بداية من سبتمبر 1920م، مقرها الأول في 12 نهج لالير بالجزائر العاصمة، أُصدرت من أجل الدفاع عن الحقوق السياسية والاجتماعية لمسلمي شمال إفريقيا، وكان شعارها جريدة الاتحاد الفرنساوي العربي. فتيحة دويدة، **"قضايا الجزائر من خلال جريدة "الإقدام"(1919–1923م)"**، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد16، العدد 40، مارس 2017م، ص ص 169، 170. رابط المقال الإلكتروني : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/49/16/1/38571

(3) مولود قرين، مرجع سابق، ص ص461-463.

(4) **حركة الشبان الجزائريين** : هم مجموعة الشباب الجزائري المثقف ذوي التكوين الفرنسي، ظهرت التسمية في المرحلة التي ظهرت فيها حركات مماثلة في تونس مصر وتركيا (الشبان التونسيين، المصريون....)، فشكل الشبان الجزائريون نخبة جديدة واعية بكل ما يحيط بها في الواقع بسبب مستواهم الثقافي، لذا شملت الحركة المفكرين والكتاب والأطباء والمهندسين...، فشكلت هذه الحركة عدّة وفود ، كالوفد الذي قابل جول فيري سنة 1892م، والوفد الذي كان سنة 1912م، وقد عبّر الأمير خالد عن اعتزازه بانتمائه للشبان الجزائريين وهو في عمر 47 سنة من العمر، وقد عُرفت بعديد التعاريف من قبل المؤرخين الجزائريين، (فللاستفاضة في الموضوع ينظر للمرجع المعتمد). فتيحة صافر، **"ظهور حركة الشبان الجزائريين"**، مجلة عصور الجديدة، المجلد8، العدد1، ماي 2018، ص ص155- 175.

(5) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص ص309، 310.

رأسهم الأمير خالد، وكيف كان تخوّفهم من نتائج الانتخابات رغم أن الذين استفادوا من حق الانتخاب هم قلّة مقارنةً بعدد سكان الجزائر في تلك الفترة.

وقد ذكر أمير البيان خبر نفي الأمير خالد سنة **1920**م، حيث كتب أن الحاكم العام الفرنسي في الجزائر السيد ستيغ قرّر إبعاد الضابط الجزائري المتقاعد الأمير خالد عن الجزائر، فلجأ إلى مدينة الإسكندرية المصرية[1]؛ كان رحيل الأمير خالد إلى الإسكندرية سنة **1924**م وليس **1920**م كما ذكر أمير البيان، والجدير بالذكر أن الأمير خالد سافر في السنة نفسها إلى باريس بعد وصول الجبهة الشعبية ذات الخلفية الشيوعيّة إلى الحكم في فرنسا، وقام بنشاطات عدّة لصالح القضيّة الجزائرية على غرار تقديم العرائض، حيث قدّم لائحة مطالب[2] للرئيس الفرنسي إدوارد هيريو، إضافةً إلى إلقاء الخطابات المؤثرة على أسماع العمال المغاربة(جزائريون وتونسيون ومغاربة)، وقد اقترح تأسيس حركة سياسية جزائرية إسلامية باسم" نجم الشمال الإفريقي الإسلامي"، وقد وافق الحضور على هذا المقترح برفع الأيدي[3].

ولا بد من الإشارة إلى أن أمير البيان في كل مرّة يذكر اسم الأمير خالد إلاّ وذكره بالضابط المتقاعد، ففي مدونته كتب الأمير أرسلان أنّه في سنة **1924**م أسّس الأمير خالد الضابط الفرنسي المتقاعد مع الحاج عبد القادر الجزائري وعلي الحمامي المغربي [4] وهذان الأخيران عضوان في اللجنة الإدارية للحزب الشيوعي

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص111.

(2) نص الرسالة موجود ضمن صفحات كتاب سعد الله، **الحركة الوطنية**، ص ص 431، 432. ومحفوظ قداش، جزائر **الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830–1954م**، تر محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008م، ص ص279، 280.

(3) مولود قرين، مرجع سابق، ص ص 463، 464.

(4) يُقال أنّه ولد في تيهرت(تيارت حالياً) بالجزائر، من جبل الحمام وأم سوسية، ثمّ هاجر مع والده إلى المشرق، وبالضبط إلى الإسكندرية حيث أقام هناك ليتعلم بمدارس الفرنسيين، ليتقن اللغة العربية والفرنسية، كان متأثراً بأبيه الكثير الأسفار والذي كان أحد جنود حروب القبائل في الريف المغربي ضد الاحتلال الفرنسي والاسباني، وقد لازم أبوه ملازمة دائمة، ثم أرسله إلى تطوان بين سنتي 1914 و1918م للدراسة، حيث استطاع تعلم اللغة الاسبانية، شارك في ثورة الخطابي بين سنتي 1921 و1926م، وقد قال عنه الفاسي أنه التحق بالأمير خالد ليؤسس نجم شمال إفريقيا إلى جانب مصالي الحاج، ثم انخرط في الحزب الشيوعي الفرنسي، ثم انتقل إلى موسكو كموظف لإدارة تنسيق أعمال الفلاحين، حيث مكث هناك ثلاث سنوات، ليقتنع أن الفكر الشيوعي ليس بالفكر النموذجي ولا يمثل المُثل الأعلى كما يدّعي نظاره، وقد ساعده الأمير شكيب في سفره إلى السعودية بعد أن ضاقت حالته المادية سنة 1932م، ثم انتقل إلى العراق سنة 1933م، وبعد هروب الخطابي إلى مصر التحق به الحمامي سنة 1947م ولازمه إلى أن توفي في حادث سقوط الطائرة سنة 1949م إلى جانب رفيقيه لحبيب ثامر والتطواني أمحمد بن عبود. جليلة المؤدب، **ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية، لحبيب ثامر، علي الحمامي، ومحمد بن أحمد بن عبود** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة العربية المعاصرة، المشرف محمد الناصر النفزاوي، جامعة تونس، السنة الجامعية 2005-2006، ص ص 61- 86. محمد السعيد قاصري، **"علي الحمامي الجزائري ونضاله التحرري في العالم العربي والإسلامي(1902–1949م)"**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01،

الفرنسي "لجنة الدفاع عن شمال إفريقيا" في فرنسا [1]، وحسب الأمير شكيب فإنّ لجنة الدفاع عن شمال إفريقيا تطوّرت لتصبح"جمعية نجم الشمال الإفريقي"، وهدفها الأساسي الدفاع عن المصالح المادية والأدبية والاجتماعية للمسلمين المغاربة [2]، لكن لم يذكر الأمير تفاصيل هذا التغيير ومن وراء هذه التطور، أو الشخصيات التي كانت لها بصمة في هذه الجمعية، وبالأخص شخصية مصالي الحاج التي كان لها أثر كبير في تأسيس نجم الشمال الإفريقي.

ولقد أكّد محفوظ قداش هذه المسألة والتي تخّص تطور النجم، لكن كانت تحت مُسمّى جمعية الأخوة الإسلامية وتطوّرت إلى نجم شمال إفريقيا، واستنادا إلى شهادات أخرى كانت الجمعية قد سُمّيت مباشرة بنجم شمال إفريقيا، وكان مصالي الحاج من بين أعضاء اللجنة المركزية أو المكتب التنفيذي للحزب الجديد، والأمير خالد مكلّفاً بالاتّصال إلى جانب السيد بلغول، وفي أوت **1926**م صار مصالي رئيساً للحزب بعد إلقاء القبض على بلغول في حمام بوحجر بعين تيموشنت، ومنذ ذلك الحين ومصالي رئيساً على الحزب [3].

وكان شكيب أرسلان يتابع أخبار الأمير خالد الجزائري عن كثب، فأورد خبر طلب إبعاده مرّة أخرى، لكن هذه المرّة جاء بطلب من السفير الفرنسي في القاهرة، حيث أبعدته السلطات البريطانية إلى سوريا سنة **1925**م، حيث بقي هناك إلى أن وافته المنية سنة **1936**م [4]، فبتوصية من فيدرالية رؤساء البلديات والنواب الخاصة بالمستوطنين الأوروبيين في الجزائر طلبت نفيه سنة **1923**م [5]، وهذه المرّة بتوصية من القنصل الفرنسي في القاهرة، ويضيف سعد الله أنّه تم اعتقال الأمير خالد ومحاكمته من طرف محكمة القنصلية الفرنسية بتهمة حمل جواز سفر مزور رغم حصوله عليه عبر السلطات المصرية، والسماح له من طرف القنصل الإيطالي دخول إيطاليا، ورغم كل هذا فإن الفرنسيين أعادوه إلى دمشق ومنعوه من دخول الجزائر إلى أن قضى نحبه هناك [6].

المجلد01، ص ص 165- 187. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/503/1/1/99032 تاريخ الزيارة: 2022/09/20.

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص148.

(2) أرسلان، **المصدر نفسه**، ص171.

(3) محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية 1919-1939**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط 2017، ج1، ص ص236، 237.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص159.

(5) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص364.

(6) سعد الله، المرجع نفسه، ص368.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأمير خالد كان من بين الذين حضروا المؤتمر الإسلامي الخاص بالخلافة في مصر، وقد كان من المبادرين إلى الدعوة لعقد هذا المؤتمر لمناقشة مسألة الخلافة، وقد اقترح أن يُعقد المؤتمر في أفغانستان، لأنها البلاد الإسلامية الوحيدة المستقلة، لكن المؤتمر انعقد في مصر، وقد حضره شخصيّاً إلى جانب عديد الشخصيات الإسلامية المعروفة[1]، وقد كان الأمير أرسلان من المهتمين بمسألة الخلافة الإسلامية، وكان يتابع عن كثب كل ما يخص المؤتمر الإسلامي في مصر، وقد تحدث في كتاباته [2] عن هذه الفعالية و لم يُشر إلى شخص الأمير خالد، أو أنّه التقى به وما اقترحه حول مكان انعقاد المؤتمر، الذي انعقد بطلب من علماء الأزهر في شهر ماي **1926**م كما أسلفنا ذكر ذلك في الفصل الثالث الخاص بتونس.

في المقابل كان هناك كلام كثير حول التحضير لهذا المؤتمر، ففي المراسلات التي كانت بين السيد رشيد رضا والأمير شكيب، تعرّضا لهذه النقطة بالضبط، حيث يقول رشيد رضا :"...وقام آخرون منهم ومن غيرهم من أصحاب الأهواء حتّى النساء يردّون عليهم ويفنّدون قرارهم ويرمونهم بإتّباع الهوى، وتعدّدت اللجان الداعية للمؤتمر، ومن مَفْتُونِيْ طلاب الشهرة فيها الشيخ فلان الذي دخل في لجنة صديقنا فلان، وقد كنّا أوّل من مهّد السبيل لهذا العمل فلمّا رأينا تزاحم الأهواء تركنا لهم الفضاء، ولو عُقد المؤتمر من أمثالهم لكان يكون شرّ فضيحة وخزيٌ على المسلمين..." [3]، وخلاصة القول أنّ كثرة اللجان الداعية للمؤتمر والتي أرادت كل لجنة أن تنفرد به، و تكون لها المبادرة في التحضير له، نتج عنه فتنة وسوء تفاهم حول تاريخ المؤتمر.

وتماشياً مع ما تمّ ذكره، وفي حدود قراءتنا لكتابات أمير البيان لم نجد ما يثبت أنّه قد تجسدت علاقة بين الشخصين أو حتّى التقيا في مناسبة ما أو تراسلا فيما بينهما [4]، ولعلّ ما خلص لدى المؤرخ سعد الله حول توجّه الأمير خالد الأيديولوجي له عدّة تفسيرات، فسعد الله يرى أنّ من خلال سيرة الأمير خالد لم يثبت إطلاقاً أنّه كان مصلحاً إسلامياً أو قومياً عربياً، فتربيته، وخدمته العسكرية، وكتاباته بالفرنسية، ومؤتمراته

---

(1) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص370.

(2) ذكر أمير البيان مسألة انتقال الخلافة الإسلامية إلى القادة العرب ومتابعته لمجريات المؤتمر الإسلامي الخاص بالخلافة بمصر، في عديد المؤلفات على غرار كتاب "الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والشيخ عبد العزيز الثعالبي" وفي عدة رسائل وردود ضمن عديد الرسائل المدرجة في كتاب "السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة" (ص335، 352، 358، 367...)، وعديد المؤلفات الأخرى، وفي حدود اطلاعنا عليها فإنّه لم يذكر اسم الأمير خالد إطلاقاً ضمن هذه الكتب التي تخص هذه المسألة.

(3) أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**، ص367.

(4) يقول المؤرخ سعد الله في هذا الشأن :"...ولا ندري إن كان أرسلان قد التقى بالأمير خالد بعد نفيه من الجزائر لأنّه حل كما هو معروف في فرنسا ولعله قد ذهب أيضاً إلى سويسرا حيث كان أرسلان، ولعلّه التقى به في القاهرة أو في القدس، أمّا سوريا فلم يلتقيا فيها لأن الأمير خالد توفّي في فاتح 1936م، و لم يزرها أرسلان إلا بعد أكثر من سنة من ذلك التاريخ...". سعد الله، **أبحاث وآراء**، ص ص119، 120.

السياسية في الجزائر وفرنسا التي كان يلقيها بالفرنسية، كل ذلك جعله يظهر قربه أكثر إلى الحضارة الأوروبية من الحضارة الإسلامية[1]، ولعلّ هذا سبب كاف لعدم إقامة أمير البيان علاقة وطيدة معه، وتبقى العلاقة مبهمة إلى أن نثبت العكس بظهور الجديد من الوثائق أو كتابات الدارسين في هذا الحقل، أما علاقته بالزعيم مصالي الحاج فكانت وطيدة كما وصفها سعد الله وكما سنورده في هذا العنصر.

2 3 صلة أمير البيان بالزعيم مصالي الحاج:

كتب المؤرخ سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر أن اسم الأمير شكيب أرسلان اقترن بأعمال نجم شمال إفريقيا في أوروبا، وكذا بعلاقته بمصالي الحاج زعيم النجم ثم حزب الشعب، وبرموز الحركة الوطنية الاستقلالية أو الإصلاحية [2]، فجمعت أمير البيان علاقات وصداقات بشخصيات بارزة على الصعيد السياسي في الجزائر على غرار مصالي الحاج.

كانت بداية العلاقة بين الشخصين بعد تأسيس أرسلان لجريدته المعروفة (الأمّة العربية-لانسيون آراب)[3] باللغة الفرنسية سنة **1930**م، كما أوضح ذلك أبو القاسم سعد الله، وكانت العلاقة في شكل مراسلات في الفترة التي تعرّض لها مصالي ورفقاؤه إلى التضييق والحصار، حيث حلّ النجم سنة **1929**م[4]،

---

[1] سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص ص368، 369.

[2] سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص114.

[3] تأسست جريدة "الأمة العربية" في مارس 1930م من طرف الأمير شكيب أرسلان وصديقه إحسان الجابري، وكانت تصدر في جنيف بسويسرا، كانت أسبوعية وفي بعض الأحيان لا تصدر، وغير منتظمة لأسباب مادية، حيث قال أحدهم أنها لم تكن تظهر سوى مرتين أو ثلاث في العام، وكانت أهدافها سياسية، أدبية، اقتصادية واجتماعية، وهي لسان حال الوفد الفلسطيني السوري لدى جمعية عصبة الأمم لخدمة المصالح العربية والشرق، إلاّ أنها ومع مرور الوقت صارت منبراً رفيعاً لقضايا الجزائر ودول المغرب العربي، فكان تاريخ ظهور المجلة يتوافق مع ثلاثة أحداث هامة في المغرب العربي(المؤتمر الأفخارستي في تونس، الاحتفالية المؤوية لاحتلال الجزائر، الظهير البربري في المغرب الأقصى).أحمد توفيق المدني، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كلّ الميادين "**، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة الجزائرية، السنة الثالثة عشر، العدد 76، جويلية-أوت 1983م، ص74. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص120. يُنظر كذلك :

G.Lafuente, "Dahir berbère (16 mai 1930)", open Edition Journals, Peeters Publishers , 1 septembre 1994, p8.

[4] كتب مصالي الحاج في مذكراته أن الحكم الصادر بتاريخ 20 نوفمبر 1929م لاغٍ وغير معمول به لأنه لم يلقى أي تنفيذ في آجال ستة أشهر التي تضبطها المادة 156 من قانون الإجراءات المدنية، وفعلا ففي الثالث من جويلية 1935م ألغت المحكمة كل المتابعات، واعترفت رسمياً بالوجود الشرعي لنجم شمال إفريقيا. مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج، 1898-1938م**، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة، محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007م، ص173، هامش ص173.

ليدخلوا في العمل السري، ويؤسسوا جريدة (الأمّة) [1]، ويذكر سعد الله أنّه لم يستطع تحديد الفترة التي التقى فيها الرجلان، ومتى بدأت المراسلات بينهما، إلا أنّ بانون أكلي أحد قادة حزب النجم، يذكر أن العلاقة بدأت سنة **1932**م، والوسيط في ربط العلاقة بينهما هو القاضي المصري محمد سالم باي المقيم في باريس، وهو صاحب فكرة عقد المؤتمر الإسلامي في أوروبا [2]، ويؤكد ذلك أيضا رفيق درب مصالي الحاج محمد قنانش[3].

لكن معرفة أمير البيان بشخص مصالي الحاج كانت قبل ذلك بعدة سنوات، حيث أورد الأمير شكيب خبر عقد أعضاء "جمعية نجم الشمال الإفريقي" مؤتمراً لهم في العاصمة الفرنسية باريس سنة **1929**م برئاسة مصالي الحاج، حيث خرج المؤتمرون بعريضة مطالب سُلمت للحكومة الفرنسية أهمها :

- تحسين حالة الجزائريين الاجتماعية
- إجبارية التعليم للجزائريين وباللغة العربية في الجزائر[4].

وقد ذكر مصالي تفاصيل ذلك الاجتماع في مذكراته حيث كتب أنه حضر المئات داخل قاعة "لاغرانج أوبال"، ودام الاجتماع ثلاث ساعات [5]، حيث ندّد من خلاله الخطباء بمهزلة الاحتفالية بالمئوية للهيمنة الاستعمارية، وبعد الاجتماع ذكر مصالي أنه استغرق ثلاثة أيام لإنهاء المذكرة الخاصة بالاجتماع وإرسالها إلى السلطة الفرنسية في جانفي **1930**م[6].

---

(1) تأسست جريدة الأمّة بداية بعددها الأول في أكتوبر 1930م وهي جريدة وطنية سياسية للدفاع عن حقوق مسلمي شمال إفريقيا المؤسس والمدير هو مصالي الحاج، صاحب امتيازها السي الجيلاني، توقفت عن الصدور بشكل نهائي أوائل الحرب العالمية الثانية، وكانت تصدر بباريس. محفوظ قداش ومحمد قنانش، **نجم شمال إفريقيا 1926-1937م، وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري** ، تر أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، فيفري 2013م، ص214.

(2) سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص125.

(3) محمد قنانش، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح** ، من مصالي الحاج إلى...، وزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 24. سلامة دربال، سليمان قريري، مرجع سابق، 231.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص188.

(5) أشار مصالي الحاج إلى نقطة جد هامة في هذا الاجتماع وهو عدم حضور الأمير خالد إلى فعاليات هذا المؤتمر، فل يجب الدعوة وكان غيابه واضح، حيث تسبب في بعض الغضب، وبعد يوم حضر ممثله أحمد بلغول، وذكر هذا الأخير أن الأمير خالد كان غاضباً لسبب ظهور اسمه في المنشور الذي يدعو إلى التجمع، وأضاف أن بلغول كاتب وزارة الداخلية الفرنسية ليخلي مسؤولية الأمير خالد من هذا التجمع، فعبّر مصالي عن اندهاشه من هذا الموقف، وعلموا أن الأمير خالد أعطى لأحمد بلغول توكيلا مكتوباً ليمثله لدى كل الجزائريين، وأضاف أنهم لم يروا الأمير خالد من ذلك اليوم. مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص 149.

(6) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص ص148، 149.

وفي موضع آخر كتب الأمير كيف أن السلطات الفرنسية قامت بحل "جمعية نجم الشمال الإفريقي" بتاريخ **20** نوفمبر **1929**م، من خلال تقديم النائب العام الفرنسي بمحكمة السين دعوى قضائية ضد النجم، فأصدرت المحكمة المذكورة حكماً بحلّه دون ذكر الأسباب، وحسب شكيب أرسلان أنّ هذا الحكم لم ينفّذ[1]، في حين يذكر مصالي الحاج أن قرار الحلّ كان في **24** أفريل **1929**م والسبب يكمن في ادعاء المحكمة أن جمعية مصالي ورفقائه مسّت بالوحدة الترابية للوطن الفرنسي، من خلال نشاطهم الذي يتّجه نحو استقلال الجزائر، فكان تساؤل مصالي الحاج في محلّه حين قال : أين تبدأ وأين تنتهي الوحدة الترابية الفرنسية ؟ فالاحتلال هو من انتهك الوحدة الترابية للجزائر وتونس والمغرب وسوريا ولبنان ودول إفريقيا السوداء[2].

وحرصاً منه على متابعة نشاط الحزب، أورد الأمير في مدونته خبر عقد "نجم شمال إفريقيا" اجتماعًا عامًا للجمعية العامة في باريس، بتاريخ **22** ماي **1933**م،[3] حيث اتفق الحاضرون على الإقرار بالمطالب التالية:

1-الإصلاحات المستعجلة في المجالات التالية :

- حرية الصحافة والاجتماع والتجمعات.
- انتخاب برلمان قومي جزائري بتصويت عام.
- إحلال الجزائريين في جميع وظائف الدولة بالجزائر.
- التعليم الإجباري باللغة العربية.
- تطبيق الحقوق الاجتماعية والنقابية على العمال المغاربة.

2-جلاء جيوش الاحتلال الفرنسي وتأسيس جيش جزائري.

3-الاستقلال الكامل للجزائر، واعتبار جميع التراث الاقتصادي ملكاً للدولة الجزائرية، ونزع الملكية لجميع المستعمرين الغاصبين وأبنائهم وإرجاع الأراضي المغتصبة لملاّكها الأصليين [4]؛ وقد ذكر مصالي أن هذا

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص194.

(2) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص ص146، 147.

(3) وقد تحدّث مصالي عن هذا الاجتماع في مذكرته قائلا أنه كان اجتماع للجمعية العامة للحزب بتاريخ 28 ما ي وليس 22 ماي 1933م، حيث تمّ وضع برنامج كُتب في بروكسل ببلجيكا، وقد تمّ التصديق عليه من قبل الحاضرين ليكون ميثاقاً وطنياً للمسلمين الجزائريين. مصالي، المصدر نفسه، ص158.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص216.

البرنامج تمّ عرضه بصفة واسعة وشرحه والتعليق عليه في جريدة "الأمّة"، لذا كانت المراسلات تصل من كل الأماكن قصد شكر قادة النجم والقائمين على الجريدة[1].

ويطرح المؤرخ جوليان في هذه النقطة وجهة نظره، حيث يقول أنّ مصالي الحاج انضمّ إلى البرنامج المتين والحكيم والحاذق، أي مع البرنامج الذي كان قادة الأحزاب المغربية يدافعون عنه بوحي من شكيب أرسلان[2]، وفي وضع آخر يقول أن النجم انضم إلى نظرية شكيب أرسلان[3].

أمّا عن توطيد العلاقة بينهما، فكان ذلك بعد عقد المؤتمر الإسلامي بجنيف، هذه الفعالية تحدث عنها مصالي الحاج في مذكراته، حيث قال:"...بلغنا أن مؤتمراً إسلامياً [4] سينعقد في جنيف، إنّ البعض من مناضلينا في الدائرة **18** من باريس تم الاتصال بهم من طرف شخصية إسلامية سامية سلّمت لهم كُتيباً أخضر عن المؤتمر وقد تحمسنا لمحتواه، فاتصلنا بالمنظمين لهذه المبادرة العظيمة، ثم عيّنا وفداً كان عليه أن يكون حاضراً في جنيف في **12** سبتمبر أي يوم الافتتاح..."[5]، لم يذكر مصالي من الشخصية الإسلامية السامية وأغلب الظن هو أمير البيان شكيب أرسلان رئيس لجنة تنظيم المؤتمر الإسلامي في أوروبا.

ثم يضيف مصالي الحاج أنّه وصل إلى جنيف قبل أسبوع من افتتاح المؤتمر، وهي المرة الأولى التي يطأ فيها التراب السويسري، وكان في مهمّة أخرى وهي لقاء رئيس عصبة الأمم للحديث حول مسألة الحبشة، إلى جانب مجموعة من الشبان من الجبهة الشعبية التي تمثل اليسار في فرنسا، وبعد اللقاء انسحب إلى جانب السيدة فرانس ممثلة الحزب الاشتراكي الراديكالي التي كانت تعرف مدينة جنيف جيداً، فكانت دليله خلال تلك الأيّام، وفي السابع من سبتمبر **1935**م التقى مصالي بالأمير شكيب الرجل العظيم كما وصفه، بترل فيكتوريا

---

(1) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص ص158، 159.

(2) شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**...، ص143.

(3) المصدر نفسه، ص157.

(4) كتب محفوظ قداش ومحمد قنانش عن فعاليات هذا المؤتمر قائلين:"...افتتح مؤتمر أوروبا الإسلامي بجنيف، في قاعات فندق فيكتوريا، يوم الخميس صباحاً 12 سبتمبر برئاسة الأمير شكيب أرسلان رئيس لجنة التنظيم، وقد كان نجاحاً كبيراً للإسلام بشكل عام وللمسلمين بالقارة الأوروبية على وجه الخصوص.
شارك قُرابة سبعون شخصاً في أشغال المؤتمر الذي كانت لغته الرسمية العربية، اللغة المقدّسة للقرآن، كانت الجلسات خاصة...ثلاث شخصيات من شمال إفريقيا تقيم بفرنسا : السادة مصالي الحاج، عيماش عمار، ومحمد بدك، تناولوا بعدها الكلمة بالفرنسية، من أجل توصيف الوضعية المزرية التي يعاني منها إخوتهم بفرنسا، ...". محفوظ قداش، محمد قنانش، مصدر سابق، ص ص92، 93.

(5) مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج**، ص176.

قرب حديقة الإنجليز، حيث قال:"...عندما أُدخلت قاعة الاستقبال قام الأمير شكيب وتوجّه نحوي وشدّ يدي قائلاً بلطف وبالعربية (مرحباً بك)، ثم جلسنا وانطلقت المحادثة حول كل المواضيع الراهنة..."[1].

ثم يصف مصالي الحاج أمير البيان فيقول:"...إن الأمير شكيب أرسلان كان كبيراً وقوياً ويبدو عليه أنه يتمتّع بصحة جيّدة، لم يكن عمره يتجاوز ال **55** إلى **60** سنة، كان بشوشاً وكان ألمعياً جداً في المحاورة، كان يتحدث ثلاث لغات[2]، فدعاني إلى مشاركته في وجبة الغداء ثم أن أشرب الشاي معه..." [3]، فكلمات الحاج مصالي تُبيّن مدى مكانة الأمير عنده وعند جلّ حركات التحرر في إفريقيا الشمالية، فمدحه يوضح تأثره بشخصه وبأخلاقه وبجهاده منقطع النظير في جلّ جبهات العالم الإسلامي، إذْ كانت الحركات الوطنية المغاربية ترى فيه المدرسة السياسية والمنبع الذي تنهل منه شراب الحريّة.

ثم بادر مصالي من خلال مذكراته سرد ما دار بينهما من حديث حول المسائل العربية وبوجه الخصوص القضية الجزائرية، ومستقبل النجم، وتوقعات الأمير حول العقبات والعراقيل التي سيضعها الاحتلال الفرنسي في طريق عمل الحزب، وقد ناقشوا مع ثلّة من الأصدقاء على رأسهم المحامي روبرت لونغي مسألة الأطماع الفاشية وجهود الجبهة الشعبية على الصعيد الجزائري والعالمي، ثم عرّج مصالي في مذكراته على مجريات المؤتمر وتفاصيله إلى اختتام الفعالية، ثم يذكر كيف قام ثلاثتهم بعرض شامل لأعمال نجم شمال إفريقيا خلال حفلة الشاي بعد دعوتهم لمعظم شخصيات المؤتمر وعلى رأسهم الأمير شكيب، الذي كان راضياً كل الرضا ومتفائل كما ذكر مصالي، ثم قال له الأمير :"...فقد زرعنا والآن علينا أن نحرك العقول للحصول على أكبر محصول..."[4]، هذا آخر ما كتبه الحاج عن حيثيات المؤتمر الإسلامي في جنيف، ليعود إلى باريس محمّلاً بعبء الملاحقات الأمنية، والمتابعات القضائية، والتضييق المتواصل من قبل الشرطة الفرنسية.

لم يطل مصالي الحاج غيابه ليعود إلى جنيف في **20** جانفي **1936**م ويلتقي شكيب أرسلان هناك، لكن كان اللقاء سريعاً كما وصف مصالي، حيث شكره على جهوده ونشاط حزبه، وشجاعة العمّال المغاربة

---

(1) مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج**، ص ص176-178.

(2) في هذه الأسطر تم تصحيح عُمر الأمير في هامش الصفحة، حيث أن مصالي كان مخطئا في تقديره لعدد سنوات عمره، أما عن اللغات التي كان يتقنها فقد كُتب في الهامش كذلك أن مصالي الحاج كان يحكي على أساس أن الأمير كان يتكلم ثلاث لغات وهي التركية والإنجليزية، والفرنسية، في حين أنه كان يتقن إلى جانب العربية (التركية والفرنسية والألمانية) لا الإنجليزية حسب ما كتب في الفصل الأول من الرسالة في العنصر الخاص (**بالتنشئة الثقافية والمناهل المعرفية لشكيب أرسلان**).

(3) مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج**، ص 178.

(4) مصالي الحاج، المصدر نفسه، ص ص 178- 180.

قائلاً:"...نعم، في كل مكان بدأ أبناء الإسلام يرفعون رؤوسهم ويُسمعون صوتهم، إنّي أجد هذا مفرحاً..."، ثم سأله عن ظروفه ووضعه الأمني، فكان اللقاء سريعاً، ثم بادر مصالي الحاج ليسرد تفاصيل استدعائه من طرف الشرطة ومدير المخابرات السويسرية حول أسباب إقامته في جنيف[1].

وقد ذكر مصالي أنهم كانوا تحت رحمة المضايقات الأمنية والضغوطات القضائية، و لم يذكر شيئًا عن حلّ الحزب في تلك الفترة [2]، في حين أورد أمير البيان خبر حلّ حزب نجم شمال إفريقيا في **26** جانفي **1936**م بعدما أظهر عداءه لفرنسا، واتضح جلياً أنّ أعماله كانت ضد السلطة الفرنسية في الجزائر [3]، إلاّ أن مصالي يذكر في مذكراته أن قرار حلّ النجم كان في **25** جانفي **1937**م[4]، وليس في سنة **1936**م، لذا كان هناك خلط في السنوات فقط، حيث أن الأمير أعاد ذكر خبر حلّ النجم في تاريخه الصحيح في موضع آخر ضمن مدونته.

حيث أورد الأمير أرسلان في موضع آخر من مدونته الخبر نفسه، أي في أواخر شهر جانفي من سنة **1937**م أمر وزير الداخلية الفرنسي ماركس دورموا بإصدار قرار يقضي بحل جمعية نجم شمال إفريقيا [5] على إثر اتهامها بالعمل على فك الروابط السياسية القائمة بين فرنسا وشعوب المغرب [6]، ومن الطبيعي أن يخطئ الأمير في بعض التواريخ التي من غير الممكن أن يدوّنها كلّها لكثرة ما يحمله من مسؤوليات تجاه الأمّة، ولعلّ كثرة لقاءاته بمصالي الحاج تلك الأيام، وكثرة سماعه لمشاكل النجم وما يعيقه من مطبّات فرنسية اختلطت عليه السنوات عند تدوين تلك الوقائع في مدونته.

---

(1) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص ص 185، 186.

(2) المصدر نفسه، ص 191.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص236.

(4) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص 219.

(5) ذكرت مصادر النجم أن سبب حلّ الحزب تعود إلى عدم موافقة النجم إرسال متطوعين إلى إسبانيا للمشاركة في الحرب الأهلية إلى جانب الشيوعيين ضد الجنرال فرانكو، فحقد عليهم الشيوعيين وطلبوا من حكومة الجبهة الشعبية حلّ النجم وكان لهم ذلك، وهناك سبب آخر ذكره المؤرخ سعد الله، وهو دور المخابرات الفرنسية التي ارتكزت على شكاوي الكولون الذين ذقوا ذرعاً من نشاط مصالي الحاج خلال صيف وخريف 1936م، حيث اتهمت المخابرات النجم بعلاقته بإيطاليا بوساطة شكيب أرسلان، سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص142. سلامة دربال، مرجع سابق، ص233.

(6) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص250.

وبعد أشهر من مكوثه في جنيف، ذكر لقاءه بالأمير شكيب أرسلان مرة أخرى، حيث قدّم له السيدة " ليبو وانير"[1] للتعرف عليها، والتي أتت من الجزائر في مهمة للجبهة الشعبية، حيث ذكر مصالي أن السيدة كانت غاضبة عند أوّل اتصال بالأمير، فوصفته بأنه "برجوازي بزيادة"، ثمّ أضاف أنّ هذا الوصف هو شتيمة خاصة بالشيوعيين للتقليل من قيمة المقصود بها والذي يتجرأ على تنبّؤات القائد "لينين Lénine"[2]، ثم ذكر مصالي أنّه كان على اتصال دائم بأمير البيان خلال إقامته بجنيف، والجميل في أرسلان أنه لم يكن سورياً فقط[3] بل ينتمي إلى العرب والمسلمين[4].

وهذا لا يعني أن الأمير كان مقصّراً مع أهله وأبناء وطنه بل كان يحمل هموم أمّته الإسلامية جمعاء، فتجاوز فكره حدود وطنه الشام إلى كل أصقاع بلاد الإسلام، فلم يلتمس منه أحداً أن اختار خدمة قومه الدروز على باقي الطوائف في الشام، أو تقديم خدماته على منطقة دون أخرى.

ومن النقاط المهمّة التي عرّج عليها أمير البيان في حديثه مع مصالي الحاج، هي الواقعية في العمل السياسي والعمل على استمرارية النشاط دون التسرع، إضافة إلى اقتراحه المتمثّل في جعل نجم شمال إفريقياً واقعاً سياسياً فعّالاً عبر كل شمال إفريقيا [5]، وبطبيعة الحال علينا التنويه إلى نقطة جدّ هامة وهي الغاية التي يعمل عليها شكيب أرسلان في المشرق والمغرب، وبوجه الخصوص بعد إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية، وهي الوحدة العربية الإسلامية.

---

[1] قبل لقائها بمصالي الحاج كانت السيدة ليبو وانير في جولة إلى الجزائر حضرت مجريات مؤتمر الحزب الشيوعي الجزائري بسيدي بلعباس، ثم التقت بقادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والمنتخبين عن اتحادية قسنطينة وممثلي الحزب الاشتراكي الجزائري، فحملت إلى مصالي تحياتهم وأبلغته سلامهم، وقد فهم أن مهمتها الأساسية في الجزائر هي التحلي بالمرونة كما قالت له، حيث كانت ترغب في أن يتخلى النجم عن مطلبه الأساسي الممثل في الاستقلال. مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص 188.

[2] هو فلاديمير إليتش أوليانوف لينين، ولد بمدينة سيميرسك في روسيا، عُرف عنه أنه كان تلميذ شديد التصلب والاعتداد برأيه، درس القانون ثم اعتنق الفكر الثوري بعد اعدام الاخ الأكبر، ليكمل دراسته في جامعة بطرسبورغ (لينين غراد حاليا)، أول مؤلف له (كتاب من هم أصدقاء الشعب) وله عديد المؤلفات في هذا المجال، فهو قائد الثورة السوفييتية النظري والعملي، ويعتبر هو من أسس الإتحاد السوفييتي، حيث على المستوى النظري أضاف عدة دراسات هامة للنظرية الماركسية عن الاحتكار والاستعمار والحزب والقومية والعمال والثورة الثقافية والديمقراطية المباشرة، لتصير فيما بعد النظرية الماركسية اللينينية، عبد الوهاب الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج5، ص ص203- 209.

[3] كُتب في هامش ص189 أن الأمير شكيب ترعرع في كبرى العائلات الدرزية، إلاّ أنه اعتنق السنة تحت تأثير الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، دون أن تُنسب هذه المعلومة إلى مصدر أو وثيقة أو تصريح شخص الأمير بنفسه، فكل مطالعاتنا لمؤلفاته لم يذكر الأمير شيئاً عن هذا التحول رغم ذكره لتأثره بعديد المشايخ والعلماء السنة.

[4] مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص ص 188، 189.

[5] مصالي، المصدر نفسه، ص 189.

وفي هذا الصدد، وبعد اللّقاءات المتكررة بين الرجلين، يذكر مصالي الحاج خلاصة ذلك، وما أفرزته تلك الأحاديث بينهما حيث يقول:"...إن هذه الاتصالات سمحت لي بتحسين رؤيتي السياسية عن الوضعية، فتيقّنت أن العالم العربي الإسلامي يتمتّع بعوامل مهمّة، وكنت أحسّ أن آلية اندلاع العملية الموصلة إلى التحرر الوطني قد انطلقت في العالم العربي..."[1]، وكأنه ارتسمت للقائد مصالي الحاج خطة عمل وإستراتيجية طويلة المدى توصله بالضرورة إلى الاستقلال النهائي للوطن المفقود.

وهي مشاعر جدّ واقعية، أحس بها مصالي بعد سلسلة اللّقاءات التي كان الأمير ينظّمها وينظّر من خلالها، كيف لا وقد التقى مصالي بعدة شخصيات سياسية عربية وإسلامية مؤثرة، على غرار ضياء الدين الوزير الأول السابق قي إيران، ونوري سعيد الوزير الأول للعراق والمغربي عمر عبد الجليل [2]، فصارت للحاج مصالي قناعة راسخة أن هناك تعاون مغربي مشرقي لمناهضة الإمبريالية الأوروبية.

لذا وصفت المؤرخة جوليت بيسيس أمير البيان شكيب أرسلان بأنه شخصية فريدة بلا مُنازع، من خلال نضاله منقطع النظير في سبيل تحرير الشعوب الإسلامية المحتلة من قبل الإمبريالية الاستعمارية، وهو الدّاعي للوحدة العربية، وأنّه لا يعرف الكلل، وهو صانع شبكة العلاقات بين مختلف التيارات الوطنية في المشرق والمغرب[3].

وفي المقابل وبعد تعرّف أمير البيان على مصالي الحاج جيّداً قال في شخصه :"...من خير الفتيان ونخبة الشباب، ولو كانت الشبيبة الإسلامية كلّها على نمطه لتحرّر الإسلام منذ زمنٍ طويل، وليس في ذلك مبالغة، والله على ما أقول وكيل، ولقد خبرت بنفسي مدّة ستة أشهر بالاجتماع الدائم حقيقة مصالي الحاج في أخلاقه وفي أدبه وعلوّ نفسه وفصاحة رأيه، فلم أجد شيئاً ينقصه، وغاية متمنّياتي أن يحفظه الله ويكثر من أمثاله والناسجين على منواله..."[4]، فهي شهادة قويّة واعتراف صريح من أمير البيان بمكانة الشّاب مصالي الحاج السياسية والعملية رغم افتقاده للمستويات العلمية.

---

[1] مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص189.

[2] مصالي، المصدر نفسه ، ص189.

[3] Juliette BESSIS, op cit, p14.

[4] سلامة دربال، سليمان قريري، مرجع سابق، ص232. أحمد مريوش، **محاضرات في تاريخ الجزائر 1900-1954م**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ج2، ص175.

ثمّ نوّه مصالي الحاج بالعلاقات الواسعة التي كان الأمير شكيب يقيمها مع الزعماء الوطنيين المغاربة في تونس والجزائر والمغرب، وأشار إلى الزيارة التي قام بها الأمير إلى المغرب حين صدر الظهير البربري في ماي **1930**م ثم ذكر أن هناك شبّانًا جزائريين كانوا يكاتبونه طلباً للإرشاد والنصيحة حول مبادئ الإسلام، إضافةً إلى الشاب من عمالة قسنطينة الذي راسله حول نيّته لتأسيس حزب سياسي [1]، لكن لم يذكر أسماء هؤلاء الشباب ولا اسم الشاب القسنطيني الذي راسله طلباً للنصيحة بغرض إنشاء حزب سياسي.

والشيء المهم في تلك العلاقة التي أقامها مصالي الحاج، هو دعوة أمير البيان لمصالي عند مجيء الوفد السوري إلى جنيف للتفاوض مع السلطات الفرنسية في أفريل **1936**م، ومشاركته في تلك المحادثات، إلى جانب رئيس مجلس الوزراء السوري "الأتاسي"، ووزير الداخلية الجابري(أخ إحسان الجابري)، وفي أول يوم لتلك الاجتماعات قال الأمير لمصالي الحاج:"...أنت هنا معنا كأخ، تستطيع لاسيما أن تستمع ولكن كذلك أن تشارك في المحادثة وأن تُعبّر بحريّة عن أفكارك..."، ثم تدخّل الوزير الأتاسي ليتكلم بودّ عن الجزائر وعن مصالي شخصياً، وأخبره أنّه أكيد سيحتاج معاونته [2]، والجدير بالذكر أن هناك شخصاً أتى من باريس لرؤية الأمير ويطلب منه إبعاد مصالي عن طاولة المحادثات الجارية بين السوريين والفرنسيين، حيث أخبره أن الصعوبات التي كانت تعرقل حركة المفاوضات هي بسبب حضور مصالي قرب الأمير وسياسته المناهضة لفرنسا كانت جدّ فعّالة [3]، وطلبوا منه كذلك أن يتوقّف عن مكافحة التأثير الفرنسي في البلدان الإسلامية، وقد انتفض الأمير ورفض مطلبهم وقال :"...نعم، صحيح أنا سوري ولكني قبل كل شيء عربي ومسلم ومحارب..."، وقد كان ذلك بحضور مصالي الحاج شخصياً[4].

فهذا الحدث جعل من مصالي مُتزعجًا وخائفًا من فشل تلك المفاوضات، ويتأمّل في نزول المستوى للمفاوض الفرنسي إلى تلك الدرجة، إضافة إلى المكانة المرموقة التي حظي بها عنده، حيث كتب :"...فإن محبتي وثقتي وإعجابي بالأمير شكيب ارتفعت كثيراً وصرت أعتبره من الآن أكبر زعيم في العالم العربي، إن علاقاتي معه قد جرت لي متاعب وجلبت لي حقوداً شرسة، الآن يعتبره مشاغباً متعصباً في خدمة ابن سعود أو موسكو

---

(1) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص 190.

(2) مصالي، المصدر نفسه.

(3) وقد أدرجنا تلك المسألة ضمن مقالنا، حيث أن العلاقة التي أقامها الأمير شكيب أرسلان بالقائد مصالي الحاج جلبت له المتاعب، من خلال حضوره للمحادثات السورية الفرنسية وعدم رضا الطرف الفرنسي لمشاركة مصالي تلكم المفاوضات. سلامة دربال، سليمان قريري، مرجع سابق، ص 232.

(4) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص 190.

فهذا لا يغيّر رأيي في هذا الرجل العظيم..." [1]، وهنا بيّن مصالي تأثره الواضح الجليّ بالأمير وبمواقفه [2]، وكيف لتلك اللقاءات المكثّفة أعطت له بعد النظر لعديد المسائل، وثقة عالية، واعتباره بأن الأمير بمثابة زعيم العالم العربي.

ففي هذا الشأن ذكر سعد الله كيف تأثّر مصالي الحاج بشكيب أرسلان، وكيف استطاع الأمير تحويل مسار مصالي الحاج من النهج الشيوعي إلى النهج الإسلامي كما ذكر العديد من الباحثين، وأضاف أن المدة التي أقام فيها مصالي عند أرسلان بين سنتي **1935** و**1936**م تمّ فيها تحويل مصالي من الشيوعية إلى النهج الإسلامي مرّة واحدة[3].

وبعد قرار حلّ حزب النجم في جانفي **1937**م كتب أمير البيان مقالاً احتجاجياً في جريدته "الأمّة العربية" ونُشر في أفريل **1937**م تأسّف من خلاله لهذا القرار الجائر، وذكر أن النجم كان فعلاً يضمّ أعضاءً شباباً متحمّسين مازالت عقولهم لم تنضج بعد، وهذا يوجد في كل الجمعيات، ولكنه لا يوافق أن نشاط النجم كان هدّاماً، ثم يضيف أن برنامج النجم كان ضد الاندماج في الجنسية الفرنسية وهذا لا يعني أنّه يريد الانفصال عن فرنسا، فكان الأمير يكتب بدبلوماسية ومهارة، واعترف مصالي بذلك حيث اعتبر ما كتبه الأمير كان من صميم تطلعات الحزب [4]؛ وللإشارة فقط حول تاريخ نشر المقال، فيبدو لنا أنّه كان متأخّراً نوعاً ما عن قرار الحلّ بحوالي ثلاثة أشهر، هل هي الدبلوماسية والدهاء وتحيّن الفرص، أم هي المشاغل وكثرة المسائل التي حالت دون كتابة مقالة احتجاج ضدّ قرار الحلّ في حقّ النجم.

وعلى إثر قرار الحلّ لجمعية نجم شمال إفريقيا أواخر جانفي **1937**م أقامت شعبة الحزب الدستوري الجديد بفرنسا حفلا تكريميًّا للنجم ، شاركت فيه جمعية طلبة شمال إفريقيا وصدر عنه بيان مُشترك ندّد فيه الحاضرون بحل النّجم؛ ولا يفوتنا أن ننوّه أنّ جمعية طلبة شمال إفريقيا كذلك جمعت زعماء الأحزاب الوطنية الممثلة لدول المغرب العربي يوم **22** فيفري **1937**م في مأدبة ترأسها شكيب أرسلان بحضور زعماء المغرب

---

[1] مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص191.

[2] ففي هذا السياق يتحدّث المؤرخ سعد الله كيف تأثر مصالي بالأمير شكيب وشبّه تأثير الشيخ ابن باديس على فرحات عباس وابن جلّول كتأثير شكيب أرسلان على مصالي الحاج، حيث استطاع ابن باديس جعل الرّجلين تقبّل مبدأ العروبة والإسلام في الظاهر على الأقل كما قال سعد الله. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص69.

[3] Reinhard Schulze, **A Modern History of the islamic World**, Translated by Azizeh Azodi, I.B Tauris Publishers, London. NEW YORK, 2000 , P105.

[4] مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص221.

العربي، وهم: مصالي الحاج، والحبيب بورقيبة، ومحمد الخلطي، كما هو موضّح في الملحق رقم(**15**)[1]، وقد أكّد الحاضرون في هذه المأدبة على تلاحم الأحزاب الوطنية في المغرب العربي، ومحاولة التنسيق فيما بينها، وقد اعتبر البعض أن هذه المأدبة هي أحد مؤتمرات الجمعية، لأهمّية ومكانة المدعوّين وما خرجوا به من توصيات[2]، ليكون النقاش مثمراً ولعلّ لقاء الأمير بمصالي الحاج مرّة أخرى زاد من متانة العلاقة بينهما.

وتجدر الإشارة إلى ما قاله مصالي الحاج عن صراعه مع التيارات الوطنية الأخرى بعد التنافر وعدم الاتفاق حول مخرجات المؤتمر الإسلامي في جوان **1936**م، رغم أن النجم لم يشارك في فعالياته [3]، وبالضّبط بعد تجمع **02** أوت **1936**م الذي تدخّل من خلاله مصالي في كلمة ارتجالية باللغة العربية الدارجة التي يفهمها كل الحضور، حيث عارض ما جاء في مطالب المؤتمر الإسلامي ممّا انجرّ عنه حملة إعلامية شرسة ضد النجم وضد شخص زعيمه مصالي، وهذا الأخير أورد تفاصيل ما جاء من مطاعن ضمن صحافة الجمعية والمنتخبين والشيوعيين، إلى درجة أن وصفوه بالفقير والجاهل والكافر، واشتكوا إلى أمير البيان شكيب أرسلان أنه ضد الإسلام لأنّه تزوّج فرنسية، وأنّه لا يصلّي ولا يصوم شهر رمضان، ثم ذكر أن الفاعل السري الأساسي في هذه الحملة هي فرنسا التي أرادت تحقيق غايتها دون مشقّة، ودون تشويه صورة والشهداء إذا ما تدخلت الإدارة الفرنسية مباشرةً، لذا بعد فشل هذه المخطّطات لجأت إلى وسائل أخرى[4] أشدّ قهراً[1].

---

(1) نوّه المؤرخ عبد الحميد زيزو إلى هذا الاجتماع الذي عُقد من طرف جمعية شمال إفريقيا، حيث دعت فيه الجمعية ممثلي التيارات السياسية المغاربية، فذكر زوزو أن الجمعية استدعت شكيب أرسلان وبورقيبة والخلطي للتوسّط بين النجم وجمعية العلماء على إثر الخلاف الذي سنذكره لاحقاً. عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي للهجرة**، ص154.

(2) لخضر عواريب، "**جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا وعلاقتها بالتيار الاستقلالي في الجزائر 1927-1955م**"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد 8، العدد 24، جوان 2016م، ص 236. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/119/8/24/39556 تاريخ الزيارة 2021/08/08، 17:50.

(3) كتب الأمير في مدونته أنه تم انعقاد المؤتمر الإسلامي في الجزائر بتاريخ 07 جوان 1936م وأنه كان يضم إلى جانب أعضاء نجم الشمال الإفريقي ممثلي عدّة هيئات والأوساط الشعبية في الجزائر، دون ذكر أسماء الأحزاب والجمعيات المشاركة في المؤتمر، وقد ذكَر قرار المؤتمر القاضي بمنح حقوق الجنسية الفرنسية للأفراد الجزائريين أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص241.

يذكر سعد الله في هذا الشأن أنه لم يكن الوقت الكافي بين الدعوة للمؤتمر وانعقاده، وقد شاركت كل التيارات من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار(النواب والعلماء، والشبان والشيوعيون والاشتراكيون والمرابطون) باستثناء النجم الذي ما يزال إلى ذلك الحين مركزا نشاطه ومقره في فرنسا، سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص ص155، 156. في حين كان أمير البيان قد ذكر أنه شارك في المؤتمر الإسلامي الجزائري إلى جانب النجم....وكأنّ النجم هو من نظّمه وضمّ معه المدعوّين من هيئات وجمعيات أرى.

(4) كتب مصالي الحاج في مذكراته أن الفرنسيين قاموا باعتقاله مع رفقائه في سجن بربروس بالقصبة بمدينة الجزائر، وعُوملوا بقسوة شديدة، ورغم كل هذا فإن الحاج مصالي وصف الحدث بالانتصار للحزب، لأن الشارع الجزائري صار يتحدث إلا عن حزب الشعب الجزائري وقادته، ومظاهر الاحتجاجات التي رافقت الإجراءات التعسفية في حق قيادة حزب الشعب. مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص234.

وفي الشأن نفسه، أورد المؤرخ عبد الحميد زوزو ما نشرته جريدة "الأمّة" من استنكار ونفي لما كُتب في إحدى مقالات جريدة "العدالة La justice"، أي ما مفاده أنّ مصالي الحاج اتهم ابن باديس والعُقبي بالخيانة، فكانت جريدة "الأمّة" في مجابهة الإعلام الفرنسي المغرض، والذي يهدف إلى الإيقاع بين النجم وجمعية العلماء[2].

وكانت أولى محاولات الإصلاح ورأب الصدع عبر التجمع لممثلي الحزب والجمعية بباريس، حيث شددّ خطباء الجمعية على توحيد الصفوف [3]؛ وهناك محاولة أخرى كان الوسيط فيها أمير البيان شكيب أرسلان، حيث استخدم معارفه[4] فيها للتوفيق بين الطرفين خلال قدوم وفد المؤتمر الإسلامي إلى باريس في المرّة الثانية خلال مارس **1937**م، وقد ذكر زوزو أن الأمير كان يرى في نشاط الهيئتين تكاملاً، فالعلماء في مجال الإصلاح الديني وإحياء اللغة العربية، والنّجم في مجال السياسة، ثم يضيف زوزو أن الوفاق لم يستمر طويلاً إذ عاد الزاهري ليهاجم حزب الشعب الجزائري، ليبادر حزب الشعب مرّة أخرى ويقترح الدخول في محادثات مباشرة مع الشيخ الفضيل الورثلاني بباريس، وقد تم عقد اجتماعين، ورغم انسحاب الورثلاني إلا أنّ الحزب بقي يتعاطف مع العلماء حتى أواخر سنة **1939**م[5].

وقد أشار المؤرخ سعد الله إلى الرسّالة التي أرسلها شكيب أرسلان إلى مصالي الحاج، نُشرت بجريدة "تونس الفتاة"، عدد أفريل **1939**م، ومعها صورة لمصالي الحاج، وأخرى لعلم نجم شمال إفريقيا(أخضر كلّه مع نجم أحمر في ظلّ أبيض) [6]، وفي هامش الملحق الثاني لمذكرات مصالي الحاج الخاصّ بالصورة التي نُشرت في

---

(1) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص ص 233، 234.

(2) عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي للهجرة**، ص137.

(3) يذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته أنّه سعى للمّ الشمل بين جمعية العلماء والنجم من خلال سعيه للمقابلة التي جمعت مصالي الحاج وابن باديس، ويضيف أن السلطات الفرنسية سمحت له بدخول الجزائر سنة 1936م بعد النشاط المتزايد للحركة الإصلاحية في الجزائر وازدياد قوتها، وبعد أن بدأ الرأي العام في التكوين والتفتح، فيقول وكأن فرنسا أرادت السماح لمصالي الحاج أن ينظم صفوف حزبه لمنافسة التيارات الأخرى، وتضرب فرنسا حركات النهضة بعضها ببعض، ثم يضيف أنه تم تقديم كل التسهيلات لمصالي الحاج من طرف المستوطنين، كإحاطته بالأمن من طرف رجال الشرطة. محمد خير الدين، **مذكرات الشيخ محمد خير الدين**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985م، ج1، ص301.

(4) ذكر سعد الله في كتابه الحركة الوطنية أن القاضي المصري سالم باي كان الوسيط بين الأمير والنجم منذ سنة 1932م ويضيف أيضاً لعلّه كان السبب في جذب قادة النجم نحو الاتجاه العربي الإسلامي بدل الاتجاه الشيوعي، لذا نقول نحن لعلّه هو من كان الواسطة في التوفيق بين قادة النجم وعلماء الجمعية بعد الأزمة وسوء التفاهم الذي كان بينهما. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص125.

(5) عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي للهجرة**، ص137.

(6) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، هامش ص69.

الجريدة سالفة الذكر، كُتب أن هذه البطاقة (الصورة) [1] كانت قد وُزّعت من طرف حزب الشعب الجزائري في بداية الأربعينات بين السجناء الوطنيين، وأنّ الصورة التقطت دون شك خلال سنة **1938**م، أمّا ما كُتب فيها فهو بخطّ يد الأمير شكيب أرسلان يُثني فيها على "المجاهد الأكبر" مصالي الحاج [2]، ويذكر أجرون أن الصّورة كانت تُباع خلال عقد فعاليات الاجتماعات المشتركة، والتي كانت تُقام بين شباب المؤتمر الإسلامي وشباب حزب الشعب الجزائري وطلبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لوضع لجان الوفاق والتآخي، رغم الصراعات التي كانت بين قادة هذه التيارات[3].

وكان شكيب أرسلان يتابع مستجدات نشاط مصالي الحاج ورفاقه عن كثب، حيث ذكر في مدونته خبر تأسيس مصالي الحاج لحزب الشعب الجزائري في شهر مارس **1937**م[4]، وذكر أنّ مصالي الحاج استمد نظامه الداخلي من حزبي الدستور التونسي والحزب الوطني المراكشي [5]، وأضاف الأمير أن مصالي الحاج بدأ في تكثيف نشاطات حزبه، ففي **14** جويلية **1937**م نظّم استعراضاً عاماً في مدينة الجزائر، حيث جاب شباب الحزب شوارع المدينة يحملون العلم الجزائري ومختلف اللافتات التي كُتب عليها عدة عبارات تَنِمُّ عن مبادئ الحزب وأهدافه، مثل: (الأرض للفلاح، البرلمان الجزائري، احترموا الإسلام، اللغة العربية لغتنا الرسمية)[6]، فهذه العبارات من صميم مطالب الحزب وتُفضي تلقائياً إلى الاستقلال، من خلال استرجاع الأرض، وإنشاء برلمان جزائري خالص، ورفع التضييق على شعائر الدين الإسلامي، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في الجزائر.

ثم بيّن الأمير شكيب الحنكة السياسية التي يمتلكها مصالي الحاج، حيث كتب عنه أنّه بعدما أظهر قدرته على تنظيم الجماهير وتأطير الشباب في حزبه، أقدمت السلطات الفرنسية في الجزائر على اعتقاله في **17** أوت **1937**م[7] وحُكم عليه سنتين سجناً، بتهمة إعادة تأسيس جمعية "نجم الشمال الإفريقي" المنحلّة باسم "حزب

---

(1) الصورة ضمن الملحق رقم (**10**).

(2) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص248.

(3) أجرون، مرجع سابق، ص568.

(4) وفي الوقت نفسه كان الأمير يتابع رد فعل السلطات الفرنسية وفئة المستوطنين التي تشاءمت بنقل نشاط النجم من فرنسا إلى الجزائر، حيث كتب أنّ اتحاد رؤساء البلديات الجزائري استنكر ما جاء في مشروع بلوم فيوليت المتعلق بمنح الجزائريين حق الانتخاب، والذي نُشر محتواه من طرف الحكومة الفرنسية في 21 مارس 1937م. أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص249-252.

(5) أرسلان، المصدر نفسه، ص251.

(6) المصدر نفسه، ص 255.

(7) كان الاعتقال يوم 27 أوت وليس 17 أوت من سنة 1937م وهذا بشهادة مصالي الحاج من خلال مذكراته. مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج**، ص233.

الشعب الجزائري"[1]، فلم يُكمل مدّة الحكم حتى تمّ العفو عنه [2]، وبعد شهرين من إطلاق سراحه أعادت السلطات الفرنسية إلقاء القبض عليه بتاريخ الرابع من أكتوبر **1937**م، حيث بقي في السجن طيلة سبعة عشر شهراً[3].

وفي خضمّ الحرب العالمية الثانية، وانتقال السيطرة الاستعمارية على الجزائر لحكومة فيشي الموالية للألمان، ذكر الأمير أن فرنسا أمرت ممثليها بسجن الزعيم مصالي الحاج في **28** مارس **1941**م، حيث حكمت عليه المحكمة بالسجن مدة ستة عشر سنة كاملةً، وعشرين سنة أخرى بالنفي، وبتجريده من أملاكه، لكنّه أُعيد سنة **1946**م إلى إقامته الجبرية ببوزريعة بالعاصمة[4]، والملاحظ أن مصالي الحاج لم ترضى عنه حتى حكومة فيشي، وكانت أحكامهم جد قاسية، فلم تشفع فيه معارضته للحكومة السابقة ولا صداقته للأمير شكيب أرسلان الذي توسط لدى الإيطاليين والألمان وأُطلق سراح الزعيم بورقيبة ورفاقه في تونس [5] كما أسلفنا ذكر ذلك في الفصل الثالث.

ألم يحاول الأمير التوسط لإطلاق سراح مصالي الحاج من السجون الفرنسية ؟ والحقّ أنّه لا توجد أدلة تُثبت ذلك أو عكسه، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ مصالي الحاج كانت له مواقف قويّة [6] ضدّ الفاشية ومصالحها، وأنّ النّجم استنكر بشدّة للغزو الإيطالي للحبشة [7]، وكان مصالي أحد أعضاء الوفد المبعوث من قبل "اللجنة العالمية للدفاع عن الشعب الأثيوبي" لإبلاغ عصبة الأمم قرار المؤتمر العالمي المنعقد في باريس بتاريخ

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص 256

(2) لم يتحدّث مصالي اطلاقاً عن هذا العفو فبمجرد بعد أن زُجّ به في سجن بربروس بقي هناك إلى أن بدأت السلطات الفرنسية في محاكمته بين شهري أكتوبر ونوفمبر كما ذكر هو في مذكراته. مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج**، ص238.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص258.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص 298.

(5) وقد ذكر بورقيبة في ملحق الرسالة التي بعثها إلى صديقه محمد علي الطاهر فضْل الأمير في إطلاق سراحه وباقي معتقلي الحركة الوطنية التونسية من السجون الفرنسية الحبيب بورقيبة، **رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر**، ص8.

(6) من بين المواقف كذلك اتخاذ مصالي إجراءات صارمة ضد رفقاءه في الحزب بعد أن وظّفوا جريدة "الأمّة" لتأييد النازية على غرار راجف بلقاسم وعمار عيماش، حيث أسس جريدة "البرلمان الجزائري" ثم أيّد الحلفاء ضد ألمانيا النازية من خلالها. بومديني محمد، " **الدعاية الألمانية في الجزائر وتأثيرها على فكرة العمل المسلح إبان الحرب العالمية الثانية 1939-1945م**"، مجلة دراسات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، المجلد 9، العدد 8، 2018، ص 72. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/60/9/8/55747 تاريخ الزيارة : 2022/08/11م.

(7) ذكر مصالي كل حيثيات اللقاء الذي جرى في مقر عصبة الأمم بجنيف مع الرئاسة، وكيف كانت له الجرأة في تناول الكلمة عندما سنحت له الفرصة، كيف عبّر عن مشاعره كإفريقي حول الإعتداء الفاشي الإيطالي على أشيوبيا.....مصالي الحاج، **مذكرات مصالي**، ص ص177، 178.

الثالث من سبتمبر **1935**م، واستنكاره أمام رئيس عصبة الأمم للغزو الإيطالي للحبشة، وذكر أن الأطماع الإمبريالية هي سبب جميع الحروب والمآسي في العالم [1]، فمواقف مصالي ربّما كان لها الأثر [2] في عدم تدخل الإيطاليين أو الألمان لدى حكومة فيشي الفرنسية لإطلاق سراح مصالي كما جرى مع بورقيبة.

إلى جانب العلاقة التي ربطت الشخصيتين شكيب أرسلان ومصالي الحاج، فقد ذكر المؤرخ سعد الله أن بعض قيادات النّجم قد التقت كذلك بالأمير شكيب، أمثال بانون آكلي [3]، وعمار عيماش [4]، هذا الأخير كان الكاتب العام لحزب نجم شمال إفريقيا، والمسؤول عن جريدة "الأمة" التي تأسست سنة **1930**م؛ ويضيف سعد الله أنّه كان خطيباً مؤثّراً وداعيةً جذّاباً، وقد سُجن وغُرّم عدة مرّات خلال حكم الجبهة الشعبية منذ سنة **1936**م، وعلاقته بالأمير كانت بعد حضوره إلى جانب مصالي مؤتمر مسلمي أوروبا الذي انعقد بجنيف في سبتمبر **1935**م[5]، وهناك شخصية لم تُذكر في مذكرات مصالي الحاج وهو بانون آكلي الذي قال عنه المؤرخ

---

(1) عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي للهجرة**، ص159.

(2) يذكر سعد الله في هذا الصدد أن حكومة فيشي حاولت في بداية الامر أن تسلك سياسة الوفاق مع حزب الشعب، وعندما فشلت لجأت إلى المعاملة القاسية، حيث ذكر سعد الله أنه جرت اتصالات مع مصالي مرتين: الاولى في نوفمبر 1940م والمرّة الثانية في مارس 1941م للتفاهم معه على أساس التعاون على قدم المساواة بين الفرنسيين والمسلمين بشرط التخلي عن المطالبة بالاقتراع العام والبرلمان الجزائري وغيرها من المطالب الاستقلالية، فرفض مصالي هذا المقترح فقُدّم للمحاكمة العسكرية. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص181.

(3) بانون آكلي بن عمرو بن أمزيان، ولد بجبلة قرب سيدي عيش بولاية سطيف في 27 جوان 1889م، وقد هاجر إلى فرنسا سنة 1916م، ليمتهن عدة مهن على غرار المهاجرين الجزائريين بفرنسا، لعدم امتلاكهم شهادات أو تخصص في مجال ما، حيث اشتغل خلال الحرب العالمية الأولى بمصانع البارود والخرطوش، ثم بمصنع رينو للسيارات، أما نشاطه السياسي فقد كان عضواً للجنة المركزية للنجم، حيث كان أمين المال منذ سنة 1932م، وكان من المشاركين في المؤتمر الاسلامي في سبتمبر 1935م بجنيف، رغم أنه لا يتقن اللغتين الفرنسية والعربية إلاّ أنّه اكتسب ثقافة واسعة في مجال السياسة، اعتقل عدّة مرات بفرنسا، ووسُجن بألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي للهجرة**، ص60.

(4) ولد عمار عيماش في السابع من جويلية من سنة 1895م بقرية آيت مصباح التابعة لبلدية آية دوالة حالياً، بمنطقة القبائل الجزائرية، نشأ في عائلة من صغار الفلاحين ليست لها أملاك ولا ماض سياسي معروف، دخل المدرسة الابتدائية سنة 1903م وهو الوحيد من عائلته كما كانت السلطات الفرنسية تطلب، وأنهى تعليمه الابتدائي سنة 1910م، انتقل للعمل في متيجة سنة 1911م ليكتشف الوجه الحقيقي للاستغلال الفرنسي، ثم هاجر إلى فرنسا سنة 1913م، ليعمل بمصانع الفحم 1917م، ثم مصنع ميشلان، التحق بالعمل السياسي سنة 1931م بمساعدة راجف بلقاسم ومحمد سي الجيلاني، ليصبح رئيس تحرير جريدة "الأمة" وعضو أمانة الحزب للأسلوب الخطابي الذي يملكه، ثم سجن إلى جانب مصالي سنة 1935م، كان على خلاف مع مصالي الحاج في عديد القضايا، كان له دور إعلامي بارز في جريدة"الأمة" وفي الكثير من الفعاليات السياسية، له كتاب: "الجزائر في مفترق الطرق-المسير نحو المجهول"، ولقد وافته المنية سنة 1960م و لم ترى عيناه الجزائر المستقلة. مهدي صفوان والصادق دهاش، **"عمار عيماش ودوره الإعلامي في الحركة الوطنية الجزائرية"** ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا ، المجلد4، العدد02، سبتمبر 2021م، ص ص 700- 714.

(5) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص121.

عبد الحميد زوزو أنّه من المشاركين في المؤتمر الإسلامي بجنيف [1]، وأكد ذلك كذلك سعد الله في كتابه الحركة الوطنية[2].

واستخلاصاً لما سبق يجب التنويه على نقطة جد هامّة، وهي علاقة التأثير والتأثر بين الشخصيتين [3]، حيث أوردنا سابقاً كيف لمصالي الحاج أن ذكر محاسن الرجل ومدى تأثره به، وما السرّ في قيامه بهذه الصلة القويّة المميّزة مع أرسلان، وكيف لهذا الأخير أن وثق به رغم سوء علاقته بأقرب من عرفهم قبله على غرار رجال الإصلاح وفي مقدّمتهم توفيق المدني الذي ذكر شخص مصالي الحاج إلا بما يذمّه [4]، وفي هذا الصدد سنعرّج على العلاقة التي ربطت أمير البيان بأحمد توفيق المدني التونسي المولد، الجزائري الأصل.

3 3 علاقة الأمير بأقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (توفيق المدني، عبد الحميد ابن باديس...):

ذكر المؤرخ شارل أندري جوليان أن العلماء في الجزائر مذهبهم الديني يستند إلى مطامح وطنية، مصدرهم القرآن والسنّة، يُوصفون بالوهابيّين الجدد رغم أنهم يختلفون عنهم من حيث المذهب وطريقة العمل ويقول أن أفضل اسم يُناسبهم هو العلماء الإصلاحيين، ويستلهمون تعاليم الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، وأخيراً تلقّوا على الصعيد العلمي دروس شكيب أرسلان، ثم استفادوا من إستراتيجية الدستوريين الجدد وتجربتهم في تونس [5]، حيث نوّه جوليان أين مربط الفرس في العلاقة التي ربطت الأمير بالعلماء في الجزائر وأشار إلى تلّقي العلماء الدروس على الصعيد العلمي، للحنكة التي كان يمتلكها الأمير في مجال السياسة والعلاقات العامة عل جميع الأصعدة.

---

[1] عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي للهجرة**، ص60.

[2] سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص125.

[3] قد أشرنا سابقاً حول فحوى مقالنا الموسوم ب:" **الجزائر المحتلة في اهتمامات شكيب أرسلان وعلاقته برواد الحركة الوطنية " مصالي الحاج نموذجاً"**، حيث ركزنا على العلاقة التي أُقيمت بين أمير البيان شكيب أرسلان ومصالي الحاج، وكيف للأول أنّه أثّر على الثاني وكيف اعترف كذلك أنّه تأثر بشخصيته الشابة وحماسته المنقطعة، وللتعمق في الموضوع يُنظر : سلامة دربال، سليمان قريري، مرجع سابق، ص ص 221-238.

[4] أورد الإعلامي محمد عباس ما قاله توفيق المدني عن حزب مصالي الحاج وشخصيته حيث كتب:"...إن قيادته كانت بسيطة، دون مستوى مسؤوليات ودون مستوى الأحداث، كان زعيمه الحاج مصالي عاميا أو قريباً من العامية، وقد أراد أن يغطّي نقصه الثقافي في رداء مادّي بحت، فأطال شعره إلى أن تهدّل فوق كتفيه، وأطال شعر لحيته حتّى غطّى الجزء الأعلى من صدره، ووضع فوق كلّ ذلك طربوشاً ضخماً، وكان طويل القامة مائلاً إلى البدانة، فكانت تلك الصورة المسرحية مع ترديد كلمات: الاستقلال، الحريّة، الفداء، التضحية.... مستجلبة للأنظار متغلغلة إلى أعماق الدهماء، كان يُأمر فيُطاع، ويقول فيُسمع...". محمد عباس، **الحاج مصالي .. الوطني الثّائر بين غاندي .. وهوشي مينه**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص268.

[5] شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**..، ص ص133، 134.

أشار أمير البيان إلى علاقته برموز الحركة الإصلاحية الجزائرية، فمنهم من التقى به، ومنهم من كان يراسله، ومنهم من تحدث عنه وكتب عن سيرته وأثنى عليه، حيث كتب سعد الله أنه قد تراسل أرسلان أيضاً مع شخصيات أخرى غير المدني قبل **1930**م، مثل الطيب العقبي، والزواوي، وابن باديس، وأبي اليقظان.... وقد اخترنا الولوج عبر التنقيب والبحث في هذه الصلات بدايةً بالعلاقة التي أقامها مع الكاتب والمؤرخ أحمد توفيق المدني.

1 3 3 صداقة الأمير بالكاتب الشهير أحمد توفيق المدني:

يذكر شارل روبير أجرون في كتابه "تاريخ الجزائر المعاصرة" أن أحمد توفيق المدني كان الموجّه الخفيّ لفكر شكيب أرسلان، بحيث كان متفتحاً على القضايا السياسية الدولية[1]، وهذا يثبت أن الرجلين كانا بخلفية أيديولوجية واحدة، وبما لا يدع مجالاً للشك فإن العلاقة بين الرجلين كانت صلبة وقويّة، من خلال ما خلّفه الاثنين بين دفّات مؤلفاتهما، إضافةً إلى ما كتبه الباحثون في هذا المجال، أمّا عن بداية الصداقة التي جمعتهما، يذكر المدني في مقال له ضمن "مجلة الثقافة" أنّه تلقّى رسالة من قبل أمير البيان عن طريق الشيخ عبد الحميد ابن باديس بعد أن أُبعد من طرف السلطات الفرنسية عن تونس نحو الجزائر سنة **1925**م[2].

في حين يذكر في مذكراته "حياة كفاح" أنّه كان على صلة بشكيب أرسلان منذ سنة **1923**م، أي قبل نفيه من تونس بسنتين [3]، وقد كتب المدني:"...لقد كانت الأخوّة الصّادقة قد ربطت بين قلبينا، وآلفت بين روحينا منذ سنة **1925**م[4]، بعد أن أبعدتني السلطات الاستعمارية الفرنسية عن تونس، مهد الكفاح الأول، ونشرت غداة ذلك بياناً احتجاجياً بصحف الجزائر ختمته بقولي: (حُراً خُلقتُ، وحُراً أحيا، وحُراً أموت)، فإذا برسالة تأتيني ...على يد البطل الخالد عبد الحميد ابن باديس، وكان مرسلها شكيب أرسلان، وقد افتتحها بقوله تعالى :«فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ

---

[1] أجرون، مرجع سابق، ص517.

[2] أحمد توفيق المدني، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"**، ص74.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح، مذكرات، في الجزائر 1925م–1954م**، ج2، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر، 2010م، ص337. سعد الله، أبحاث وآراء، ج4، ص118.

[4] فهذا الاختلاف في التواريخ لا يعني هناك تناقض، بل هو تعبير صادق من الشيخ أحمد توفيق المدني لّما قال أنّ بداية الأخوة الصادقة التي ربطت بين قلبيهما كانت سنة 1925م، أي التعارف والصلة كانت سنة 1923م لّما كان في تونس، أمّا الصداقة من خلال المراسلات التي لم تنقطع إلا بانتقال الأمير إلى بارئه سنة 1946م، بدأت بعد نفيه إلى الجزائر سنة 1925م.

سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ »[1]، حيث ذكر المدني أن تلك الرسالة كلّها حثٌّ على الجهاد والصبر، وأضاف أنه من تلك اللحظة إلى غاية عودته إلى بلده سوريا بعد استقلالها، استمرت المراسلة بينهما ولم تنقطع، وكانت من خلال سيّدة من لوزان وصديق له من الجزائر، أي كان يتراسلان عبر وسيطين، باسمين غير اسميهما، ولإبعاد كل الشبهات عنهما، وقد تضمنت الرسائل المسائل السياسية العالمية وبالأخص القضايا المغاربية[2].

وقد ذكر أمير البيان اسم أحمد توفيق المدني عديد المرّات في كثير من المواضع، وضمن عدد من رسائله، ففي الرسالة التي بعث بها الأمير إلى السيد الحاج عبد السلام بنونة المغربي بتاريخ **28** أوت **1931**م أخبره من خلالها تفاصيل عملية جمع اشتراكات جريدة(لاناسيون أراب، الأمة العربية) الشهرية التي استلمها من مختلف مناطق العالم العربي، ففي الجزائر كان يبعث بتلك المبالغ المتعلقة بالجريدة السادة توفيق المدني وسعيد الزاهري[3] والطيب العقبي[4]، وقد ذكر ذلك أحمد توفيق المدني وأكّد على أنّه من بين الذين دعّموها مادياً حيث كتب يقول:"...رأيناه يُصدر مجلّة الأمة العربية في سويسرا، يكتبها بروح من حديد، وقلم من نار، يتولّى فيها النضال عن كل قضايا المستضعفين...قضايا تونس، والجزائر، والمغرب الأقصى، وإنّه ليسعدني ويُشرّفني أنّني كنت من بين العاملين على نشر تلك المجلّة الراقية، ودعمها مادياً..." [5]، وكان ذلك بعد حوالي سنة ونصف من بداية إصدارها الذي كان بتاريخ شهر مارس **1930**م.

وفي الشأن نفسه يقول أمير البيان في كتابه "عروة الاتحاد"...وكان الجزائريون يطالعون أيضاً مقالاتنا العربية ومجلتنا "لاناسيون آراب" ويُعجبون بها لما فيها من الدفاع عنهم، وكان يروّجها هناك الأستاذ الوطني

---

(1) **القرآن كريم**، سورة "آل عمران"، الرقم: 03، الآية:(195)، برواية ورش عن نافع.

(2) أحمد توفيق المدني، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"**، ص75.

(3) **محمد السعيد السنوسي الزاهري** (1899-1956م) : صحفي وشاعر وكاتب، من رجال الإصلاح كان ناقداً لسلوك الطّرق الصوفية، ولد في قرية ليانة بضواحي بسكرة، درس على يد الشيخ ابن باديس ثم انتقل إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة، كتب في مجال القصة، ثم المقال الإصلاحي، وفي القومية، أصدر عدة جرائد على غرار "الجزائر" سنة 1925م، و"البرق" سنة 1927م، و"الوفاق" سنة 1938م، و"المغرب العربي" سنة 1947م، له مقالات كثيرة في جرائد ومجلات الشرق لا سيما (الرسالة، المقتطف والفتح)، من آثاره كذلك كتابه :"الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير". محمد بومديني، **"محمد السعيد الزاهري ودوره الإصلاحي 1900-1956م"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، المجلد الخامس، العدد 10، جوان 2017م، ص ص 127- 129. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/197/5/10/66686 تاريخ الزيارة :2022/09/17 23:51.

(4) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**،ص ص283، 284.

(5) أحمد توفيق المدني، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"**، ص74.

السيّد أحمد توفيق المدني..." [1]، وفي السّياق نفسه وفي إحدى رسائل الأمير المرسلة إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وبعد أن ترجّى الأمير الشيخ بأن يقدّم بعض الخدمات للسيّد محمد داود المغربي خلال رحلته إلى الحج، أشار في رسالته إلى علاقة هذا الأخير بالسيد أحمد توفيق المدني، فللتعريف به أخبره أنه صديق السيد أحمد توفيق المدني كما قال :"...وإنّ ولدنا المشار إليه (محمد داود) هو صديق ولدكم السيد أحمد توفيق المدني [2]، وكأنّ هذين الشابّين فرقدان في العلم والفضل والحميّة والجِدّ والاستقامة..."، وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق في العنصر الخاص بعلاقة الأمير بالشيخ الثعالبي، ثم أخبره أن المدني كتب له حيث قال:"...وبهذه المناسبة كتب لي السيّد توفيق المدني يسألني بعد أن عرف اجتماعاتنا في القدس هل أنتم تذكرونه [3] وهل رضاكم عنه باقٍ كما كان؟"[4].

وتجدر الإشارة إلى أهمية العمل الذي كان يقوم به أمير البيان، وكيف له أن يعقد الرباط بين مختلف الشخصيات الوطنية المغاربية، ويؤسس لعلاقات سياسية بين تيارات الحركة الوطنية في البلاد المغاربية، وقد اقتبسنا النص السابق من الرسالة المؤرخة في **30** جانفي **1935**م وهي الرسالة رقم **17** المدرجة ضمن كتاب:"الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والشيخ الثعالبي".

ثم يضيف الأمير حول جوابه للسيّد أحمد توفيق المدني بعد سؤاله عن الشيخ، أنّ الشيخ الثعالبي يعزّكم ويعتمد عليكم ويعدّكم من أنجبِ أولاده، وأفضل من يطمح فيهم الخير للأمّة الإسلامية [5]، فكان الأمير الملهم للشباب المغاربي، والموجّه لهم في عديد المسائل، والمرشد الناصح عند الشدائد والأزمات.

---

[1] أرسلان، **عروة الاتحاد بين أهل الجهاد**، ص157.

[2] يذكر الأستاذ مداني واضح أنه لّما تأسس حزب الدستور التونسي سنة 1920م وانضم إليه أحمد توفيق المدني حيث كان مكلّفاً بمهمة الإشراف على التحرير والشؤون الإدارية لمجلة "الفجر" بين أوت 1920م وديسمبر 1921م، تعرف خلال هذه الفترة على عديد زعماء الحركة الوطنية التونسيّة على رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي. مداني واضح، "**أحمد توفيق المدني بين مشروع النهضة الثقافية والقضية الوطنية في الجزائر 1925– 1954م**"، مجلّة تاريخ المغرب العربي ، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، المجلد 8، العدد01، جوان 2022م، ص11. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/197430 تاريخ الزيارة : 2022/08/22م، 22:35.

[3] يتبين لنا من خلال ما كتبه أمير البيان في الرسالة حول سؤاله للثعالبي إن كان يتذكر الشاب أحمد توفيق المدني أنه لا توجد مراسلات بين الثعالبي والمدني، بعد أن أُبعد من الجزائر منذ سنة 1925م وإلى غاية كتابة أسطر هذه الرسالة المؤرخة بتاريخ 30جانفي 1935م، أي مدة انقطاع عشرة سنوات كاملة.

[4] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص88.

[5] المصدر نفسه.

ويذكر سعد الله أن المدني كان يمثل همزة الوصل بين أرسلان وبعض الزعماء المغاربة على غرار محمد داود التطواني، حيث كتب أحمد توفيق المدني إلى محمد داود يخبره أن شكيب أرسلان عازم على زيارة تطوان المغربية، وكانت المراسلة بتاريخ **22** جويلية **1930**م، ولقد أبدى عبد السلام بنونة ارتياحه لهذا النبأ في إحدى رسائله لابنه الطيب بنونة قائلاً: "فيا حبذا لو يصحّ الخبر" [1]، فكان لأحمد توفيق المدني دور بارز في ربط صلات الأمير برجال الوطنية المغربية، وكان له السبق في معرفة مشاريع الأمير السياسية وإستراتيجيته لمواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية والإسبانية في أقاليم المغرب العربي.

وقد كتب أمير البيان في عديد المواضع من مؤلفاته حول ما ألّفه المدني من كتب، فمدح شخصه وأثنى عليه؛ فيذكر الأستاذ محمد الصغير بلعلام في هذا الشأن أن أمير البيان من بين الذين أُعجبوا بمُؤلَّف "كتاب الجزائر، الجغرافية، التاريخ والمجتمع **1931**م"[2]، وأكّد ذلك المؤرخ سعد الله حيث كتب أن أرسلان وصف المدني بالمؤرّخ الثقة، وأشاد بكتابه السّالف الذكر، ونقل عنه معلومات قيّمة تخص القطر الجزائري [3]، حيث يقول أمير البيان :"...وبينما نحن نتحرّى لنعرف الحقيقة إذْ ظهر "كتاب الجزائر" بقلم الوطني الفاضل المحقق السيد أحمد توفيق المدني...وهذا الكتاب قد جمع كل ما تلزم معرفته من شؤون الجزائر..." [4]، والظاهر أن شكيب أرسلان قام بعديد التصويبات بعد أن تحصّل على هذا المؤلف فيما خصّ تاريخ الجزائر، خصوصاً تلك المسائل المتعلقة بالإحصاءات[5]، إضافةً إلى كونه مصنّفًا سياسيًّا يتضمّن التأريخ الوطني، أو هو بمثابة موسوعة للحركة الوطنية في الجزائر، كما وصفه أجرون[6].

---

[1] محمد ابن عزوز حكيم، **وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب**، تطوان، المغرب، ص ص21، 22. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص121.

[2] محمد الصغير بلعلام، **"الأستاذ أحمد توفيق المدني الصحفي المؤرخ"** ، مجلة الدراسات الإسلامية ، المجلد 6، العدد 14، ديسمبر 2008م، ص114. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/169249 تاريخ الزيارة: 2022/08/22م، 23:03.

[3] سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص118.

[4] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج4، ص105.

[5] وقد نوّه أمير البيان على هذه النقطة في هامش الصفحة 104، من كتاب حاضر العالم الإسلامي الجزء الرابع، حيث كتب أنّ الإحصاء الذي أورده في طبعته الأولى لمسلمي الجزائر هو إحصاء قديم وناقص جداً عن الحقيقة، وأضاف أنه علم أن مسلمو الجزائر قد ناهزوا الستة ملايين وليس أربعة، بعد حصوله على كتاب الجزائر للوطني الفاضل المحقق السيد أحمد توفيق المدني كما وصفه. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج4، هامش ص105.

[6] أجرون، مرجع سابق، ص517.

ولابد من الإشارة إلى أنّ أمير البيان حرّر مقالاً حول "كتاب الجزائر" في "مجلة الفتح" لصاحبها محب الدين الخطيب[1]، ضمن صفحات (العدد: **289**)، للسنة السادسة كما هو موضح في الملحقين (**12**) و(**13**)، حيث بدأ مقاله بقوله:"من أحسن ما أُخرج في هذا العصر "كتاب الجزائر" للأستاذ بحق السيد أحمد توفيق المدني، أكثر الله في الإسلام من أمثاله..."، ويضيف الأمير ما أورده المدني بين صفحاته، وعن أسلوب صياغته فكتب :"...أحصى المؤلف في هذا الكتاب المبين كل ما تلزم معرفته من أمور المغرب الأوسط من تاريخ وجغرافية وإدارة واجتماع واقتصاد وغير ذلك بعبارة سهلة سائغة بليغة جامعة لا تملّ بإطناب ولا تخلّ بإيجاز ولا اقتضاب..."، ثمّ نوّه الأمير إلى ما أدرجه المدني حول سياسة التسلط الاستعماري الفرنسي من قوانين جائرة تعسفيّة ظالمة لأهالي الجزائر، حيث أن السلطة كانت تكيل بمكيالين بين الأهالي والمستوطنين[2].

ثم يقول الأمير أن المدني لم يزد شيئًا عن ما كتبه، إلا بعض الإشارات والملاحظات، بل جاء بما تصدره فرنسا من قوانين في الجزائر، لذا فنصوص هذه القوانين مبنية من أولها إلى آخرها على تجريد الجزائريين المسلمين من كل ما ينفعهم، فلا تحتاج إذاً إلى شروحات في الحواشي ولا إلى إحالات في الهوامش؛ ثم يستغرب من ادّعاء الفرنسيين للتمدّن، ويدعو القارئ إلى قياس معاملة الفرنسيين للمسلمين الجزائريّين، وما تنصّ عليه شريعة الإسلام على معاملة أهل الذمّة، ثمّ يستدل ببيت شعري قائلاً[3]:

وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بما فيه ينضح

وخلاصة ما كتبه الأمير عن ما جاء في كتاب توفيق المدني وما حواه من سياسة الفرنسيس حيث جاء في قوله:"...ومن أغرب الغرائب عقلية الأفرنسيس الذين يسنّون هذه القوانين ويحكمون هذه الأحكام، ويسمّون كل من ينقلها عنهم بنصّها وفصّها عدوّاً لهم، فكأنهم يريدون أن يُسنّوا هذه المظالم كلها قوانين...لأن أفعالهم في الجزائر أشنع من الأقوال وتطبيق قوانينهم أفحش بكثير من نصوصها، وأن لا يتكلم عنها أحد بشيء، بل يتركها مسكوتاً عنها مطوية على غرّها، فإذا ذكرها ذاكر أو أشار إليها أو نقلها مجرد نقل صاحوا من كل جهة :-هذا عدوّ فرنسة ! ..."[4]، فبطبيعة الحال كان الأمير مُعجبا أيّما إعجاب بهذا الكتاب وما حواه من معلومات قيّمة، في زمن جفّت فيه الأقلام الجزائرية، وضاقت مجالات الكتابة فصارت

---

(1) وقد أشار سعد الله عن ذلك في كتابه أبحاث وآراء. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص119.

(2) شكيب أرسلان، "**كتاب الجزائر**"، مجلّة الفتح، دار المطبعة السلفية، القاهرة، العدد 289، السنة6، ذو القعدة 1350ه، ص14.

(3) أرسلان، المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

شبه منعدمة، فأتى هذا المُؤلَّف ليفتح آفاقاً واسعة للمهتمين والقرّاء، ويسدّ الفراغ الثقافي الرهيب الراهن، ويصحّح ويصوّب ويردّ على فعاليات الاحتفالات المئوية لاحتلال الجزائر.

أوجد هذا الكتاب مفاهيمًا جديدة غُيّبت عن أذهان الجزائريين مثل (الأمة الجزائرية، الوطن، الشعب...)[1]، وفي المقابل وعند تأليفه لكتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (**1492-1792م**)" الذي صدر شهر جويلية سنة **1968**م، اعتمد توفيق المدني على مؤلفات شكيب أرسلان التي أصدرها فيما قبل، وهي (رواية آخر ملوك بني سراج [2]، والحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية) [3]، وورد اسم شكيب أرسلان في عدة مواضع من الكتاب [4]، رغم أنّه لم يعتمد على المناهج العلمية التاريخية، فلم تكن للمدني في كتابه المذكور إحالات إلاّ ما ندر، لكنّه كان يذكر عند اقتباساته في الغالب صاحب المعلومة أو الفقرة التي استند عليها في سرد أخبار التاريخ الوارد ضمن سطور متن كتابه.

والجدير بالذكر أن توفيق المدني كان مُنبهراً بكتابات الأمير شكيب أرسلان، حيث كتب:"...إلى جانب ذلك الجهد السياسي...نراه قد ألّف عدداً من الكتب الضخمة التي لم يكتبها أحدٌ قبله، والتي يؤسفني أن أقول أنّه ربما لن يكتب مثلها أحدٌ من بعده..."، ويضيف واصفاً مُؤلّفه الحلل السندسية:"...وهذه دراسته المفصّلة الدقيقة البديعة عن بلاد الأندلس العربية (الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية)، وقد رسم ببيانه صورة

---

[1] فاطمة الزهراء نور، **"إسهامات المثقفين الجزائريين في إثراء الدراسات الخاصة بالعهد العثماني أحمد توفيق المدني نموذجاً"** ، مجلة تاريخ العلوم، المجلد5، العدد13، جوان 2020م، ص365. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/125560 تاريخ الزيارة: 2022/08/22م، 22:32.

[2] هي رواية قام شكيب أرسلان بترجمتها من الفرنسية إلى العربية، صاحبها الكاتب الفرنسي المشهور "الفيكونت دو شاتو بريان، طُبعت الرواية سنة 1897م بالإسكندرية في مطبعة الأهرام، ثمّ أُعيد طبعها في مطبعة المنار سنة 1925م، ويضم هذا الكتاب بين دفتيه أربعة أجزاء، الأول هو رواية "آخر بني سراج"، والثاني "خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة" بقلم شكيب، أما الجزء الثالث "أخبار العصر في انقضاء دولة بني النصر" لمؤلف مجهول، ثم الجزء الرابع فيضم "أثارة تاريخية رسمية في أربعة كتب سلطانية أندلسية صادرة عن أبي الحسن...."، الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج2، ص ص491، 492.

[3] يقول الشرباصي في حق هذا الكتاب، أنّه معلمة تاريخية عربية إسلامية، حاول الأمير من خلالها أن يضع بين يدي القارئ كل ما تعلّق بالفردوس الإسلامي المفقود"الأندلس"، وكان هدف الأمير إصدار هذا المؤلف في ثمانية أجزاء أو أكثر، لكن لم يصدر سوى ثلاثة أجزاء، طُبعت بمطبعة الحلبي كأول طبعة سنة 1936م بالنسبة للجزء الأول، والثاني سنة 1939م ويخصان شمال الأندلس، أما الجزء الثالث فقد طُبع سنة 1947م عن شرق الأندلس، وقد ذكر الشرباصي أنّه لم يُعرف بعد عن مصير بقية الأجزاء، هل كتبها أرسلان وخلّفها كمخطوطات، أو فُقدت، أو جمع مادتها و لم يحررها في شكل كتاب بعد. المرجع نفسه، ص ص562، 563.

[4] أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت ط، ص ص41، 530.

صادقة عن كل مدينة وعن كل ناحية من بلاد الأندلس..." [1]، وتجدر الإشارة إلى ما قاله المدني في مذكراته، حيث أنّه كان يمدّ أمير البيان طوال سنوات بمعلومات عن المغرب العربي ومشاكله السياسية ومقاومته للاستعمار[2]، فكان الرجلان يتبادلان المعلومات التاريخية، وبالأخص أرسلان الذي لم يزر الجزائر و لم تسمح له الفرصة لذلك، فغابت عنه الكثير من المعلومات عنها، لذلك كان المدني يساعده فيما كان يبحث عنه، ويمدّه بما يريده من معلومات حول البلاد المغاربية، خصوصاً الجزائرية.

ويضيف أحمد توفيق المدني مدحه وإعجابه بتعليقات شكيب أرسلان على كتاب حاضر العالم الإسلامي قائلاً:"...وهذه معلمته الإسلامية الخارقة للعادة، وهي تعليقه على كتاب "حاضر العالم الإسلامي"...فلم يترك شاردةً ولا واردةً عن العالم الإسلامي...باسطاً القول عن كل المشاكل السياسية التي يقاسيها مسلمو الأرض كافة..."، ثم يذكر تعليقات أمير البيان على كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون، حيث يقول:"...ومن أهم ما فيه خلاصة غنية مركزة عن تاريخ الدولة العثمانية، منذ بدايتها إلى نهايتها..." [3]، وكان المدني يستدل بكلام أمير البيان في خطبه وكتاباته، من ذلك ما أورده في كتابه "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم" في إحدى احتفاليات جمعية الشبيبة الإسلامية بالعاصمة، حيث قال أن انحطاط المسلمين الحاضر سببه انعدام فكرة التضحية لديهم كما ذكر شكيب أرسلان[4].

وعلى مستوى المواقف هناك موقف مثير للأمير شكيب أرسلان نوّه له أحمد توفيق المدني في مقاله الموسوم ب: "شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"، وهو ردّ الأمير [5] على مندوب فرنسا الذي أخذ بسرد تفاصيل مشاريع الإصلاحات الفرنسية في بلده سوريا خلال عقد الجمعية العامّة للأمم المتحدّة، فردّ عليه

---

[1] توفيق المدني، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"**، ص75.

[2] توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، ص338. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص118.

[3] توفيق المدني، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"**، ص75.

[4] الشهاب، **"جمعية الشبيبة الإسلامية بالعاصمة واحتفالها السنوي"**، مجلة الشهاب، مارس 1931، الجزء3، المجلد7، ص ص190- 196.

[5] يقول المدني في هذا الشأن:"...رأيناه في قضية سوريا ولبنان، يتولى النضال بالسعي الحثيث، بالقلم واللسان، فيصوّر استعمار فرنسا للبلاد تصويراً دقيقاً، يبيّن للناس كافّة حقيقة ذلك الإجرام الفظيع، وإنّه لفي جلسة عامّة لجمعية الأمم المتحدة وهي تناقش موضوع الوصاية الفرنسية على البلاد، وقد وقف مندوب فرنسا يبيّن في صلف وفي خيلاء، أعمال بلاده الإصلاحية في سوريا، وإقبال الناس عليها وسرورهم بها، إذ بصاحبنا شكيب يقف وقفة عملاق في شرفة المتفرجين ويصيح بأعلى صوته مونتور (كذّاب)، وإذا بجميع الأنظار تتّجه إليه، وإذا بخطيب الاستعمار يرتجّ عليه، فما كادت الجلسة أن تنتهي بعد ذلك الحادث حتّى أقبل الجميع على شكيب أرسلان يطلبون إليه بيان الحقيقة، فيدلي إليهم بالأحاديث الضافية المقنعة، وقد نسفت كلمة واحدة منه، أكاذيب دولة استعمارية، وفضحت أمام العالم أعمالها..."، توفيق المدني، **شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين**، ص 73.

شكيب باتهامه بالكذّاب ليلفت الأنظار حوله ويفضح أكاذيب الفرنسيين أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث أقبل عليه الجميع لطلب الحقيقة، فصرّح بكل الحقيقة التي تُخبّؤها فرنسا عبر أكاذيبها ونفاقها المألوف حول سياستها في مستعمراتها[1].

وفي الشأن نفسه يذكر أجرون في كتابه "تاريخ الجزائر المعاصرة"، أنّ مواقف جمعية العلماء تجاه السياسة الدولية محيّر، حيث لّما حرّموا الشيوعية والصهيونية اعتقدوا من واجبهم إتّباع شكيب أرسلان المعروف بولائه للألمان، ويضيف أجرون أن شكيب لم يخفي يوماً تعاطفه مع النظامين الفاشي والنازي، إلاّ أنّ توفيق المدني رغم ضابط الارتباط بين العلماء المسلمين الجزائريين وشكيب أرسلان إلاّ أنّه طلب اتخاذ موقف ضد موسوليني عام **1938**م[2]، والجدير بالذكر أنه رغم توافق آراء شكيب أرسلان مع موسوليني وعلاقته الجيّدة معه في مراحل عدّة، إلاّ انّه عبّر عن سخطه من ممارساته في طرابلس الغرب، ورغم أنّه كان يعلنها صراحةً أنّه ضد الحلفاء(إنجلترا وفرنسا)، إلاّ أن موقفه في الدفاع عن العروبة والإسلام لم يتغير، وقد ذكرنا ذلك سابقاً في الفصل الثاني، ضمن العنصر الخاص بمواقف شكيب أرسلان من الفاشيست ثم الحملة الإعلامية التي شنّها ضدّهم حول ممارساتهم في ليبيا.

وأفضل ما أورده توفيق المدني عن مواقف الأمير شكيب، هو عن ما أوصى به الأمير قبل مماته، أي وصيّته حول البلاد الفلسطينية، فحتّى خلال تسليمه لروحه الطاهرة لم تُثْنه هذه اللحظة الصعبة عن تذكير من حوله بقوله: "أوصيكم بفلسطين"، فكانت هاتان الكلمتان آخر ما تلّفظ به أمير البيان شكيب أرسلان [3]، فأيُّ رجلٍ هذا !؟ حمل هموم أمّته إلى قبره ورغم استقلال بلده سوريا، ففي نظره ناقص، لا يكتمل الاستقلال إلاّ باستعادة كل شبر من أراضي العرب والمسلمين في كل أصقاع العالم.

هذا ما استطعنا الوصول إليه من نقاط التقاطع بين الرجلين، وما أوردته الكتب والمقالات حول الصلة التي ربطت أمير البيان شكيب أرسلان بالصحفي المؤرخ أحمد توفيق المدني صاحب الشخصية المثيرة للجدل، فعلاقة شكيب أرسلان بالمدني هي جزء صغير من علاقات واسعة أقامها الأمير مع رجال الإصلاح الجزائريين وعلى رأسهم الشيخ ابن باديس.

---

(1) توفيق المدني، **شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين**، ص 73.

(2) أجرون، مرجع سابق، ص533.

(3) توفيق المدني، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين"**، ص77.

الذي كان من طراز الشخصيّات النبويّة كما وصفه شارل روبير أجرون، الزّاهد ذو النظر الثاقب، كرّس حياته لخدمة العروبة والإسلام في الجزائر، عمل جاهداً لاسترجاع هويّة الجزائريّين وربطها بالوطن الإسلامي الذي كان يسمّيه شكيب أرسلان (الأمّة العربية)[1].

2 3 3 صلة أمير البيان بالشيخ عبد الحميد ابن باديس:

تحدّث أمير البيان في مقاله :"العالم الإسلامي يفقد اثنين من خيار رجاله" كثيراً عن الشيخ ابن باديس بعد وفاته كما سنورده في هذا العنصر، وكتب قائلاً:"...و لم أكن ممّن عرفوا المرحوم شخصياً، وإنّما وقعت بيننا بعض المكاتبة، وقد نقل إلى مجلّته كثيراً من كتاباتي..."، وبناءً على ذلك فالأمير يصرّح بعدم معرفة الشيخ ابن باديس معرفة شخصيّة لكن كانت هناك مراسلة بينهما.

وفي ذات السياق يقول المؤرخ سعد الله أن أرسلان تراسل مع شخصيات أخرى من الحركة الإصلاحية غير المدني قبل سنة **1930**م، من بينها الشيخ ابن باديس [2] فلا يوجد تاريخ محدد للقاء الرجلين، لكن توجد الشواهد الأدبية التي تُثبت العلاقة بين الشخصيتين، خصوصاً وأنّهما ينتميان إلى التيار نفسه، وقد تحدّث شكيب أرسلان عن شخصية الشيخ ابن باديس في مؤلفاته لكن باقتضاب، وذكر ابن باديس عبر صحافته اسم الأمير وأدرج عديد مقالاته ضمنها خلال فترة التراسل بينهما، فسنحاول في سطور هذا العنصر الولوج إلى عمق العلاقة التي كانت قائمة بينهما.

وقد ذكرنا سلفاً أنّ أحمد توفيق المدني ذكر في مقاله "شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين" الصادر بمجلة الثقافة، أنّه تلقّى رسالة من قبل أمير البيان عن طريق الشيخ عبد الحميد ابن باديس بعد أن أُبعد من طرف السلطات الفرنسية عن تونس نحو الجزائر سنة **1925**م[3]، حيث يثبت ذلك أن ابن باديس كان يُراسل أمير البيان شكيب أرسلان منذ سنة **1925**م، أي بعد إلغاء نظام الخلافة الإسلامية، وبداية توجّه جهود أمير البيان نحو الوحدة العربية.

وفي الشأن نفسه يقول أمير البيان:"...أمّا في الجزائر فقد كان البادئ بالحركة الوطنية الحقيقية هو الأستاذ الكبير عبد الحميد بن باديس ورهطه من العلماء الذين يجرون مجرى المصلح الأكبر أستاذنا الشيخ محمد

---

[1] أجرون، مرجع سابق، ص ص 515، 528، 529.

[2] سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص ص120، 121.

[3] أحمد توفيق المدني، "**شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين**"، ص74.

عبده تلميذ السيد جمال الدين الأفغاني، فكان من البديهي أن تكون بيني وبين السيّد باديس رحمه الله صلّة روحية بالنظر إلى اتحاد المشرب الاجتماعي والسياسي معاً، وكان الجزائريون يُطالعون أيضاً مقالاتنا العربية ومجلتنا "لانسيون آراب"، ويُعجبون بها لما فيها من الدفاع عنهم..." [1]. فكتابة هذه الأسطر من قبل الأمير كانت بعد سنة **1940**م وهي تاريخ وفاة الشيخ ابن باديس رحمه الله.

فلا مناص من القول أنه اعتراف صريح من الأمير حول مكانة الشيخ ابن باديس عنده، حيث صرّح أنّه البادئ بالحركة الوطنية والتي عّدها حقيقية، ثمّ وصف ابن باديس بالأستاذ الكبير، ثم أشار إلى أنّ العلماء يحملون الفكر الإصلاحي الذي سطّره لهم الشيخ محمد عبده تلميذ الأفغاني، ليفنّد مقولة أن شكيب أرسلان هو المحرك الأساسي للحركات الوطنية في شمال إفريقيا أو الملهم لها، رغم ما له من مساعي في هذا المجال؛ وتجدر الإشارة إلى ما قاله الأمير حول ما كان ينشره ضمن مجلته "الأمّة العربية" من مقالات يطالع عليها الجزائريون فيُعجبون بها لأنها تُدافع عن مصالحهم.

ظهر اسم شكيب أرسلان في عديد المقالات ضمن صفحات مجلاّت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث نشرت الجمعية الكثير من المقالات التي روّجت لأفكار أمير البيان شكيب أرسلان، وعبّرت عن ما يبذله الرجل من جهود ومساعي في سبيل تحرير شعوب الأمة العربية والإسلامية.

فمن خلال اطلاعنا على مجلة الشهاب لصاحبها الشيخ عبد الحميد بن باديس الصادرة سنة **1924**م لسان حال الحركة الاصلاحية، عثرنا على إعلان أوردته المجلة في صفحتين حول مجلة "الأمة العربية" كما هو موضح في الملحق رقم (**07**)، حيث كُتب على الصفحة الأولى بالبنط العريض(الأمة العربية LA NATION ARABE على أنها مجلّة شهرية سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية، لسان الوفد السوري الفلسطيني لدى جمعية الأمم، تخدم مصالح البلدان العربية ومصالح الشرق، يحررها الأمير شكيب أرسلان وإحسان بك الجابري «باللسان الفرنسي»)، وضمن فحوى الإعلان كتب ابن باديس :"في هذا العنوان بيان لمشرب المجلة ومقصدها وفي مكانة محرريها الدليل القاطع على بلوغها غاية الغايات من القيام بأعباء مهمتها"، حيث أكدت الشهاب على أهمية هذه المجلة ومكانة محرريها وثقل الأهداف التي يسعون خلفها[2].

---

[1] أرسلان، **عروة الاتحاد بين أهل الجهاد**، ص157. سلامة دربال، سليمان قريري، مرجع سابق، ص ص228، 229.

[2] عبد الحميد ابن باديس، "**ثمار العقول والمطابع: الأمة العربية LA NATION ARABE** " مجلة الشهاب، عدد ماي 1930م، ص ص257. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص ص122، 123.

ثم يسترسل كاتب الإعلان ليذكر للقرّاء أن الأمة العربية تضمّ سبعين مليوناً، فهي الأمة التي أنجبت الكلدانيين والفينيقيّين والتبابعة...وهي التي نشرت المدنية الإسلامية، ثم يصف محررها الأمير شكيب أرسلان بأكبر سياسي في الشرق، ويضيف أن أبناء الأمة العربية أصبحوا يجهلون ماضيهم ودينهم وحضارتهم، وعلى الغربيين والمتغربين أي الفئة المتفرنسة أن يعرفوا ماضي الأمة العربية وحاضرها، ثمّ أشار إلى مواضيع أول عدد للمجلة ثم دعا القراء إلى الاشتراك فيها بقوله :"فنرى حقّاً على كل من يمت إلى العروبة بعرق أن يشترك فيها بنفسه ويهديها إلى المغتربين من أبناء جنسه(المتجنسين)...ففي ذلك رفع لعلم العروبة العلمي وإحياء لمجدها القومي وهو من أعظم ما يفعله أبناؤها المخلصون اليوم..."، وفي الأخير يعلن عن إهداء هذه المجلة لمدة سنة لشخصيتين مغتربتين وهما المحامي الزبير بن باديس المقيم بقسنطينة، والسيد المحامي الهادي مصطفاي المقيم بمدينة سطيف ثم ختم بكتابة عنوان المجلة بالفرنسية في حالة مراسلتها والاشتراك المباشر مع إدارتها[1].

وقبل المقال سالف الذكر كان قد نُشر مقال في الشهاب ضمن عدد جوان **1930**م تحت عنوان:"مركز المرأة في نظر أمير البيان "، عالج الأمير من خلاله مسألة تخلف المرأة المسلمة وعلاقة ذلكم التخلف بالتراجع الذي يشهده العالم الإسلامي، فركّز الأمير على أهمية دور المرأة المسلمة في المجتمع المسلم[2]، فكانت أفكار أمير البيان الإصلاحية التوعوية تصل جميع أصقاع المعمورة، فيقرؤها القاصي والداني، في المشرق والمغرب عبر مختلف الجرائد الإصلاحية على غرار الصحافة الجزائرية كالشهاب، البصائر...وغيرها.

وفي عدد سبتمبر **1930**م نشرت المجلة نفسها "الشهاب" مقالاً يتحدث فيه ابن باديس عن زيارة الأمير إلى الأندلس، عُنون المقال ب"درّة غالية من درر أمير البيان ونصير الإسلام الأمير شكيب أرسلان"، يبدأ الشيخ ابن باديس المقال بذكر ما جاء في فحوى الكتاب الذي وصله من الأمير، حيث ذكر هذا الأخير أنه اطّلع على الجزء الأول من كتاب تاريخ الجزائر لمبارك الميلي، ومجموعة أعداد مجلة الشهاب، فأثنى عليها وأُعجب بهما، وقد اقتبس ابن باديس فقرات عدة ممّا ذكره الأمير في الرسالة[3].

حيث كتب :"...وإنّ هذا النهوض لن يعدو الإسلام، ولن يكون إلا ضمن دائرة الإيمان، إذ لا رُقي بدون أخلاق، ولا أخلاق بدون مدنية روحية تكون فيها الروح محركاً والمادّة آلة...وإنّ الأمّة التي تريد أن

---

(1) سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص123.

(2) عبد الحميد ابن باديس، **"مركز المرأة في نظر أمير البيان"**، مجلة الشهاب، سبتمبر 1930، الجزء5، المجلد6، ص ص276، 277.

(3) عبد الحميد ابن باديس، **"درّة غالية من درر أمير البيان ونصير الإسلام شكيب أرسلان"** ، مجلة الشهاب، سبتمبر 1930م، الجزء8، المجلد6، ص ص468، 469.

ترقى بنبذ عقائدها وتقاليدها وأن تجعل قديمها فداء لجديدها لهي أمّة مستعفية من الوجود، راضية بأن تكون لغيرها غذاء...وتضمحل هويتها كما تلاشت أمم بائدة...ولن ترضى بذلك أمّة تفقه معنى الحياة، فكيف ترضاه الأقوام التي دليلها القرآن، ومعبودها الرحمان...ولغتها العربية من أكمل اللغات، والله يأخذ بيدكم ويفتح عليكم ويجعلكم علماً منيراً..."، حيث أن الأمير أثنى على الإصلاحيين ودعاهم للعمل على النهوض بالأمّة وإحياء لغتها اللغة العربية، فذكر أنّه لا رقيّ إلا بالحفاظ على العقيدة والهوّية، لذا فيرى الأمير أنّه فلا خوف على أمّةٍ تُوحّد وشريعتها القرآن[1].

وفي مناسبة أخرى كتب ابن باديس مقالاً تحت عنوان: "درّة أخرى من درر أمير البيان"، حيث أورد خبر سفر الأمير إلى البلاد الأندلسية أي إسبانيا، ليقف على ما خلّفه العرب المسلمون من آثار ومآثر في تلك البلاد، وقد أخبره الأمير أنّه سيقيّد ما رآه خلال زيارته في كتاب اختار له عنوان :"الحلّة السندسية في الرحلة الأندلسية" حيث ذكر الشيخ ابن باديس أنّه سيكون من أفيد وأمتع ما أُلّف في هذا الحقل من البحوث حول الوطن المفقود، ثم ألحق الشيخ ابن باديس مقاله بما كتبه الأمير ضمن رسالته، حيث يروي شكيب حيثيات رحلته حول ما رآه بصره ولاحظته بصيرته من آثار العرب التي لم يستوعبها عقله وفوق كل تصور، فذكر جامع قرطبة أنه معجزة في عظمته، ومنارة إشبيلية(خيرالدا) التحفة الفنيّة[2].

وأضاف أنه كل شيء من دون غرناطة لا يمكن بها الإحاطة، ثم بدأ ليسترسل في الحديث عن عظمة تلكم الهياكل الإسلامية وعن قصر الحمراء، وعمران غرناطة وما تحيط بها من تضاريس زادها بهاءً، ولكثرة خيراتها جمعت هذه المدينة أكثر من مليون نسمة، حيث ذكر الأمير أنّه من المستحيل أن تُأخذ عُنوةً لولا الاختلاف بين الأشقاء والانشقاق بين أهلها، ثم يذكر كيف لحكّامها عقد المعاهدات مع فرديناندو وإيزابلا اللذان نقضا ما تعاهدوا عليه ليحملوا المسلمين على النصرانية بالقوّة، ثمّ يستدل بقول الملك الإسباني "شارلكان" حينما رأى الحمراء "شقيٌّ جدّاً من ذهب من يده كلّ هذا"، فإذا كان هذا كلام الآخذ فكيف يكون كلام المأخوذ منه؛ ثم يختم الأمير بعدة أبيات يصف فيها مصائب المسلمين المتتالية، ثم يمنح نصائحاً حول اليأس فيقول:"...فلا نيأس من الاتعاظ فإنّ اليأس هو السقوط الحقيقي وما دام الأمل موجود فالحياة موجودة..."[3].

---

[1] ابن باديس، **"درّة غالية من درر أمير البيان.."**، ص ص468، 469.

[2] عبد الحميد ابن باديس، **"درة أخرى من درر أمير البيان"**، مجلة الشهاب، سبتمبر 1930م، الجزء8، المجلد6، ص ص483، 484.

[3] ابن باديس، المصدر نفسه، ص484.

وفي تعليقات الشهاب حول كتاب "لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم" عبر صفحة (ثمار العقول والمطابع) علّق صاحب المقال على هذا الكتاب مُشيداً به وبمؤلفه، حيث بدأ بتعظيم دور الأمير في مراحل حياته الحافلة بالأحداث، بلفت انتباه القارئ إلى مساعي شكيب أرسلان وجهاده بالسيف والقلم، فبلغ ذروة مجده بعد أن أصدر كتابه "لماذا تأخر المسلمون..."، ثم وصف الأمير بالطبيب الأكبر الذي وجد مواطن الضعف ومواضع الألم في الأمة، بعد الفحص الدقيق وضع يده على علّة المريض كما وصف، ثم يقتبس بعض كلمات الأمير من هذا الكتاب مخاطباً العالم الإسلامي :"... أيها الناس هذا منشأ علّتكم، وهذا سبب ألمكم، وهذا هو علاجكم الوحيد...وما ظلمكم الله ولكن أنفسكم كنتم تظلمون..."[1].

ثم يصف كاتب المقال أن هذه الرسالة الصغيرة هي أبلغ وأسمى وأعظم شيء كتبه مسلم على الإطلاق في هذا العصر، حيث كان نتاج وعصارة تجاربه وبحوثه فتوصّل إلى معرفة أسباب انحطاط المسلمين وأسباب نهضتهم المرجوّة، بإعطاء تجارب الأولين ونماذج عن الأمم المعاصرة، ثم أضاف أن الأمير فنّد رأي القائلين بأن الدين هو سبب تخلف الشعوب، بدليل تفوق اليابانيين ورقيهم رغم تمسّكهم بدينهم الخرافي الخشن كما وصفه، وكذلك المسيحية واليهودية لم تكن يوماً عائقاً للارتقاء والتقدم، وفي ختام مقاله أوصى كاتبه القرّاء باقتناء الرسالة(لماذا تأخر المسلمون...) لتكون تحت يد كل مسلم ومسلمة وفي كل أقطار العالم، لفهمها حق الفهم ليبدّل الله حال المسلمين سريعاً إلى أفضل حال[2].

وفي عدد ديسمبر من سنة **1937**م افتتحته الشّهاب بمقالٍ تحت عنوان "مسألة عظيمة بين رجلين عظيمين" بقلم الشيخ عبد الحميد بن باديس، بيّن من خلاله ما عناه بالمسألة العظيمة، وهي الوحدة السياسية للأمة العربية، أما العظيمان فهُما الأمير شكيب أرسلان، وسعادة سليمان باشا الباروني، حيث شرح ما كان بينهما من تراشق صحفي، بدأه الباروني باتهام الأمير ببراءته من الأقاليم العربية المستعمرة لإرضاء الدول الاستعمارية حسب كلامه، فردّ الأمير عليه [3]، ودافعت عنه الشهاب وعديد الصحف في المشرق والمغرب،

---

(1) عبد الحميد ابن باديس، **"لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم"**، مجلة الشهاب، مارس1931م، الجزء3، المجلد7، ص ص211، 212.

(2) ابن باديس، المصدر نفسه.

(3) عبد الحميد ابن باديس، **"مسألة عظيمة بين رجلين عظيمين"**، مجلة الشهاب، ديسمبر 1937م، الجزء10، المجلد13، ص ص438- 446.
عبد الحميد ابن باديس، **نصوص مختارة**، تصدير: عبد العزيز بوتفليقة، جمع وتعليق:محمد قرصو، منشورات ANEP، 2005م، ص ص143-148.

فحاول ابن باديس من خلال عديد المقالات التوسّط ورأب الصدع وحل الأزمة، وتوضيح حيثيات هذه المسألة، باعتبار أن الأمير كان قد ظُلم باتهام الباروني له.

وفي مقال آخر قد أشرنا إليه سابقاً، ضمن مقالات مجلّة "الشهاب" كذلك، في عدد مارس **1938**م، عنونه الشيخ ابن باديس "المباحثة والمناظرة بين محبي الحقيقة المتعاونين عليها، ردّ الأمير شكيب أرسلان"، هذه المرّة كانت الشهاب لا وسيطة بل طرف في القضية من خلال مهاجمة سليمان باشا الباروني والدّفاع عن سمعة الأمير، حيث افتتح المقال بقول الكاتب:"...قراء الشهاب على علم من تلك الحملة الطائشة السخيفة التي قام بها السيد سليمان الباروني الطرابلسي ضد الأمير شكيب أرسلان..."، ليشرح الكاتب تفاصيل ما كتب الباروني من أكاذيب كما صرحّ، وردود الأمير عليها من خلال الأدلة الدامغة والشواهد الحيّة والوثائق التي أوردها الشهاب في حدود اثنا عشر صفحة[1].

فوصفت سليمان الباروني بالسيد، في حين كتبت في المقال السابق (سعادة سليمان باشا الباروني)، حيث دافعت من خلال هذا المقال بشراسة على ما قام به الأمير من جهود ومساعي في سبيل تحقيق أهداف الأمة العربية، وهاجمت الباروني على كل كلمة قالها في حقّ الأمير، وعلى كل شكوكه تجاه نيّة الأمير نحو الأمّة وبالأخص القضية الطرابلسية.

وحريٌّ بنا التطرق إلى اهتمامات الأمير بتحركات ونشاط جمعية العلماء وعلى رأسها الشيخ ابن باديس، ففي مدونته أورد الأمير شكيب خبر تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من قبل الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة **1928**م، حيث كتب أن أهداف الجمعية تتلخص في البيت الشعري الذي يقول:

شعب الجزائر مسلم و إلى العروبة ينتمي[2]

حيث أن أمير البيان أخلط بين تاريخ تأسيس نادي الترقي [3] وجمعية العلماء من خلال تاريخ التأسيس، كذلك أخطأ في آخر كلمة من الشطر الثاني للبيت الشعري، فهي ينتسب وليس ينتمي، فمن الممكن أن أخبار الجزائريين كانت تصله متأخرة أو دونّها من خلال اعتماده على الذاكرة.

---

(1) ابن باديس، "**المباحثة والمناظرة بين محبي الحقيقة المتعاونين عليها، ردّ الأمير شكيب أرسلان**"، ص ص14- 26.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص184.

(3) نادي الترقي تأسس من طرف أعيان مدينة الجزائر العاصمة، فمنهم التجار والمثقفون، أبرزهم : (محمود بن ونيش، محمد بن مرابط، موهوب بن علي....)، وكان ذلك في صيف عام 1926م، وحضر اجتماع التأسيس 32 شخصاً، كان مقره بساحة الشهداء حالياً، أما الافتتاح الرسمي

وخلال تأسيس الجمعية وبداية نشاطها قام شكيب أرسلان بدعوة العلماء، أي خلال شهر ماي **1931**م وهو الشهر الذي تأسّست فيه الجمعية إلى الاهتمام أكثر بالحركة الإسلامية والدفاع عنها، وقد ذكر المؤرخ أرنولد توينبي أن المؤتمر الإسلامي الجزائري جاء كنتيجة للمؤتمر [1] الإسلامي بالقدس[2]، فنصائح الأمير التي تتماشى وبداية النشاط للعلماء يدل على معرفة الأمير بتفاصيل تحركاتهم، والمكاتبة التي كانت بينه وبين الشيخ ابن باديس لطالما أثبتت الأحداث البصمة الأرسلانية على توجهات الجمعية.

وقد أعطى أجرون ذلك التأثر في قناعات العلماء في حديثهم عن الجنسية الجزائرية المستندة إلى قاعدة الإسلام الذي هو العنصر الأساسي في خصوصية الشعب الجزائري، وبالنسبة لهم القومية الجزائرية العربية تعني الانتماء للوطن الإسلامي وضرورة محبّته، ذلك الوطن كان يسمّيه أمير البيان شكيب أرسلان "الأمّة العربية"[3]، وبهذا التفسير ألقى أجرون الضوء على نقاط التقاطع والوفاق بين فكر جمعية العلماء وأفكار الأمير.

وفي ذات السياق يقول أجرون أن "أمير البلاغة" شكيب أرسلان كان منشّط الدعاية للقومية العربية، وهو المفكّر بالنسبة للعلماء المسلمين في المجال السياسي، من خلال مراسلة الشيخ ابن باديس له بشكل منتظم، وكذلك مراسلته للشيخ أمين الحسيني مفتي القدس الأكبر، رئيس اللجنة التنفيذية الدائمة للمؤتمر الإسلامي، حيث شبّهه أجرون بمجلس دائم لعصبة الأمم العربية، ثمّ ذكر أجرون أن ابن باديس كان كذلك على اطلاع مباشر بكلّ المساعي العربية الهادفة إلى لمّ شمل "المجموعة العربية النبيلة"[4].

وفي ذات السياق يقول أندري ديرليك André Dirlik أن شهرة الشيخ ابن باديس بدأت من الصداقة التي أقامها مع شكيب أرسلان، إضافةً إلى ما كانت تنشره مجلة المنار لصاحبها الشيخ رشيد رضا من مقالات

فكان في جويلية 1927م برئاسة محمود بن ويش، وتكفلا أحمد توفيق المدني ومحمد بن مرابط بتحضير قانونه الأساسي، ويذكر توفيق المدني أنه هو صاحب فكرة تسمية النادي (نادي الترقي). المدني، **حياة كفاح**، ج2، ص ص165-168. فاطمة الزهراء نور، مرجع سابق، ص373.

[1] أورد سعد الله في هذه المسألة أن العلماء لم يشاركوا في فعاليات المؤتمر الإسلامي بالقدس، لكن مثّل الجزائر في هذا المؤتمر المهاجر الجزائري إبراهيم أطفيش المقيم بالقاهرة وقتئذٍ. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص152.

[2] سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص152

[3] أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ج2، ص528.

[4] أجرون، المرجع نفسه، ص529.

حول الحركة الاصلاحية في الجزائر، وضمن الدوائر الفرنسية فأعمال جي ديسبارمات J.Desparmat التي ركزت على العلماء، قد جعلت الشيخ ابن باديس مشهوراً لدى الكثيرين[1].

وجدير بالذكر أنه في سنة **1937**م حين أعرب أرسلان عن شكوكه في إمكانية تحقيق الغاية الأسمى وهي الوحدة المغاربية والوحدة العربية، قامت الشهاب بتبنّي مواقفه على مراحل كما ذكر أجرون، حيث أعلنت جمعية العلماء من خلال الشهاب أنّه من السابق لأوانه التفكير في تحقيق الوحدة العربية، و لمّ شمل الأمّة في ظلّ الظروف الدولية السائدة آنذاك أي في سنة **1938**م[2]، أي قبيل الحرب العالمية الثانية، حين كان العالم على صفيح ساخن، وكانت الحرب توشك أن تندلع.

ثم يعلّق أجرون على سياسة العلماء على صعيد السياسة الدولية ومواقفهم المحيّرة كما وصفها، حيث لّما حَرّموا الشيوعيّة والصهيونية اعتقدوا أنّه من واجبهم إتّباع أمير البيان الذي لم يكن يخفي تعاطفه مع النظامين الفاشي والنازي، في حين كان البعض منهم يتعاطف مع بعض الجوانب من النظام الاشتراكي ويقرّون أنّها وُجدت علاماتها في القرآن الكريم، ويضيف أن عداء وحقد شكيب أرسلان للفرنسيين والإنجليز تفسر سبب اندفاع العلماء إلى اتخاذ مواقف ضد الاستعمار الإنجليزي والتعاطف مع سياسة موسوليني [3]، ثم يقول:"...غير أنهم (العلماء) لم يظهروا بمظهر المتملّق للدوتشي(موسوليني) على غرار شكيب أرسلان..."، حيث احتجّت مجلة الشهاب على "سيف الإسلام" الذي مُنح لموسوليني[4].

حيث عبّرت الشهاب في عدد أفريل **1937**م عن استيائها من مهزلة السيف، وسمّتها المناورة الخشنة التي لا رقّة فيها، حيث صُنع السيف بروما وكلّف الخزينة الإيطالية مائتي ألف فرنك، ونُقل هذا السيف إلى طرابلس، ليقدّمه جماعة من المسلمين إلى الدوتشي "موسوليني" كهدية تحت مسمّى "سيف الإسلام"، فعبّرت

---

(1) أندري ديرليك، **عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية** (1307ه-1358ه) (1889م-1940م)، تق وتر: مازن بن صلاح مطبقاني، دار عالم الأفكار الجزائرية سنة 2013م، الجزائر، طبع من طرف وزارة الثقافة بمناسبة الذكرى 50 لاستقلال الجزائر، ص ص 206- 211.

(2) أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ج2، ص532.

(3) المقالات التي نشرتها الشهاب حول سياسة إيطاليا برئاسة موسوليني في ليبيا في معظمها ناقدة له، فمن بين تلك المقالات نجد ما كتبته الشهاب كمثال لا الحصر :"...ليست سياحة موسوليني متصرف إيطاليا بالبلاد الطرابلسية إلاّ من باب التدجيل السياسي الذي راجت سوقه في أنحاء العالم...لكن فاته أن المسلمين سواء في الشرق أو في الغرب ليسوا من الغباوة بدرجة أنهم يريدون أن يستبدلوا مستعمرا بمستعمر..." ثم يوصف بالدكتاتور ومحاولته غزو اليمن عبر "سيف الإسلام"الذي صنع بروما. الشهاب، "**الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب**"، مجلة الشهاب، أفريل 1937م، الجزء2 ، المجلد13، ص ص111- 113.

(4) أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ج2، ص ص532، 533.

الشهاب عن مخاوفها ودلالات هذه التسمية وأهداف موسوليني الخفية، وتوجيه أنظاره نحو اليمن، حيث أن لقب "سيف الإسلام" هو اللقب الرسمي الذي يُطلق على أبناء الإمام في اليمن[1].

وقد أشار أمير البيان في إحدى رسائله التي بعث بها إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي والمؤرخة في **21** أفريل **1933**م، إلى الخلاف الذي جرى في الجزائر بين من سمّاهم الأمير بالسّلفيين من جهة، والطُّرقيين من جهة أخرى، دون تفصيل في القضية، حيث ذكر أن الطائفتين وصلت لدرجة السباب، حيث تجاوزوا العلويين والإرشاديين في الجاوة بإندونيسيا، والظاهر أن الأمير أراد الاستفسار في القضية، ومعرفة تفاصيل هذا الخلاف[2]، الذي نشب بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعض شيوخ الطرقيّة، حيث يقول الشيخ ابن باديس في هذا الشأن:"...فلمّا ارتفعت دعوة الإصلاح في (المنتقد) و(الشهاب) [3]، حسب الناس انهدمت تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان، ورسّخها الجهل، وأيّدها السلطان، محال. ولقد صمدت (الشهاب) للطّرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فسائد عقائد، وعلى العقول من باطل أوهام، وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه..." [4]، فبيّن ابن باديس جهود جرائد جمعية العلماء في محاربة أضاليل الطرقية، ومُجاراتها للإدارة الفرنسية على حساب الدين، والابتداع فيه، وانحرافها عن العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ثم يضيف"...حاربنا الطرقية لّما عرفنا فيها-علم الله- من بلاء على الأمّة من الداخل ومن الخارج، فعملنا على كشفها، وهدمها مهما تحمّلنا في ذلك من صِعاب..." [5]، حيث عبّر الشيخ ابن باديس صراحةً عن إعلان الجمعية حربها على الطرقية [6]، والعمل على كشف مخطّطاتها وممارساتها المخالفة للدين، طبعاً كانت

---

(1) الشهاب، أفريل 1937م، ص ص111- 113.

(2) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص47.

(3) يقول الأستاذ محمد الطاهر فضلاء أحد علماء الجمعية أن دروس الشيخ العقبي في نادي الترقي ومساجد العاصمة هي التي أفقدت الإدارة الفرنسية توازنها وحكمتها، فلجأت إلى إصدار القوانين والقرارات التي من خلالها تعرقل مسار نشاط جمعية العلماء، وتوقف التربية والتعليم والوعظ في المساجد، حيث اغتصبت الحكومة أوقافها واحتكرت الإشراف عليها، وتسييرها بالعملاء والضعفاء، ثم قرار ميشال، فكانت هذه القرارات والقوانين المعني بها بالدرجة الأولى هو الشيخ العقبي. محمد الطاهر فضلاء، **الطيب العقبي، رائداً لحركة الإصلاح الديني في الجزائر**، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، هامش ص53.

(4) عبد الحميد ابن باديس، **آثار ابن باديس، مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية**، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، الجزء 2، المجلد 2، ص369.

(5) ابن باديس، **آثار ابن باديس، مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية**، ص369.

(6) تحدث أجرون عن علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالإدارة الفرنسية وبداية التضييق على نشاطها الذي كان سنة 1932م بعد عام من تأسيسها، وبالموازاة قام أحد رؤساء الأحزاب الطرقية في اكتوبر 1932م وهو سي علي مبارك بن علال بمطالبة المندوبيات المالية بمنع الخطب

حربهم تعترضها مختلف الصعاب والعراقيل، أبرزها الإدارة الفرنسية التي كانت تساندها بكل قوّة، وحسب تاريخ بداية رفع شكاوي شيوخ الطرقيّين إلى الإدارة الفرنسية ضد العلماء والذي كان سنة **1932**م كما ورد في هامش هذه الصفحة، فإنهم هم المبادرون إلى هذه الحرب بعد إحساسهم بتراجع مكانتهم الدينيّة في الوسط الاجتماعي بالجزائر وتزايد مكانة العلماء.

وقد أورد أمير البيان في مدونته خبر وفاة الشيخ ابن باديس والتي كانت في سنة **1940**م، وأنه تّمت خلافته بالشيخ البشير الإبراهيمي في منصب رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [1]، وقد خصص له مقالا بعد وفاته إلى جانب أحد علماء التصوف في مصر تحت عنوان :"العالم الإسلامي يفقد اثنين من خيار رجاله"، وقد أثنى الأمير عليه وعلى جهوده حيث قال:"...وأما الفقيد الثاني، السيّد عبد الحميد ابن باديس، رئيس جمعية علماء الجزائر، فقد كان ركن الجزائر الأوحد، وعلمها المفرد ومرجعها المُشار إليه بالبنان لا يختلف في زعامته اثنان، عالماً عاملاً فاضلاً كاملاً، بليغ العبارة، سيّال القلم، محدّثاً محقّقاً مفسّراً، صحيح الفكر قويّ الحجّة، ساطع البرهان، علي الهمّة نهض بمسلمي الجزائر نهضة عظيمة اعترف بوجودها المسلمون كما اعترف الفرنسيس، وأسّسَ ورأسَ جمعية العلماء التي كان لها من المآثر في تأييد العقيدة الإسلامية ونشر الثقافة العربية في ذلك القطر الذي مُني بالتفرنج والتفرنس...وأيقظ العيون النائمة وأثار العزائم الكامنة، وأحدث انقلاباً روحيّا نفضت من بعده الجزائر غبار الخمول..."، وأضاف وأفاض في مدح ابن باديس، وشبّه الشهاب بالمنار لفقيدها رشيد رضا، وأطال في الثناء ثم الدعاء له وللبلاد الجزائرية[2].

وعلى ضوء ما تم التطرق إليه من شواهد وأدلّة تثبت وجود رابط وعلاقة جمعت الرجلين، شكيب أرسلان والشيخ بن باديس، فإنّ الصلة انحصرت في المراسلات دون وجود لقاءات بينهما في حدود اطلاعنا و لم تكن على ما يبدو علاقة شخصية بينهما رغم المراسلات التي تّمت طيلة سنوات العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، كما العلاقة التي كانت بين الأمير والمدني أو بين الأمير ومصالي.

السياسية في المساجد التي يلقيها الإصلاحيون، فنال مطلبه دعم عريضة احتجاج وقّعها 15 مندوباً مالياً ضد نشاط العلماء، لتبدأ الإدارة بغلق المدارس في وهران ومنع اعتلاء مسجد تلمسان من قبل العلماء ثم بلعباس والجزائر، ليدعم ذلك الكاتب العام ميشال Michel ويأمر بمراقبة نشاط الإصلاحيين. أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ج2، ص ص545.

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص287.

[2] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص ص104- 106.

3 3 3 علاقة الأمير شكيب بالعلماء (العقبي وأبي اليقظان والزاهري والزواوي...):

ارتأينا أن نجمع ما كُتب في الصلة التي كانت بين الأمير وهذه الشخصيات السالفة الذكر في عنصر واحد لقلّة ما وُجد في هذا الشأن، فعلاقة الأمير بهؤلاء ترجع إلى ما قبل تأسيسه لمجلته "الأمة العربية"، حيث يذهب سعد الله إلى أن بداية المراسلات بين أمير البيان شكيب أرسلان وأبرز الشخصيات الإصلاحية من جمعية العلماء الجزائريين قبل سنة **1930**م، من بينهم الطيب العقبي، والزواوي، وأبي اليقظان...، ويذكر سعد الله أنه قد تجنّد نخبة من المثقفين الجزائريين لمساعدة أرسلان في نشر جريدة "الأمة العربية"[1].

وقد ذكرنا سابقاً أن أمير البيان بعث برسالة إلى السيد الحاج عبد السلام بنونة بتاريخ **28** أوت **1931م** أخبره من خلالها تفاصيل عملية جمع اشتراكات جريدة "لاناسيون أراب، الأمة العربية" الشهرية التي استلمها من مختلف مناطق العالم العربي، ففي الجزائر كان يبعث بتلك المبالغ المتعلقة بالجريدة السادة توفيق المدني وسعيد الزاهري والطيب العقبي[2]، فما جاء على لسان الأمير يثبت أن العقبي والزاهري كانوا على صلة بالأمير، فكانوا يروّجون لمجلته "الأمة العربية"، يقومون بتوزيعها على المشتركين، ليجمعوا الاشتراكات ثمّ تُبعث تلك المبالغ إلى السيد شكيب أرسلان.

كتب سعد الله حول الصلة التي كانت بين أمير البيان وأبي اليقظان، من خلال المراسلات التي كانت بينهما وقد أشار إليها العديد من الباحثين، وهناك مجموعة من الرسائل ضمن أوراق الشيخ أبي اليقظان، والتي تدور في أغلبها حول أوضاع العالم الإسلامي ومستقبله وعلاقته مع الاستعمار، وكذا دعوتها إلى وجوب تجنيد الرأي العام الأوروبي لصالح الإسلام، ووجوب تصفيته من السموم التي يمزجها به السواحون ضد الإسلام، ويضيف سعد الله أنّ جرائد أبي اليقظان [3] تضمّنت عديد المقالات للأمير شكيب، وأخرى تتحدث عن

---

(1) سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص ص120، 121.

(2) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص283، 284. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص121.

(3) كان جهاد أبي اليقظان الصحفي زاخر بأعماله الصحفية حيث أصدر خلال ثلاثة عشر سنة ثمانية جرائد، أوقفها الاستعمار كلّها، بسبب ما حملته من أفكار ومواقف تجاه القضية الوطنية ومختلف قضايا تلك الفترة نوردها تباعاً:

- وادي ميزاب 119 عدداً من 1926/10/01م إلى 1929/01/18م، - ميزاب عدد واحد في 1930/01/25م
- المغرب 38 عدداً من 1930/05/29م إلى 1931/03/09م - النور 78 عدداً من 1931/09/15م إلى 1933/05/02م
- البستان 10 أعداد من 1933/04/27 إلى 1933/07/13م - النبراس 6 أعداد من 1933/07/21م إلى 1933/08/22م
- الأمة 170 عدداً من 1933/09/08 إلى1938/06/06م - الفرقان 6 أعداد من 1938/07/08م إلى 1938/08/03م

شخصه وعن مساعيه وجهوده، على غرار المقال المعنون بـــ :"خذوا حذركم من السوّاحين" بقلم أمير البيان ونشرها جريدة "وادي ميزاب" سنة **1928**م[1]، ويُضيف الأستاذ محمد بن صالح ناصر أن شكيب أرسلان كانت له عند إبراهيم أبي اليقظان مكانة خاصّة، لذا ظهرت آثارها على صفحات "الوادي" [2]، وعليه فإنّ ذلك يُظهر جليّاً بأنّ العلاقة بدأت بين الرجلين مُبكراً.

وكانت لأبي اليقظان كذلك جريدة تحت مُسمّى "الأمّة"، وكان أمير البيان من بين الذين نشروا مقالاتهم في هذه الجريدة[3]، وقد صدر أوّل عدد لها في **1933/09/08**م، يقول الأستاذ خيري الرزقي في هذا الشأن أن السلطات الفرنسية سارعت إلى التضييق عليها بعد أن عرفت أن مسار الجريدة هو نفسه المسار الذي سارت عليه باقي جرائده، مما جعل الشيخ أبا اليقظان يبادر إلى توقيفها بنفسه لمدّة سنة كاملة [4]، في حين لم يتطرّق الأستاذ خيري الرزقي إلى التشابه في التسميات الذي حملته مجلة "الأمّة" لأبي اليقظان من مجلة "الأمّة العربية" لشكيب أرسلان ذات التوجه نفسه، لذلك يجب الأخذ بالحسبان عمل المخابرات الفرنسية حول المراسلات التي كانت تجري بين الأمير وأبي اليقظان.

من بين تلك المقالات التي نُشرت ضمن صفحات"الأمّة" نجد مقال الأمير المُعنون ب"موقف البلاشفة من الإسلام والمسلمين"، في العدد الخامس **16** أكتوبر **1934**م[5]، وقد أُدرج هذا المقال ضمن الكثير من المقالات بين دفات كتاب زمن العروبة الأبتر لشكيب أرسلان [6]، التي هي عبارة عن مقالات نُشرت سابقاً في مجلة الفتح لصاحبها محب الدين الخطيب.

يحي حاج امحمد ويوسف باعمارة، "جريدة البستان للشيخ إبراهيم أبي اليقظان"، مجلة الأثر، العدد 31، جوان 2019م، ص195. رابط المقال:https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/20969/1/T3116.pdf تاريخ الزيارة : 2022/09/18م، 22:46.

(1) سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص ص123، 124.

(2) محمد بن صالح ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954م**، الناشر آلفا ديزاين، الجزائر، أكتوبر 2006م، ط2، ص77.

(3) خيري الرزقي، "**جريدة الأمة للشيخ أبي اليقظان وموقفها من القضايا الوطنية الجزائرية 1934–1938م**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر، المجلد 10، العدد 1، 2017م، ص 9. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/24517 تاريخ الزيارة: 2022/09/11، 22:03.

(4) المرجع نفسه، ص6.

(5) شكيب أرسلان، " **موقف البلاشفة من الإسلام والمسلمين**"، مجلة الأمّة، السنة الأولى، العدد05، 16 أكتوبر 1934، ص03.

(6) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص270، 271.

حيث تطرّق الأمير إلى خطر الفكر البلشفي على الإسلام والمسلمين، واستحالة الجمع بين البلشفة والإسلام، وما شعارات الأمميّة الشيوعية ومواقفهم تجاه الاستعمار الغربي الأوروبي إلا خداعٌ للمُستعْمَر، فانتشار أفكارهم في المستعمرات حرّك مصالح السوفييت واضطرّ الإنجليز والفرنسيس إلى الجلوس على طاولة المفاوضات مع السوفييت، وأظهرت تلك الدول بعض التنازلات مقابل عدم بثّ الدعاية البلشفية في مناطق نفوذها، على غرار تعهّدات الإنجليز للروس سنة **1921**م، والفرنسيين سنة **1931**م فتجلّى ضلال من كان يعقد عليهم الآمال في الجزائر[1].

إضافةً إلى ذلك فقد نشر أمير البيان مقالات أخرى في جريدة "وادي ميزاب" [2]، حيث أورد في أحد مقالاته أنّه معجبٌ بما يُنشر ضمن أعداد المجلة، حيث قال :"...إني تلقيت رزمة عظيمة من أعداد جريدتكم...وقرأت أشياء لذيذة فسألت الله لكم النجاح وما من حاجة إلى البيان، إنّ القطر الجزائري يهمّنا كما تهمّنا الأقطار الشرقية..." [3]، حيث أنّ الأمير انبهر من مستوى ما تنشره جريدة "وادي ميزاب"، وعبّر عن اهتمامه البالغ بالوطن الجزائري كما بالبلاد المشرقية.

ويقول الأستاذ مولود عويمر أنّ أمير البيان لّما اطّلع على جريدة "ميزاب" [4]، طلب من الشّيخ أبي اليقظان أن يُرسل إليه مزيداً من الأعداد، حيث يقول عويمر أن الجريدة بسيطة في شكلها لكنها عميقة في محتواها، ومتنوعة في مضمونها، وطموحة في أهدافها[5].

---

(1) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص270، 271.

(2) خيري الرزقي، **"من منابر الإصلاح والسياسة في المستعمرة الجزائرية جريدة وادي ميزاب للشيخ أب اليقظان 1929/1926م"**، مجلة مدارات تاريخية، المجلد01، العدد02، جوان 2019م، ص78.

(3) خيري الرزقي، **"الشيخ إبراهيم أبو اليقظان ومواجهة السياسة الفرنسية في الجزائر، (1926–1938م)**، مجلة المحلة التاريخية الجزائرية، العدد04، سبتمبر 2017، ص 96.رابط المقال: http://dspace.univ-msila.dz:8080/xmlui/bitstream/handle/123456789/7311/%D8%B589-114.pdf?sequence=1&isAllowed=y تاريخ الزيارة: 2022/09/12، 17:55.

(4) هذه المجلة أصدرت في عدد واحد في 25 جانفي 1930م، عكس جريدة وادي ميزاب التي أصدرت في 119 عدداً، من 1926/10/01م إلى 1929/01/08م، وقد ذكر الدكتور مولود عويمر أن أمير البيان طلب المزيد من جريدة ميزاب، فالأستاذ يقصد هنا وادي ميزاب التي أصدرت منها 119 عدد وليس صحيفة"ميزاب".

(5) مولود عويمر، **"الشيخ أبو اليقظان وحركة الإصلاح في العالم العربي"** ، الموقع الإلكتروني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تاريخ النشر :2014/06/04م، رابط المقال : https://oulama.dz/2014/06/04/%d8%a7%d9%84%d8%b4%d9%8a%d8%ae-%d8%a3%d8%a8%d9%88-%d8%a7%d9%84%d9%8a%d9%82%d8%b8%d8%a7%d9%86-%d9%88%d8%ad%d8%b1%d9%83%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b5%d9%84%d8%a7%d8%ad-

وقد ذكر أمير البيان أنّه أرسل إلى جريدة "وادي ميزاب" والتي وصفها بالفاضلة مقال مفاده التحذير من الأباطيل التي تحملها بعض كتب الفرنسيين على غرار كتاب الضابط الفرنسي جول سيكار Jules Sicard تحت عنوان "كتاب العالم الإسلامي في الأملاك الفرنساوية" [1]، ونُشر كذلك في جريدة المنار وعُنون هذا المقال بـــ"ما يُقال عن الإسلام في أروبة (ووجوب اطلاع المسلمين عليه)" [2]، وكان هذا المقال مُدرج ضمن عديد المقالات في كتاب "الإسلام والحضارات" لأمير البيان شكيب أرسلان.

فرغم ما خلّفه أبو اليقظان من عدد وافر من نسخ مجلاته إلاّ أنّها لا تزيل الغموض عن حقيقة العلاقة بينه وبين أمير البيان، فتبقى الصلة بينهما يشوبها الغموض وهذا راجع أساساً إلى عدم نفض الغبار على ما تركه أبو اليقظان من كتب مخطوطة فلم تُطبع لحدّ الساعة، أو نصوص الرسائل التي لم تظهر إلى العلن بعد.

ويذكر سعد الله أنّه كانت بين العقبي وأرسلان مراسلات عديدة وتبادل لعبارات الودّ والشِّعر، لكن المؤرخ لم يؤكد لنا تاريخ بداية الصلة بينهما، حيث أن العقبي استقرّ في الروم إيلي وأزمير بتركيا بعد نفيه من قبل السلطات العثمانية من المدينة المنورة سنة **1917**م، ولعلّه تعرّف عليه في هذه الفترة، أي قبل رجوعه إلى الجزائر سنة **1920**م، أمّا ما أشار إليه سعد الله حول هذه الصلة فترة العشرينات، هي ما كتبه مؤلف كتاب "شعراء الجزائر" الصادر سنة **1927**م لصاحبه محمد الهادي السنوسي، حيث ذكر أنه كانت بين الرجلين "علاقة صداقة خاصّة من نوعها"، وأن أرسلان أرسل إلى العقبي صورته الشخصية،كتب أسفلها العقبي بيتين[3]:

رسم صغير الحجم لكنه شكل أبي غالب(شكيب) الأكبر
ذكّرني لّما بدا قولهم ليس على الله بمستكثر

وقد ذكرنا سلفاً أنّ العقبي من بين الذين كانوا يُروّجون لمجلة الأمير "الأمة العربية" في الجزائر، حيث ذكر سعد الله أنّ العقبي جمع مائتي (**200**) فرنك سويسري في بسكرة من مشتركين جدد، حيث وصل عدد مشتركي المجلة إلى **150**مشتركاً، وهو عدد لا بأس به مقارنةً بالبلدان الأخرى، وكان أغلبهم يدفع اشتراكاته

%d9%81%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%b9/?fbclid=IwAR3GlECI--wt2HUBrhmmUKVdkyGyFDqXemlbnLmsgnDgcBflSbxO1RXCCOw تاريخ الزيارة: 2022/09/12م، 18:20.

[1] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص149.

[2] شكيب أرسلان، "**ما يُقال عن الإسلام في أروبة (ووجوب اطلاع المسلمين عليه)**"، مجلة المنار، العدد01، 07جوان 1929م، ص ص33-46. الرابط : https://archive.alsharekh.org/Articles/33/3495/95547 تاريخ الزيارة :2022/09/19م، 16:53.

[3] سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، ص ص121- 122.

بانتظام، وتجدر الإشارة إلى ما ذكره سعد الله حول تاريخ انتقال العقبي إلى العاصمة الذي كان سنة **1929**م في حين كان تاريخ جمعه للاشتراكات في بسكرة سنة **1931**م، حيث كتب سعد الله أن هذا الأمر فيه نظر عميق[1]، ومن الممكن أنّ العقبي كان يكلّف أشخاصاً آخرين بجمع تلك الاشتراكات عبر المراسلة، أو كانت تمرّ أعداد المجلة عبر العاصمة من خلاله ثمّ إلى الزيبان، وكذلك تأتي المبالغ الخاصة بها عبره ليتم تحويلها إلى خارج الجزائر، فهي مجردّ تخمينات لا ندري لماذا استغرب سعد الله من كون العقبي يجمع الاشتراكات من بسكرة وهو يقيم في العاصمة.

أمّا عن علاقة الأمير شكيب بالشيخ محمد السعيد الزاهري فقد ذكرنا سلفاً أن الزاهري ممّن كانوا يجمعون الاشتراكات لجريدة "الأمّة العربية"[2]، إضافةً إلى كونه الرجل الذي تكفل ببيع نسخ كتاب"لماذا تأخّر المسلمون وتقدّم غيرهم" من خلال رسالة الأمير إلى رشيد رضا، أخبره من خلالها أن الزّاهري أخبره بوصول **20** نسخة من الكتاب وينتظر وصول **30** نسخة أخرى، والرسالة مؤرخة في **22** ماي **1931**م[3].

وقد أثنى أمير البيان على كتاب الزاهري المسمّى "بالإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" وهو عبارة عن مجموعة مقالات نشرها الزاهري في مجلة الفتح في أواخر عشرينات القرن العشرين، وبعضها صدر في شكل افتتاحيات للمجلة، وقد رأى صاحب الفتح بأن تُنشر في كتاب، وقد طُبع هذا الكُتيّب في مصر، صدر عن المطبعة السلفية في القاهرة، ولّما صدر هذا الكُتيّب في طبعته الأولى، أرسل أمير البيان برسالة إلى الزاهري مُهنّئاً له، ومُبدياً له إعجابه بما جاء في فصول هذا الكتاب، ممّا جعل أمير البيان يستدلّ به على وجود نهضة أدبية علمية في الجزائر، أعمدتها :الزاهري، ابن باديس، العقبي، والميلي[4].

وفي الطبعة الثانية من الكتاب أشار محمد السعيد الزاهري في مقدمة كتابه المذكور آنفاً "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" أنّ الأمير شكيب أرسلان راسله وكتب إليه معبّراً عن إعجابه أيما إعجاب بتلك

---

(1) سعد الله، ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج4، ص122.

(2) المرجع نفسه.

(3) الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج2، ص753.

(4) نور الدين أبو لحية، مرجع سابق، ص ص 271، 272.

الفصول، بعد أن جمعها في كتاب، ودعاه إلى المثابرة وقال له أنّه يرى أنّ أركان الأدب العربي في الجزائر اليوم هم أربعة: الزاهري، ابن باديس، والعقبي والميلي[1].

ويضيف الزاهري في كتابه المذكور آنفاً " الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير"، وأنه لولا فتنة التجديد والإلحاد لما قام أقلام الأدب العربي ورجال الإصلاح الإسلامي يجاهدون في الله حق جهاده ويقومون حقا بحملة الإصلاح والتجديد مثل العلامة السيد رشيد رضا وأمير البيان شكيب أرسلان [2]، ثم يضيف ويصف أمير البيان شكيب أرسلان بكاتب الشرق الأكبر[3].

ويذكر الأستاذ كمال بيرم أنّ الزاهري كان من المتابعين لأوضاع الشرق وأحداثه، ومن الذين يكتبون في شؤونه، فكانت الكثير من الردود تأتيه من قبل شكيب أرسلان تعليقاً عليها [4]، وكانت العلاقة بينهما من خلال المكاتبة المستمرة، حيث كان الزاهري يتتبّع جولات الأمير وسفرياته من خلال رسائل الأخير، حيث أورد عديد المعلومات في كتاباته التي تخّص حيثيّات زيارة الأمير إلى إسبانيا، حيث ذكر:"... وكان كاتب الدهر أمير الجهاد والبيان عطوفة الأمير شكيب أرسلان زار بلاد الأندلس وزار المنطقة المغربية التي تحت حماية اسبانيا، فأقام له العرب حفلات التكريم، و لم يعترض الإسبان على شيء من ذلك، وكانت صحافة الاستعمار الفرنسي قد هاجمت عطوفة الأمير أرسلان بالأكاذيب والمفتريات وعاتبت الإسبان عتاباً مُرًّا على سماحهم له بالإقامة في المنطقة الاسبانية، وأغرتهم بإبعاده كما أبعدته الحكومة المراكشية الفرنسية من طنجة رغم أنها منطقة دولية..."[5].

حيث أشار الزاهري إلى نقطة جدّ هامة وهي البُغض الذي تحمله فرنسا للأمير ومحاولة إبعاده على مصالحها ومناطق نفوذها قدر المُستطاع، خوفاً من تبعات زيارته إلى المغرب، وقد كان تخوفهم في محلّه بعدما أصدرت السلطات الفرنسية قانون الظهير البربري في المغرب، كانت حملة إعلامية شرسة وضجّة على صعيد الرأي العام العربي والأوروبي، والمغربي خاصّة كما سنورده في الفصل الخامس.

---

(1) محمد السعيد الزاهري، **الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير**، دار الكتب، الجزائر، ط2، ماي 1933م، ص ص7، 8.

(2) الزاهري، المصدر نفسه، ص61.

(3) المصدر نفسه، ص 76.

(4) كمال بيرم، **"تجليات البعد الثوري في خطاب رواد الحركة الإصلاحية الزاهري نموذجا"**، أعمال الملتقى الوطني:(البعد الثوري في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1954)، 01 مارس 2016، جمع وتنسيق: مصطفى عبيد، جامعة محمد بوضياف المسيلة، منشورات مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس سلسلة البحوث والدراسات، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر، ص370.

(5) الزاهري، مصدر سابق، ص 105.

وضمن مقال كتبه الزاهري الموسوم ب :"حنين إسبانيا إلى العرب"، والذي أُدرج بين دفّات كتابه، ذكر أنّ السلطات الإسبانية أرادت تأسيس مشروع ثقافي علمي تُريد من ورائه إحياء الثقافة العربية الإسلامية من خلال إنشاء كُليّتين تُدرس بهما جميع العلوم، وبالأخص مجالات التاريخ والآثار واللغة واللهجات المغربية والفن والهندسة المعمارية العربية وتُدرس باللغة العربية، كلية في غرناطة والأخرى في مجريط (مدريد)[1].

لكن هذا المشروع لم ينجح لعدة أسباب، أهمّها أنّ الحكومة الإسبانية كانت منهمكة في إطفاء الفتن الداخلية، أضف إلى ذلك عرقلة بعض دول أوروبا الاستعمارية هذا المشروع، لذا تأجل إلى أجل غير مسمى، غير أن هناك عديد الجمعيات التي كانت تنشط في سبيل إنجاحه على غرار "البيت الإسلامي"، و"الجمعية الاسبانية الإسلامية"[2] والتي ينوب رئيسها الأمير شكيب أرسلان الذي بذل جهود مخلصة ومساعٍ حثيثة لتحقيق هذه الغاية النبيلة[3].

وهناك عديد الشخصيات الجزائرية التي وجدنا إشارات في ثنايا بعض الكتابات حول علاقتها بأمير البيان شكيب أرسلان، حيث يقول الدكتور مولود عويمر في مقال له على الصفحة الرسمية للموقع الالكتروني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أن الشيخ أبي يعلى الزواوي [4] الجزائري أقام علاقات قويّة برجال الثقافة

---

[1] الزاهري، مصدر سابق، ص ص 90-106

[2] كنّا قد ذكرنا سابقاً هذه المسألة في الفصل الثالث والتي تخصّ ا **لجمعية الإسبانية الإسلامية** التي تأسست بمدريد وكذلك البيت العربي، حيث تأسست في جوان 1932م، وكان هدفها الأساسي اتفاق الاسبان مع المغاربة وتمتين الصداقة معهم، وكان أعضاؤها الاسبان من الحزب الاشتراكي، والبعض من أصل عربي، مثل خيل بني أمية أما تركيبة مجلسها الإداري المسير فهم الرئيس: خوشي فرانتشي، خليفتان(نائبان): الأمير شكيب أرسلان، وإميليو بياندیو، أما أمين المال:ملتشيور ماريال، والكاتب العام: إنريكي دي رافلس، وخلفتاه: سانتيا عونباردل، ومحمّد الفاسي، وقد حاول كثيراً أمير البيان مع الثعالبي للمبادرة إلى تفعيل مشروع الجمعية لكن الثعالبي كان يتوجس خوفاً من أهدافها الخفّية، مصرحاً أنّه لا يثق في الجمعيات الأجنبية كما ذكرنا في العنصر الخاص بعلاقة الأمير بالثعالبي الفصل الثالث. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص58.

[3] محمد السعيد الزاهري، مصدر سابق، ص106.

[4] **أبو يعلى الزواوي** هو محمد الشريف بن العربي المعروف بأبو يعلى الزواوي، ولد في قرية تعاروست بأزفون سنة 1866م وحفظ القرآن ودرس اللغة العربية والعلم الشرعي بزاوية تفريت ناث الحاج وزاوية عبد الرحمان اليلولي بمدينة عزازقة، كما أضاف إلى رصيده العلمي تعلم اللغة الفرنسية والتي وظفها في خدمة الدين والدفاع عن قيمه، ثم سافر الشيخ أبو يعلى إلى تونس عام 1893م بهدف مواصلة دراسته بجامع الزيتونة، ثم أكمل رحلته نحو المشرق العربي، ومكث هناك عشرة سنوات متنقلا بين دمشق والقاهرة، واتصل خلالها بعلماء الجزائر المقيمين هناك أمثال الشيخ طاهر الجزائري، محمد خضر حسين، والشيخ الرزقي الشرفاوي، كما أقام علاقات صداقة مع العلماء العرب والمسلمين أمثال الشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ محمد الدين الخطيب والأمير شكيب أرسلان، وبعد ان عاد إلى الجزائر بتاريخ 1924م، تقلد منصب إمام مسجد سيدي رمضان بالقصبة بمدينة الجزائر، حيث كان من المساهمين في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، فكان من أبرز أعضائها النشطين ومفتيها الأوّل، ومحررا في مختلف جرائدها، فنشر الكثير من المقالات في الصحف الجزائرية والعربية المشرقية، وكانت له عديد الكتب على غرار (الإسلام الصحيح، تاريخ الزواوة، الخطب المنبرية، جماعة المسلمين....)، ولم يتوان يوماً في تقديم الجهد لخدمة حركة الإصلاح في الجزائر، وواصل

والإصلاح في المشرق العربي وفي العالم الإسلامي ككل، أبرزهم الطاهر الجزائري ومحمد رشيد رضا [1]، وأمير البيان شكيب أرسلان وغيرهم [2]، لكن لم يقدم لنا الأستاذ عويمر شكل العلاقة التي قامت بين الأمير والشيخ الزواوي الجزائري، أو أين التقيا، وهل كانت بينهما مراسلات.

ويضيف سعد الله أن للشيخ الزواوي مراسلات مع أمير البيان، وله عدة مخطوطات منها ما طُبع، ومنها ما لم يُطبع لحدّ الساعة، على غرار كتاب "مرسلات الشيخ أبي يعلى" أشار إليه بنفسه في كتبه خصوصاً مع شكيب أرسلان[3]، إلاّ أنه في حدود اطّلاعنا لم نجد لهذا الكتاب أثراً.

وفي سياقٍ آخر بعيدًا عن العلماء والجمعية، يؤكد المؤرخ سعد الله أن لأمير البيان صلات ومراسلات مع عديد الشخصيات الأخرى أمثال عمر بن قدور وعمر راسم [4] خلال العشرينات والثلاثينات، ثم يذكر سعد الله اسمًا آخر وهو علي الحمّامي، حيث ذُكر اسم الحمامي في كثير من رسائل المغاربة، حيث يضيف أن

نشاطه الفكري إلى أن وافته المنية بتاريخ الأول من جوان 1952م بالجزائر العاصمة. مولود عويمر، **"الصحافة صوت الأمم وترجمان الشعور العام"**، جريدة البصائر، 28 فيفري 2022، من الموقع الإلكتروني : https://elbassair.dz/18348/ من الموقع الإلكتروني تاريخ الزيارة : 2022/05/21، 18:54.

[1] كتب الأستاذ عمر رياض أن مطبعة المنار نشرت كتاب "الإسلام الصحيح" الذي ألّفه الشيخ سعيد بن محمد الشريف أبو يعلى الزواوي الجزائري(1862-1952م)، الإمام الخطيب بجامع سيدي رمضان بمدينة الجزائر، والذي كان من الأوائل الذين تابعوا مجلة المنار وساعدوا على انتشار أفكار صاحبها الإصلاحية، والكتاب طُبع بمطبعة المنار على نفقة التاجر الجزائري الحاج محمد المانصالي صديق المؤلف وأحد قدماء أتباع مجلة المنار في الجزائر. عمر رياض، **"مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنّا:علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر (1898م-1935م)"**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات ، العدد 7، 1 ديسمبر 2012م، ص ص 81- 108.رابط المقال:https://www.asjp.cerist.dz/en/article/6256أو https://archive.alsharekh.org/Articles/49/18241/409633 تاريخ الزيارة:2022/06/20 17:47.

[2] مولود عويمر، " **الذكرى الستون لوفاة الشيخ أبي يعلى الزواوي**" ، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص 2. من الموقع الإلكتروني: https://oulama.dz/2012/06/10/الذكرى-الستون-لوفاة-الشيخ-أبي-يعلى-الز

[3] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار البصائر الجزائر، 2007، ج2، ص ص146، 153.

[4] **عمر راسم** (1884-1959م): هو عمر بن علي راسم وُلد بمدينة الجزائر في الخامس من ربيع الأول سنة 1302هـ الموافق للثالث جانفي من سنة 1884م، يتصل نسبه إلى قبيلة صنهاجة الامازيغية، وتعود أصول أسرته إلى مدينة بجاية، لذا كان يوقع رسوماته باسم أبو منصور الصنهاجي، لكن الرسام علي بن خوجة ابن أخت عمر راسم يذكر أن أصولهم تركية استقرت ببجاية ثم العاصمة، نشأ عمر في وسط فنّي منذ نعومة الأظافر، حيث عُرفت عائلته بمزاولة فنّ الرسم والزخرفة والخط، والموسيقى والشعر، التحق عمر بالمدرسة القرآنية ثم بالثعالبية، لكنه طُرد منها بسبب سلوكه المتمرد، بدأ العمل بالمطبعة الرسمية سنة 1898م، والتي كانت تطبع جريدة"المبشر"، بدايته كصحفي بدأت سنة 1907م ثم أصدر سنة 1908م جريدته "الجزائر"، وسنة 1913م أصدر جريدته "ذو الفقار"، حيث قيل عنها أنها أول جريدة حذّرت من الخطر الصهيوني وكانت له جهود معتبرة في مجال الكتابة الصحفية، وكانت له مراسلات مع الأمير كم سنورده لاحقاً. نفيسة دويدة، **"موقف عمر راسم من الحركة الصهيونية (1908- 1916م)"**، مجلة الباحث ، العدد 02، المجلد 06، 2014/12/31م، ص ص 453- 456. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/23365 تاريخ الزيارة: 2022/09/20م،

الأمير تدخّل لصالحه في أوروبا والمشرق، وقد وصفه أرسلان بالرجل الفقير البائس رغم إمكاناته الفكرية وتقلباته السياسية، حيث كان له دورًا بارزًا في الحركة الوطنية في المغرب العربي، وتعرض لأجل ذلك إلى البؤس والتشريد في أوروبا والمشرق، والتقى بشكيب أرسلان في جنيف، حيث سعى الأمير ليجد له عملاً في البلاد العربية[1].

يقول الأستاذ محمد السعيد قاصري أن الحمّامي مكث في جنيف أمداً يتعاون مع شكيب أرسلان [2]، وقد ساعده الأمير في سفره إلى السعودية بعد أن ضاقت حالته المادّية سنة **1932**م، ثم انتقل إلى العراق سنة **1933**م، وبعد هروب الخطابي إلى مصر التحق به الحمّامي سنة **1947**م ولازمه إلى أن تُوفي في حادث سقوط الطائرة سنة **1949**م إلى جانب رفيقيه لحبيب ثامر والتطواني أمحمد بن عبود[3].

تذكر الأستاذة جليلة المؤدب أن الحمّامي قد اتخذ موقفاً سلبياً من شكيب أرسلان، كما فعل مع مصالي وعبد السلام بنونة من قبل لأسباب سياسيّة، ثم مع أمير البيان، لسبب أساسي وهو إحاطة الأمير بنفسه بالمظاهر الأميرية الدرزية، وقد ذكر الأمير ذلك في إحدى رسائله إلى عبد السلام بنونة التي أرسلها سنة **1931**م جاء فيها:"...تعرّفت في برلين بشاب ...هذا الشاب هو الحمامي، وقد كان يُكاتبني، ثم جاء وواجهني، ولقيته في حفلة عملها لي السوريون، والعراقيون، فشكا لي منهم، ففي الحال قلت له : يا أخي لازم تنصفوا إن عبد السلام بنونة هو ركن المغرب..."، فكان شكيب يُعطي مبررات مهادنة بنونة للأسبان وكيف كان يهادنهم لتخفيف الشرور كما قال، وأضاف أن عبد السلام بنونة هو أذكى رجل بالمغرب، ويفسر الأمير ذلك بقوله :"...نحن لا نستغرب أن يكون الحمامي حانقاً على كل وطنيّ من أهل المدينة لكونهم لم يلتحقوا بالبادية وينضمّوا للثورة المسلحة، وكون بنونة عبد السلام من صنف رجالات المغرب الأحرار الدّاعين إلى نشر العلم والمعرفة لإنقاذ الأمّة من الجهل...لتدعيم الحركة الوطنية..."[4].

ثم تضيف الأستاذة جليلة المؤدب أن العلاقة بين الحمامي والأمير والجماعة المحيطة به لم تكن طيبة، لذا انتقل إلى برلين سنة **1932**م، وبتصاعد النزعة النازية قررّ التوجه نحو المملكة السعوديّة بعد مراسلته للأمير فيصل، لكن سوء وضعه المالي جعله يتصل بشكيب أرسلان وعلى مضض كما أوردت الأستاذة المؤدب،

---

(1) سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص124.

(2) محمد السعيد قاصري، "**علي الحمامي الجزائري ونضاله التحرري في العالم العربي والإسلامي(1902–1949م)**"، ص172.

(3) جليلة المؤدب، مرجع سابق، ص ص 61- 86.

(4) جليلة المؤدب، المرجع نفسه، ص ص72- 74. الطيب بنونة، نضالنا القومي، ص 168، 169، 303، 350.

حيث كتب الأمير في ذات السياق :"...ومرّة جاءنا علي الحمامي شاب مغربي منفي من كل المغرب مقيم ببرلين ضاقت به سبل العيش، فالتجأ إلينا طالباً منّا تسفيره إلى الحجاز لأنه لا يقدر أن يدخل إلى المغرب ولا إلى مصر ولا إلى سورية، و لم يجد ملجأً سوانا، فلزم أن نعاونه، وتكفّلنا نفقات تسفيره..."، لكن عند وصوله إلى بور سعيد لم يتمكن من المرور إلى الحجاز، فاتّصل بالأمير مرة ثانية، بعد أن تكفل بمبلغ سفره شكيب وأخوه الأمير عادل والجابري، وهذه المرّة أخذ المبلغ من عند الحاج حسن أبي عيّاد والمقدّر بخمسين فرنكاً سويسرياً، وقال له الأمير إنّ هذا من بلادك، ويضيف الأمير أن في الحقيقة كل بلاد الإسلام سواء في نظر المسلم[1].

ثم كاتب الأمير عبد السلام بنونة حول حالة الحمامي، وأعطاه عنوانه، وبعد أسبوعين راسل الحمامي الأمير ليخبره أن عبد السلام بنونة قد أرسل إليه عشرة جنيهات [2]، والظاهر من نصوص الرسائل الخاصة بالحمّامي أنّ أمير البيان رغم موقف الحمامي السلبي منه، إلا أنّه قد اهتم لأمره من خلال إرسال عدة مبالغ له وكذا مراسلة الحاج عبد السلام حول قضيته على أمل أن يُساعده خوفاً من طرده من طرف الإيطاليين بعد أن أنذروه بالخروج من مدينة تريستي الإيطالية، وثاني مرّة من طرف الإنجليز في بور سعيد المصرية.

أمّا عن الشعر والشعراء فقد كان للأمير موقفه الخاص، ورأيه في هذا الشأن، حيث كتب في مقالٍ له ضمن "مجلة المجمع العلمي العربي"، أنّه " قد هبّت ريح الأدب في هذا العصر في أرجاء الجزائر والمغرب الأقصى، وظهر شعراء ومترسلون يمكن أن يضعهم القارئ في صعيد واحد مع شعراء الشرق..." [3]، وفي ذات السياق عبّر شكيب أرسلان عن إعجابه بشعر محمد العيد آل خليفة قائلاً: إن كان في هذا العصر شاعر يصحّ أن يمثل البهاء زهيراً في سلاسة نظمه وخفّة روحه ورقّة شعوره فهو محمد العيد ..." [4]، ويضيف :"...وإنّ التكلّف لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه فيكون محمدّاً العيد الذي أقرأ له القصيدة المرتين والثلاث ولا أملّ وتمضي الأيام عذوبتها في فمي، كان يُظنّ أن القطر الجزائري تأخر عن إخوته سائر الأقطار العربية في ميدان

---

[1] جليلة المؤدب، مرجع سابق، ص ص 74، 75.

[2] المرجع نفسه.

[3] شكيب أرسلان، **"نهضة العرب العلمية في القرن الأخير"**، مجلة المجمع العلمي العربي، العدد 11 و12، 1نوفمبر 1937م، ص439.

[4] سعد الله، **أبحاث آراء**، ج4، ص ص 124، 125. سمير عابي، **البنية الإيقاعية في ديوان محمد العيد آل خليفة إسلاميات وقوميات، اللزوميات، الثوريات أنموذجاً**، مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د.محمد بن صالح، كلية الأداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، تاريخ المناقشة :2015/02/05م، ص10.

الأدب..."[1]، فبرهن محمد العيد عن مستواه الأدبي وحجز لنفسه مكانة خاصة لدى أمير البيان شكيب أرسلان الذي أعرب عن إعجابه به بصراحةٍ وانجذابه لشعره بأمانةٍ.

وقد ذكرنا سلفاً أن المؤرخ أبو القاسم سعد الله ذكر أنّه لا يُستبعد وجود شخصيات أخرى كانت لها صلات مع الأمير شكيب أرسلان على غرار الصحفي الفنّان عمر راسم [2]، حيث يُعتبر عمر راسم من بين الشخصيات التي لها رصيد لا بأس به من العمل الصحفي الجاد، خاصة عبر جريدة "ذو الفقار" منبر دعوته الإصلاحية، كما أقام عديد العلاقات مع رواد الحركة الإصلاحية في الشرق على رأسهم أمير البيان شكيب أرسلان، وكان ينتمي إلى عائلة لها باع في مجال الفن، فاختص في الفن التشكيلي بالعاصمة[3].

وجدير بالذكر أن الأستاذة أمال إمخلاف ذكرت أنّ هناك مراسلات بين شكيب أرسلان وعمر راسم خلال عشرينات وثلاثينات القرن العشرين، لا سيما رسالة التعقيب التي بعث بها أرسلان إلى عمر راسم حول قضية المؤتمر الإسلامي المنعقد بالقدس سنة **1931**م، كانت ردّاً على رسالة راسم التي آخذ من خلالها حيثيّات المؤتمر وذمّ مخرجاته، حيث أنّ المؤتمر لم يُعالج مسألة الخلافة الإسلاميّة [4]، ونص الرّسالة ضمن الملحق رقم (**14**)، ومصدر الرسالة أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية.

والنقطة التي أثارت استغراب المؤرخ سعد الله، وقد كانت تلازمنا في شكل تساؤل طيلة فترة بحثنا عن العلاقة التي ربطت أمير البيان برموز علماء الحركة الاصلاحية في الجزائر، وهي عدم ثبوت وجود مراسلات بين أمير البيان والشيخ محمد البشير الإبراهيمي الرجل الثاني في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[5].

واستغرب سعد الله كذلك من عدم ذكر شكيب أرسلان لشخصية كانت بارزة على الصعيد السياسي في الشام، وهو ممّن أُعدموا من طرف جمال باشا المدعو بالسفاح، وهو الضابط سليم الجزائري السمعوني [6] ابن

---

(1) مكتب الدراسات، **ديوان محمد العيد آل خليفة**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2010م، ص8.

(2) سعد الله، **أبحاث آراء**، ج4، ص124.

(3) بومديني محمد، مرجع سابق، ص138.

(4) أمال إمخلاف، **عمر راسم حياته ونشاطه (1884م–1959م)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص أعلام الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، إشراف : عبد الجيد بن نعيمة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010/2009م، ص34.

(5) سعد الله، أبحاث آراء، ج4، ص125.

(6) **سليم الجزائري السّمعوني** (1879-1915م) تتلمذ على يد عمّه الشيخ طاهر السمعوني الجزائري(ذكر سعد الله أنّه أبوه) الذي قام بتربيته، ثم انتقل إلى مدارس دمشقية ثم المدرسة الحربية بالأستانة، أتقن اللغة العربية، التركية، الفارسية، الإنجليزية، الألمانية، والفرنسية كان عقيد (قائمقام)

طاهر الجزائري السمعوني[1]، في حين فإن الأستاذ سهيل الخالدي يذكر أن سليم الجزائري هو ابن أخ الشيخ الطاهر السمعوني وليس ابنه، حيث هو من ربّاه ورعاه، وعلّمه علوم الدين في صغره، كما هو مذكور في هامش الصفحة.

ويذكر سعد الله أنّ أمير البيان نقل عن الجزائري إسماعيل حامد الكثير من المعلومات الخاصة بالمسيحية في بلاد المغرب من كتابه " Les Mosulmans Français Du Nord De L'afrique"، فركّز على موضوع التسامح الإسلامي، واستشهاده بعديد المستشرقين الذين اعترفوا للإسلام بذلك [2]، وفي سياق آخر يقول شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله أن الحركة الإصلاحية لا يمكن أن تُفهم أو تُقدّر إلاّ إذا أشرنا إلى شخصية أحمد بن عليوة[3].

هذا الرجل كان من المهاجرين إلى المشرق العربي والإسلامي، حيث ارتحل بين بلدان مصر وسوريا وإيران، وقد اتصفت فترة سفره بأكثر الفترات انقلاباً كما وصفها سعد الله، وخلافاً لزملائه فقد توغّل أكثر في قضايا وقته، وفي المسائل المتعلقة بالدين، وعند عودته خاض في مجال الإعلام وأسّس لأفكاره جريدة "البلاغ الجزائري"، حيث نَظَم الشعر، وكتب في الفلسفة والدين، والنقطة المهمّة أن بن عليوة كان يؤمن بفكرة الجامعة الإسلامية بخصوصيّة جزائرية، فكانت له صلات قويّة بأقطاب الجامعة الإسلامية والقومية العربية، حيث ذكر سعد الله أن جريدته كانت تحتوي على بعض المقالات لهؤلاء الزعماء، بما في ذلك مقالات للأمير

في الجيش العثماني، شارك في الحرب البلقانية، والحرب اليمنية، حيث قاد الجيش العثماني، كان من المناهضين لسياسة التتريك، أحد مؤسسي الجمعيات العربية الاستقلالية، أُعدم شنقاً إلى جانب عدد كبير من رفاقه، من آثاره العلمية (ميزان الحق) فيا المنطق. سهيل الخالدي، **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، دار الأمة، الجزائر، 2016م، ص412.

[1] سعد الله، **أبحاث آراء**، ج4، ص117.

[2] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج3، ص ص211، 212. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص118.

[3] **أحمد بن عليوة(الشيخ العلوي)**: ولد بن عليوة بمستغانم غرب الجزائر أين موطن السنوسيين، تعلم علوم الدين على يد الشيخ بوزيد الذي كان ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية، بعد وفاة شيخه سنة 1909م، سافر ابن عليوة إلى المشرق الأدنى، مكث بمصر وسوريا وإيران والهند، وبعد الحرب العالمية الأولى عاد إلى الجزائر، فأسس جريدة أسبوعية سماها "البلاغ الجزائري" حيث حملت أفكاره فكانت أكثر الجرائد انتشارا داخل وخارج الوطن، فكان له أتباع من تونس وليبيا والجزائر والمغرب واليمن وسوريا، ففي الوقت الذي آمن فيه العلماء بأن وقت الطرقية قد انقضى فإن ابن عليوة يرى بضرورة محاربة فرنسا بالطريقة الجزائرية أي بالطرقية والنظم الدينية، لكن تبقى شخصيته مبهمة، توفي في جويلية من سنة 1934م. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص ص394، 395.

شكيب أرسلان، فكان بن عليوة من المناهضين للحركة التبشيرية والشيوعية في الجزائر، كما هاجم الحضارة الأوروبية المادية، وكذا استراتيجية فرنسا لتجنيس الجزائريّين[1].

وفي ذات السياق يذكر الأستاذ محمد الصالح آيت علجت أن أمير البيان أشار إلى قضية جدّ هامة وهي جهود الطريقة القادرية في محاربة التبشير، وإزالة البدع والتمسك بالسنّة والجماعة، وكان لهذه الطريقة في القرن الخامس عشر الفضل في دخول زنوج غربي إفريقيا للإسلام، حيث يستطرد أمير البيان في ذكر أعمال رجال الزوايا الحاضرين، وقد نقلت البلاغ عن جريدة النجاح القسنطينية ذلك، ونقلت كذلك فضل الشيخ العلوي في إنقاذ مئات الآلاف من القبائل الذين استحوذت عليهم جمعية "الآباء البيض Pére Blancs" بزواوة والحمّامات وغيرها[2].

كما أكّد الأستاذ آيت علجت على نشر إحدى مقالات أمير البيان ضمن صفحات جريدة "لسان الدين"[3] الصوفية التابعة للشيخ العلوي، والتي بدأ إصدارها في جانفي **1923**م[4]، لكن دون ذكر تفاصيل العلاقة التي جمعت أرسلان بالشيخ العلوي، وهل كانت بين الرجلين مراسلات أو لقاءات وبالأخص في الفترة التي قضاها الشيخ العلوي في المشرق ؟

وقد وجدنا مقالاً للشيخ العلاوي عبارة عن تعقيب على مقال للأمير شكيب أرسلان، تحت عنوان "الشيخ العلاوي-تعليق على مقال شكيب أرسلان"ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية" حيث خالف الشيخ العلاوي الأمير في عديد النقاط من مقاله بلغة رصينة ذات بعد فلسفي، معلّقاً على أفكار الأمير، وخالفه فيما طرحه حول فكرة أن رجال التبشير يرتكزون على الباعث الاستعماري، وهو الباعث المقوّي لهم، حيث ذكّره بأن فكرة التبشير تكونت قبل الاستعمار الأوروبي، ويضيف أن ما يريب من أعمال التبشير هو العناية بالعالم

---

(1) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص ص394، 395.

(2) محمد الصالح آيت علجت، **صحف التصوف الجزائرية من 1338ه إلى 1373ه، 1920م إلى 1955م**، تعريف ودراسة ولتحليل لجملة من صحف الطرق الصوفية، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، 1422ه/2001م، ص95.

(3) جريدة لسان الدين هي صحيفة دينية سياسية، كانت تصدر كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع، صدر أول عدد في الثالث من جانفي من سنة 1923م بالعاصمة برعاية الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي مؤسس الطريقة العلوية، تولى إدارتها في البداية مصطفى حافظ، ثم الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني، وفي آخر إصداراتها كان مدير تحريرها السيد صالح بن دمراد، حيث تعطلت في عددها الثني عشر أي في شهر مارس من السنة نفسها (1923م). محمد الصالح آيت علجت، المرجع نفسه، ص ص 51، 52.

(4) محمد الصالح آيت علجت، المرجع نفسه، ص197.

الإسلامي بالخصوص أكثر من عنايتهم بالملحدين من أبناء جلدتهم، ومقصدهم من ذلك زحزحة المسلمين عن معتقداتهم، ثمّ يختم باتفاقه مع الأمير حول التباين في الإمكانات بين المبشرين المسيحيين والدعاة المسلمين[1].

وتجدر الإشارة إلى أن أمير البيان ذكر في مدونته عن تأسيس جريدة البلاغ الجزائري لكن من طرف السيد محمد بن محي الدين حدّوني وكان ذلك سنة **1926**م[2]، والسؤال المطروح هل كان أمير البيان يجهل من هو أحمد بن عليوة أو أراد ذكر رئيس تحرير الجريدة فقط، حيث يذكر الأستاذ المصطفى الريس أن الجريدة تَعاقب على رئاسة تحريرها كل من محمد بن محي الدين حدّوني والشيخ عدّة بن تونس [3]، أما الأستاذ محمد الصالح آيت علجت فيذكر أن جريدة "البلاغ الجزائري" لمّا صدرت في **24** ديسمبر **1926**م كانت تحت إشراف وتوجيه الشيخ أحمد العلوي، حيث كانت تصدر كل جمعة، وبلغ عدد النّسخ المطبوعة **1500** نسخة[4].

والجدير بالذكر أن المعاصرين له من الجزائريين وخاصة قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أكّدوا أنّ بن عليوة كان أمّياً، وكل ما نُسب إليه من كتابات كان من إنشاء أتباعه لا غير، فانفرد بتأسيس طريقة باسمه الخاص مع زاوية وطقوس غامضة ودرجات كهنوتية [5]، وفي الشأن نفسه فقد سُأل شكيب عن الخلاف الذي حدث بين رجال الطريقة العلوية وعلماء الجمعية، كما ذكرنا سابقاً، في إحدى رسائله التي بعث بها إلى الشيخ الثعالبي، والظاهر أن الأمير أراد الاستفسار عن القضية، ومعرفة تفاصيل هذا الخلاف[6].

ويقول مصالي الحاج في هذا الشأن أن أرسلان كان خبيراً في شؤون المسلمين وخلافاتهم، فلم يدعم الخلاف الذي كان بين الإصلاحيين والطرقيّين، ويضيف مصالي أن أرسلان اعترف بفضل الطرق الصوفية في نشر الإسلام بين الطبقات الفقيرة وفي الجبال والصحاري، وأضاف أنهم كانوا يعانون كثيراً، بينما العلماء

---

(1) أحمد العلاوي، "تعليق الأستاذ على مقال شكيب أرسلان" ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية"، جريدة البلاغ الجزائري، العدد 195، 1931/01/09م. رابط المقال : https://alawi1934-ar.blogspot.com/2018/11/blog-post_83.html تاريخ الزيارة : 2022/09/21م، 22:19.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 437-445.

(3) المصطفى الريس، "**صحافة الطرق الصوفية جريدة "البلاغ الجزائري" نموذجاً**"، مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية، العدد 12، أفريل 2017م، ص150. من الموقع الإلكتروني: https://www.manaraa.com/Book/34632/

(4) محمد الصالح آيت علجت، مرجع سابق، ص67.

(5) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص395.

(6) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص47.

المسلمون فكانوا يعيشون في الأوساط البرجوازية [1]، ومن هذا المنطلق كان الأمير يبذل جهوداً حثيثة لوضع حد للصراع القائم بين العلماء والطرق الصوفية؛ ثم يوجّهنا سعد الله إلى أنّه من المعروف أن مصالي الحاج كان من مُريدي الطريقة الدرقاوية في الجزائر [2]، فمن الطبيعي أن يكون ميله إلى الطرق الصوفية وضد العلماء وخاصة بعد خلافه معهم بعد المؤتمر الإسلامي الجزائري الأول سنة **1936**م.

ومن زاوية أخرى نرى أن اهتمامات أمير البيان تجعل منه الشخص الملمّ بكلّ حيثيّات الشأن الداخلي الجزائري، وما يخص نشاط تيارات الحركة الوطنية، وخلاصة ذلك أنّ الأمير له معرفة واسعة بخلفيات الشخصيات البارزة على الصعيد الإصلاحي في الجزائر، لكن تبقى العديد من الصلات غامضة إلا بعض الإشارات التي نوّهت لها بعض الكتابات، خاصة تلك التي تتعلّق بدعاة الإدماج، كما سنحاول التطرّق إليها في العنصر الموالي.

3 4 أمير البيان ودعاة الإدماج (فرحات عباس ابن جلول):

لم يتطرّق الباحثون على غرار المؤرخ أبو القاسم سعد الله إلى حقيقة العلاقة بين شكيب أرسلان والإدماجيين، في حين نجد بعض الإشارات ضمن بعض مؤلفات الأمير تتحدث عن التيار الإدماجي أو ذكره لرموز هذا التيار دونما إطناب؛ ففي تعليقاته على كتاب حاضر العالم الإسلامي يقول:"...وأنت ترى أنّه مع كل مساعي الفرنسيس في مناصبة العربية والشريعة لم يقدروا أن يمنعوا الحركة الوطنية التي تتقوّى يوماً فيوم في الجزائر، مع أنّ أكثر القائمين بها هم ممن حصلوا على جميع علومهم باللغة الفرنسية..." [3]، وهذا اعتراف صريح من الأمير بتأثّر ممّن هم ضمن التيار الإدماجي الذين تخرّج معظمهم من المدارس الفرنسية بالفكر الإصلاحي[4]، وأنّهم هم أكثر المدافعين عن مقومات الهوية الوطنيّة.

---

[1] من الطبيعي أن يقرّ مصالي بآرائه وبأنّه إلى جانب الطرقية، بحكم أنه كان أحد المريدين في الزاوية الدرقاوية، وقد عبّر في مذكراته عن مظالم الإصلاحيين له من خلال صحافتهم على غرار مجلة "الدفاع" لصاحبها الشيخ العمودي، والتي وصفت مصالي بالمشاغب والمخرب وزارع للحقد والتفرقة، أصولي.... وهذا في مقال نُشر بتاريخ 30جويلية 1937م، وفي مقالات أخرى يصفونه بالفقير والجاهل والكافر وغيرها من الأوصاف. مصالي، **مذكرات مصالي**، ص ص 232، 233.

[2] مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص208، 209. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص 126.

[3] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، ج2، ص181.

[4] كنّا قد ذكرنا سلفاً في العنصر الخاص بالزعيم مصالي الحاج أنّ المؤرخ أبو القاسم سعد الله تحدّث كيف تأثر مصالي بالأمير شكيب وشبّه تأثير الشيخ ابن باديس على فرحات عباس وابن جلّول كتأثير شكيب أرسلان على مصالي الحاج، حيث استطاع ابن باديس جعل الرّجلين تقبّل مبدأ العروبة والإسلام في الظاهر على الأقل كما قال سعد الله. سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص69.

وقد أتى أمير البيان على ذكر اسم فرحات عباس في عديد المواضع، وبالأخص في مدونته لأحداث العالم العربي ووقائعه، لكن هذه المعلومات لم يشر من خلالها أمير البيان أنّه وطّد علاقته مع فرحات عباس، أو كانت بينهما مراسلات أو التقيا في مناسبة ما.

على سبيل المثال ذِكر الأمير لخبر تأسيس هيئة جديدة تحت مُسمّى "أصدقاء البيان" أو أحباب البيان في الجزائر، بعد عقد اجتماع لأنصار حزب الشعب الجزائري ورجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة الجزائر بتاريخ الثالث من فيفري **1943**م، وقد تزعّم هذه الهيئة السيد فرحات عباس، ثم ذكر أن المجتمعين قرّروا قطع كل الصلات بالحركات التجنيسية القديمة، والمطالبة بالشخصية الجزائرية المحضة، إضافة إلى تأسيس جمهورية جزائرية ببرلمان جزائري مُنتخب، عبر انتخابات حرّة[1].

ثمّ أورد شكيب خبر توقيع فرحات عبّاس إلى جانب **22** شخصية جزائرية منتخبة على مذكرة موجّهة إلى الشعب الجزائري تستنكر من خلالها اضطهاد وممارسات الاحتلال الفرنسي طيلة فترة تواجده في الجزائر، وتطالب بمنح الجزائر دستوراً يضمن الحرية المطلقة للجزائريين مع إجراء بعض الإصلاحات، وكان ذلك في الحادي عشر من شهر فيفري **1943**م[2]، وفي تلك الأثناء وصل الجنرال شارل ديغول إلى الجزائر بعد جلاء قوات المحور من شمال إفريقيا نهائياً، حيث رحّب به المفوض السامي الفرنسي هنري جيرو، وكانت زيارته من أجل وحدة القوات الفرنسية، و لم شملها ضد المحور[3].

ومع مطلع شهر جوان من سنة **1943**م عُيّن الجنرال جورج كاترو Georges Catroux [4] حاكماً عاماً فرنسياً على الجزائر [5]، ثمّ ذكر شكيب أرسلان في مدونته كذلك خبر تأسيس حزب سياسي من طرف فرحات عبّاس، في منتصف شهر مارس من سنة **1944**م، وقد سمى حزبه "أصدقاء المذكرة والحرية" [6]، كانت

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص322.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص323.

(3) المصدر نفسه، ص326.

(4) هو الجنرال جورج ألبير جوليان كاترو Georges Albert Julien Catroux ولد في ليموج سنة 1877م، كان حاكماً عاماً للهند الصينية، ثم مندوباً سامياً على سوريا وفي جوان من عام 1943م عين حاكماً عاماً على الجزائر، وبعد الحرب العالمية الثانية صار سفيراً لفرنسا في الاتحاد السوفياتي. العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ص90.

(5) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص327.

(6) أرسلان، المصدر نفسه، ص336

ترجمة أمير البيان غير دقيقة في ما يخص اسم الحزب الذي أسّسه فرحات عباس، فاستبدل البيان بالمذكرة، فكان الشائع لدينا هو أحباب البيان والحريّة وليس أصدقاء المذكرة والحريّة.

ثم أورد الأمير معلومات أخرى تتعلق بعملية لمجموعة مسلحة بتاريخ **12** ماي **1945**م، يقول أنّها تابعة لحزب البيان المؤسس من طرف السيد فرحات عباس، حيث يقول أن هذه الجماعة كانت مسلحة هبطت من الجبال وقتلت **50** فرنسياً، فساءت الأمور واضطربت الحالة الأمنية أكثر [1]، هي لم تكن لمجموعات مسلّحة بل هي ضمن الأحداث الدامية لمظاهرات الثامن ماي، فبعد ممارسات الفرنسيين العنيفة ضدّ المدنيين العزّل، ردّ الجزائريون بعنف كذلك وقتلوا العشرات من الفرنسيين سواء مدنيين أو عسكريين، أمّا عن ارتباطهم بفرحات عباس، فالمسيرات كانت قد بدأت من تنظيم حزبه، لذا نُسبت هذه العمليات له.

ثمّ تحدّث الأمير عن مشاركة حزب البيان والحرية برئاسة فرحات عباس في الانتخابات الخاصة بمجلس النواب الفرنسي، حيث تحصّل فرحات عباس على **11** مقعداً نيابياً من أصل **13** مقعداً مخصصاً للمسلمين الجزائريين في الجمعية النيابية الفرنسية وقد جرت الانتخابات في شهر جوان من سنة **1946**م[2].

أمّا شخصية ابن جلول[3] فقد ذُكرتْ مرّةً واحدةً في مدونة الأمير، وفي حدود إطّلاعنا لم نجد له أثراً في باقي مؤلفاته، فاسم ابن جلول ورد في الصفحة **254** من المدونة[4]، والخبر مفاده أنّ ابن جلول ترأّس المؤتمر الإسلامي الثاني المنعقد بتاريخ السابع جوان **1937**م بالجزائر، حيث شاركت مختلف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، باستثناء أعضاء نجم الشمال الإفريقي، وقد خرج المؤتمرون بمطالب عدّة:

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه** ، ص348.

[2] المصدر نفسه، ص373.

[3] محمد الصالح ابن جلول ابن منطقة الأوراس (1883م-1985م)، ينحدر من أسرة برجوازية، أتم دراسته الثانوية بقسنطينة، ثم التحق بجامعة الجزائر حيث تخرج دكتورًا في الطب عام 1924م، وصفه محفوظ قداش بغاندي الجزائر، ويرى فيه الباحث ابن العقون الزعيم الأوحد، له تاريخ حافل في ميدان السياسة، وقد شغل عديد المناصب، كمندوب بلدي ومندوب عام منتخب، وكانت له علاقة مميزة مع صديقه فرحات عباس ثم مع ابن باديس ابن مدينته، وقد كان تحوله الملفت أيديولوجيا بعد الاحتفالات المئوية للفرنسيين في الجزائر، وكان له دور بارز في المؤتمر الإسلامي 1936م. صافر فتيحة وصفصاف هواري، **"الدكتور محمد الصالح ابن جلول ونضاله السياسي داخل النخبة الإندماجية ما بين 1930م و1956م"**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، جامعة سيدسي بلعباس، المجلد 13، العدد02، ديسمبر 2021م، ص ص 206-211. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/334/13/2/172663.

[4] لم نجد ما يُثبت أنّ الأمير كانت له مراسلات مع ابن جلول رغم أن جريدة الطان الفرنسية اتهمته ومجموعة النواب الجزائريين، إلى جانب جمعية العلماء، بعلاقته مع المشارقة ووجود دعاية وهابية، وجامعة عربية، فبعث برسالة إلى رئيس تحرير جريدة الطان يحتج على ما جاء في ذلك المقال نافياً تلك التهم والتي منها الاتصال بالهيئات الإسلامية الأجنبية. ابن جلول، **"برقية الدكتور ابن جلول لجريدة الطان، قسنطينة في 21 فيفري 1936م"**، البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة العربية، الجزائر 28 فيفري 1936م، العدد 09، ص6.

- انتخاب المسلمين الجزائريين في البرلمان في غرفة انتخابية متحدة.
- نسخ قانون الأنديجينا، وإلغاء القوانين التي تمس السيادة الجزائرية.
- الاعتراف باللغة العربية كلغة قومية في الجزائر.
- القيام بتطهير عام في الإدارة الجزائرية[1].

ويضيف الأمير أنّه في **23** جويلية **1937**م وصل الوفد الجزائري الممثل من طرف المؤتمر الإسلامي المنعقد الشهر الفائت، حيث استقبلهم رئيس الوزراء الفرنسي السيد ليون بلوم، وصرّح لأعضاء الوفد "أنّه جدّ مسرور باستقبال فرنسي لفرنسيين، وديمقراطي لديمقراطيين، ويهودي لمسلمين..." [2]، فلم يذكر الأمير إذا ما كان ابن جلول ضمن الوفد، و لم يعلّق على ما قاله الوزير ليون بلوم أو طبيعة الوفد الجزائري ومن أي تيّار كانوا، وما أسماؤهم.

وتجدر الإشارة إلى أنّ اللّجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي قررت في **31** أوت **1937**م أنها سوف تبدأ بالاحتجاجات ضد تقسيم فلسطين [3]، وهذا في صميم ما ذكره الأمير في بداية هذا العنصر حول تأثر الإدماجيين بالفكر الإصلاحي، فللعلم أن اللجنة التنفيذية للمؤتمر تتكون من العلماء والنوّاب الإدماجيين، والحزب الشيوعي، وبعض الجمعيات الشبابية ذكرناها سلفاً.

وخلاصة القول أنّ أمير البيان شكيب أرسلان تركّزت علاقاته أكثر بالإصلاحيين، ثمّ بالوطنيّين، وفي الأخير أصحاب التيّار المُفرنسْ، أو بالأحرى الإدماجيّين والذين لم يُثبت في حدود اطّلاعنا أنّ هناك اتصالات أو مراسلات أو لقاءات فيما بينهم وبين الأمير.

4) موقف الطرف الفرنسي من نشاط الأمير السياسي لصالح الشأن الجزائري:

كان التوتر هو أساس العلاقة القائمة بين السلطات الفرنسية والأمير شكيب أرسلان، فالمواقف التي أبداها الأمير في مسيرته السياسية بدايةً بمشاركته في مقاومة الاحتلال الإيطالي لليبيا، ثم الحرب البلقانية، وتأييده المطلق للدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، ومناهضة دول التحالف التي كانت فرنسا أحد أعضائه، وتقديم الدعم لحركات التحرر عبر خبرته السياسية والإعلامية وبأفكاره الإصلاحية المناهضة للنفوذ

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص254.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص 255.

[3] المصدر نفسه، ص257.

الاستعماري، كل هذا ساهم في رسم صورة لشخصه اتسمت بالخطورة لدى الفرنسيين، فسارعت الصحافة الفرنسية باتهامه وذمّه والتحذير منه في الكثير من المقالات، عبر مختلف الجرائد والمجلات التي سوف نأتي على ذكرها تحدّث عنها الأمير في الكثير من الأحداث وعديد المناسبات.

قبل ظهور الخطر الأرسلاني كانت السلطات الفرنسية تمنع بشكل رسمي دخول الصحافة الشرقية إلى الجزائر، حسب ما ذكر المؤرخ سعد الله [1]، ويذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته أن الشيخ عبد الحليم بن سماية [2] والشيخ مصطفى بلخوجة رجال الإصلاح الأوائل طلبوا من محمد عبده عند زيارته للجزائر سنة **1903**م، وأن يُبلّغ رشيد رضا صاحب "مجلة المنار" أن لا يتعرض من قريب أو من بعيد للسياسة الفرنسية في الجزائر، لسبب أساسي وهو أن لا تمنع السلطات الفرنسية دخول المنار إلى الجزائر، بحيث هي المدد الذي يُغذّي الجزائريين بالعلم والمعرفة والعقيدة الصحيحة [3]، لذا كان مشايخ الجزائر في تلك الفترة يقومون بمُلاينة السلطات الفرنسية، ومُداراتها خوفاً من التضييق، وإبعاد الشبهات لقضاء المآرب.

وللإشارة فإنّ الكتب كانت تُهرّب عبر الحدود التونسية الجزائرية خاصّة تلك الآتية من الشرق الأدنى إلى الجزائر وشمال إفريقيا، فكانت تونس من أهم المعابر التي مرّت عبرها دعاية الجامعة الإسلامية إلى الجزائر، لذا اعتبرها سعد الله مبعث الدعاية المضادة لفرنسا، والتي تسربت إلى الجزائر في شكل جرائد وكُتب ومنشورات حيث ذكر سعد الله أن جامعة الأزهر فقط ساهمت بأحد عشر مليون كتاب أرسلتها إلى إفريقيا الشمالية سنة **1913**م[4].

---

[1] سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، .هامش ص 115.

[2] الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866م-1933م): هو أحد أعلام الجزائر الذين خلفوا بصمة ثقافية، من أسرة اشتهرت بالعلم، تعود أصولها من مدينة أزمير التركية، التحق عبد الحليم بالكتاتيب ليحفظ القرآن كاملاً، وتلقى علوم القرآن على يد ثلة من علماء تلك المرحلة في الجزائر، يُعدّ من الأوائل الذين دعوا إلى التفتح حيث جمع بين تياري الأصالة والمعاصرة، وهو من بين المؤسسين الأوائل للمدرسة الجزائرية فترة الاحتلال الفرنسي. مراد بن حمودة ومحمد بوشنافي، "**المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية 1866- 1933م**"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد03، العدد06، ديسمبر 2017م، ص ص 101- 104. أو يُنظر : محمد قنانش،" الشيخ عبد الحليم بن سماية في كتابات عبد الرحمان الجيلالي"، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 05، العدد 02، ديسمبر 2014م، ص ص 254- 270. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/281/5/2/11404.

[3] محمد خير الدين، مصدر سابق، ص ص 342، 343. عمر رياض، "**علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر (1898م-1935م)**"، ص86.

[4] سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص 116.

ومن مؤلفات الأمير التي مُنعت من دخول (تونس، الجزائر، والمغرب) كتاب"لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم" وكان عبارة عن رسالة في حدود مائة صفحة، أصدرتها مطبعة "المنار"، حيث انتشرت في العالم وراجت رواجاً عظيماً كما ذكر الأمير، ويذكر أنّ الناس في شمال إفريقيا كانوا يشترونها بأضعاف ثمنها عشر مرّات[1]، ويضيف أن السلطات الفرنسية أصدرت الأوامر تلو الأوامر لمنعها، ثم يذكر أنه لّما فشلت فرنسا من منعها، أرسلت أناساً من قبلها يشترونها من أيدي الناس بمبالغ باهظة، قصد محو أثرها من تونس والجزائر ومرّاكش، لكنّ الأهالي بقوا يطلبونها، فأعيد طبعها [2]، فاستخدم الفرنسيون كل الطرق ووظفوا كل الوسائل لغاية واحدة وهي عدم نشر فكر الأمير الإصلاحي الاستقلالي والوحدوي.

وبالغت السلطات الفرنسية في ملاحقة الأمير في جميع المناطق التي تُسيطر عليها، لعدم مداهنته لها أو مصانعته لسياسييها، واتهمته في كثير من الأحيان، خاصة إن اعترضتها مقاومة سياسية أو عسكرية، أو واجهت مناهضة للأهالي أو السياسيين في تلك البلاد، كما جرى في دولة جيبوتي، حيث اتهمت السلطات الاستعمارية الفرنسية هناك الأمير شكيب بأنّ له علاقة بمدير مدرسة هناك بعد أن اعتدي عليه من طرف بعض الوشاة العرب من جيبوتي الذين دافعوا عن أنفسهم باتهام مدير المدرسة العربية الإسلامية أن له علاقة بالأمير شكيب أرسلان، وقصده من فتح المدرسة هو الإضرار بمصالح فرنسا في المنطقة، فبعد قرار سجن الجناة بالسجن لعدة أشهر، استأنفوا الحكم وزعموا أنّ المدرسة بُنيت لبث الفساد ضد فرنسا وأن المدير له علاقة وطيدة بشكيب أرسلان عدوّ فرنسا [3]، هذا أحد الأمثلة الذي من خلاله مُورست عمليات التضييق على الأمير، حتّى ولو لجؤوا إلى الكذب و الافتراء من خلال دس العملاء، أو عبر صفحات الجرائد والإعلام.

وقد ردّ الأمير على اتهاماتهم في مقال له نُشر بجريدة الفتح في العدد **329** في السنة السابعة بتاريخ **26** جانفي **1933**م تحت عنوان:"إهمال المسلمين لأنفسهم، سبب جميع هذه البلايا النازلة بهم"، بقوله :"... لم يقل هذا المسيو بولان في جريدة "الطان"، ولا فانلاند في جريدة "الأيكو دو باري"، ولا "الأكسيون فرانسيز"، ولا "الجورنال"، ولا "الفيغارو"، ولا "الدييبش كولونيال"، ولا مجلة "لافريك فرنسيز"، ولا "لاكوا فرانسيز"، في

---

[1] يذكر الأمير في هذا الصدد أن سعر الرسالة الواحدة (الكتاب) كان بخمسة قروش، فكان المغاربة بعد نفادها يشترونها بخمسين قرشاً، وحين فشلت الحكومة الفرنسية من منع بيعها، أمرت بشرائها عن طريق عملائها بخمسة وستون فرنكاً، أرسلان، **عروة الاتحاد بين أهل الجهاد** ، ص ص86،87.

[2] أرسلان، المصدر نفسه.

[3] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص 90-95.

مراكش، ولا "لافوا دو فرانسيز"، ولا "أنال فورد أفريكان" في طنجة، ولا "لاديبيش ألجيريان" في الجزائر، ولا واحدة من هذه الجرائد الاستعمارية المتعصبة، التي تُريد أن تهيّج الرأي العام الفرنسي على شكيب أرسلان جزاء مقاومته للاستعمار وأذنابه ونضاله على الإسلام وأبنائه والتي شكيب أرسلان يرى طعنها فيه شهادة بحسن حاله... "[1]، فالسلطات الفرنسية كانت قد سخّرت إعلامها المتعصب وكل إمكانياتها ضد الأمير وكل من له علاقة بالأمير أو يُشتبه فقط بذلك، أو كان حجّة ضد من يسبح في تياره وحمل أفكاره[2].

وتجدر الإشارة إلى مبالغة الإعلام الغربي في إطلاق التهم الباطلة والأكاذيب في حقّ أمير البيان، فخلال المجاعة التي أصابت لبنان سنة **1915**م بعد غزو الجراد لأراضيها ليُتركها قاعاً صفصفا، ولسوء حظّ الأمير اتهم من قبل الدول الاستعمارية أنّه السبب في تلك المجاعة بالموازاة مع اتهامه بالتواطؤ في إعدام القوميين العرب مع جمال باشا، وقد كتبت إحدى الصحف في نيويورك مايلي:"...إنّ الأمير شكيب تسبّب في هلاك **150** ألفاً من سكان لبنان..." [3]، وسبب الهلاك هنا هو المجاعة التي أصابت السكان بسبب الحرب، ثم عدم وصول المساعدات والمؤن إليهم عبر البحر.

لكن الأمير لم يبقى مكتوف الأيدي على افتراءاتهم، بل دافع عن نفسه بإطلاق التهم ضد المتسببين الفعليّين للمجاعة، حيث ألقى اللوم على الهيئات التجارية المرتبطة بالدول الغربية والتي لها مصالح خاصة في احتكار المنتجات الأساسية، وقد احتجّ على ذلك بقصّة الباخرتين اللّتين كانتا محمّلتين بالمؤن [4]، أرسلها المهاجرون العرب الأمريكيّون، فاحتجزت من قبل قوات الحلفاء، ورغم جهود ومساعي الأمير ولجوئه إلى

---

[1] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص 90-95.

[2] والجدير بالذكر أن شكيب أقرّ أنّه لا يعرف هؤلاء الوشاة الذين اتهموه ولا يعرفونه، ولا يعرف السيّد المدير المسمى بعلي كبّيش مؤسس المدرسة وهو لا يعرف الأمير، و لم يلتقي به في حياته و لم يكاتبه، ولا هو قد راسله من قبل، وهذا دليل على براءته من هذه القضية، وكيف لافتراءات الصحافة الفرنسية العابرة للحدود والقارات لتتجرأ بإلصاق التهم به رغم انعدام الأدلة الدامغة، وذكر اسمه في كل قضية تمسّ مصالح الفرنسيين أو تصب في منفعة الشعوب المحتلة. أرسلان، المصدر نفسه.

[3] سيف الدين القنطار، **أعلام في السياسة والأدب والفن ، تؤلف الثورة السورية الكبرى بينهم** ، مطبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق، سلسلة الدراسات 2013م، ص34.

[4] يذكر الأستاذ فايد البشير أن الحلفاء ومن بينهم الفرنسيين قاموا بحجز تلك الباخرتين وسارعوا إلى تشويه سمعة الأمير وصورته لدى اللبنانيين من خلال إذاعة خبر أن الأسطول البحري التركي هو من حجز الباخرتين بإيعاز من الأمير، رغم أنه بذل جهود كبيرة قصد استرجاعها وضمان وصولها إلى لبنان. البشير فايد، " **موقف السلطات الإستعمارية الفرنسية من الأمير شكيب أرسلان والشيخ البشير الإبراهيمي** "، مجلة الآداب والعلوم الإجتماعية ، العدد 15، المجلد 09، 2012/07/01م، ص 15. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/article/12222 أو انظر موقع عبد الحميد ابن باديس الإلكتروني، تاريخ النشر:2012/11/01م، رابط المقال: https://binbadis.net/archives/630 تاريخ الزيارة: 2021/04/25م. 22:15.

السفير الأمريكي في الأستانة، إلاّ أنّه لم يفلح، لتهرّب السّفير وإعلامه بأن أمريكا قد دخلت الحرب، ثم توجّه الأمير إلى البابا عبر مسيحيي لبنان لكن دون جدوى[1].

وقد نوّه المؤرخ أبو القاسم سعد الله إلى نقطة الإعلام المضلّل، حيث ذكر أنه لّما تجاوز عدد مناضلي نجم شمال إفريقيا **3000** عضو إلى غاية سنة **1927**م، اهمت السلطات الفرنسية أن النّجم يتعاون خارج فرنسا مع "لجنة سوريا فلسطين" التي كان يترأسها الأمير شكيب أرسلان [2]، رغم أنّ الرجلين لم يتعرفا على بعضها إلاّ في سنة **1932**م كما ذكرنا سابقاً، من خلال تصريح السيد بانون أكلي أحد قادة حزب النجم، حيث قلنا أنّ الوسيط في ربط العلاقة بينهما هو القاضي المصري محمد سالم باي المقيم في باريس، وهو صاحب فكرة عقد المؤتمر الإسلامي في أوروبا[3]، وقد أكّد ذلك أيضا رفيق درب مصالي الحاج محمد قنانش[4].

وفي ذات السّياق وخلال الفترة التي بدأت تتجلى فيها معالم حزب الشعب الجزائري أخذت صحافة الشيوعيّين في الشّتم واتهام مصالي الحاج بمختلف العبارات (الوطنيين الفاشيّين، المصاليّين عملاء يعملون لصالح موسوليني، حزب الشعب تابع للعميل الإيطالي شكيب أرسلان)[5]، فبعد علم الشيوعيّين بخروج حزب الشعب من بيت الطاعة الشيوعي انهالوا على مصالي بالتهم ومختلف عبارات التحقير والازدراء.

ثمّ ذكر مصالي الحاج في مذكراته أن الأمير كان غير مرغوب فيه من طرف الإمبريالية الأوروبية، حيث أنّهم لا يحبونه ولا يحبّون من يقترب منه، ويضيف أن الصحافة الاستعمارية والمتخصصين في الشؤون العربية الإسلامية كانوا يقدمونه على أساس أنه رجل خطير، وهذا دليل دامغ على توجس الأوروبيين من نشاطه وعلاقاته في المشرق والمغرب، وفي الشأن نفسه يذكر مصالي أن الأمير عند سفره إلى المنطقة المغربية المحايدة(طنجة) سنة **1930**م، لم يُعجِب هذا السفر الفرنسيّين لأنهم كانوا يتحرّكون بدقّة لمنع أي اقتراب بين المغرب العربي والمشرق[6].

---

(1) سامي الدهان، **الأمير شكيب أرسلان حياته وأثاره**، ص76. سيف الدين القنطار، مرجع سابق، ص ص34، 35.

(2) سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج3، ص119.

(3) سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص125.

(4) محمد قنانش، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، ص24. سلامة دربال، سليمان قريري، مرجع سابق، 231.

(5) أجرون، مرجع سابق، ص565.

(6) مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص ص 189، 190.

ويضيف مصالي الحاج أنّه خلال المفاوضات السورية الفرنسية وحضوره لمجريات تلك المحادثات طلبوا منه أن يتوقّف عن مكافحة التأثير الفرنسي في البلدان الإسلامية وجعلوها كورقة ضغط لمنح بعض التنازلات للجنة السورية الفلسطينية مقابل ترك الحركات الوطنية لحالها وعدم التأثير عليها، فانتفض ورفض ذلك وقال:"...نعم، صحيح أن سوري ولكني قبل كل شيء عربي ومسلم ومحارب..." [1]، وقد ذكرنا ذلك سلفاً، فكانت أهداف الأمير تصبّ في الغاية الأسمى المتعلقة بالوحدة العربية الإسلامية، وهذا ما شدّ انتباه وإعجاب القائد مصالي الحاج لمواقف الأمير المثيرة.

ثم يذكر مصالي الحاج أثر العلاقة بينه وبين شكيب أرسلان فيقول:"... إن علاقاتي معه قد جرّت لي متاعب وجلبت لي حقوداً شرسة، الآن يعتبره مشاغباً متعصباً في خدمة ابن سعود [2] أو موسكو [3] فهذا لا يغيّر رأيي في هذا الرجل العظيم..." [4]، على هذا الأساس فإنّ معظم الشخصيات الوطنية الجزائرية التي ارتبط اسمها باسم أمير البيان شكيب أرسلان تعرضّت للتضييق والضغط، والمتابعات القضائية.

لذا كانت صحافة الفرنسيين تُهاجم الأمير في كلّ فرصة تسنح لذلك، وفي المقابل كان هو يردّ بقوّة كذلك؛ وقد ذكر في إحدى رسائله إلى السيد بنونة المغربي في رسالة مؤرخة بتاريخ **28** أوت **1931**م تفاصيل قضيّة جريدة "الجورنال" الفرنسية التي أساءت له، فردّ عليها بمقال أرسله لها للردّ والتوضيح فلم يُنشر، فتوسّط له السيد يونغ لنشر ردّه، فقصد هذا الأخير مقر الجريدة وجادلهم وأقام لهم النّكير كما ذكر الأمير، فقالوا له:"... أنت صديق لأكبر عدوّ لفرنسا..."، أمّا عن التّهم المذكورة في مقال "الجورنال"، فقد افتروا عليه بأنه يهرب السلاح من ألمانيا نحو الدول العربية، إضافةً إلى استلام الأموال من عند الألمان[5].

---

[1] مصالي، **مذكرات مصالي الحاج**، ص190.

[2] إن اتهام الأمير بأنه خادم ابن سعود مردّه العلاقة التي كوّنها مع الملك عبد العزيز، وقد منحته الدولة الجنسية السعودية كما تطرقنا لذلك في الفصل الأول في العنصر الخاص بموقف الأمير من الوهابية.

[3] أما اتهامه بخادم موسكو، فقد كان لأمير البيان أول زيارة له لموسكو في جويلية 1921م قصد التعرف على حالتهم (البولشفيك) وإن كان بالإمكان الاعتماد عليهم وتستفيد منهم الأمم المستضعفة، فأقام هناك شهراً، فاقتنع أنهم لا يساعدون إلا من كان على عقيدتهم فكراً وعملاً. أرسلان، **سيرة ذاتية**، ص ص191-193. والجدير بالذكر أنّ الأمير لم يسلم منهم حيث كتب في إحدى رسائله أن هناك جريدة في بيروت اسمها "الرابطة" تبثّ الأفكار البلشفية وتطعن في شخص الأمير. أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**،ص 384.

[4] مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج، ص191.

[5] أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص285.

وتجدر الإشارة إلى أنّه حتّى صور الأمير كانت تُمنع، ويُمارس عليها التضييق بالدعاية الإعلامية الفرنسية، حيث ذكر الأمير في كتابه " مراسلات الأمير إلى كبار رجال العصر"، أنّ صوره تُباع وتُوزّع في عديد الدول وكذلك في المغرب والجزائر، لكن الصحافة الفرنسية هناك فقد أقامت النكير [1]، فكانت ردودها على هذا الموقف غير متوقعة، فحتّى الصور ضجّت جرائد الإعلام الفرنسي بها.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية ركّزت السلطات الفرنسية جهودها الإعلامية والسياسية على الدعاية المضادة، وباشرت إلى تحديد مصادر الدعاية الألمانية في شمال إفريقيا، فبادرت الإدارة الفرنسية إلى اتهام شكيب أرسلان بأنّه كان واقعاً تحت النفوذ النازي الألماني، ومن خلاله كان الألمان يبثّون دعايتهم في شمال إفريقيا وفي الجزائر خاصّةً [2]، وفي ذات السياق يذكر الأستاذ إبراهيم لونيسي أن شكيب أرسلان كان من بين الشخصيات التي تحدّثت عبر أمواج الإذاعات التي كانت تبثّ الدّعاية الألمانية في الأوساط العربية وبالأخص المغاربية، وقد ردّد الأمير:"... أنّ المسلمين لا يدركون ضعف الفرنسيين والإنجليز، وأنّهم لو أدركوا ذلك لأخرجوهم من بلدانهم..." [3]، وكان مصدر هذه الإدعاءات هي الصحافة الفرنسية في فرنسا والجزائر على غرار جريدة "Echo d'alger" التي كتبت أن مدير الدعاية النازية كرّم الأمير ومنحه لقب"المواطن الفخري للرايخ"[4]، لكن في حدود اطلاعنا على مؤلفاته فإنّ الأمير لم يكن له أي اعتراف أو تصريح في هذا الشأن؛ ثمّ بعد عودتنا إلى المصدر الذي استند إليه الأستاذ إبراهيم لونيسي، فبحثنا في الصفحات التي اعتمد عليها من كتاب الحركة الوطنية الجزء الثالث، فلم نجد لتلك المعلومة أثراً.

بل بالعكس فقد نفى الأمير شكيب ذلك في عدة مواضع من كتاباته، حيث قال في مقالٍ له نُشر في جريدة "منبر الشرق" لصاحبها علي الغاياتي في **15** ديسمبر **1939**م، أُدرج هذا المقال ضمن كتاب "عروة الاتحاد بين أهل الجهاد"، شاكراً من خلاله أحد الكتاب الذين دافعوا عنه، حيث كتب :"...الذين أشاعوا

---

(1) أرسلان، **مرسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 296.

(2) سعد الله ، **الحركة الوطنية**، ج3، ص245.

(3) إبراهيم لونيسي، **"تجدد فكرة العمل المسلح في الجزائر إبان الحرب العالمية الثانية 1939-1945م"**، مجلة مصادر تاريخ الجزائر المعاصر، المجلد2، العدد 2، 2000م، ص 79. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/147514 تاريخ الزيارة: 2022/08/11م.

(4) جريدة إيكو دالجي أو صدى الجزائر Echo d'alger تاريخ الإصدار :11 ديسمبر 1939م،موقع الأرشيف الفرنسي GAllica، رابط المقال : https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k7585531n/f2.item.r=chakib%20arsalan.zoom تاريخ الزيارة : 2022/10/09، 22:13.

دخولي في إذاعات راديو برلين واحتفال بلديّة برلين بي، وإعطائها إيّاي لقب (مواطن شرف)، إلى غير ذلك من الأقوال التي اختلقها أعدائي..." [1]، وهذا دليل واضح على إنكار أمير البيان لدخوله إذاعة راديو برلين أو غيرها من الإذاعات الألمانية [2]، والحق يُقال أن الأمير لو تحدث عبر أمواجها أو أطلق أية تصريح أو خطاب، لصرّح بذلك دون خوفٍ أو وجل.

وفي السياق ذاته يتطرق الأمير إلى مسألة اتهامه بأنّه هو المحرك الوحيد للحركات الوطنية في شمال إفريقيا حيث يقول:"...وقد كان كلّ ما ادعته فرنسا وجرائد فرنسا من اتهامي بأنّي أنا المحرّك الوحيد للحركات الوطنية في شمال إفريقيا كذباً وبهتاناً، ولو كان ذلك صحيحاً لما كتمته، إذ كان موجباً للفخر ولنيل الأجر، وأي فخرٍ وأي أجرٍ أحسن من تحرير أمّةٍ عربية إسلامية من رقّ دولةٍ جائرة أجنبية..." [3]، فهل كان يميل الأمير إلى التواضع، لذا أنكر بأنّه هو المحرّك الوحيد للحركات المغاربية، ثمّ إنّه لم ينكر أنّ له علاقات واسعة معهم، من خلالها كانت له مساعي حثيثة للتوعية والإرشاد والنصح.

وفي مقال نشرته جريدة الطان الباريسية حذرت من عمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذه الأخيرة ردّت عليها عبر جريدة البصائر وترجمت بعض فقراته هذا مقتطف منها:"...وفي كل جهة نجد دعاة ناشطين للمذهب الوهابي الجديد، وهم أعوان الجامعة العربية الذين يدينون بفكرة شكيب أرسلان، يرسلها إليهم من لوزان على طريق القاهرة، وطريقة عملهم غير متوحدة كما أن مطالبهم مختلفة..."، وفي آخر فقرة نوّه صاحب المقال على علاقة النجم بالأمير كذلك [4].

---

[1] أرسلان، **عروة الاتحاد بين أهل الجهاد**، ص126.

[2] يذكر السيد محمد تقي الدين الهلالي المغربي عن زيارة الأمير زمن الحرب العالمية الثانية إلى برلين أنّ الأمير شكيب قصد برلين خفيةً خوفاً من مصادرة الفرنسيين ممتلكاته في الشام، ولسبب أساسي هو استخراج ما كان له من مال في البنك الألماني وهي ثلاثة آلاف مارك ألماني جمعها من كراء بيته في ألمانيا، وقد لقيه الهلالي بكتب الإذاعة العربية ببرلين، واجتمع عليه من كان هناك من العرب، وقد أعلن المذيع نبأ قدومه عبر أمواجها، رغم أن محمد تقي الدين الهلالي أراد منعه من ذلك، فردّ المذيع أنّه استأذن الأمير، لذا صرّح الأمير فيما بعد للهلالي أنّ المذيع كاذب وأنه لم يرد إعلان قدومه، ودخوله مكتب الإذاعة إلا لزيارة صديقه محمد تقي الدين الهلالي. محمد تقي الدين الهلالي، **"دمعة على فقيد العروبة والإسلام الأمير شكيب أرسلان رحمه الله"**، مجلة لسان الدين، السنة الأولى، ج8 و9، فيفري، مارس 1947م، ص ص1- 16. رابط المقال على النت: http://www.alhilali.net/maqalat/694-الأمير-والإسلام-العروبة-فقيد-على-دمعة/

[3] أرسلان، **عروة الاتحاد بين أهل الجهاد**، ص156.

[4] عبد الحميد ابن باديس، **"حول مقال نشرته جريدة الطان بعنوان (قبل اجتماع اللجنة العليا للبحر المتوسط) وإذاعته عنها جرائد الشمال الإفريقي اليومية الفرنسي"**، مجلة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة العربية، الجزائر، 28ى فيفري 1936م، العدد 09، ص5.

واستمرت جمعية العلماء في الردود عبر عدّة برقيات أرسلت إلى رئيس تحرير جريدة الطان والوالي العام احتجاجاً على تلك التّهم، فنفوا وجود دعاية وهابية ولا جامعة عربية ولا دعوة لعدم دفع الضرائب [1]، كذلك فعل السيد ابن جلول ومجموعة النواب الجزائريين، والذين لم يفلتوا كذلك من اتهامات الجريدة له، فبعث برسالة إلى رئيس تحرير جريدة الطان يحتجّ على ما جاء في ذلك المقال نافياً تلك التهم والتي منها الاتصال بالهيئات الإسلامية الأجنبية[2].

ثم كتب العقبي حول القضية نفسها في لقاءٍ قام به وفد الجمعية بمدير الشؤون الأهلية العام م.ميو، وقد ألقوا عليه مجموعة من الأسئلة إلاّ أنّ المدير أخبرهم عن براءتهم من تلك التّهم في تصريحٍ له:"...أعلنوا في البصائر أن الحكومة بريئة بما نُسب إليها في مقال الطان فلا السيد الوالي العام قدّم ذلك في تقريره إلى الوزير، ولا مدير الشؤون الأهلية له أي دخل فيما أذاعته تلك الجريدة التي لا تعترف بها الحكومة..." [3]، أي أن الحكومة تنّصلت من تلك التهم، ومن مسؤلياتها تجاه الإفتراءات الإعلامية للطّان، في حين لو كانت تلك الأكاذيب أطلقتها الشهاب او البصائر أو غيرها لكان قرار التوقيف في اليوم الذي أصدرت فيه مقالها.

والحقّ يُقال أنّ للأمير شخصيّة جدّ مميزة، رجلٌ ضد دولة بإعلامها وأعلامها وفلاسفتها، بجيشها وعدّتها ومخابراتها، سعى بجهوده الإعلامية للتعريف بما يفكر به منظروا الفكر الاستعماري، وبمؤلفاته للوصول إلى حقيقة الأهداف الفرنسية، ففضح مخططات الاحتلال، ونصح رجال حركات الاستقلال، فلم يخشى التهديد ولا الوعيد، فتعرّض للمنع والتضييف، لكنه وقف في مجابهة الدولة الفرنسية بل الحركة الاستعمارية جمعاء، بما فيها الفاشية الإيطالية والأطماع الإسبانية.

---

(1) ابن باديس، **"حول مقال نشرته جريدة الطان بعنوان..."**،ص6.

(2) محمد الصالح ابن جلول، **"برقية الدكتور ابن جلول لجريدة الطان، قسنطينة في 21 فيفري 1936م"**، مجلة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة العربية، الجزائر 28 فيفري 1936م، العدد 09، ص6.

(3) الطيب العقبي، **"حول الضجى الكبرى التي أثارها مقال الطان أيضا..."**، مجلة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة العربية، الجزائر، 17 أفريل 1936م، العدد 15، ص ص 1 ،2.

الفصل الخامس

الفصل الخامس: اهتمامات شكيب أرسلان بالمسألة المغربية زمن الحماية الفرنسية و الإسبانية.

1 -مواقف أمير البيان شكيب أرسلان من السياسة الاستعمارية في الأراضي المغربية.

2 -شكيب أرسلان في تطوان، أثر الزيارة وتداعياتها داخل المغرب وخارجه.

3 -علاقة أمير البيان برواد الحركة الوطنية المغربية.

4 -موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية و الإسبانية من النشاط السياسي لأمير البيان

لم تكن العلاقة التي تربط بين أمير البيان وشخصيات الحركة الوطنية المغربية وليدة الزيارة التي قام بها إلى المغرب سنة **1930**م وبالضبط إلى مدينة تطوان، بل كانت وليدة الاتصالات التي كانت بين مجموعة من الطلبة المغاربة بباريس في عشرينيات القرن العشرين، وقد بدأت بوادر اهتمامات أمير البيان بدول المغرب في الفترة التي سقطت فيها الدولة العثمانية وأُلغيت الخلافة الإسلامية بعد صدور قرارات مؤتمر لوزان **1923** ثم عبر برلمان دولة تركيا الحديثة سنة **1924**م، حيث اتجه أرسلان نحو الوحدة العربية ومواجهة الإمبريالية الأوروبية على أرض دولة سويسرا من خلال إقامته في العاصمة جنيف العاصمة.

أقام شكيب أرسلان علاقات وطيدة مع شخصيّات وأحزاب مغاربية على إثرها بادر بزيارة ميدانية إلى المغرب الذي احتل منذ فترة وجيزة مناصفة بين دولتي الاحتلال فرنسا وإسبانيا، كانت له أهداف خفيّة طبعاً، وبرنامج أراد تحقيقه من خلال زيارته إلى مدينة تطوان، وكان له ذلك بعد المؤتمر الضّخم الذي نظمه الوطنيون المغاربة، والذي عُدّ مؤتمراً لبداية عهد جديد للحركة الوطنية المغربية، في شمال المغرب وجنوبه، وكان للدولتين الإسبانية والفرنسية مواقف متفرقة متناقضة من حيث إجراءات الاستقبال والمعاملة، وما نشرته صحافتها الرسمية وغير الرسمية بعيد هذه الزيارة.

والملاحظ أنه بعد شهر أوت عام **1930**م كان للحركة الوطنية المغربية زخم سياسي ونقابي كثيف في الداخل، تماشى والحملة الإعلامية على الصعيد الخارجي التي قام بها أمير البيان عبر منابر إعلامه المعهودة، مجلته "لاناسيون آراب"[1] الناطقة باللغة الفرنسية، وعديد الجرائد المتكلّمة باللغة العربية لمناهضة السياسة التسلطية الفرنسية بداية بمواجهة الظهير البربري وما خلّفه من غضب في الشارع المغربي.

لذا كانت هذه الفترة تتّصف بالصّخب السياسي من حيث كثرة الاتصالات بين أمير البيان والعديد من رموز الحركة الوطنية المغربية بمختلف تياراتها، سنحاول في هذا الفصل تقصّي تلك العلاقات التي أقامها أو زاد في متانتها بعد الزيارة التاريخية للمغرب.

---

[1] صدرت أعداد مجلة "الأمّة العربية La nation arabe " تحت إدارة الأمير شكيب أرسلان باللغة الفرنسية بين سنتي 1930م و1938م بشكل متقطّع، لأسباب مالية في غالب الأحيان. Manuela Williams, op cit, p105

1) مواقف أمير البيان شكيب أرسلان من السياسة الاستعمارية في الأراضي المغربية:

لم يستثني الأمير أية منطقة عربية إسلامية من مجالات اهتماماته المتعددة، سواء على الصعيد السياسي أو الإعلامي أو نشاطه عبر السفر واللقاءات وعقد المؤتمرات، فقد حظيت المسألة المغربية بالنصيب الأوفر في نشاط أمير البيان، وقد فازت المغرب دون غيرها من الأوطان بزيارة الأمير التاريخية لها، في فترة كانت في أمس الحاجة لمثل هذه المبادرات، و لم تقتصر اهتماماته بحركاتها بل تعدّت إلى تتبّعه لسياسة الاحتلال على أراضيها بعد فرض الحماية.

1-1 كتابات أمير البيان حول سياسة التسلط الاستعماري الفرنسي والإسباني في المغرب:

كان لأمير البيان مواقف ثابتة حول السياسة الاستعمارية الأوروبية سواء كانت الدولة هي إيطاليا كما تطرقّنا إلى ذلك في الفصل الثاني، أو دولة فرنسا كما ذكرنا كذلك في الفصل الثالث والرابع، ثم دولتا إسبانيا وفرنسا في المغرب الأقصى، حيث لا يكترث إلى ما تكتبه صحافتها أو ما تفعله إداراتها من مواقف تجاهه، فكل مسألة تتعلق بحقوق الشعوب المغربية المحتلّة إلاّ وكتب فيها وخاض في جزئياتها.

لذا كان الأمير يرصد ممارسات الاحتلال الفرنسي والإسباني عن كثب، ويتعقّب أعمالهم وأفعالهم التي تمس مصالح المغاربة في كل الميادين، فبعد فرض الحماية سنة **1912**م وتقسيم المغرب إلى قسمين: الأوّل جنوبي تُسيطر عليه فرنسا، والقسم الثاني شمالي استبدّت به إسبانيا، مع التأكيد على خضوع الجزء الشمالي إلى السلطان الذي يقيم في المنطقة الجنوبية، ممثلا بخليفة له من الأسرة المالكة في المنطقة الشمالية، وقد وقع خبر الاحتلال بصيغة الحماية كالصاعقة على كل فئات المجتمع المغربي[1].

حيث كتب عن الإجراءات القانونية الفرنسية في مدونته، من خلال إصدار السلطات الفرنسية قانوناً يخصّ الصحافة المغربية بتاريخ **27** أفريل **1919**م، ثم قامت بتعديله بتاريخ **20** نوفمبر **1920**م[2]، طبعاً كان هذا في فترة ما بعد الحرب وبداية الحركية السياسية لتيارات الحركات التحررية يعني أنّها تصبّ في مصلحة الفرنسيّين ومجحفة في حق المغاربة، أي بداية التضيّيق على الإعلام.

---

[1] عبد الله كنون، **موسوعة مشاهير رجال المغرب**، محمد بن عبد الكريم الخطابي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط2، 1994م، المجلد5، ص7.(ص165 إلكترونية).

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص100.

ثم يضيف شكيب أنّ السلطان المغربي محمد الخامس أصدر في **15** جوان **1922**م ظهيراً شريفياً مفاده وضع قوانين تمنح من خلالها الحق للأجانب ملكية الأراضي في مناطق القبائل التي تتّبع تقاليد خاصة بقبائل البربر[1]، وهذه بدايات تقديم التسهيلات للأجانب قصد التوغّل في الداخل المغربي وتطبيق سياسة الاستيطان عبر تقنين هذا الإجراء الاستعماري، إضافة إلى التركيز على المنطقة البربرية لتحقيق الأهداف الخفية المتمثلة في التنصير وزرع الشقاق بين العرب والبربر.

ثمّ أورد الأمير أنه في **26** ديسمبر **1922**م، قامت الحكومة الإسبانية بإلغاء منصب المفوض العسكري في المغرب في منطقة سيطرتها، وعيّنت مفوضاً مدنياً هو دون ميكال فيلانيفا [2]، وهذا الإجراء هو مجرد ذرّ للرّماد في العيون، فالحكم المدني أو العسكري سيان، لا فرق بينهما، إذْ كلاهما يخدمان مصالح السلطات الإسبانية.

وبعد عامين فقط، تراجعت السلطات الإسبانية عن قرارها السابق، وأعادت النظر في طريقة تسيير شؤون المنطقة المغربية التي تُسيطر عليها، حيث أُسندت هذه المرة شؤون إدارتها إلى رئيس مجلس الوزراء الإسباني، باستثناء الأمور العسكرية فقد أُنيطت مهمة تسييرها بوزارة الحرب الإسبانية، وكان ذلك في **18** جانفي **1924**م[3].

وقد ذكر الأمير أنه تمّ افتتاح سكة الحديد الرابطة بين الرباط وفاس بتاريخ الخامس من أفريل سنة **1923**م[4]، في حين لم يذكر الأمير من قبل من افتتحت، ثم أضاف أن السلطة في إسبانيا أمرت بعدة إجراءات عسكرية في المغرب، حيث قررت في **26** جوان **1924**م، التخلّي عن المواقع العسكرية المتواجدة في الداخل المغربي والانسحاب نحو الساحل[5]، وهذا لضغط العمليات العسكرية للخطابي.

في إطار التنافس الاستعماري والتعاون الخارجي، ذكر الأمير أنّه عُقد مؤتمر بين سفراء الدول: إسبانيا، وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، في السادس من شهر جوان من سنة **1925**م، بالعاصمة مدريد، للتباحث في المسألة

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص136،

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص140،

(3) المصدر نفسه، ص149.

(4) المصدر نفسه، ص143.

(5) المصدر نفسه، ص152.

المغربية، ومناقشة في فصول الحرب القائمة بين الدول الاستعمارية والمقاومة المغربية [1]، ممّا لا شك فيه فإن الحوار سيدور حول أبرز نقطة وهي قوة المقاومة المغربية وخطرها على المصالح الغربية في البلاد المغربية.

والجدير بالذكر أنّ فرنسا وإسبانيا خرجتا باتفاق ثنائي [2]، وتتمثل في حصار شامل على المغرب الأقصى؛ وفي **25** جويلية **1925**م، جرت جولة أخرى من المفاوضات اتفق الطرفان على التعاون الثنائي بين السلطتين الفرنسية والإسبانية في المجالين السياسي والعسكري [3]، حيث أن ضحية هذه الاتفاقات هو الشعب المغربي.

وحول محاولات التدجين وإدخال حكام الدول التي فُرضت عليها الحماية بيت الطاعة الاستعماري، ذكر أمير البيان أنّه في **15** أكتوبر من سنة **1930**م، وصل الرئيس الفرنسي غوستون دوميرج Gaston Doumergue إلى البلاد المغربية وحط بمدينة الدار البيضاء في زيارة رسمية إلى غاية **21** أكتوبر[4]، حيث مكث هناك حوالي أسبوع، و لم يذكر الأمير سبب الزيارة؛ في حين يذكر الأستاذ لافوينت G. Lafuente أن الزيارة أتت بعد مظاهر التوتّر، والمظاهرات الشعبية، والسّخط الكبير في الشارع المغربي جرّاء إصدار الظهير البربري في **16** ماي **1930**م، وكذلك نشرت السلطات الفرنسية سلسلة مقالات تبرّر السياسة البربرية الفرنسية في المغرب، والتي نُشرت ضمن نشرات لجنة إفريقيا الفرنسية[5].

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص163.

[2] يذكر الأستاذ تفاصيل هذا الاتفاق حيث كتب أن في 17 جوان سنة 1925م وبعد شهر من المداولات تم الاتفاق بين الدولتين (فرنسا واسبانيا) على تقديم شروط صلح موحدة للمفاوضات مع الخطابي وهي :

- تبادل الأسرى
- العفو المتبادل التام
- تحديد نظام الحكم الذاتي
- تحديد الأراضي التي يُطبق فيها هذا النظام
- تحديد صلاحيات قوة الشرطة لضمان القانون والنظام في هذه الأراضي
- الاعتراف بالحرية التجارية وضمانها في هذه الأراضي على أساس المعاهدات الدولية وخاصة فيما يتعلق فيها بالجمارك. محمد حسن الوزاني، **مذكرات حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية2 حرب الريف**، مؤسسة محمد حسن الوزاني، د ت ن، د س ن، ص135.

[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص164، 163.

[4] أرسلان، المصدر نفسه، ص201.

[5] G. Lafuente, op cit, P 12.

كذلك فعل الرئيس الإسباني نيستي أكلا زامارا الشيء نفسه من خلال زيارته الرسمية إلى المغرب والمنطقة الإسبانية، وذلك في إطار ما يسمى بتبادل الزيارات الدبلوماسية الرسمية، وضمن إطار المنافسة الاستعمارية كذلك، وكان ذلك في شهر نوفمبر من عام **1933**م[1].

وفي إطار تبادل الزيارات الدبلوماسية الرسمية بين رؤساء الدول، قام السلطان المغربي سيدي محمد بن يوسف بزيارة فرنسا[2]، وبالضبط إلى مدينة فارساي بتاريخ **04** أوت **1931**م[3]، وأعاد السلطان الكرّة بزيارة رسمية إلى باريس مرّة أخرى في أواخر شهر أوت **1933**م[4]، وكما ذكرنا سابقاً هي محاولات التطويع والإخضاع إمّا عن طريق الإغراء وافتتانهم بالمدنية الغربية وما وصلت إليه من رفاهية وترف، وإمّا عن طريق الضغط والتهديد والتقليص من امتيازاتهم في بلدانهم.

حيث كتبنا سابقاً عن بعض الإجراءات الإسبانية بأنها مجرّد ذرّ الرماد في العيون، فبعد استبدال الحكم من عسكري إلى مدني في المنطقة المغربية الخاضعة لها، ثم قيامها بإلحاقها إلى الحكومة في إسبانيا مباشرةً، الآن وبعد مرور سنوات عدّة عن هذه الإجراءات، تقرر السلطات الإسبانية في المغرب الأقصى إصدار قرار تقسيم الجزء المحتل من طرفها إلى قسمين، منطقة عسكرية ومنطقة مدنية وكان ذلك في **29** ديسمبر **1931**م[5]، حيث أن أي إجراء حتى ولو كان في ظاهره يصبح في صالح المغاربة، لكن في حقيقته عكس ذلك، أو منحهم بعض الحقوق وسلبهم لأخرى.

كذلك الاحتلال الفرنسي لم تتوقف آلته الحربية مادامت هناك أراضي لم تخضع للسيطرة، فقد أورد الأمير خبر احتلال القوات الفرنسية لبعض المناطق التي لم تصل إليها سابقاً على غرار واحة تفيلة المغربية مقر

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص220.

(2) وهناك معلومات حول زيارة السلطان المغربي قبل هذه الزيارتين إلى باريس وشارك في مراسيم افتتاح مسجد باريس، وهناك فيديو يوثق هذه الزيارة من خلال رابط الموقع الإلكتروني التالي : صور قديمة مع Ir jaraida
/https://www.facebook.com/irjaraida/videos/595997590872892

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص205.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص218.

(5) المصدر نفسه، ص208.

عائلة الفيلالي الذي ينتمي إليها سلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف في **15** جانفي **1932**م، وفي **25** مارس سنة **1933**م وسّعت مناطق سيطرتها لتشمل منطقة جبل زغرن[1].

ومن مظاهر سياسة الفرنسة كذلك، ما ذكره شكيب أرسلان من أنّ السّلطات الفرنسية أمرت بتسمية مرفأ القنيطرة بالرباط بـــ"مرفأ ليوتي" تيمّناً باسم المارشال لويس ليوتي [2] Maréchal Hubert Lyautey الجنرال الفرنسي الذي تقلّد منصب المقيم العام في المغرب سابقاً وكان ذلك بتاريخ **19** ماي **1932**م[3].

ويتحدّث الأمير عن الثنائية الاستعمارية والاتفاقيات المتتالية حول مصالحهما في المغرب، ففي الخامس من أكتوبر سنة **1932**م اتفقت حكومتا إسبانيا وفرنسا على عدّة مسائل متعلقة بالمجال الاقتصادي في البلاد المغربية[4]، طبعاً لضبط بعض الأمور العالقة بينهما، خدمةً لمصالح الدولتين على حساب الشعب المغربي المقهور.

وفي ذات السياق، يضيف الأمير أنه في الثاني من نوفمبر **1932**م أي بعد شهر فقط من الاتفاق السابق، وقّعت الحكومتان الفرنسية و الإسبانية ثلاث اتفاقيات عمل وضمان اجتماعي كما وصفها الأمير شكيب، تتعلق بمصالحهما في البلاد المغربية[5].

ثم أورد أمير البيان مسألة بداية الصحوة الألمانية، ومحاولتها استرجاع قوتها الدبلوماسية وهيبتها الدولية، خاصة بعد وصول أدولف هتلر إلى سدّة الحكم شهر جانفي عام **1933**م، حيث بدأت الدولة تتطلع للحصول على بعض ما فقدته في حربها السابقة ضد الحلفاء، ففي السادس عشر من أفريل من سنة **1933**م تبادلت الحكومتان الفرنسية والألمانية المذكرات المتعلقة بحقوق الرعايا الألمان في المغرب [6]، بعدما كانت المسألة المغربية

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 209، 215.

(2) تقلّد الجنرال منصب المقيم العام مباشرةً بعد توقيع معاهدة الحماية مع فرنسا في مارس 1912م، أي بعد شهرين ليبقى في منصبه مدّة اثني عشر سنة كاملة، وتدّعي بعض المواقع الإلكترونية الفرنسية أن الجنرال ليوتي غيّر المغرب نحو الحداثة، وهو من أرجع الهيبة لدى العائلة الحاكمة في المغرب بعد مواجهة القبائل الانفصالية الثائرة. من الموقع الإلكتروني: https://www.lesjardinsdelamedina.com/blog الرابط : https://www.lesjardinsdelamedina.com/blog/2020/07/21/le-marechal-lyautey-le-constructeur-du-maroc-moderne/ تاريخ الزيارة : 2023/01/09م، 20:06.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص210.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص212.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه، ص215.

المغربية إحدى أزمات ما قبل الحرب العالمية الأولى، هاهي تبدأ من جديد في البحث عن منفذ للدخول إلى الأراضي المغربية.

وحرصاً منها على تنظيم شؤون مستعمراتها قامت الحكومة الفرنسية بإصدار قرار في الثالث من سبتمبر عام **1933**م، ويتعلق القرار بإنشاء قيادة عسكرية فرنسية على الحدود الجزائرية المغربية في أقصى الجنوب [1]، حيث يُطبّق الحكم العسكري كما هو الشأن في الجنوب الجزائري، لا حقوق اجتماعية ولا سياسية ولا مدنية، إضافةً إلى توجسها من الخطر النازي وأطماعه حول المغرب، لذا بدأت مظاهر التحضيرات العسكرية في مستعمراتها تلوح في الأفق.

ففي خضم هذه الأحداث وصل إلى الدّار البيضاء السيد هنري بونسو Henri Ponsot المقيم الفرنسي العام الجديد، الذي عُيّن من قبل الحكومة الفرنسية خلفاً للسيد لوسيان سانت بتاريخ **14** سبتمبر **1933**م[2].

وفي إطار ربط شبكة المواصلات الفرنسية الاستعمارية بين دول المغربي العربي، تونس، الجزائر، والمغرب افتتحت السلطات الفرنسية خط سكة الحديد بين فاس ووجدة في **28** سبتمبر **1933**م والذي يؤمن المواصلات بين المغرب والجزائر وتونس [3]، ودائما وأبداً فإنّ هذه المشاريع تخدم بالدرجة الأولى المصالح الاستعمارية الفرنسية، لنقل مختلف الموارد التي تُنهب من المغارب نحو فرنسا.

أمّا في الشأن العسكري، ذكر الأمير شكيب أنّه في الثامن من شهر سبتمبر عام **1933**م أعلنت السلطات الفرنسية في المغرب أنها أحكمت السيطرة على جميع مناطق جبال الأطلس المغربية ، لتعود مرّة أخرى وتهاجم القبائل البربرية في الجنوب المغربي بتاريخ **21** فيفري **1934**م[4]، وهذا لا يعني أنّ القبائل هي التي تبدأ هجماتها، بل كلما أحسّ الجيش الفرنسي بالخطر سارع إلى مهاجمة مصدر الخطر، حيث أن أمير البيان أورد هذا الخبر من منطلق أن الفرنسيين هم الذين من هاجم تلك القبائل، بعدما أعلنوا سيطرتهم من قبل على مناطق الجنوب المغربي.

---

[1] أرسلان، أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص219،

[2] المصدر نفسه.

[3] المصدر نفسه.

[4] المصدر نفسه، ص ص219، 223،

حيث وصلت التّهاني من قبل المقيم الفرنسي العام في المغرب في مارس **1934**م للقائد الفرنسي في المغرب الجنرال هور، والقائد الفرنسي للعمليات في المغرب الجنرال كاترو، نضير منجزاتهم في جبال الأطلس المغربية وإحكام السيطرة على كل المناطق المحيطة بها[1].

ولتكميم الأفواه، وتعتيم الإعلام، ومنع الرأي الآخر، أمرت السلطات الفرنسية عبر القائد الفرنسي العام في المغرب بإيقاف جريدتين تصدران باللغة الألمانية في المغرب في السادس من سبتمبر **1934**م، ومنع تداولهما في المغرب وهما Deutsche Allgemeine Zeitung و Lokulanzeiger [2]، أراد الفرنسيون الاستئثار بالبلاد المغربية حتى ثقافياً ومنع انتشار اللغة الألمانية في المغرب أو التسويق لها عبر الصحافة والإعلام، ومنع وصول الدعاية الألمانية إلى ساكنة المغرب وبالأخص إلى عقول مثقفيها التي تعلم جيّدا من هي ألمانيا وما تملكه من قوّة اقتصادية وعسكرية ناشئة في تلك الفترة، حيث أن السلطات الفرنسية تدرك ما الخطر الذي تتعرض له في أوروبا ومناطق نفوذها جراء الفكر النازي الصاعد.

وفي منتصف شهر مارس من السنة نفسها ذكر الأمير أنّ السلطان الأزرق [3] سلّم نفسه إلى القوات الإسبانية، وهو ما تسبّب باضطرابات كبيرة في الجزء المسيطر عليه من طرف الاحتلال الإسباني [4]، ورغم أن السلطات الفرنسية أعلنت سابقاً عن انتهاء العمليات في معظم الأراضي المغربية، إلاّ أنّها تعلن في **31** مارس سنة **1934**م عن احتلالها لواحة تندوف المغربية لتسهل الهيمنة على تلك المنطقة ككل[5]،حيث أن الحدود بين الدول لم تكن رسمية كما هي الآن.

وحسب ما جاء به أمير البيان من معلومات في مدونته، فإن تندوف منطقة جزائرية لا مغربية، فإعلان الحكومة الفرنسية عن إحكام سيطرتها على تندوف كمنطقة حدودية لم تحتلها سابقاً عند احتلال كل المناطق

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص224.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص227.

(3) **السلطان الأزرق** هو أحمد الهيبة بن ماء العينين وهو أحد أبرز وجوه المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي والاسباني، في المغرب والصحراء وموريتانيا، وقد لقب بالسلطان الأزرق للون اللباس الذي كان يلبسه، وهو لباس صحراوي شائع آنذاك، وهو اللباس نفسه للطوارق في الصحراء الكبرى، الموقع الإلكتروني: الجزيرة، رابط المقال : الشيخ -أحمد-الهيبة-بن-الشيخ-ماء-العينين/https://www.aljazeera.net/2004/10/03.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص224.

(5) أرسلان، المصدر نفسه، ص225.

الجزائرية لعدم وجود حدود سياسية ثابتة ومعلومة بين الجزائر والمغرب، إضافةً إلى احترام السيادة المغربية وخوفاً من فتح جبهة جديدة لا قبل لهم بها في تلك الفترة.

وحرصاً على منصبه، وخدمةً لمصالح الاحتلال، وقّع السلطان المغربي سيدي محمد بن يوسف ظهيراً يقضي بمنع التظاهرات المخلّة بالأمن والعمل على احترام السلطات الفرنسية في البلد، ومعاقبة المخالفين لهذا القانون بعقوبات صارمة [1]، هذه الإجراءات تأتي بإيعاز من المحتل لخدمة مصالحهم وخوفاً من تزايد النشاط التحرري ضد الوجود الفرنسي في المغرب.

أمّا حكومة إسبانيا فعينت الكولونيل مونوس كراندي مفوّضاً للشؤون الداخلية للمغرب الإسباني خلفاً للجنرال كاباز في السابع من نوفمبر **1935**م، في حين قامت الحكومة الفرنسية بإعفاء المقيم العام الفرنسي هنري بونسو [2] Henri Ponsot من منصبه، وعيّنت السيد بيريتون مكانه في فيفري **1936**م[3]، ومع بداية الوعي النقابي المغربي، باشر عمال شركة المصفاة المغربية إضرابهم عن العمل وعدم العودة إلا بعد تحقيق مطالبهم، وكان عدد العمّال المضربين سبعمائة عامل، وبداية الإضراب كانت في **12** جوان **1936**م[4]، لم يذكر أمير البيان تفاصيل أخرى حول من نظّم هذا الإضراب، ومن كان وراءه، هل هو تنظيم سياسي أو تنظيم نقابي أو شخصيات لها وزن سياسي معروفة ؟

وفي الرابع من شهر جويلية **1936**م، عيّنت الحكومة الإسبانية أرجيميرو مايسترو دي ليون مديراً عامّاً للجهاز الإداري الاسباني في المغرب، وبعد عشرة أيام فقط أعلنت الإدارة المدنية والعسكرية الإسبانية في المغرب بقيادة الجنرال فرانكو [5] الانفصال عن الجمهورية الإسبانية قصد تحريرها من الاستعباد الأحمر، أي

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص232.

[2] تقلّد منصب المقيم العام بين سنتي جويلية 1936م إلى غاية مارس من السنة نفسها أي 1936م.

[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 234، 236.

[4] أرسلان، المصدر نفسه، ص 241.

[5] هو الجنرال **فرانسيسكو فرانكو** المولود في الرابع من ديسمبر 1892م في إقليم غاليسيا باسبانيا في أسرة متوسطة الحال، رغم أن أبوه كان محاسباً في المدرسة الحربية الاسبانية إلاّ أنه رسب فيها، وأخفق في الالتحاق بأقسامها، فتوجه إلى مدرسة المشاة بطليطلة وتخرج منها سنة 1910م برتبة "ملازم"، خدم فرانكو بالمغرب لتنظيم وحدات الجيش الاسباني، حارب القائد محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة 1926م، حيث تعلم الدارجة المغربية واللهجة الأمازيغية، ناصر الانقلاب العسكري، استفاد من الدعم الألماني والإيطالي، وجند المغاربة كذلك إلى صفه، وخلال ح ع 2 التقى بأدولف هتلر ودعم الأخير بعدة وحدات عسكرية في الجبهة السوفياتية، ودام حكمه إلى سنة 1969م بعد تعيين خوان كارلوس ولياً

الشيوعية، وباشرت قوّات الجنرال فرانكو بثورة ضد ممثلي الحكومة الإسبانية في المغرب وقوّاتهم أواخر شهر جويلية **1936**م، فسيطرت على مدينة مليلة وتلتها مدن أخرى في المنطقة الإسبانية في المغرب [1]، وقد استعان الجنرال فرانكو بالجنود المغاربة في حربه ضد الشيوعيين، فمشاركتهم حسمت المعركة لصالحه، والذي أقرّ أنّه مستعد لعقد معاهدة مع المغاربة في مقابل مناصرتهم له في حربه [2].

ولتقديم الدعم المعنوي للجنرال الإسباني فرانكو، قامت بعض قطع الأسطول البحري الألماني بزيارة للمغرب، فأعرب الجنرال فرانكو عن امتنانه وشكره لتأييد ألمانيا له معنوياً [3]، لكن الحكومة الفرنسية اعترضت على هذا الإجراء حيث أنذرت الثوار الإسبان في المغرب في شهر جانفي **1937**م، وأعلنت أنّ أي إنزال للقوات الألمانية في المغرب هو انتهاك للحلف الفرنسي الإسباني الموقّع في سنة **1912**م وقد نفى القائم بالأعمال الألماني في إسبانيا المخاوف الفرنسية وزعمهم بوجود قوات ألمانية في المغرب؛ وفي **11** جانفي **1937**م، تبادل الفهرر أدولف هتلر والسفير الفرنسي في ألمانيا التأكيدات الرسمية بين الحكومتين الفرنسية والألمانية بعدم المس بالوضع القائم في القسم المغربي الإسباني [4]، وهذا في إطار التنافس الاستعماري، ودليل على استمرار الأطماع الألمانية في المغرب، للموقع الاستراتيجي الذي تحتله.

ولخدمة مصالحها ومصالح المستوطنين الفرنسيين المعمرين بالمغرب قامت السلطات الفرنسية عبر إدارة الأشغال التابعة للإقامة العامة الفرنسية بالمغرب في **28** أوت **1937**م بتحويل ماء نهر أبي فكران الذي يروي سكان مدينة مكناس وضواحيها بماء الشرب والسقي لمصلحة أربعة معمرين فرنسيين [5]، فهذا الفعل لا يقبله عاقل، ولا يُعقل أن يُحرم سكان مدينة بأكملها من الماء الشروب وماء سقي أراضيهم، ويُمنح ماء هذا النهر لأربعة أشخاص قد حازوا على أراضي ليست لهم أصلاً، فهذا انتهاك صارخ لحقوق المغاربة، وظلم ظاهر ممّن يدّعي المدنية، وشعاره "الحريّة والمساواة والأخوّة".

للعهد، توفي الجنرال فرانكو في 20 نوفمبر 1975م. الموقع الإلكتروني: الجزيرة، فرانكو -الجنرال-الذي-حكم-إسبانيا- بقبضة https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/2016/4/25/ تاريخ الزيارة : 2022/10/01. 17:50.

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص242.

(2) أحمد فؤاد الأهواني، **الحرب الإسبانية**، مطبعة دار النشر، مصر، سبتمبر 1938م، ص105.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 242، 243،

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص249.

(5) المصدر نفسه، ص257.

وقد احتشدت الجماهير المغربية في مدينة مكناس في الثاني من سبتمبر **1937**م بمحاذاة دار البلدية رافضين لمشروع تحويل مياه نهر أبي فكران، فردّت السلطات الفرنسية باعتقال العشرات منهم [1]، وهذه إجراءات معروفة لدى مستعمرات فرنسا، فالقمع والمنع سيدا الموقف، وبعد الاعتقال سيكون التعذيب والتأديب، ثم الترحيل والإبعاد بالنسبة للذين يشكلون خطراً على مصالحها.

وفي الشأن المالي يفضح أمير البيان سيئاتها وظلمها، وازدواجية المعايير في تعامل فرنسا مع المغاربة ومع غيرهم، حيث أعطى الأمير الإحصاء الدقيق للسكان المغاربة وباقي الجاليات، وكيفية تقسيم الميزانية على مختلف أطياف المجتمع، فيذكر أن عدد الفرنسيين في مرّاكش **190** ألف فرنسي، أمّا اليهود **130** ألفاً، في حين فإنّ السكان المسلمين المغاربة من سبعة إلى ثمانية ملايين، لذا الاستفادة من المفروض أن تكون على أساس عدد السكان، فرغم أن المغاربة هم الأغلبية إلا أن استفادتهم لم تصل إلى نصف الميزانية، حيث يذكر الأمير أن الفرنسيين(**190** ألف) يستفيدون من **40** إلى **50** مليون، والمغاربة(**8** ملايين نسمة) يستفيدون من **10** إلى **15** مليون، أمّا اليهود (**135**ألف) يستفيدون عدّة ملايين[2].

وفي ميدان التعليم، يذكر الأمير أنّ نفقات تعليم المائة وتسعين ألف من الفرنسيين في المغرب هي الثلثان من مخصصات المعارف، ونفقات الثمانية ملايين مسلم مغربي هي الثلث، حيث بعد التدقيق في حسابات الميزانية خلص لدى الأمير أن الفرنسي الواحد مستفيد بقدر أربعين مسلماً مغربياً، واليهودي الواحد مستفيد بقدر **20** مسلماً، ويضيف أن فرنسا لن تستطيع إنكار صحة هذه الأرقام، وقد نشرها في مجلته "الأمة العربية لاناسيون آراب"، نقلها عن الجريدة الرسمية للحماية الصادرة في مدينة الرباط، وهي ميزانية خمسة سنوات بهذا الشكل من **1930**م إلى غاية **1935**م وليست سنة واحدة، والغريب في الأمر أن مبالغ من هذه الميزانية كانت تُؤدى إلى البعثات الكاثوليكية والبروتستنتية[3].

أمّا المجال الديني وفي إطار التضييق على المساجد ودور العبادة وبحجّة مراقبة النشاط السياسي، أصدرت السلطات الفرنسية في **28** من أكتوبر **1937**م قرارات أرسلت إلى كل الباشوات والقضاة في المغرب لاتخاذ

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص257.

[2] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص58.

[3] أرسلان، المصدر نفسه.

جميع التدابير قصد منع توظيف المساجد للأغراض السياسية [1]، فللسلطة الفرنسية خبرة طويلة مع المساجد ودورها التوعوي، لذا وضعت إجراءات قانونية بموجبها تستطيع منع أو اعتقال الوطنيين من ممارسة نشاطهم الوطني عبر بيوت الله.

ولاستعطاف المغاربة وتسهيل مرور المساعدات والمواد الأساسية نحو فرنسا، قررت السلطات الفرنسية في السادس من شهر سبتمبر **1942**م إلغاء الضرائب المفروضة على جميع الصادرات من المغرب [2]، هذا خدمةً لمصالحها زمن الحرب العالمية الثانية ولسدّ حاجياتها من المواد الغذائية والتموينية لجيوشها، عبر تسهيل خروج السلع نحو فرنسا.

لكن في منتصف شهر أكتوبر **1942**م استولت القوات الأمريكية على مدينة الدار البيضاء المغربية ، فأحسّ العسكريون الإسبان بقرب النهاية مما جعل حاكم طنجة العسكري الجنرال يوريارت بتقديم استقالته حيث خلفه حاكمٌ مدنيٌّ وهو السيد دون جوان بوثوس، والذي كان سابقاً قنصلاً إسبانيا عاماً [3]، في الفترة التي وقعت فيها الأراضي المغربية ضمن صراع طرفي الحرب العالمية وحلفائهم، دول المحور والحلفاء.

وفي خضم هذه التغيرات، أعلن سلطان المغرب مولاي محمد الخامس تعاونه مع الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول المحور ، ورغم جلاء قوّات حكومة فيشي من المغرب واسترجاع السلطات الفرنسية لسيطرتهم على مناطق نفوذهم، إلاّ أنهم بقوا في افتعال ممارساتهم والتضييق على الوطنيين والمدنيين على حد سواء، فقد قامت الحكومة الفرنسية بغلق الحدود بين المنطقتين الشمالية والجنوبية، الإسبانية والفرنسية، مدّعيةً أنها لأسباب أمنية، حيث استمر هذا الغلق من **11** جوان إلى غاية **05** جويلية **1944**م[4]، حيث لم تراع السلطات الفرنسية إلا مصالحها، و لم تأبه لمصالح السكان بين خط الحدود المفروض ظلماً وعدواناً على المغاربة.

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص260.

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص318.

[3] المصدر نفسه، ص319.

[4] المصدر نفسه، ص ص319، 337.

ولامتصاص الغضب الشعبي المغربي بعد الأحداث الأخيرة، عمدت السلطات الفرنسية لإطلاق بعض المشاريع في شكل إصلاحات من خلال إعلان المقيم العام الفرنسي غبريال بويو [1] Gabriel Puaux، الذي تضمّن موافقة السلطان المغربي على برنامج إصلاحي مرتبط بالإدارة العامة، وشؤون التربية والعدل، وكذا مجال الزراعة الذي عبَّر عنه بأنّه سيكون علامة مميّزة في تطور البلاد، وكان ذلك في **16** من نوفمبر **1944**م[2]، وهذا ما جرى في الجزائر عبر إصلاحات مارس **1944**م، احتلالٌ واحدٌ والممارسات نفسها فالنتائج إذاً نفسها، فكل مشاريع الإصلاحات هي فقاعات إعلامية قصد ذرّ الرماد في العيون، في حين قام رجال حزب الاستقلال المغربي بتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال في جانفي من السنة نفسها أي عام **1944**م[3].

وقد بدأ المقيم العام الفرنسي في المغرب غبريال بيو عمله عبر إعلانه عن تأسيس أربعة لجان في **16** مارس **1945**م هي: (لجنة الاستشارة للشؤون الإدارية، لجنة العدلية، لجنة التعليم، لجنة التأمين والفلاحة واليد العاملة)[4].

فكان ردّ حزب الاستقلال المغربي سريعاً على مشروع الإصلاح الفرنسي الممثل في برنامج المقيم العام غبريال بيو، ففي **18** مارس **1945**م أذاع حزب الاستقلال ردّه على اللجان المؤسسة من طرف المقيم العام حيث ذكر أن " الطبقة المتنوّرة في المغرب لم تعر أدنى التفات لقرار المقيم العام الصادر في **16** مارس **1945**م لأنها تعرف عن طريق التجربة، أنّه لا يمكن انتظار شيء مهم من اللجان الرسمية التي هي وسيلة تقليدية لقبر جميع مشروعات الإصلاح الحقيقي..." [5]، فكان رواد الوطنية المغربية يعلمون جيداً ما هي الإصلاحات، وكيف يتناولها إعلامهم لذا كان ردّهم قويًّا على هذه المهازل الاستعمارية السياسية.

فبعد علم السلطات الفرنسية بردّ الحركة الوطنية المغربية، سارعت إلى استبدال غبريال بيو بالسيد إريك لابون Eirik Labonne في منصب المقيم العام مطلع شهر أفريل **1945**م، كما لم يرض المستوطنون

---

(1) تقلّد منصب المقيم العام الفرنسي في المغرب الأقصى من شهر جوان 1943م وإلى غاية شهر مارس من سنة 1946م.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص342.

(3) عبد الحق عزوزي، مرجع سابق، ص326.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص346.

(5) أرسلان، المصدر نفسه، ص346.

الفرنسيون في المغرب بتهميشهم، لذا طالبوا في الخامس من سبتمبر **1945**م أن تراعي الحكومة الفرنسية نقطتين هامتين في صالحهم هي :

- تعيين نواب منهم في البرلمان الفرنسي.
- فتح أبواب الأحزاب الفرنسية في المغرب لقبول المنخرطين المغاربة[1]

والملاحظ أن أنانية المستوطنين الفرنسيين في مطالبهم ظاهرة جلية من خلال طلب مناصب النيابة في البرلمان الفرنسي لأنفسهم، في حين يطلبون فتح مجال الانخراط في الأحزاب الفرنسية في المغرب للمغاربة، كما فعلوا في الجزائر، حيث حُرم الجزائريون من جل المجالس، وحتى حقّ الانتخاب ناهيك عن عضوية البرلمان.

وكان لأعضاء حزب الاستقلال خارج الحدود المغربية نشاط دؤوب، ففي **18** سبتمبر **1945**م رفع السيد محمد اليزيدي احتجاجاً للسلطان مولاي محمد بن يوسف باسم اللجنة التنفيذية للحزب، مفاده استنكار الحزب لمطالب المعمرين الفرنسيين في المغرب، حيث اعتبروها تهديداً للدولة المغربية وشعبها، كما طالب الحكومة الفرنسية بإلغاء التدابير المتخذة من طرف الفرنسيين التي تتعلق بسياسة التجنيس والإدماج في المغرب[2].

وفي الثاني من سبتمبر عام **1946**م، أصدر حزب الاستقلال بياناً من العاصمة الفرنسية باريس، عبّر فيه قادة الحزب عن عدم رضاهم بما جاء في معاهدة **1912**م، الموقعة بين المغرب وفرنسا، وطالبوا بتوحيد المغرب وذلك بضمّ طنجة وتطوان التي تحت السيطرة الإسبانية إلى مراكش التي تحت السيطرة الفرنسية [3]، ورغم أنّ احتلال المغرب كان متأخرًا مقارنة بباقي دول المغرب إلاّ أنّها لم تسلم كذلك من سياسة التنصير.

2-1 موقف أمير البيان من سياسة التنصير:

كان اجتهاد أمير البيان شكيب أرسلان على الصعيد الثقافي ظاهرًا للعيان، ومعروفًا لدى قرّاء مقالاته وكتاباته، كما أوردنا سابقاً، فالأمير بذل جهودًا معتبرة للدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، وفضح مخطّطات

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص346، 355.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص356.

(3) المصدر نفسه، ص ص376، 377.

الاستعمار في مجال التبشير، فمثلما تتبّع أعمال المبشرّين في كل العالم الإسلامي، فعل كذلك في المغرب، وتحدّث في عديد الفرص حول هذه المسألة.

ومن جملة ما نقله الأمير عن المبشر المعروف القس الكاثوليكي زويمر :"...إنّ بلاد مرّاكش مثال تامّ لانحطاط الإسلام، وبلاد فارس مثال لتفككه، وبلاد العرب مثال لجموده، والصين مثال لإهمال الإسلام..."، ثم يسترسل في إعطاء عديد الإحصاءات المتعلقة بالمسلمين في إفريقيا، مستنداً إلى كتابات رجال التبشير أمثال الأب سيمون Simon وغيرهم[1]، ليُعقّب عنها بإحصاءات أخرى وتصويبات في كثير من الأحيان، ثمّ الردود على أفكارهم ومشاريعهم.

وللإشارة فإنّ الجمعية العامّة لجمعية الآباء البيض أصدرت تقريراً عام **1927**م بعد اجتماعها في الجزائر العاصمة يخصّ تنصير البربر في الجزائر والمغرب، عُنون التقرير "لا لُبس في تبشير الأمازيغ، non équivoque L'évangélisation des Berbères "، وقد نوّه التقرير على الأخطاء المرتكبة في الجزائر الممثلة في السماح للبربر بالتقاضي على أسس الشريعة الإسلامية باللغة العربية، والتغاضي عن إتباع عاداتهم وأعرافهم ،لذا كان مهندسو هذا التقرير من رجال الدين المسيحيّين يرون أنّ المغرب يصحّح أخطاء الجزائر في منطقة البربر من خلال إعطاء البربر في المغرب قانونًا أمازيغيًّا مستمدًّا من قوّة القانون الفرنسي، بحيث تُمنع اللغة العربية والتعليم الديني للمدارس القرآنية، ومن خلال هذا القانون المسيحي يمكن استيعاب البربر دينياً[2].

وتجدر الإشارة إلى ما أورده الأمير حول مشاريعهم التبشيرية، مستنداً على ما كتبته مجلة الكنيسة التبشيرية، حيث ذكر أنّ البابا أسّس معهداً خاصاً في الفاتيكان لتدريس الفقه الإسلامي والعقيدة الإسلامية بشكل جيّد ليتمكن المبشرون اللاّتينيون من مهاجمة الإسلام في بلاده، وقد اختار لهذه المهمّة عددًا كبيرًا منهم رجلٌ تركيٌ تنصّر من عائلة لها نفوذ ديني في تركيا[3]، وفي خبر آخر نقله أمير البيان عن مجلة إنجليزية نشرته في فيفري **1924**م حول زيارة الملك الإسباني ألفنسو الثالث عشر Alfonso**13** إلى بابا الفاتيكان، حيث ألقى

---

(1) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص10، 11.

(2) G. Lafuente,op cit ,P9.

(3) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص12.

الملك خطاباً لدى البابا أخبره من خلاله أنّ إسبانيا تجنّدت لحرب المسلمين في إفريقيا، لن تتوقف حتّى تغرس الصليب في ديار المسلمين وتجعل أتباع محمّد يخنعون للصليب قهراً[1].

لذا كان أمير البيان يحذّر المسلمين في كتباته حول ما تحويه كتاباتهم من مشاريع وما تبوح به من صريح أو أحياناً في شكل تلميح، فيقول :"...فهذا ما قصدنا نبدأ به من تنبيه المسلمين إلى ما يحيط بهم من الأخطار، لا يمنعنا عن ذلك جبن ولا خشية أن نُنسب إلى تعصّب، فالله يعلم أننا لا نحثّ المسلمين على دعاية دينية بين المسيحيين أو بين اليهود..."[2]، فكلام الأمير واضح جليّ، فسعة اطلاعه منحته القدرة على معرفة ما يفكّر فيه الأوروبيين سواء كانوا ساستهم أو قساوستهم أو عسكريّوهم.

ثمّ ينبّه شكيب أرسلان إلى فضل الطرق الصوفية في التصدّي للحملات التبشيرية في طرابلس والجزائر وتونس والمغرب، خاصة السنوسية والقادرية، ويضيف أنّ هؤلاء هم الذين ناظروا المبشّرين الأوروبيين، ونازعوهم الاستئثار بالملايين الكثيرة من الوثنيين، حيث يقول فليكن عملهم مذكوراً مشكوراً، ويضيف أنّه يجب أن يُشدّ أزرهم بالسياح والوعّاظ والمرشدين، أي تدعيم جهودهم بالفقهاء والدعاة المتكوّنين تكويناً جيّداً[3].

كتب الأمير في كتابه "زمن العروبة الأبتر" أن الدول الاستعمارية كانت دائماً تتوجس من فقدان مستعمراتها الشمال إفريقيّة، خاصّة وأهلها لا زالوا على الدين الإسلامي، لذا كانوا يعملون ما بوسعهم لإخراج السكان من دائرة الإسلام، أو إخراج الإسلام من قلوب أهلها[4].

ففي إحدى مقالات الشيخ عبد العزيز الثعالبي المرسلة إلى أمير البيان، أجاب الشيخ على مجموعة تساؤلات الأمير حول سياسة المقيمين العامين الفرنسيين في الشمال الإفريقي، فردّ الشيخ بإعطائه أمثلة عدّة لمقيمين حكموا في المغارب الثلاث، على غرار المقيم العام الفرنسي هنري بونسو Henri Ponsot, حيث ذكر الثعالبي أن هذا المقيم من الأشخاص الذين كرّسوا سياسة التنصير في مناطق البربر [5]، ثمّ اعتلى منصبه بعده

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، هامش ص ص191، 192.

(2) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص12.

(3) المصدر نفسه، ص13.

(4) المصدر نفسه، ص 77.

(5) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص65.

المسمّى لوسيان سان صاحب مشروع الظهير البربري، وبعد الضجّة التي اجتاحت المغرب والتي عبّرت عن رفضها لهذا القانون الذي سنتحدّث عنه في عنصر خاص.

ويضيف الثعالبي في رسالته للأمير أنّ المقيم العام بونسو قام بمكره وحيلته بإرضاء السلطان المغربي بمنحه لقب خليفة المسلمين، فكان هذا اللقب ملهاة وسخريّة للفرنسيين، وتمّ تسخيرها لهدم ما بقي من الإسلام في بلاد البربر، في حين كان يهلّل النصّابون والمحتالون من مشايخ الطّرق والمتفقّهين لعودة الخلافة الإسلامية في المغرب الفرنسي[1]، هذه الطرق القديمة المتجددة استخدمتها دول الاحتلال الأوروبية في عديد الأقاليم بعد رسم خارطة طريق خادمة لمآربهم هادمة للدين الإسلامي مفكّكة للمجتمعات المحتلة، استغلت سذاجة البعض وقلّة نباهتهم، فروّجت لأفكار تخدم الشعوب المحتلة في ظاهرها لتمرّر مشاريعهم الخفيّة.

وعلّق الأمير في حاضر العالم الإسلامي على مقال روجر لابون حول سياسة الفرنسيين التنصيرية، وكيف يفكّر رجال الدين المسيحي، حيث كتب أنهم يركزون على تعليم اللغة الفرنسية التي هي مفتاح المسيحيّة كما يقول لوشاتيه Le Châtelier :"يوم لا يبقى اللسان العربي هو لغة التجارة في إفريقية، لا يبقى خطرٌ من جهة الإسلام لأن مدارسه تصير قفرةٌ..."، ويرى بول برت Paul Bert الفسيولوجي المعروف أنّ:" حل المسألة العربية هي في الكتاب، وأتمنّى أن أرى في كل قرية مغربية معلماً عربياً ومعلماً فرنسياً..." [2]، فكان الأمير ينقل كل أفكار المستشرقين الفرنسيين، ومنظّري التنصير، وحاملي مشعل المسيحية في أوروبا، فحذّر من مخططاتهم، وكشف عن أساليبهم.

في حين أورد الأمير الرأي الآخر للكاردينال لافيجري، حيث يرى أن أساس نشر المسيحية في المغرب هو استغلال ظروفهم من خلال التعليم والتمريض، حيث قال:"...لا حاجة بنا إلى الدعوة لنفس الدين، بل الحاجة هي إلى التعليم والتمريض..."، فمن خلال بناء مدارس عصرية، ومراكز استشفائية، من خلالها تُبثّ تعاليم المسيحيّة عبر المعاملة الحسنة من طرف المعلّم صاحب الأخلاق الرفيعة والمستوى الراقي، وعبر الممرّضة الجميلة ذات اللباس الأنيق والسلوك الحسن، ليقع الطّفل المتمدرس المحتاج للعلم، أو المريض الذي يعاني في صمت في شَرَكِهِم، وفي مصيدة التنصير.

---

[1] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص65.

[2] أرسلان، "**الإسلام والجنود السوداء مقالة روجر لابون والتعليق عليها للأمير شكيب**"، حاضر العالم الاسلامي، ج2، ص 320.

وفي مقال له في جريدة الفتح [1] وأُدرجت ضمن كتاب "زمن العروبة الأبتر"، كتب الأمير عن سياسة فرنسا التبشيرية في شمال إفريقيّة، ليقارنها بسياسة الاحتلال الإسباني للمغرب، حيث يقول :"...نعم إنّ الإسبان أصبحوا أخفّ شرّاً من الطليان والفرنسيس، لأنّ الريف لم يكن مستعمرة واسعة لهم منها مطامع ومنافع، حتّى يجعلوا نصب أعينهم عداوة الريفيّين، وأصرّوا على قهرهم حفظاً لشرف إسبانيا العسكري...ثمّ إنّ الإسبان لا تزال فيهم بعض أخلاق العرب الكريمة..."[2].

فعلاً كان كلام الأمير مقنعًا في سياسة الإسبان مقارنةً بالإيطاليين والفرنسيين، و لم تكن هناك مصالح ومنافع حقيقية في الريف، وأنّ شوكتهم كُسرت في حربهم ضد الريفيين وهذا هو السبب الأساسي في رأيي، وليس في أصولهم العربية، فممارساتهم التاريخيّة لا زال أثرها النفسي إلى حدّ الساعة عند الكثير من العائلات الأندلسية في إسبانيا أو شمال إفريقيا، وقرارات المعاملات هي سياسية بالدرجة الأولى، فلمّا انهزمت شرّ هزيمة غيّرت سياستها بعد أن كلّفتها الحرب خسائر بشريّة فادحة.

أما عن فرنسا، فهي أطلقت تسمية فرنسا الإفريقية على (تونس، الجزائر، مراكش)، حيث تُفكّر في مستقبل هذه البلدان ومستقبل الإسلام فيها، حيث يقول الأمير أن الفرنسيين يفكرون ليلاً ونهار في محو الإسلام منها بكل الوسائل، ولو تدريجياً، في حين يرى الأمير أن الحزب الراديكالي والحزب الاشتراكي في فرنسا هما الحزبان اللذان يمنعان إرهاق المسلمين والتعرض لدينهم، فحريّة الأديان من مبادئ هذين الحزبين، في حين أن الحريّة عند الحزب الجمهوري واليميني مجرد شعارات ولفظ أكثر منه معنى[3].

وهناك نقطة أخرى أشار إليها الأمير حول التنافس الألماني الفرنسي، وكون الألمان أكثر عدداً من ناحية السكان من الفرنسيين، بحيث يزيدون عليهم بنحو ثلاثين مليون نسمة، فيقول الأمير أن ألمانيا جمعت بين الكميّة والكيفيّة، فلن تستطيع فرنسا مجاراتها ومواجهتها، لذا تعتمد فرنسا على مستعمراتها، والتي تبلغ

[1] مجلّة "الفتح" تأسست من طرف الكاتب المميّز محبّ الدين الخطيب في ماي 1926م واستمرت بالإصدار إلى غاية نوفمبر 1948م، وكانت المجلة تحمل رسالة نهضة الأمّة العربية الإسلامية، حيث حملت على عاتقها الدفاع عن قضايا الأمّة العربية المختلفة، وقد تصدّت لها السلطات الاستعمارية في عديد البلاد العربية، وغم توقف إصدارها إلاّ أن صاحبها بقي حاملاً الرسالة النهضويّة إلى أن وافته المنيّة. محمد عبد الرحمان برج، **محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية 1906–1920م**، أعلام العرب، مكتبة الإسكندرية، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ص148.

[2] أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، مصدر سابق، ص77.

[3] المصدر نفسه.

مليون نسمة، لكن لا يأتمنون على مستقبلها، ولقرب هذه الأقطار منها، حاولت بكل ما لديها من وسائل للحفاظ عليها، خصوصاً تشجيع سياسة التبشير في مناطق البربر[1].

فقضيّة تنصير البربر ليست جديدة وقد تناولناها بالبحث في الفصل الرابع، وكتبنا عن ما أورده أمير البيان عن بربر الجزائر ومشاريع فرنسا التفريقية، وقد فعلت الشيء نفسه في المغرب، ففي كتابه زمن العروبة الأبتر كتب الأمير :"... وقضيّة محاولة إخراج البربر من الإسلام هي من جملة آمال الفرنسيين، بزيادة توطيد أقدامهم في شمالي إفريقيا الذي تخفق عليه قلوبهم، ولقد أقنعهم الحزب الكاثوليكي منهم بأنّ شمال إفريقيا يبقى تحت خطر الانسلاخ عن فرنسا مادام أهله مسلمين..."، ويضيف أن الإسلام لا يسمح بأن يقبل أبناؤه سلطة الأجانب عليهم، وهذا من محاسنه كما قال، ثم يؤكّد الحزب أنه يجب تحويل مسلمي المغرب إلى المسيحية ولو تدريجياً[2]، فكانت الكنيسة الكاثوليكية تستخدم كل الطرق لتحقيق مآربهم الدينية، وبالأخص عبر الضغط على المسؤولين السياسيين الفرنسيين.

وفي ذات السيّاق يذكر الأمير أنّ السلطات الفرنسية اتخذت سياسة حصار منطقة الريف بعد الثورة، قصد فرنسة وتنصير بربر المغرب، حيث اتفقت مع الحكومة الإسبانية سراً وخرجتا باتفاق ثنائي بموجبه قامت السلطات الإسبانية بغلق منافذ منطقة الريف وعدم منح الإذن بالسفر خارج المنطقة الإسبانية، ووضعت العراقيل في طريق التعليم الإسلامي وعديد التدابير والإجراءات القهرية ملبيّة لمطالب السلطات الفرنسية بعدما كان الكثير يرى أن تسلك إسبانيا طريق التودّد على خلاف فرنسا[3].

وفي مقال له صُنّف ضمن مجموعة مقالات في كتابه " الإسلام والحضارات"، والذي عُنون ب:"مسألة إخراج البربر من الإسلام"، تاريخ النشر في **04** جمادى الأولى **1349** الموافق ل **27** أفريل **1930**م، كتب الأمير عن خطورة تنصير البربر في المغرب بالقوة عبر إعلان قانون الظهير البربري، حيث بدأ بتعظيم المسألة وخطورة القضية، حيث أن الاعتداء ليس على إسلام البربر، بل يشمل العالم الإسلامي ككل، وقد وصفها بالنازلة الفادحة بالإسلام، ثم شرع في توضيح جوانب الموضوع، ومخططات الفرنسيين، وحججهم من إصدار الظهير البربري، وقد خصّصنا عنصراً لهذا القانون لمعالجة حيثياته، ونتائجه في المغرب وفي العالم العربي على

---

(1) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، مصدر سابق، ص78.

(2) المصدر نفسه.

(3) أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص29.

الصعيد الإعلامي خاصّةً، لذا كان للأمير الكثير من المقالات التي تخصّ مسألة تنصير بربر المغرب سنأتي على ذكر بعضها[1].

ويعتقد أمير البيان أنه لو مازالت الدولة العثمانية قائمة، كما كان لها تأثير على الساحة السياسية الدولية لما ظهر الظلم في حقّ المسلمين، بعد الإفراط الذي أصابهم بعد الحرب العالمية الأولى، فتعرّضوا للقهر والظلم والاحتقار، حيث أُصيبت الأمة في عقيدتها، وفي صميم دينها بعد أن كانت مصونة [2]، أما إذا قمنا بتسليط الضوء على سياسة فرنسا التبشيرية في الجزائر، فما هو الردّ العثماني على هذه الممارسات، وأين كان السلاطين العثمانيون في الفترة الممتدة من احتلال الجزائر إلى بداية الحرب العالمية الأولى، أي قبل سقوط الدولة العثمانية، حيث أنّه بعد ظهور بوادر الضعف لم يبقى للعثمانيين شأن، وكذلك الأمر في تونس، ثم طرابلس، حيث أن كل أقاليمها الشمال إفريقية تعرّضت لهذا النوع من الممارسات، لكن لم تستطع فعل شيء، فكيف لها أن تفعل في المغرب كما ذكر أمير البيان.

وفي مقال له نُشر بمجلة الفتح سنة **1931**م تحت عنوان "كيف يتمسّكون بدينهم ويفتخرون"، استشهد أمير البيان بكلام أحمد بلافريج بوصفه الشاب النابغة، والذي حضر مراسيم افتتاح مؤتمر المستشرقين في ليدن، حيث ذكر بلافريج ما قاله ناظر المعارف في هولندا، أن بلده لم تقصد في احتلال جنوب آسيا التجارة والمكاسب الماديّة فقط، بل قصدت المنطقة لنشر حسنات الدين المسيحي، ثمّ عبّر الأمير على شجاعة وصراحة رجل الدولة الهولندي، والذي كان صادقاً في ما قاله، حيث يضيف الأمير أن البعثات المسيحية ملأت الجزر الأندونيسية، وأنهم استطاعوا تنصير حوالي مئة ألف لاسيما منهم الفقراء واليتامى[3].

وضمن مقالات مجلة الفتح كذلك كتب أمير البيان مقالاً عُنون بـــ" كتاب جديد باحث عن الحركات (التبشيرية)، ينبغي للمسلمين أن يطّلعوا عليه"،عنوان الكتاب "نهاية دور، وعلى عتبة عصر جديد La fin d'un temps , au seuil d'un âge" لصاحبه السيد غاسطون غايار Gaston Gaillard، تحدّث فيه عن مجمل البعثات المسيحية تاريخ انتشارها، طرق عملها، مع ذكر جهود الكاثوليك والبروتستانت، وفي كل مناطق العالم بما فيها شمال إفريقيا، حيث أورد إحصائيّات ومعلومات دقيقة حول مسألة التبشير، وللإشارة فإن

---

(1) أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص18- 21.

(2) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، 79.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص 105.

هذا الكاتب الفرنسي ألّف بضعة عشر مؤلفاً، حيث أتى بتدقيقات نادرة وصراحة جديرة بالإعجاب كما ذكر الأمير، وقد نقل عنه :"...إنّ التبشير هو من أهم بضائع التصدير عند الدول الغربية..."[1].

وفي مقال ضمن مقالاته الاحتجاجية على قانون الظهير البربري عنونه بـــ:"...الاحتجاج على فرنسا من أجل مسألة البربر"، كتب أمير البيان أن الاحتجاجات كثيرة وشديدة اللهجة ضد الحكومة الفرنسية المعادية للدين الإسلامي في المغرب، والتي استخدمت بعض المارقين من أبناء البلاد أمثال المقرّي [2] والبغدادي[3]، ثمّ يحتجّ بدوره على تلك الاحتجاجات التي لم تتجاوز حدود بلدانهم في (مصر، سوريا، العراق، فلسطين، واندونيسيا وغيرها)، فيذكر أن معظم تلك الاحتجاجات وُجّهت إمّا إلى الجرائد العربية أو إلى حكوماتهم المحليّة، وقليلاً منها إلى سفراء فرنسا في تلك الدوّل، فلا طائل منها إذاً؛ ثم استشهد بحادثة سقوط غرناطة، وما فعله قساوسة إسبانيا قبل ذلك التاريخ، حيث أرسلت وفوداً من رجال الدين المسيحيّين، وأقنعوا دول الإسلام أنّ أهل غرناطة لو خضعوا لحكم الأكثرية الإسبانية فلن يصيبهم أدنى أذى، ليبقى ولاّتهم منهم والشريعة الإسلامية ستظلّ على ما كانت عليه، وستبقى لهم أملاكهم وأوقافهم و و...، وهدفهم من ذلك ردّ الحماسة التي كانت تتأجّج في صدور المشارقة من أجل المغاربة، بعدما قيّض الله لهم بعض الخونة كما فعل المقرّي والبغدادي في المغرب مع فرنسا[4].

وفي عديد المقالات نوّه أمير البيان على خطر المستشرقين تجاه الدين الإسلامي على غرار مقاله الذي نُشر في مجلتي "الجهاد والمنار"، فحذّر من موقف المستشرقين إزاء الإسلام، وكيف لهم الوصول إلى المعلومات الكثيرة حول الشرق والشرقيين، من خلال طريقين: الأول القناصل والسفراء المعتمدين رسمياً، من خلال تقاريرهم التي تُرسل إلى حكوماتهم، وهذه التقارير هي رهن التغطية والتمويه والتبديل والتعديل...، والطريق

---

(1) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص210، 211.

(2) كان محمد المقري في منصب الصدر الأعظم في المغرب الأقصى، وهو من أصول جزائرية، أي من الأسر التي هاجرت الجزائر نحو المغرب في القرن 19 مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولد بمدينة فاس، وقد تقلد عديد المناصب أهمها وزارة المالية والخارجية، وفي سنة 1911م عُين في الصدارة العظمى. حورية بابه، **الجزائريون والقضية المغربية 1912-1954**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في تاريخ المغرب العربية الحديث والمعاصر، إشراف: أ.د جمال بلفردي، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، السنة الجامعية : 2021/2020م، ص237.

(3) هي أسماء لخونة ساعدوا الفرنسيين على تطبيق سياستها عموماً والتنصيرية خصوصاً، فقال الأمير عنهم :"...كما فعل شيخ السوء المقرّي اليوم، ويعمل زميله بيع أمّته المسمّى البغدادي باشا فاس، في مراضي فرنسا التي أعلنت عنهم رضاها التامّ، وقلّدهم رئيس جمهوريتها الأوسمة العالية وأولاهم النعم الجسام..."، أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص23.

(4) أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص22- 26.

الثاني هو عن طريق الاستشراف من خلال الطبقة المثقفة التي تُعنى بالثقافة الشرقية ودراسة أحوالها في كل المجالات، خاصة حول الدين الإسلامي، فيذكر الأمير أن هذه الطبقة هي الترجمان الذي يقرأ له ستمائة مليون أوروبي، ويضيف أنه إذا كان هذا الترجمان خائناً يحرّف الكلم عن موضعه، أمكنه أن يهيّج الأحقاد ضد المسلمين، ثم خاض في التعريف بهذه الفئة من اتباع زلات المسلمين وتعقّب عوراتهم، ودورهم في تشويه الإسلام وخدمة المسيحية[1].

والجدير بالذكر أن البعثات الدينية المسيحية الفرنسية في المغرب كانت تتلقى مساعداتها المادية من الخزانة المغربية، حيث ذكر أمير البيان عند فضحه للفرنسيين في تعاملهم مع الميزانية المغربية في مجلته "الأمة العربية" أن مبشري الديانة الكاثوليكيّة كانوا يتلقّون بضع مئات الألوف من الفرنكات من الميزانية المغربية، ومقدار النصف من الأولى كانت تُقدّم لمبشري البروتستانت، ولا يُمنح فلس واحد للوعّاظ المسلمين فصار المغاربة وكأنهم يُؤدون من جيوبهم لتنصير أولادهم، فيقول الأمير أن الميزانية المراكشية هي آية الآيات في الظلم والتحامل[2].

وقد أصدر أمير البيان عشرات المقالات التي عنت بالمسألة البربرية وما نتج عنه من ردود ضد السياسة التنصيرية الفرنسية في المغرب، سنحاول إدراجها ضمن عنصر الظهير البربري وجهود أمير البيان تجاهه، أمّا موقفه تجاه التجنيد الإجباري فقد أشار إلى هذه المسألة في عديد المواضع، سنحاول تقصي ما كتبه وإدراجه في العنصر الموالي.

1-3 موقف أمير البيان من التجنيد الإجباري للشباب المغربي:

تساءل الأمير في إحدى مقالاته حول سبب مشاركة العرب في الحرب العالمية الثانية إلى جانب أحد الأطراف الأوروبية المتصارعة، ويقول أن العرب لن يوافقوا أن يحالفوا الدول المسمّاة بالدول الديمقراطية، لأنهم لم يجدوا شيئاً من هذه الديمقراطيّة يفترق عن حكم الدكتاتوريّة، وأفضل ما قيل من طرفه في هذا الشأن :"....فلماذا ينحاز العرب إلى أناس سيوفهم إلى حدّ الحرب تقطر من دماء العرب...؟"[3].

---

(1) أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص162- 167.

(2) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص58.

(3) أرسلان، المصدر نفسه، ص36.

وقد تحدثنا سابقاً عن هذه المسألة وفصّلنا في موقف الأمير من قضية تجنيد السلطة الفرنسية للتونسيّين والجزائريين في حروبها وما كتبه حول هذا الشأن، وكيف تقوم دول الاحتلال باستتراف الطاقة الشبابية ومقدّرات الدول من موارد بشرية لخدمة مصالحها؛ كذلك فعل الإسبان والفرنسيون في المغرب الأقصى، حيث جنّدوا الشباب القادر على حمل السلاح، سواء في الحرب الأهلية الإسبانية أو خلال الحربين العالميتين من طرف فرنسا.

ففي الحرب الأهلية الإسبانية جنّد الجنرال فرانكو حوالي **135** ألف شخص مغربي كلّهم من الريف، وقد علّق عليها الأستاذ أحمد فؤاد الأهواني في كتابه "الحرب الإسبانية"، ويؤكد أن هذه الأرقام صحيحة مأخوذة من الإحصاءات الإسبانية الرسمية بتاريخ شهر جانفي من سنة **1938**م[1]، حيث كان الأستاذ أحمد فؤاد الأهواني طالباً بإسبانيا في بعثة علمية مصرية إلى هناك.

وفي ذات السياق يضيف الأستاذ الأهواني أنّ الكثير تحدّث عن تجنيد المغاربة وقالوا أن المغاربة يساعدون إسبانيا لأنها وعدتهم بالاستقلال، وأعطتهم حقوقاً واسعة وحريّات كاملة، لكن ببحثه الدقيق واتصاله بكثير من المصادر خلص لديه أنّه توجد ثلاثة أسباب رئيسية لتجنيدهم:

- استخدام الجنرال فرانكو للدّعاية عبر عمّاله من رجال الدين الذين دعوا الناس إلى الجهاد في سبيل الله وفي مقابل بعض الدُريْهمات.
- سبق عمليات التجنيد إجراءات التضييق على جميع الأصعدة حيث عطّل التجارة وطوّق على الصناعة وأثقل كاهل الفلاحين بالضرائب، فظهرت الفاقة، وتراجعت القدرة الشرائية، وانخفض المستوى المعيشي، وعند دعوتهم للتجنيد لبّى الآلاف هذا النداء لنيل عوض ما خسروا، وتلبيةً لحاجتهم الملحّة.
- والسبب الثالث يرى الباحث الأهواني أنّه تمّ إجبار المغاربة على ترك مهنهم وأراضيهم وعائلاتهم والذهاب إلى حيث لا يعودون، ليلاقوا حتفهم[2].

السبب الأخير غير مقنع نوعاً ما، حيث لم يُعطنا الأستاذ الحجّة الكافية لذلك، فإذا كان إجبارهم عن طريق السلطان ومن خلال إعطاء الأوامر للجيش الرسمي المغربي للتنقل إلى إسبانيا للمحاربة في صف الجنرال

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني، مصدر سابق، ص ص 94، 95.

[2] أحمد فؤاد الأهواني، المصدر نفسه، ص ص96، 97.

فرانكو فهذا من الممكن، أمّا إن كانت إجبارية التجنيد تؤدّي إلى نقص فادح للرجال في المجتمع الريفي دون ذكر إصدار قوانين أو عدم تدخل السلطان في ذلك، حيث وصلت نسبة المجندين إلى **14 %** من سكان الريف المغربي أي **135** ألف من واحد مليون نسمة، وهذا رقم مهول.

أمّا الأستاذة جليلة المؤدب فقد ذكرت أنّ الوطنيين المغاربة بعد أن فقدوا الأمل في الجمهورية الإسبانية الثانية (**1931-1936**م) لتحالف الجبهة الشعبية فيها مع الجبهة الشعبية في فرنسا، تحوّلوا نحو اليمين الإسباني الذي يترأسه الجنرال فرانكو أثناء الحرب الأهلية الإسبانية (**1936-1939**م) فترة حكم المقيم العام بيكبدر Beigbeder، وتؤكد أنهم ساندوا الجنرال فرانكو علناً بتشجيع من الأمير شكيب أرسلان، والخليفة في الشمال المغربي الحسن بن المهدي، وتضيف أن السبب في ذلك خلفية الوطنيين الأيديولوجية ونفورهم من اليساريين ولتوتر علاقة الجنرال فرانكو بالدولة الفرنسية [1]، لكن المؤدب لم تذكر شكل المساندة هل كانت تصريحيّة في شكل إعلانات وتقارير فقط، أم كانت فعلية وعلى أرض الواقع بتشجيع الشباب على التجنيد في صفوف جيش فرانكو.

أمّا بالنّسبة للفرنسيين، فيقول أمير البيان في حقّ المغاربة لّما استعانت بهم فرنسا في حروبها :"...لتعتمد فرنسا عليهم في الحروب والخطوب...فلم يبقى أمامها إلا مرّاكش والجزائر وتونس، وذلك لقرب هذه الأقطار...وكون رجال هذه الأقطار من أشدّ البشر بأساً وأنجبهم عرقاً، وأعظمهم قابلية لكل شيء، ولا يبالغ الباحث المدقّق إذا قال: إنّ المغاربة أصلبُ عوداً وأنجبُ فطرةً من الفرنسيس أنفسهم، فإذا ترقّى المغرب في العلم والعرفان لم يكن للفرنسيس قِبَلاً بأهله..."، ثم يستدل بحديث الدكتور الفرنسي ريشه أشهر أقطاب العلم في أوروبا وفي العالم لا سيما علم الاجتماع، حيث أشار إلى العمل على تجديد نموّ النسل الفرنسي من خلال تلقيحه بالدم العربي، والطريقة هي تزويج الفرنسيات بالشبان العرب من شمال إفريقيا [2]، وفي الشأن نفسه يذكر الأمير أن فرنسا جندت مليوناً وثلاثمائة ألف مقاتل من مسلمي شمال إفريقيا والسنغال [3]، من بينهم عشرات الآلاف من المغرب الأقصى.

---

[1] جليلة المؤدب، مرجع سابق، ص96.

[2] أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص78.

[3] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص ص56، 57.

وفي ذات السياق أورد أمير البيان معلومات حول مشاركة عدة كتائب للمراكشيين المغاربة في حروب فرنسا على غرار ثورات السوريين في الشام، فقد استعانت فرنسا بكتيبة السباهيين المراكشيين [1] في حربها ضد الثوار الدروز في لبنان، فكتب الأمير قائلا:"...ذكر بلاغ صادر عن دائرة المطبوعات في دمشق أن المفرزة المؤلفة من الدروز والبدو التي هاجمت دمشق قد انحدرت(اندحرت)، على الرغم من شجاعة الدروز التي لا تُنكر، وشهرتهم في الميادين الحربية، إلاّ أنّهم لم يستطيعوا الثبات أمام هجوم كتيبة السباهين المراكشيّين"..."[2].

فرغم ما يتصف به الدروز من صلابة وقوّة إيمان، إلاّ أنّهم لم يتحملوا هجمات الكتائب المغربية، والتي كان لها كذلك ميزات كثيرة، كالصبر وقدرة التحمل، والخبرة العسكرية، إضافةً طبعاً للتجهيزات الجيّدة التي كانت تُزوّد بها في المعارك من قبل فرنسا؛ والملفت للانتباه هو اعتماد الفرنسيين على الكتائب المراكشية في حروبها الخارجية، وبالأخص التي تعتمد على حروب العصابات وتحدث فيها المناوشات الفردية، والقتال المباشر في المناطق الضيقة كالجبال والأودية وداخل أزقة المدن.

وذكر شكيب في مدونته أن الفرنسيين استعانوا كثيرا بالمغاربة في حربهم بالشام بغرض فرض الأمن والاستقرار في المنطقة، حيث أورد الأمير في مدونته بتاريخ **05** أفريل **1927**م أنه أذاع قلم المطبوعات الفرنسي في دمشق البلاغ التالي:" طاردت الفرق الصبايهية النشيطة عصابة فوزي القاوقجي في جنوبي أريحا، في الخامس من نيسان(أفريل) الجاري فانهزم رجال العصابة نحو معرّة الشيحاني بعد أن تركوا عدّة قتلى وكميّة كبيرة من الذخائر..." [3]، فالفِرَقْ التي كانت السّلطة تشكلها سواء في الجزائر أو المغرب كانت تسمّيها الصبايهية أو الصبايحية، وهي قوّة من الفرسان المدرّبة أحسن تدريب، وظفتها فرنسا داخلياً في إخماد الثورات، وخارجياً في حروبها سواء في أوروبا، على غرار حربها ضد بروسيا قبل اتحاد الولايات الألمانية، أو في المشرق ضد تركيا خلال الحرب العالمية الأولى، أو كما ذكرنا سابقاً ضد الحركات الثورية المناهضة للاحتلال الفرنسي.

---

[1] السباهيين على غرار كتائب السبايسية أو الصباحية أو الصبايهية التي كانت في الجزائر في العهد العثماني، حيث ورثت فرنسا الفكرة وأعادت تجنيد هذه الكتائب من جديد، وكذلك فعلت في المغرب، وكان لها نفس التسمية.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص166.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص181.

وتجدر الإشارة إلى ما أورده أمير البيان في مدونته حول الممارسات الفرنسية في حقّ الشباب المغربي في المنطقة المسيطر عليها من طرف الفرنسيين، حيث كتب أن الحكومة الفرنسية أصدرت قراراً بتاريخ **22** فيفري **1937**م يقضي بمنع مرور المغاربة من القسم الفرنسي إلى القسم الإسباني إلا بإذن خاص، ويُمنع التطوّع للخدمة العسكرية في القوّات العسكرية الإسبانية [1]، والملاحظ أن الفرنسيين يسعونَ دائمًا لخدمة مصالحهم واستنزاف الموارد الطبيعية المغربية –حتى البشرية– إلى أقصى الحدود، فلمّا رأت فئة كبيرة من الشباب المغربي التطوع في الجيش الإسباني، ما يعود به من بعض الامتيازات خاصة فترة الحرب الأهلية، لجؤوا إلى الجندية في صفوف الجيش الإسباني، فردّ الفرنسيون بالتضييق عليهم، وتأجيل خدمتهم لمصلحتها للحرب القادمة بعد تزايد مطامع الألمان في المنطقة واسترجاع هيبتها السياسية وقوّتها العسكرية.

ومن المفارقات العجيبة ففي هذه الفترة بالذات منعت السلطات الفرنسية مرور المغاربة من المنطقة المسيطر عليها من قبلهم نحو المنطقة المغربية المسيطر عليها من طرف إسبانيا، في حين وفي سنة **1939**م وبالضبط بتاريخ **28** فيفري سمحت الحكومة الفرنسية بمرور أربعمائة إسباني لاجئ من طنجة إلى الجزء الفرنسي[2]، حيث إنّ الفرنسيّين في كل الحالات يُراعون مصالحهم الخاصّة، إذْ كان أنّ هؤلاء الإسبان إمّا معارضون سياسياً للجنرال فرانكو، أو لجؤوا إلى الإدارة الفرنسية رغبةً منهم في خدمتها.

فكما ذكرنا سابقاً، فإن همّهم الأول خدمة مصالحهم، لذا منعوا الشباب المغربي من مغادرة المنطقة المحتلة من طرف فرنسا، خوفاً من تجنيدهم من طرف الإسبان الذين استنزفوا الطاقة البشرية للمغرب، والفرنسيّون في حاجة لهم مع إرهاصات الحرب التي بدأت تلوح في الأفق.

ولابدّ من الإشارة إلى ما ذكره الأستاذ الأهواني حول ما خلّفته الحرب الأهلية الإسبانية من ضحايا، حيث خلّفت أرقاماً مهولة في الأرواح وفي عدد الجرحى إذْ ذكر أنه عاد بعد نهاية الحرب آلاف المُعاقين، منهم من فقد بصره أو بُترت أذرعه أو أرجله، وهناك من فقد عقله، فأصبحوا عالة على عائلاتهم، وعشرات الآلاف من النساء رُمّلوا، فازداد الفقر وبات الجوع يجوب الشوارع، والمتسوّلون على أرصفة الطريق، والمجتمع في

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص251.

[2] المصدر نفسه، ص278.

انحطاط متزايد، فأصاب المغرب خسارة مادّية وبشرية لا تُعوض لأجيال [1]، فساهمت الحرب التي لا دخل لهم فيها في تمزيق أوصال الكثير من العائلات المغربية.

والجدير بالذكر أن إسبانيا قامت ببناء الملاجئ في المغرب للجرحى الإسبان واللاجئين والمنكوبين منهم، حيث اتخذ الجنرال فرانكو من المغرب القاعدة الخلفية لحربه، والأموال التي تُصرف عليها من أموال المغاربة أنفسهم في حين يُترك الجرحى المغاربة لحالهم يعانون الأمرّين، إصابات الحرب والفقر، فصاروا يطلبون الصدقات ليقتاتوا[2].

وقبل بداية الحرب العالمية الثانية بأشهر، وبالضبط خلال شهر ماي من سنة **1939**م ألقى سلطان المغرب محمد بن يوسف خطاباً في الرباط أعلن من خلاله دعم المغرب المطلق لفرنسا [3]، وقد أورد الأمير معلومات حول منح إعانات مادية من طرف الملك المغربي لفرنسا بعد هزيمتها أمام ألمانيا في الحرب العالمية الثانية[4]، أي بعد اجتياح الجيش الألماني للأراضي الفرنسية وهزيمة فرنسا شرّ هزيمة.

وفي الخامس من سبتمبر سنة **1939**م بعد اندلاع الحرب بأيّام أمر السلطان بقراءة رسالة في جميع مساجد المغرب مفادها تأييد المغرب لفرنسا في حربها ضد ألمانيا [5]، وتماشياً مع هذه القرارات سيكون ملف التجنيد ضمن أولويّات الحكومة الفرنسية بعد هذه القرارات السلطانية، وهنا سيسمح السلطان بطريقة غير مباشرة بتجنيد المغاربة في حرب لا شأن لهم بها ولا مصلحة لهم فيها.

وقد كتب أمير البيان مخاطباً الدول الحلفاء عند طلب دعم العرب لها في حربها ضد ألمانيا وروسيا البلشفية :"...لماذا يجب على العرب أن يسيروا في صفوفكنّ لمحاربة الروس والألمان، الذين أنتنّ قاصدات إلى قتالهنّ أفلأجلِ أن يكافئكنّ على جميلكنّ....وبما اعتديتنّ على بلدانهم، وبما ذبحتنّ من رجالهم، ويتّمتنّ من أطفالهم في عقر دارهم، سواء في سورية أم في فلسطين أم في إفريقيّة...أم تظنّ أنكنّ بشرائكنّ عدداً من

---

(1) أحمد فؤاد الأهواني، مصدر سابق، ص ص97، 98.

(2) المصدر نفسه، ص98.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص281.

(4) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص16.

(5) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص286.

الجرائد الساقطة...في سوريا وفلسطين وتونس والمغرب لتقول لكنّ ما تشتهين، قد طمستنّ الحقائق...نحن لا نسير معكنّ إلاّ على شرط استقلالنا التامّ، ولسنا لكنّ عبيداً..."[1].

فرغم علم الأمير أن كثيراً من العرب سيسيرون في فلك الدول الاستعمارية، في السلم وفي الحرب، وهناك من يضطرّ لذلك، وهناك من يُجبر على ذلك، فإنّه لم يستسلم و لم يهدأ له بال، ويعلم كذلك أن هناك أحرارًا لن يبيعوا شرفهم، فكان لهم مُخاطباً ضمن مقالاته وخطاباته التي لم تنقطع يومًا.

ويقول أمير البيان حول مسألة ما يقدّمه المغاربة من تضحيات في سبيل مصلحة فرنسا :"...وترى المغاربة في هذا المأزق العظيم الذي لم يسبق مثله في التاريخ، يتساقطون في ساحة الحرب المشتركة في بلجيكا وشمالي فرنسا، تهافت الفراش على النار بالألوف وعشرات الألوف لأجل قضيّة هم أبرياء منها وأجانب عنها، بل لأجل قضيّة عين مصلحتهم أن تخيب فرنسا فيها، وإذا فازت فيها -لقدِّر الله- انطوى بساط الإسلام والعروبة من جميع أقطار المغرب...إذ ستبطر فرنسا بعد ذلك بطرها المعهود، وتفعل فيهم الأفاعيل..." [2]، فلا هي أعطتهم حقوقهم بعد انتصارها ولا عند هزيمتها ستُعطى لهم حقوقهم من قبل ألمانيا، بل سيُفرض عليهم دفع إعادة البناء وتهيئة ما دمرته الحرب.

ويضيف :"...ولكنّنا ننكر على فرنسا حقّ استعمال نفوذها السياسي في تحويل من استعبدتهم من المسلمين عن عقيدتهم الإسلامية وعن لغتهم العربية، بينما هي تتمتع منهم بملايين وملايين من الأيدي العاملة ومئات ألوف من مئات الألوف من الجنود التي جعلتهم وقود حروبها مع ألمانيا..." [3]، حيث أن فرنسا لا ترى في المغاربة إلا عبيداً، تستعبدهم وتستغلهم أبشع استغلال في خدمة مصالحها.

ثم يتحدث الأمير عن الفئة التي كانت تناصر الفرنسيين في هذه الحرب فيقول:"...فالأمّة العربية لن تنسى خيانة هؤلاء الذين يزعمون —ويا للعار- أنهم من زعمائها في اتخاذهم فرصة هذه الحرب الطحون لأجل التبصبص كالأذناب أمام الحلفاء، وإعلانهم أنهم معهم في السراء والضراء، وادّعائهم تمثيل الأمّة العربية، وما

---

(1) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص70.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص117.

(3) المصدر نفسه، ص119.

أكذب وأسفل هذا الإدّعاء..."، وكان السلطان المغربي محمد بن يوسف من بين الذين أعلنوا دعم المغرب المطلق لفرنسا كما ذكرنا سلفاً[1].

في حين يعتقد الأمير أن للأمّة العربية ملكين عظيمين هما الملك عبد العزيز بن سعود والإمام يحي بن محمّد بن حميد الدين [2]، ملك السعودية وملك اليمن، واللّذان أعلنا عن حيادهما التام منذ بداية الحرب و لم يباليا بثرثرة الحلفاء وأنصارهم وأذنابهم في الشرق والغرب[3].

وكان الأمير يتابع مجريات أحداث الحرب عن كثب، وهمّه هزيمة الحلفاء أمام الألمان لتكون عاقبة ذلك خيراً على الأمة العربية، ليُفرج عن المائة والخمسين مليون عربي الراضخين تحت قيود دول الحلفاء، ليوضح مقاصده من ميوله للألمان، بتبريره أن احتلال ألمانيا للنرويج وبلجيكا وهولندا سيكون مؤقتاً، أمّا الحلفاء فقد ألغوا استقلال مئات الملايين من البشر، وجعلوهم عبيداً لهم [4]، فكان شكيب يعبّر بصدق فيما يحسّ به تجاه الأمة العربية، وما يخالجه من شعور تجاه الدول الاستعمارية.

وللإشارة فإن الأمير كان يعبِّر بصراحة عن مواقفه المعادية للفرنسيين، ففي مقال له تحت عنوان :" لا بدّ أن تزغرد الحزينة ولو في عرس جارتها، إنّ هذه الهزيمة الإفرنسية لم يسبق لها مثيل في التاريخ"، عبّر الأمير عن فرحه ومشاعره تجاه هزيمة الفرنسيين أمام الجيوش الألمانية، وكيف لهذه الدولة التي عُرف عليها بجنون العظمة فهي تُهان اليوم في شرفها، تجبّرت وادّعت السلطان الأكبر، وهي اليوم تُحتل في مدّة ستة أسابيع من قبل الألمان وانهار جيشها، وغنم الجيش الألماني من معدات وعتاد حربي ما لا يتصوره بشر، ثم استمدّ آية قرآنية ليُبيّن الإعجاز الرباني في منح العزّ والذلّ بين ليلة وضحاها [5]، وتتجلّى الحكمة الإلهية في قوله تعالى:" قُلْ اللّهم

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص281.

(2) حميد الدين يحي بن محمد بن يحي الحسني العلوي الطالبي، الإمام المتوكل على الله ، من أئمة الشيعة الزيدية الذين حكموا اليمن، من مواليد مدينة صنعاء 1869م، تلقى تعليمه فيها على أيدي شيوخ اليمن، وعلمائها، وأجازوه في مختلف العلوم والآداب على طريقة اليمنيين القديمة، وقد أشركه أبوه في الحكم منذ طفولته، فنشأ على خبرة الإدارة وتسيير شؤون العامة، فكان عالماً بالأحوال السياسية والاجتماعية والقبلية، وعند وفاة أبيه سنة 1904م، أمر بجمع العلماء وأهل الشورى في البلد قصد اختيار إمام يحكم اليمن، فاختاره المجتمعون لكنه امتنع ثم تراجع عن قراره، فبويع رسمياً وشعبياً، وكان عمره 35 عاماً، له مساهمات تعليمية في بناء المدارس والمعاهد، وقد كان له الكثير من الأعداء، حيث تمّ اغتياله سنة 1948م وهو بسيارته. الموقع الإلكتروني للموسوعة العربية، رابط المقال: http://arab-ency.com.sy/ency/details/8742 تاريخ الزيارة : 2022/10/09م، 21:15.

(3) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص 122.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص ص124، 125.

(5) المصدر نفسه، ص137.

مَالِك المُلْكِ تُؤْتِي المُلك من تشاء، وتنزع المُلْكَ مِمّنْ تَشَاءْ، وتُعزّ من تشاء وتُذلّ من تشاء، بِيدِكَ الخَيْر إنّك على كلّ شيءٍ قدير"[1].

وفي موضع آخر يرى أمير البيان أن الفرنسيين كلما زادوا للمسلمين المغاربة قهراً زادوا هم خنوعاً، وكلّما زادت فرنسا في ممارساتها التسلطيّة وقتل للقومية وفصم لثقافتهم وعقيدتهم، كلّما قدّموا مئات الآلاف من شبابهم ليقاتلوا الألمان وغيرهم، فيصف هذه المعضلة بالمرض العُضال، وهو مرض الاستحذاء [2] للأجنبي الغالب، رغم ما أمر به الإسلام من عزّة نفس، فلم يستغلّ المغاربة فرصة النّكبة التي أصابت الفرنسيّين في وطنهم وقدراتهم العسكرية التي تراجعت، ويضيف أن هذا المرض ظهرت علاماته أكثر في هذه الحرب أي خلال مجريات الحرب العالمية الثانية، في المغرب وفي مصر والشام[3].

ورغم كلّ مظاهر الخنوع وتراجع لثقافة المناهضة والمقاومة، إلاّ أنّ الشّعوب تُظهر رفضها للوجود الاستعماري كلّما سنحت الفرصة، وقد جرت العادة أن تمردت بعض الكتائب العربية في الكثير من المرات سواء في الحرب العالمية الأولى أو الثانية، أو هروب المجندين من الجيش الفرنسي لاختلاف الأهداف وتضارب المصالح وتفارق الرؤى، فكانت لأمير البيان مواقف ثابتة حول التجنيد في جيوش المحتلين، وبالأخص في الجيش الفرنسي، وكيف لفرنسا أن وظّفت الطاقة البشرية للمغارب الثلاث واستنزفتها لحدّ كبير، لذا فقد جلبت مواقف الأمير الثابتة التضييق وحملات الإعلام الفرنسي والأوروبي لتشويه سمعته والمسّ بشخصه.

2) شكيب أرسلان في تطوان، أثر الزيارة وتداعياتها داخل المغرب وخارجه:

لازمت أمير البيان فكرة زيارة الكثير من البلدان العربية والإسلامية، وقد تحقق له ذلك في بعض الأوطان و لم يسعفه الحظ لزيارة الأخرى، وقد ذكرنا سابقاً تفاصيل أعمال الأمير في ليبيا ووصوله إلى جبهات القتال، ووقوفه على قتال الإيطاليين، وتروي بعض المصادر أنّه زار البلاد التونسية في تلك الفترة قصد جمع المؤن للمجاهدين، أمّا زيارته إلى المغرب الأقصى فكان حدثاً تاريخيّاً، انجرّ عنه الملاحقات الأمنية من قبل

---

[1] **القرآن كريم**، سورة " آل عمران"، الرقم 3، (الآية 26)، برواية ورش عن نافع.

[2] استحذاء من احتذى أي سار على طريقته ونهجه، واقتدى به، وقد قال ابن خلدون في مقدمته أن المغلوب دائماً مولع بتقليد الغالب. من المعجم المعاني الجامع، الموقع الإلكتروني، الرابط : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AD%D8%B0%D8%A7%D8%A1/ تاريخ الزيارة : 2022/10/28، 21:46.

[3] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص140.

السلطة الفرنسية، خاصة بعد إصدارها للظهير البربري، فكان لتلك الزيارة تداعيات وانعكاسات على الحركة الوطنية المغربية، وعلى السلطات الفرنسية و الإسبانية.

ويذكر المؤرخ جوليان أن قرار إصدار الظهير البربري **16** ماي **1930**م أعطى للأمير فرصة التدخل في الشؤون الداخلية للمغرب، وعبر مجلته "لاناسيون آراب" شعر العالم الإسلامي بالخطر الذي كان يهدد دين محمد صلى الله عليه وسلم، بسبب الهجوم الذي وقع على الإسلام في المغرب من خلال عمليات التنصير الممنهجة، لذا كانت حملة تضامن واسعة من الجزائر إلى جاوة، وأعلنوا عن احتجاجاتهم التي كانت تزحزح الحكومة الفرنسية[1]، وحملة الأمير الصحفية في المشرق والمغرب بدأها قبل زيارته التاريخية منتصف أوت من السنة نفسها من إصدار الظهير البربري، وبعدها اشتدت أكثر.

1 2 إصدار الظهير البربري وزيارة الأمير إلى البلاد المغربية:

من مميّزات شخصية أمير البيان تتبّعه لكلّ مجريات الأحداث في الوطن العربي بمشرقه ومغربه، فبعد إصدار الظهير البربري في المغرب، أورد خبره في مدونته، وذكر أنّه صدر في المغرب الظهير المغربي بتاريخ **16** ماي **1930**م والذي كان هدفه :

- إدخال القبائل البربرية المغربية في دائرة اختصاص المحاكم الفرنسية فيما يخصّ القضايا الجنائية
- إحلال الأعراف والتقاليد القديمة محلّ الشّريعة الإسلامية في مسائل التجارة والميراث والحالة المدنية[2].

والسياسة الفرنسية مع البربر لم تكن جديدة، وكان للفرنسيين تجارب سابقة مع قبائل الجزائر، إلاّ أنّ أجرون يقول أنّ السياسة الفرنسية البربرية في المغرب مختلفة كل الاختلاف مع السياسة القبائلية في الجزائر [3]، ثم أشار إلى بعض مواقف الحركة الوطنية المغربية من هذا القانون، حيث ذكر أنّه في مدينة فاس عُقد اجتماع بالمجلس البلدي للمدينة في أواخر شهر ماي **1930**م، وانتخب وفد وطني يتكون من أربعة وعشرين عضواً،

---

(1) محمد ابن عزوز حكيم، **وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان إلى المغرب** ، أسبابها أهدافها نتائجها، مطابع الشويخ، تطوان المغرب، د س ط، ص ص14، 15.

(2) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص198.

(3) Charles-Robert Ageron, "La Politique berbére du protectorat marocain de 1913 à 1934", revue d'histoire moderne et contemporaine, Société d'histoire moderne, 1971, Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France, p50.

يمثلون جميع أطياف المجتمع المغربي في فاس، من علماء، أعيان، صُنّاع، عُمّال، فلاّحين، وشباب، اجتمعوا بغرض وضع مطالب تُعرض على الحكومة الفرنسية تخصّ السياسة الفرنسية تجاه بربر المغرب، وقد تلخّصت مطالبهم في ما يلي:

- إلغاء ظهير ماي **1930**م وسائر الظهائر والقرارات التي اتخذت في معناه.
- تكوين قضاء موحد لجميع المغاربة.
- ربط جميع الموظفين الدينيين والمدنيين بسلطة الملك الشخصية.
- ليس في المغرب دين قومي إلا الإسلام واليهودية[1].

فبعد صدور الظهير البربري في ماي **1930**م، انفجر الوضع في المغرب وظهرت الجمعيات السياسية السريّة إلى العلن، ومناهضة للقانون وللاستعمار الفرنسي والإسباني على الأرض المغربية، وقد عمّت الاحتجاجات في مُعظم مدن المغرب، كالرّباط ومرّاكش وسلا، وتضامنت الحركة في تطوان مع منطقة الجنوب واجتمع الأهالي في المساجد لقراءة اللّطيف [2]، الذي بدأ بشكل كبير بدايةً من **20** جوان **1930**م في عدد كبير من مساجد مدن المغرب، على غرار فاس ومكناس والرباط ومراكش وسلا، وصادف يوم **11** أوت مناسبة المولد النبوي الشريف، فكانت معظم مساجد المغرب تتلو [3] اللّطيف[4]، وقد أرجع الوطنيّون المغاربة الفضل فيمن ألّف بين أطْياف الحركة الوطنية وقام بتوجيههم سياسياً وأشرف على تنظيم الحملة ضد الظهير البربري وضد الاستعمار الفرنسي والإسباني خارج المغرب إلى شخص الأمير شكيب أرسلان[5].

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص198.

[2] قراءة اللطيف هي ترديد كلمة يا لطيف و يا لطيف دون توقف، منذ الصباح، وقراءة اللطيف هي احتجاج على الظّلم والتعسّف والاعتقالات. معجم المعاني الجامع، الموقع الإلكتروني، الرابط : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%B7%D9%8A%D9%81/ تاريخ الزيارة : 2022/10/30، 20:12.

[3] G. Lafuente, op cit, P 10.

[4] في حين يذكر أجرون أن دعاء اللطيف ينتهي ب"...اللهم نسألك اللطيف فيما جرت به المقادير، وألا تُفرق بيننا وبين إخواننا البربر..."، وفي 18 جويلية تمّ تعميم هذا الدعاء على 11 مسجد بكل من الرباط، سلا، الدار البيضاء، فاس، بعدما اقتصر في بداية الأمر في طنجة فقط. Charles robert Ageron , politiques coloniale au Maghreb, Paris , éd Publications Universitaires, 1972. , p137.

[5] محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص 13.

يذهب الأستاذ حكيم عزوز أنّه لولا زيارة شكيب أرسلان لما آلت الأمور إلى ما صارت إليه بعد زيارته، ويقول المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان [1]، أعطى الظّهير البربري للأمير شكيب أرسلان فرصة التدخل في الشؤون المغربية، وبواسطة "لا ناسيون أراب"، شعر العالم الإسلامي بالخطر الذي كان يهدد دين محمد بسبب الهجوم الذي وقع على الإسلام بالغرب من طرف مئات المبشّرين المسيحيين، وهكذا وقع تضامن المؤمنين من الجزائر إلى جاوة الإندونيسية وأعلنوا عن احتجاجاتهم التي كانت تزحزح الكي دورساي[2]..."[3].

وقد ذكر الأمير شكيب أنّه كان أوّل من نبّه على خطر تنصير البربر في حواشي "حاضر العالم الإسلامي" منذ سنوات، ويضيف أنّه لّما باشرت السلطات الفرنسية بجعلها بشكل رسمي عبر إصدار الظهير البربري، سارع إلى نشر تفاصيل هذه القضيّة مع الاستنكار في مجلته "لاناسيون آراب"، ضمن عددها الثالث أي في أفريل **1930**م، وينوّه الأمير إلى أنه في العدد القادم من المجلة سيكون هناك مقال آخر، ويطلب من الصحافة العربية إعادة ترجمة المقال إلى العربية وإعادة نشره، وقد أُعيد نشره في جريدة الفتح في العدد **220** السنّة الخامسة، من شهر أكتوبر من السنة نفسها أي **1930**م[4].

وفي المقال المذكور سلفاً، والذي صُنّف ضمن مجموعة مقالات في كتابه " الإسلام والحضارات"، والذي عُنون ب:"مسألة إخراج البربر من الإسلام"، كتب الأمير عن خطورة تنصير البربر في المغرب بالقوّة عبر إعلان قانون الظهير البربري، حيث بدأ بتعظيم المسألة وخطورة القضية، وأنّ الاعتداء ليس على إسلام البربر فقط بل

---

(1) **شارل أندري جوليان** (Charles-André Julien) ولد بمدينة كان Cannes الفرنسية عام 1891 وتوفي عام 1991م، مؤرخ وصحفي فرنسي مختص في شؤون المغرب العربي، وقد درّس في معهد الدراسات السياسية بباريس، وفي المدرسة القومية للإدارة وفي السوربون، انتقل إلى الجزائر في سن الخامس عشر ليتلقى تعليمه هناك، ويدخل عالم الشغل بوهران ليتعرف على واقع ملاك الأراضي من المستوطنين واستغلالهم المفرط للفلاحين الجزائريين واغتصاب أراضيهم، له عديد الدراسات التاريخية حول المغرب العربي، أول كتبه :"تاريخ إفريقيا الشمالية" صدر سنة 1931م، ثم "إفريقيا الشمالية تسير" الذي عُرّب سنة 1979م، تونس أصبحت مستقلة، تاريخ إفريقيا البيضاء، تاريخ الجزائر المعاصرة....توفي المؤرخ سنة 1991م. شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**، صفحة الغلاف.

(2) الكلمة تعني بالفرنسية :"Qual d'orçay" أي مقر وزارة الخارجية الفرنسية بباريس .

(3) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص ص14، 15.

(4) أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص18.

يشمل العالم الإسلامي ككل، وقد وصفها بالفادحة النازلة بالإسلام، ثم شرع في توضيح حيثيات المسألة وخطط فرنسا الخبيثة، وحججهم من هذه السياسية[1].

لذا كان من الضروري أن نعدّ قضية صدور قانون الظهير البربري السّبب الرئيسي لزيارة أمير البيان شكيب أرسلان إلى مدينة تطوان المغربية، وأن زيارته كان لها الأثر البالغ في نجاح الحملة، فأظهر الأمير حكمة في تسيير أطوار الحملة وأثر عميق عبر الصحف العربية ومقالاته البليغة وتحريك الشارع المغربي والعربي، فلا يجوز أن نقر أن زيارته إلى تطوان كانت محض صدفة كما كتب بعضهم بناءً على ما كتبه أمير البيان أنّه وجد نفسه في بلاد لينتقل إلى المغرب بغرض السياحة لا غير، إلاّ أن زيارته كانت مُبرمجة من طرفه وتصريحاته كانت لتشتيت أنظار السلطات الاستعمارية عن زيارته[2].

أمّا الطيب بنونة فكانت له معلومات أخرى أوردها حول هذه الزيارة، فيذكر أنه قبل مجيء أمير البيان إلى المغرب زارها السيد يونس بحري[3]، وكان هذا الأخير السبب في ربط الصلات بين الأمير وبين الحاج عبد السلام بنونة، وكانت أحاديثه للأمير عن المغرب وأهله من المشوقات لزيارته والتعرف على سكان هذا البلد الإسلامي، ويذكر الطيب بنونة بعد قراءة رسالة والده[4] أن معظم الحديث بين الحاج عبد السلام بنونة والسيد

---

(1) أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص18- 21.

(2) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص ص14 ،15.

(3) ولد يونس بحري في مدينة الموصل في العراق وتلقّى تعليمه الأول هناك، كان يهوى السفر لدرجة هوسه بالرحلة والتّرحال، مما مكنه من زيارة أغلب المناطق المشهورة في زمنه، وقد أتقن ما يُقارب ستة عشر لغةً كما تقلّد عديد المناصب، كإمام مسجد باريس، ومفتي دولة إندونيسيا، ومستشار ملك ليبيا، كان إعلاميا مميزا وهو صاحب الصوت المميز في إذاعة برلين العربية زمن الحرب العالمية الثانية، والتي بدأت العمل في أفريل من سنة 1939م، وقد وطّد علاقته مع أبرز قادة النازية في ألمانيا أمثال :"الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ الذي أقنعه بفكرة تأسيس إذاعة برلين العربية لمواجهة إذاعة BBC البريطانية، والدكتور ألفريد روزنبرغ فيلسوف الحزب النازي...وغيرهم من الشخصيات. يونس بحري، **مذكرات الرحالة يونس بحري**، في سجن أبو غريب مع رجال العهد الملكي في العراق بعد مجزرة قصر الرحاب عام 1958م، إعداد وتقديم :خالد عبد المنعم العاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2005م، ط1، ص ص5- 14. عبد الله إبراهيم العسكر، "يونس بحري وتاريخنا الحديث"، من الموقع : جريدة الرياض الإلكترونية، رابط المقال : https://www.alriyadh.com/32107 تاريخ الزيارة: 2023/05/02، 16:32.

(4) كان الطيب بنونة طالب بمدينة نابلس عندما أرسل له والده رسالة مفادها:"...وهذه نحو الخمسة أيام ونحن نتمتع بالمذاكرات والاستطلاعات مع السيد يونس البحري البغدادي الذي نرى إمضاءه في الجرائد-السائح العراقي- وهو شاب ناهض مشارك وطني غيور رحالة، جال كل أقطار المعمور، وله خبرة واسعة ويومه توجه إلى طنجة...". الطيب بنونة، **نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة**، مطبعة دار أمل، طنجة، المغرب، 1980م، ص17.

يونس بحري كان يدور حول شخصية أمير البيان شكيب أرسلان، ومكانته لدى القادة والرؤساء والملوك، وقد أكّد له ذلك الأمير بعد وفاة الحاج بنونة في رسالة بعث بها سنة **1935**م عن بداية علاقته بوالده[1].

ويضيف السيد الطيب بنونة أن والده أرسل إليه رسالة مؤرخة في التاسع من أوت عام **1930**م مفادها أن أمير البيان في الأندلس يتفسّح حسب ما قرأه في "مجلة الشورى"، ولو علم مقره لتوجه لمقابلته والتعرف على شخصه، وقد وصله من رسالة أرسلها السيد أحمد توفيق المدني إلى السيد محمد داود [2] بأن أمير البيان في نيته زيارة تطوان المغربية[3]، وهذا ما سنبينه لاحقاً.

أمّا عن أمير البيان، فيذكر وقائع زيارته إلى مدينتي طنجة وتطوان، في كتابه "عروة الاتحاد بين أهل الجهاد"، حيث بعد إكماله لسفريته لبلاد الأندلس(إسبانيا)، عرّج إلى المغرب بعد أن ظهر له البرّ الإفريقي كما قال:"...فظهر لي البرّ الإفريقي، وكان بديهيّاً أن أحنّ إليه وهو وطن قومي وإخواني، فركبت البحر إلى طنجة..."[4]، وقد أكد هذا الكلام الطيب بنونة في مضمون الرسالة التي بعثها له الأمير[5].

فمن خلال كلمات الأمير يُوحى إلينا بأنّ الزيارة كانت مصادفةً، لكن في إحدى رسائل أحمد توفيق المدني كتب إلى محمد داود المغربي يخبره أن شكيب أرسلان عازم على زيارة تطوان المغربية، وكان ذلك بتاريخ **22** جويلية **1930**م، ولقد أبدى عبد السلام بنونة ارتياحه لهذا النبأ في إحدى رسائله لابنه الطيب بنونة قائلاً: "فيا حبذا لو يصحّ الخبر" [6]، وفي موضع آخر يذكر الطيب بنونة أن زيارة الأمير كانت تلبيةً لدعوة والده

---

[1] الطيب بنونة، مصدر سابق، ص17.

[2] في عام 1925م أنشأ محمد داود المدرسة الوطنية الأولى في شمال المغرب، وفي عام 1928م أنشأ المطبعة المهدية، وقد شارك في عديد التنظيمات السياسية كما كرنا سلفاً، مثل هيئة العمل وطني، وكتلة العمل الوطني، وكان له دور بارز في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي في شمال المغرب. عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص31.

[3] الطيب بنونة، مصدر سابق، ص18.

[4] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص152.

[5] وقد كتب الأمير ما كان يخالجه من شعور في رسالته إلى السيد الطيب بنونة سنة 1930م حيث كتب:"ذهبت للسياحة في الأندلس ولما صرت على مقربة من بلادكم ورأيت البر الثاني وشاهدت بلاد الإسلام التي أن محروم من سكناها كدت أطير بجناح، وتوقفت إلى أن دخلت طنجة متنكراً ...". الطيب بنونة، مصدر سابق، ص19.

[6] محمد بن عزوز حكيم، **مرجع سابق**، ص ص21، 22. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص121.

الحاج عبد السلام بنونة [1]، ولاشكّ أنّ الأمير قد خطّط لذلك مسبقاً، خاصة عند ذكره لإخفاء شخصيته خلال وصوله إلى طنجة.

رغم أنّه يذكر أنّه لم يعرّف بشخصيته خوفاً من إقبال الناس عليه فيتسبب بالضرر هناك، وهذه الحالة لا يحبّذها الفرنسيون، وقد بات تلك الليلة بالمدينة و لم يعلم أحد من أهل طنجة بزيارته، وفي اليوم الثاني وعند خروجه من الفندق التقى مصادفةً بمرور موكب لتشييع جنازة فمشى مع المشيّعين إلى المقبرة، وقد شاركهم قراءة "سورة يس"، فعلم الناس أنه غريب فأرادوا التعرف عليه كما ذكر، فانسل هاربًا، لكنّ الناس عرفته، فأقبل عليه العشرات إلى الفندق[2].

ووصل الخبر إلى فاس والرباط، وجاء العديد من هناك كذلك، لكن الفرنسيين علموا بزيارته فأرادوا إخراجه، في حين كانت المدينة تحت الإدارة الدولية المشتركة، أي مسؤولية تسيير شؤونها بين سلطات الدول(فرنسا، بريطانيا، إسبانيا)، وليس باستطاعة أي دولة طرد أحد إلاّ بقرار مشترك، فبادر الفرنسيون إلى مكاتبة لندرة ومجريط [3] لطرده، وبعد أيّام جاء الجواب بالموافقة، لكن الأمير تسلّم دعوة من طرف السيّد المهدي المنبّهي وزير الحربية فترة السلطان مولاي عبد العزيز، فلبّى دعوته ودخل قصره المطل على جبل طارق، حيث التقى الأمير بالسيّد محمد التّازي مندوب السلطان في منطقة طنجة، أي والياً عليها[4].

وقد مكث لدى ضيافة الوزيرين يومين، وبعد خروجه من القصر وجد لدى الباب الشرطة الفرنسية التي سلّمت إلى الوالي محمد التازي رسالة، بعث بها المعتمد الفرنسي في طنجة وبّخ من خلالها هذا المعتمد التّازي بغلظة شديدة، ويسأله كيف له أن يجتمع بشكيب أرسلان عدوّ فرنسا ببيته، رغم أن الأمير امتنع وأخبره أن دعوته قد تلحق به الضرر [5]، فكان الأمير على قناعة تامّة بردود الفعل الفرنسية ومحلّه من ممارساتها التسلطيّة فكان على يقين بما سيلاقيه في أثناء هذه الزيارة.

---

(1) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص49.

(2) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص153.

(3) لندرة هي عاصمة المملكة المتحدة وهي نفسها لندن، ويُقال لها كذلك لُوندرس ولندرا، وكذا مدينة مجريط هي مدينة مدريد عاصمة إسبانيا.

(4) ويذكر الأمير أن ولاية محمد التّازي على طنجة كانت بالاسم فقط، لأنّ الفرنسيين والبريطانيين والإسبان هم المسيطرين الفعليين على طنجة.

(5) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص153.

ثم يضيف الأمير أن جماعة تطوان في المنطقة الإسبانية حضرت ودَعَتْهُ إلى المدينة، وقد مكث هناك أربعة أيّام وفي مقدمة من حضر الحاج عبد السلام بنونة [1] والذي وصفه بفقيد المغرب ونادرة عصره، وقد أقاموا له حفلاً بهيجاً، اجتمع فيه حوالي ثلاثمائة شخص من أعيان المدينة، وقد ألقى العديد من أدبائهم الخطب والكلمات وعلى رأسهم السيد عبد الخالق الطريس رئيس الحزب الوطني في المنطقة الخليفيّة، وقد ألقى الأمير كلمة ذكر من خلالها الصلات التاريخية العريقة بين العرب المغاربة والإسبان، ووجوب تضافرها ثمّ نوّه على النهضة الحاضرة في العالم الإسلامي، وواجب كل مسلم نحوها؛ والملفت للانتباه أن الأمير لم يتفوّه بكلمة واحدة تسيء لفرنسا كما ذكر، بحضور العديد من الصحفيين الإسبان، في حين كانت افتراءات الصحافة الفرنسية قد ملأت الجرائد في اليوم الموالي[2]، وهذا ما سنورده في العنصر الخاص بموقف الفرنسيين من مساعي الأمير لصالح المسألة المغربية.

وقد وصف السيد محمد بنونة زيارة أمير البيان إلى مدينتي طنجة وتطوان في رسالة بعث بها إلى الشاب الطيب بنونة الطالب بمدينة نابلس الفلسطينية بتاريخ **02** سبتمبر **1930**م، حيث ذكر أنه في يوم **14** ربيع الأول الموافق للعاشر من أوت لعام **1930**م تسلم تلغرافاً من الأخ أقلعي يخبره بوصول الأمير شكيب إلى مدينة طنجة، وقد سافر في اليوم الموالي واجتمع بسيادته لوحده دون أن يقدمه إليه أحد بفندق (فيلا ذو فرانس)، ويقول أنّه عرفه بنفسه، ودعاه إلى تطوان والنزول إلى البيت العائلي، وقال أني وجدته يعرفنا عن طريق السائح العراقي يونس بحري[3].

ثمّ قدم الحاج عبد السلام بنونة بعد مقابلته للقنصل الإسباني وكان النقاش بينهما حول زيارة الأمير إلى تطوان والذي خلص إلى قبول القنصل بهذه الزيارة، ثم توّجها عند السيد عبد الهادي السلاّوي لحضور مأدبة الغذاء، وقد صادف زيارة الأمير فعاليات الاحتفال بالمولد النبوي، وتلك السنة قد لبس الحلّة الوطنية كما ذكر

---

[1] يقول الطيب بنونة في هذا الموضع أن والده أرسل إليه مكتوب بتاريخ 13 أوت 1930م ليبشره بوصول الأمير إلى المغرب بقوله:" ورد علينا تلغراف من طنجة إعلاماً بحلول الأمير شكيب أرسلان تلك الديار فتوجهنا لمقابلته والترحيب بسموه وبتّ هناك ليلة واحدة، ورجعت لحضور عقيقة رضا داود(ابن الأستاذ داود وحفيد بنونة) أما عمك فقد بقى هناك حتى يأتي مع سمو الأمير غدا بحول الله، وسوف نخبركم بعد زيارته لنا...". الطيب بنونة، مصدر سابق، ص19.

[2] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص154.

[3] الطيب بنونة، مصدر سابق، ص20.

السيد محمد بنونة [1]، وقد أُعجب الأمير بهذه الفعاليات وأوصى بالمحافظة عليها والتي تجمع الآلاف وتجعلهم متّحدين[2].

ثم يضيف الطيب بنونة من خلال مراسلة عمّه محمد بنونة، أن العديد من الشخصيات المغاربية في تطوان أكرمت الأمير بمآدب الغذاء والعشاء وجلسات الشاي [3]، ويذكر أن أفضل حفل [4] كان بتاريخ **17** أوت **1930**م ببيت الحاج عبد السلام بنونة، والذي وُصف بالحفل الخالد والرائع، فكانت حفلة وطنية بامتياز شارك فيها الشيوخ والشباب وقد وُثقت بالصور كما يُبين الملحق رقم(**16**)، وقد كُرّم الأمير من طرف الحاج عبد السلام بنونة باسم المغرب، ثمّ تقدم الشاب عبد الخالق طريس مُرحبًا بالأمير وبإلقاء خطبة أدبية تاريخية بليغة، ثم الشاب محمد بغوز، وبعده الشاب التهامي الوزاني، ثم الشاب محمد عزيمان الذي ألقى كلمة كرم من خلالها الأمير من الناحية العلمية والنهضوية، ومناهضته للاحتلال الأوروبي، وبعده قام الأستاذ محمد داود ليلقي خطبة مطولة ذات بعد وطني وبحماس شديد[5].

وفي ختام الحفل قُدّم للأمير جلابة بِزّيويّة وسلهام بزيوي [6] أيضاً باسم المغرب –وقد التقطت له صورة بهذا اللباس المغربي أُدرجت في"نضالنا القومي" الصفحة **33**–، ثمّ تقدّم لإلقاء كلمة شكر من خلالها تكريمهم إياه، وعبّر عن إعجابه بالأمة المغربية الفتية، وأثنى على شبابها، ثم أوصى الحاضرين بالنهوض بالاقتصاد، والعمل

---

[1] الطيب بنونة، مصدر سابق، ص21.

[2] ظاهر محمد صكر الحسناوي، **شكيب أرسلان الدور السياسي الخفيّ**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، مارس 2001م، ط1، ص150.

[3] ومن جلسات الشاي الجلسة التي نظمها القنصل الاسباني أسيدورو دي لاس كاخيكاس، فقد استدعى الأمير إلى بيته عشية 15 أوت 1930م وشربا الشاي معا، وأقام على شرفه حفلة شاي على التقاليد المغربية وحضرت شخصيات اسبانية وثلة من الوطنيين المغاربة من بينهم باشا المدينة والحاج عبد السلام بنونة، والجدير بالذكر أن القنصل من قراء "لاناسيون آراب"، ومن المغرمين بالتاريخ العربي الأندلسي. الطيب بنونة، ص 23. محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص35.

[4] وقد ألّف الوطنيّون المغاربة بمدينة تطوان لجنة وطنية لتكريم أمير البيان شكيب أرسلان، تكوّنت هذه اللجنة من :الرئيس التهامي الوزاني، محمد داود، عبد الخالق الطريس، محمد المصمودي، محمد الوزاني، عبد السلام الطنجي، محمد باغوز، الحسين بن عبد الوهاب، عبد السلام الحاج، محمد عزيمان، محمد ابن عبود، والحاج محمد بنونة كاتب، هذه اللجنة كانت قد أنيط لها وضع برنامج ثري من الحفلات والمؤدبات على شرف الأمير، وتفاصيل البرنامج أكثر ضمن صفحات الكتاب المأخوذة منه هذه المعلومات. محمد ابن عزوز حكيم. مرجع سابق، ص ص 37– 39.

[5] الطيب بنونة، مصدر سابق، ص24.

[6] هو لباس تقليدي مغاربي له رمزية تاريخية ومكانة اجتماعية ثقافية، ويرتبط اسم الجلابة البزيوية بمنطقة آبزو التابعة لإقليم أزيلال التي تنفرد بهذا المنتوج التقليدي المتميز بجودة عالية وإتقان في الصنع والذي بوأها مكانة عليا وصيتاً واسعاً على الصعيد الوطني، لذا فالمغاربة إذا أردوا إكرام الضيف أهدوا له هذا اللباس التقليدي. وكالة المغرب العربي للأنباء MAP EXPRESS، الموقع الإلكتروني، رابط المقال : http://www.mapexpress.ma/ar/actualite/الجلابة-البزيوية-منتوج-تقليدي-مغربي-أ/الآراء-و-حوارات تاريخ الزيارة : 2022/11/02م .

على استرجاع حقوقهم، والحكومة مهما قدمت من خدمات فهو في صميم الواجب، وذكر أنّ الإسبان غير مشكورين لأنهم مدينون للعرب[1] بما قدّموا إليها من الخدمات سابقاً[2].

أما زبدة الحفل فهي تكمن في ما بعد فعالياته، فبعد عودة المدعوّين الذين ناهزوا المائتين [3] كما ذكر الحاج محمد بنونة، بقي ثلّة من الشباب الناهضين كما وصفهم، أي الطلبة الناشطين في مجالات العمل الجمعوي والنقابي والسياسي والإعلامي، حيث اجتمعوا حول الأمير وبادروا بإلقاء مختلف الأسئلة في شتى المواضيع، كرأيه في جمهورية تركيا، وموقفه من الوهابية، واليمن، وطرابلس، وسوريا....، وهو يبيّن لهم بفصيح بيانه وعصارة أفكاره وبخلاصة تجاربه[4].

وخلال رحلة العودة وبعد وصول الأمير إلى النزل الذي أقام به عند المجيء بمدينة طنجة، يذكر الحاج محمد بنونة أن أحد رجال البوليس السرّي استدعى الأمير إلى مركز الشرطة (البيت الجهنمي كما ذكره محمد بنونة)، رافقه الأمير مباشرة وطلب من مرافقيه الانتظار لكنهم امتنعوا عن ذلك ورافقوه إلى المركز، وعند وصولهم دخل المركز منفرداً، وبعد هنيهة سمعوا الأمير يُخاصم مدير الشرطة بصوت مرتفع جداً، ويتجادل معهم في حين لم يسمعوا صوت محدثيه، وبعد خروجه سألوه عن سبب استدعائه، فأخبرهم عن مسألة البلاغ الخاص بالمندوب المغربي محمد التّازي الذي يقضي بنفي الأمير من المنطقة الدولية طنجة، فاغتاظ الرفقاء لهذا القرار ويذكر محمد بنونة أن الأمير ألقى ذلكم الوصل الحامل للقرار على وجوههم[5].

ويوم الثلاثاء **19** أوت **1930**م أبحر الأمير على متن باخرة متجهة نحو قادس الإسبانية، وحضر لوداعه عبد الرحمان المنبهي، والمختار أحرضان، ومحمد الحداد وكاتبه؛ وقد صعد معه على ظهر الباخرة محمد بنونة وأحرضان، فيصف بنونة لحظة الوداع بالوداع المرّ، وكأنه يفارق أحد أفراد العائلة، ويضيف محمد بنونة أنه

---

(1) لا نعلم ماذا يعني أن العرب مدينين للأمة الاسبانية، هل يقصد العرب زمن الأندلس وهو أغلب الظنّ، أم يعني ما أفرزته حرب الريف سنوات العشرينات 1921-1926م، أو تضحيات التجنيد الطوعي والإجباري للمغاربة، والذي كان بأعداد مهولة في حرب اسبانيا الأهلية سنوات الثلاثينات أي بعد الزيارة إلى تطوان.

(2) الطيب بنونة، مصدر سابق، ص25.

(3) يذكر الحاج محمد بنونة أن لجنة الاحتفال منحت الدعاوي إلى الموظفين الرسميين لكنهم لم يحضروا، والسبب هو منعهم من طرف الوزير بن عزوز. المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) الطيب بنونة، مصدر سابق، ص27.

أهدى للأمير محفظة فاخرة صنعها بيده في مرّاكش، وقدّم له محمد بن محمد الوزاني زربية من صنع يده [1]، فأسهبوا في إكرامه وتبجيله، وهذا لما رأوا في شخصه المكانة التي تستحق الرفعة والتوقير.

هذه خلاصة رحلة أمير البيان إلى مدينتي طنجة وتطوان، التي كانت في حدود عشرة أيام، استطاع من خلالها الأمير تحقيق أهدافه عبر ربط عديد العلاقات وتوطيد بعضها، وتوثيق الصلات بين رجال المنطقة الخليفية برجال المنطقة السلطانية، وما جاء بعد الزيارة هو ما يشد انتباه القارئ، فما أسفرت عنه الرحلة كان أبلغ الاهتمام.

2 2 تداعيات الزيارة على السلطة الاستعمارية وعلى الحركة الوطنية المغربية:

يذكر الأستاذ الأمريكي "جوناثان ويرتزن" أنّ المحرّض والفاعل للدعاية الرّئيسي، والمسؤول عن تحويل احتجاجات اللطيف ضدّ الظهير البربري في المغرب إلى حركة إسلامية واسعة النطاق هو الأمير شكيب أرسلان[2]، أمّا على الصعيد الداخلي فكان لتلك الزيارة التي قام بها إلى مدينة تطوان المغربية، الأثر البالغ على سير الأحداث في المغرب ككل، خاصة على الصعيد السياسي، فقد أفرزت لقاءاته نتائج جدّ مرضية وفي الصّالح العام المغربي، وقد عدّد لنا الأستاذ لبّاز الطيب عديد النتائج نذكرها :

- التنسيق بين رموز الحركة الوطنية المغربية من المنطقة الخليفية والمنطقة السلطانية عبر اجتماع جمع أكثر من مائتي شاب وطالب يمثلون عديد الألوان السياسية.
- اعتبار الوطنيين المغاربة الأمير شكيب أرسلان الأب الروحي للحركة التحررية للبلاد العربية الإسلامية فهو المرشد والموجه لحركتهم الوطنية الفتية المحتاجة للرعاية والتوجيه.
- استفادة الوطنيين المغاربة من التناقضات في التسيير بين إدارتي الحماية في المنطقتين الفرنسية و الإسبانية حيث كان الفرنسيون يمارسون كل أنواع الضغط على الإسبان لمسايرتهم في تقييد عمل

---

[1] الطيب بنونة، المصدر نفسه.

[2] Jonathan Wyrtzen, **CONSTRUCTING MOROCCO: THE COLONIAL STRUGGLE TO DEFINE THE NATION, 1912-1956,** A Dissertation submitted to the Faculty of the Graduate School of Arts and Sciences of Georgetown University in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy in History , April 2009, p160.

الأمير والوطنيين المغاربة، ويضيف الأستاذ لباز أن المفوضية الإسبانية لم تخضع لطلب الفرنسيين قصد طرد الأمير[1] من طنجة[2].

- أبرزت تلك الزيارة التاريخية أن العلاقات التاريخية الحميميّة بين المغاربة والإسبان تُعتبر رصيداً بالإمكان الاستثمار فيه والاستفادة منه لمواجهة الاحتلال الفرنسي، وتنمية تلك العلاقات من محلية إلى إقليمية في إطار العلاقة الإسبانية العربية.
- استفادة الحركة الوطنية المغربية من تحمّل الأمير عبء الدفاع عن القضية المغربية، والتي تحولت من مسألة ذات خلفية دينية إلى قضية ذات أبعاد سياسية عبر قنوات معارفه ووسائله المختلفة، على كل المستويات(الأوروبي، والعربي، والإسلامي)[3].

وبعد عودة أمير البيان من المغرب أعطى للقضية المغربية الأولوية في نشاطه الصحفي والسياسي المستمر بشكل عام، ومسألة الظهير البربري بشكل خاص، فنشر العديد من المقالات ضمن أعداد مجلته "لاناسيون آراب" وفي صحف عربية أخرى[4]، وقد عدّد الأستاذ محمد بن عزوز حكيم في كتابه"وثائق سريّة حول زيارة الأمير شكيب...." أربعة عشر مقالاً تضمّن تفاصيل القضية المغربية[5].

وللإشارة فإن المصادر المغربية لم تذكر نوع المذاكرات التي كانت بين قادة الحركة الوطنية المغربية وبين أمير البيان خلال تلك الزيارة، والتي كانت في شكل مؤتمر سياسي حسب تقارير المقيم العام الإسباني في المدينة، إلاّ أن المؤرّخ جوليان يذكر أن الزيارة أسفرت عن تأسيس قسم المغرب للّجنة السورية الفلسطينية، ويضيف جوليان أن العشرة أيام التي قضاها شكيب بالمغرب لم يكتفي فيها بالبحث والإطّلاع على أحوال

---

(1) الطيب لباز ، "**الزيارة التاريخية للأمير شكيب أرسلان إلى شمال المغرب أوت 1930م الحدث..ونتائجه**"، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد08، ديسمبر 2013م، ص6.

(2) في حين نجد عديد التقارير الخاصة بإدارة نيابة الأمور الوطنية للمقيم العام الاسباني أنها طلبت من الأمير الرحيل كما سنبيّنه لاحقاً في العنصر الخاص بموقف السلطات الإسبانية من نشاط الأمير شكيب أرسلان.

(3) الطيب لباز، مرجع سابق، ص6.

(4) المرجع نفسه.

(5) محمد بن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص104.

البلاد بل أعطى تعليماته وإرشاداته للوطنيين الذين وفدوا إليه من الرباط وفاس ليصبح المرشد الروحي لأعضاء كتلة العمل الوطني الذين أصبحوا يتمتعون بتأييده ويعملون حسب إرشاداته[1].

ويصبح الحاج عبد السلام بنونة هو أكبر مساعدي الأمير شكيب أرسلان نشاطاً بالمغرب، إضافة إلى كون عاصمة الشمال مدينة تطوان هي صلة الوصل بين الوطنيين بفاس والأمير شكيب أرسلان بجنيف منذ سنة **1930**م، ويؤكد الأستاذ محمد بن عزوز أنّه مما لا شك فيه وخلال أطوار الزيارة وقع الاتفاق على وضع خطّة محكمة ضد ممارسات الاستعمار الفرنسي، متخذين في ذلك الظهير البربري كحجة للتظاهر وعديد الأعمال الفعّالة في الداخل، مع شنّ حملة واسعة في الخارج، وكل هذا تحت إشراف أمير البيان وتوجيهاته[2].

ويضيف جوليان أن الأمير شكيب أرسلان كان أحد الموعزين بالحملة التي قامت ضد الظهير البربري وأصبح مرشد أعضاء لجنة العمل المغربية، واتخذ كاتباً له من المغرب وهو محمد الحسن الوزاني والمثقف بثقافة غربية والمتخرج من مدرسة العلوم السياسية الحرّة Ecole Libre Des Sciences Politiques، وهو من المتحمّسين للتطوّر العصري كما ذكر المؤرخ جوليان[3].

ويذكر الأستاذ غلاب في هذا الشأن أن الأمير شكيب أصبح بمثابة الموجه للحركة الوطنية المغربية، حيث يتّصل به أفرادها ويكاتبونه طلباً لتوجيهاته في عديد المسائل، فكتبوا له الرسائل المطولة عن تصرفات الإدارة الفرنسية وممارساتها التسلطية، وفيما خص نشاط الحركة الوطنية كذلك وأعمالها[4].

والملاحظ أنّه لم تمر على زيارة الأمير إلا أسبوعين فقط حتى تم تأسيس "الهيئة الوطنية الأولى" في **05** سبتمبر **1930**م، وكانت سريّة لتبدأ المرحلة الثانية من تاريخ الحركة الوطنية بشمال المغرب، وقد تأسّست هذه الهيأة من طرف السادة الحاج عبد السلام بنونة محمد داود أحمد غيلان... [5]، وقد بدأت الحركة نشاطها

---

(1) محمد بن عزوز حكيم، المرجع نفسه، ص64.

(2) المرجع نفسه، ص ص64، 65.

(3) شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير..**، ص34.

(4) المرجع نفسه، هامش ص65.

(5) ترأّس هذه الهيئة محمد الصفار إضافةً إلى الحاج عبد السلام بنونة، ومحمد بنونة، محمد داود،، والتهامي الوزاني ومحمد أفيلال، أهم أعمال هذا التنظيم هو إعداد عريضة مطالب للأمة : مذيلة ب 800 توقيع من أعيان وسكان المنطقة، وُجهت إلى السلطات الاسبانية بإيعاز وتوجيه من الأمير شكيب أرسلان. إدريس بوفردة، "**الحركة الوطنية وتجليات النضال السياسي في المسار الفكري للزعيم علال الفاسي**"، كتاب جماعي، إشراف : عبد الحق عزوزي، **علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة، مؤسسة علال الفاسي**، المغرب، ط1، 2010م، ص196.

عندما أتيحت أول فرصة، في الفترة التي انقلب فيها الجمهوريون ضد الملكيين وقيام الجمهورية الإسبانية، فقد نظّمت الهيئة مظاهرات عارمة بتطوان في **14** أفريل **1931**م، أرغم فيها الجنرال المقيم العام كوميس خوردانة مغادرة مدينة تطوان[1].

وتجدر الإشارة إلى ما كتبه الأمير في إحدى رسائله إلى عبد العزيز الثعالبي في هذا الشأن، حيث يقول:"...وكان أصل الفكرة منّي لأنّي عند إعلان الجمهورية في مدريد، أرسلت إلى تطوان بأن يوفدوا وفداً إلى مدريد ويقدموا مطالب باستقلال داخلي ضمن الحماية الإسبانيولية، أشرت بمطالب معتدلة حتّى تكون مقبولة فجاءني الجواب من تطوان بأنهم في خلاف لا يتفقون وأنّ الفرصة ضاعت...." [2]، ولعلّ الفكرة تجسدت في العريضة التي كتبتها الحركة الوطنية لاحقاً.

وفي الفاتح من ماي قدمت الهيئة عريضة الأمة المغربية مطوّلة، تتضمن مطالب سياسيّة هي الأولى من نوعها عرفها المغرب في عهد الحماية، وتم تقديمها إلى رئيس الجمهورية الإسبانية بمدريد في الثامن جوان من طرف وفد كان يترأسه محمد الطيب بوهلال [3]، ويذكر الأمير في هذا الصدد أنّ الشاب بلفريج انتدب لذلك ووصفه بالنابغة، وصاحب مجلة المغرب، حيث حرر لائحة المطالب ووقّع عليها **1500** شخص من الريف، وجاء بها وفد إلى مدريد، وذكر الأمير أنّه أوصاهم أن لا ينسوا مسألة مسجد قرطبة [4]، فصنفوها ضمن لائحة المطالب، وقد لقي الوفد المغربي بالقبول وقرّر قادة الجمهورية الإسبانية أن يردّوا على هذه المطالب التي رأوا فيها العقل والاعتدال[5].

---

(1) محمد بن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص66.

(2) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 23- 27.

(3) محمد بن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص66.

(4) كان أرسلان يهتم كثيراً للأندلسيّين ذوي الأصول العربية في اسبانيا، وذكرهم في عديد المواضع من مقالاته ومؤلفاته، ففي إحدى رسائله إلى الشيخ الثعالبي المؤرخة في 15 فيفري 1933م ذكر أهمية استعادة أهل الأندلس لهويتهم الضائعة، فبعد مراسلة العديد من الشخصيات من جنوب اسبانيا، ذكر أن رئيس حزب الفانت بيريز A.Perez هدفه أن يستقل داخليا بالأندلس ضمن الجمهورية الأيبيرية، تضم هذه الإمارة إشبيلية وقرطبة ومالقة وقادس ورونده ومدن أخرى تقع جنوب اسبانيا إضافة إلى الأراضي التي تسيطر عليها اسبانيا في شمال المغرب، ضمن دولة أندلسية يكون فيها كل المواطنين متساوون، وقد كتب هذا الرجل برنامجاً للأمير، فأجابه لكن باحتياط، وذكر أنهم أرادوا بناء مسجد في إشبيلية، فبادر الأمير إلى مراسلة عبد السلام بنونة في تطوان قصد تقديم المساعدة لبناء الجامع، فتكرم عبد السلام بنونة بمنح نصف تكاليف بناء المسجد، وكذلك مشروع بناء مسجد قرطبة أراد الأمير إعادة بنائه وفتحه. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 23- 27.

(5) أرسلان، المصدر نفسه.

وفي الرابع من شهر ماي عام **1931**م نظّمت الهيئة الوطنية بتطوان مظاهرة عمّالية تزعّمها ثلة من الوطنيين(محمد داود، التهامي الوزاني)، وكانت أوّل مظاهرة من نوعها بعد الحماية التي عرفتها المغرب، وفي اليوم الموالي قدّمت الهيئة عريضة تحوي المطالب العمالية إلى الوزير الأول في الحكومة الخليفية، وكانت هذه العريضة أوّل وثيقة من نوعها كذلك في تاريخ المغرب المعاصر، وتلبيةً لمطالب الأمّة صدر الظهير الخليفي بعد يومين فقط، بمقتضاه تُنظّم الانتخابات البلدية الحرّة في جميع مدن المنطقة الخليفية[1].

وفي يوم **17** جوان **1931**م عاد الوفد المغربي من مدريد، واستقبله الأهالي بحرارة شديدة، فكان يوماً مشهوداً كما وصفه الأستاذ محمد بن عزوز، لم يسبق له مثيل في تاريخ المغرب، وفي **19** جوان **1931**م دخلت الحركة الوطنية في الشمال مرحلة أخرى، بتأسيسها لهيئة سياسية علنية أُطلق عليها اسم "وفد مطالب الأمّة، تألفت من طرف السادة: محمد الطيب بوهلال(رئيساً)، أحمد غيلان(نائبه)، عبد السلام حجاج، ووأحمد بن عبد الكريم اللبادي(أعضاء)، والحاج عبد السلام بنونة(مستشاراً)[2].

وإلى جانب هذه الهيئة التي أُنيط لها النشاط الخارجي، تأسست لجنة أخرى أو هيئة فرعية تابعة لها الموسومة "باللجنة الفرعية لتحقيق المطالب" عُنيت بالعمل الداخلي للمنطقة الشمالية، وتتألف من السادة الفقيه محمد الصفار(رئيساً)، التهامي الوزاني(نائباً)، محمد داود، محمد أفيلال، محمد بوهلال، محمد باغوز، الحسن ابن عبد الوهاب، محمد طنانة، وعبد الكريم الدليرو، ومحمد الدليرو(أعضاءً)[3].

ومن نشاطات الهيئة هذه الفترة وما حققته: المظاهرات الشعبية على تعيين علال بن عبو في منصب الصدارة العظمى(رئيس الوزراء) في حكومة المنطقة الخليفية، وذلك بتاريخ **22** جوان **1931**م، المحاضرة التي ألقاها الشاب عبد الخالق الطريس بالمسرح الوطني بتطوان بتاريخ **21** جويلية **1931**م، ثم إصدار ظهير خليفي خاص بتنظيم الشغل وأوقات العمل أي لصالح العمّال، والصادر بتاريخ السابع من شهر سبتمبر من السنة نفسها، ثم ظهير آخر متعلق بحريّة التجمع، وتأسيس الجمعيات والذي أُصدر في **23** شهر سبتمبر كذلك[4].

---

(1) محمد بن عزوز حكيم، مرجع سابق ، ص66.

(2) محمد بن عزوز حكيم، المرجع نفسه ، ص ص66-68.

(3) المرجع نفسه، ص68.

(4) المرجع نفسه.

إضافةً إلى الانتخابات البلدية الحرّة في **24** سبتمبر والتي أحرزت فيها قوائم الهيئة الوطنية بالأغلبية الساحقة ثم تأسيس جمعية خيرية إسلامية بمدينة تطوان، وكان ذلك في **29** سبتمبر، مشاركة الحركة الوطنية المغربية في الشمال في المؤتمر الإسلامي بالقدس المنعقد بين **7** و**17** ديسمبر، بمثل لها وهو السيد محمد بنونة، وفي الفاتح من شهر أفريل سنة **1932**م تأسست "الهيئة الوطنية بشمال المغرب" والتي عُرفت بالهيئة الثانية [1]، وانقسمت بين شق علني [2]، وشق سرّي [3]، والظاهر طبعاً أنّ هذه النشاطات كانت بتوجيهات من الأمير، وسنورد ما سنجده ضمن رسائله.

ومن أعمال الحركة الوطنية خلال هذه المرحلة نجد تأسيس "جمعية الطالب المغربية" من طرف الشاب عبد الخالق الطريس، والدخول في مفاوضات خلال الفترة من **25** أفريل إلى **5**ماي **1932**م بين الهيئة الوطنية والمقيم العام الاسباني بتطوان حول كيفية تطبيق مطالب الأمة، وكذا تأليف لجنة التعليم العام بتطوان يوم **12** ماي من طرف عديد الشخصيات من الهيئة على رأسها محمد داود، ثم تنظيم مهرجان خطابي يوم **16** ماي **1932**م بمناسبة الذكرى الثانية لإصدار الظهير البربري، حيث رُفعت برقيات احتجاج إلى رئيس عصبة الأمم بجنيف، وإلى رئيس الجمهورية الفرنسية ووزير خارجيته بباريس، وإلى المقيم العام الفرنسي بالرباط [4] بالمنطقة السلطانية.

وكثّفت الهيئة نشاطها النقابي والميداني من خلال المسيرات التجمعات والمؤتمرات، وإنشاء الجرائد وتأسيس الجمعيات، على غرار الجمعية الإسبانية الإسلامية [5]، كذلك قام العديد من القادة بربط الاتصال مع أمير البيان مثل زيارة الحاج عبد السلام بنونة إلى جنيف، كذلك عبد الخالق الطريس الذي كان ينشط بالقاهرة، والذي أسس جريدة الفجر، قيام طلبة مدرسة لوقش بتطوان بإضراب عن الدراسة وكان الأوّل من نوعه في **23** نوفمبر **1932**م، كذلك قام الطريس بتنظيم مظاهرة في تطوان ضد حل المجالس البلدية المنتخبة

---

[1] محمد بن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص ص 68، 69.

[2] يتكون الشق العلني من السادة : الفقيه محمد الصفار(رئيساً)، أحمد غيلان(نائبه)، التهامي الوزاني(كاتباً)، عبد الخالق الطريس(مستشاراً)، محمد بوهلال، عبد السلام حجاج، أحمد بن عبد الكريم اللبادي(أعضاء). المرجع نفسه.

[3] يتكون الشق السري من السادة : الحاج عبد السلام بنونة، محمد داود، محمد أفيلال، محمد باغوز، الحسن بن عبد الوهاب، محمد طنانة، والحاج محمد بنونة. المرجع نفسه.

[4] محمد بن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص70.

[5] يذكر أمير البيان أنّه ترأس الجمعية الاسبانية الإسلامية بطلب من القائمين عليها في الأندلس. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 23- 27.

بطريقة حرّة وذلك يوم **21** ديسمبر **1932**م، تم على إثرها إعفاء المقيم العام الإسباني لوبيس فرير من منصبه[1].

وبالرجوع إلى ما جرى في العالم الإسلامي والحركة الإعلامية التي كان المسؤول عنها بالدرجة الأولى أمير البيان، نجد أنه طيلة العامين التاليين قامت معظم الصحف في تونس والقاهرة وطرابلس وبيروت ودمشق بتغطية قضيّة الظهير البربري، حيث نشرت الصحف(الرقيب، العتيد، العادل....) عديد المقالات، وهاجمت الممارسات الفرنسية ونيّتها تنصير بربر المغرب [2]، وهناك الكثير من الجرائد التي تناولت القضية بدايةً بمجلته الأمة العربية، والشورى، والفتح، وغيرها من الصحف الناطقة بالعربية في المشرق خاصّةً.

وفي ذات السيّاق كتب الفرنسي لافيونيت Lafuente أن الحملة الإعلامية على صدور الظهير البربري كانت عنيفة، نظّمها الشباب المغاربة من الحركة الوطنية، أبرزهم أحمد بلافريج ومحمد الفاسي والمكي الناصري وعبد القادر بن جلول ومحمد الخلطي وعبد المالك فرج، ومحمد الوزاني، وكانت كل المقالات بتوجيهات من أمير البيان شكيب أرسلان، والذي أرسل الكثير من المقالات إلى القاهرة لنشرها، ومع مطلع سنة **1931**م نشروا كُتيبًا تحت عنوان"عاصفة فوق المغرب، أو أخطاء لسياسة أمازيغية، Tempête sur le Maroc, ou d'une Politique Berbère, les erreurs" مؤلفه "مسلم بربري Mouslim Barbari " وهو اسم مستعار، وكان ذلك قبل إصدار "مجلة المغرب revue Maghreb"[3].

وكان لأمير البيان كذلك صولات وجولات حول مسألة الظهير البربري، وقد ألقى الفرنسيون باللائمة على الأمير في عديد الجرائد الفرنسية، بأنّ القضية حدثت في المغرب والتحريك آتٍ من المشرق، حيث قال الأمير للفرنسيين ومنهم للسيد بونصو، وكتب كذلك في مجلته "الأمة العربية"، أنّ مسلمي المشرق ليسو أوصياء على مسلمي المغرب الراشدين، وهم أدرى من المشارقة في العمل على السياسة في بلدهم، ويضيف أنّه إن كان الأمر يصل إلى الاعتداء على الدين الإسلامي واللغة العربية فإنّه لن ينتظر احتجاج المغاربة ليرفع صوته ويقاوم هذا الاعتداء، ويختم أن العروبة والإسلام حقّ عام [4]، ليتجلّى لنا أن أهداف الأمير أشمل من معالجة

---

(1) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع، ص72.

(2) Jonathan Wyrtzen, op cit, p 162.

(3) G. Lafuente, op cit, P 12.

(4) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص38.

مسألة واحدة في بلد ما من الشرق أو الغرب، بل كلّ اهتماماته الرفع من شأن الإسلام والمسلمين والدفاع عن اللغة العربية والعرب في كل أصقاع العالم دون استشارة أحد في ذلك.

3-2 أثر الرحلة المغربية على شخصية الأمير الفكريّة:

كان للزيارة التي قام بها أمير البيان إلى مدينتي طنجة وتطوان الأثر البالغ على نشاط الوطنيين المغاربة سواء في المنطقة الخليفية أو المنطقة السلطانية، كما كان هناك تأثر واضح وجليّ للأمير من زيارته واحتكاكه بالوطنيين المغاربة، من خلال حفاوة الاستقبال التي لاقاها والجلسات التي أُكرم بها.

تأثر الأمير كثيراً بزيارته المكوكية من الأندلس إلى بلاد المغرب من طنجة إلى تطوان، وقد انبهر كثيرا من مستوى ثقافة شبابها وهمّتهم، كما ابتهج كثيراً عند وصوله إلى شمال إفريقيا كما قال، حيث أيقظت مشاهدها الحنين إلى بلاده وإخوانه المغاربة، وأستأنس كثيراً لّما وقع نظره في جبل طارق على الرجال الذين يرتدون البرانس والعمائم [1]، ويذكر محمد الفاسي في هذا الشأن عند زيارة الأمير إلى مدينة تطوان، فكتب:"...وكانت الحفاوة به بالغةً جداً، أثّر في نفسه أحسن الأثر مما زاده تقديراً ومحبّةً للمغرب والمغاربة..."[2].

ثمّ يضيف بعد سؤال أحمد بلافريج له حول رأيه في أهل المغرب في حديث [3] مطوّل معه:"...إنّني أرى هِمم أهل المغرب أقوى من همم أهل المشرق، فإنّ المغرب مع امتداده جغرافيا إلى مصر ثم مع قربه من أوروبا وليس فيه إلا عشرين مليونا من السكان، وقد دافعوا في الماضي على الذمّار، ثم كوّنوا مدنية عظيمة وكان منهم الملوك العظام كالموحّدين والمرينيّين..."، ثم يسأله بلافريج إن كانت هناك نهضة في المغرب، فيجيب الأمير

---

(1) محمد بن عزوز، مرجع سابق، ص57.

(2) سعود المولى، **الأمير شكيب أرسلان، بنو معروف أهل العروبة والإسلام** ، المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، دار العودة، بيروت، 1990م، ط1، ص149.

(3) محمد بن عزوز، مرجع سابق، ص ص 55- 62. هذا الحديث نُشر في مجلة الفتح سنة 1930م، وهو موجود كذلك في الموقع الإلكتروني الأندلس من خلال الرابط : http://andalusway.blogspot.com/2015/01/1930.html تاريخ الزيارة : 2022/11/12م، 21:20.

أنّه شعر بنهضة قويّة فوق كلّ تصوّر، من خلال تمكّن الشباب من اللغة العربيّة، ثم يصف الخطب التي أُلقيت أمامه كلّها حسنة التركيب جيّدة اللفظ لا توجد بها أخطاء[1].

ثم سُأل عن الشعور الذي أحس به في المغرب وصِلته الموجودة بالمشرق فقال :" ...من خصوصيّات العالم الإسلامي أنّك في شرقه كأنّك في غربه، فإنّ العادات واحدة وطرق المعاش واحدة والأخلاق واحدة، وهذا دليل على قوة الوحدة الإسلامية...ومهما بلغت وحدة الكاثوليك فإنّها لا تبلغ وحدة المسلمين..." [2]، أي أنّ لدى الأمير قناعة راسخة بوحدة الأمة من حيث هويّتها من طنجة إلى جاكرتا، لا تفرّقها إلاّ الدسائس الاستعمارية، والفتن الداخلية هي مجرد مكائد خارجيّة.

وقد أُحرج الأمير بسؤال بلافريج حول عيوب المغاربة فأحجم عن الجواب وابتسم ليقول أن الإنسان في مدة قصيرة لا يرى إلاّ المحاسن، إلاّ أنّ جرأة بلافريج وإعادة صياغته للسؤال بشكل آخر، أجبرت الأمير على الإجابة، فركز في شرحه على إيجابيات الجرأة والتضحية لنيل المآرب[3].

كما أشاد بمستوى اللغة العربية في المغرب، حيث ذكر أنّها تقاربت كثيراً مع اللغة العربية في المشرق، وذلك لكثرة الصلات وسهولة المواصلات، وذيوع الجرائد الناطقة بالعربية، في حين يذكر أن لغة العامة أي الدراجة فلم يصعب عليه فهمها[4].

أمّا عن مميّزات المغاربة فيرى الأمير أن اللباس الموحّد مظهر من مظاهر التمسّك بالقومية والعادات، وأن للمغاربة أفضل المزايا للنهوض والترقي، ورغم أنّهم أقرب الأمم للمدنية الغربية إلاّ أنّهم لم ينبهروا بها، و لم يبتعدوا عن مدنيتهم، وهذا دليل على عزّة النفس، ثمّ يصفها الأمير بالمدنيّة الراقية، حيث يندهش السيّاح والرحّالة الأوروبيون عند رُأيتهم لعمرانها وبيوتها المميّزة، ثمّ يضيف أنّ الرجل المتمسّك بعوائده وتقاليد قومه فإنّ في روحه شِمماً[5].

---

(1) محمد بن عزوز، مرجع سابق، ص ص55- 62.

(2) المرجع نفسه، ص ص57، 58.

(3) المرجع نفسه، ص58.

(4) المرجع نفسه، ص59.

(5) المرجع نفسه.

ثمّ سأله أحمد بلافريج حول أحسن الأثر الذي وقع في نفس الأمير وهو في المغرب، فأجابه الأمير "...انشرح صدري أولاً بمقابلة أهل البلاد، لأنهم يتكلمون لغتي، وليس بيني وبينهم فرق في العواطف والإحساس، وثانياً فإنّني رأيت طبيعة البلاد تشبه طبيعة بلادي، ووجدت هنا المدنية العربية الأصيلة، وما رأيته في الأندلس مقفراً وبدون حياة رأيته هنا بسكّانه وحياته..."[1]، فتعبير الأمير من صلب فكره وما تحمله عقيدته حول الإسلام واللغة العربية، إضافةً إلى وحشته لوطنه الشام بعد فترة الغربة التي قضاها خارج الديار في جنيف لخدمة قضايا الأمة فكانت فاتورة ذلك باهظة الثمن، فشبّه زيارته إلى المغرب كعودته إلى الوطن.

وفي ختام حديثه مع بلافريج يرى أن مستقبل بلاد المغرب يرتبط بمكانته بين الأمم، وهذا يتوقف على محافظة أهله على لغتهم وعاداتهم وقوميتهم، وأنّ المزيد من الممارسات التسلطيّة والضغط عليهم سيزيدهم تمسكاً بعوائدهم وهويتهم[2].

وقد أخبر الأمير شكيب محمد داود كيف لزيارته القصيرة لكنها تركت أثرها الكبير على انطباعاته عن أهل المغرب، حيث حين سأله النائب السلطاني عبد الكريم التازي خلال تلك الزيارة عن رأيه في الشعب المغربي حيث أقرّ عن زيادة احترامه الكبير لأهل المغرب على المشرق، والسبب هو أن الملايين من المسلمين في المشرق يربط شعوبها الإسلام من المتوسط إلى الصين، أما في شمال إفريقيا فقد اتسمت بصلابة إسلامها وأكثر من أي مكان آخر ، والتسلط الأجنبي لم يزحزح أهل المغرب في حفاظهم عن هويتهم العربية الإسلامية بما في ذلك تقاليدهم ولباسهم الوطني الذي يعتزون به كشعار للكرامة[3].

فكان أمير البيان شكيب أرسلان يعترف ويقرّ بفضائل أهل المغرب، وتفاجئه بمكارمهم وعلوّ همتهم، خاصة بعد تعرفه على العديد من رموزهم، سواء من الرعيل الأول للحركة الوطنية أو شبابها الذين حملوا لواء طلب الحرية فيما بعد، فكانت لهم صلات قويّة بالأمير، فوطّدوا معه العلاقة جيداً، وكان لهم الاستثناء في ربط الوثاق معه، فكانت لهم الحصّة الأكبر من مراسلاته مقارنة مع الحركات الوطنية الأخرى.

---

[1] محمد بن عزوز، مرجع سابق، ص60.

[2] المرجع نفسه.

[3] عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص38.

3) علاقة أمير البيان برواد الحركة الوطنية المغربية:

يذكر الأستاذ عيسى حمري في ما يخص علاقة أمير البيان برموز الحركة الوطنية المغربية، أن شكيب أرسلان وطّد علاقته مع الكثير من الشخصيات البارزة على الساحة السياسية المغربية في المنطقة الفرنسية والمنطقة الخليفية[1]الإسبانية أمثال علال الفاسي [2] محمد بن الحسن الوزاني، وأحمد بلافريج، إضافة إلى عبد السلام بنونة والطيب بنونة، وعبد الخالق الطريس، والمكّي النّاصري وغيرهم، فكان هؤلاء كلّهم على تواصل مع أمير البيان شكيب أرسلان، حيث كاتبوه وراسلوه وأخذوا توجيهاته [3]، والتقى بعضهم به في المغرب وفي عديد المناطق في أوروبا، وبالأخص في جنيف مكان إقامته.

ويذكر الطيب بنونة في كتابه "نضالنا القومي" أن الوطنيّين المغاربة اتجهوا نحو أوروبا ونحو المشرق للتعريف بالقضية المغربية، فحاولوا الاتصال ببعض الشخصيات الأوروبية وبالجمعيات المناهضة للاستعمار، وكذلك عبر البعثات العلمية إلى البلاد العربية بدايةً من سنة **1928**م، والعمل على الاتصال برجال الإصلاح والزعماء السياسيين لشرح معاناة المغاربة وإطلاعهم حول ممارسات الاحتلال الإسباني والفرنسي، وكانت مساعي الحاج عبد السلام بنونة في أوروبا وربط اتصاله بعصبة مقاومة الاستعمار، ثم سفره إلى باريس سنة **1929**م ليجد قبل هذا التاريخ مجموعة من الطلبة المغاربة هناك خاصة عبر جمعية طلبة شمال إفريقيا، والتي

---

[1] **المنطقة الخليفية** : هي منطقة الحماية الإسبانية، تشمل شمال المغرب والسلسة الجبلية في الريف، والساحل المطل على البحر الأبيض المتوسط وبعض المناطق الجنوبية (طرفاية، إيفيني، الساقية الحمراء، وادي الذهب، وعاصمة المنطقة الخليفية هي مدينة تطوان، إضافة إلى المدينتين التابعتين لحد الساعة للسيادة الاسبانية (سبتة ومليلة)، والجزر (الجعفرية، والحسيمة، ونكور، ليلى، اليوران) وشبه جزيرة بادس. الطيب لباز، مرجع سابق، ص9.

[2] تعود أصول علال الفاسي إلى العائلات العربية الأندلسية التي هاجرت إلى المغرب وسكنت بفاس، حيث ولد بها سنة 1910م ودرس القرآن بكتاتيبها ثم التحق بالمدرسة العربية الحرّة، ثم بالقرويين، حتى نال شهادة العالمية سنة 1932م، بدأ حياته المهنية بالتدريس، وبدأ نضاله السياسي وهو تلميذ، حيث ناضل لإصلاح التعليم، وناضل ضد تصرفات الإدارة الفرنسية، اعتقل لأول مرت سنة 1930م على إثر المظاهرات التي كانت ضد الظهير البربري، وأُفرج عنه بعد شهر، كان يلقي الدروس الليلية بالقرويين، حاولت الإدارة الفرنسية اعتقاله سنة 1933م، لكنه فرّ نحو اسبانيا ثم باريس ثم إلى سويسرا ليلتقي بأمير البيان شكيب أرسلان، بعد عودته إلى المغرب سنة 1934م عرضت عليه السلطة الفرنسية منصب وزير العدل في الجومة المغربية فرفض، مُنع من التدريس، ترأس كتلة العمل الوطني التي عقدت المؤتمرات والاجتماعات، ونظمت نفسها في خلايا وشكلت الوفود، وأصدرت المجلات، وفي 1937 نُفي إلى الغابون إلى غاية سنة 1946، عاد إلى طنجة ثم سافر إلى القاهرة ليعمل ن هناك ثم عاد بعد استقلال المغرب سنة 1956م، ألّف العديد من الكتب (النقد الذاتي، الحركات الاستقلالية....). عبد الكريم غلاب، **ملامح من شخصية علال الفاسي**، مطبعة الرسالة، د س ط، د ت ط، ص ص200- 214.

[3] عيسى حمري، "**علاقة الأمير شكيب أرسلان بالوطنيين المراكشيين**"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد13-14، ديسمبر 2016م، ص207.

جمعت ثلّة من كبار الوطنيين أبرزهم (محمد بن الحسن الوزاني، محمد الفاسي، الحاج أحمد بلافريج ...) بحيث كانت لهم علاقة وطيدة بالأمير شكيب أرسلان[1]، وكان تأثيره واضح جليّ على مسارهم السياسي[2].

وللإشارة فإنّنا لم نجد أية أدلة على وجود مراسلات أو لقاءات [3] بين الأمير وبطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي[4]، إلاّ أن أمير البيان قد اهتم بثورته وكتب عنها في عديد المواضع، وأشاد بجهود الثوري الخطابي سنحاول في هذا العنصر ترتيب ما بحوزتنا من مادة تاريخيّة حول هذا الموضوع.

1-3 الأمير شكيب أرسلان والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وثورته:

تذكر الأستاذة جولييت بسيس Juliette Bessis أنّ أمير البيان لم تكن له اهتمامات بالبلاد المغربية قبل سنة **1930**م و لم تكن له مواقف ثابتة حول حرب الريف [5]، في حين نجد أن الأمير أورد اسم عبد الكريم الخطابي في كتاباته سواء ضمن المقالات الصحفيّة أو مؤلفاته الكتابية، ولعلّ بيسيس لم تطّلع على ما دوّنه الأمير من مناشدة للحث على إعانة ثورة الريف أو إشادةً ببطلها، ففي مدونته فقط كان أمير البيان يتابع أخبار ثورة

---

(1) الطيب بنونة، مصدر سابق، ص ص11، 12.

(2) R. LE TOURNEAU , "**TENDANCES UNITAIRES DU MAGHREB JUSQU'EN 1962**", ÉTUDES SUR L'UNITÉ MAGHRÉBINE, Mars 1971 ,P4

(3) وقد ذكر الأمير أنه التقى موفدين من قبل محمد بن عبد الكريم في إنجلترا لأجل وساطتها في الصلح، فدارت بينهما الأحاديث، ونصحهما القول وأرشدهما فيما سيفعلانه عند لقاء لان انجلترا تعطف على اسبانيا على أهل الريف، وقد فعلا كما أشار عليهما كما ذكر أمير البيان، ودلّهما على أن يخاطبان المفوض الإنجليزي من منطلق القويّ والثابت في مواقفه، لذا بعد فترة غيّرت الصحف لهجتها، بعد أن كانت لا تتكلم عن الصلح صارت تتكلم عن عقم الحرب وعن الضرر الذي لحق بالإسبان وغيره من الكلام الذي يصب في تهدئة الوضع. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص199.

(4) **محمد بن عبد الكريم الخطابي(1888م –1963م)**: من أسرة عريقة في العلم والوطنية، عمل والده قاضياً بإقليم الريف الأوسط الذي يتمتع بامتيازات واسعة وحرية كبيرة منحت له من طرف المخزن، تخرج محمد عبد الكريم من جامع القرويين بفاس، التحق بعدها بمدينة مليلية المحتلة من قبل الإسبان، حيث عمل بجريدة تلغراف الريف، ثم مُدرساً للغة العربية، ثم قاضي قضاة المسلمين، اعتقل مع بداية الحرب العالمية الأولى، أطلق سراحه بعد نهايتها أي في سنة 1919م، تزّعم ثورة الريف سنة 1920م، حقق انتصارات كبيرة ضد الإسبان والفرنسيين معا أهمها معركة أنوال، استسلم بعد محاصرته من طرف الجيوش الفرنسية والاسبانية المتحالفة سنة 1926م، نُفي من طرف الفرنسيين إلى جزيرة لارينيون بالمحيط الهادي(مدغشقر)، وفي سنة 1947م هرب إلى مصر خلال مروره عبر قناة السويس، ثم أسس إلى جانب مجموعة من قادة الحركة الوطنية المغاربية لجنة تحرير المغرب العربي، توفي سنة 1963م. عبد الله كنون، **موسوعة مشاهير رجال المغرب، محمد بن عبد الكريم الخطابي** ، ص ص160-180(ألكترونيا). عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير المغرب في العلم والأدب والسايسة**، تق وترتيب د.محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010م، ج3، ص1562. عبد القادر خليفي، مرجع سابق، هامش ص82.

(5) Juliette Bessis, Chakib Arslan et les mouvements nationalistes au Maghreb, in Revue Historique, N°526, Avril- Juin 1978, p475.

الريف عن كثب، وسنحاول إدراج ما استطعنا إيجاده بين صفحات كتاباته في هذا العنصر حول ما خطّه قلمه فيما خصّ ثورة الرّيف وما قاله حول شخصية الأمير الخطابي.

ففي حاضر العالم الإسلامي خصّص الأمير شكيب مقالاً في حدود **23** صفحة كاملةً لبطل الريف تحت عنوان: "الأمير محمد بن عبد الكريم زعيم الريف"، حيث بدأ بوصفه بأحسن الأوصاف قائلاً:"...لا نبالغ إذا قلنا أنّ الأمير محمد بن عبد الكريم، متولّى كبر الثورة على الاسبانيول في شمال سلطنة المغرب، هو في التوّة الحاضرة، بطل الإسلام، وأسده الضرغام، والعلم المفرد الذي سار بذكره القاصي والداني والخاص والعام....بل بطل العصر الحاضر بين جميع الأمم..."[1]، حيث كان للخطابي مقام مميّز لدى الأمير، ليس عن طريق الصداقة أو المخالطة، بل عبر الإعجاب والانبهار لانفراد الخطابي في طريقة جهاده والدفاع عن حمى العروبة والإسلام، وانعكاس ذلك على جيوش دولتي إسبانيا وفرنسا، رغم فشل الثورة.

وبعد ذكر عدد كبير من الشخصيات العالمية المعروفة بأعمالها وبطولاتها أمثال "المارشال فوش" قائد جيوش الحلفاء، والمارشال هندبورغ، ومصطفى كمال، ولينين، أشار الأمير إلى عبقرية الخطّابي الذي حقّق رغم قلة وسائله ما لم يحققه أفضل القادة في العالم عبر التاريخ، حيث لاحظ الأمير أنّه بالقياس بين ما يملك الخطابي مقارنة بما تملك إسبانيا هو بمثابة واحد إلى أربعين في العدد، وأقل من ذلك بكثير في العتاد، حيث قهر جيشاً نظامياً عصرياً تعداده **175** ألفاً بعتاد عصري لا يقل قوّة عن الجيوش الأوروبية الأخرى[2].

وفي ذات السياق أشاد أمير البيان ببطل الريف في عديد المواضع، فحينما سُأل عن مصطفى كمال أتاتورك، ردّ بأنه بطل من الأبطال بلا نزاع، وله الفضل في إعادة بناء تركيا من العدم، لكن لا يرقى إلى بطولة محمد بن عبد الكريم الخطابي قائد الريف المغربي، ليُقارن بين ما كانا يملكان وما كانا يواجهان، فيذكر أن الخطابي استطاع سنة **1921**م استئصال **25** ألف جندي إسباني، وغنم من الوسائل الحربية ما لا يُمكن حصره، أمّا أتاتورك فكان يملك **200** ألف جندي وحارب الجيش اليوناني الذي لم يتعدّى **150** ألف، في حين دولة اليونان عدد سكانها خمسة ملايين، واسبانيا **40** مليون، أما الريف المغربي مناطق سيطرة الخطابي لا تتعدى **450** ألف، في حين تركيا وصل عدد سكانها **13** مليون نسمة[3].

---

(1) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص184.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص ص185، 186.

(3) الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج2، ص ص644، 645.

ويضيف الأمير أن هناك إعجاب كبير بأنقرة في الصحافة العربية، في حين لا يكاد أحد يذكر محمد بن عبد الكريم الخطابي إلاّ عرضاً[1]، ولا أحد يُرسل عن سؤاله، فلهذا يحتقر الأتراك العرب كما قال، ثمّ يُذكّر أنّ هناك مقالاً له سيصدر حول الخطابي، للإشادة به، ثم تنقل هذه المقالة إلى جرائد أخرى، ثمّ دعا الأمير السيد رشيد رضا بأن يكتب للخطابي مقالةً طنّانة كما ذكر، لأن أعمال أتاتورك ضد اليونان ألهت الجرائد العربية وبالأخص المصرية الكتابة عن الخطابي [2]، وقد أصدر الأمير فعلاً مقالاً في "جريدة الشورى" في **02** جويلية **1925**م، أثنى من خلالها على جهود الخطابي وعاتب فيها على العرب وولعهم بالترك، وتركهم للمغاربة في شأنهم مع الإسبان والفرنسيين، حيث عُنون المقال :"عبد الكريمكم أيّها العرب ! (لكاتب عربي كبير ينمّ عليه قلمه)"، وذُيّل المقال باسم (عربي متألّم)[3].

وخِلافاً لما قالته جولييت بسيس فإنّ شكيب أرسلان أورد اسم محمد بن عبد الكريم الخطابي في كثير من المواضع للشّهرة الواسعة التي امتلكها هذا الأخير في مناهضة الاستعمار الأوروبي سواء الفرنسي أو الإسباني في الريف المغربي، وكان يصفه في مدونته ببطل الريف، وقد أخذ مؤلفه مدونة العالم العربي ووقائعه الحظ الأوفر في ذكر أهم تفاصيل أحداث ثورته ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي، إلى جانب عدة مؤلفات أخرى، على غرار كتاب "حاضر العالم الإسلامي" الذي حاول من خلاله مقال له كما ذكرنا سلفاً التعريف بشخصية بطل الريف، فيقول الأمير عند كتباته تلك الأسطر أنّه لا يعرف من نسبه شيئاً، إلاّ ما كُتب في "الشورى" من قبل أحد الفلسطينيين، ثمّ خلاصة أخذها من عند أحد رجال فاس الأشراف، والملقب بأحمد بن محمد الثمثان، وله علاقة ببلاد الريف، فنقل الأمير من حديثه تلك المعلومات المسجلة في مقاله[4].

---

(1) ويضيف في تعليقاته حول كتاب حاضر العالم الإسلامي، أن العالم الإسلامي تخلّى بأجمعه عن الريف، و لم يفكّر في مساعدته بشيء، لعدة أسباب، منها انصراف الأقطار الإسلامية المستقلة بهمومها، مثل تركيا وإيران، والحجاز، واليمن، وأفغانستان، والسبب الثاني الأزمة الاقتصادية التي خلفتها الحرب العالمية الأولى، والثالث اعتقاد الكثيرين بأن الاتحاد يجعل الأوروبيين يتحدون ضدهم ولا يسمحون باستقلال البلدان الأخرى، أما السبب الرابع فيرى الأمير أنّ الكثير من المسلمين لاسيما المفكرين لديهم قناعة بأن انتصارات الريفيين مؤقتة وأن كل مقاومة إسلاميّة للأوروبيين هي حركة المذبوح تحت السكّين، فعمّهم التشاؤم. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص192.

(2) هذه الأسطر ضمن رسالة لأمير البيان شكيب أرسلان بعث بها إلى السيد رشيد رضا من لوزان بتاريخ 09 سبتمبر 1923م، وذكر بين سطورها مسألة الإشادة بأعمال الخطابي. الشرباصي، المرجع نفسه، ص645.

(3) عربي متألم (شكيب أرسلان)، "**عبد الكريمكم أيّها العرب ! (لكاتب عربي كبير ينمّ عليه قلمه)**"، جريدة الشورى، العدد37، 02 جويلية 1925م، ص 1. من الموقع الإلكتروني للجريدة، الرابط : https://eltaher.org/publications/newspapers/pdfs/ashoura/Ashoura_1925-07-02.pdf تاريخ الزيارة : 2022/11/12، 17:15.

(4) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص195.

حيث كتب شكيب أرسلان أول خبر عن الأمير عبد الكريم الخطابي في مدونته فيما تعلق بانعقاد المؤتمر الخاص بالقبائل المغربية سنة **1921**م الذي عقده الخطابي في المغرب، حيث طلب من المغاربة الإتّحاد والعمل على تأسيس مجلس عام يكون المرجع الرئيس للمغاربة، وقد تشكّل هذا المجلس باسم :"الجمعية الوطنية"، أساسها جماعات القبائل، والأهليّين والمشايخ والقوّاد، وأقرّت هذه الجمعية الميثاق القومي [1] ليكون المثل الأعلى للشعب يجاهدون من أجله ويموتون في سبيله[2].

ويضيف أنّه في السنّة نفسها أي سنة **1921**م وضعت الجمعية الوطنية المغربية دستوراً للبلاد يجعل السلطتين التشريعية والتنفيذية في يد الجمعية، ورئيس الجمعية هو رئيس الجمهورية، وأوجب على كل شيخ وزعيم وقائد من أعضاء الجمعية تنفيذ قرارات الجمعية التي تصدرها، بقاعدة أن الجمعية تستمد سلطتها من الشعب[3].

ثمّ أورد خبر تعيين الأمير عبد الكريم الخطابي في **18** سبتمبر **1921**م على رأس الحكومة الدستورية التي أُسّست من طرف الجمعية الوطنية والتي أعلنت استقلال الوطن المغربي، وسبب اختياره كونه قائد الحرب التحريرية[4]، ثم تحدّث عن قضية أسرى الإسبان، فكتب أنّه تمّ الإفراج عن الأسرى الإسبان الذين اعتُقلوا بعد معركة أنوال الشهيرة[5] سنة **1921**م، مقابل دفع فدية قُدّرت بمائة وستّون ألف (**160000**) جنيه إسترليني،

---

[1] أهم بنود هذا الميثاق :

- عدم الاعتراف بأي معاهدة تمسّ حقوق البلاد المغربية وبخاصة معاهدة 1912م
- جلاء القوات الاسبانية عن المنطقة الريفية
- الاعتراف باستقلال التام للجمهورية الريفية
- أن تدفع اسبانيا تعويضاً للريفيين عن الخسائر التي لحقت بهم
- إنشاء علاقات ودية مع كلفة الدول دون تمييز وعقد محالفات تجارية معها، أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص128.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص127.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص128.

[4] أرسلان، المصدر نفسه، ص ص 132، 133.

[5] **معركة أنوال** حدثت هذه المعركة في 21 جوان 1921م، فبعد تحرير الريفيين (300 جندي) منطقة أبران وغنيمة كل الأسلحة، توالت المساعدات وتوافدت القبائل الريفيّة، طلباً للتأييد، ثم انضم المجندين في الجيش الاسباني إلى جيش الخطابي الذي ناهز 3000 مقاتل، ثم بادرت هذه القوات إلى حصار المركز العسكري الاسباني بأغريبا، وبعد سقوطه وصلت الإمدادات الاسبانية التي وصل عددها 22 ألف جندي إلى مركز أنوال، ورغم استدام الإسبان لكلّ أنواع الأسلحة وحتّى الطائرات إلاّ أنّهم تكبدوا سائر هائلة، وفرّ حوالي 1500 جندي إلى مليليّة بقيادة الجنرال نافارو، أما الجنرال سلفستري فقد انتحر، واستطاع الخطابي ملاحقة فلول الجيش الاسباني واستعادة جميع المراكز والثكنات التي بلغ عددها 196 مركزاً، و لم يبقى تحت سيطرتهم إلاّ مدينة مليليّة التي حوصرت من طرف الريفيّين، وكان باستطاعة الخطابي تحريرها إلاّ أنّه رفض لعدة اعتبارات

أُعطيت للقائد عبد الكريم الخطّابي، وكان ذلك بتاريخ **29** جانفي **1923**م؛ وفي **15** جويلية عرضت الحكومة الإسبانية على القائد الريفي عبد الكريم الخطّابي نوعاً من الاستقلال في حكم منطقة الريف لكن تحت الحماية الإسبانية، وقد ردّ الأمير على السلطات الإسبانية طلبها بالرفض في **24** جويلية، و لم يعترف إطلاقاً بالحماية الإسبانية على المغرب[1].

وتجدر الإشارة إلى ما أورده الأمير شكيب حول قضية الحثّ على مساعدة القائد عبد الكريم ضمن رسالة إلى السيد رشيد رضا عبر مجلته "المنار"، ثمّ في ردّ السيّد عليه في رسالة بتاريخ **19** سبتمبر **1923**م، يذكر رشيد رضا :"...وأمّا مسألة البطل العربي الكريم محمد بن عبد الكريم، فإنني حريص على كتابة شيء يرضيني ونفسي تُطالبني بهذا منذ سنتين، وألحت عليّ في هذه الأيام لتجدّد جهاده والحاجة إلى الحث على إعانته ولكن ما أعلمه في المسألة قليل ووقتي أضيق من سمّ الخياط..." [2]، فكان الأمير يعتبر "المنار" منارة الإسلام في المغرب والمشرق، فكل كتاباته في المجلات الأخرى لا تساوي شيئاً أمام ما يكتبه القلم المميز السيد رشيد رضا وخاصّة أنّ الأمير لم يصدر مجلته "لا ناسيون آراب" بعد، وقد اعترف رشيد رضا بمدى اهتمام الأمير شكيب من خلال إصراره المتواصل وإلحاحه المستمر لتجديد الجهاد والحثّ على مساعدته.

ثم يذكر الأمير في مدونته دائماً أنّه بعد قيام الجيش الإسباني بقصف قرى القبائل المحيطة بمدينة تطوان في جوان **1924**م بالقذائف الحارقة عبر طيرانها العسكري، حيث ألقت طائراتها أكثر من **600** قذيفة أحرقت معظم تلك المناطق المستهدفة[3].

وفي المقابل قيام قائد الريف عبد الكريم الخطابي في **23** جويلية **1924**م بعبوره مع قواته حدود المناطق التي تسيطر عليها فرنسا في المغرب والهجوم على قبيلة حوارة(هوّارة) الموالية للفرنسيين، وفي السادس والعشرين من جويلية هاجمت قوات الخطابي مراكز تجمع الجيوش الإسبانية، فألحقت بها خسائر فادحة في العدّة

انسانية ودولية، في حين عبّر عن ندمه بعد ذلك، أمّا عن نتائج هذه المعركة فقد عددت اسبانيا خسائرها بنفسها (19 ألف قتيل، 4300 جريح، 570 أسير)، أما خسائر الثوار فهي (500قتيل، 600جريح)، وقد صرّح الجنرال الإسباني بيرنجر أنّ هذه تُعدّ أكبر هزيمة في تاريخ اسبانيا. محمد علي داهش، **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار، محمد بن عبد الكريم الخطابي** ، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، 2002م، ص ص107- 110.

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص141، 145.

[2] أرسلان، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنةً**، ص341.

[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص152

والعتاد[1]، حيث كان الأمير يتتبع بطولات بطل الريف عن كثب ليدوّنها ويهتم لأمرها ويوردها في رسائله ومقالاته، وقد ندّد أمير البيان واستنكر مواقف بعض القبائل التي ساندت الفرنسيين والإسبان ضد بطل الريف الخطابي بغرض التزلف وابتغاء المكانة لديهم[2]، في حين يذكر الأمير على لسان الكابتن سبنسر برايز من خلال مقال عبر جريدة "مانشستر غارديان"، أن قبائل منطقة الريف رغم الخلاف الذي كان متأصّلاً فيها، تمكّن الخطابي من توحيدها وجمع شتاتها، وضمّ أطرافها، فصارت كتلةً واحدة، تأتمر بأمره وتُحارب إلى جنبه[3].

وتحت الضغط المغربي المتزايد على القوات الإسبانية قامت هذه الأخيرة بالتخلّي عن بعض المراكز العسكرية لقوات الخطابي، وفي **19** سبتمبر **1924**م أرسلت السلطات الاسبانية في المغرب أربعة آلاف جندي إسباني من تطوان قصد فتح الطريق نحو مدينة ششوان(شفشاون) ورفع الحصار عنها، وطرد قوات الخطابي، وقد تمكنت من ذلك بتاريخ **29** سبتمبر في السنة نفسها، فحالة الضعف التي أصابت الساسة الإسبان في المغرب جعلت المفوّض السّامي الاسباني في المغرب الجنرال أزيفاوا يقدم استقالته بشكل مفاجئ، ثم خلفه المركيز دي أستيلا بتاريخ **15** أكتوبر **1924**م[4].

وقد أورد شكيب أرسلان معلومات حول الإشادة بأعمال الخطابي الجهادية في مراكش ومناطق الريف من قبل العمّال المشاركين في المؤتمر المغاربي [5] المنعقد في ديسمبر **1924**م[6]، وفي موضع آخر وبالضبط في كتابه الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ الثعالبي، كتب الأمير عن القائد الخطابي واصفاً لثورته عند لقائه بالشيخ

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص152، 153.

(2) شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم**، مراجعة الشيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط 2، د ت ن، ص59. محمد مكّي، **"علاقة الأمير شكيب أرسلان بتالمنطقة الخليفيّة في شمال المغرب الأقصى"**، مجلة مدارات تاريخيّة، المجلد الثالث، العدد 02، جوان 2021م، ص141.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص188.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص155.

(5) أورد أمير البيان معلومات كثيرة حول العمل النقابي وبداية النشاط السياسي للمغاربة في فرنسا، على غرار المؤتمر المغاربي الذي انعقد بباريس بتاريخ 7 ديسمبر 1924م، اجتمع المؤتمرون لمناقشة شؤون الشمال الإفريقي السياسية والاقتصادية وحتى النقابية، فطالبوا بحرية الصحافة والدعاية لقضايا المغرب العربي، وقد ختم أعماله بإرسال برقية إلى الشعب المراكشي وأخرى للمصريين والتونسيين، تضمنت مايلي :" إن العمال المغاربة لمعامل الناحية الباريسية المجتمعين بمؤتمرهم الأول في هذا اليوم التاريخي، يهنئون إخوانهم المراكشيين وزعيمهم البطل عبد الكريم (الخطابي)، بانتصارهم على الاستعمار الاسباني، ويصرحون بتضامنهم معهم في كل ما من شأنه أن يحرر بلادهم، ويشاركونهم في الهتاف باستقلال الشعوب المضطهدة وسقوط الاستعمار العالمي والاستعمار الفرنسي" أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص158.

(6) أرسلان، **المصدر نفسه**.

الكتاني[1] بجنيف ومشيداً لها قائلاً :"... أكُنت أنت تظنّ يا حضرة السيّد (الكتاني) [2] أنّ عبد الكريم وهو رجل غير معروف من بني ورياغل يقاوم فرنسا وإسبانيا معاً مدّة سنة، بعد أن يكون هزم إسبانيا مدّة سنوات....فلا حيلة لفرنسا، ولا لغيرها بمنع نهضة المسلمين..." [3]، حيث أراد الأمير إرسال عدة رسائل إلى الأم الحنون فرنسا عبر الكتاني خاصة مع بداية إرهاصات حرب عالمية أخرى، في ظل استرجاع ألمانيا لمكانتها الدولية وقوتها العسكرية والاقتصادية.

ثم يذكر شكيب أرسلان كيف ساهمت الهجمات المتتالية للخطابي وقواته في انسحاب القوات الإسبانية في المغرب نحو المراكز العسكرية المتواجدة عبر الساحل المغربي بتاريخ **12** ديسمبر **1924**م؛ وفي مطلع سنة **1925**م وجّهت أعمالها الحربية نحو مدينة طنجة، حيث قصفتها السفن العسكرية بالقنابل والطائرات، وفي المقابل استطاع الخطابي إلقاء القبض على الرّسولي [4] بتاريخ **25** جانفي **1925**م[5]، هذه الانتصارات جعلت جعلت الناس تراه أحق النّاس بلقب "بطل الإسلام"، فنشرت أخباره الجرائد في الشرق بإعجاب، والصحف الأوروبية بعجب العجاب، أما الجرائد الفرنسية فقد نشرت أخباره بالتشاؤم والارتياب، أمّا الأتراك الطّورانيين فكتبوا عن ذلك بغيْرة وزعموا أنّه بربري غير عربي كما عبّر عن ذلكم الأمير[6].

وفي **30**مارس **1925**م كتب الأمير أنّ القوات الإسبانية استطاعت إعادة السيطرة على الدار البيضاء وإبعاد القوات المغربية الثائرة ، أمّا قوات الخطابي فقد بدأت بهجماتها على القوّات الفرنسية في المنطقة المحتلة

---

[1] عبد الحيّ الكتاني (1888م- 1962م): رحّالة مغربي وعالم حديث، ابن مدينة فاس المغربية، نشأ على غير الولاء للأسرة العلوية، اعتقل سنة 1909م، وعند فرض الحماية الفرنسية على المغرب أصبح موالياً لها، كانت له علاقات واسعة مع الفقهاء والمحدثين في مصر والحجاز والشام والجزائر وتونس، ضُمّت مكتبته الضخمة إلى خزانة الكتب العامة بالرباط بعد الاستقلال، جاهر بالبيعة لابن عرفة المدعم من طرف الفرنسيين بعد نفي الملك محمد الخامس من بلاده وإزاحته عن عرشه، وعند استقلال المغرب انتقل الكتاني إلى باريس، ومكث هناك إلى أن تُوفّي. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، هامش ص31.

[2] يقول أمير البيان أن أوّل معرفته به كان في المدينة المنوّرة ثمّ التقى به في جنيف مع مجموعة من المغاربة بعدما قصدوا مكتب الأمم المتحدة، ويذكر الأمير عن الكتاني أنّه كان عالما محدّثا وكان زميلاً وعضواً في المجمع العلمي العربي، وقد سأله عن مداراته للفرنسيين وإن كان سيقف إلى جانب الفرنسيين في مسألة الظهير البربري، فردّ الكتاني أنه لن يدافع عنهم، ولن يقول كلمةً ضد الدين الإسلامي. أرسلان، المصدر نفسه، ص35.

[3] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والثعالبي**، ص38.

[4] يذكر أمير البيان عن أحد رجال فاس الأشراف أن الرسولي يعود نسبه إلى السيد عبد السلام بن مشيش، الولي الكبير أحد شيوخ الطريقة الشاذلية، وله مقام بجل العلم، بجوار غمارة والخماس ووادرس، وهي قبائل ذات عدة وعدد، كان الرسولي يمنحها المال الإسباني مقابل سكوتها. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص197.

[5] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص158، 160.

[6] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص194.

فرنسيًّا بتاريخ **13** أفريل **1925**م، ثم ردّ الفرنسيون بقرار تعزيز مواقعهم في المغرب بزيادة أعداد قواتهم هناك بتاريخ **25** أفريل من السنة نفسها، وتجدر الإشارة إلى أنه قد تم صدّ أحد أهم الهجمات المغربية الممثلة في قوات عبد الكريم الخطابي على مراكز تواجد القوات الفرنسية في جبل أبرام من قبل الجيش الفرنسي بتاريخ **25** ماي **1925**م[1].

وفي الوقت الذي كانت الجيوش الفرنسية تعزز مواقعها العسكرية وبالأخص الإستراتيجية، كانت القوات الإسبانية تمطر قذائفها على المدنيين العزل في عديد القرى على غرار قبيلة بياتا؛ وفي الثامن من جوان من سنة **1925**م تمكّنت قوات قائد الريف عبد الكريم الخطابي من السيطرة على الحامية الفرنسية المتواجدة في منطقة صقر[2]، ويشير أمير البيان إلى نقطة جدّ هامّة حول تخوّف الدول الاستعمارية من انتقال عدوى ثورة الريف إلى مستعمراتهم، بعد تحقيق الخطابي لعديد الانتصارات، حيث قال:"...والحاصل أن المستعمرات هي سلسلة آخذ بعضها برقاب بعض، فلا تجد قُطراً تحت استعمار أمّة أوروبية قامت فيه ثورة، إلاّ وضعت جميع الدول الاستعمارية أيديها على قلوبها الواجفة..."[3].

وقد صرّح القائد الريفي عبد الكريم الخطابي في **18** جوان **1925**م أنّ اللاّئمة تقع في هذه الحرب الجارية في الأراضي المغربية على الاحتلال الفرنسي [4]، وتجدر الإشارة إلى ما ذكره الأمير شكيب في رسالته إلى السيد محمد علي الطاهر بتاريخ جويلية **1925**م، والتي ذكر فيها أنّه أرسل مقالاً لمجلة "كوكب الشرق" لفضح أعمال الفرنسيين في المغرب لاستخدامهم للغازات السامّة في مناطق الريف بعد عجزها على السيطرة العسكرية بالطريقة التقليديّة[5].

حيث حثّ الأمير محمد علي الطاهر على نقل ذلك المقال من مجلة الكوكب ونشره في صحف أخرى، ثم يقوم عدد من الصحفيّين بإرسال برقيّات الاحتجاج على هذا العمل الفرنسي الشنيع إلى جمعية الأمم عند انعقادها في سبتمبر، ثم يطلب منه الأمير إبلاغ ذلك إلى السيّد رشيد رضا، وأمين الرافعي بك، وحافظ بك

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص161، 162.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص163.

(3) أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص189.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص163.

(5) أرسلان، **رسائل علمية وأدبية**، ص ص48، 49.

عوض، والدكتور إسماعيل صدقي والمازني.... [1]، حيث أراد الأمير فضح الفرنسيين من جهة وبناء جبهة إعلامية تتكون من أبرز أقلام الشرق والتي تكتب في كبريات الصحف العربية، مع بعث رسالة احتجاج إلى الأمم المتحدة فترة انعقاد مؤتمرها.

وقد كتبت الشورى في عددها **38** مقالاً حول المسألة المغربية تحت عنوان"بشأن الريف، جواب من أحد أعضاء جمعية الأمم، إلى الأمير الأرسلاني"، حيث أجاب ذلكم الموظف بعدم استطاعتهم عمل شيء، وحرصاً منه بعث الأمير شكيب بمساءلة لجمعية الأمم حول قضية الريف المغربي بتاريخ **12** جوان **1925**م، نُشر الجواب في هذا العدد، فرغم علمه أنّه لن تكون هناك نتائج فورية، إلاّ أنّه أرد إحراج الفرنسيين الذين أقرّوا أنهم يريدون المحادثات مع الخطابي رغم افتراءاتهم كما ذكر الأمير، لأنّهم يتوجّسون من فقدانهم شمال إفريقيا كلّها وليس الريف فقط، فصارت المسألة لدى فرنسا مسألة حياة أو موت[2].

والمعروف أنّ الفرنسيين اشتهروا بعنادهم، حيث أعلنت الحكومة الفرنسية أنها لن تمنح الاستقلال لمنطقة الريف المغربية وكان ذلك في **14** أوت **1925**م، وفي الثامن عشر من الشهر نفسه عيّنت السلطة الفرنسية المارشال هنري بيتان قائداً عامًّا للقوات الفرنسية في المغرب وبدأ مهامه بعد أيام عدة من تعيينه[3].

و يذكر الأمير أنه في السابع من سبتمبر **1925**م، فشلت القوّات الإسبانية في قيامها بعملية الإنزال البحري على الساحل المغربي في منطقة الرّيف وبالضبط في مرفأ الحسيمة، لكن بمساعدة الفرنسيين نجح الاثنان هذه المرّة في إنزال اثني عشر ألف(**12000**) جندي على بعد **5** أميال من تمركز قائد منطقة الريف عبد الكريم الخطابي، وفي السادس عشر من شهر سبتمبر **1925**م تمكّنت القوات الفرنسية من طرد كتائب الخطابي من منطقة بيبان مصيف؛ أمّا القوات الإسبانية فقد استطاعت السيطرة على أهم موقع يشرف على المقر الرئيسي للقائد الخطابي بعد انسحاب قوات الريف منه جرّاء القصف واشتعال النار فيه، في حين كانت قوات الخطابي تقصف مراكز الاحتلال في مدينة تطوان[4].

---

[1] أرسلان، **رسائل علمية وأدبية**، ص ص48، 49.

[2] (.....)،"**بشأن الريف، جواب من أحد أعضاء جمعية الأمم، إلى الأمير الأرسلاني**"، مجلة الشورى، العدد38، 16 جويلية 1925م، ص4.

[3] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص165.

[4] أرسلان، المصدر نفسه، ص ص166، 167.

وفي هذا الوقت بالذات قدّم المقيم العام الفرنسي في المغرب المارشال ليوتي استقالته، في حين قدّم رئيس مجلس الوزراء الفرنسي بول بنليف شروط السلام المقدّمة من طرف فرنسا إلى قائد الريف عبد الكريم الخطابي في الرابع أكتوبر من سنة **1925**م، وفي أواخر هذا الشهر كذلك تمكّنت القوات الفرنسية بقيادة المارشال هنري بيتان من احتلال أبرز معاقل الخطابي من حيث الأهمية الإستراتيجية، حيث يتواجد هذا المركز على نهر الأوارغا[1].

فالقتال الدائر في المغرب ترتّب عنه إجراءات إسبانية على مستوى القيادة هناك، حيث قامت الحكومة الإسبانية بتعيين الجنرال سان جورجو قائداً للقوات الإسبانية المحتلة للمغرب خلفاً للمركيز دي أستيلاّ، وفي المقابل منحت الحكومة وسام شرف كارلوس الثالث للسيد مولاي حسن مهدي في التاسع من نوفمبر **1925**م، وعيّنته خليفة على المنطقة المغربية التي تحت السيطرة الإسبانية[2].

وفي الأول من شهر أفريل من سنة **1926**م أرسل الخطّابي ممثلا له إلى الرباط وهو القاضي هادي لكحل للتفاوض مع السلطات الفرنسية وإيقاف الحرب، وفي التاسع عشر من الشهر نفسه عيّن عبد الكريم الخطابي سيدي الأرزقان مندوباً له للتفاوض مع السيد سيمون رئيس بعثة السلام الفرنسية في المغرب، وقد أعلم قائد الريف الخطابي وفده المفاوض أن لا سلام دون استقلال[3].

وفي السادس والعشرين من ماي **1926**م استسلم القائد عبد الكريم الخطابي للقوات الفرنسية بلا قيد أو شرط، وفي الثلاثين من الشهر نفسه صرّح ممثل الحكومة الفرنسية في المغرب أن مصير بطل الريف عبد الكريم الخطابي سيُنظر في ملفّه سلطان المغرب مولاي يوسف [4]، ليُظهر للرأي العام المغربي والعالمي أن الأمر شأن داخلي، وأن للسلطان المغربي سلطة وقرارات مستقلة عن سلطة الاحتلال، في حين أن كل قراراته هي إملاءات فرنسية لا غير، حتى الإسبان لا يقرّرون في أمرٍ إلاّ باستشارة السيدّة المحترمة فرنسا.

وفي الشأن نفسه كتب أمير البيان مُعلقاً على اعتماد الفرنسيين على الجنود المغاربة وكيف لفرنسا أن تجعل من السلطان مولاي يوسف الملك الشرعي للمغرب، في حين أن القاصي والداني ومن في فرنسا وفي

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص167، 168،

(2) أرسلان، المصدر نفسه ، ص168.

(3) المصدر نفسه، ص173.

(4) المصدر نفسه، ص175.

المغرب يعلمون أن مولاي يوسف لا يملك من الحكم في المغرب شيئًا، وأنّه لا يوجد مستقلٌ في المغرب إلاّ القبائل الثائرة على الإسبان والفرنسيين، وأنّ فرنسا تجاهر بتحريض الإسبان على عدم قبول الصلح حتى يعترف محمد بن عبد الكريم الخطابي بطاعة السلطان مولاي يوسف، ويضيف الأمير أنّ الفضل في احترام السلطان يعود إلى الخطابي، وحين يزول خطر الخطابي يعود الذل الفرنسي على رقاب السلطان ووزرائه وحاشيته[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّه بعد استسلام القائد عبد الكريم الخطابي، قام مسلحو قبيلة جبالة بقيادة زعيمها ولدفار باحتلال منطقة شفشاون في التاسع جوان **1926**م، وقتلوا عددًا كبيرًا من مؤيّدي الخطابي [2]، والظاهر أن هؤلاء كانوا من مؤيّدي الاحتلال الإسباني والفرنسي انتقموا لأعمال الخطابي التي قام بها ضد الخونة وعملاء الاحتلال والتي كانت ضدهم طبعاً.

وفي الثالث من شهر جويلية من عام **1926**م قرّرت الحكومتان الفرنسية و الإسبانية نفي القائد الرّيفي عبد الكريم الخطابي نحو جزيرة مدغشقر، وقد وصل الزعيم المغربي إلى منفاه بتاريخ **16** أكتوبر **1926**م، في حين اتجه السلطان المغربي مولاي يوسف إلى باريس بغية المشاركة في الاحتفال الوطني الفرنسي [3]، إلى جانب جلادي شعبه ومحتلّي بلاده.

ومن تبعات استسلام القائد الخطابي، استسلام **2000** مقاتل مغربي إلى القوات الفرنسية بتاريخ **24** جويلية **1926**م، وعلى إثر ذلك أعلنت الحكومتان الإسبانية والفرنسية انتهاء التمرد في المغرب، وكان ذلك بتاريخ السادس من سبتمبر **1926**م، والفرنسيين بتاريخ **18** أكتوبر من السنة نفسه، وقد أعلنت السلطة الإسبانية في المغرب لاحقاً أنها صادرت كل ممتلكات قائد الريف [4]، وقد كتب أمير البيان في هذا الشأن :"...قالت فرنسا لإسبانيا : أفلوْ لم نتحّد معاً يداً واحدةً على ابن عبد الكريم، أكنّا خلصنا منه نحن الفريقين نحن وإيّاكم ؟ كلاّ إذاً نحن وإيّاكم تحت خطر الطرد من المغرب ما كنّا غير متألّبين يداً واحدةً على هؤلاء القوم..."[5].

---

[1] (ش)، **"العسكري المغربي يفيد فرنسا قاتلاً مقتولاً، لسعادة الكاتب العربي الكبير صاحب التوقيع"** ، مجلة الشورى، العدد 39، 23 جويلية1925م، ص1. والأرجح أن يكون كاتب المقال هو شكيب أرسلان.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص176.

[3] أرسلان، المصدر نفسه، ص177.

[4] أرسلان، المصدر نفسه، ص178.

[5] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص29.

وبقي الاحتلال في المغرب يلاحق رموز مقاومة الريف وقادتها، حيث قتل الجيش الاسباني أحمد أخريرو أحد المقرّبين من الخطابي، ودُفن في جبل العلم [1]؛ واستخلاصاً لما سبق نجد أنّه لأمير البيان جهودًا حثيثة حول نقل الأخبار الصحيحة للرأي العام العالمي والعربي خاصّة، وبذل ما بوسعه لتصل إلى أهل الريف بعض الإعانات العينيّة، وفي ذات السياق ذكرت مجلة "الفتح" عبر صاحبها محب الدين الخطيب في إحدى مقالاتها المعنون ب"أمير الجهاد يتبرع لمكتب الاستعلامات الإسلامي"، أن أمير البيان منح للجنة إعانة الريف شيئاً من التبرع من حرّ ماله[2] كعادته في منح العطايا لكل هيئة أو لجنة تخدم الصالح العام.

وفي مقال لأمير البيان صدر عن جريدة الفتح في العدد **236** السنة الخامسة بتاريخ **29** جانفي من سنة **1931**م والذي كان ضمن عدد لا بأس به من المقالات التي طُبعت في كتاب :"الإسلام والحضارات" لأمير البيان بعنوان :" الحملة اللاتينية على الإسلام"، تحدّث الأمير عن الأوروبيين وخلفيتهم المسيحية التي تظهر للعيان بمجرد بروز قوة إسلامية ناشئة تناهض وجودهم، فتبرز صليبيتهم، وأعطى مثالاً على ذلك، وهي ثورة المغاربة في الريف بقيادة محمد عبد الكريم الخطابي، حيث تضافرت القوتين الفرنسية والإسبانية تاركةً وراءها كل الاختلافات والأحقاد، فأرسلتا مئات الآلاف من الجنود حتى اضطر الخطابي إلى الاستسلام، ولو لم يستسلم لالتحقت إنجلترا بجيشها إلى صفّهما نُصرةً للمسيحية، وكذلك إيطاليا، ودُولٌ أوروبية أخرى، كما ذكر الأمير ويضيف أنّ الذي لم يقدّم مساعدات عينية منحها بصحافته وبلسانه، وهدفهم واحد وهو محاربة الإسلام بكل السبل[3].

وأفضل ما قاله الأمير عن بطل الريف مذلّ الإسبان في معارك السيف:"...والحقيقة أنّ أعظم رجل خدم الإسلام بالقلم في هذا العصر هو رشيد رضا، وأنّ أعظم مجاهد جاهد بالسيف وقاوم مقاومة فائقة للمعقول برغم قلّة وسائله هو عبد الكريم الخطابي..." [4]، ويضيف الأمير عند نقله للحوار الذي دار بين الضابط الفرنسي والخطّابي، أن ابن عبد الكريم "...لا يخفى عليه من تحفزها لصده وتوجّسها خيفة مجده(فرنسا)، فهو

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص179.

[2] محب الدين الخطيب، "**أمير الجهاد يتبرع لمكتب الاستعلامات الإسلامي**"، مجلة الفتح، العدد148، 16 ماي 1929م، السنة الثالثة، ص6.

[3] أرسلان، **الإسلام والحضارات**، ص ص 28، 29.

[4] الشرباصي، **أمير البيان شكيب أرسلان**، ج2، ص837.

يحاول أن يسكن روعها بالتودّد، ويخدّر أعصابها بالقول الليّن، وكلّ هذا يدلّ على عبقريته في إدارة السلم كعبقريته في إدارة الحرب..."[1].

2 3 علاقة أمير البيان برموز المنطقة الخليفية(عبد السلام بنونة، عبد الخالق الطريس، محمد داود):

رغم أن البعض من الدارسين في حقل الحركة الوطنية المغربية يذكرون أن أمير البيان لم يهتم لأمر المغرب إلا بعد سنة **1930**م، إلاّ أن الأمير ربط صلاته برجال الحركة الوطنية قبل ذلك بسنوات، واهتم بالشأن المغربي سواء عبر كتاباته حول حرب الريف أو حول سياسات فرنسا وإسبانيا التسلطية في المغرب، أمّا عن علاقاته الخاصة برجال المنطقة الخليفيّة سنحاول عبر هذا العنصر تقصّي حيثيّاتها عبر كل علاقة أقامها على حدة، بدايةً بالصلة التي أقامها الأمير مع زعيم الوطنيين الشيخ عبد السلام بنونة.

3-2-1 صلة أمير البيان شكيب أرسلان بالشيخ الحاج عبد السلام بنونة:

يذكر الطيب بنونة أن والده الحاج عبد السلام بنونة كان من المعجبين بأمير البيان شكيب أرسلان، بحيث كان يتتبع أخباره ويقرأ إنتاجه الفكري ويهتدي بهديه ودعوته العربية الإسلامية، وهذا النهج في حياته كان منذ نشأته، فقد كان جد متأثّر بالأفكار الإصلاحية الشرقية للأفغاني ومحمد عبده والكواكبي وغيرهم، فكان كثير الإطّلاع على كتاباتهم، فمكتبته ثريّة بمؤلفاتهم وعليها تعليقاته وإشارات الإعجاب، لذا يقول الطيّب بنونة أن إعجاب والده بالأمير كان قبل سنوات من زيارته إليهم[2].

وفي الشأن نفسه يخوض الطيب بنونة في من كان سبباً في ربط العلاقة بين الأمير ووالده الحاج عبد السلام كما أسلفنا ذكر ذلك، حيث أنه قبل الزيارة بعدّة أشهر جاء المدعو بالسائح العراقي إلى المغرب وهو السيد يونس بحري، وكان هذا الأخير السبب في ربط الصلات بين الأمير وبين الحاج عبد السلام بنونة، وكانت رسائله إلى الأمير عن المغرب وأهلها هي من رغبته لزيارتها والتعرف على سكانها، ويذكر الطيب بنونة من خلال رسالة والده أنّ أغلب الأحاديث بينهما كانت تتمحور حول شخصية شكيب أرسلان، ومكانته

---

[1] أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي**، المجلد2، الجزء3، ص204.

[2] الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص16

لدى قادة ورؤساء الدول، وقد أكّد له ذلك الأمير بعد وفاة الحاج بنونة في رسالة بعث بها سنة **1935**م عن بداية علاقته بوالده[1].

ومن الأمثلة التي يقرّ فيها السيد الحاج عبد السلام على إعجابه وتقديره للأمير من خلال أفكاره ونشاطه قبل أن يتعرف به، يذكر ابنه الطيب بنونة ما جاء في رسالة والده إليه بتاريخ الثامن ماي عام **1930**م "قرأت مقالة في (جريدة الفتح) عدد **195** تحت عنوان "الأزمة الحقيقية الحاضرة في الإسلام هي أزمة التعليم" بقلم أمير البيان شكيب أرسلان، أطربتني وأرقصتني كثّر الله من أمثاله في الأمة الإسلامية وبارك في حياته ونفعنا به بأفكاره الصائبة. -فلابد يا عزيزي-طالع المقالة المذكورة بتأمل وإمعان نظر وإنصاف فإنّك تجدها جديرة الكتابة بحروف الذهب..."[2].

ويصف الطيب بنونة علاقة الإعجاب لوالده الحاج عبد السلام بنونة بالأمير شكيب بالهيام لِما يصدر عن الأمير من آراء و ما ينشره من توجيهات للمسلمين كافة، وقد ذكرنا سابقاً كيف استبشر خيراً لّما وصله نبأ نية الأمير زيارة تطوان، وقد ذكر الأمير في إحدى رسائله إلى الطيب بنونة أن والده عند قراءة الجرائد الإسبانية ومعرفته بأنه في روندة وغرناطة توقّع زيارته إلى المغرب، فما إن وصله خبر وجوده في طنجة حتّى أرسل أخوه السيد الحاج محمد العربي إلى طنجة للتّرحيب به وأخبره أنّه سيأتي الحاج عبد السلام في ثاني يوم، وقد أقبل فعلاً، ويذكر الأمير في شخصه :"...فرأيت فيه بمجرد الاجتماع رجلاً ليس كالمعهودين ممن عرفتهم، وقد عرفت أُلوفاً من الرّجال في حياتي هذه..." وقد استرسل في مدحه وتقديره وذكر مكانته لديه[3].

وخلال الزيارة التاريخية لأمير البيان إلى مدينة تطوان مدينة الحاج عبد السلام بنونة، حيث استقبله ببيته وجلسا معاً وتذاكرا قضايا عديدة، وتبادلا الآراء، فتعارفا على بعضهما البعض عن قرب وبشكل أفضل، وقد قام الحاج بنونة بزيارة الأمير إلى مدينة جنيف لاحقاً، وكانت المراسلات بينهما لا تتوقف، كما سنورد ذلك.

ففي رسالة مؤرخة في **14** أكتوبر **1930**م أي بعد شهرين من الزيارة فقط، كتب الأمير إلى الحاج عبد السلام بنونة يخبره بأنّ كُتبه كلّها وصلت مع ملفوفاتها، ومن ضمن القضايا التي كتب عنها، قضية الطلبة المغاربة ودعمهم مادّياً قصد فضح الفرنسيين في مسألة التنصير، فيقول أنّه بالمال يحفظ المغاربة دينهم ودنياهم،

---

(1) الطيب بنونة، مصدر سابق، ص16.

(2) الطيب بنونة، المصدر نفسه، ص18.

(3) المصدر نفسه، ص ص18-20.

ولتحقيق ذلك يذكر الأمير أنه على المغاربة وعلى المسلمين أمرين، أوّلها الجمعيات، واللجان، والصحف والنشرات والشركات...، والأمر الثاني هو البذل والإنفاق على تلك التشكيلات، ثمّ يحثّ الحاج بنونة على جمع مبلغ من المال من أهل الحميّة في تطوان وباقي المدن الأخرى، وإرساله إلى الطّلبة مقابل توقيع أعضاء لجنتهم عند استلام المبلغ[1].

وجدير بالذكر أن نشير إلى ما قاله الأمير حول ردّة الفعل المغربية غير المرضية على إصدار الفرنسيين للظهير البربري، حيث كتب أن الظهير البربري الذي إذا لم يُصادم بالعنف من الآن كان مبدأ انحلال الإسلام بالمغرب كما انحلّ بالأندلس، وهذا تحريض واضح على الثورة إن كان مقصد الأمير العنف هو العمل المسلح، ثم يقترح أن تتّصل الهيئات المغربية بالأحزاب الفرنسية الحرّة الراديكالية والسوسياليست، والذين هم ضد التنصير، لأنه لا يخرب عمل الفرنسيين إلاّ الفرنسيون أنفسهم كما يرى أمير البيان ذلك[2].

ثم ينوّه عن الخنوع الإسلامي وضرورة التحرّك بالاحتجاج والصخب عبر الصحافة، وهذه فرصة مواتية لأن الاعتداء الاستعماري على الدين الإسلامي تمادى وطال أمده، والمسلمون في صمتٍ مطبق، لذا على المغاربة أن يدافعوا عن هذه الحركة ولوْ بالصّراخ وبالفضيحة والتجريس، ويُضيف أنّ الحركة في الجرائد العربية لا تفي بالغرض، بل يجب نقلها إلى الصحف الأوروبية، وهذا يتطلّب أموالاً لدعم الحركة عبر الطلبة، ثم يلتمس الأمير من الحاج بنونة إجابة طلب الطلبة المغاربة[3].

ثمّ تحدّث الأمير عن نص النّداء الذي أرسله إلى الحاج بنونة طالباً ترجمته إلى عدة لغات ونسْخ الآلاف من النّسخ وإرساله إلى مصر وإلى أوروبا وكل العالم، وإلى النواب والوزراء ورجال السياسة والصحافة في فرنسا إنجلترا وإيطاليا وألمانيا...، مع التّنويه على كتابة الاحتجاجات إلى الحكومات وإلى جمعية الأمم، وكتابة كتاب خاص بهذه المسألة تحت عنوان :"الحادث الأكبر في محاولة الفرنسيس تنصير البربر"، لتُجمع كلّ الأدلّة والدسائس الفرنسية للردّ على الأكاذيب الفرنسية[4].

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص243، 244.

(2) أرسلان، المصدر نفسه، ص244.

(3) المصدر نفسه، ص 244.

(4) المصدر نفسه، ص245.

ثم يشير إلى مقال ذي أهمية كبيرة نُشر في "جريدة النداء" البيروتية، كتبه الشاب بلافريج، والذي قال عنه الأمير أنّه أكثر شباب هذه الأمّة نجابةً، ثمّ يصرّح أنّه يحبّه وكذلك محمد الفاسي كما يحب ولده غالب، ويسترسل الأمير في ذكر بعض القضايا الأخرى كمقابلته للملك فيصل بمدينة نيس، وتوقعاته للحرب القادمة في أوروبا بعد عشرة سنوات أو **12** سنة، وللإشارة فإنّ الأمير أضاف اقتراحاً للحاج عبد السلام بنونة، مفاده المقاطعة الاقتصادية للبضائع الفرنسيّة، لأنّه لا توجد دولةٌ تهتم بالاقتصاد كدولة فرنسا، ولو نقص من صادراتها **20 %** في البلاد الإسلامية لحلّت بها الكارثة، ثم يتساءل هل يمكن للمسلمين تحقيق ذلك ؟ ولو تحققّ ذلك فهو أنجع حلّ، لذا ينوّه إلى أهمية الحرب الاقتصادية لكنها تتطلب دعاية كبرى[1].

ويختم الأمير رسالته بالتذكير أنّه يريد أعمالاً لا أقوالاً، وأنّه مادام هناك ظهير مشؤوم لم يُلغى، ومادام رجال الكنيسة في الأراضي البربرية يجوبونها بكل حريّة، وما دامت في البلاد شريعتان، فمشاريع فرنسا كما هي، وهي تقوم بذرّ الرماد في العيون بتسكين الأمور بكثرة الكلام لا غير [2]، فكانت كلمات أمير البيان تحرّك المشاعر وتوقظ الهمم، وتُلزم أصدقاءه بالعمل والاجتهاد، والاستمرارية التي يحبذها الأمير من خلال نَفَسِه الطويل، فلا يملّ ولا يكلّ عن إعادة بناء الأفكار وتجسيدها بكثرة المراسلات، وخطّ المقالات.

وفي رسالة أخرى من الأمير إلى الحاج بنونة، يذكر من خلالها الأزمة المالية التي تمرّ بها مجلّته "لاناسيون آراب"، وقد أبدى الحاج عبد السلام بنونة استعداده لمساعدته مادياً، لكن الأمير رفض لأن الحاج بنونة تحمّل الكثير من النفقات، ثم يذكر سبب أزمتهم في توقف عمل البنك البرليني، وأنّ زميله الجابري يودع ماله هناك، وفي حسابه ألفي ليرة ذهبية، وذكر أسباب أخرى، ثمّ نوّه على حالته هو كذلك، وأنّه في الغربة منذ **13** سنة، و لم تمرّ عليه سنة مثل هذه السنة، ثم يتحدّث عن أموره الخاصة في لبنان ومداخله التي لا تغطّي نفقات إصدار المجلة، وكان يذكر ذلك بدقّة وبالتفصيل، وأنّه صار يقتصد في نفقاته، وقد انتقل للعيش إلى جنيف لأنّ أسعارها أفضل من لوزان، فتخلّى في معيشته عن جميع الكماليات واقتصر على الضروريات فقط[3].

ثمّ يطلب أمير البيان من الحاج عبد السلام بنونة أن يساعده في نشر كتبه، حيث أرسلت مطبعة المنار إلى مدينة تطوان **200** نسخة من كتاب"لماذا تأخر المسلمون" باسم الحاج بنونة، و **50** نسخة باسم الشيخ محمد

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص246.

(2) أرسلان، المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، ص ص247- 249.

العربي الخطيب، و **150** نسخة من كتاب"الإرتسامات اللطاف"، ويطلب منه إرسال كمية إلى الأصدقاء في (فاس، وطنجة، والرباط)، وأن ثمنها لا يفرّج عن أزمته لكن يمنع عنه العوز، ويضيف أنّه أرسل كتبه إلى أمريكا وإلى الأقطار العربية، ولازالت عنده الآلاف من النّسخ، وذكّره بثمنها، وإن ساعده الأصدقاء في تصريفها كان له ما يسدّ حاجته هذه السنّة إلى أن تنفرج الأزمة[1].

فكان الأمير يصرّح للحاج عبد السلام بنونة بكل ما يخالجه من مشاعر وأفكار، ويقرّ له بحالته وأحوال أسرته وظروفه الماديّة، لذا تكوّنت بينهما علاقة حميمة [2]، فكانت المكاتبات بينهما لا تتوقف، ففي بعض الرسائل كتب الأمير أنه كاتبه منذ أربعة أيام، وفي رسالة أخرى كتب بأن مراسيل الحاج بنونة وصلته، وهي مجموعة رسائل، وهذا دليل على كثرة المراسلات بينهما.

أمّا الرسّالة المؤرخة في السادس من مارس **1931**م، بدأ بتبريكاته حول ازديان بيت الحاج بنونة بمولود جديد، حيث صار له تسعة أولاد، فحثّه الأمير على تعليمهم وتربيتهم الصنائع والمعارف، وللإشارة في ما قاله الأمير في هذا المكتوب هو عدم الردّ على رسائل الشيخ عبد الهادي السلاّوي خوفاً من أن يضرّه لتتبع الإدارة الاستعمارية لمراسلاته، ثمّ يشير إلى التّازي وزير المالية المغربي بأنه من أثرياء المغرب، فكيف له أن لا يساعد الطلبة المغاربة في باريس للدفاع عن دينهم، وتقديم يد العون لمجلته "لاناسيون آراب" المدافعة عن قضايا الأمّة، ويضيف أنّ هناك طرق عديدة لمنح المساعدة إن كان يخشى ربط ذلك بالسلطة، والأهم هو مساعدة الطلبة أبناء المغرب، وليترك المجلة لأهلها كما ذكر الأمير[3].

وتجدر الإشارة إلى ما ذكره الأمير حول تفاصيل مشاريع الوحدة العربية التي يخطّط لها، ومجريات المحادثات والمراسلات التي كانت بين الأمير والملوك العرب، ابن سعود والملك فيصل والإمام يحي، حيث أرسل له بعض نسخ الرسائل الواردة من الملكين(ابن سعود والملك فيصل) مع كونها خاصة وسريّة، ثمّ ينصحه بقراءة مقالة له ستُنشر في "مجلة الشورى"[4] تتضمن جميع أفكاره حول مشروع الاتحاد العربي[1].

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص249، 250.

(2) يذكر الطيب بنونة نجل الحاج بنونة في هذا الصدد أنه منذ الزيارة التي قام بها الأمير إلى بين الاحاج بنونة في تطوان وتعرفا على بعضهما تكونت بينهما علاقة صادقة، وأصبح كل منهما يتعاون مع الآخر في خدمة القضايا العربية والمغربية خصوصاً، ومضامين الرسائل تدل على مدى الترابط الأخوي الذي كان قد جمع بينهما. ...". الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص49.

(3) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص251، 252.

(4) للإستزادة في موضوع الوحدة العربية ونشاط الأمير في هذا الصدد يُنظر إلى نص المقال : شكيب أرسلان، **"الحلف العربي ! أتشمرون قبل الوصول إلى النهر"** ، مجلة الشورى ، العدد 315، 11مارس 1931م، ص 1. من موقع مجلة الشورى الإلكتروني، رابط المقال :

وفي رسالة أخرى عُنونت "بشؤون وشجون مع الحاج بنونة" أرسلها الأمير للحاج بنونة، والتي أُرّخت بتاريخ **11** أفريل **1931**م، تناول عديد المواضيع كالعادة، بدايةً بتهنئته بعيد الأضحى، ثمّ أشار إلى مقاله في "مجلة الفتح" الذي طُبع منه الألوف وأرسل له نسخة منه، يخص فضائح الإيطاليين في طرابلس، وقبولهم بفكرة إرسال وفد للتحقيق،[2] وقد تطرقنا لهذه المسألة في الفصل الثاني، ثم يتحدث عن مسألة أخرى وهي الاحتلال الإسباني للمغرب، حيث يقرّ أنّه لا يحبّذ خروج الإسبان حالياً من المغرب لأن فرنسا سوف تأتي بغطرستها المعهودة، ويضيف أن بقاء الإسبان ومنح استقلال ذاتي مع تأسيس برلمان ووزارة مسؤولة على غرار كتالونيا في إسبانيا، وهذا يتطلب عملاً وجهدًا، وينوّه إلى عزم الطلبة المغاربة على إرسال وفد على رأسهم أحمد [3]، والذين يحملون الفكرة نفسها[4].

ثمّ يشير إلى مشكلة المال مرّة أخرى، حيث كان افتقار الطلبة للمال حائلاً دون تفعيل نشاطاتهم حيث ذكر الأمير أنه راسلهم وطلب منهم الصبر ومن الممكن أن يُرسل لهم مبلغ ألفي فرنك فرنسي تبرعاً، لكنه لا يملك أكثر من تسعمائة فرنك وسوف يرسلها لهم تلغرافياً، ثم ينتقل الأمير إلى مسألة كتابه"لماذا تأخر المسلمون" حيث أنّه أرسل إليه من مصر **150** نسخة، والجدير بالذكر هو الإشادة التي قدّمها الأمير إلى الحاج بنونة حول إنشاء معمل للثياب بمدينة تطوان [5]، حيث أخبره الأمير على الأمّة أن تصلح شؤونها الاقتصاديّة لتضارع بها المستعمرين، ولهذا نتيجتان: الأولى التخلص من الفقر، والثانية كساد سلع المستعمر؛ ثم يقول له كلمات مشجّعاً :"...فلا تيأسوا واشتغلوا وواظبوا، وإنها وإن كانت النتائج في البداية ضئيلة فمع الوقت تزداد، وما من شجرة ارتفعت إلى السماء إلاّ كان أصلها حبّة..."[6].

تاريخ https://eltaher.org/publications/newspapers/pdfs/ashoura/Ashoura_1931-03-11.pdf الزيارة : 2022/11/19م، 16:43.

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص252، 253.

(2) وقد ذكرنا سلفاً أن الأمير لم يتحدث عن هذا الوفد في مواضع أخرى إلاّ في موضع واحد وهو الجزء الثاني من المجلد الأول. أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** ، المجلد1، ج2 ،ص 71.

(3) لم يذكر أمير البيان من هو أحمد لكن أغلب الظن يكون الشاب أحمد بلافريج الشاب المغربي النشط.

(4) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص268- 270.

(5) ذكر السيد الطيب بنونة أن والده الحاج عبد السلام بنونة أسس هذا المعمل الخاص بالألبسة حيث شجّع المغاربة لاقتناء الألبسة المغربية وقد سعى لإنشاء معمل للسكر ومعمل للإسمنت، ومعمل لصنع السماد. الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص48.

(6) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص270، 271.

وكالعادة يسترسل الأمير في هذه الرسالة، ويخبر الحاج عبد السلام بكل تفاصيل أموره الماديّة والصحيّة وكثرة مشاغيله وكتاباته، حتى وصف له الأطباء أدوية ومحاليل لعيونه، لكنه لم يجد فائدة إلاّ في راحتك أثناء الكتابة كما قال، ويدرج كذلك قضية الوحدة العربية وعزمه على زيارة اليمن بنفسه[1].

وفي رسالة أخرى أُرّخت في **28** أوت **1931**م، يصرّح فيها الأمير عن اشتياقه له وطلب منه أن يزوره[2] إلى سويسرا[3]، فيذكر أنّه شديد الاشتياق له طالباً منه زيارة أخيه وابن أخيه غالب، حيث يهديه صورته مع هذه الرسالة كتذكار لإخوته الطيب والمهدي أبناء الحاج عبد السلام، فيصفه بالأخ وابنه غالب أخ أبناء الحاج عبد السلام بنونة، حيث تكوّنت فيما بينهم علاقة الأفراد في الأسرة الواحدة، ثم يشير إلى ما وصله من مبالغ مالية نظير اشتراكات مجلة "الأمة العربية لاناسيون آراب"[4].

والجدير بالذكر هو المقترح الذي قدّمه أمير البيان إلى الحاج عبد السلام بنونة حول تأسيس مجلة تحت مسمّى "المغرب Le Maghreb"، للدفاع عن المسلمين المغاربة، حيث يقول أن المجلة في دفاعها عن الإسلام أفضل من جيش، ولا أحد يمنعها لأنّه سيكون رئيسها من أصل فرنسي واسمه السيد "لونغه" وابنه السيد "فارج" مع السيد أحمد [5]، وقال السيد "لونغه" أنّ تكاليف إنشاء المجلّة تصل إلى ما قيمته **50** ألف فرنك فرنسي أي ما يُساوي **400** جنيه، فردّ عليه الأمير أن السيد محمد التّازي بإمكانه دفع هذا المبلغ دون تأثر، أو إنشاء شركة من **400** سهم، لكل سهم واحد جنيه، وتُباع هذه الأسهم لأهل الحميّة، وذكر أنّه سيشتري عشرة أسهم، وسيحث معارفه في الشرق على شراء هذه الأسهم[6].

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص271، 272.

(2) وكانت الزيارة ضمن نشاط الحركة الوطنية المغربية، حيث سافر الحاج عبد السلام بنونة إلى جنيف والتقى بالأمير شكيب أرسلان بين 26 و29 جويلية 1932م حيث كانت رحلة عمل في شكل مهمة للتشاور في عديد القضايا. محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص71.

(3) تقول الأستاذة جليلة المؤدب أنه بعد زيارة شكيب أرسلان إلى المغرب سنة 1930م صارت مدينة جنيف قبلة المغاربة الوطنيين خصوصاً المراكشي محمد الحسن الوزاني الذي أصبح كاتبه، والطنجي الحاج عبد السلام بنونة. جليلة المؤدب، ثلاثة رموز سياسية، ص72 .

(4) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص283، 284.

(5) ويصف الأمير السيد أحمد بقرة العيون، وأغلب الظنّ هو أحمد بلافريج حيث يصفه الأمير كلّ مرة بهذه الأوصاف للمكانة والمحبة التي يكنّها له.

(6) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص284.

ثم يشير الأمير إلى أنّه تحدّث مع السيد (أ.م) [1] ورغّبه على المشروع، وتحدّث كذلك مع السيّد الذي دعاه بالكبير [2] دون ذكر اسمه أو الإشارة إليه، حول أهمية المشروع فوعده بالدعاية له، ثم يقول للحاج بنونة:"...ولكن التجربة علمتني أنّك أنت جمل المغرب القائم بحملته وجماله بتفصيله وجملته، فقصدت أن أستنهض هِمّتك لذلك..." [3]، ولا مناص من القول أنّ الأمير صار يثق في الحاج عبد السلام بنونة بشكل ملفت للانتباه، ويمدّه بكل أسراره وتفاصيل مخططاته، فأصبح الحاج شريكاً في مشاريعه خصوصاً تلك المتعلّقة بالمسألة المغربية.

وفي ذات السياق ذكر الطيب بنونة أن الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة والحاج أحمد مكوار كانوا من الدعاة المهتمين بتأسيس مجلة "مغرب"، في باريس للدفاع عن حقوق المغاربة، حيث أمدّوها بمالهم الخاص، ودعم الوطنيين المخلصين، وأضاف أنّ مهمة تسيير المجلّة أسندت إلى الشّابين الوطنيين الحاج أحمد بلافريج، ومحمد بن الحسن الوزاني، في حين تحمّل مسؤولية إصدارها ابن صديق المغاربة "جان لونغي Robert Jean Longuet"[4] وقد صدر أول عدد للمجلة في جويلية **1932**م[5]، في حين تذكر الأستاذة حورية بابه أنّ الروايات تضاربت حول تأسيس مجلة "المغرب"، خاصّة بين الوطنيّين أبوبكر القادري ومحمد الحسن الوزاني، حيث يذكر الأوّل أنّها تأسست من تخطيط أحمد بلافريج وباقتراح من الأمير شكيب، أمّا الثاني فيقول أن مجموعة من وطنيي فاس هم من اتخذ قرار تأسيسها[6].

ويختم الأمير رسالته بذكر تفاصيل قضية المؤتمر ببيت المقدس، حيث ذكر مقترحاته إلى الشيخ الحاج أمين الحسيني بالتفصيل وذكر أنّه اقترح أن يدعوا عددًا من شخصيات المغارب (تونس والجزائر والمغرب)،

---

(1) من خلال اطلاعنا على كتاب "نضالنا القومي" للطيب بنونة كما سنورد ذلك في هذا العنصر، أنّ الشخص المعني بالإشارة (أ،م) هو السيد محمد مكوار أحد الوطنيّين الذين ساهموا في تأسيس جريدة "المغرب". الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص ص46، 83.

(2) وقد أعطى الطيب بنونة بعض الشروحات لمختصرات الكلمات التي كانت ضمن المراسلات بين الأمير والحاج بنونة، فالكبير يعني به الملك فيصل الأول ملك العراق، والصهر هو محمد داود، الأم الحنون هي فرنسا، القديس يقصد به المقيم العام الفرنسي لوسيان سان، الخبيث هو المقيم العام الاسباني لوبيس فرير. الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص83.

(3) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص284.

(4) هو أحد اليساريين الأوروبيين المناهضين للاستعمار الأوروبي، وهو حفيد الفيلسوف كارل ماركس وهو نائب رئيس لجنة الدائرة للشؤون الخارجية في الحكومة الفرنسية، وقد طلب منه أمير البيان شكيب أرسلان الانضمام إلى مجلة "المغرب– LE Maghreb"، توفي سنة 1987م. عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص44.

(5) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص46.

(6) حورية بابه، مرجع سابق، ص66.

حيث اقترح اسم الحاج بنونة، وأشار إلى إرسال الدعوة كذلك إلى محمد داود وعلاّل الفاسي، وعبد الحي الكتاني وعمر التازي والوزاني....، وذكر أن الفرنسيين سيمنعونهم لذا يقترح إنابة أشخاصٍ آخرين من المغاربة يعيشون في مصر والشام، وطلب من الحاج بنونة أن تبقى هذه المعلومات سريّة لكي لا تبادر فرنسا إلى عرقلة المؤتمر لدى الإنجليز، وقد نوّه على هذا الأمر، حيث قال أن مجلة "لاديبيش آلجيريان" زعمت أن الأمير دعا الحاج عبد السلام بنونة إلى حضور مؤتمر إسلامي، لكن هذا الأمير لم يحصل من قبل، لكنه يحصل الآن، حيث يقول أنّ هؤلاء يحسّون قبل الوقوع، فالذي قالوه لم يكن صحيحاً إلاّ أنّه صحّ الآن [1]، فمن الممكن أن تكون الصحافة الفرنسية تعتمد على معلومات استخباراتية، والمخابرات الفرنسية لديها معلومات حول التحضير للمؤتمر الإسلامي العام في القدس.

ويذكر الطيب بنونة نجل الزعيم الحاج عبد السلام بنونة، أنّ والده كان أحد الأعضاء المؤسسين للجمعية الإسبانية الإسلامية والبيت العربي، التي ذُكرت سابقاً، وكان الأمير أحد أعضائها كذلك، وللإشارة فإنّ الحاج بنونة كان أوّل مغربي أسّس جمعية الدفاع عن حقوق الإنسان في المغرب، وهي فرع لجمعية عالمية، لذا مُنح له الترخيص سريعاً، وكان معه نخبة الوطنيين المغاربة في تطوان[2].

ويورد الطيب بنونة فضل والده في تحريك القضية المغربية في الخارج، حيث كان بيته قبلة للوطنيين المغاربة من رجال الفكر والعلم والوطنية، ومكتباً لتحرير المطالب والعرائض والرسائل والاحتجاجات، فكان يُسافر إلى عواصم أوروبا لخدمة الشأن العام المغربي، حيث كان يُراسل رجال السياسة والفكر، وكان في طليعة من يُراسلهم باستمرار الأمير شكيب أرسلان، الذي زار تطوان تلبيةً لطلب والده الحاج عبد السلام بنونة، هذه الزيارة التي وطّدت العلاقة أكثر من ذي قبل[3].

ويذهب السيد الطيب بنونة إلى أنّ الجرائد الفرنسية كانت تعتبر شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة "العدوّان الكبيران لفرنسا"، حيث ضاقت إدارة الحماية ذرعا بنشاطاته في المنطقة السلطانية المستعمرة

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص 286، 287.

(2) الطيب بنونة، نضالنا القومي، ص46.

(3) المصدر نفسه، ص49.

الفرنسية فألقت السلطات الفرنسية القبض عليه في الدار البيضاء وأخرجته الشرطة الفرنسية إلى حدود سيطرتهم وأبلغته أنّه محكوم عليه بالنفي المؤبّد من وطنه المغرب[1].

ويضيف الطيب بنونة أن الأمير شكيب أرسلان كان يعتبر الحاج عبد السلام بنونة "نجماً طلع في أفق المغرب"، حيث يقول عنه :"إن كتابة تاريخ نهضة المغرب على الوجه الصحيح يلزم أن تتوج بتاريخ بنونة"، ويُعده من الأفذاذ القلائل في العالم الإسلامي، وبعد وفاة الحاج عبد السلام بنونة [2]، أرسل أمير البيان كلمات رثاء في حق الرجل أُلقيت في حفل تأبينه، حيث كتب :"لو كان مثل بنونة كثير لتحررت هذه الأمّة من زمن طويل"، وقد صال وجال الأمير ضمن سبع صفحات كاملة ذكر من خلالها مناقب الرجل[3].

وأفضل ما قاله الأمير عن الحاج بنونة رغم أن كل ما قاله رائع :"...لم أجد إلا في النّادر الأندر من نظم أشتات المناقب في نفسه نظم هذا الفقيد الفريد، ولا من جمع بين مواهب العقل ومواهب القلب مثل جمعه، كان من أصلب النّاس عوداً وأشمسهم مقادةً، وأحماهم أنفاً، وهو مع هذا برقة شمائله ودقّة أسلوبه وسحر بيانه وكرم مهزّته، يخيّل لك أنه أتبع لك من ظلك، وأسمع الناس لقولك..."، فرغم كل هذه الكلمات التي لا تخرج عن نطاق الرثاء المشبع بالشفقة والعطف، يقول الأمير أنه لم يجد الكلمات للتّعبير عن عظمة هذا المُصاب الفادح بفقدانه، ولا توجد عبارة تُرضيه لتصف تمام الوصف وحشة الفراغ الذي تركه الفقيد[4]؛ وقد نظّم أمير البيان قصيدة شعرية قصد رثاء طيب الذكر الحاج عبد السلام بنونة وعنونها :لوعة أخٍ على أخيه"، نذكر بعضاً من أبياتها :

يا مدمعيَّ أكفياني نار أحزاني ... إنّي عهدتكما من خير أعواني

نار تأجّج في قلبي فهل لكما ... أن تطفئاها بتسكاب وتهتان

مالي بغير كؤوس الدمع مغتبق ... وليس غير نجوم الليل ندماني

تأبى المروءة قلباً غير متقد ... على حبيب وطرفا غير ريّان

يا راحلاً فجع الإسلام أجمعه ... فالشرق في ندبه والغرب صنوان[5].

---

(1) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص50.

(2) تُوفي الحاج عبد السلام بنونة في مدينة الرندة الإسبانية في التاسع من جانفي عام 1935م، الموافق للثالث من شوال عام 1353هجرية، و لم يكن قد وصل 47 من عمره، وقد تم نقل جثمانه إلى المغرب، ودُفن بزاوية سيدي ابن الفقيه بمدينة تطوان المغربية. الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص 50.

(3) الطيب بنونة، المصدر نفسه، ص ص50، 51.

(4) المصدر نفسه، ص ص55، 56.

(5) أرسلان، **ديوان الأمير شكيب أرسلان**، ص ص86، 89. الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص ص63- 65.

وقد توالت المقالات في النشر، حيث كتب أمير البيان عدّة مقالات حول وفاة الحاج عبد السلام بنونة وقد أورد الطيب بنونة تلك المقالات في كتابه "نضالنا القومي"، ففي العدد الثالث للسنة الخامسة لمجلة "الأمّة العربية" لعام **1935**م، كتب الأمير مقالةً تحت عنوان:"فقدان أليم موت الحاج عبد السلام بنونة"، بعبارات الأسى وكلمات الحزن خطّ الأمير تلك المقال يتحسّر ويتألّم لفقيده، كما نشرت مجلة الأمّة ما نشرته أهمّ الجرائد الإسبانية حول وفاة الحاج بنونة[1].

فبعد أن رحل الحاج عبد السلام بنونة في عزّ عطائه، وخلّف وراءه فراغاً رهيباً في أسرته في تطوان، وفراغاً عظيما في عائلته الحركة الوطنية المغربية في المنطقة الخليفية والسلطانية، اعتبر الكلّ هذا الفقدان خسارة للحركة بكل تيّاراتها، وقد أرسل الأمير رسائل العزاء إلى أفراد الأسرة وأعضاء الكتلة الوطنية في الشمال، فبعث إلى الشاب عبد الخالق الطريس مكتوب عزاء والذي خلفه في الزعامة.

2-2-3 صلة أمير البيان شكيب أرسلان بالسيد عبد الخالق الطريس:

يعتبر المتابعين للشأن المغربي الخاص بالحقبة الاستعمارية فترة الحماية الفرنسية الصحفي عبد الخالق الطريس من الرجال القلائل أو المخضرمين الذين كانوا حلقة وصل بين جيل الحركة الوطنية الأول ممثلاً في زعيمهم الحاج عبد السلام بنونة وجيل الشباب الذي كان هو عرّابه، فكان صحفيا نشطاً بدأ عمله في عشرينات القرن العشرين وفي حرب الريف، ثمّ مُساهماً في الجهود السياسية للحركة الوطنية، وكان له دور بارز في الثورة المسلحة ضد الفرنسيين في المغرب[2].

وكان من المستقبلين للأمير شكيب في مدينة تطوان، وقد ألقى خطاباً بالمناسبة أي خلال الحفل الذي أُقيم لتكريم أمير البيان، حيث أورد الطيب بنونة نص الخطاب في كتابه "نضالنا القومي"، بدأ كلماته في وصف مكانة الأمير بين محبّيه وقومه، فكانت كلماته بليغة في ذكر أخلاقه ووصف مساعيه الجليلة والمطبّات التي لاقت نشاطه، ثم أخذ بالثناء على كتاباته الأدبية وعلى شخصه في هذا المجال حيث قال :"...أدرك ناصية الأدب

---

(1) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص ص 66- 68.

(2) أحمد الحبشي، "**سيرة عبد الخالق الطريس مدخل لتاريخ مقاومة الاستعمار بشمال المغرب**" ، المجلة العربية للدراسات التاريخية، ص10. من الموقع الالكتروني أكاديمية، رابط المقال :
https://www.academia.edu/49524964/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D8%B3
تاريخ الزيارة : 2022/11/26، 17:14.

وبلغ أقصى غاياته، فهذا شعره وليس إلا صورة كاملة لنفسه في آمالها وآلامها وأفراحها وأتراحها، يُنظّم الشعر حياً لأنه وضع للحياة، ويشع عليه من روحه ليخلد بخلودها، قد جمع بين طلاوة البحتري وسلاسته....أبي الطيب ورصانته..."، ثم راح الطريس يُثني على مقالاته في مختلف المجلات والجرائد، التي ذاع صيتها أصقاع العالم بفضل روح الإصلاح التي حملها، وعاطفة حبّه للدين واللغة حيث قال أنّه حمل لواء الدفاع عن الإسلام والعربية فاستحق الإمامة فيهما[1].

ثم خاطبه مباشرةً معتذراً له على قصر خطابه وعجزه في وصفه، ثم شكره بلسانه ونيابةً على أهالي مدينة تطوان خاصةً والبلاد المغربية عامةً، حيث ذكر أن الوطن المغربي وطنه الثاني، وأضاف أن أسعد أيامهم هي الأيام التي يرون فيها الأمير بين أظهرهم يشاطرهم حياتهم الخاصّة، لتوثيق الرابط بينهم وبين باقي الشعوب التي بينهم رابط الدين واللغة والتقاليد، ثم ختم الطريس بتهنئة أهله بهذه الزيارة ووجود الأمير تحت سماء بلادهم[2].

وبعد الزيارة الأرسلانية إلى البلاد المغربية، شهدت الساحة السياسية في المغرب نشاطاً لا مثيل له، وكان عبد الخالق الطريس من الشباب النّشطين في هذا الشأن، حيث كان لا يزال طالباً في الجامعة بالقاهرة العاصمة المصرية فكان له دور بارز في التعريف بالقضية المغربية في مصر، وقد نشر عديد المقالات في الصحف المصرية التي تضمنت مسألة الظهير البربري، أبرزها "الحقيقة غير ما يدّعون"، نُشر في **21** أكتوبر **1930**م، ومقال "الاستعمار فكرة"، نُشر في الرابع من نوفمبر **1930**م، وعديد المقالات التي أوردها الأستاذ محمد بن عزوز حكيم في كتابه "وثائق سرية..."، وإلى جانب ذلك أسّس مع زملائه الطلبة المغاربة في القاهرة جمعية وطنية مغربية باسم:"جمعية الدفاع عن القضية المغربية"، وكان ذلك في **23** نوفمبر **1930**م[3].

وقد شارك الطريس في مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بعاصمة الجزائر، بين **25** و**28** أوت **1932**م[4]، هذه الجمعية التي ربط أعضاؤها علاقات وطيدة بالأمير شكيب أرسلان قبل سنة **1930**م[5] وقد ذكرها الأمير في عديد المواضع من كتاباته، ففي مدونته ذكر شكيب أرسلان أن طلبة شمال إفريقيا المسلمين عقدوا مؤتمراً في باريس سنة **1933**م وخرج المؤتمرون بتوصيات عدة أهمها ضرورة احتفاظ أقطار الشمال

---

(1) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص ص29-31.

(2) الطيب بنونة، المصدر نفسه، ص31.

(3) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص ص66، 67.

(4) محمد ابن عزوز حكيم، المرجع نفسه، ص71.

(5) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص ص11، 12.

الإفريقي بشخصيتهم العربية الإسلامية، ولا نعلم هنا هل كان عبد الخالق الطريس من المشاركين في هذا المؤتمر[1]، وللإشارة فإنّ أعمال الطريس السياسية لم تكن ظاهرة قبل سنة **1932**م، لأنّه كان لا يزال طالباً بعد في الجامعة بالقاهرة[2].

وفي موضع آخر يذكر أمير البيان أن المقيم العام الفرنسي في المغرب السيد مارسيل بيروتون Marcel Peyrouton [3] لم يوافق على أن ينعقد مؤتمر لطلبة شمال إفريقيا المسلمين في فرنسا المقرر عقده في المغرب في سبتمبر **1936**م، والسبب يتعلق برفض الطلبة حضور المقيم العام لحفل افتتاح المؤتمر وإلقائه خطاباً بهذه المناسبة، فيقول الأمير أن المقيم العام يرى في نفسه الشخصية السياسية وجمعيتهم مؤسسة علمية [4]، فكان للطلبة المغاربة موقف يُحسب لهم، فتخلوا عن عقد المؤتمر لعلمهم أن خطاب المقيم العام سيغطّي على نشاطهم ويظهر للرأي العام المغربي أن جهودهم تصب في خدمة السلطات الفرنسية لا المغربية.

وقد كانت بين الأمير وعبد الخالق الطريس عديد المراسلات سنحاول إيرادها وذكر فحواها، وما كان بين الرجلين من حوارات ونقاشات في عديد القضايا؛ وقد أدرج الطيب بنونة إحدى تلك الرسائل والتي تتعلق بوفاة الحاج عبد السلام بنونة المفاجئ وخلافة الطريس له في الزعامة، حيث بدأ الأمير بذكر ما نُشر في جريدة "الحياة" من طرف الطريس، وشكره على ما جاء في فحوى ذلكم المقال، وعلى سفره إلى مدينة مالقة لعيادة الحاج بنونة ومؤانسته قبل وفاته، ويقول الأمير في هذا الشأن :"....وإنّي لشاكر لك ما رأيته من نبل إحساساتك وكرم عواطفك وتمام مروءتك، وتقديرك لقدر فقيد نادر الأمثال..."، حيث كانت الرسالة قصيرة لكن بليغة، وختمها بقوله أن الطريس ليس مُطالباً بالجواب وأنّه بين الأرواح رسائل لا تحتاج إلى الكتاب [5]، وأغلب الظن أنّها أولى الرسائل التي تلتها مراسلات أخرى وثّقت العلاقة بينهما جيداً.

وقد أورد ابن عزوز في كتابه "وثائق سرية..." تفاصيل زيارة عبد الخالق الطريس إلى الأمير شكيب أرسلان بجنيف، وامتدت الزيارة من السادس ماي إلى التاسع من الشهر نفسه عام **1933**م، يقول ابن عزوز

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص213.

(2) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص ص66، 67.

(3) تقلّد السيد مارسيل بيروتون منصب المقيم العام الفرنسي في المغرب الأقصى منطقة السيطرة الفرنسي بين شهري مارس وسبتمبر من سنة 1936م.

(4) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص243.

(5) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص62.

أن الطريس غادر مدينة تطوان في **27** أفريل سنة **1933**م متجهاً نحو البلاد السويسرية عن طريق إسبانيا وفرنسا، وعند وصوله مباشرةً في السادس من ماي بدأت محادثاته مع الأمير شكيب أرسلان، ويقول البعض أن زيارته كانت للفسحة والسياحة فقط، في حين يؤكّد ابن عزوز من خلال الوثائق السرية للإقامة العامة أنّ المخابرات الإسبانية اهتمت بهذه الرحلة التي قام بها الشاب الطريس إلى جنيف، حيث راسل المقيم العام الإسباني مديريّة المغرب والمستعمرات، وجاء الردّ منهم أن وزارة الخارجية الإسبانية أعطت أوامرها لسفاراتها في باريس وجنيف وبرلين قصد تتبع خطوات الشاب عبد الخالق الطريس عن كثب[1].

وذكرت التقارير تفاصيل زيارته إلى جنيف ولقائه بالأمير شكيب أرسلان ومحادثاتهما المطوّلة دون معرفة تفاصيل المسائل التي نُوقشت من طرفهما، ورغم أنهم يعلمون أنه مكث في باريس مدّة أسبوع والتقى عديد الشخصيات أغلبهم وطنيون مغاربة، إلاّ أنّ التركيز كان في مكوثه مع أمير البيان تلك الفترة، حيث ذكر التقرير أنّه منذ زيارة الأمير إلى تطوان المغربية أصبح يتزعم الحركة الوطنية المغربية ويمنح تعليماته من جنيف لرموز الوطنية المغربية من هناك، ثمّ يتساءل كاتب التقرير ما إذا كان أثر الزيارتين اللتين كانتا خلال سنة على تطوّر الحركة الوطنية المغربية في المنطقة الخليفيّة، خاصة بعد أن التحق بصفوفها عناصر شابة لديها تكوين مشرقي، ويضيف أنّها تُريد خلافة "ذوي العمامات التقليديّة"، الذين سيّروا الحركة تحت قيادة الحاج بنونة[2].

ثمّ يتوقّع صاحب التّقرير أن الحركة المغربية ستسير بشكل مغاير للنهج المعتدل، وتتجه نحو تكثيف النشاط على غرار ما يقع في المنطقة التي تسيطر عليها السلطات الفرنسية، ثم يطلب من المقيم العام أن يحرر تقريراً حول القضية، وهذا كلّه يدل على أن زيارة عبد الخالق الطريّس ذات بعد سياسي لا سياحي، وهذا ما جعل السلطات الإسبانية في المغرب وفي أوروبا وعبر سفاراتها تهتم للزيارة وبنشاط الطريس، وما يثبت ذلك كذلك رسالة صديقه الشيخ المكّي الناصري الذي بعث له برسالة يعلمه فيها أن الإقامة العامة أرسلت إلى قناصلها في أوروبا لتتبع خطواته وسفره، ومراقبته عن قرب، وأضاف أن عديد الجواسيس منهم من يضع العمائم ومن يلبس الطرابيش كما وصفهم، يسألون عنه يومياً عن سبب تنقلاته، ثم يعبّر الناصري عن سروره لأن الطريس لم يضع برنامجاً مسبقاً، وأنّ مهمته نجحت[3].

---

(1) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص ص 88، 90.

(2) محمد ابن عزوز حكيم، المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه، ص ص91، 92.

ويختم مكّي الناصري رسالته بمباركة رحلة الشاب عبد الخالق الطريس، وهذا السفر اهتمت به جميع الدوائر والهيئات الإسلامية و الإسبانية وحتى الفرنسية، وقد عُدّ سياسياً، وقد ذكر بعض من لهم صلة بالإقامة العامّة أن هذه الأخيرة لو علمت من قبل بمؤامرته مع إحسان الجابري لما سمحت له بأخذ جواز سفر، ثم يقول النصاري مخاطباً الطريس:"...إنّ المسألة مسألة جدّ يا أخي ، فتهيّأ للمعركة.." [1]، والملاحظ أنّ الناصري كان يعلم الكثير عن الرحلة وعن طريقة خروج الطريس وبمن اتصل وكيف وصل، وكل تفاصيل المعلومات التي وصلته عن طريق الإقامة العامة.

وبعد رجوع الطريس من رحلته إلى جنيف ولقائه بالأمير ووصوله إلى المغرب يوم السادس جوان عام **1933**م، ألقى محاضرة عن رحلته في **19** جوان بنادي "جمعية الطالب المغربية"، واقترح ضرورة الاحتفال بالذكرى الثالثة لزيارة الأمير التاريخية إلى تطوان المغربية، وجعلها مناسبة تحتفل بها الحركة الوطنية كل سنة، تقديراً للزائر العظيم، وتكريماً له وتخليداً لمغزى الزيارة، وما ترتّب عنها من نتائج، كانت كلّها في خدمة الحركة الوطنية المغربية[2].

وعلى إثر ذلك الاحتفال المخلّد لزيارة الأمير، أرسل الطريس رسالةً له في **23** من شهر جويلية **1933**م أخبره من خلالها حيثيات ذلك الاحتفال وأنّ الشباب التطواني يحمل له الإكبار والإجلال ويذكره بزيارته الخالدة إلى المدينة، وأخبره تفاصيل البرنامج من افتتاح الشاب الطريس، ثم كلمة المكي الناصري ومحمد الخطيب وغيرهم، وفي أغلبهم ذكر مساعي الأمير شكيب ومكارم شخصه، ثم ختام الحفل بكلمة لعبد الخالق الطريس كذلك، وذكر أن كل المداخلات كانت مدحاً لسموّه، وأبرز ما أورده في الرسالة هو إعلان الشباب المغربي الحاضر الولاء والإخلاص لأمير البيان شكيب أرسلان[3].

وقد ردّ الأمير على رسالة الطريس الخاصة بالاحتفال بالذكرى الثالثة لزيارة الأمير التاريخية، وكانت بتاريخ الرابع أوت **1933**م، حيث شكر من خلالها تكرم شباب تطوان وأعضاء "جمعية الطالب المغربية"، وبالغ في الثناء عليهم وشكر المتدخّلين في هذه المناسبة وذكر أسمائهم، وقال أنه قليل الاحتفال بهذه الاحتفالات

---

(1) محمد ابن عزوز، مرجع سابق، ص93.

(2) المرجع نفسه، ص ص95، 96.

(3) المرجع نفسه، ص97.

التكريمية، إلاّ أنّه يسرّه كونها الواسطة في اجتماع نخبة شباب أساطين [1] النهضة في المغرب مستقبلاً وأفضل ما قاله الأمير في فحوى رسالته :"...وإن الأمم المستضعفة خصوصاً والعزيزة أيضاً، لا تخرج عن هذه القاعدة، لا تنهض، ولا ترقى، ولا تنفض غبار الخمول عن نفسها، ولا تدرأ اعتداء الأجانب على حوضها إلا بالاجتماعات والجمعيات، وأنّ مقياس حياة الأمم يُعرف بكثرة عدد جمعياتها ومحافلها..." [2]، فالرّسالة تضمّنت فضائل الجمعيات، وكيفية استغلال المحافل في الاجتماعات، وهذا كله خدمةً لوحدة المبدأ والهدف.

وفي إحدى الرسائل التي أُدرجت ضمن كتاب "مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر"،بعث بها الأمير إلى السيد عبد الخالق الطريس في الرابع عشر من شهر جوان عام **1935**م، أثنى أمير البيان من خلالها على جهود الطريس في الدفاع عن شخصه فيما خصّ مسألة الوثائق المزوّرة، حيث شكره على المقال الذي نشره في جريدة "الحياة" [3] للدفاع عنه، وكان عدداً خاصًا بقضية رسالة التزوير عن الأمير [4]، فبدأ في الثناء على عبد الخالق ثم أخذ في توضيح بعض جوانب المسألة فذكر أنّ المال اليهودي كان له دور في هذه الدعاية، وكذا الاستخبارات الفرنسية كان لها اليد الطّولى في تأجيج الساحة الإعلامية بهذا التزوير، إضافةً إلى قادة الجيش الإنجليزي في فلسطين[5].

ثمّ أشار الأمير إلى أهداف هذا التزوير المتمثل في القضاء على وجوده الأدبي ونشاطه الإعلامي، وإراحة السلطات الاستعمارية منه، إلا أنّ أمانيهم خابت كما قال؛ وتجدر الإشارة إلى أنّ المندوب السامي البريطاني منع الأمير من دخول الأمير الأراضي الفلسطينيّة، وهذا كلّه لحماية المزوّرين للوثيقة، وقد ذكر من هو صاحب هذه الوثيقة، ومن تسبب في نشرها ومعرفة السلطات البريطانية تفاصيل ذلك دونما تحرك، وما كلّف اليهود من

---

(1) أساطين العلم والفن أي عظماء العلم والفنّ وكبارهما، وأساطين الزمان أي حكماؤه. معجم المعاني، الموقع الإلكتروني، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D9%86/ تاريخ الزيارة : 2022/12/05، 15:59.

(2) محمد ابن عزوز، المرجع نفسه، ص ص98، 99.

(3) جريدة "**الحياة**" هي أوّل جريدة وطنية مغربية ناطقة باللغة العربية، أصدرها عبد الخالق الطريس في مارس 1934م، كانت أسبوعية ثم صارت يوميّة. أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه** ، ص ص 537-545. ومن الموقع الإلكتروني رابطة أدباء الشام، رابط المقال : https://www.odabasham.net/تراجم/18109-المناضل-ا-م-18109 تاريخ الزيارة: 2022/12/03م، 21:18.

(4) وقد تطرقنا لهذه المسألة في عدة مواضع ضمن الفصول السابقة، وبالضبط في الفصل الثالث وفي العنصر الخاص بعلاقة أمير البيان بالشيخ عبد العزيز الثعالبي، من الرسالة المؤرخة في 30 ماي 1935م والتي أُدرجت في آخر كتاب "الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ الثعالبي"، حيث عاتب على الجرائد التونسية التي أعادت نشر الرسالة المزورة التي نُسبت له زوراً. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي** ، ص90.

(5) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص ص353، 354.

مال من أجل تحقيق مآربهم، وكيف ردّت الجموع العربية على هذا التزوير في مدن فلسطين، وختم رسالته بتجديد الشكر للطريس ولأهالي المغرب[1].

وفي رسالة أخرى أُرّخت في الثامن من أكتوبر عام **1935**م، أرسلها الأمير إلى السيد عبد الخالق الطريس تناولت قضية استقالة الطريس من منصب المدير العام للأحباس في الحكومة الخليفية منطقة السيطرة الإسبانية وهي مدرجة في الملحق رقم (**19**)[2]، وقد ذكر الأمير أنّه كانت مراسلة سابقة بينهما حول الموضوع نفسه، والمفهوم من كلام الأمير أن الطريس سبق أن استشاره في قبول هذا المنصب، وأن الأمير نصحه بقبوله لأنه يثق في تمسكه بمبادئه الوطنية رغم قبوله لهذا المنصب، وكان غرضه إصلاح أموره المادية، ويضيف الأمير أنه كان يعلم أن الطريس سيترك المنصب[3] بمجرد أن يراه يمس بمبادئه، ثمّ أشار إلى خبر حجب جريدة "الحياة" لصاحبها عبد الخالق الطريس، حيث ذكر معزّته لها وقد دافعت عنه ضمن عديد المقالات التي نُشرت عبرها، ويذكر أنّها الجريدة الوحيدة التي كان يتنسّم من خلال مقالاتها أخبار المغرب[4].

وتجدر الإشارة إلى ما أورده الأمير حول أهمية ما تكتبه جريدة الحياة لصاحبها عبد الخالق الطريس، وذكره لتفاصيل توزيع أعدادها في عديد المناطق، فكان يتلقى الرسائل في هذا الشأن فذكر أن القرّاء كانوا يتخطفونها كما يتخطّف العطاشى قِرب الماء، وكذلك تأتيه الرسائل من أمريكا ليخبروه أنّهم عبر "الحياة" أصبحوا يحبّون المغرب حبّاً جماً، ثم يتمنّى الأمير عودة ظهور الجريدة ولو اعتدلت في انتقاء مواضيعها، حيث يقدّم الأمير نصيحة للطريس حول انتقاء كتاباته لمنحه رخصة إصدار مجلته مرة أخرى، ثمّ ينوّه الأمير إلى قضية الجمعية الإسلامية الإسبانية التي تحدّثنا عليها سابقاً في عديد المواضع، حيث يستشير الطريس في قرار تركها

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص354.

(2) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص159.

(3) يذكر الأستاذ عمر رياض أن هذا المنصب الذي مُنح لعبد الخالق الطريس وهو منصب مدير الأحباس(الأوقاف)، كان المقصد منه جلب الطريس للحاضنة الاسبانية ليذوب في ثقافتهم عبر مشروع أقره الضابط الإسباني فرناندو كاباص مونتيس Fernando Capaz Montes وكان هذا الاخير قد تكيف سريعاً مع المجتمع المغربي، لدرجة أنه صار يلبس الجلابة المغربية ويسير بين المغاربة ويتحدث اللهجة المغربية بطلاقة وصار المغاربة يسمونه ب"عبد السلام"، ولد قدرة كبيرة في الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال الشعبية. عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص ص49، 50.

(4) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص359.

جميعاً أو بقائهم على أمل أن يقدموا بعض الخدمات [1]، وللإشارة فإن الطريس كان أحد الأعضاء المؤسسين لهذه الجمعية يوم **1** جوان **1932**م بالعاصمة مدريد[2].

ثمّ يشير الأمير إلى المؤتمر الذي سيُعقد عنده –وهو أغلب الظنّ المؤتمر الذي عُقد في جنيف [3]– وحضره العديد من الشخصيات المغاربية، وذكر أنّ بعض الصحف ذات الإعلام المغرض كتبت أنّ المؤتمر الإسلامي الأوروبي قائم بدعاية إيطالية إسبانية، وأنّ الردّ نُشر في جريدة "الجهاد" وعليه أن يطّلع عليه ويخبر إخوانه المغاربة بذلك، ثم يختم الأمير رسالته بذكر شخصية غير معروفة، إسبانيّ لكنه مسلم، واسمه خليل بن أميّة Rodolfo Gil Benumeya[4] والذي أقام في مدينة تطوان، فأوصى الأمير عبد الخالق الطريس أن يساعده في إيجاد شغل وكذا تقديم تسهيلات ونفقة سفره إلى مصر، وبعد السلام أضاف أنّه أملى هذا المكتوب من الفراش بعد أن عاد له مرض الحصى[5].

وقد جمع الأستاذ محمد بن عزوز حكيم كلمات رائعة في حق الشاب عبد الخالق الطريس قالها الأمير شكيب في شخصه ضمن مجموعة الرسائل التي بعث بها الأمير، نقتبس نزراً منها:"...فإنّي أحب جميع المغاربة وإنّي أعدكم في نخبة رجالاتهم الذين يعول عليهم المغرب في بناء مستقبله السعيد إن شاء الله تعالى..."، وكانت ضمن فحوى الرسالة المؤرخة في **20**جوان **1935**م، ويقول كذلك:"...أنتم تعلمون اعتمادنا التام على شخصكم واعتقادنا فيكم كل إخلاص وحمية وأصالة رأي"، وكتب هذه الكلمات في **16** نوفمبر

---

[1] أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص360.

[2] محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص87.

[3] شارك في أشغال هذا المؤتمر قرابة سبعون شخصاً، وكانت لغته الرسمية اللغة العربية، اللغة المقدّسة للقرآن، كانت الجلسات خاصة....ثلاث شخصيات من شمال إفريقيا تقيم بفرنسا : السادة مصالي الحاج، عيماش عمار، ومحمد بدك، وهم ممثلوا نجم شمال إفريقيا، تناولوا بعدها الكلمة بالفرنسية، من أجل توصيف الوضعية المزرية التي يعاني منها إخوتهم بفرنسا. محفوظ قداش، محمد قنانش، مصدر سابق، ص ص92، 93.

[4] خليل بن أمية (1901– 1975م) هو المستعرب الإسباني الذي ذُكر في عديد المواضع ضمن رسائل الأمير إلى عبد الخالق الطريس ومحمد داود، في عام 1925م سافر خليل بن مية إلى مدينة تطوان ليعمل كصحفي ودرس للفن الإسلامي الإسباني وتاريخ المغرب، وكان كذلك سكرتيراً عاماً للمنظمة اليهودية لشؤون السفرديين Casa Universal de los Sefardies وهي مؤسسة كانت تُعنى بالشؤون اليهودية في المغرب، وكان عضو تحرير في مجلات(Tropas Coloniales De revista و La raza) إلى جانب مجلة "المغرب" في باريس، وتقلد عدة مناصب تعليمية في مصر والجزائر، وكان عضواً كذلك في الجمعية الاسبانية الإسلامية التي ترأسها شكيب أرسلان، وكان من دعاة توطيد الأواصر الجغرافية والثقافية بين اسبانيا وشمال المغرب. عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص56.

[5] أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص360.

1936م، وكتب في **31** ديسمبر **1942**م :"...أسبغ الله عليكم ثوب العافية لتخدموا المغرب والعروبة والإسلام"[1].

والظاهر أنه بعد وفاة الحاج بنونة صار الأمير يعتمد على الطريس في كثير من القضايا، ويعتمد عليه كممثل للحركة الوطنية المغربية شمالها وجنوبها، رغم أنّ للأمير صلات أخرى كذلك أقامها مع شخصيات أخرى وكانت له مراسلات معها على غرار المؤرخ محمد داود صهر الحاج بنونة، سنحاول في العنصر الموالي إعطاء لمحة عن تلك الصلة التي كانت قائمة بين الأمير وأبرز رجال الحركة المغربية في الشمال المغربي.

3-2-3 صلة أمير البيان شكيب أرسلان بالسيد محمد داود:

يُعتبر محمد داود من الشخصيات التي كان لها الأثر الكبير في سير نشاط الحركة الوطنية، وكان على صلة بأمير البيان شكيب أرسلان، حيث خلّف محمد داود عدد كبير من الوثائق بحكم أنّه كان يميل إلى كتابة التاريخ، لذا لُقب بمؤرخ تطوان، وقد جُمعت رسائله في كتاب تحت عُنوان"مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود"، تأليف عمر رياض، وصل عدد تلك الخطابات نحو **150** مكتوباً، تبادلها الرجلان طيلة سنوات، وهي محفوظة في الخزانة الداودية، تحت إشراف ابنة محمد داود حسناء داود، والتي أعادت نشر تلك المراسلات في كتاب آخر وهذه المرّة من تأليفها.

ويذكر الأستاذ عمر رياض من خلال تحليله أن مُجمل الرسائل تتحدث على أربعة محاور أساسية هي:

1 - موقف أرسلان وجهوده المبذولة من داخل أوروبا في تشكيل قوى الضغط وحملات التحالفات بين تيارات الحركة الوطنية المغاربية والشخصيات المناهضة للاستعمار الفرنسي والإسباني سواء كانوا مسؤولين أو صحفيّين أو ناشطين أوروبيين.

2 - إنشائه لمنابر إعلامية وتوظيفها في ربط نشاط تلك القوى المأثرة للتأثير على الرأي العام الأوروبي.

3 - التوسط في حلّ النزاعات الداخلية والتقليل من الصراعات بين الوطنيين المغاربة في المغرب وخارجه.

4 - ردود الأمير على الدعاية المغرضة للدول الاستعمارية التي كانت تُشاع في فترة نشاطه، كالتعاون مع دول المحور (إيطاليا وألمانيا)، وغيرها من التهم[2].

---

[1] محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص111.

[2] عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص19.

ويضيف الأستاذ عمر رياض أنه بعد الزيارة التاريخية لأمير البيان إلى مدينة تطوان، صار بيت الأمير في مدينة جنيف مقصد الطلبة والشباب المغربي، حيث تداولوا على زيارته بانتظام قصد طلب المشورة والإلهام الفكري والسياسي، وقد شغل الشاب محمد الوزاني منصب سكرتيره الشخصي من خريف **1932**م إلى غاية صيف عام **1933**م؛ أمّا عن العلاقة التي ربطت محمد داود بالأمير شكيب، يذكر عمر رياض أنه في البداية سمع الأمير عن نشاط الشاب محمد داود التربوي والفكري في تطوان، على لسان السائح العراقي يونس بحري كما أسلفنا ذكر ذلك[1].

وقد تعرّف يونس بحري على السيد محمد داود خلال زيارته أواخر **1929**م إلى المغرب، وقد راسله قبل زيارة الأمير إلى مدينة تطوان وبالضبط في ماي **1930**م، وقد أورد عمر رياض خبر تلك الرسالة في الكتاب المذكور آنفاً[2]، وبدأ الأمير كذلك مراسلة محمد داود قبل الزيارة التاريخيّة، وبعدها كذلك راسله ليعترف له من خلالها بمدى سعادته بمعرفته، فمنذ تلك اللحظة ومحمد داود بمثابة "الابن" و"الشقيق" و"قرّة العين" و"الحبيب"، كما وصفه في كثير من الرسائل [3]، وللإشارة فإنّ هناك معاملات مالية بينهما، فقد كانت مكتبة داود ودار نشره في تطوان نقطة بيع وتوزيع لأعداد مجلة "لاناسيون آراب" وكُتب أمير البيان[4].

كان أمير البيان يدلي بملاحظاته في معظم رسائله إلى السيد محمد داود على الأحداث السياسية الكبرى في العالم الإسلامي والعربي في تلك الفترة، على غرار أعمال المؤتمر الإسلامي في القدس **1931**م، وعمله على إدراج مسألة الظهير البربري، وقضايا الإرساليات التبشيرية التنصيرية، في جدول أعمال المؤتمر، وقد تخوفت إيطاليا كذلك من إدراج قضية طرابلس على قائمة أعمال المؤتمر، لذا كان الأمير يتخذ دور المعلم الحريص على إخبار التلميذ محمد داود آراءه السياسية، وقد كان يصحّح له بعض المفاهيم الخاطئة، ويحذّره بأن لا يسمع

---

(1) عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص ص29، 35.

(2) عمر رياض، المصدر نفسه، هامش ص35.

(3) وفي رسالته التي بعثها إلى أبا الحسن محمد علي الطاهر في فيفري 1935م أوصاه بتقديم المساعدة لمحمد داود عند سفره إلى مصر، حيث كتب الأمير :"...لا شكّ أنّ ولدنا السيّد محمد داود وصل الآن إلى مصر واجتمعتم به، وقمتم بما يجب من مؤانسته وسلمتم إليه المكاتيب وواصل الآن له أيضا مكتوب...". أرسلان، **رسائل علمية وأدبية**، ص8.

(4) المصدر نفسه، ص ص37، 38.

لأصوات البوم والغربان في الشرق، والتي تُحاول تشويه سمعة بعض الشخصيات المشرقية على غرار الملك فيصل في العراق الذي استطاع الوصول ببلاده إلى استقلالها الحقيقي[1].

وفي المقابل كان محمد داود يشتكي للأمير من بعض مظاهر الرّكود وتراجع اليقظة الإسلامية، وأفول روحها وتزايد أفكار الإلحاد في تطوان، فيردّ عليه الأمير أنّه من المؤسف أن يرى بعض المسلمين يجعلون الرقي والكفر توأمين، وأنّه من المستحيل أن يجعل هؤلاء المسلمون مدارسهم أرقى من أكسفورد وكامبريدج وجامعات ألمانيا مهما بلغوا، ويلفت أرسلان انتباه داود بأن هذه الجامعات لازالت تقدّر الديانة المسيحية وتعتني بها عبر إلقاء الدروس اللاهوتية، فكان الأمير يبيّن لمحمد داود أن يكون حريصاً على البناء بدل الهدم في كل مناحي الحياة[2].

وكان أمير البيان من المشجعين على العمل الصحفي، واتخاذ داود لمنبر إعلامي لإيصال الكلمة إلى الرأي العام، فقد اقترح عليه العديد من الأسماء لمجلته الأولى، فاقترح عليه عنوان"ملتقى البحرين" يشير هنا إلى جبل طارق، و"زهرة الريف"، و"الديباج المحبر"، و"سجال المغرب"، وقد اختار داود في الأخير على اسم "السلام" فكان الأمير يؤكد باستمرار على أهمية الإعلام لأنه نواة تشكيل الأحزاب السياسية، واعتبرها هي الجيش واللواء لأي حزب سياسي كان، وعندما أصدر داود مجلته "السلام" نصحه الأمير بأن يتّخذ جميع تدابير الميزانية، وأن لا يتوقع أي ربح من عمله الصحفي، لأنّه يرى أنّ استمرارية أي جريدة دون خسارة معجزةٌ[3].

أما مسألة إصدار مجلة "مغرب"، فقد أخبر الأمير محمد داود بالفكرة قبل تجسيدها على الواقع، ففي أوت **1931**م ضمن إحدى الرسائل ذكر الأمير أنه طرح الفكرة على أبو عبيدة(أحمد مذكور) والراجح أنه أحمد مكوار عند زيارته إلى سويسرا كما أسلفنا ذكر ذلك، وقد دعا الأمير داود إلى السعي لجمع الأموال اللازمة في المغرب، وتكون المساهمات في شكل أسهم لاستمرارية المجلة؛ وفي رسالة أخرى يخبر الأمير داود أن أحمد بلافريج زاره مع بعض المغاربة قبل تدشين مجلة"المغرب" الباريسية، ليقترحوا إصدارها في سويسرا بدل

---

(1) عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص ص 39، 40.

(2) عمر رياض، المصدر نفسه، ص40.

(3) المصدر نفسه، ص ص42، 43.

فرنسا، لكن شكيب لم يرحب بالفكرة، ويرى أن باريس أفضل موقع لتحقيق الأهداف السياسية الخاصة بالمجلة، والتأثير على الرأي العام الفرنسي وغيرها من الأسباب التي ذكرها شكيب أرسلان ضمن رسالته[1].

وفي سياق آخر، كان شكيب أرسلان يوصي محمد داود بالصبر والثّبات والعمل على الاهتمام بالتربية الإسلامية مع الفنون ومختلف الحرف والصنائع لضمان مستقبل البلد، وأن الدين الإسلامي هو الحصن الحصين وكان لديهما الانطباع نفسه تجاه الاحتلال الإسباني، وأن السلطات الإسبانية في الشمال المغربي غير مستعدة للتنازل وتقديم الدعم لمشاريعهم التعليمية القائمة على الثقافة العربية الإسلامية، وكان أرسلان يدرك جيداً أن الفرنسيين لديهم اليد الطولى في إجهاض محاولات الإصلاح في المنطقة الإسبانية بالضغط المتزايد على القائمين على تسيير شؤون الشمال، خصوصاً في ميدان التربية والتعليم[2].

وفي مسألة منح مناصب للوطنيين المغاربة على غرار منصب الأحباس الذي مُنح للسيد عبد الخالق الطريس كما ذكرنا سابقاً، عُيّن كذلك محمد داود في منصب نائب قاضي مدينة تطوان، وقد رفضه داود بأدب، وقد استدعي من طرف الضابط الإسباني كاباص إلى مكتبه وعرض عليه منصب قاضٍ في أي مدينة شاء، لكن داود رفض مرّة أخرى، وقد ناقش داود هذه المسألة مع أمير البيان، وأكّد له أن شائعات إغراءات الضابط كاباص للوطنيين المغاربة المقرّبين من عامة النّاس بالمناصب صحيحة[3].

وقد ناقش أمير البيان مع محمد داود عديد المسائل التي تخص أصدقاءه الأوروبيين الذين خدموا قضايا المغرب العربي، وقدموا خدمات جليلة عبر عديد المجلات التي كانت تُحرر فيها مقالاتهم، على غرار خليل بن أمية الإسباني الذي ذُكر آنفاً، ويوجين يونج الضابط الفرنسي السابق في الهند الصينية، وكذلك قضية الجمعية الإسبانية الإسلامية التي تأسست في أكتوبر **1932**م، حيث تحدثنا عنها سلفاً في الفصل الثالث وبالضبط في العنصر الخاص بالشيخ عبد العزيز الثعالبي، حيث كان أمير البيان عضواً فيها وأصبح داود أحد ممثليها، وكذلك الحاج عبد السلام وأخوه محمد، وعبد الخالق الطريس، والشيخ محمد المصمودي، إضافةً إلى عشرة أعضاء من البرلمان الإسباني والصحفيين والمحامين الإسبان[4]، وكان غرض أمير البيان التقارب بين الشعبين ثقافيا وسياسياً

---

(1) عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص44- 46.

(2) المصدر نفسه، ص48.

(3) المصدر نفسه، ص50.

(4) المصدر نفسه، ص ص56- 59.

عبر هذه الجمعية، وله غايات بعيدة المدى وهي استقلال الجنوب الإسباني عن دولة إسبانيا وتوحيده مع الشمال المغربي.

لكن في رسالة الأمير إلى محمد داود المؤرخة في **25** جانفي **1935**م، أخبره من خلالها أنّه محبط من قلة فعالية الجمعية الإسبانية الإسلامية، حيث خلص لديه أنه لا وجود لأي تأثير سياسي من طرف الجمعية على الحكومة الإسبانية وتوجهاتها في المغرب، رغم ما قدمه من تسهيلات لها وتوصيات في المغرب وفي المشرق خاصة في مصر، لذا قام بتقديم استقالته إلى رئيس الجمعية خوسيه فرانشي دي روكا José Franchy Dy Roca، حيث كان أعضاء الجمعية الإسبان على يقين بأن رحيل شكيب أرسلان بالضرورة سيفكك التكتل الاسباني العربي[1]، وهذا ما أُخبر به الأمير من طرف عبد العزيز الثعالبي كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الثالث حول توجسه من الجمعيات الأجنبية، فكان محقاً، وذهبت جهود الأمير طيلة ما يقارب ثلاثة سنوات هباءً.

وصار محمد داود يذكرها في مراسلاته للأمير بعد خروجهم من عضويتها ب"جمعية إخواننا المساكين" الموجودة في مدريد، ويرى داود أن أعضاءها أضعف أن يكون لهم التأثير الواضح على سياسة الحكومة الإسبانية، وكان غرضهم الحقيقي اقتصادي أكثر منه سياسي، ورغم ذلك فقد كان فيها بعض الأعضاء الإسبان لهم نوايا حسنة حسب داود، حيث كتب إلى الأمير في أكتوبر **1935**م:"إنّ الأعضاء المساكين في مدريد لا يملكون ضراً ونفعاً لانفسهم، فضلاً عن غيرهم..."[2].

وفي سياقٍ آخر، ناقش الرجلان ضمن مرسلاتهما الصراعات الداخلية للحركة الوطنية المغاربية، وكان لأمير البيان دور بارز في حل تلك النزاعات التي حدثت بين الوطنيين المغاربة، حيث ناقشا قضية بلافريج الذي لم يحضر جنازة الحاج عبد السلام بنونة، ثم انقطع عن مراسلة الأمير مدة عام ونصف تقريباً، وكانت تحركاته تشوبها الشّبه، وكانت لدى محمد داود الشكوك نفسها، وخوفهم من تأثير الفرنسيين على مساره وأفكاره، لكن يذكر الأمير في كتابه المؤرخ في **30**ديسمبر **1935**م بأن أحمد بلافريج وصنيعه مع الفرنسيين كان من باب المداراة لقضاء حوائجه فقط، وذكر الأمير أنّه كان يدعو له في نجواه، ثم عاد بلافريج للمكانة نفسها عند

---

[1] عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص61.

[2] المصدر نفسه، ص ص61، 62.

أرسلان، وقد أرسل هدية له ولزوجته بمناسبة زواجه؛ وفي سنة **1939**م أصابه داء الربو فانتقل إلى سويسرا للعلاج، ومكث بمصحة تحت مراقبة ورعاية الأمير شكيب حتى شُفي وعاد إلى بلده[1].

وفي ذات السياق، ناقش الأمير وداود قضية عبد الحيّ الكتاني –والذي تحدثنا عنه في العناصر السابقة–، الذي استضافه الأمير في بيته بجنيف حين مرّ بها وكان قاصداً الحج عبر أوروبا، وتحدّثا مطولاً في عديد القضايا، وقد طلب منه شكيب أرسلان التقرب من الوطنيين المغاربة، وأنّ هناك تغيير في السياسة الدولية بعد صعود الألمان والطليان للواجهة، وكان ردّ الكتاني في دفاعه عن الفرنسيين من باب المداراة للحفاظ على طريقته ومريديه وزواياه فقط؛ وقد كاتب الأمير السيد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب على أن يقدموا له كل التسهيلات وأن لا يتعرّضوا له من باب المحاسنة، لكن عند وصوله إلى مصر علم الطلبة المغاربة بلقائه بشكيب أرسلان فعاتبوه على ذلك كما ذكر الأستاذ عمر رياض، وقد قابله السيد رشيد رضا ثلاثة مرات ووبّخه على صمته المطبق بعد إصدار الظهير البربري، وعلى إعلانه معاداة الوطنيّين المغاربة صراحةً، رغم كل المبررات والأعذار التي قدمها[2].

وقد بالغ الطلبة المغاربة في مصر في استيائهم من لقاء شكيب أرسلان بالشيخ عبد الحي الكتاني، من بينهم الطيب بنونة، وقد تجرأ أحد الطلبة بكتابة مقال في صحيفة "الجهاد" حول المسألة، مُتهماً الأمير شكيب أرسلان بإيجاد حلّ وسط مع الفرنسيين من خلال الاجتماعات السريّة، والتي ارتبطت باجتماعه مع الكتاني في سويسرا؛ رفض الأمير هذا الاتهام وردّ عليه في الصحيفة نفسها، وكتب في هذا الشأن لمحمد داود، في الرسالة المؤرخة في **25** مارس **1933**م يعرب فيها عن دوره في مسألة الظهير البربري [3]، واتهامه من طرف الفرنسيّين

---

(1) عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص ص62- 66.

(2) عمر رياض، المصدر نفسه، ص ص66، 67.

(3) في فحوى رسالة الأمير التي بعثها إلى الشيخ الثعالبي بتاريخ 19 أكتوبر من سنة 1934م، أخبره من خلالها أنّ السلطات الفرنسية أوقفت العمل بالظهير البربري لكن بشكل مبهم غير واضح، حيث صرّح الأمير أنّه لم يسترح للأمر، وأنّ الأهالي المغاربة لازالوا ساخطين، وقد زاد سخطهم بعد قرار تعطيل عمل الجرائد الإسلامية المبدأ الفرنسية اللغة، والتي تنشط في مدينة فاس، كذلك منع جريدة "المغرب" التي تصدر في باريس والتي سُمّيت مؤخراً بالأطلس، ثم أضاف أنّ وفداً من فاس والرباط توجّهوا نحو باريس لرفع شكاويهم إزاء الضغط الفرنسي المتزايد، وقد اتصلوا ببعض البرلمانيين هناك، ويذكر الأمير أنّه قيل له أن هؤلاء البرلمانيين يسعى بعضهم لإنصاف المغاربة والتخفيف عنهم وطأة تلك الأزمة السياسية أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 84، 85.

بأنه هو المحرك الأساسي للقضية في المغرب والمشرق، ورغم كلّ هذا فقد ظلّ الأمير حريصاً على إرسال مؤلفاته إلى الكتاني عبر محمد داود، وقد أهداه الكتاني في جنيف بعضاً من كتبه وبرنسًا مغربيًّا تقليديًّ[1].

وفي الشأن نفسه، ناقش الأمير ومحمد داود قضايا تخص سمعة الأمير، وهذه المرّة كانت الاتهامات من ابن بلده الطبيب السياسي عبد الرحمان الشهبندر [2]، أحد الرجال المعارضين لسياسة التتريك التي طبقتها حكومة الاتحاد والترقي في سوريا خلال الحكم العثماني، وكان له اتصالات بالفرنسيين والبريطانيين منذ الحرب العالمية الأولى، لذا كانت علاقته سيئة بشكيب أرسلان، وحين زار يونس بحري المغرب وقعت في يده رسالة بعثها الشهبندر إلى أحد فضلاء المغرب بتطوان، اتهم من خلالها الأمير بتلقيه أموالاً من الملك عبد العزيز آل سعود مقابل أن يعمل له دعاية في الجزيرة العربية، وقد نفى الأمير هذا بشدّة وكتب لمحمد داود :"...وعلى فرض أنّني قبلت شيئاً من ملك مسلم فهو أفضل من قبول إحسانات المستر كراين الأمريكاني [3]..."[4]، حيث أن الأمير أقام الحجة على الشهبندر وأظهر خيانته الواضحة من خلال مدّه يد العون للبريطانيين والفرنسيين زمن الحرب وبعدها، والواضح أن قيامه باتهام شكيب أرسلان يدخل ضمن سياسة تشويه سمعة الأمير والعمل على تقويض نشاطه في المغرب بأمر من سادته في باريس.

---

[1] وللإشارة فإن عبد الحي الكتاني سلّم شكيب أرسلان ظرفاً به مبلغ من المال وقال للأمير "هذا للمطبوعات"، وكان الأمير يظنّ أن الظرف يحتوي على 100 فرنك فرنسي فقط، لكن بعد رحيل الكتاني فتحه الأمير فإذا به ألفي فرنك فرنسي، وكان الأمير ينوي إعادة المبلغ إلى الكتاني عندا كان في مصر لكن الحملة التي شُنّت ضدّه حالت دون ذلك، فاضطر الأمير إلى الانتظار، وعند رجوع الكتاني إلى فاس كتب الأمير له يرجوه قبول إعادة هذا المبلغ مع حوالة، أما الهدايا الأخرى وهي مؤلفاته فهي أثمن، وكانت هذا الكلام من الرسالة التي بعثها الامير إلى محمد داود في 26 ديسمبر 1934م. عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص ص67، 68.

[2] عبد الرحمان الشهبندر هو طبيب سوري، انخرط في الحياة السياسية، تخرج من الكلية البرتستنتية السورية للطب في بيروت، كان من منتقدي سياسة التتريك في المناطق السورية في العهد العثماني، هرب من دمشق عام 1916م إلى القاهرة، وقد أقام في مصر خمسة وعشرين سنة، فكانت له علاقات وطيدة مع البريطانيين والفرنسيين، ولموقفه هذا كانت له خلافات عديدة مع القوميين السوريين، ساهم كذلك في لجنة الولايات المتحدة الأمريكية لتقصي الحقائق والوقوف على أراء السوريين من أجل مستقبل بلادهم، والتي عُرفت بلجنة "كراين" نسبةً إلى رجل الأعمال الأمريكي تشارلز كراين Charles Richarde Crane وكان الشهبندر مترجماً في اللّجنة التي عملت بعد مؤتمر باريس عام 1919م. عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص 69.

[3] وقد ذكر عبد الرحمان الشهبندر في مذكراته أنّ السيد تشارلز كراين كان يملأ الحوالات باسمه على غرار مهمة سفره إلى الجزيرة العربية، حيث منحه حوالة بقيمة 1000 دولار قصد شراء حاجات السفر في الصحراء، وفي مهمة أخرى طلب منه شراء ثلاث سيارات فورد ووعده بإرسال المبلغ كاملاً من نيويورك. عبد الرحمان الشهبندر، **مذكرات عبد الرحمان الشهبندر**، دار الإرشاد، بيروت، 1967م، ط1، ص37.

[4] عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص70.

أضف إلى ذلك فقد خاض الأمير في كثير من المسائل العامّة، والقضايا التي تخص شخصه، حيث كتب لمحمد داود موضّحاً ما كتبته بعض الصحف الناطقة بالفرنسية في المغرب على غرار جريدة " Le Peuple Tanger"، بأن الأمير تلقّى أمولاً طائلة من طبيب ألماني، في حين بعد التوضيحات من طرف الأمير ظهر بأن الطبيب هو صديقه السوري ورجل الأعمال في برلين الدكتور ميخائيل بيضا، كذلك قضية العلاقة التي كانت بين شكيب أرسلان والزعيم الإيطالي موسوليني وقد تحدثنا عن القضية في الفصل الثاني بالتفصيل، وقد وضّح الأمير لمحمد داود حيثيات تلك العلاقة وردّ على متهميه في رسالته المؤرخة في **27** فيفري **1934**م وأبان عن تفاصيل تلك القضية[1].

يذكر الأستاذ عمر رياض أن هذه المراسلات بين أمير البيان شكيب أرسلان ومحمد داود، وتعبئة الأمير السياسية للوطنيين المغاربة جعلتهم يشعرون بأنهم جزء من المشرق بعد العزلة التي مرّت بها المغرب لفترة من الزمن[2]، وتعدّ هذه الوثائق المُدرجة في الكتاب شرْحًا وافيًا لعديد القضايا الأساسية في المغرب والمشرق، وإضافة نوعية للكثير من المسائل المبهمة.

وفي إحدى الرسائل التي بعث بها الأمير إلى الشيخ عبد العزيز، ذكر اسم السيد محمد داود، حيث أراد هذا الأخير أن يعرّفه بالشيخ الثعالبي وأنّه بصدد أداء فريضة الحج، وكان يرغب بأن يعرّفه الأمير بمن يعتمد عليه من أعلام الإسلام، ويثق في فضله الحقيقي، فاقترح الأمير على الثعالبي راجياً منه أن يكون له الرفيق والمعين في جلساته وجولاته إلى الشرق، وطلب منه كذلك أن يطيل اجتماعاته به ليحظى بنور علمه فيزداد علماً واطلاعاً ومعرفةً بأحوال الإسلام، حيث يقول:"...وإنّ ولدنا المشار إليه (محمد داود) هو صديق ولدكم السيد أحمد توفيق المدني، وكأنّ هذين الشابين فرقدان في العلم والفضل والحميّة والجدّ والاستقامة..."، ثمّ أخبره أن السيد المدني راسله وسأله عنه، فأجابه أن الشيخ يعزّه ويعتمد عليهم ويعدّهم من أنجب أولاده، وأفضل من يتفرّس فيهم الخير لمستقبل الأمّة[3].

وقد أدرجنا هذه الفقرة سابقاً في العنصر الخاص بالثعالبي من الفصل الثالث، والعنصر الخاص بأحمد توفيق المدني، وكذلك في هذا العنصر لاحتوائها على إقرار واعتراف الأمير بمكانة السيد محمد داود، وكيف

---

(1) عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص ص72، 73.

(2) عمر رياض، المصدر نفسه، ص ص80.

(3) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص88.

كان يوصي به كبار العلماء والعظماء في مصر على غرار الثعالبي، ومحمد علي الطاهر وغيرهم؛ والملاحظ أن مراسلات الأمير لم تقتصر على الوطنيين المغاربة في الشمال، بل تعدتها إلى الجنوب أي في الجزء المحتل فرنسياً حيث وثّق علاقاته بعديد الوطنيين المغاربة وكانت له مراسلات عدّة ولقاءات كثيرة معهم، لكن ليس بالدرجة التي كانت مع رجال الشمال المغاربة خصوصاً التطوانيين.

3 3 علاقة الأمير بالوطنيين المغاربة في المنطقة السلطانية(أحمد بلافريج، علال الفاسي):

من الصعب إيراد كل شاردة وواردة حول ما كان من صلات بين أمير البيان ورجال الحركة الوطنية المغربية لكثرة ما كتبه الأمير حول هؤلاء وقضاياهم، وما خطّه لهؤلاء من رسائل، ولا يكفي عنصر واحد لتفصيل ذلك، والسبب يكمن في ما خلّفه الطرفان من رسائل جُمعت في عديد المؤلفات، لكن سنُحاول تقديم حوصلة، أو ومضات حول جوهر العلاقة بين الأمير وتلك الشخصيات.

3-3-1 صلة الأمير شكيب أرسلان بأحمد بلافريج:

في البداية أردنا تتبع ما كتبه الأمير عن شخصية أحمد بلافريج، حيث كتب الطيب بنونة في مؤلَّفه "نضالنا القومي" أنّ الأمير أورد عديد المرات في رسائله اسم أحمد بلافريج، وفي بعض الأحيان لا يكتب اسمه إلاّ إيماءً، وذلك خوفاً من أن يصيبه شيئ من مضايقات الإدارة الفرنسية، أو أراد فقط تدليله، حيث كان يسمّيه أحياناً ب"نور العيون" وأخرى "بقرّة العيون" وفي مرات أخرى يكتب "ولدنا أحمد" أو "أ.ب" [1]، والظاهر أنّ الأمير كان يعزّ الشاب أحمد بلافريج ويكنّ له احتراماً وله عنده مكانةً مميزةً.

ويذكر الأستاذ عمر رياض أن اسم أحمد بلافريج تردّد كثيراً في مراسلات الأمير مع محمد داود، وكان من أحبّ الشباب المغاربة إلى قلب الأمير شكيب، حيث تجاوزت العلاقة حد التعاون السياسي إلى أن صارت علاقة الأب بابنه، حيث اعتبره مثل ابنه غالب، وكان بلافريج يبادل شكيب أرسلان المشاعر نفسها[2].

أمّا عن تاريخ بداية العلاقة بينهما، فيذكر الأمير شكيب أنه عندما انتقل من لوزان في **18** جوان **1930**م قاصدا باريس، استقبله ليلاً شابّان مغربيان، هما السيدان أحمد بلافريج، ومحمد الفاسي [3]، وقد أثنى

---

(1) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص83.

(2) عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص62.

(3) Ageron, "La Politique berbére…", p81.

عليهما قائلاً أنه قد عرف بقدومه شابّان من نخبة أدباء المغاربة السيد أحمد بلافريج من ذوائب بيوتات الأندلسيين في رباط الفتح، والسيد محمد الفاسي من آل الجدّ الفهريّين الأندلسيين من أعيان فاس، وقد قصدا معاً مكتبة غوتنر المتخصصة في الكتب الشرقية ليقتني بعض الكتب العربية المختصّة في تاريخ الأندلس، وقد ذكر الأمير أنّهم سمروا أجمل سمر حيث سمعوا شجى الألحان الموسيقية العربية ولا سيما الأندلسية بباريس[1].

وقد ذكر الأستاذ سامي الدهان أن الأمير أثنى على الشابيْن المغربيين بتفرس مخايل النجابة فيهما، فأصبح الأوّل فيما بعد وزيراً للخارجية، وغدا الثاني وزيراً للمعارف وهو اليوم مدير للجامعة المغربية بالرباط، ومن أكبر علماء المغرب، وقد اتفق معهما أن يوافياه إلى مدينة مدريد[2].

وكان الأمير في رحلته هذه يتتبع الآثار العربية وما كُتب عنها في بعض مناطق أوروبا، ليؤلّف فيما بعد كتابيه "غزوات العرب"، و"الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية"، وكانت هذه الرحلة سبقت زيارته التاريخية إلى طنجة وتطوان المغربيتين.

وقد ذكر أمير البيان اسم الشاب أحمد بلافريج عديد المرّات، ففي إحدى رسائله إلى محمد علي الطاهر أبي الحسن صاحب "الشورى"، أورد الأمير اسم بلافريج، حيث أوصى أبا الحسن بإرسال أعداد مجلة "الشورى" كهديّة منه إلى السيّد أحمد بلافريج، وأعطاه العنوان الخاص ببلافريج[3].

وفي موضع آخر، ضمن كتاب "مراسلات أمير البيان إلى كبار رجال العصر"، وفي ختام رسالته إلى الحاج بنونة[4]، يطلب أمير البيان منه أن يقبّل له على عيون أحمد كثيراً كثيراً، ثم يدرج بيتين شعريين للإحماض كما ذكر، ويضيف أنّه مسرور كثيراً باحتجاج جميع الطلبة العرب بباريس بالبرقيات شديدة اللهجة إلى

---

(1) شكيب أرسلان، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط** ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1933م، ص10. سعود المولى، **الأمير شكيب أرسلان بنو معروف...**، ص146.

(2) سامي الدهان، **الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره**، ص 268.

(3) شكيب أرسلان، **رسائل علمية وأدبية**، ص17.

(4) أُرّخت الرسالة بتاريخ 26 أفريل 1931م، وقد أشرنا إليها سابقاً في العنصر الخاص بعلاقة الأمير بالحاج عبد السلام بنونة، وتضمنت تهنئة عيد الأضحى وذِكر تفاصيل حملة شكيب أرسلان على إيطاليا، وغضب الشعوب العربية على ممارسات الفاشيين. أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 268.

إيطاليا، ثم يطلب منه كذلك شكر نور العيون أحمد على همّته [1]، ولا شكّ أنّ تلك الاحتجاجات كان تحت وصاية الأمير وبإرشاد من أحمد بلافريج من باريس.

والجميل فيما كتبه الأمير باستدلاله في عديد المقالات بما قاله أحمد بلافريج سواء في مقالاته أو ضمن رسائله، ففي مقال له في جريدة الفتح أورد الأمير اسم الشاب في مقدمة مقاله، حيث قال:" ذكر الشاب المغربي النابغة السيد أحمد بلافريج كيف كان افتتاح مؤتمر المستشرقين في ليدن ..." [2]، وقد اعتمد الأمير على تعليقات الشاب بلافريج الذي كان من الحاضرين في مؤتمر المستشرقين في هولندا، ونقل عنه ما كان من تصريحات للمؤتمرين، خصوصاً ما قاله ناظر المعارف الهولندي حول أهداف بلده التبشيرية من خلال أعمالها التجارية في أطراف آسيا، ووصفه بالشاب المغربي النابغة.

وضمن مكتوب أرسله الأمير إلى السيد الحاج بنونة أشار شكيب إلى مقال ذي أهمية كبيرة نُشر في "جريدة النداء" البيروتية، كتبه الشاب بلافريج، والذي قال عنه الأمير أنّه أكثر شباب هذه الأمّة نجابةً، ثمّ يصرّح أنه يحبه وكذلك محمد الفاسي [3] كما يحب ولده غالب [4]، وقد أوردنا ما تضمنته الرسالة بالتفصيل سابقاً.

أما عن مجلة "مغرب"، والتي تحدثنا عنها في مواضع سابقة، وكان تأسيسها بإيعاز من الأمير شكيب، كان أحمد بلافريج أحد أساساتها، يذكر الأستاذ محمد العربي المساري أن أحمد بلافريج والوزاني وابن عبد الجليل كانوا وراء الدّعاية ضد القمع الفرنسي عبر مجلة "مغرب" بباريس، وقد تأسست هذه المجلة بين سنتي **1931**م و**1932**م بتكثيف الجهود والمشاورات بين تطوان ولوزان وفاس وباريس [5]، وقد أوردنا سابقًا أن الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة والحاج أحمد مكوار كانوا من الدعاة المهتمين بتأسيس المجلة في باريس للدفاع عن حقوق المغاربة، حيث أمدّوها بمالهم الخاص، ومهمة تسيير المجلّة أُسندت إلى الشّابين

---

(1) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص 272.

(2) شكيب أرسلان، **"كيف يتمسّكون بدينهم ويفتخرون به"**، مجلة الفتح، السنة السادسة، العدد274، ص1.

(3) يقول محمد الفاسي بعد زيارة أمير البيان إلى مدينة تطوان في أوت 1930م، :"...ومن هذا التاريخ وأواصر الحب والوداد تربطنا فكنت أزوره كل سنة، المرة والمرتين، والمراسلة لا تنقطع بيننا وتعارف به بعد ذلك كل من يقصد أوروبا من شبابنا ورجالنا، وكلهم يرجعون من عنده معجبين يحملون له محبّة خالصة ويوليهم مثلها...". سعود المولى، **شكيب أرسلان بنو معروف أهل العروبة والإسلام**، ص149.

(4) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص246.

(5) محمد العربي المساري، **"قصة إصدار "مغرب""**، مجلة رباط الكتب، مجلة إلكترونية مختصة في الكتاب وقضاياه، مركز تواصل الثقافات، رابط المقال : https://ribatalkoutoub.com/?p=2102 ، تاريخ الزيارة : 2022/12/16، 16:39.

الوطنييْن الحاج أحمد بلافريج، ومحمد بن الحسن الوزاني، في حين تحمّل مسؤولية إصدارها ابن صديق المغاربة "جان لونغي"، وقد صدر أول عدد للمجلة في جويلية **1932**م[1]، في حين يذكر الأستاذ عمر رياض أن أحمد بلافريج كُلّف من طرف شكيب أرسلان بجمع الموارد المالية للمجلة كذلك[2].

أما في مدونته فقد أورد أمير البيان عديد المعلومات، حيث ذكر أنّ هناك تزايدًا في نشاط رموز حزب الاستقلال ومطالبته بالاستقلال صراحةً، وعلى إثر ذلك قامت السلطات الفرنسية في المغرب في **28** جانفي **1944**م باعتقال الأمين العام للحزب السيد الحاج أحمد بلافريج، وعضو اللجنة التنفيذية محمد اليزيدي بتهمة الاتصال بالعدو، على أساس أن الحركة الاستقلالية في المغرب أيّدتها وساندتها دول المحور إيطاليا وألمانيا [3]، أرادت السلطات الفرنسية إلصاق التهم الواهية برموز الحركة الوطنية المغربية بالتهم نفسها التي اتهم بها الأمير في كل المناسبات، سواء من طرف الإعلام الفرنسي أو السلطات الفرنسية بشكل مباشر.

وبعد يوم من اعتقال قادة حزب الاستقلال، احتجت الجماهير الغاضبة في مظاهرات عارمة استمرت ثلاثة أيام متتالية، حيث اصطدم فيها المتظاهرون بالقوّات الفرنسية، أسفر عنها مقتل **60** شخصاً وجرح أكثر من مائة آخرين من الوطنيين، فردّت فرنسا على إثر هذه الاحتجاجات بإعلان الأحكام العرفية في الرباط؛ وفي التاسع من شهر فيفري **1944**م، قام أعضاء حزب الاستقلال المغربي بتوزيع بيان إعلامي عُنون "بحضارة أم وحشية"، شرح من خلاله الممارسات الأخيرة للقوّات الفرنسية في الرباط لتفريق المتظاهرين المدنيين سلمياً[4].

ورغم العلاقة التي كان يميّزها الحب والتآخي، وأصبح الأمير يمثل بلافريج بابنه غالب، إلاّ أن العلاقة شابها بعض الفتور بين سنتي **1934**م و**1935**م ثم عادت إلى طبيعتها، والسبب يكمن في الفترة ما بعد وفاة الحاج عبد السلام بنونة، استغرب الأمير شكيب حضور جم غفير من الجموع إلى تطوان للجنازة من جميع مدن المغرب إلا أحمد بلافريج، والذي كان من الذين يعزهم الحاج بنونة، ثم راسل الأمير محمد داود يشكوه فعل بلافريج والذي قاطعه مدة سنة ونصف تقريباً، ولا يردّ على رسائله، وكان ظنّ أرسلان متوجّهًا إلى

---

(1) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص46.

(2) عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص29.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص335.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص ص 335، 336.

خوف بلافريج من المراقبة الفرنسية للمراسلات [1]، لكن بدأ شكيب يشك في الأمر وبدأت تساوره الشكوك حول ارتماء بلافريج في أحضان السلطات الفرنسية، خاصة بعد مجيء المقيم العام هنري بونسو Henri Ponsot والذي استدعى بلافريج إلى مكتبه واجتمع به عديد المرات[2].

وفي فحوى الرسالة المؤرخة في **13** فيفري **1935**م المرسلة إلى محمد داود، ذكر أمير البيان أن أحمد بلافريج أرسل إليه رسالة اعتذار، وذكر أسباب انقطاعه عن الكتابة راجياً العفو، حيث ذكر أنّه انشغل مع مشروع قديم وهو إنشاء مدرسة عصرية، وقد تحدث مع المقيم العام هنري بونسو شخصياً ووعده بمنحه الرخصة لذلك، وأضاف أن تلك الوعود لم يظهر منها شيء، ويذكر الأستاذ عمر رياض أن أحمد بلافريج ترك العمل في مجلة "المغرب" دون إخبار رفاقه، وأخذ بالسفر بين المغرب وباريس دون علم أحد بحركاته[3].

وقد ذكر الأمير في عديد المرّات اسم الشاب بلافريج وكانت بينهما العديد من المراسلات، وتوطّدت بينهما الصّلة جيداً، والظاهر أن أبرز شخصيات الحركة الوطنية المغربية كانت على صلة مباشرة بشكيب أرسلان على غرار علال الفاسي، والذي راسل الأمير كذلك والتقى به في سويسرا، وكانت من أهم لقاءاته في مساره السياسي، وقد أشار الأمير لعلال الفاسي إلى ضرورة توحيد جهود الوطنيين المغاربة في برنامج مشترك[4]، ويذكر الفاسي أنه التقى الحاج عبد السلام بنونة وأخوه محمد بنونة في إسبانيا وشكّلوا معاً وفداً التقوا على إثره ببعض النخب الإسبانية من المفكرين بمدريد، ثمّ انتقل إلى باريس ليمكث بها سبعة أشهر كلها نشاط وحيوية مع أحمد بلافريج، والظاهر أنّه بتوصية من الحاج بنونة وبلافريج قصد الفاسي جنيف ليتقي بأمير البيان هناك[5].

---

[1] يذكر الأمريكي جوناثان ويرتزن الوطنيين المغاربة والأمير شكيب أرسلان وظّفوا البريد البريطاني البعيد عن الرقابة الفرنسية في مراسلاتهم واستغلوا البيئة المنفتحة على النشاط القومي الممثلة في العواصم الأوروبية كجنيف وباريس ومدريد وغيرها في تكثيف نشاطهم عبر تنقلاتهم من المغرب إلى المشرق عبر أوروبا. Jonathan Wyrtzen, op cit, p 160 .

[2] عمر رياض، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، ص ص61- 64.

[3] المصدر نفسه.

[4] محمد رحاي، **"من أعلام الحركة التحررية في المغرب العربي: علال الفاسي أنموذجاً"**، مجلة المستقبل العربي، ص140.

[5] علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، مؤسسة علال الفاسي، المغرب، 2003، ط6، ص ص179، 180.

3-3-2 صلة الأمير شكيب أرسلان بالزعيم علال الفاسي:

يذهب الأستاذ إدريس بوفردة إلى أن أولى لقاءات أمير البيان بعلال الفاسي كانت في جنيف، حيث بعد أن تعرّض الفاسي للتّضييق والمتابعة جراء محاضراته ودروسه المناوئة للاستعمار الفرنسي التي كان يلقيها في القرويين، ومحاولتهم اعتقاله، لجأ إلى الشمال المغربي، إلاّ أنّه تعرض للمضايقة من قبل السلطة الإسبانية، فسافر إلى إسبانيا، ثم نحو طنجة [1]، ثم إلى باريس، وقد كان منسّقاً بين مختلف التنظيمات الوطنية المغربية، وبعدها سافر إلى جنيف حيث ربط علاقته بالأمير شكيب أرسلان الذي ساهم في إثراء مواقفه كما ذكر الأستاذ بوفردة[2]، وتاريخ اللقاء بينهما كان سنة **1933**م[3]،

أما علال الفاسي فيذكر في كتابه"الحركات الاستقلالية" أنّه كان على اتصال بالشباب المغربي الذي هاجر من أجل إتمام الدراسة بفرنسا أو بالشرق، حيث كانوا يعملون في جو من الحريّة، وقد استطاعوا تأسيس "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" بباريس، و"جمعية الثقافة العربية"، وقد ربطوا الاتصال في العطل الصيفية بشخصيات بارزة منها الأمير شكيب أرسلان [4]، وهذا دليل على معرفة علال الفاسي بكل تفاصيل نشاط الوطنيين في الخارج بما في ذلك توثيق اتصالهم بالأمير شكيب أرسلان، وهذا كان قبل سنة **1930**م، في حين لا توجد معلومات حول اتصال الفاسي بالأمير قبل هذا التاريخ.

وقد اعتقل علال على إثر مشاركته في المظاهرات المناهضة للظهير البربري سنة **1930**م، فأطلق سراحه ليُسجن مرّةً أخرى بسبب مشاركته في وضع المطالب المغربية التي قُدّمت لملك البلاد، وكان من المساهمين في وضع دفتر الإصلاحات المغربية، ثم الدعوة للمطالب المستعجلة، ويُعتبر مؤسّسا للعمل النقابي بفاس والقنيطرة؛ وفي سنة **1936**م انتخب رئيساً "لكتلة العمل الوطني" [5]، وللإشارة فقد كتب علال الفاسي عن دور الأمير شكيب أرسلان في مسألة الظهير البربري، حيث كان مهماً حسبه، فبمجرد علمه بمسألة الظهير حتّى حلّ على

---

[1] عندما عاد علال الفاسي من طنجة عام 1933م قررت الإدارة الفرنسية اعتقاله، في حين علم الفاسي بالأمر فلم يدخل إلى المنطقة المشمولة بالحماية الفرنسية ففرّ نحو اسبانيا ثم فرنسا ثم توجّه نحو سويسرا ليكون له اللقاء التاريخي مع شكيب أرسلان، وكانت هذه الرحلة أول سفر خارج الحدود المغربية للفاسي. محمد رحاي، مرجع سابق.

[2] إدريس بوفردة، مرجع سابق، ص200.

[3] عبد الحق عزوزي، مرجع سابق، ص323.

[4] علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ص159.

[5] إدريس بوفردة، مرجع سابق، ص200.

المنطقة الخليفية ضيفاً، وقد فضح ممارسات الفرنسيين في المغرب للرأي العام العربي، وأضاف أن الفرنسيين أخرجوه من طنجة ومنعوه من دخول المنطقة السلطانية[1].

ورغم المكانة السياسية التي يمتلكها علال الفاسي على الساحة السياسية المغربية، والشهرة التي اكتسبها، إلاّ أن أمير البيان لم يذكر شخصية علال الفاسي في مدونته إلا بداية سنة **1933**م لّما قامت السلطات الفرنسية بنفيه إلى باريس [2]، وهو التاريخ الذي التقى فيه الرجلان بجنيف وتبادلا الحديث حول القضية المغربية [3]، وأكّد له الأمير على ضرورة توحيد جهود رجال الوطنية المغربية في برنامج موحد لمناهضة سلطات الاحتلال الفرنسي والإسباني على حدّ سواء.

ثم يذكر أمير البيان بعض من مناقب علال الفاسي، ويتتبع إسهاماته السياسية في بلده المغرب، حيث كتب في المدوّنة أنّه في الأول من سبتمبر **1934**م قامت كتلة العمل الوطني في المغرب بتقديم مجمل المطالب التي هي بمثابة برنامج حزبهم إلى المقيم العام الفرنسي في المغرب، وذكر أبرز أعضاء هذه الكتلة وهم على التوالي علال الفاسي، محمد اليزيدي، ومحمد الديوري، وتتلخص مطالبهم في :

- تطبيق المعاهدات التي بين المغرب وبين فرنسا وإلغاء كل مظاهر الحكم المباشر.
- إلحاق المغاربة بجميع الإدارات ومراكز السلطة.
- الوحدة القضائية والإدارية لجميع مناطق المغرب.
- الفصل بين السلطات التي تدخل في اختصاص الباشاوات والقواد.
- تأسيس مجالس بلدية وإقليمية ومجلس وطني كل أعضائها من المغاربة المسلمين واليهود[4].

---

[1] علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ص168.

[2] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص213.

[3] رغم أنهما تعارفا خلال لقائهما الأول أي سنة 1933م، إلاّ أنه يستحيل أن يكون علال الفاسي غير معروف لدى أمير البيان قبل سنة اللقاء بينهما في جنيف، حيث تذكر حسناء داود ابنة السيد محمد داود أن أبوها كان على اتصال دائم برجال الحركة الوطنية في فاس، من بينهم علال الفاسي، حيث كانا يتراسلان منذ سنة 1928م، وخلّف السيد محمد داود ما يقارب 66 رسالة من الفاسي، وحوالي 90 رسالة من محمد داود وكُتبت من الفترة 1928م إلى غاية 1937م، وبالطبع سيذكر محمد داود شخص الفاسي للأمير ضمن مراسلاتهما، وهذا ما كان يوصي به أمير البيان معظم الوطنيين المغاربة، أي تكاتف الأيدي والتوحد لمناهضة الاحتلال. أحمد فردوس، **"حسناء داود تبوح بأسرار من سيرة والدها المؤرخ المرحوم محمد داود"**، من الموقع الإلكتروني: أنفاس بريس، تاريخ النشر: الأربعاء 26 أوت 2020م، ص ص 3، 4. الرابط : https://www.anfaspress.com/index.php/news/voir/69320-2020-08-26-02-55-00 تاريخ الزيارة: 2022/03/29م، 17:54.

[4] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 226، 227.

وفي مؤتمرها المنعقد بتاريخ **25** أكتوبر **1935**م بدار السيد الحفيان الشرقاوي، خرجت كتلة العمل الوطني المغربية بمجموعة مطالب مستعجلة تتعلق بجل مناحي الحياة في المغرب، أوردها أمير البيان في مدونته حيث شملت :

- الحريات الديمقراطية.
- توحيد برامج التعليم في جميع أقاليم المغرب.
- اكتتاب القضاء بطريق المسابقة.
- حماية الفلاح المغربي من الحكام والمعمرين والمرابين الفرنسيين.
- تطبيق قوانين العمل الفرنسي على العمال المغاربة.
- إسقاط بعض الضرائب والتسوية في الباقي بين المغاربة والفرنسيين.
- تكثير عدد المؤسسات الاستشفائية.

ففي هذه المرحلة الحسّاسة، كثّفت كتلة العمل الوطني المغربية نشاطها، حيث كتب الأمير في مدونته أنّه بتاريخ الرابع عشر من ديسمبر **1935**م، أرسلت الكتلة عدة برقيات إلى كلٍّ من رئيس الجمهورية الفرنسي والمقيم العام الفرنسي في المغرب، وسلطان المغرب، ووزير الخارجية الفرنسي، ورئيس لجنتي الخارجية في مجلسي الشّيوخ والنّواب الفرنسيّين، حيث تُطالب من خلالها إلغاء المجالس الفرنسية في المغرب، واستخلافها بأخرى مغربية؛ وتجدر الإشارة إلى أنّ آخر مطلب للكتلة أورده أمير البيان، تمثّل في تشكيل هيئة فنّية مغربية فرنسية لدراسة الوسائل الصالحة قصد تنفيذ مطالب الشعب الجزائري [1]، وعليه فإن كتلة العمل الوطني المغربي تعمل وفق برنامج وحدوي مغاربي للمستقبل، حيث لم تنحصر مطالبها ضمن حدود المغرب الأقصى، بل تعدّت ذلك و لم تؤمن بالتقسيمات الاستعمارية وخصّصت قسماً من مطالبها في خدمة الشأن المغاربي.

وبعد تعيينه في منصب المقيم العام في المغرب صرّح السيد بيروتون Marcel Peyrouton المقيم الفرنسي العام الجديد في المغرب للصحفيّين بمرسيليا بعدما كان مقيماً عاماً في تونس سابقاً أنّه يفتخر بكونه قضى على حزب الدستور التّونسي، وأنّه سوف يقضي كذلك على كتلة العمل الوطني المغربية، وأنّ القوّة والعنف هما الشعّار الذي يجب أن يُتبّع في السياسة الأهلية في شمال إفريقيا [2]، وقد أوردنا هذه المعلومات سلفاً، والتي

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 234، 235،

[2] أرسلان، المصدر نفسه، ص239.

ارتبطت كذلك بحزب الدستور التونسي برئاسة لحبيب بورقيبة في الفصل الثالث الخاص بالحركة الوطنية التونسية.

وفي إطار التضيّيق والعمل على إخضاع أعضاء كتلة العمل الوطني في المغرب، قامت السلطات الفرنسية في المغرب بإلغاء انعقاد مؤتمرٍ كان سينعقد في مدينة الدار البيضاء للنقاش في مسألة حريّة الصحافة في المغرب، والحيلولة دون إصدار الجرائد باللغة العربية، وتابعت ممارساتها بالقبض على قادة الكتلة، في مقدمتهم: علال الفاسي، ومحمد اليزيدي، ومحمد الوزاني، ووقعت هذه الإجراءات التعسفية في نوفمبر **1936**م، واكتمل هذا التضييق بقرار حل كتلة العمل الوطني بتاريخ **18** مارس **1937**م[1].

وفي شهر مارس **1937**م، عقدت فروع كتلة العمل الوطني مؤتمراً جمع جميع مناضليها، حيث قرّروا أن يطلقوا على حركتهم اسماً جديداً وهو "الحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية"، وقد تأسس الحزب عبر عمله التجديدي على قاعدتين أساسيتين :

- المغرب بلاد متمسكة كامل التمسك بالإسلام.
- المغرب متمسك بالنظام الملكي[2].

وفي **23** جويلية **1937م**، قدّم الحزب الوطني اقتراحاته إلى الحكومة الفرنسية لتحقيق برامجه الإصلاحية، لكن كل تلك المطالب والمقترحات كانت تلقى التهميش السياسي وعدم الاهتمام من قبل السلطة الفرنسية في المغرب، بل الإقصاء والاستبعاد عن المشهد السياسي المغربي، ممّا اضطر قادة الحزب الوطني تنظيم تظاهرة في مدينة مرّاكش في **26** سبتمبر **1937**م، شاركت فيها مختلف طبقات المجتمع المغربي، احتجاجاً على حالة اليأس التي وصل إليها الشعب المغربي، فردّت قوّات الاحتلال الفرنسي بإطلاق النار بشكل مباشر على المحتجّين، وإلقاء القبض على خمسة من قادة الحزب[3].

أمّا في مدينة الرباط، فقد عقد مناضلوا الحزب الوطني مؤتمراً بتاريخ **13** أكتوبر **1937**م، بمنزل أحمد الشرقاوي عضو المجلس الوطني للحزب ورئيس فرع مدينة الرباط، حيث خرج المؤتمرون بعدّة قرارات :

---

(1) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص246، 252.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه ، ص ص255، 258.

- استنكار جميع أنواع الإضطهادات التي تُمارس في المغرب.
- مطالبة الصحف المغربية بالحقوق نفسها التي تتمتع بها الصحافة الأجنبية.
- استنكار رفض السلطات الفرنسية السماح للمغاربة بتأسيس الجمعيات.
- اعتبار الروح الرجعية التي تُسيطر عليها دوائر الحماية الفرنسية مسؤولةً عن إثارة سخط المغرب والعالم الإسلامي في القضية المغربية.
- التزام المؤتمر بمقاومة التصرفات الفرنسية الجائرة بالطرق المشروعة.
- الإعلان على أنه ليس للحركة الوطنية المغربية صلة بأي عامل خارجي.
- المطالبة بتنفيذ مطالب المغرب المستعجلة والعدول عن خنق الحريّات والاضطهادات[1].

أما عن قيادات الحزب الوطني الناشطة، فقد أقدمت السلطات الفرنسية على اعتقال علال الفاسي في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر **1937**م وقامت بنفيه، حيث نُقل إلى الغابون بإفريقيا الاستوائية بتاريخ الثالث من نوفمبر من السنة نفسها، واستمر تحت الإقامة الجبرية في منفاه إلى غاية شهر جوان من سنة **1941**م، حسب ما كتب أمير البيان في مدونته [2]، في حين يذكر عديد الباحثين أن تاريخ عودة علال الفاسي من الغابون كانت عام **1946**م[3].

وعلى إثر اعتقال قادة الحزب الوطني وعلى رأسهم علال الفاسي، قامت مظاهرات شعبية في مدينة فاس احتجاجاً على الاعتقالات العشوائية السياسية دامت أيّام عدّة، فأعلنت السلطات الفرنسية الأحكام العرفية في الحي العربي بفاس، واعتقلت حوالي **600** شخص بتهمة إحداث أعمال الشغب، وأسفرت الصدامات بين المتظاهرين والقوّات الفرنسية عن قتلى وإصابات، وقد تمكّن الجنرال الفرنسي بلان [4] حاكم منطقة فاس من السيطرة على مركز الحزب الوطني بالمدينة [5]؛ جاء ردّ أرسلان الصحفي مماثلاً كما ذُكر على لسان الأمريكي

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه** ، ص259.

[2] أرسلان، المصدر نفسه.

[3] محمود صالح الكروي، **"علال الفاسي الوطني العربي الكبير"**، كتاب جماعي، إشراف : عبد الحق عزوزي، **علال الفاسي نمر من العلم الجاري والوطنية الخالدة**، مؤسسة علال الفاسي، المغرب، ط1، 2010م، ص244.

[4] وقد عُيّن الجنرال بلان في منصب حاكم عام للجيش في تونس مع بداية الحرب العالمية الثانية، و لم تتوقف ممارساته الدنيئة مع التونسيين، حيث يذكر علال الفاسي أن هذا الجنرال أمر باتخاذ تدابير جديدة اتصفت بالشدة، كالحكم بالإعدام وتحميل الأهالي مسؤولية حراسة الأسلاك الخاصة بالتليفون بالمناوبة، ومُنع توزيع السلاح على الجنود التّونسيين، ثم ظهرت بوادر العصيان المدني بين المجندين، فاضطرت السلطات الفرنسية بإرسالهم إلى جبهات القتال في بلجيكا وإيطاليا، وبقيت المحاكم العسكرية قائمة، فمُلئت السجون والمنافي بأفراد الشعب. علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ص85.

[5] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص ص 258، 259.

جوناثان ويرتزن واصفاً الممارسات الفرنسية بالإرهابية، واستمر العدوان الفرنسي على مناطق وجدة تافيللت في الجنوب، ودرعة، وجبال الأطلس، وقد استعملت حتى الطائرات في قصف المدنيين العزّل، وشبّه أعمال المقيم العام الفرنسي لوسيان سان Lucien Saint بأعمال فرديناند وإيزابيلا في الأندلس، وكانت هاته الأخبار ضمن مقالات أعداد أوت وسبتمبر **1930**م عبر مجلته "لا ناسيون آراب"[1].

وينفي المؤرخ أجرون ما جاء به الأمير ضمن مقالاته، حيث يقول أن الأمير نشر بأن لوسيان سان أراد تحويل البربر إلى الكاثوليكية، ورغبته في استكمال أعمال فارديناند وإيزابيلا، وكذا اتهام الأمير للمقيم لوسيان سان زوراً بأنه يحمل أفكار الأب دي فوكو والمطران لافيجري [2]، والملاحظ أن توجّه المؤرخ أجرون الأيديولوجي نفسه الخطّ الذي ينتهجه التوجّه الاستعماري للسلطة الفرنسية.

وفي الفترة نفسها وبالضبط في **27** أكتوبر **1937**م، جرت صِدامات دمويّة بين الشرطة الفرنسية والمغاربة في ميناء ليوتي، أسفرت عن مقتل أربعةٍ وجرح ثلاثين منهم ستة من رجال الشرطة الفرنسية [3]؛ وقد ذكر أمير البيان في كتابه "عروة الاتحاد" أن السبب وراء ارتكاب هذه المجازر هو لائحة مطالب الإصلاحات التي قدمها الوطنيون المغاربة للسلطات الفرنسية، قصد تحقيق العدل المساواة بين الفرنسيين والأهالي المغاربة [4]، ويذكر علال الفاسي في ذات السياق أن الجنرال الفرنسي بلان قبل نقله إلى تونس مع بداية الحرب العالمية، وخلال عمله بمدينة فاس قام فيها بضروب القساوة العظيمة على حدّ تعبيره [5]، حيث أنّ معظم تلك الجرائم كانت بأمره، وقد بلغت ممارساته أشدّها في تونس.

وفي خضم هذه المظاهرات وحالة اللإستقرار، زار الجنرال نوجيس[6] Général Maurice Noguès Noguès المقيم العام الفرنسي في المغرب مدينة فاس في **31** أكتوبر **1937**م، وفي ندوة صحفية صرّح

---

(1) Jonathan Wyrtzen, op cit, p162.
(2) Ageron, "La Politique berbére…", p82.

(3) أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص260.

(4) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص57.

(5) علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، ص85.

(6) تقلّد الجنرال موريس نوجيس منصب المقيم العام الفرنسي في المغرب الأقصى في منطقة السيطرة الفرنسية بين سبتمبر 1936م إلى غاية شهر جوان عام 1943م.

للصحافة أنّه "لن يغضّ الطرف أبداً عن أعمال الوطنيين..." [1]، وهذا تهديد واضح لقادة الحزب الوطني وغيرهم من الوطنيين المغاربة على نشاطهم السياسي المتزايد، ومطالبهم الصريحة الخاصة بمناحي الحياة من تعليم، قضاء، حريات، المساواة في الحقوق والواجبات.

والملاحظ أن الأمير شكيب أرسلان كان يتتبع أعمال أعضاء كتلة العمل الوطني وعلى رأسهم علال الفاسي، وقد أورد ذلك كذلك في كتابه "عروة الاتحاد"، حيث ذكر أنّ أعضاء عصبة العمل القومي نُفوا إلى جهات بعيدة، وكان غضب الفرنسيين شديدًا على علال الفاسي لنبوغه وشدّة نفوذه، وهو ما يشكّل خطراً على مصالحهم في المغرب، وأضاف الأمير أن الفاسي أُخذ على متن الطائرة ودون علم أحد بذلك، وقد أخذوه إلى "سان لويس" بالسنغال ثم نُقل على متن طائرة أخرى إلى مكان على البحر الأطلنطي، ثمّ نُقل في الباخرة إلى بلاد الغابون على خطّ الاستواء، ويضيف أنّ الفرنسيين اختاروا هذا المكان قصد القضاء على حياة الفاسي دون رمي بالرصاص ولا جلد بالسياط، لأن بلاد الغابون أكثر البلدان حرارةً، وقد استند الأمير في سرد تفاصيل نفي الفاسي إلى رسالة الشاب اللبناني من آل معروف الذي كان على متن الباخرة نفسها خلال نقل الفاسي، ورأى بأم عينه ممارسات الجنود الفرنسيّين وإهانتهم له طيلة الرحلة إلى الغابون، وبعد وصولهم كتب هذا الشاب إلى أمير البيان عبر البريد الجوّي، واصفاً له حالة الفاسي وتفاصيل عملية نفيه[2].

وكما بدأنا هذا العنصر سنختم بما ذكره الأستاذ عيسى حمري في ما يخص علاقة أمير البيان برموز الحركة الوطنية المغربية، حيث أن الأمير شكيب أرسلان وطّد علاقته مع الكثير من الشخصيات البارزة على الساحة السياسية المغربية في المنطقة الفرنسية والمنطقة الخليفية الإسبانية، و لم تقتصر على من ذُكروا، أمثال الحاج عبد السلام بنونة ونجله الطيب بنونة، وصهره محمد داود، وعبد الخالق الطريس، وعلال الفاسي، وأحمد بلافريج أضف إلى ذلك المكّي النّاصري ومحمد بن الحسن الوزاني....وغيرهم، فكان هؤلاء كلّهم على تواصل مع أمير البيان شكيب أرسلان، فكاتبوه وراسلوه وأخذوا توجيهاته [3]، والتقى بهم في المغرب وفي أوروبا، وبالأخص في سويسرا مكان إقامته.

---

[1] أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، ص260.

[2] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص61.

[3] عيسى حمري، "**علاقة الأمير شكيب أرسلان بالوطنيين المراكشيين**"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد13-14، ديسمبر 2016م، ص207.

وقد اتخذ الأمير كاتباً له من المغرب وهو محمد الحسن الوزاني أبرز الشباب المغاربة في الخارج، والمثقف بثقافة غربية، والمتخرج من مدرسة العلوم السياسية الحرّة Ecole Libre Des Sciences Politiques وهو من المتحمّسين للتطور العصري كما ذكر ذلك المؤرخ جوليان[1].

ويذكر الطيب بنونة في "نضالنا القومي" أنّ مهمة تسيير مجلّة "المغرب" أسندت إلى الشّابين الوطنيين الحاج أحمد بلافريج، ومحمد بن الحسن الوزاني، في حين تحمّل مسؤولية إصدارها ابن صديق المغاربة "جان لونغي" حيث صدر أول عدد للمجلة سنة **1932**م[2]، فكان للوزاني دور بارز في نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا وكذا المجال الإعلامي خصوصاً مجلة "المغرب" المذكورة آنفاً.

و لم نشأ ذكر تفاصيل الصلة التي كانت بين أمير البيان شكيب أرسلان وبين الوزاني والتازي والناصري وغيرهم ممّن كانت لهم صلات وجولات ومراسلات مع أمير البيان، رغم ما خلّفه المغاربة من كتابات في هذا الشأن، والراجح أنّهم أخذوا الحصة الأوفر في الاهتمام بقضيتهم من قبل أمير البيان مقارنة ببلدان المغرب العربي الأخرى، والراجح كذلك أن الوطنيين من الشمال وخصوصاً من تطوان أخذوا الجزء الأكبر من محبّة أمير البيان ومراسلاته مقارنةً بالوطنيين في الجزء المحتل من طرف فرنسا، والسبب الأساس يكمن في التضييق الأمني والرقابة الشديدة من قبل الإدارة الفرنسية، والتي كان لها موقف ثابت من نشاط الأمير في المغرب، سواء عبر صحافتها أو رجال أمنها أو إجراءاتها القانونية، كما سنحاول تقصي ذلك في العنصر الموالي.

4) موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية و الإسبانية من النشاط السياسي لأمير البيان:

لعلّ التباين في الرؤى والاختلاف في الأهداف جعل من مواقف الدولتين الفرنسية و الإسبانية تختلف تجاه نشاط أمير البيان، ويمكن إرجاع ذلك للضعف الذي أصاب الإسبان والهزيمة التي تلقتها على يد بطل الريف وأهل الريف الذي دفعها إلى تغيير سياستها تجاه المغاربة وأصدقائهم، أو عناد الفرنسيين والإحساس بتميّزهم جعل من سياستهم تختلف عن باقي دول أوروبا الاستعمارية، فغطرستها وغرورها هو الفكر السائد في معاملة شعوب المستعمرات، فضمن هذه الأسطر سنحاول إبراز التباين في المواقف بين السلطتين

---

(1) شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير...**، ص34.

(2) الطيب بنونة، **نضالنا القومي**، ص46.

الاستعماريتين في المغرب وتتبع ما صدر عنهما من قرارات وأوامر وإجراءات تجاه جهود أمير البيان لصالح المسألة المغربية.

وقد كتب الأمير في إحدى رسائله، والتي تُبيّن أن كل دول الاحتلال سواء في نظره، فالفرنسيين والإسبان دولتا احتلال جاءتا لخدمة مصالحها لا غير، فكان دائماً على حذر، حيث كتب للوطنيين المغاربة :"...من المصلحة أن لا تكتبوا لي بشيء إذا وقع بيد الفرنسيين أو الإسبانيين يكون حجّة عليّ بأنني على صلة وثيقة بالحركة الوطنية المغربية..."[1].

4-1 موقف الفرنسيّين من مساعي أمير البيان في المغرب:

بطبيعة الحال ستكون المعاملة نفسها في جميع الأقطار التي نشط بها الأمير، فالإدارة الفرنسية لها أسلوب واحد في ممارساتها، وترى في الأمير العدوّ رقم واحد من خلال نشاطاته ومساعيه، فالموقف الفرنسي واضح جليّ تجاه الأمير، والتضييق الأمني والدعاية المغرضة والتلفيق الإعلامي ومختلف الافتراءات...هي ممارسات أضحت عند الأمير مألوفة، خاصة خلال زيارته إلى البلاد المغربية وبالضبط إلى مدينتي طنجة وتطوان.

كان صاحب مجلة" الأمة العربية" يؤمن بأن سلاح الفضح والتشهير أساسي في مواجهة ما كان يسمّيه نازلة الظهير البربري، لذا وبتوجيه منه كان على الوطنيّين المغاربة ضرورة فك الحصار عنهم وعن المغرب عبر الصحافة الحرّة والنّشرات والتقارير والعرائض، ورغم أن الإعلام في المشرق كان يعجّ بمقالات الأمير وأصدقائه إلاّ أنها غير كافية حسبه، لذا كان يرى أن يعتمد الطلبة المغاربة على الصحافة الحرة في فرنسا موطن سلطات الاحتلال للتأثير على الرأي العام هناك الذي بدوره يؤثر على مصدر القرار هناك.

فمن زاوية أخرى، يذكر الأمير أهدافه الحقيقيّة حول ما كتبه لفضح ممارسات الفرنسيين في البلاد العربية حينما التقى بالسيد عبد الحي الكتّاني المحدّث المغربي، حيث كان صاحب "مدوّنة العالم الإسلامي" منبوذًا وتُكنّ له السلطات الفرنسية العداء الشديد، فقد كان كلّ يوم تقريباً يقرأ الكثير عن ما تكتبه الصحافة الفرنسية بأنّه ألدّ وأشدّ أعداء فرنسا، لكنه يقول أنّ الحقيقة خلاف ذلك، حيث يريد تقارب فرنسا بالعالم الإسلامي أكثر من أيّ شخص آخر، وهذا التقارب الذي يريده الأمير ليس باستعباد المسلمين الذين لهم ماضٍ

[1] محمد بن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص73.

وتاريخ مجيد، ويضيف أنّه إذا كان بإمكان فرنسا ترك سياسة الاحتقار والعدول عن تنصير البربر، وعن مصادرة أراضي المسلمين، وتُعطي المغاربة نظاماً أشبه بنظام كندا مع انجلترا، ليكونوا جميعاً حلفاءها يُقاتلون من يُقاتلها ويُوالون من يُواليها، ثمّ يذكّر الكتاني بما فعله تجاه ممارسات إيطاليا رغم صداقته مع موسوليني، وبعدما طفح الكيل حرّك العالم الإسلامي بأسره رغم ضعفه وعجزه كما يقول[1].

والملاحظ أن الأمير أراد إيصال رسالة إلى فرنسا عبر الكتّاني الموالي للفرنسيين، فالظّاهر أنّه كلام دبلوماسي بامتياز، حيث أراد كسْب الفرنسيين لتحقيق أهداف قريبة المدى من خلال التوقف عن ممارساتها التسلطيّة وبعيدة المدى من خلال منح المغاربة حكم شبه ذاتي مؤقّت مع بقائه على ولائهم لفرنسا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكّر الكتاني بما يمكن للأمير فعله كما فعل مع إيطاليا رغم صداقته مع موسوليني، بعد أن رفض هذا الأخير الإصغاء إليه، وكيف للعالم الإسلامي اهتزّ جرّاء كتابات الأمير حول ممارسات الإيطاليين في طرابلس الغرب.

وخلال زيارته إلى تطوان، تحدّث الأمير عن التّضييق الذي لازمه طيلة فترة زيارته من طرف المعتمد الفرنسي ورجال البوليس الفرنسي كما أسلفنا، وأوّل من تعرض للتوبيخ الوالي المغربي محمد التّازي بعد إكرامه لضيفه أمير البيان، وخلال تلبيته لدعوة أهل تطوان وإلقائه لكلمة مطوّلة وحضور كثيف للصحافة هناك خصوصاً الإسبانية التي كتبت عن هذا الحدث، في حين أحدثت هذه الزيارة هزّة لدى الصحافة الفرنسية التي أخذت في نشر الافتراءات والأكاذيب حول زيارة الأمير، وبالأخص فيما قاله في خطابه للجمهور التطواني، حيث كتبت جرائدهم أنّه حرّض المسلمين على الحرب المقدّسة، وطعن في السيادة الفرنسية طعناً[2] مقذعاً[3].

وقد أكّد ذلك المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون Charles-Robert Ageron في مقالٍ له ضمن "مجلة التاريخ الحديث والمعاصر revue d'histoire moderne et contemporaine "، أنّ الأمير ألقى

---

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص39، 40.

(2) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص154.

(3) مقذعاً من الفعل قذع أي شتم بالكلام القبيح، وسبّه وقال له كلام فاحش. معجم المعاني الجامع، الموقع الإلكتروني، الرابط : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D9%82%D8%B0%D8%B9%D8%A7/ تاريخ الزيارة : 2022/10/29م 17:32.

الخطب العنيفة ضد فرنسا[1]، في حين تنفي التقارير الإسبانية ذلك كما سنتطرق إليه في العنصر القادم الخاص بموقف إسبانيا من جهود أمير البيان.

ومما لا شك فيه فإنّ فرنسا لم تبقى مكتوفة الأيدي بل بعثت برسالة احتجاج عبر قنصلها بمدريد مفادها أن شكيب أرسلان يقوم بأعمال عدائية ضد فرنسا بمدينة تطوان، لكن الردود التي جاءت من المغرب في عدة تقارير نفت إدعاءات فرنسا حول خطابات الأمير وزعماء الحركة المغربية، وأن أعوان الأمن هناك يتتبعون خطوات الأمير ليلاً ونهار، وقد كانت الحفلة الكبرى قد أُقيمت في **17** أوت **1930م**، وحضرها زهاء المئتي فرد، أخذ الكلمة مجموعة من السياسيين المغاربة ثم تسلّم الأمير الكلمة أعطى من خلالها الكثير من النصائح، لكن الأحاديث الهامّة كانت على هامش هذا الحفل وبعد الختام والتفاف الشباب حوله وإلقائهم الكثير من الأسئلة حول أحوال الأمة العربية الإسلامية وما آلت إليه من ضعف وخنوع واضطهاد استعماري[2].

وللإشارة ففي تقرير لإدارة الاستعلامات الإسبانية في تطوان، ذُكرت تفاصيل الزيارة في الخامس عشر من أوت وفي ختامه يذكر أن القنصلية الفرنسية العامة بتطوان قلقة جداً من وجود الأمير بهذه العاصمة [3]، وأن أعوانها يترقبون تحركاته كلها [4]، وستثبت التقارير الإسبانية ذلك، فكل خطوة يخطوها الأمير، وكل كلمة يقولها إلا وسجّلتها أقلام البوليس السري، سواء الطرف الفرنسي أو الإسباني.

وقد تحدّث الأمير عن تفاصيل عودته من تطوان إلى طنجة واستدعائه من طرف الشرطة هناك قصد كتابة التقرير الخاص بالتحقيقات الأمنية، فوجد رجلا شرطة أحدهما إسباني وهو مدير الشرطة، والثاني معاونه وهو فرنسي، فسلّماه بلاغاً كتبه الوالي محمد التازي، مفاده "إنّ المدعو شكيب أرسلان الذي هو اليوم في طنجة رجل مهيّج ينبغي طرده منها"، وطلبا منه المغادرة حالاً، وعند اطّلاع الأمير على تلك الأوراق رمى بها بقوّة على المنضدة التي كانت بينهما، وقال لهما :"...أنا لست بالذي يُقال له المدعو شكيب، ولست برجلٍ

---

(1) Ageron, "La Politique berbére…", p81.

(2) محمد بن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص ص 41-44.

(3) يذكر الأستاذ العراقي ظاهر محمد صكر الحسناوي في كتابه "شكيب أرسلان الدور السياسي الخفي" أنّ السلطات الفرنسية في طنجة تجنّبت منع دخول شكيب أرسلان إلى تطوان، خوفاً من قيام المغاربة بإحداث المتاعب السياسية والأمنية هي في غنى عنها، فانتظرت حتّى عودته من تطوان في 18 أوت ليستدعيه مدير الشرطة وإبلاغه بطرده. ظاهر محمد صكر الحسناوي، مرجع سابق، ص ص151، 152.

(4) الطيب بنونة، مصدر سابق، هامش ص23.

مجهول ولا أرضى بتحقير كهذا، وعندي مكاتيب من ملوك وقياصرة ورؤوس متوّجة يخاطبونني بالأخ..." [1]، وقد جاء في تقرير إدارة الاستعلامات الإسبانية المؤرخ في **19** أوت **1930**م أنه تم منح الأمير ذلك البلاغ، فامتنع الأمير عن التوقيع واستلام الأمر، وأخبرهم أنه سوف يغادر المدينة بمحض إرادته في اليوم نفسه[2].

وأضاف أن الحكومة الفرنسية نفسها استدعته إلى باريس ثلاث مرّات بشكل رسمي لمذاكرته في القضية السورية[3]، ثمّ طلب منهم إعادة أوراقهم التي سُلّمت له، وأنّه لن يخرج من طنجة بأمرهم بل بقراره هو، وأنّ معاملاتهم الشاذة لن تحطّ من قدره، بل تحطّ بقدر من يفعلها، وأن ما كتبه التّازي قد أُجبر على توقيعه[4].

وتجدر الإشارة إلى ردّ فعل الأمير على هذه الإهانة من خلال إرساله لمكتوب إلى المعتمد الفرنسي بعد وصوله إلى مدينة قادس الإسبانية، جاء فيه :"...إلى المدعو الفلان الفلاني سفير فرنسا بطنجة...كان ينبغي لي أن أحترم في شخصك الدولة التي أنت تُمثّلها، ولكن من حيث أنّ هذه الدولة قد جعلت لها ممثلاً رجلاً غير عارف بواجبات الأدب، فقد ارتفع عنّي وجوب احترامها، ولذلك أقابلك بمثل فعلك..."، وقد أرسل الأمير خمسة نسخ من هذه الرسالة له وإلى طنجة وتطوان، قصد إهانة هذا المعتمد ولكي لا يستطيع كتمها[5].

وقد ذكر الأمير أن المعتمد انتقم فيما بعد من الذين أُرسلت لهم تلك النسخ، وأوصلوه إلى الباخرة، وأُدخل منهم أربعة إلى السجن مدّة ثم أُبعدوا من طنجة إلى تطوان عدّة سنوات، منهم السيد المختار حرضان؛ ثمّ يصف الأمير ما يُعانيه رجال الأمة المغربية من ممارسات عبثية وسخافات المسؤولين الفرنسيين، حيث لا يرتكبها الأولاد الصغار، ثمّ يَرثي جميع الأمم المقهورة في الدنيا ويخصّ بالذكر مسلمي شمال إفريقيا، ويضيف هم الذين بدون شك سيُتوّجون بالجنّة من شدّة ما أصابهم من عذاب فرنسا في هذه الدنيا، ويختم بما ورد في الأثر ما معناه :"...إنّ من استوفى العذاب في هذه العاجلة خفّ عنه العذاب في الآجلة، إن كان عليه ذنوب لابدّ من تمحيصه عنها..."[6].

---

[1] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص155. الطيب بنونة، مصدر سابق، ص ص26، 27.

[2] الطيب بنونة، المصدر نفسه، هامش ص27.

[3] وقد تحدّث على هذا الأمر في مقال له صُنّف ضمن عديد المقالات في كتابه ولاء حتى الفناء تحت عنوان "فرنسا تستدعي الأمير شكيب أرسلان إلى باريس لمفاوضته، جعلوا الدين مصيدة..."، أرسلان، **ولاء حتى الفناء**، ص52.

[4] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص155.

[5] أرسلان، المصدر نفسه، ص156.

[6] المصدر نفسه.

وبعد زيارته التاريخية إلى البلاد المغربية وحملته ضد مشاريع فرنسا ضمن المسألة البربرية، نظّمت الحركة الوطنية في الشمال وفدًا بعد تأسيس الجمهورية الإسبانية عبر توجيهات الأمير، حيث يقول أنّه لّما علمت الأم الحنون (فرنسا) بذلك أي عمل الوفد المغربي في مدريد، وجّهت قواتها إلى العاصمة مدريد لمنع إعطاء أي شيء للمنطقة الإسبانية، ثم يضيف حول كلام الفرنسيس للإسبانيول عنه وقولهم أن الحركة آتية من الشرق، وإنّ هذا كله من تصميمه وإنّ أخطاره كذا وكذا، ويذكر أنّ المسؤول عن القضاء على مطالب الريفيين هي دسائس المقيم العام لوسيان سان الفرنسي[1].

أمّا عن المنع والتضييق على كتابات الأمير المختلفة، فقد كتب أحد المغاربة في رسالة بعث بها إلى صاحب كتاب"لماذا تأخر المسلمون..." نُشرت عبر جريدة الفتح بتاريخ **13** سبتمبر **1931**م في عددها **266** السنة السادسة، حيث بدأ بالثناء على مجلة "الفتح" ثم أخبر الأمير أن هذه الصحيفة الإسلامية ممنوعة من الدخول إلى طنجة تبعاً للمنطقة الفرنسية، ويضيف أنّه رغم المنع فهم يخاطرون لأجل أن تصل إليهم، ويردّ عليه الأمير بأنّه رغم أن طنجة منطقة دولية ويُفعل بها هكذا من طرف فرنسا فما بالك بالمنطقة التي يُسيطر عليها الفرنسيون مباشرةً[2]، وقد اعتقل عبد الهادي التّازي الوطني الشاب سنة **1938**م وعمره لم يتجاوز **17** عاماً بسبب اقتنائه لمؤلفات أمير البيان شكيب أرسلان (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، حاضر العالم الإسلامي)[3].

وفي ذات السياق يشير شكيب أرسلان إلى إجراءات المنع التي تعرّض لها كتابه (لماذا تأخّر المسلمون) في كل من سوريا والجزائر وغيرها من البلاد العربية في مشرقها ومغربها، خصوصاً في مناطق السيطرة الفرنسية حيث ذكر بعضاً من نسق الرسالة (لماذا تأخر السلمون)، فذكر مسألة الريفيّين وكفاحهم ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي، وركّز على خيانة بعض القبائل لأبناء ملّتهم وللمغرب وللمقاومة الريفية [4]، حيث اقتبس

---

(1) أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص ص 23- 27.

(2) أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص ص95، 96.

(3) عبد اللطيف الوراري، " **المغرب يفقد واحداً من أعظم مفكّريه في القرن العشرين: عبد الهادي التازي نذر حياته للبحث الذي يصل الأجيال بتاريخها الحضاري**"، مجلة القدس العربي ، 3 أفريل 2015م، ص1.

(4) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص ص88، 89.

تلك الفقرات من عنصر ضمّ ثمانية صفحات كلّها حول الخيانة و لم يُدرج صفحة إلاّ وذكر بين سطورها الاحتلال الفرنسي وأعماله[1]، لذا أغضب ذلك الفرنسيّين وكان ردّهم المنع والمتابعة والعقاب.

وقد أشار الأستاذ عمر رياض إلى هذه النقطة، حيث ذكر أن السلطات الفرنسية كانت تضغط على نظيرتها الإسبانية قصد تشديد الرقابة على بريد الأمير مع قادة الحركة الوطنية المغربية، وقد منعت بعض كتاباته ومقالاته وقامت بمصادرة بعض الكتب التي ورد فيها اسم شكيب أرسلان مهما كانت موضوعاتها، إضافةً إلى طرد أحد تجار الكتب لأنه يحوز على أحد كتب الأمير [2]، كما لا ننسى أن نُشير إلى مسألة الصور الشخصية للأمير شكيب أرسلان، وقد صرّح أنّه أصبح لا يطيق مطالب الصور المتزايدة من محبّيه والمعجبين به، وأصدقائه وقد ذكر في إحدى رسائله أنّها كلّفته مادياً، والبعض وجدها تجارة رائجة ببيع صوره في الجزائر والمغرب، ولّما علمت الصحافة الفرنسية بالمسألة أقامت الدنيا بكتاباتها[3].

إضافة إلى التّضييق على من لهم علاقة بالأمير، حيث كتب في هذا الصدد أن كل من له علاقة به في طنجة مُراقب، لذا أحجم عن مراسلة عدد منهم على غرار الشيخ عبد الهادي السلاّوي الذي راسل الأمير فلم يجبه خوفاً من الإضرار به وبوظيفته، فأرسل له بطريقة غير مباشرة، أي عبر الحاج عبد السلام بنونة، ليُسلّم هذا الأخير الرسالة باليد إلى الشّيخ السلاّوي مباشرةً [4]، أمّا محمد داود فقد تعرضت مجلته الشهرية "السلام" المعادية لفرنسا إلى التوقيف سنة **1933**م، فتسبّب له وقفها في خسائر ماديّة كبيرة، ثمّ مُنع من دخول المنطقة التي تحت السيطرة الفرنسية، وكذلك في طنجة رغم أنّها منطقة دولية، فظل داود ممنوعاً من دخول تلك المناطق طيلة عشر سنوات كاملة، والظاهر أنّه مُنع بسبب تلك المجلة[5]، ومما لا شك فيه فإنّ صداقته ومراسلاته الكثيفة مع شكيب أرسلان لها الأثر البالغ على هذا المنع والتضييق كذلك.

وفي سياق آخر، فإنّه لّما رأى الفرنسيون أنّ للأمير أرسلان نفوذًا لدى زعيم إيطاليا مضراً بمصالحهم في المغرب، زعموا أنه كان يتلقّى الأموال من الإيطاليين، وأصبحت صحافتهم تتناول القضية في كل الأوقات،

---

(1) أرسلان، **لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم**، ص ص59- 68.

(2) عمر رياض، مصدر سابق، ص22.

(3) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص296.

(4) أرسلان، المصدر نفسه، ص251.

(5) عمر رياض، مصدر سابق، ص ص32، 33.

لكن في الواقع كان خلاف ذلك، حيث لّما اتفق الطرف السوري والفرنسي على معاهدة الاستقلال التّام سنة **1936**م، صالح الأمير الفرنسيين، وقد سافر إلى باريس ثم إلى سوريا، وصار في كتاباته وخطبه يدعو لمصالحة الفرنسيين، حيث يستند في ذلك إلى قوله تعالى:"فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكَمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمُ" [1]، والأجدر به أن يقف إلى جانب المنتقدين للمعاهدة إن كان في صف موسوليني ومروّجاً لسياسته، ومن الداعين للسياسة الفاشية كما يدّعي الإعلام الفرنسي[2].

وفي الشأن نفسه كتب الكثير من الباحثين الغربيين في هذا النهج، حيث كتب رينهارد شيلز Reinhard Schulze في كتابه "التاريخ الحديث للعالم الإسلامي" أنّ شكيب أرسلان طرح على الحركات الوطنية موقفه الموالي للفاشية الإيطالية والإسبانية، أوائل الثلاثينات من القرن العشرين، ففتح على نفسه عداء الجماهير الإسلامية، واحتجاجات كبيرة [3]، لكن في حدود اطلاعنا لم نجد هذه الاحتجاجات إلاّ في بعض الأوساط الإعلامية التي وصفها الأمير بالخائنة في عدة مرات، كحادثة تزوير الرسالة التي نقلتها عديد الصحف في المشرق وفي تونس كذلك، واتهامات الشهبندر في الرسالة التي وجدها يونس بحري عند أحد المغاربة، إضافةً إلى معارضة الطلبة المغاربة في مصر لقاء الأمير بعبد الحي الكتاني بجنيف، وقد تجرّأ أحد الطلبة بكتابة مقال في صحيفة "الجهاد"متهماً الأمير بمفاوضة الفرنسيين عبر الكتّاني لإيجاد حلّ وسط في المغرب.

وللإشارة فإنّ الفرنسيّين أشادوا بتصريحاته عبر راديو باريس وأذاعوها تحت عنوان "تصريحات زعماء الإسلام"، وما يُلفت الانتباه هو الهدوء والسّكون الذي عمّ الجرائد الفرنسية، وسُكوتها عن اتهام الأمير هذه الفترة، ولّما نكث الفرنسيون ما جاء في بنود المعاهدة ورجع الأمير إلى مقاومته المعهودة، سارعت الصحافة الفرنسية إلى دعايتها القديمة ضدّ الأمير[4].

وقد عبّر الأمير بصدق وبكل صراحة عن علاقته بموسوليني للسيد محمد داود عبر مراسلاته، حيث ذكر الأمير شكيب أنّه كان على علاقة بالزعيم الإيطالي موسوليني منذ أن كان رئيس تحرير جريدة الحزب الفاشي

---

(1) **القرآن كريم**، سورة "التوبة"، الرقم: 9، (الآية 07)، برواية ورش.

(2) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص28.

(3) Reinhard Schulze, op cit, p109.

(4) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص28.

"Popolo D'italia" سنة **1922**م[1]، ويضيف أنّه حلّ ضيفاً على الحكومة الإيطالية مرّتين في طريقه إلى البوسنة والهرسك سنة **1933**م، وأنّه قابل موسوليني مرتين، وعلاقته الجيدة في تلك الفترة متعلقة بمصلحة الأهالي في طرابلس الغرب، والحصول على حقوقهم، حيث قدّم الأمير التقارير والعرائض الخاصة بحالة السكان الليبيين[2]، كما ذكرنا ذلك سلفاً في الفصل الثاني.

والجدير بالذكر أنّه لّما أعلن موسوليني حياد بلاده، ظنّ الفرنسيّون أن إيطاليا لن تُشارك الألمان الحرب، اضطرّت فرنسا مداراة إيطاليا ومداهنة الزعيم موسوليني، حيث تراجعت الجرائد الفرنسية عن ذكر علاقة الأمير بموسوليني وأنّه يتلقّى إعانات مالية منه، ووجّهت أنظارها نحو ألمانيا، وأخذت تطعن في الأمير بأنّه يتلقّى الأموال من ألمانيا، وعليه فإنّ الجرائد الفرنسية اتّضح هدفها وبان كذبها، بافترائها لقضية المنح المالية الإيطالية وقصدها من ذلك ذمّ شخص الأمير والقدح في مكانته وسمعته[3].

ولا يفوتنا أن ننوّه إلى مسألة في ذات السيّاق، وهي اتهام شكيب أرسلان بتلقي أموال من طبيب ألماني في طنجة، ونُشرت هذه المعلومات ضمن جريدتي Le peuple Tanger الصحيفة الفرنسية المغربية، وصحيفة Le Journale الصادرة في باريس، حيث شرح الأمير عبر مراسلته إلى محمد داود بأنّ هذا الطبيب هو صديقه السوري رجل الأعمال الدكتور ميخائيل بيضا المقيم في برلين، وقد أشرنا لهذه التهمة سابقاً، وقد كتبنا أنّ الأمير كان يستعمله في أعماله المالية كالتحويل نحو مختلف المناطق التي يزورها في الخارج[4].

ولو كان الأمير يُشترى ويُباع لباع ضميره منذ أمدٍ بعيد، حيث كان الفرنسيون من الدول التي تُنفق المبالغ الطائلة في كل مستعمراتها، ولها من المأجورين الكثير في كثيرٍ من الدول، فكان الأمير ممّن خاب ظنّهم في شرائه رغم المحاولات العديدة، لأنه أقدر الرجال على الإضرار بهم، وأنفذ قلماً، وأبلغ نِكايةً من كل المأجورين

---

[1] في حين يذكر الأستاذ إمانويل وليامز أن بداية الصداقة بين الأمير والزعيم الإيطالي موسوليني سنة 1933م وكانت وزارة الخارجية الإيطالية تأمل بان تُؤدي تلك العلاقة إلى توثيقها مع العالم العربي ككلّ، حيث لم تكن لدى الأستاذ الإيطالي وليامز المعلومات الكافية حول هذه النقطة وبأن أرسلان ربط علاقته بموسوليني قبل زيارته سنة 1933م. Manuela Williams, op cit, p106 .

[2] عمر رياض، مصدر سابق، ص ص72، 73.

[3] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص29.

[4] عمر رياض، مصدر سابق، ص ص71، 72.

الذين باعوا ذممهم مقابل دراهم معدودة [1]، ولو صدق الإعلام الفرنسي في اتهاماته حول تلقّي الأمير للأموال الإيطالية أو الألمانية، لظهرت عليه علامات الثراء، وتبدّلت حياته المتواضعة، ونمط عيشه البسيط.

ولابد من الإشارة إلى ما كان يتحمّله الأمير من ضغوطات خلال إقامته في سويسرا، حيث كانت فرنسا وغيرها من الدول التي تعاديه، ترفع الشكاوي ضدّ شخص الأمير، وتُكثر القلاقل حول إحداث الثورات وزعمها بقبضه الدراهم والرواتب من إيطاليا وألمانيا [2]، وفي كلّ مرّة كان يتعرّض الأمير إلى المُسائلات من طرف الحكومة السويسريّة؛ وقُبيل الحرب العالمية الثانية تعرّض لضغوطات كبيرة بعد إجراءات الأمن السويسري للفحص الدقيق، واستنطاقه ليومين كاملين، رغم أنّ أجوبته كانت بصدق وبكل صراحة يردّ فيها على أكاذيب الفرنسيين وغيرهم، ويدحض افتراءاتهم وتناقضاتهم في تقاريرهم، حيث استطاع إقناع السويسريّين بعدم صحّة فحوى الشكاوي، فأُبلغ في الأخير من طرف الحكومة السويسرية أن يطمئن، وأن البلاد السويسريّة بلاد حرّة، لا مجال لخدمة مآرب تلك الدوّل، وقد سُئل حتى عن مصدر عيش عائلته، وأقرّ لهم بكل ما يملكه والعائلة في لبنان أو سويسرا أو عقّاره المرهون في برلين[3].

وذكر لهم ما يجمعه من كتاباته كل سنة، وماذا يأتيه كإعانات من ملوك الدول العربية، ومن الجالية العربية في أمريكا لعلمهم ما ينفقه من ماله الخاص لنصرة قضايا العرب [4]، وقد قال أحد المدافعين عن سمعة الأمير"...لو لم يكن الأمير من المدافعين عن استقلال سوريا والوطن العربي لما تعرّض للأقاويل السخيفة، ولكان عند فرنسا هو الكبريت الأحمر والقمر الأنور، والأسد الغضنفر، والأعزّ الأكرم الأشرف الأطهر، ولو اشترى ألف بيت في برلين وألفاً أخرى في باريس..."[5].

---

[1] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص ص29، 30.

[2] وقد تحدّث الأمير في مواضع عدّة عن علاقته بألمانيا وكيف كان يفكر تجاه القضايا العربية من خلال الاستناد على المساعدة الألمانية، حيث كان لأمير البيان مساعي حثيثة مع الضباط الألمان، ففي إحدى رسائله للثعالبي المؤرخة في شهر مارس 1924م، ذكر أمير البيان أنه تكلّم مع الضبّاط الألمان حول إقامة مصانع سلاح بطرابلس وقد وافقوا، ولما جاء إلى مرسين بتركيا تكلّم مع السيد السنوسي في الأمر، واقترح أن يبدأ بالصغير، أي بعمل للقرطاس ولإصلاح البنادق، ويكون ذلك في واحة الكفرة بليبيا لتواجد الحديد هناك، فبادر الأمير بمراسلة الضباط الألمان لإرسال هيئة فنّية إلى واحة الجغبوب، لكن أرسلان لم يفصل في هذه المسألة، هل تمّ لهم ذلك أم لم تنجح الفكرة بتاتاً. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي**، ص14.

[3] أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص ص30، 31.

[4] أرسلان، المصدر نفسه.

[5] المصدر نفسه، ص33.

وفي ذات السياق ومع بدايات الحرب العالمية الثانية كتب أمير البيان:"...حمدت السكوت والحياد حتّى لا أجعل للمتغلّبين علينا سبيلا وحتّى لا يتهمنا الأعداء بدعاية ألمانية ولا دعاية إيطاليّة، كما سبقت لهم العادة أن يتشدّقوا ويتمطّقوا، فإنّ ديدنهم كلما طالبهم مُطالب بحقّ أن يقولوا: أنت عدوّ فرنسا..." [1]، فخلال هذه الفترة الحسّاسة كان الأمير حذراً جداً من كتابة أي مقال أو كلام يمسّ بسمعة الفرنسيّين أو حلفائهم خوفاً من اتهامه بالوقوف إلى جانب دول المحور، والدعاية لألمانيا.

لكن بعد سقوط باريس في يد الألمان صبّ جامّ غضبه عبر قلمه وانهال على الفرنسيين والإنجليز بالتشفّي حيث كتب:"...نعم، جاء الوقت الذي تجني فيه باريس ثمرة اعتدائها وكبريائها، وكان عدلاً أن تحصد ما زرعت، وتُجزى بما صنعت، ولكلّ جنبٍ مصرع...نعم لمثل باريس أن يدوسها العدوّ بقدمه، وأن يجوس خلالها، وأن يكون آلة عقاب يعذّبها به الله تعالى..." [2]، فالكلمات تبيّن مدى الحقد الذي حمله الأمير تجاه فرنسا، ومدى البغض الذي راوده في التعبير عن سروره بالتشفي في ما جرى للفرنسيين جراء ما فعلوه.

وعبر مجلّته "لاناسيون آراب" منبره الصحفي، كان الأمير على الدّوام يدافع عن مصالح المغاربة، ففي تتبعه للكثير من المسائل يردّ عبر صفحات هذه الجريدة التي كانت سلاح الأمير الإعلامي في مناهضة ممارسات المحتل في جميع المجالات.

ففي إحدى مقالاته كتب الأمير أنه في سنة **1930**م قتل أحد الفرنسيّين مغربياً بمدينة "فاس"، وبعد السّجال والردّ حكمت المحاكم الفرنسية على الجاني بالحبس سنتين لا غير، لكنه لم يُسجن بل أعدّوا له غرفة، يجلس فيها نهاراً وبالمساء يرجع إلى بيته، وبقي على هذه الحالة إلى أن انقطع نهائياً بعد شهرين أو ثلاثة، فنشر الأمير القصّة كاملةً بمجلته "لاناسيون آراب"، وذكر أنّه نصح الفرنسيّين بالإقلاع عن هذه الممارسات الفظيعة، فردّت عليه الصحف الفرنسيّة حيث قال:"...فقابلتنا الجرائد الإفرنسية على ذلك بسفاهتها المعهودة، وبالطعن والقذف دون أن تقدر على إنكار الحادثة نفسها..."[3].

---

(1) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص ص38-40

(2) المصدر نفسه، ص108.

(3) المصدر نفسه، ص63.

وفي ذات السياق يضيف الأمير:"...وهذا هو سلاحهم الدائم، كلّما ذكر لهم ذاكرٌ سيئةٌ من سيئاتهم أو شناعةً من شناعتهم و لم يقدروا على المكابرة فيها على كثرة مكابراتهم، أوسعوه قذفاً وطعناً وسِباباً، وجعلوه عدوّاً أبدياً لفرنسا، قائماً بدعاية ألمانيّة [1] أو إيطالية أو بلشفيّة أو غير ذلك..." [2]، ففي كلمات وجيزة لخّص الأمير لنا ممارسات الفرنسيّين تجاه كل من تجرّأ على نقد سياستهم أو الانتقاص من شرفهم.

وفي إحدى رسائله إلى أقربائه في لبنان من عائلة جنبلاط، والتي أُدرجت ضمن كتاب "مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر" ذكر أنّ عنده أكثر من مئتي (**200**) مقال من جرائد فرنسا مليئة بالطعن والقذف والتخويف منه، ويضيف أنّه سينشر مقالاً للردّ على جميع الصحف الفرنسية، ثمّ يتوعّدهم بأنّ الآتي أكثر من الرائح [3]، وقد صدق وعده فعلاً، حيث كان أشدّ الأقلام ضرراً على المصالح الفرنسية في البلاد المغربية، وقد تحدّث في إحدى مقالاته التي عنونها "بالإنسانيّة الإفرنسيّة"، ويقول في مقدمة مقاله:"..إنّ جريدة الأومانتيه التي هي الجريدة الوحيدة التي تَجهر الحقّ عن حرب الريف لأنها جريدة العملة والصعاليك من الأمّة الإفرنسية..."[4]، فهذا مثال من مقال واحد من عشرات المقالات التي كتبها الأمير منتقداً السياسة الفرنسية وممارساتها في مستعمراتها.

وفي الشأن نفسه، يقول الأمير أنّه لا يوجد في الدنيا صحافة أسهل عليها الافتراء والاختلاق من صحافة فرنسا، إذا حملت على شخص لا يُريد أن يسكت على موبقاتهم، أو يرفع شكواه من جورهم، أو يبيع ضميره منهم، في حين فإنّ المسلمين مع ذلك يتحمّلون أذاهم بالصبر الجميل [5]، ويتمثّلون بقوله تعالى :"لَتُبْلَوُنّ في أَمْوَالِكُمْ وَأنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنّ مِنَ الذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ اَلذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ اِلأُمُورِ"[6].

---

(1) يذكر ويليام كليفلاند أن العلاقة بين أرسلان وألمانيا بدأت مع موظفي وزارة الخارجية الألمانية إبان الحرب العالمية الأولى، وتواصلت دون انقطاع مدة ثماني وعشرين سنة كاملة والتي كان فيها مقيماً بأوروبا، وضيف كليفلاند أن برلين كانت ملاذه بداية العشرينات من القرن العشرين، أي بعد الحرب العالمية الاولى، ووصف بصديق ألمانيا العربي الأقدم عهداً، ثم يسترسل كليفلاند في وصف مشاعر الأمير تجاه ألمانيا قبل وخلال الحرب العالمية الثانية دون ذكر دلائل العلاقة بين الامير وألمانيا في تلك الفترة.ويليام كليفلاند، **مرجع سابق**، ص ص250- 255.

(2) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص63.

(3) أرسلان، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر**، ص403.

(4) أرسلان، **ولاء حتى الفناء**، ص34.

(5) أرسلان، **عروة الاتحاد**، ص63.

(6) **القرآن كريم**، سورة " آل عمران"، الرقم: 3، (الآية 186)، برواية ورش عن نافع.

ومما شكّ فيه أنّ كتابات الأمير أضرّت كثيراً بمصالح الفرنسيين في المغرب، وكان لها الأثر البالغ على نشاط الوطنيين المغاربة، وللإشارة فإن الأمير كان يملك الأعين في كثيرٍ من المناطق، فقد كوّن شبكة علاقات واسعة عبر مراسلاته التي جعلته يملك من المعلومات ما تفتقده العديد من الأجهزة الأمنية والمخابراتية لبعض الدول.

ويقول ويليام كليفلاند في هذا الشأن أن الحكومات الأوروبية خصوصا فرنسا وبريطانيا، تعقّبت تحركات الأمير ونشاطاته وحاولت تحديد أهدافه، لكن أرسلان كان مناوراً أكثر منه ضحيةَ مَنْفَى، كما رسمها معجبوه في القاهرة ودمشق، لذا رسمت سجلات الأمن العام في فرنسا وبريطانيا صورةً أخرى مختلفة، وهي أنّ شكيب أرسلان محرّضٌ مهنيٌ ومحترفٌ، وأعطت له صورة لعميل دائم الحركة يسعى إلى القيام بأفضل الترتيبات لنفسه؛ أمّا رأي كليفلاند الخاص فهو أنّ الأمير أكثر رُشداً واستقامةً والتزاماً من أن يكون عميلاً مُحرّضاً [1]، لذا كانت الحكومات الأوروبية وخصوصاً الفرنسية ترى فيه العدو الدائم والمحرّض الرئيسي لأبرز المسائل والقضايا التي جرت في البلاد العربية في المشرق أو المغرب.

فخلال تتبعنا لحيثيات العلاقة بين الأمير شكيب أرسلان ودولة الاحتلال فرنسا، التي اتجهت منذ البداية نحو التوتّر، حيث كان صراع "رجل ضد دولة"، استخدم فيها الطرفان كل ما لديه لتشويه الآخر من وسائل إعلامية، معلومات مخابراتية، البريد والمرسلات، والكتابة عبر الصحف والمؤلفات، ناهيك عن الترسانة القانونية وحشود موظفي الإدارة التي تمتلكها السلطات الفرنسية في كل مناطق سيطرتها، وبالرغم من هذا فإن إرادة الأمير شكيب وجهوده خلّفت آثاراً واضحة جلية خصوصاً في المغرب، والملاحظ أن ممارسات فرنسا اختلفت كثيراً عن نظيرتها إسبانيا تجاه النشاط السياسي لأمير البيان كما سيتضح في العنصر الموالي.

2-4 موقف الإسبان من جهود أرسلان السياسية في البلاد المغربية:

من الطبيعي أن يكون موقف أمير البيان واضحاً جليّاً حول سياسة الدّول الاستعمارية للبلاد العربية لكن سياسة المراوغة والدبلوماسية كانت الغالبة على مواقفه تجاه الاحتلال الإسباني في المغرب، إضافةً إلى علاقاته الواسعة في إسبانيا جعلت من مواقفه لا تشبه كثيراً مواقفه تجاه فرنسا.

[1] ويليام كليفلاند، مرجع سابق، ص249.

ويتحدّث الأمير في إحدى رسائله [1] إلى الشيخ الثعالبي عن السياسة الاستعمارية للحكومة الإسبانية فيقول أنّها لم تتغيّر في الرّيف المغربي، وبوليس تطوان هو طوع إشارة فرنسا ربّما أكثر من إشارة إسبانيا نفسها ، ثمّ ذكر أنّ السيّد محمّد داود سِيق من طرف الشرطة الإسبانية إلى دائرة البوليس، وفتّشوا بيته وأنذروه بعدم قبول الجرائد الإسلامية أجمعها، طبعاً بما فيها جرائد أمير البيان، ثمّ منعوا الأديب الفاسي الحسن بوعياد بدخول مدينة تطوان، حتى وجدوا أنّ له وثائق إنجليزية فسمحوا له بزيارتها ليلة واحدة، ومنعوه من إلقاء محاضرة في نادي الشبان العرب بتطوان، فمن خلال هذه الممارسات خلص الأمير إلى أنّ إسبانيا سائرة على طريق فرنسا على طول الخطّ، ليس لأنها دولة استعمارية بل للتعصّب اللاتيني كما ذكر الأمير، إضافةً إلى مداراتهم للفرنسيين تخوّفاً من تدخل فرنسا في شؤون الجمهورية الحديثة العهد ودسائسهم [2]، فهي خلاصة موقف الإسبان تجاه الإسلام، وعلينا معرفة موقفهم تجاه أمير البيان.

والبداية حول زيارته إلى تطوان حيث أنّ موقف الإسبان كان يتعارض مع الفرنسيين في كثير من الأحيان، فمن خلال المكالمة التي قام بها الحاج عبد السلام بنونة إلى القنصل الإسباني في المغرب حول منحه الإذن للسّماح بزيارة أمير البيان إلى مدينة تطوان، نجد أن القنصل أذن له بذلك، في حين تذكر الرسالة المبعوثة من نيابة الأمور الوطنية إلى المراقب المحلي بتطوان تحت رقم(**784**) المؤرخة في **11** أوت **1930**م أنّ ما جاء في فحوى المكالمة ينفي أي اعتراض على هذه الزيارة، أي استدعاء الحاج عبد السلام بنونة للأمير شكيب أرسلان ليزور تطوان ويخبره كذلك أن إدارة الاستعلامات الإسبانية بطنجة أخبرت أن المندوب السّلطاني سوف يصدر أمراً بنفي الأمير من طنجة[3].

والملاحظ أن الفرنسيّين حاولوا بأشكال مختلفة طرد الأمير من طنجة، عبر مكاتبة(إسبانيا وبريطانيا) الدول المشتركة في إدارة هذه المدينة، ثمّ الضغط على المندوب المغربي محمد التازي بتوبيخه وإرغامه على كتابة الرسالة المذكورة آنفاً، في حين نجد السلطات الإسبانية تُظهر عدم عدائها للأمير، وعدم وضع العراقيل أمام عمل الوطنيين المغاربة، إلاّ أنّها وافقت على طرده بعد طلب الفرنسيّين، وأمرت إدارة الاستعلامات الإسبانية في طنجة المندوب محمد التازي بإصدار أمر بالنفي في حقّ الأمير من مدينة طنجة، رغم أن القنصل قَبِل زيارة

---

[1] الرسالة مؤرخة في 14 أفريل سنة 1933م الموافق ل18 ذي الحجة 1351 هجرية. أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والشيخ الثعالبي**، ص32.

[2] أرسلان، **الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والشيخ الثعالبي**، ص32.

[3] الطيب بنونة، المصدر سابق، هامش ص 20، 21.

الأمير إلى تطوان، إضافةً إلى تسليم بلاغ الطرد من طرف مدير الشرطة الإسباني ومعاونه الفرنسي، أي أنها كانت تتعامل مع الوضع بنفاق، إمّا تملّقاً للفرنسيين وصدقاً مع المغاربة، أو أنهم كانوا ينافقون المغاربة ويصانعون الفرنسيين ويظهرون أنهم متعاونون.

والجدير بالذّكر أنّ الوطنيّين الذين استضافوا الأمير من تطوان والرباط وفاس، قامت الشرطة الإسبانية في تطوان باستدعائهم والتحقيق معهم، وقضوا في الإدارة البوليسية حوالي ثلاث ساعات، في حين أنها لم تستدعي الأمير لهذه الإجراءات، بل طلبت جواز سفره فقط لمرّتين ثم أرجعته [1]، فلو كانت مجرّد إجراءات قانونية لكان الأولى بهم أن يستدعوا أمير البيان للحضور شخصياً لهذه الإجراءات الإدارية، والظّاهر أن الإسبان كانوا يجاملون الأمير ويداهنونه لمعرفتهم به وما يقدر على فعله خاصة عبر صحافته.

وفي ذات السياق، يذكر تقرير نيابة الأمور الوطنية للمقيم العام الإسباني المؤرخ في **15** أوت **1930**م أنّ الشرطة استدعت الوطنيّين من المنطقة الفرنسية وحقّقت معهم، وبخصوص الأمير اكتفت بطلب جوازه فقط وتركوه ساعتين بإدارة الشرطة عن قصد ليصل هذا الخبر إلى القنصلية الفرنسية العامة بتطوان [2]، بحيث أنّ قلق الفرنسيّين كان أكبر بكثير من الإسبانيّين، وأن الإسبان كانوا فعلاً يصانعون الفرنسيين.

ولابد من الإشارة إلى ما جاء في التّقرير الخاص بنيابة الأمور الوطنية للمقيم العام الاسباني رقم(**828**) المؤرخ في **17** أوت **1930**م، الذي وصف الحفل التّكريمي المُقام في بيت الحاج عبد السلام بنونة، والخُطب التي أُلقيت كانت كلّها مُدوّنة، وأنّ كلمة الأمير أثنى من خلالها على إسبانيا، في حين أنّه لم يتعرّض لفرنسا في ختام الحفل[3]، وكذلك التقرير رقم (**831**) والمؤرخ في **18** أوت **1930**م ذكر أن خطاب الأمير شكيب أرسلان كان عاطفياً تجاه إسبانيا، و لم يذكر فيه ولو مرّة واحدة كلمة (فرنسا) [4].

---

[1] الطيب بنونة، مصدر سابق، ص23.

[2] الطيب بنونة، مصدر سابق، هامش ص23.

[3] الطيب بنونة، مصدر سابق، هامش ص24.

[4] المصدر نفسه، هامش ص26.

في حين يذكر أجرون أنّ الأمير تحدّث قليلاً عن الأندلس العربية، وألقى خطاباً عنيفاً ضد فرنسا مستنداً على الطرح الفرنسي عبر صحافتها [1]، وهذا لا يعني أنّ الأمير سيُحجم عن ذكر ممارسات الفرنسيين في كل نقاشاته وحواراته، أو يتحاشى ذكر أنّ الإسبان هم دولة احتلال لا غير.

ويذكر الأستاذ محمد بن عزوز أن القنصل الإسباني عند دعوته للأمير لشرب الشاي مساء يوم **15** أوت **1930**م، اختلى به في حديث مطوّل وطلب منه أن يتجنّب الإدْلاء بأي تصريح معادٍ لفرنسا أو للعمل الذي كانت تقوم به في منطقة حماتيها في المغرب، حيث صارحه بأنّ القُنصلية الفرنسيّة العامّة بمدينة تطوان عبّرت عن قلقها بوجود الأمير فيها، وقد ردّ الأمير بعلمه التّام بأن زيارته إلى تطوان أقلقت الفرنسيّين، وهم يخشون أن يقوم بدعاية مضادّة للظهير البربري الصادر في **16** ماي **1930**م[2].

ويذكر الزاهري جولات الأمير وسفرياته من خلال رسائله، وعديد المعلومات حول زيارة الأمير إلى إسبانيا، فكتب قائلاً:"... وكان كاتب الدّهر أمير الجهاد والبيان عطوفة الأمير شكيب أرسلان زار بلاد الأندلس، وزار المنطقة المغربية التي تحت حماية إسبانيا، فأقام له العرب حفلات التكريم، و لم يعترض الإسبان على شيء من ذلك، وكانت صحافة الاستعمار الفرنسي قد هاجمت عطوفة الأمير أرسلان بالأكاذيب والمفتريات وعاتبت الإسبان عتاباً مُرًّا على سماحهم له بالإقامة في المنطقة الإسبانية، وأغرقهم بإبعاده كما أبعدته الحكومة المرّاكشية الفرنسية من طنجة رغم أنّها منطقة دُولية..." [3]، وهذا في صلب الحقيقة التي ذُكرت سابقاً، حيث لم يعترض الإسبان على زيارته، على عكس ما فعلته السلطة الفرنسية تجاهه.

رغم أنّ الإسبان يعلمون المكانة التي يحتلها الأمير لدى الحركات التحررية العربية، حيث يذكر أحد التقارير الإسبانية أنّ الزيارة مرّت بشكلٍ مُرضٍ، وأنّ مجيئه إلى تطوان لم يكن من أجل الفسحة، وإنّما كان وفق برنامج يضعه الأمير نظراً للمركز الذي يحتله بصفته المرشد لجميع الحركات الوطنية في البلاد الإسلامية عموماً والعربية خصوصاً[4]، حيث وصف التقرير الإسباني بصراحة مُطلقة الهدف المنشود من الزيارة التي قام

---

(1) Ageron, "La Politique berbére…", p81.

(2) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص ص35، 36.

(3) محمد السعيد الزاهري، مصدر سابق، ص 105.

(4) محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص62.

بها الأمير إلى المغرب، و لم تُحرّك السلطات الإسبانية ساكناً تجاه الزيارة، إمّا خوفاً من العواقب كما جرى للطّليان أو سطّرت لنفسها سياسةً مخالفة للفرنسيين في المغرب حفاظاً على مكتسباتها.

وفي المقابل يذكر الحاج عبد السلام بنونة في إحدى مقالاته أنّه بتوجيهاته إلى الوطنيين المغاربة، وباعترافه بأنّ الاتفاق الذي تمّ بينهم على معاداة إسبانيا على غير المعاداة التي ضد فرنسا، كان وراءه شكيب أرسلان، حيث نبّههم الأمير إلى أنّه لا يمكن لهم مواجهة خصمين عنيدين في آنٍ واحد، بحكم أن الوجود الإسباني مرتبط أساساً باتفاقهم مع فرنسا التي ترتبط بالمغرب على أساس معاهدة الحماية، على عكس إسبانيا [1]، لذا كان يرى أمير البيان أن جهود الوطنيين المغاربة إذا ما توحّدت ضد الوجود الفرنسي ستكون النتائج أفضل بكثير إذا ما تشتّتت بين السلطتين الإسبانية والفرنسية.

أمّا عن مسألة المنع والتضييق على مختلف الجرائد والمجلات العربية، ففي إحدى الرسائل التي وصلت إلى الأمير، يذكر صاحبها لشكيب أنّ أعداد "مجلة الفتح" ممنوعة من دخول مدينة طنجة خصوصاً تلك الأعداد التي تحوي مقالات الأمير، كما ذكر صاحب الرسالة "نتنعم بما تجوده قريحتكم الوقّادة على الصحيفة الإسلامية الفتح"، ويذكر أنّه ممنُوع دخولها طنجة تبعاً للمنطقة الفرنسية [2]، رغم أن المدينة تُعتبر منطقة دولية تحت إدارة ثلاثة دول (بريطانيا، إسبانيا، وفرنسا)، حيث تفرض فرنسا منطقها بصمت بريطاني وضعف إسباني.

وخلاصة ما سبق ذكره، تتلخص في كون المداراة بين أمير البيان والإدارة الإسبانية كانت متبادلة، وكل طرف يريد تحقيق مصالحه وأهدافه، فالأمير يتحاشى الصدام مع الإسبان وأوصى الوطنيين المغاربة بذلك، والتفرّغ لمناهضة ممارسات الفرنسيين، فإذا تحقق شيء مع الفرنسيين في منطقة سيطرتهم يتحقق الشيء نفسه في منطقة السيطرة الإسبانية آلياً، وهو محقّ ولأسباب ذُكرت سابقاً حول معاهدات الحماية وغيرها من الأسباب الأخرى.

---

[1] فاتح فروك، "**صدى الظهير البربري: 16 ماي 1930م بالمغرب الأقصى على مصر وبعض البلدان العربية من خلال جريدة الفتح**"، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد 06 جانفي 2018م، ص 372. من المنصة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP) رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/229/14/1/72183 تاريخ الزيارة : 2023/01/02م، 20:26.

[2] شكيب أرسلان، "**رسالة إلى كاتب الشرق الأكبر من طنجة وجواب الأمير عليها**"، مجلة الفتح، العدد266، السنة السادسة، ص6. أرسلان، **زمن العروبة الأبتر**، ص95.

في حين كان الإسبان يتجنّبون الصدام مع شكيب أرسلان كذلك، فلا صحافة إسبانية انتقدته، ولا سلطات ضيّقت عليه في زيارته ونشاطه، وقد ذكرنا سابقاً أن هناك عاطفةَ الأصولِ العرقيةِ لبعض الشخصيات الإسبانية وتبادل الودّ والمحبة مع أمير البيان وهو ما يمكن أن يكون سببًا أخر لهذه المداهنة، إضافةً إلى توجّس الإسبان من قدرات أمير البيان الإعلامية على تأليب الرأي العام العربي والإسلامي عليهم وعلى مصالحهم الاقتصادية والسياسية في كل المناطق، أضف إلى ذلك الضعف الذي أصاب الطبقة السياسية في إسبانيا بعد الهزائم العسكرية في الريف المغربي، وكذا الأزمات السياسية المتلاحقة التي خُتمت بالحرب الأهلية هناك.

وقد أشار الأستاذ ظاهر محمد صكر الحسناوي ضمن كتابه "شكيب أرسلان الدور السياسي الخفي"، إلى هذه النقطة حيث ذكر أنّ موقف الأمير شكيب المعادي للاحتلال الفرنسي في المغرب العربي لا سيما في المغرب الأقصى يختلف عن موقفه من الاحتلال الإسباني، والسبب يكمن في المرونة التي أبدتها إسبانيا تجاه الحركة الوطنية المغربية، وذلك لسبب أساسي وهو الظروف التي كانت تمرّ بها إسبانيا في الثلاثينات فوعدهم الجنرال فرانكو بإطلاق الحريات العامّة، واعتماده على شمال المغرب كقاعدة خلفية للقضاء على الجمهوريين [1] وقد تحدّثنا سابقاً كيف أنّه قدّم الوعود للمغاربة مقابل تجنيدهم في جيشه.

[1] ظاهر محمد صكر الحسناوي، **مرجع سابق**، ص ص149، 150.

الخاتمة

الخاتمة

لأمير البيان شكيب أرسلان جهود ومساعي حثيثة بذلها في حق الأوطان الإسلامية وبالأخص العربية، سواء على الصعيد السيّاسي أو على الصعيد الإعلامي الأدبي، فكانت له مواقف وآراء حول أغلب الأحداث التي عايشها، وسال قلمه ضمن صفحات عديد الجرائد والمجلاّت، جُمعت بعدها في فحوى الكتب والج لدات يكاد المتتبّع لسيرته لا يُحصيها، ولازالت آلاف الرّسائل خاصّته لم تر النور بعد، تناثرت بين مشارق الأرض ومغاربها.

وظّف ملكاته اللّغوية والشّعرية والسياسيّة بشكل جيّد في مساره الطّويل من خلال مناهضة دول الاحتلال الأوروبية، وجاد بوقته ووهب عقله لصالح قضايا الأمّة العربية الإسلامية، فنالت دول المغرب قِسطاً من تلك التّضحية، وبفضل حنكته السياسيّة وتمتّعه بذخيرة ثقافية تاريخية، ألقى خلاصة تجاربه وثقافته على مسار الحركة الوطنية في البلاد المغاربية، فحذا حذوه رجال الإصلاح، ونحا نحوه رموز الوطنيّة، ونهج نهجه الطلبة والصحفيون.

ومع هذا فإذا ما قورنت جهوده ومساعيه طيلة فترة حياته بما كُتب عنه، فإن ذلك يُعدّ قليلا، فلحدّ الساعة لم يحظ بالدّراسة والبحث الذي يُنصفه، كمثال للأمة، وعالم عامل، ومُصلح قُدوة، الذي أدرك جيّداً مشاكل الأمّة، واستوعب المؤامرات التي تُحاك ضدّها بعد معرفته الجيّدة لأعدائها والخائنين منها، أدرك جيّدًا أنّ الغرب يريد الشرق، وأنّ للإسلام عدوّان الأوّل جامد والثاني جاحد.

كان أمير البيان من الأوائل الذين حذّروا من تزايد هجرة اليهود نحو بيت المقدس أواخر القرن التاسع عشر، فكتب مقاله حول هذه المسألة وعمره لم يتجاوز العشرين، بيّن فيه أسباب تزايد هجرتهم نحو فلسطين وأعطى عدّة تصورات، وتوقّع لمآلات تِلكم الهجرة.

له عديد التنبّؤات، حيث يقول الشرباصي: "إن الأمير لا يعلم الغيب لكن حسن تدبّره ساعده على فهمه للأمور، وحُسن التطلّع إلى العواقب، ويقول هو عن نفسه:"...لست من الكُهّان ولا من العرّافين...ولكنّي أفكّر وأتأمّل، وأُكثر مطالعة الكُتب والصّحف لا سيما ما تعلق منها بالتّاريخ والسياسة، لذلك تصحُّ أقوالي عن كثير من الحوادث قبل وقوعها...".

فقد تنبّأ بنُشوب الحرب العالمية الأولى قبل وقوعها بسنة وأربعة أشهر ووقعتْ، ثم تنبّأ بأنّ إيطاليا ستنسحب في الحرب إلى صف الحلفاء وقد كان، وتنبّأ بأنّ إنجلترا سوف تنكثُ وُعودها التي أعطتها للعرب وكذلك كان، وتنبّأ بأنّ الملك حسين ملك الحجاز سوف يندم وسيُخلع من منصبه وكذلك كان، وتنبّأ بأن نفيه سيكون إلى جزيرة وكذلك كان، وتنبّأ بأن انجلترا لن تمنح الاستقلال لمصر إلا بعد بتر السودان وكذلك كان.

تنبّأ بتقسيم الهند قبل موته وقد كان ذلك سنة **1947**م، تنبّأ باحتلال كل فلسطين وبعد موته بعامين أُعلن عن تأسيس هذا الكيان، وكانت النّكبة سنة **1948**م، تنبّأ بأن قيام أي ثورة في سوريا ذات خلفية دينية سوف تُؤدي إلى المذابح، وقد كتب سنة **1938**م حول مطامع اليهود وخطرهم، وأهداف الحركة الصهيونية حيث ذكر أنهم لن يكتفوا بفلسطين وسيحاولون في مراحل لاحقة قضم أراضي العرب المحيطة بفلسطين والعمل على تهويدها، ويضيف أنّه إذا لم يتمكن العرب من تثبيت إخوانهم الفلسطينيين في أراضيهم، سينسى العالم مستقبلاً أنه يوجد وطنٌ يسمّى الوطن العربي.

أمّا عن أعماله تجاه البلاد المغاربية، فقد شارك اللّيبيين جهادهم، وقف على خطوط القتال إلى جانب المُدافعين عن طرابلس وبرقة ضد الإيطاليين، عمل ما بوسعه لجمع المؤن، وحرّر المقالات لأجل ذلك ولصدّ الطليان وتثبيط عزائمهم بالمقاطعة، ولمّ شمل أحرار العرب المتطوّعين ورفع الهمم، وقد أقرّ الأمير بصعوبة ذلك، لأنّ العالم الإسلامي لا يُسايِرُ حركة التطوّر في العالم، وأنّ الضّمير الحيّ لا يملكه إلاّ فئةً قليلةً جدّاً، حصرها في واحد بالألف، وخَلُص لديه أن الحرب الاقتصادية المُمثّلة في المقاطعة هي سلاح الضُّعفاء، إلاّ أنّ المسلمين لم يستطيعوا تطبيقها في حربهم ضد الإيطاليين في طرابلس الغرب.

حمل الأمير هُموم شعوب الشّمال الإفريقي ومعاناتهم، فكان في ترقب دائم لأخبار البلاد المغاربية، حيث كتب في إحدى رسائله إلى الشيخ الثعالبي:"...جميعنا في تطلّع زائد إلى أخبار تونس، نراقبها كلّ يوم، ولا نشكّ أنّ الحوادث الأخيرة في تونس مع ما هو مشهود من القلق في الجزائر، ومع مثل ذلك وأشدّ منه في مرّاكش...."، فكان يتتبع الحوادث وممارسات المستعمِر، وظروف المستعمَر، ونشاط تيارات الحركة الوطنية المغاربية ورموزها وأعمالها.

ربطته علاقات وثيقة بعديد الشخصيات التونسية في الأستانة، وبعد إلغاء الخلافة سافر معه نفرٌ من هؤلاء إلى برلين أمثال الإخوة باش حانبه، وخاض في المسألة التونسية وراسل رموزها الوطنية على غرار الثعالبي، واستقبل بعضها في بيته بسويسرا على غرار بورقيبة لطرح الملف التونسي على الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفي الجزائر وجد شكيب أرسلان الأرض خِصبة لغرس الأفكار الإصلاحية أو أفكار الجامعة الإسلامية، كما ذكر سعد الله بأنّ الجزائريّين إلى غاية سنة **1930**م ما يزالون ميّالين بقوّة نحو الجامعة الإسلامية أكثر من ميلهم إلى القومية العربية، وهذا التوّجه هو الذي كان يدعو له أمير البيان، رغم أن الباحثين كان تركيزهم حول تأثير نشاط شكيب أرسلان على مسار وأعمال قادة وزعماء الحركة الوطنية في المغرب العربي وعلى اتجاهاتهم الأيديولوجية، وفي المقابل يجد القارئ في كثيرٍ من المواضع إشارات أمير البيان لمناقب وأعلام المغاربة.

لذا كان تأثيره بالغ الأهميّة على مسارات تيّارات الحركة الوطنية لكن ليس على خلفيتها السياسيّة أو أيديولوجيّتها، فمن زاوية نرى أنّ اهتمامات أمير البيان تجعل منه الشخص الملمّ بكلّ حيثيّات الشأن الداخلي الجزائري، وما يخص نشاط تياراتها الوطنية، ومن زاوية أخرى نرى أنّ الأمير له معرفة واسعة بخلفيات الشخصيات البارزة على الصّعيد الإصلاحي في الجزائر، لكن تبقى العديد من الصّلات غامضة إلاّ بعض الإشارات التي نوّهت لها بعض الكتابات، خاصّة تلك التي تتعلّق بدعاة الإدماج، والصّلة المبهمة مع الطّرقيّين على غرار الشيخ العلوي (أحمد ابن عليوة)، ناهيك عن العلاقة المميّزة التي وثّقها مع مصالي الحاج.

إذْ سبق الإشارة إلى هذه النقطة الجد هامّة، وهي علاقة التأثير والتأثّر بين الشخصيّتين، بعدما أتى مصالي الحاج على ذكر محامد ومآثر الرجل ومدى تأثره به وبفضائله، والسرّ في قيام هذه الصّلة القويّة المميّزة بينهما وكيف للأمير أن وثق به رغم سوء علاقته بأقرب من عرفهم قبله على غرار رجال الإصلاح وفي مقدّمتهم أحمد توفيق المدني الذي ذكر شخص مصالي الحاج إلاّ بما يذمّه، والظّاهر أن الأمير لم يكن يرى في شخص مصالي؛ الشيوعي أو الراديكالي أو اللائكي، بل كان ينظر إليه على أساس وطنيّته وحبّه لبلده ومن خلال نضاله المنقطع النظير لتحقيق الاستقلال.

ورغم تميّز العلاقة التي ربطت الرجلين، فإنّ الأحداث أظهرت اختلافهما في بعض المواقف، حيث كانت آراء الأمير اتجاه الألمان مخالفة لمواقف مصالي إزاءهم، هذا الأخير كان يرى أن قوات المحور تمثل خطراً

جسيمًا على مُستقبل إفريقيا، فقد حذّر بعض مناضليه في أوت **1939**م من مغبة اللّجوء إلى طلب المساعدة من النازيّين بعد أن ذهب بعضهم في جوان **1939**م إلى برلين لطلب الأسلحة قصد إشعال الثورة، لكن الأمير كان يرى بعين العطف إلى من أقام الصلات بالسلطات الألمانية زمن الحرب، رغم أنّه لم يُثبت تورّطه في تقديم المساعدة للألمان، وعداوته الواضحة للحلفاء.

ومجمل القول أنّ الأمير تركّزت علاقاته أكثر بالإصلاحيّين، ثمّ بالوطنيّين، وأخيرا أصحاب التيّار المُفرنسْ، أو بالأحرى الإدماجيّين الذين لم يُثبت في حدود اطّلاعنا أنّ هناك اتصالات أو مراسلات أو لقاءات مباشرة فيما بينهم وبين الأمير، ناهيك عن بعض الإشارات ضمن بعض مقالاته.

أمّا عن مساعيه السياسية في البلاد المغربيّة خُصوصاً بعد الزيارة التاريخيّة إلى مدينة تطوان، كانت جهوده أكبر بكثير عن باقي البلاد المغاربية من حيث الكتابات الصحفية واللقاءات مع الوطنيين المغاربة، حيث حظيت المسألة المغربية بالجزء الأوفر في نشاطه في المنطقة، رغم أنّ قادة الوطنية تأّخروا في توثيق صلاتهم به إلاّ أنّ قضيّتهم أخذت أهمية بالغة خصوصًا بعد حملته الإعلامية بعد الزيارة التاريخية لمناهضة السياسة البربرية الفرنسية.

فأخذت القضية المغربية أبعادًا دولية بعد النشاط المثير للأمير ومراسلته لأصحاب المجلات واليوميات في أوروبا والمغرب والمشرق، فتحدّثت الصحف عن المسألة البربرية وتناقلت ممارسات فرنسا وسياستها التسلطيّة في المغرب، وفي الشأن نفسه قدّم الأمير النصح والإرشاد للوطنيين وضرورة تقديم التقارير والعرائض والرسائل إلى الحكومات ومختلف الهيئات، فبحملته الإعلامية وثّق الأمير صلته بالزعيم الوطني الحاج عبد السلام بنونة وأخيه الحاج محمد، ثم بأولاده الطيب والمهدي، وبصهره محمد داود وعبد الخالق الطريس والشاب المحبوب لديه أحمد بلافريج، والكثير من الوطنيين في الشمال المغربي أو في المنطقة المحتلة فرنسياً على غرار علال الفاسي ومحمد الفاسي ومحمد المكي الناصري وغيرهم.

أمّا عن علاقته بالسلطة الفرنسية فقد تعرّض للمتابعة والتضييق والدّعاية الإعلامية المغرضة في كل فترات نشاطه وفي أوقات تدخّله في المناطق التي تُسيطر عليها فرنسا في البلاد المغاربية، وكانت بداية العداء والتوتر مع دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا زمن الحرب العالمية الأولى، واتهامه من طرف الإعلام المضلّل بالتسبّب في مجاعة لبنان سنة **1915**م، وتواطئه في قضية جمال باشا وإعداماته.

ثم أثارت الصحافة الفرنسيّة علاقته بإيطاليا الفاشية وألمانيا النازية مع إرهاصات الحرب العالمية الثانية، ووظفت كل شاردة وواردة من مساره السياسي عبر التضليل والتشويه لشخصه، وقد مُنعت كتاباته من دخول تونس والجزائر والمغرب، ورُصدت مراسلاته وتحرّكاته، وقد سبق ذِكر كيف أنّ السلطات الفرنسية تعاملت معه في المغرب، من رقابة وتضييق مُمنهج على تنقلاته وكلماته، وغياب هذه المعاملة في باريس العاصمة عند زيارته لها عديد المرات.

ومن المفارقات العجيبة تلك الاتهامات التي وثقتها الصّحف الفرنسية وقامت بنشرها الأقلام العربية دون البحث أو التدقيق فيما كتبه الأمير من ردود للدفاع عن نفسه ودرء تلك الافتراءات، خاصّة فيما تعلّق بمشاركته في البث الخاص بوراديو برلين، وقد أشرنا ذلك في الفصل الرابع في الجزء المتعلق بموقف السلطات الفرنسية من مساعي الأمير لخدمة القضية الجزائرية.

وتجدر الإشارة إلى التّباين في التعامل مع شخص الأمير بين السلطات الفرنسية ونظيرتها الإسبانية، حيث أظهرت الأولى الشدّة والتضييق والتضليل الإعلامي، أمّا الثانية فكانت أكثر تسامحًا وعقلانيةً، ولعلّ السبب يكمن في أنّ المداراة بين أمير البيان والإدارة الإسبانية كانت متبادلة، حيث أنّ كل طرف يريد تحقيق مآربه، فكثيرا ما تحاشى الأمير الصدام مع الإدارة الإسبانية كما أوصى الوطنيين المغاربة بذلك، وبضرورة التفرغ لمناهضة الفرنسيين كأولوية، ذلك أنه كان يرى بأن تحقق الأهداف في المنطقة الخاضعة للفرنسيين سينعكس بالضرورة على المناطق الخاضعة للأسبان، وهي رؤية استشرافية للأمير تبرز مدى حنكته في التعامل مع القوى الاستعمارية.

ومن زاويةٍ أخرى كان الإسبان يتجنّبون الصّدام مع الأمير أيضا، فلا الإعلام نقده ولا الإدارة ضيّقت عليه في زيارته ونشاطه، وقد ذكرنا سابقاً أن من بين أسباب ذلك وجود عاطفة الأصول العرقية لبعض الشخصيات الإسبانية وتبادل الودّ والمحبة مع أمير البيان، إضافةً إلى توجّس الإسبان من قدرات أمير البيان الإعلامية على تأليب الرأي العام العربي والإسلامي على مصالحهم الاقتصادية والسياسية في المشرق والمغرب، أضف إلى ذلك الضّعف الذي أصاب النّخب السياسية في اسبانيا بعد الهزائم العسكرية في الريف المغربي، وكذا الأزمات السياسية المتلاحقة التي خُتمت بالحرب الأهلية في البلاد.

والحقّ يُقال أنّ لأمير البيان شخصيّة جدّ مميزة، رجلٌ ضد دولة بإعلامها وأعلامها وفلاسفتها، بجيشها وعدّتها ومخابراتها، سعى بجهوده الإعلامية للتّعريف بما يفكّر به منظّرو الفكر الاستعماري، وبمؤلفاته للوصول إلى حقيقة الأهداف الفرنسية، ففضح مخططات الاحتلال، ونصح شباب المستعمرات عن تلك الاستراتيجيات فلم يخشى التهديد ولا الوعيد، ورغم تعرضه للمنع والتضييق إلاّ أنّه وقف في مجابهة الدولة الفرنسية، بل الحركة الاستعمارية جمعاء بما فيها الفاشية الإيطالية والأطماع الإسبانية.

وكان لأمير البيان آراء ومواقف في عديد المسائل، حيث أعطى رأيه حول الوطنيين على اختلاف مشاربهم وأيدلوجياتهم، وأراد التأكيد على أن الحريّة يطلبها المتأصل والمعاصر إن كان وجدان الوطنية حيّ لديهم، وحتى الخيانة يمكن أن تأتي من المتديّن وكذلك من المتمدّن، وقد أعطى لنا أمثلة حيّة عن شخصيّات سواء كانت ذات خلفية دينية أو وطنية لها مكانة علميّة واجتماعية غير أنها رمت بنفسها في أحضان سلطات الاحتلال، ودخلت بيت الطاعة والخنوع بحجّة حماية الدّين أو الأتباع أو المصالح العامّة.

وكانت له مواقف ثابتة حول ممارسات الاحتلال في تونس والجزائر والمغرب، فندّد بالمؤتمر الأفخارستي في تونس ماي **1930**م، واحتجّ على إصدار الظهير البربري في المغرب الأقصى في **16** ماي **1930**م، واستنكر فعاليات الاحتفالات المئوية في الجزائر سنة **1930**م، والتي كلّها تصبّ في السياسة التنصيريّة الفرنسية في المغارب الثلاث، ونقد أعمال المقيمين والحكّام العامين فيها، وكيف قدّموا كل التّسهيلات للجمعيات والإرساليات التبشيريّة هناك.

لذا يقول الأمير أنّ الإفرنجي هو الإفرنجي، ما تغيّر شيء من طبعه، فهو اليوم كما كان عند زحفه إلى البلاد الإسلامية منذ ثمانمائة سنة بما فيه من الظمأ إلى الدماء، وأنّ المدنية التي يتذرّع بدعواها إنْ هي إلاّ غطاء سطحي لِما هو كامن في طبعه، متهيئ للظهور لأدنى حادث، فالمدنية العصرية لم تزد الإفرنجي إلا تفننًا في آلات القتل، وفصاحة في التمويه وتسمية الأسماء بغير مسمياتها.

وأفضل ما أورده توفيق المدني عن مواقف الأمير شكيب هو عمّا أوصى به الأمير قُبيْل وفاته، أي وصيّته حول البلاد الفلسطينية، فحتّى خلال تسليمه لروحه الطاهرة لم تُثْنه هذه اللحظة الصّعبة عن التّذكير ممّن حوله بقوله: "أوصيكم بفلسطين"، فكانت هذه الكلمتين آخر ما تلّفظ به أمير البيان شكيب أرسلان، أو كما قال

المؤرخ الباحث محمّد شيّا كانت آخر كلمتين كتبهما بقلمه، فأيُّ رجلٍ هذا؟ حمل هموم أمّته إلى قبره رغم استقلال بلده سوريا الذي عدّه ناقصًا لا يكتمل إلاّ باستعادة كل شبر من أراضي العرب والمسلمين.

وقد أوردنا في دراستنا ما كُتب عن أمير البيان بأقلام أبرز الأعلام وفي مقدمتهم صديقه أبو الحسن محمد علي الطاهر الفلسطيني صاحب "جريدة الشورى"، وهو أفضل ما يُقال في حقّه لنختم بحثنا بهذه الكلمات الرائعة التي جسّدت جوهر شخصية الأمير، حيث كتب: "...لأنّ الأمير الذي اشتغل خمساً وستين سنةً من حياته وهو يكتب ويخطب وينظّم، ستشتغل الدنيا عليه خمسمائة سنة، بل أكثر، وستصدر كتب كثيرة عنه تتناوله بالتحليل والشرح، شأن أهل الخلود الذين عاشوا للناس وعملوا من أجلهم فاهتم بهم الناس وعملوا على تخليدهم..."، فرغم ما تناولته الدراسات المختلفة عن سيرته بالبحث والتدقيق، فإنّه لم ينل إلى حدّ الساعة الاهتمام اللازم، فهناك الكثير من الزوايا المظلمة تحتاج إلى من يسلط عليها الأضواء،

فدُور الأرشيف في تركيا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا وفرنسا وانجلترا تضمّ آلاف الوثائق والتقارير التي تحمل بين طياتها أخبار وأعمال أمير البيان شكيب أرسلان وجهوده في أوروبا والمشرق والبلاد المغاربية، فعلاقته مع موسوليني وإيطاليا الفاشية موضوع جديرٌ بالبحث، وعلاقته بالسلطة الفرنسية بين الحرب العالمية الأولى إلى استقلال سوريا موضوع جديرٌ بالبحث والتنقيب كذلك، وآراؤه حول الشيعة والشيوعية والوهابية والطّرقية والديمقراطية؛ كلّها مسائل تتطلب التحري والتحليل، فعلى المهتمين والباحثين في هذا الحقل استقصاء كل المعلومات المتعلقة بهذه المواضيع التي لازالت في أغلبها مغمورة.

الملاحق

الملاحق:

الملحق رقم (01): صورة لأمير البيان فترة اعتلائه منصب القائمقام لمنطقة الشوف في لبنان سنة 1907م أيام حكم الدولة العثمانية.

المصدر : موقع جريدة الشورى

الرابط : https://eltaher.org/docs_photos/1907-Emir-Shakib-Governor-image264_ar.html تاريخ الزيارة : 2022/11/14م، 19:53.

الملحق رقم (02) : صورة تذكارية أُخذت للأمير وثلة من المجاهدين خلال حرب ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي عام 1911م، وإلى جانبه عدد من القادة أبرزهم رقم 1 أنور باشا، رقم 2 القائد مصطفى كمال باشا، رقم 3 الأمير شكيب أرسلان، رقم 4 الشيخ صالح التونسي، رقم 5 عبد القادر غنامي.

المصدر : موقع جريدة الشورى .

الرابط : https://eltaher.org/docs_photos/1911-Emir-Shakib-with-Mustafa-Kemal-in-Libya-image265_ar.html تاريخ الزيارة : تاريخ الزيارة : 2022/11/14م، 19:53.

الملحق رقم (03): الأمير شكيب أرسلان على جبهات القتال في ليبيا عام 1911م، مع أنور باشا ومصطفى كمال أتاتورك .

المصدر : موقع جريدة الشورى الإلكتروني. الرابط : https://eltaher.org/docs_photos/1911-Emir-Shakib-with-Mustafa-Kemal-in-the-trenches-image266_ar.html تاريخ الزيارة : 2022/11/14، 20:06.

الملحق رقم (04) : الأمير شكيب أرسلان يلقى بخطبه أمام مجموعة من الضباط وأغلب الظن من الألمان، سنة 1920م، وفي مرجع آخر ذُكر أنّه في مكتب الشرطة عند طُلب منه مغادرة المنطقة الدولية طنجة، في حين الصورة تبين العكس، فالأمير يلقي كلمة والسكرتيرة أو الصحفية تُدون كلماته، ومن الممكن أن تكون في بيت السفير الإسباني أسيدورو دي لاس كاخيكاس عند دعوته على جلسة الشاي.

المصدر : موقع جريدة الشورى الإلكتروني. الرابط:

https://eltaher.org/docs_photos/1920-Emir-Shakib-Arslan-addressing-group-of-unidentified-officers-No-date,-no-place,-no-occasion-identified-image267_ar.html ، تاريخ الزيارة: 2022/11/14، 20:11.

الملحق رقم (05): الرسالة الوحيدة التي وُجدت بين وثائق محمد علي الطاهر صاحب صحيفة الشورى، لأن هذا الأخير سلّم معظم المراسلات لابنة الأمير ميَ والدة الزعيم الدرزي حالياً وليد جنبلاط.

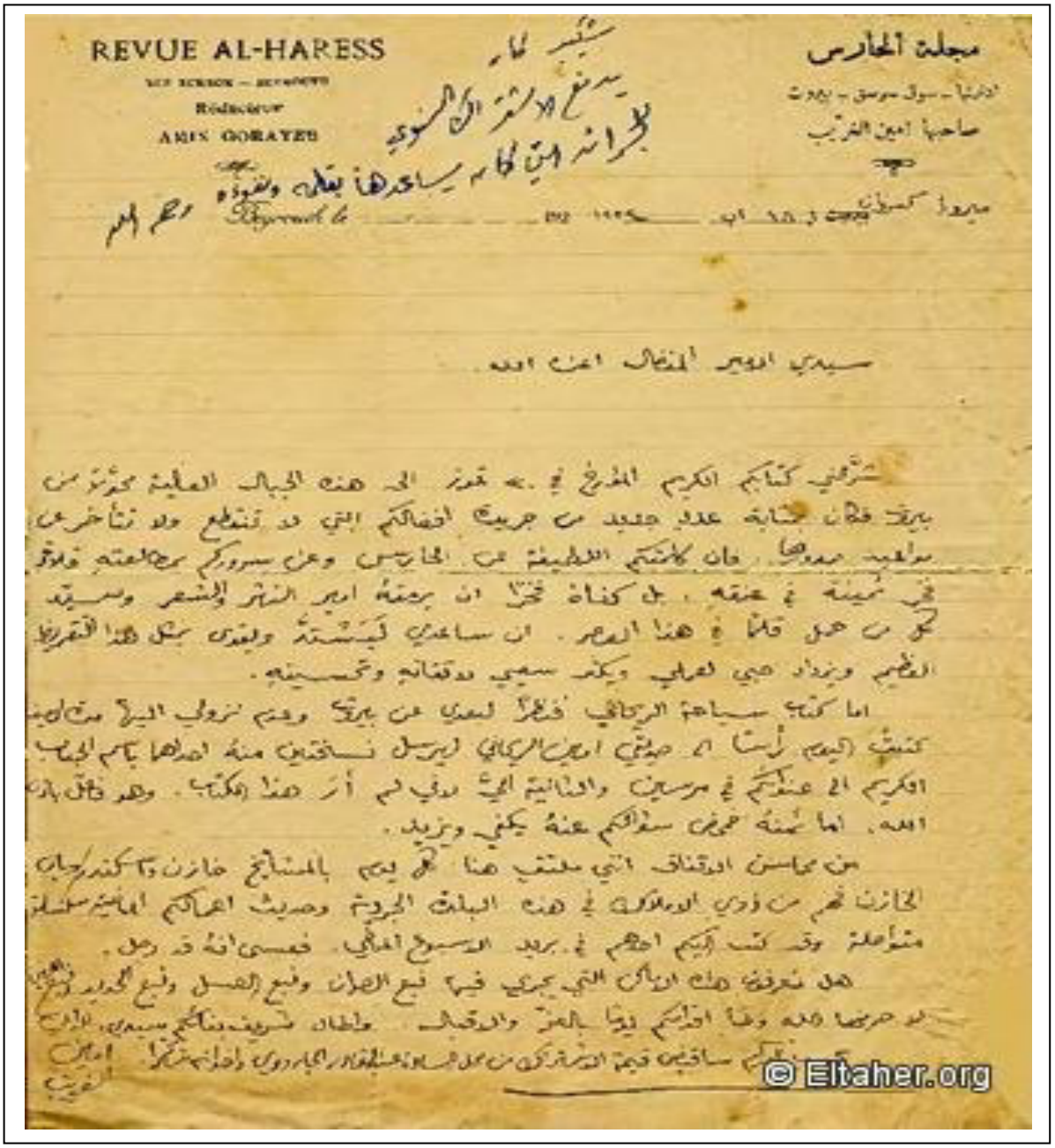
REVUE AL-HARESS

مجلة الحارس

AMIN GORAYEB

صاحبها امين الغريب

سيدي الامير المفدى امتع الله

© Eltaher.org

المصدر : موقع جريدة الشورى الإلكتروني

الرابط : https://eltaher.org/docs_photos/1924-Correspondence-from-Amin-Gorayeb-to-Emir-Shakib-doc44_ar.html

تاريخ الزيارة 2022/11/14، 20:40 .

الملحق رقم (06) : صورة للزعيم الحبيب بورقيبة إلى جانب أمير البيان شكيب أرسلان قبل وفاته بشهرين أُخذت الصورة في مدينة جنيف في أكتوبر 1946م(استوديو جوليان-جنيف).

المصدر : الموقع الإلكتروني لجريدة الشورى.

الرابط : https://eltaher.org/docs_photos/1946-Bourguiba-and-Emir-Shakib-image399_ar.html تاريخ الزيارة: 2022/11/14، 21:01.

انظر كذلك : محمد مكي، مرجع سابق، ص239.

الملحق رقم (07):الإشهار الذي خصّت به مجلة الشهاب الإصلاحية مجلة "الأمة العربية LA NATION ARABE" لصاحبها أمير البيان شكيب أرسلان، من قبل الشيخ ابن باديس شهر ماي 1930م.

٢٥٧ الامة العربية الشهاب

تحرر العقول والمطابع

الامـة العربيـة

LA NATION ARABE

مجلة شهرية سياسية ادبية اقتصادية اجتماعية
لسان الوفد السوري الفلسطيني لدى جمعية الأمم
تخدم مصالح البلدان العربية ومصالح الشرق
يحررها الأمير شكيب ارسلان واحسان بك الجابري
« باللسان الفرنسي »

في هذا العنوان بيان لمشرب المجلة ومقصدها وفي مكانة محرريها الدليل القاطع على بلوغها غاية الغايات من القيام باعباء مهمتها .

الامة العربية التي تعد اليوم نحو الستين مليونا . الامة العربية التي انجبت في اقدم التاريخ مملكة اور الكلدانيين وجيرانهم الفينيقيين ، والتبابعة السبائيين ، واشهرهم ذا القرنين . الامة العربية التي نشرت المدنية الاسلامية في الخافقين ، وحفظت تراث المدنيات القديمة على العالمين . الامة العربية التي يعتبر المنصفون من علماء الغرب انهم لها بمبدأ نهضتهم واصول مدنيتهم مدينون — هذه الامة التاريخية العظيمة مجهولة منزلتها في الماضي وحالتها في الحاضر عند عامة امم الغرب التي هي المسيطرة على امم العالم . ومجهولة حتى عند ابناء العرب الذين فتنتهم مدنية الغرب حتى انستهم انفسهم وخسرت العروبة منهم فروعا كاخسروا منها اصلهم ، الا قليلا منهم هم فوشك او شبه الشك من سالف مجدهم وتعطش الى معرفته لو يجدونها باللسان الذي انساهم — ايضا — لسان قومهم .

فما احوج الامة العربية الى تعريف هذين الصنفين : الغربيين والمتغربين

276

المصدر : مجلة الشهاب، عدد ماي 1930م، ص ص 257. سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج4، ص ص 122، 123.

الملحق رقم (08): رسالة تخصّ الفتنة التي حصلت بين المالكية و الإباضية وقد خاض فيها أمير البيان في بعض رسائله، وقد تحدّث عنها توفيق المدني في كتابه حياة كفاح، فالرسالة الأولى تُمثل مكتوب بعث به الشيخ أبي يعلى الزواوي إلى توفيق المدني يطلب منه نشر مقال كتبه أبا يعلى ردّاً على صاحب جريدة "المغرب".

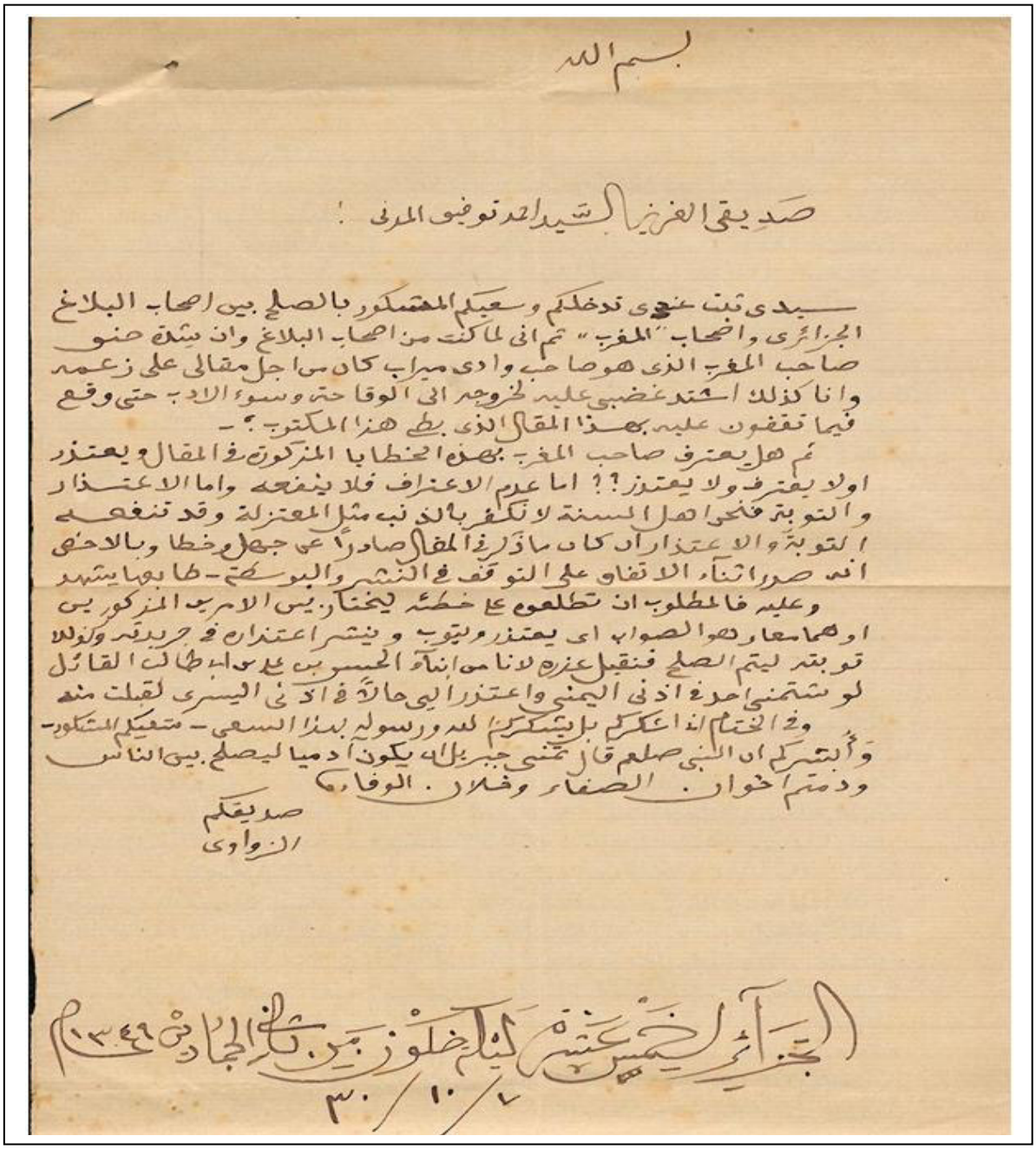

بسم الله

صديقي العزيز السيد احمد توفيق المدني !

سيدي ثبت عنوي تدخلكم وسعيكم المشكور بالصلح بين اصحاب البلاغ الجزائري واصحاب "المغرب" ثم اني لما كنت من اصحاب البلاغ واني شديد حنق صاحب المغرب الذي هو صاحب وادي ميزاب كان من اجل مقالي على زعمه وانا كذلك اشتد غضبي عليه لخروجه الى الوقاحة وسوء الادب حتى وقع فيما تقفون عليه بهذا المقال الذي بطي هذا المكتوب ؟ -

ثم هل يعترف صاحب المغرب بهذه الخطايا المذكورة في المقال و يعتذر اولا يعترف ولا يعتذر ؟؟ اما عدم الاعتراف فلا ينفعه واما الاعتذار والتوبة فنحن اهل السنة لا نكفر بالذنب مثل المعتزلة وقد تنفعه التوبة والاعتذار ان كان ما ذكر في المقال صادرا عن جهل وخطا وبالاخص انه صدر اثناء الاتفاق على التوقف في النشر والبوسطة - طابعها يشهد وعليه فالمطلوب ان تطلعوه على خطئه ليختار بين الامرين المذكورين او هما معا وهو الصواب اي يعتذر ويتوب و ينشر اعتذاره في جريدته وكذلك توبته ليتم الصلح فنقبل عذره لانا من ابناء الحسوبين على مذهب طائفة القائل لو شتمني احد في اذني اليمنى واعتذر الي حالا في اذني اليسرى لقبلت منه وفي الختام اذ اعلمكم بل بشكركم لله ورسوله بهذا السعي - سعيكم المشكور - وأبشركم ان النبي صلعم قال تمنى جبريل ان يكون ادميا ليصلح بين الناس ودمتم اخوان . الصفاء وخلان . الوفاء .

صديقكم
الزواوي

الجزائر الخميس عشية ليلة خلون من شهر الجمادين ١٣٤٤
٣٠/١٠/٢

المصدر: من الموقع الإلكتروني الخاص بالرمز المصلح أحمد توفيق المدني، رابط الرسالة والمقال.

http://www.elmadani.org/ar/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%A3%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%88%D8%A7%D9%88%D9%8A/

الملحق رقم(09):مقال الشيخ أبي يعلى الزواوي

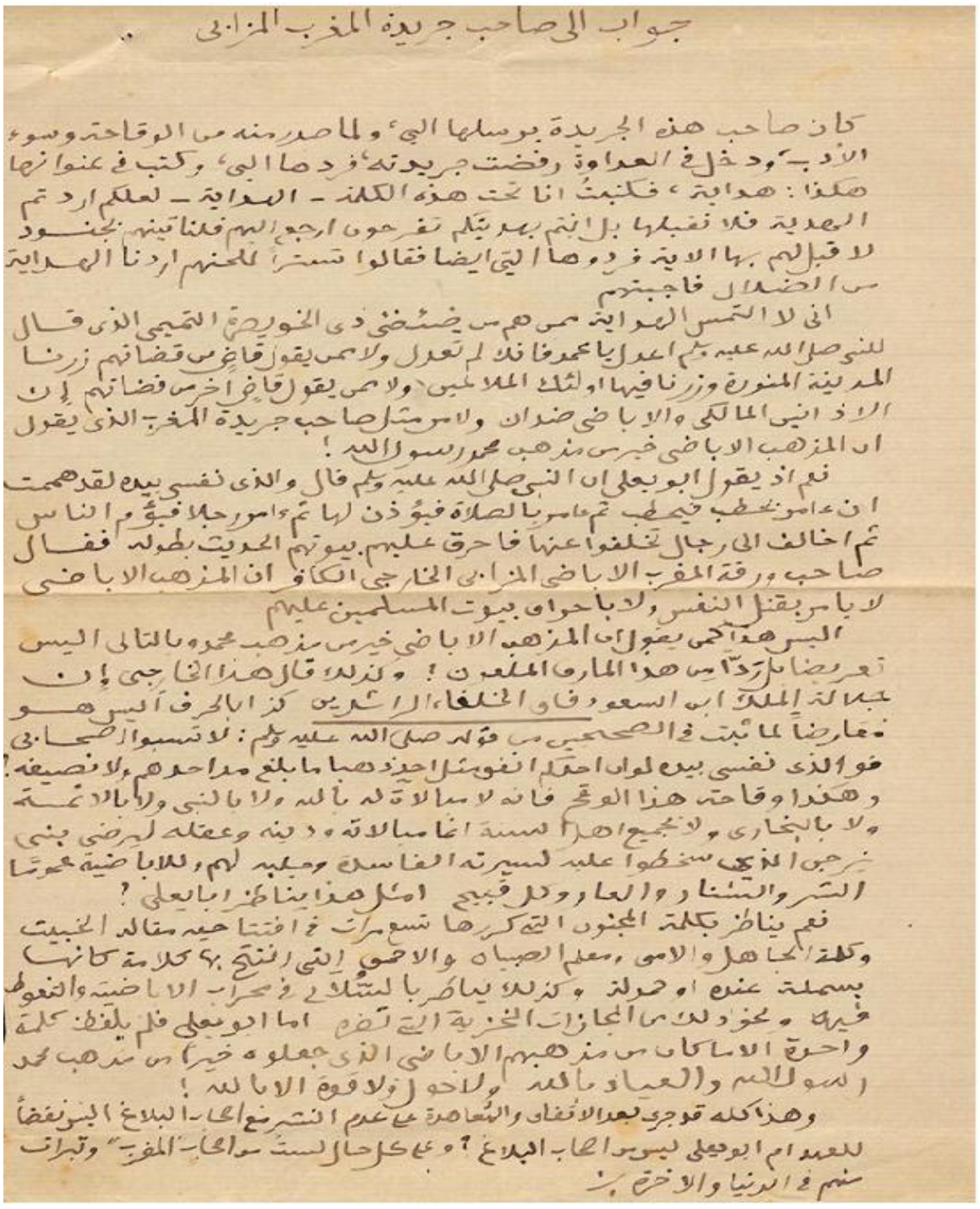

جواب الى صاحب جريدة المغرب المزابي

كان صاحب هذه الجريدة بوسلها الي، ولما صدر منه من الوقاحة وسوء الأدب، ودخل في العداوة رفضت جريدته فردها الي، وكتب في عنوانها هكذا: هداية، فكتبت انا تحت هذه الكلمة - الهداية - لعلكم اردتم الهدية فلا نقبلها بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلما تبينهم بجنود لا قبل لهم بها الاية فردها الي ايضا فقالوا تسترا للحنهم اردنا الهداية من الضلال فاجبتهم

اني لا التمس الهداية ممن هم من خشخاش ذي الخويصرة التميمي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم اعدل يا محمد فانك لم تعدل ولا ممن يقول قاض في قضائهم زرنا المدينة المنورة وزرنا فيها اولئك الملائكة، ولا ممن يقول قاض اخر من قضاتهم إن الاذاني المالكي والاباضي ضدان ولا مثل صاحب جريدة المغرب الذي يقول ان المذهب الاباضي خير من مذهب محمد رسول الله!

نعم اذ يقول ابو يعلى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لقد هممت ان ءامر بحطب فيحطب ثم ءامر بالصلاة فيؤذن لها ثم ءامر رجلا فيؤم الناس ثم اخالف الى رجال تخلفوا عنها فاحرق عليهم بيوتهم الحديث بطوله فقال صاحب ورقة المغرب الاباضي المزابي الخارجي الكافر ان المذهب الاباضي لا يامر بقتل النفس ولا باحراق بيوت المسلمين عليهم

اليس هذا كمن يقول ان المذهب الاباضي خير من مذهب محمد وبالتالي اليس تعريضا بل ردا على هذا المارق الملعون! ولذلك قال هذا الخارجي إن جهالة الملك ابن السعود فاق الخلفاء الراشدين كذا بالحرف أليس هو معارضا لما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا اصحابي فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه! وهكذا وقاحة هذا الوقح فانه لا مبالاة له بالله ولا بالنبي ولا بالائمة ولا بالبخاري ولا بصحيح هذا لمسة انما مبالاته بدينه وعقله ليرضي بني خرجين الذين سخطوا عليه لسيرته الفاسدة وعليه لهم وللاباضية محورنا النشر والتشنار والعار والقبح امثل هذا يناظر ابا يعلى؟

نعم يناظر بكلمة المجنون التي كررها تسع مرات في افتتاحيته مقالة الخبيث وكلمة الجاهل والامي، معلم الصبيان والاحمق إلى اخر ما نتج به كلامه كانها بسملة عنده او حولقة، وكذلك يناظر بالتشاغل في محراب الاباضية والغوط فيه، ولخوذلك من المجازات الخزية التي تقزم اما ابو يعلى فلم يلفظ كلمة واحدة الا كان من مذهبهم الاباضي الذي جعلوه خيرا من مذهب محمد رسول الله والعياذ بالله ولا حول ولا قوة الا بالله!

وهذا كله توجيه بعد الاتفاق والمعاهدة على عدم النشر مع الجاني البليغ البين فضا للعداوة ام ابو يعلى ليس الجاني البليغ؟ وعلى كل حال لست من الجاني المغرب وتبرات منهم في الدنيا والاخرة.

المصدر: من الموقع الإلكتروني الخاص بالرمز المصلح أحمد توفيق المدني، رابط الرسالة والمقال.

http://www.elmadani.org/ar/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%A3%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%88%D8%A7%D9%88%D9%8A/

الملحق رقم (10): صورة للزعيم مصالي الحاج

المصدر: مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج**، ص248.

الملحق رقم (11): رسالة من الأمير شكيب أرسلان إلى زعيم الوطنية في المغرب عبد السلام بنونة، وتتضمن موقف ابن قدور بن غبريط تجاه الظهير البربري 16 ماي 1930م.

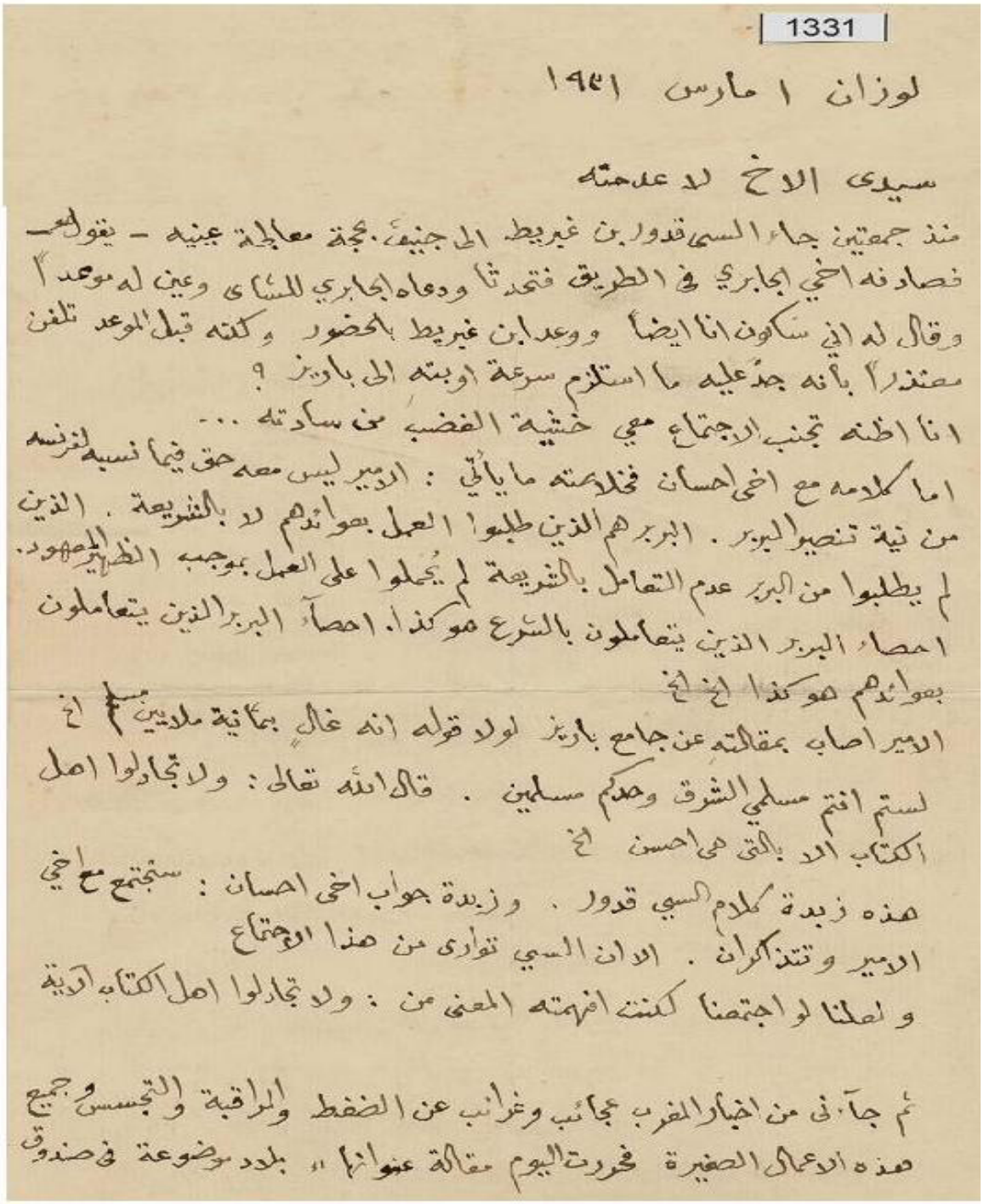

1331

لوزان ١ مارس ١٩٣١

سيدي الاخ لد عدمته

منذ جمعتين جاء السي قدور بن غبريط الى جنيف لمعالجة عينيه - يقول فصادفه اخي ابجاري في الطريق فتحدثا ودعاه ابجاري للشاي وعين له موعدا وقال له اني سأكون انا ايضا ووعد ابن غبريط بالحضور ولكنه قبل الموعد تلفن معتذرا بأنه جد عليه ما استلزم سرعة اوبته الى باريز ؟

انا اظنه تجنب اجتماع مي خشية الغضب من سادته ...

اما كلامه مع اخي احسان فخلاصته ما يأتي : الامير ليس معه حق فيما نسبه لفرنسه من نية تنصير البربر . البربر هم الذين طلبوا العمل بعوائدهم لا بالشريعة . الذين لم يطلبوا من البربر عدم التعامل بالشريعة لم يحملوا على العمل بموجب الظهير المعهود. احصاء البربر الذين يتعاملون بالشرع هو كذا. احصاء البربر الذين يتعاملون بعوائدهم هو كذا الخ الخ

الامير اصاب بمقالته عن جامع باريز لولا قوله انه غال بمائة ملايين مسلم الخ لستم انتم مسلمي الشرق وحدكم مسلمين . قال الله تعالى : ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الخ

هذه زبدة كلام السي قدور . وزبدة جواب اخي احسان : سنجتمع مع اخي الامير وتتذاكران . الان السي توارى من هذا الاجتماع

و لعلنا لو اجتمعنا كنت افهمته المعنى من : ولا تجادلوا اهل الكتاب الاية

ثم جاءني من اخبار المغرب عجائب وغرائب عن الضغط والمراقبة والتجسس وجميع هذه الاعمال الصغيرة فحررت اليوم مقالة عنوانها « بلاد موضوعة في صندوق

المصدر : الأرشيف الشخصي لأبو بكر بنونة، الوثيقة رقم 1331.

الملحق رقم (12): واجهة العدد 289 لمجلة الفتح لصاحبها محبّ الدين الخطيب، والذي أدرج ضمنه مقال أمير البيان الذي يتحدّث فيه عن "كتاب الجزائر" لصاحبه أحمد توفيق المدني، ويشيد بما جاء فيه.

المصدر : شكيب أرسلان، **"كتاب الجزائر"**، مجلّة الفتح، دار المطبعة السلفية، القاهرة، العدد 289، السنة6، ذو القعدة 1350ه، ص14. يُنظر في الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني، صورة ونص مقال الأمير شكيب أرسلان عن كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني في مجلة الفتح لمحب الدين الخطيب، رابط الموقع:

http://www.elmadani.org/ar/%D8%B5%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84-%D8%A7%EF%BB%B7%D9%85%D9%8A%D8%B1-%D8%B4%D9%83%D9%8A%D8%A8-%D8%B9%D9%86-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D9%84/ تاريخ الزيارة : 2022/08/24، 22:55.

الملحق رقم (13): فحوى مقال أمير البيان حول "كتاب الجزائر" لمؤلفه أحمد توفيق المدني.

١٤ (الفتح)

كتـــــــاب الجزائر

من أحسن ما اخرج في هذا العصر « كتاب الجزائر » للاستاذ بحق السيد أحمد توفيق المدني أ كثر الله في الاسلام من أمثاله

أحصى المؤلف في هذا الكتاب المبين كل ما تلزم معرفته من أمور الغرب الاوسط من تاريخ وجغرافية وادارة واجتماع واقتصاد وغير ذلك بعبارة سهلة سائغة بليغة جامعة لا تمل بأطناب ولا تخل بايجاز ولا اقتضاب . فان كان كتاب حديث لائقاً بالقنية وجديراً بأن يقال انه ليس عنه غنية فهذا الكتاب

ومن تأمل في أنظمة الجزائر والقوانين التي تسير عليها السلطة الافرنسية في ذلك القطر علم مقدار الظلم والعسف الواقعين على أهاليه المسلمين وفهم كيف يكال بمكيالين ويوزن بميزانين بينهم وبين الاوربي وأدرك غور الدسائس والمكايد التي اودعها المستعمرون في اصلاب قوانينهم ليقضوا على كل شيء اسلامي في ذلك القطر مادياً كان أو معنوياً . ذكر السيد المدني هذه القوانين وهذه الانظمة كما هي عليه نقلا عن دستور الجزائر فلم يزد عليها شيئاً ولم يعلق من الملاحظات في هذا الباب الا اشارات كلمح البصر . فالمسلمون لا يدينون فرنسة الا من نفس قوانينها ولا يضيفون شيئاً على ما تملته هي انه مدار عملها في الجزائر . ولا يجدون حاجة الشرح والتعليق لان نصوص القوانين الافرنسية المبثية من أولها الى آخرها على ارادة تجريد المسلمين من كل شيء ينفعهم هي كافية وافية لا تحتاج الى الايضاح بذيول ولا بهوامش

فليقرأ القارىء هذه القوانين التي تسنها دولة زاعمة أنها في مقدمة الدول المتمدنة وليقايسها بشريعة الاسلام فيما تعامل به أهل الذمة .. فعند ذلك لا مناص له من أن يقول :

وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذى فيه ينضح

ومن أغرب الغرائب عقلية الافرنسيس الذين يسنون هذه القوانين ويحكمون هذه الاحكام ويسمون كل من ينقلها عنهم بنصها وفصها عدواً لهم . فكأنهم يريدون أن يسنوا هذه المظالم كلها قوانين وأن يجروها بالفصل باضعاف ما فيها من الظلم ـ لان أفاعلهم في الجزائر أشنع من الاقوال وتطبيق قوانينهم أفحش بكثير من نصوصها ـ وأن لا يتكلم عنها أحد بشيء بل يتركها مسكوتا عنها مطوية على غرّها فاذا ذكرها ذاكر أو أشار اليها أو نقلها بمجرد نقل ساحوا من كل جهة :

ـ هذا عدو فرنسة !

والحال ان العدو لفرنسة انما يريد أن تستمر على هذه السياسة وانه ما يذهبها الى مافيها من العدوان الا مريد انفير لها

يا أيها القوم ان كنتم تعلمون ان نشر هذه الحقائق مما يؤذيكم فما ذا ترتكبون ما يؤذيكم نشره ؟

وان كنتم ترون هذه القوانين التي تختصون بظالمها المسلمين هدماً للاسلام وابادة لمن يتمسكون به قوانين عادلة لا غبار عليها فلماذا تقضبون على من يترجمها الى العربية أو ينشر هذه الفضائح ولو بدون تعليق . يريدون أن يظلموا ولكنهم لا يريدون أن يسمعوا أنين المظلومين ولا أن يدعوا أحداً في مكان آخر يسمع هذا الانين . وهذا من أغرب عقليات العالمين

شكيب أرسلان

نظام التعليم في العراق

دعت حكومة العراق الاستاذ بيكر وزير المعارف السابق في بروسيا لكي يتعاون مع لجنة مارو الامريكية التي تشتغل بتنقيح نظام التعليم في العراق وتهذيبه

جمعية الشبان الادبية بالسويس

يلقي في الساعة السادسة من مساء الجمعة ٤ ذو القعدة بدار الجمعية حضرة الاديب السيد أفندي محمود بخيت رئيس الجمعية محاضرة في « التربية الخلقية عنوان رقي الشعوب » فنحث الشبان لسماع تلك المحاضرة القيمة

السكرتير : محمد يونس

--٦٢٤--

المصدر : الموقع الإلكتروني الخاص بالأستاذ أحمد توفيق المدني، مرجع سابق.

الملحق رقم (14): رسالة من شكيب أرسلان إلى عمر راسم بتاريخ 1931/12/28م.

جنيف ٢٨ ديسمبر ١٩٣١

حضرة الأخ الأستاذ الفاضل

السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كنت تحقني
بكتاب وجاء يتك عليه وأيقنت الجواب ضمن كتاب الى السيد المدني ولما قال الأمير
عن الجواب وتحير في شأن هذا المكتوب لم يصل اليدنا فاتصلت بالسيد المدني فأجابني
بأن كتابا كريما لم يصل اليه وقد كان كتب بيد الملك المرسل فمن ظرفه باسم السيد المدني له
فحسبنا بالبريد فقد أجبت البرقية وقد تلقيت الجواب بواسطة الحكومة الهندية
وصل ذلك الكتاب هو بيدي وسنرى ماذا يجاوبني ؟

يا أخي لم يجر على الخليفة له نظير من قديم وحتى الوقت الحاضر فقد أعلن
آل سعود ما سموه لنا استقلال الحجاز بعد سقوط الدولة العثمانية وقبل تشكيل النظام والخليفة شخصيا
رجل من أكرم الناس أخلاقا وأحسنهم سيرة وكنت نظرت الأمور تماما كما قلت
ما فعلت وانتهم الدولة غدرت بهم وكانوا نهرا لها فسبحان الله فعلت
من نكث أمر ثقة سوء يرجع عليه ومكر السيئ لا يحيق إلا بأهله وهذه الأمة الغلبية عاقبة غالبة
تفعل ما تشاء نظير البوشفة هم ثلاثة ملايين يحكمون في (١٤٠) مليونا كما أن الروسيا
وذلك بكون الحكومة بيدهم . يقولون لا يجب على العالم الإسلامي أن يوالي آل عثمان
نظرا لخذلانهم الملة . لا يجب على العالم الإسلامي أن تهم حالة مزرية تحت استعمار
الغاشم لا يستطيع تبديلا وجوبيا فعلوه ولكن ذلك الأمر يحتمل أن يحصل في وقت
قصير ما دام الأمة تعلق الى نفسه ثقتها بالله ثم بقوة ذراعها وعزيمة أحشائها . وأما البلاد
السعودية الباقية عما يستقل فهي تركية وإيران وأفغانستان والحجاز ونجد واليمن ثم عمان
واستقلالها غير تام فتركية محكومة بحكومة الجمهورية وحكومة آل عثمان وحكومة أنقرة هي
الدين الإسلامي نفسه وإيران ليس فيها خلافة لأن حكومة آل البيت وأفغانستان

المصدر : أمال إمخلاف، مرجع سابق، ص158.

الملحق رقم (15): صورة للأمير شكيب أرسلان بين أعضاء جمعية طلبة شمال إفريقيا سنة 1937م، حيث يقف الزعيم الحبيب بورقيبة إلى يمين الأمير، حسب الأستاذ محمد مكّي، لكن الملاحظ أنّ مصالي الحاج هو الذي على يمين شكيب أرسلان وكان من الحاضرين في هذا الحفل التكريمي الذي أُقيم على شرف الأمير.

المصدر : محمد مكّي، مرجع سابق، ص237.

الملحق رقم (16): الأمير شكيب أرسلان خلال زيارته إلى مدينة تطوان المغربية في أوت 1930م، بعد حفل التكريم، على يمينه محمد داود رقم (1)، والحاج عبد السلام بنونة رقم (2).

المصدر : موقع جريدة الشورى

الرابط : https://eltaher.org/docs_photos/1930-Emir-Shakib-in-Tetouan-image283_ar.html تاريخ الزيارة: 2022/11/14، 20:11.

الملحق رقم (17): صورة لبطل الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي عند اعتقاله.

Photographie d'Abd-el-Krim donnée à J.-
dédicace signée d'Abd-el-Krim et de son frère Si M'hammed.

المصدر : موقع مجلة الشورى الإلكتروني. الرابط : https://eltaher.org/docs_photos/1926-Abdel-Krim-Portrait-edited-image390_ar.html تاريخ الزيارة: 2022/11/14م، 20:53.

الملحق رقم (18): الرسالة التي بشّر من خلالها الزعيم الحاج عبد السلام بنونة ولده الطيب بنونة بقرب زيارة أمير البيان شكيب أرسلان إلى مدينة تطوان.

رسالة بتاريخ 9-8-1930 من الحاج عبد السلام لولده الطيب، مما جاء فيها: سمو الأمير شكيب أرسلان يتفسح بإسبانيا و لو علمت مقره لتوجهت لمقابلته و التعرف بسيادته، و لقد أخبرنا السيد أحمد توفيق المدني بأن الأمير يعتزم زيارة مدينة تطوان فيا حبذا لو صح الخبر.

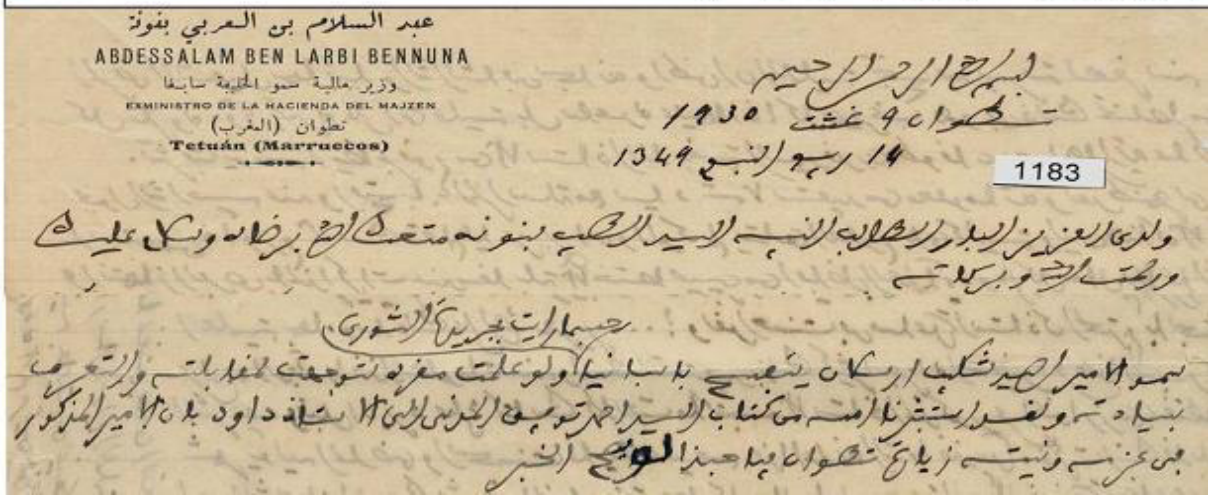
عبد السلام بن العربي بنونة
ABDESSALAM BEN LARBI BENNUNA
وزير مالية سمو الخليفة سابقا
EXMINISTRO DE LA HACIENDA DEL MAJZEN
تطوان (المغرب)
Tetuán (Marruecos)

1183

المصدر : الأرشيف الشخصي لأبوبكر بنونة، الوثيقة رقم 1183، الرسالة مؤرخة في 1930/08/09م.
الرابط : https://www.facebook.com/aboubakrbennouna1928/photos.

الملحق رقم (19): رسالة من الأمير شكيب أرسلان إلى الأستاذ عبد الخالق الطريس حول استقالة الأستاذ من منصب مدير عام للأحباس في الحكومة الخليفية، تاريخ الرسالة : 1935/10/08م.

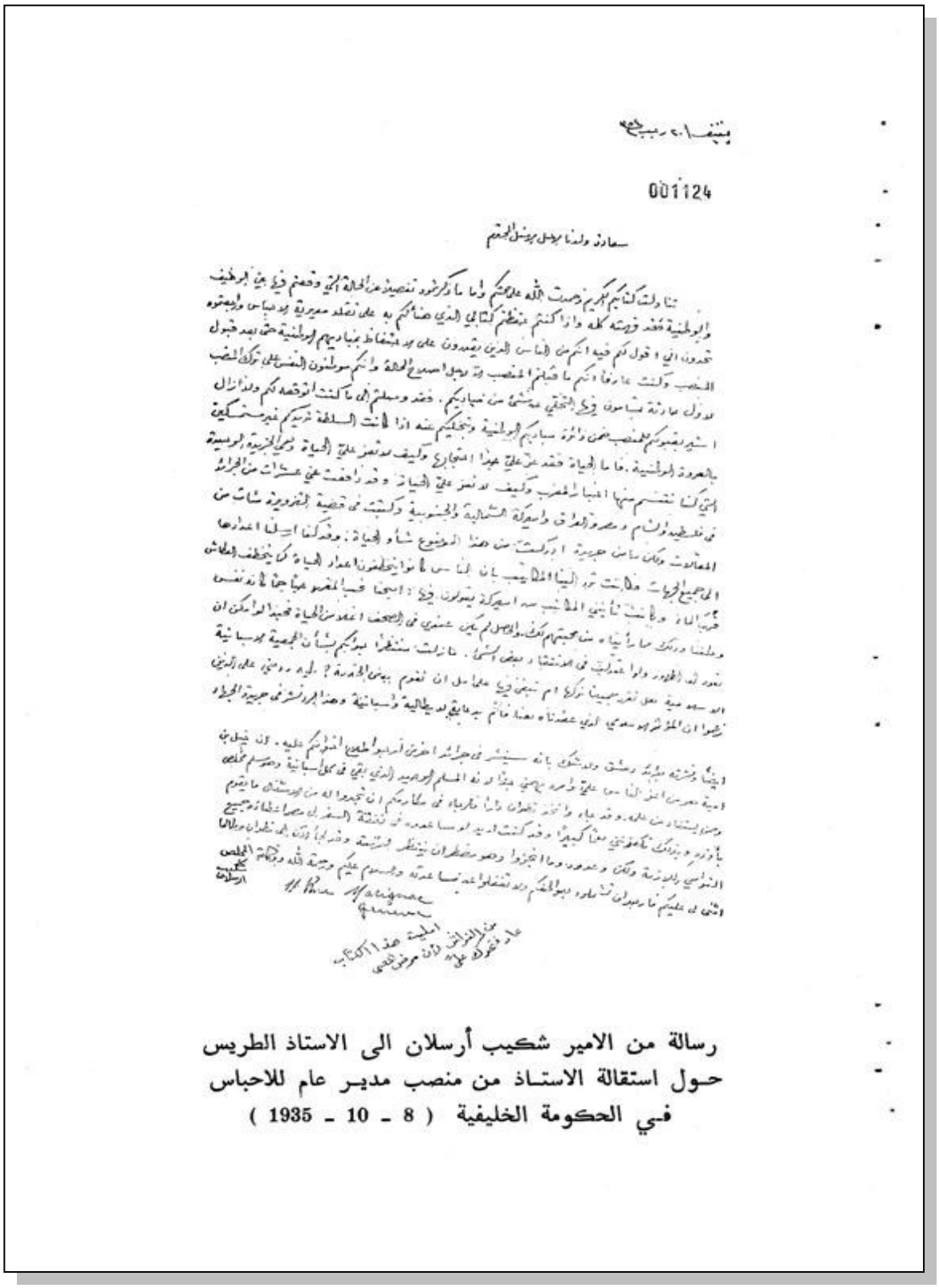

رسالة من الامير شكيب أرسلان الى الاستاذ الطريس حول استقالة الاستاذ من منصب مدير عام للاحباس في الحكومة الخليفية (8 - 10 - 1935)

المصدر : محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص159.

الملحق رقم (20) : برنامج زيارة أمير البيان شكيب أرسلان إلى مدينتي طنجة وتطوان أوت 1930.

برنامج

زيارة الامير شكيب أرسلان للمغرب (1349 ـ 1930)

الاحد	14 ربيع الاول	10 غشت	ـ وصول الامير الى طنجة
الاثنين	15 »	11 »	ـ إقامة الامير بطنجة
الثلاثاء	16 »	12 »	ـ » » »
الاربعاء	17 »	13 »	ـ » » »
الخميس	18 »	14 »	ـ وصول الامير الى تطوان
الجمعة	19 »	15 »	ـ إقامة الامير بتطوان
السبت	20 »	16 »	ـ » » »
الاحد	21 »	17 »	ـ الحفلة العمومية بتطوان
الاثنين	22 »	18 »	ـ مغادرة الامير لتطوان
الثلاثاء	23 »	19 »	ـ مغادرة الامير لطنجة

المصدر: محمد ابن عزوز حكيم، مرجع سابق، ص103.

الملحق رقم (21): الطلبة المغاربة في نابلس الفلسطينية، والذين كانت لهم علاقات وثيقة بالأمير شكيب أرسلان .

صيف 1931. البعثة التطوانية في نابلس في زيارتها للبعثة بالقاهرة.
الجالسون على الأرض من اليمين: الطيب بنونة – محمد الفاسي – محمد محمد الخطيب
الصف الثاني: محمد الطنجي – المكي الناصري – المهدي بنونة – الحسن بوعياد – امحمد بنونة.
الواقفون: الحسين بن عبد الوهاب – عبد السلام بن جلون – الطيب السبتي – محمد عبد السلام الخطيب – عبد القادر الرباحي.

المصدر: صفحة الأستاذ أبوبكر بنونة (فايس بوك). الرابط :

https://www.facebook.com/aboubakrbennouna1928/photos/a.1793446/52432784/415462228821024/ تاريخ الزيارة: 2023/01/09. 15:40.

الملحق رقم (22): رسالة من الأمير شكيب أرسلان إلى الحاج عبد السلام بنونة، مؤرخة في 28 أوت 1931م، يتحدث فيها عن موقف بعض الساسة المغاربة من إصدار الظهير البربري على غرار محمد المقرّي.

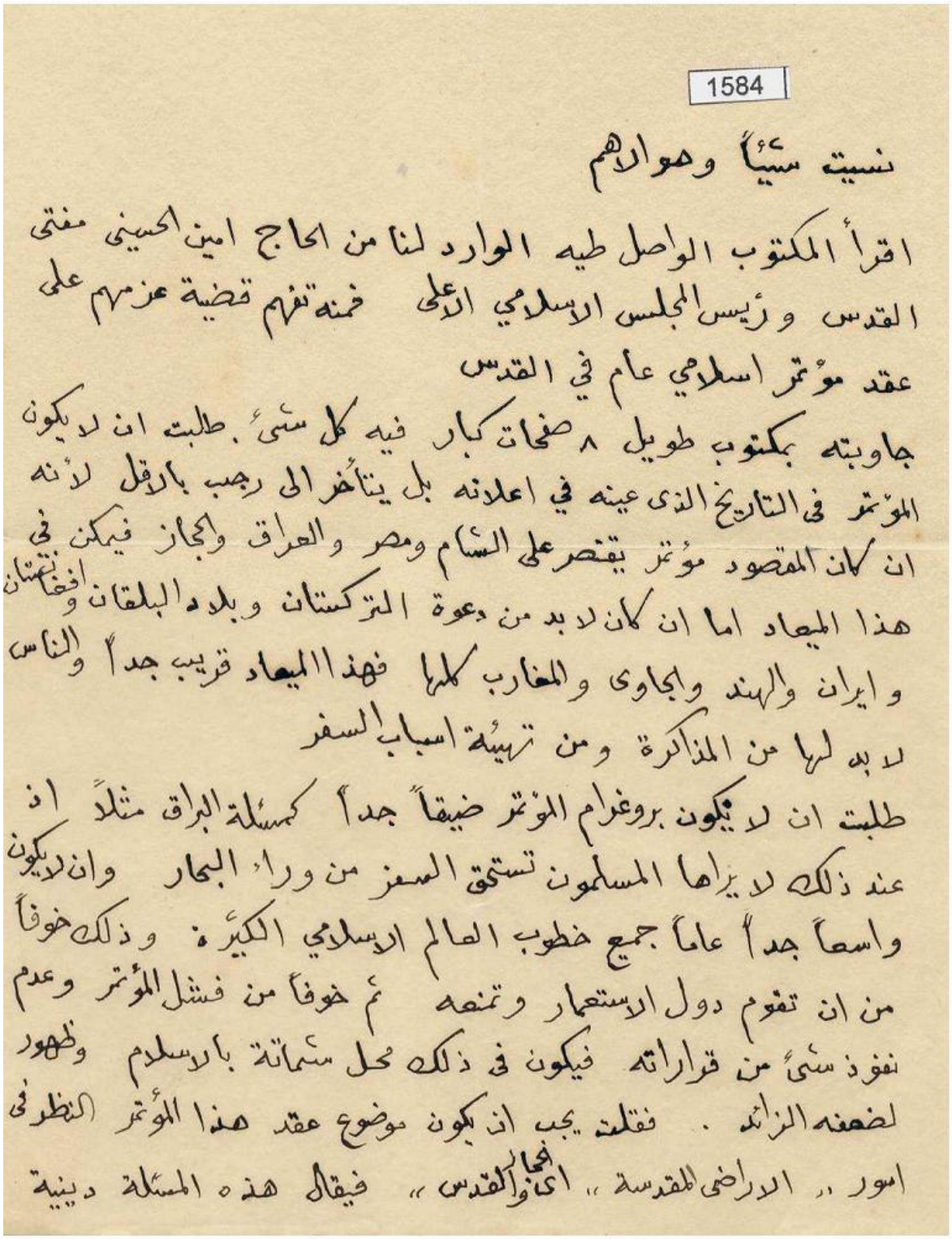

1584

نسيت شيئاً وهو الاهم

اقرأ المكتوب الواصل طيه الوارد لنا من الحاج امين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى فمنه تفهم قضية عزمهم على عقد مؤتمر اسلامي عام في القدس

جاوبته بمكتوب طويل ٨ صفحات كبار فيه كل شيء. طلبت ان لا يكون المؤتمر في التاريخ الذي عينه في اعلانه بل يتأخر الى رجب بالاقل لأنه ان كان المقصود مؤتمر يقتصر على الشام ومصر والعراق والحجاز فيمكن في هذا الميعاد اما ان كان لا بد من دعوة التركستان وبلاد البلقان وافغانستان وايران والهند والجاوى والمغارب كلها فهذا الميعاد قريب جداً والناس لا بد لها من المذاكرة ومن تهيئة اسباب السفر

طلبت ان لا يكون بروغرام المؤتمر ضيقاً جداً كمسئلة البراق مثلاً اذ عند ذلك لا يراها المسلمون تستحق السفر من وراء البحار وان لا يكون واسعاً جداً عاماً جميع خطوب العالم الاسلامي الكبيرة وذلك خوفاً من ان تقوم دول الاستعمار وتمنعه ثم خوفاً من فشل المؤتمر وعدم نفوذ شيء من قراراته فيكون في ذلك محل شماتة بالاسلام وظهور لضعفه الزائد . فقلت يجب ان يكون موضوع عقد هذا المؤتمر النظر في امور « الاراضي المقدسة » اي الحجاز والقدس » فيقال هذه المسئلة دينية

٢

ليست سياسية على ان امور الاراضي المقدسة تتناول صيانتها فتدخل
في ذلك قضية صيانة فلسطين للعرب وصيانة الحجاز وجميع جزيرة
العرب ووجوب تحالف ملوك العرب الخ وتدخل قضية اصلاح احوال الحجاز
العمرانية وتسهيل الحج وترفيه الحجاج برا وبحرا الخ
وفي أثناء عقد المؤتمر الذي يكون هذا برنامجه الظاهر تنعقد جلسات
سرية تحت الايمان المغلظة والطلاق لاجل المذاكرة في الامور الاسلامية
الاخرى واصدار قرارات بها كمسئلة البربر ومسئلة طرابلس الغرب وغيرهما
وقد عددت جميع المسائل المحاضرة وعددتها
اشرت بدعوة جميع بلاد الاسلام بدون استثناء وان ترسل الدعوة الى
الجمعيات واللجان والهيئات الدينية والوطنية وعددتها والى المشاهير
من الاشخاص وذكرت بعضهم على سبيل الاستشهاد مثل بنونه
قلت لهم ليؤخروا دعوة المغرب الى ان تكون تمت كل الدعوات وصدر
اذن الحكومة الانكليزية به وذلك لاني اخشى ان فرنسة اذا علمته
به تسعى لدى انكلترة بمنعه بتاتاً اما منع اهل المغرب والجزائر وتونس
من حضور المؤتمر فهذا سيكون وانما يمكن انابة اهل المغرب اناساً
من المغاربة الذين في الشام ومصر وهم كثيرون
على اني اشرت بارسال الدعوة على كل حال لكم وللداود ولمكوار ولعلال
الفاسي ولعبدالحي الكتاني ولعمر التازي وللشيخ شعيب وللوزير المنبهي
ولمولاي عبدالرحمن بن زيدان وللوزاني
وبعد ان تقرأوا المكتوب الذي من الحاج امين تعيدونه لي مع ملاحظاتكم

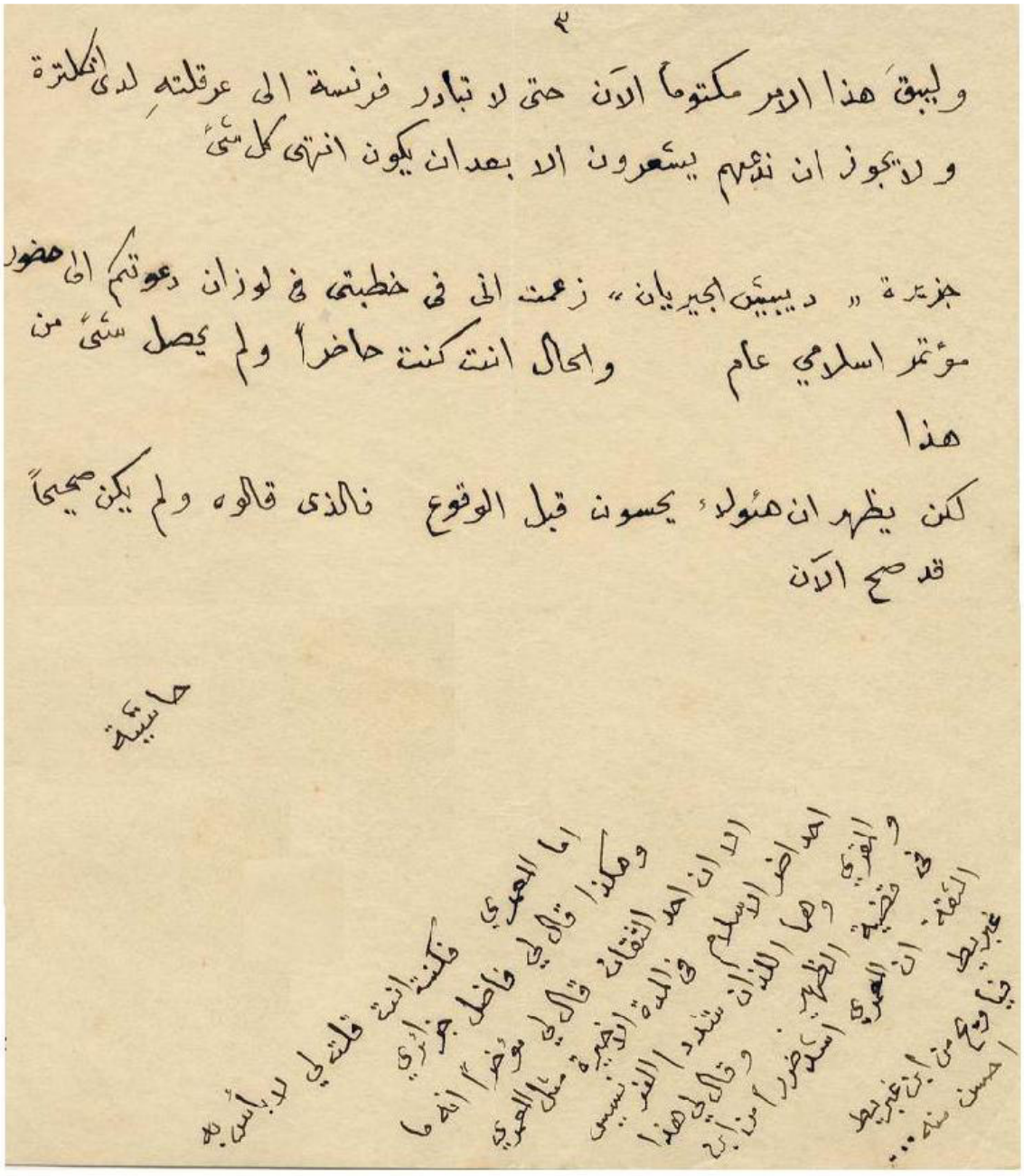

المصدر : الأرشيف الشخصي لأبو بكر بنونة من صفحته عبر الفايسبوك، الوثيقة تحت رقم : 1584

الرابط: https://www.facebook.com/aboubakrbennouna1928/photos

الملحق رقم (23) : صورتان لأمير البيان شكيب أرسلان لّما كان عمره 16 سنة، وأخرى وهو في ريعان شبابه، أهداها إلى السيد محمد داود وكان عمره 61 سنة، أي سنة 1930م، بعد توثيق العلاقة بينهما خلال وبعد زيارته إلى مدينة تطوان المغربية.

المصدر : موقع قناة الغد الإلكترونية ، الرابط :

https://www.alghad.tv/%D8%AA%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%A
F-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-
%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A-
%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86-
%D8%B4%D9%83%D9%8A%D8%A8-
/%D8%A3%D8%B1%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%86

تاريخ الزيارة 2023/01/22م، 20:57.

الملحق رقم (24): صورتان لأمير البيان شكيب أرسلان وصديقه الذي لازمه في منفاه عدداً من السنين إحسان الجابري ابن مدينة حلب السورية.

٢٧٤ إحسان بك الجابري — الامير شكيب ارسلان

إحسان بك الجابري

من أعلى رجالات العرب ثقافة وصراحة شأن الطبقة الراقية من الحلبيين لا سيما اسرة الجابري الكريمة وإحسان بك كان على عهد المغفور له الملك فيصل رئيس امنائه في دمشق

وفي سنة ١٩٢٠ م فارق وطنه إلى جنيف وبقي فيها مع الأمير شكيب يناضلان ويدافعان بما اوتيا من قوة ويصدران مجلة فرنسية اسمها « La Nation Arabe » (الوطن العربي)

فمرحبا بالإحسان

وقد فاتنا ذكر السيد محمد الشريقي (اللاذقية) وهو شاعر مشهور وأديب معروف ووطني متحمس على أن بعض المجاهدين العائدين لم نذكرهم وبعضهم لم تتصل بنا رسومهم فأهلا بهم جميعاً

الأمير شكيب ارسلان

شخصية فذة نادرة لا أظنك مهما أغرقت في البحث والتنقيب تجد في بلاد العرب نظيرها في كل ناحية من النواحي وقد تأخر هذا المجاهد الكريم عن رفاقه لأن مربيته وخادمته الخضراء دهسها القطار فتأخر لأجلها

وقد قدم على الباخرة اسبيريا فوصل بيروتا ضحى الخميس ٣ حزيران فكان له ولرفيقه استقبال منقطع النظير وتقدم الخطباء يشيدون بفضله ومهما أطروا فهم مقصرون والأمير الآن على الحساب الغربي أتم السابعة والستين من سنيه وحسابه هجري في كل شيء إلا في السن؟ وقد مضى على اغترابه في سويسرة واحد وعشرون عاماً فأهلا برجل العرب والمنافح عن العروبة والإسلام

المصدر: (...)، مجلة العرفان، "**الأمير شكيب أرسلان وإحسان بك الجابري**"، العدد4، 01 جوان 1937م، ص274. **الرابط** : https://archive.alsharekh.org/Articles/278/19937/450625

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

سورة " آل عمران"، الرقم: **03**، (الآية **26**)، برواية ورش عن نافع.

سورة " آل عمران"، الرقم: **03**، (الآية **186**)، برواية ورش عن نافع.

سورة " آل عمران"، الرقم: **03**، (**الآية 195**)، برواية ورش عن نافع.

سورة "التوبة"، الرقم: **9**، (الآية **07**)، برواية ورش عن نافع.

سورة "الروم" الرقم: **30**، (الآية **47**) على رواية حفص، والآية **46** على رواية ورش.

سورة "الحجرات" الرقم: **49**، (الآية **06**).برواية ورش عن نافع .

الوثائق الأرشيفية:

- جريدة إيكو دالجي أو صدى الجزائر Echo d'alger تاريخ الإصدار : **11** ديسمبر **1939**م،موقع الأرشيف الفرنسي الإلكتروني: GAllica، رابط المقال : https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k7585531n/f2.item.r=chakib%20arsalan.zoom تاريخ الزيارة : **2022/10/09**، **22:13**.
- الرسالة التي بشّر من خلالها الزعيم الحاج عبد السلام بنونة ولده الطيب بنونة بقرب زيارة أمير البيان شكيب أرسلان إلى مدينة تطوان، الأرشيف الشخصي لأبوبكر بنونة، الوثيقة رقم **1183**، الرسالة مؤرخة في **1930/08/09**م. الرابط : https://www.facebook.com/aboubakrbennouna1928/photos
- رسالة من الأمير شكيب أرسلان إلى الحاج عبد السلام بنونة، مؤرخة في **28** أوت **1931**م، يتحدث فيها عن موقف بعض الساسة المغاربة من إصدار الظهير البربري على غرار محمد المقرّي، الأرشيف الشخصي لأبي بكر بنونة من صفحته عبر الفايسبوك، الوثيقة تحت رقم : **1584** الرابط: https://www.facebook.com/aboubakrbennouna1928/photos

- رسالة من الأمير شكيب أرسلان إلى زعيم الوطنية في المغرب عبد السلام بنونة، وتتضمن موقف ابن قدور بن غبريط تجاه الظهير البربري **16** ماي **1930**م. الأرشيف الشخصي لأبو بكر بنونة، الوثيقة رقم **1331**.
- رسالة تخصّ الفتنة التي حصلت بين المالكية و الإباضية وقد خاض فيها أمير البيان في بعض رسائله، وقد تحدّث عنها توفيق المدني في كتابه حياة كفاح، فالرسالة الأولى تُمثل مكتوب بعث به الشيخ أبي يعلى الزواوي إلى توفيق المدني يطلب منه نشر مقال كتبه أبا يعلى ردّاً على صاحب جريدة "المغرب"، من الموقع الإلكتروني الخاص بالرمز المصلح أحمد توفيق المدني.
- مقال الشيخ أبي يعلى الزواوي قبل نشره، من الموقع الإلكتروني الخاص بالرمز المصلح أحمد توفيق المدني، رابط الرسالة والمقال:

http://www.elmadani.org/ar/%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%A3%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%88%D8%A7%D9%88%D9%8A/

- الرسالة الوحيدة التي وُجدت بين وثائق محمد علي الطاهر صاحب صحيفة الشورى، لأن هذا الأخير سلّم معظم المراسلات لابنة الأمير ميَ والدة الزعيم الدرزي حالياً وليد جنبلاط. موقع جريدة الشورى الإلكتروني، الرابط : https://eltaher.org/docs_photos/1924-Correspondence-from-Amin-Gorayeb-to-Emir-Shakib-doc44_ar.html تاريخ الزيارة 2022/11/14، 20:40.

المذكرات الشخصية:

1 - (.....)، **مذكرات خير الدين بربروس** ، ترجمة محمد درّاج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط**1**، **2010**م.

2 - أرسلان، شكيب، **سيرة ذاتية**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**1**، **2008**م.

3 - بحري، يونس، **مذكرات الرحالة يونس بحري**، في سجن أبو غريب مع رجال العهد الملكي في العراق بعد مجزرة قصر الرحاب عام **1958**م، إعداد وتقديم :خالد عبد المنعم العاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط**1**، **2005**م.

4 - توفيق المدني، أحمد، **حياة كفاح، مذكرات، في الجزائر 1925م-1954م**، ج**2**، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر، **2010**م.

5 - جمال باشا، أحمد، **مذكرات جمال باشا** ، إعداد محمد السعيدي، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط **1**، جانفي **2013**م.

6 - حسن الوزاني، محمد، **مذكرات حياة وجهاد** ، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية **2** حرب الريف، مؤسسة محمد حسن الوزاني، د م ن، د س ن.

7 - الحسيني، محمد أمين، **مذكرات الحاج محمّد أمين الحسيني** ، إعداد وتصنيف عبد الكريم عمر، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط**1**، **1999**م.

8 - خير الدين، محمد، **مذكرات الشيخ محمد خير الدين**، ج**1**، مطبعة دحلب، الجزائر، **1985**م.

9 - الشهبندر، عبد الرحمان، **مذكرات عبد الرحمان الشهبندر**، دار الإرشاد، بيروت، ط**1**، **1967**م.

10 - قنانش، محمد، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح** ، من مصالي الحاج إلى...، وزارة المجاهدين، دار القصبة للنشر، الجزائر.

11 - مصالي الحاج، أحمد، **مذكرات مصالي الحاج، 1898-1938م**، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة، محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، **2007**م.

الكتب باللغة العربية:

1 - أبكاريوس، اسكندر بن يعقوب، **نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان** ، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط**1**، **1987**م.

2 - ابن باديس، عبد الحميد، **آثار ابن باديس، مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية**، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر، الجزء **2**، المجلد **2**.

3 - ابن باديس، عبد الحميد، **نصوص مختارة** ، تصدير: عبد العزيز بوتفليقة، جمع وتعليق:محمد قرصو، منشورات ANEP، **2005**م.

4 - أبي حيدر، رباح، **"سببية الهجرة الإسلامية من جبل لبنان باتجاه ولاية الشام في القرن 19"**، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز

الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس، مارس **1988**م.

5 - أجرون، شارل روبير، **تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954م**، شركة دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط**2013**، المجلد**2**.

6 - أرسلان، شكيب، **النهضة العربية في العصر الحاضر**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**1**، **2008**م.

7 - أرسلان، شكيب، **الإرتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف** ، وهي الرحلة الحجازية لأمير البيان ونادرة الزمان، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر ، ط **1**، **1350** ه.

8 - أرسلان، شكيب، **الإسلام والحضارات**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**1**، فيفري **2011**م.

9 - أرسلان، شكيب، **التعصب الأوروبي أم الإسلامي، تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية 1281م–1913م**، علق عليه وهذبه محمد العبده، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1995م.

10 - أرسلان، شكيب، **الرسائل المتبادلة بين الأمير والشيخ عبد العزيز الثعالبي** ، الدار التقدمية، لبنان، د س ط.

11 - أرسلان، شكيب، **السجل الأرسلاني النسب**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، إشراف وتحرير سوسن النجار، ط**1**، **2009**م.

12 - أرسلان، شكيب، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة** ، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ط **1**، **1937**م.

13 - أرسلان، شكيب، **القول الفصل في رد العامي إلى الأصل**، تقديم : محمد خليل الباشا، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**2**، أوت **2008**م.

14 - أرسلان، شكيب، **النهضة العربية في العصر الحاضر**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**1**، **2008**م.

15 - أرسلان، شكيب، **باكورة**، نظم شكيب أرسلان عفي الله عنه، المطبعة الأدبية، بيروت، ط **1**، **1887**م.

16 - أرسلان، شكيب، **تاريخ ابن خلدون**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، **2012**م.

17 - أرسلان، شكيب، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط** ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د س ن.

18 - أرسلان، شكيب، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط** ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، **1933**م.

19 - أرسلان، شكيب، **تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون** ، د د ن، د ت ن، د ط، ملحق الجزء الأول.

20 - أرسلان، شكيب، **خلاصة رحلة المرحوم السيد أحمد الشريف السنوسي** ، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**1**، أفريل **2010**م.

21 - أرسلان، شكيب، **ديوان الأمير شكيب أرسلان** ، تصحيح رشيد رضا، تصدير خليل مطران، مطبعة المنار، مصر، ط**1**، **1935**م.

22 - أرسلان، شكيب، **رسائل علمية وأدبية**، الدار التقدمية، الشوف ،لبنان، ط**1**، مارس **2012**م.

23 - أرسلان، شكيب، **زمن العروبة الأبتر م قالات للأمير شكيب أرسلان في صحيفة الفتح** ، الدار التقدمية، لبنان، د د ن، د ط.

24 - أرسلان، شكيب، **شوقي أو صداقة أربعين سنة**، أضواء السلف، د د ن، د م ن ، د س ن.

25 - أرسلان، شكيب، **عروة الإتحاد بين أهل الجهاد** ، تقديم: رضوان السيّد، إشراف وتحرير:سوسن النجّار نصر، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**1**، **2009**م.

26 - أرسلان، شكيب، **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم** ، مراجعة الشيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

27 - أرسلان، شكيب، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم**، مراجعة الشيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط**2**، د س ن.

28 - أرسلان، شكيب، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، **2012**م.

29 - أرسلان، شكيب، **مدوّنة العالم العربي ووقائعه (1800–1950م) بحسب التسلسل الزمني** ، إشراف وتحرير : يوسف أيبش، توما توفيق عريضة، يوسف قزما خوري، الدار التقدمية، الشوف ، لبنان، ط**2**، **2011**م.

30 - أرسلان، شكيب، **مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر** ، تقديم نجيب البعيني، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**2**، مارس**2011**م.

31 - أرسلان، شكيب، **مقالات للمستقبل أبحاث، خطب، محاضرات، وذكريات شخصية** ، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**1**، **2010**م.

32 - أرسلان، شكيب، **ولاء حتى الفناء**، الدار التقدمية، الشوف، لبنان، ط**1**، **2011**م.

33 - آل جندي، أدهم، **الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي**، مطبعة الاتحاد، سوريا، **1960**م.

34 - الأهواني، أحمد فؤاد، **الحرب الإسبانية**، مطبعة دار النشر، مصر، سبتمبر **1938**م.

35 - آيت علجت، محمد الصالح، **صحف التصوف الجزائرية من 1338ه إلى 1373ه، 1920م إلى 1955م**، تعريف ودراسة ولتحليل لجملة من صحف الطرق الصوفية، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، **1422ه/2001**م.

36 - بازامه، محمد مصطفى، **العدوان أو الحرب بين تركيا وإيطاليا في ليبيا** ، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ط**1**، **1965**م.

37 - برج، محمد عبد الرحمان، **محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية 1906–1920م، أعلام العرب**، مكتبة الإسكندرية، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، **1990**م.

38 - برون، جفري، **تاريخ أوروبا الحديث**، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط **1**، **2006**م.

39 - البستاني، بطرس، **"في آداب العرب"، مجالي الغرر لكتاب القرن التاسع عشر** ، جمعه صفير يوسف المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، ط**2**، **1906**م.

40 - البعيني، نجيب، **من آثار أمير البيان شكيب أرسلان في الشعر والنثر** ، الدار الجاسمية، د م ط، **1996**م.

41 - بلخوجة، الطاهر، **الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، شهادة على عصر** ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط**1**، **1419**ه، **1999**م.

42 - بن الخوجة، محمد، **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط**1**، **1986**م.

43 - بن ثنيان العمران، عبد العزيز بن عبد الرحمان، **الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث** ، د د ن، د س ن.

44 - بن نبي، مالك، **مشكلات الحضارة، القضايا الكبرى**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط**1**، **1991**م.

45 - بنونة، الطيب، **نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة**، مطبعة دار أمل، طنجة، **1980**م.

46 - بوحوش، عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط**1**، **1997**م.

47 - بورقيبة، الحبيب، **رسائل بورقيبة إلى صديقه محمد علي الطاهر** ، د.دار نشر، بيروت، جوان **1966**م.

48 - بوعزيز، يحي، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، جويلية **1983**م.

49 - بوفردة، إدريس، **"الحركة الوطنية وتجليات النضال السياسي في المسار الفكري للزعيم علال الفاسي"**، كتاب جماعي، إشراف : عبد الحق عزوزي، علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة، مؤسسة علال الفاسي، المغرب، ط**1**، **2010**م.

50 - بولحية، نور الدين، **جمعية العلماء والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما** ، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط**2**، **2016**م.

51 - بيرم، كمال، **"تجليات البعد الثوري في خطاب رواد الحركة الإصلاحية الزاهري نموذجا"**، أعمال الملتقى الوطني:(البعد الثوري في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية **1919-1954**)، **01** مارس **2016**، جمع وتنسيق: مصطفى عبيد، جامعة محمد بوضياف المسيلة، منشورات مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس سلسلة البحوث والدراسات، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر.

52 - البيطار، عبد الرزاق، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، دار صادر بيروت، ج**3**.

53 - تامر، الحبيب، **هذه تونس**، مكتبة المغرب العربي، مطبعة الرسالة، د س ط، د م ط.

54 - تشرشل، تشارلز، **جبل لبنان عشر سنوات إقامة 1842-1852**، دراسة لديانة وعادات وتقاليد أهل الجبل، ترجمة فندي الشعار،المجلد الثاني، شركة المطبوعات الشرقية دار المروج، بيروت، **1985**م.

55 - التليسي، خليفة محمد، **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب** ، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط**3**، **1997**م.

56 - التميمي، عبد الجليل، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي تونس، الجزائر، ليبيا،من 1816 إلى 1871م**، الدار التونسية للنشر، ط**1**، مارس **1972**م.

57 - تواتي، الصديق، **المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة، مأساة هويّة منسيّة،** نتائج وأبعاد ثورة المقراني والحداد، شركة دار الأمة، الجزائر، ط**1**، **2007**م.

58 - جحيدر، عمار، **آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث**، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية، **1991**م.

59 - جدعان، فهمي، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث** ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط**3**، **1988**م.

60 - الجمل، شوقي عطا الله، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا– تونس– الجزائر– المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط**1**، **1977**م.

61 - جوليان، شارل أندري، **إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية** ، ترجمة (المنجي سليم، الطيب المهيري، الصادق المقدم، فتحي زهير، الحبيب الشياحي)، مراجعة فريد السوداني، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1976**م.

62 - جوليان، شارل أندري، **تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبدايات الاستعمار 1827–1871م**، تر المعهد العربي العالي **2008**م، شركة دار الأمة، الجزائر، **2013**م، المجلد**1**.

63 - الحسناوي، ظاهر محمد صكر، **شكيب أرسلان الدور السياسي الخفيّ**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط**1**، مارس **2001**م.

64 - حكيم، محمد ابن عزوز، **وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان إلى المغرب** ، أسبابها أهدافها نتائجها، مطابع الشويخ، تطوان المغرب، د س ط.

65 - الحكيم، ناصر، **جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان(دراسة تاريخية فكرية نقدية)** ، الدار التقدمية، لبنان، ط**1**، **2010**م.

66 - حماش، خليفة، **وثائق عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزء 1، مراسلات وكلاء الجزائر في الخارج**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، **2016**م.

67 - حنا، عبد الله، **حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (نموذج لحياة المدن في ظل الإقطاعية الشرقي)**، دار ابن خلدون، ط**1**، **1985**م.

68 - الخالدي، سهيل، **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في الشام** ، دار الأمة، الجزائر، ط**2**، **2016**م.

69 - الخراشي، سليمان بن صالح، **كيف سقطت الدولة العثمانية** ، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، ط**1**، **1420**ه.

70 - خليفة الشاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الاستقلال** ، تأليف نخبة من الأساتذة الجامعيين، إشراف خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، **2005**م، ج**3**.

71 - خليفة، عصام كمال، **"مسألة السلطة في حركة كسروان 1858-1860 من خلال أرشيف البطريركية المارونية"**، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس، مارس **1988**م.

72 - خليفة، عصام كمال، **أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر**، دار الجيل، بيروت، ط**1**، **1985**م.

73 - داهش، محمد علي، **صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار، محمد بن عبد الكريم الخطابي**، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، بغداد، **2002**م.

74 - الدهان، سامي، **الأمير شكيب أرسلان، حياته وآثاره**، دار المعارف، القاهرة، مصر، **1960**م.

75 - دي لونا، جوسيبي، **موسوليني**، تر عادل دمرداش، تق وتح لمعى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، **1997**م.

76 - ديرليك، أندري، **عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية** (**1307**ه-**1358**ه) (**1889**م-**1940**م)، تق وتر: مازن بن صلاح مطبقاني ، دار عالم الأفكار الجزائرية ، **2013**م، الجزائر، طبع من طرف وزارة الثقافة بمناسبة الذكرى **50** لاستقلال الجزائر.

77 - روسي، إيتوري، **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911**، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي، مكتبة الإسكندرية، توزيع الدار العربية للكتاب، ط**2**، **1991**م.

78 - روش، ليون، **اثنتان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز** ، ترجمة: محمد خير محمود البقاعي، دار جداول للنشر، الكويت، ط**1**، ديسمبر **2011**م.

79 - رياض، عمر، **مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود**، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، سلسلة دراسات وثائقية، العدد الرابع عشر، **2015**م،

80 - الزاهري، محمد السعيد، **الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير** ، دار الكتب، الجزائر، ط **2**، ماي **1933**م.

81 - الزاوي، الطاهر أحمد، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب** ، الناشرون دارف المحدودة، لندن، المملكة المتحدة، ط**3**، **1984**م.

82 - الزبيري، العربي، **تاريخ الجزائر المعاصر**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د م ن، **1999**م.

83 - الزمرلي، الصادق، **أعلام تونسيون**، تق وتع : حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط**1**، **1986**م.

84 - زوزو، عبد الحميد، **الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939م، نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2010**م.

85 - زوزو، عبد الحميد، **ثورة بوعمامة 1881م-1908م**، الجزء الأول، (جانبها العسكري/ **1881-1883**م)، موفم للنشر، الجزائر، **2010**م.

86 - ستودارد، لوثروب، **حاضر العالم الإسلامي** ، (وفيه فصول وتعليقات وحواشٍ مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير شكيب أرسلان)، تر عجاج نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، المجلد**1**، الجزء**1**، ط**4**، **1394**ه، **1983**م.

87 - ستودارد، لوثروب، **حاضر العالم الإسلامي** ، (وفيه فصول وتعليقات وحواشٍ مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير شكيب أرسلان)، تر عجاج نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، المجلد**1**، الجزء**2**، ط**4**، **1394**ه، **1983**م.

88 - ستودارد، لوثروب، **حاضر العالم الإسلامي** ، (وفيه فصول وتعليقات وحواشٍ مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير شكيب أرسلان)، تر عجاج نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، المجلد**2**، الجزء**3**، ط**4**، **1394**ه، **1983**م.

89 - ستودارد، لوثروب، **حاضر العالم الإسلامي** ، (وفيه فصول وتعليقات وحواشٍ مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها الحديث بقلم أمير البيان والمجاهد الكبير شكيب أرسلان)، تر عجاج نويهض، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، المجلد**2**، الجزء**4**، ط**4**، **1394**ه، **1983**م.

90 - سعد الله، أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار البصائر، الجزائر، ج**2**، **2007**م،.

91 - سعد الله، أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج **4**، ط**1**، **1996**م.

92 - سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900م**، ج**1**، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط**1**، **1992**م.

93 - سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930م**، ج**2**، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط**2**(منقحة)، **1992**م.

94 - سعد الله، أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945م**، ج**3**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ، ط**4**(منقحة)، **1992**م.

95 - سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي، 1830–1954م**، ج**4**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط**1**، **1998**م.

96 - سعيد (الأمير)، محمد، **تاريخ حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر ملك الأقطاع المغربية وسلطان الأرباض الجزائرية**، مطبعة الترقي، دمشق، **1918**م.

97 - سعيد، الصافي، **بورقيبة سيرة شبه محرّمة** ، رياض الرايس للكتب والنشر، لبنان، نوفمبر، ط **1**، **2000**م.

98 - الشرباصي، أحمد، **أمير البيان شكيب أرسلان** ، ج**1**، مطابع دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي المنياوي، مصر، ط**1**، **1382**ه-**1963**م.

99 - الشرباصي، أحمد، **شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د س ط.

100 - الشرباصي، أحمد، **شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية**، مطابع الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، فيفري **1963**م.

101 - شريف، محمد الهادي، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ، تع محمد الشاوش، محمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، ط**3**، **1993**م.

102 - شعيب، علي عبد المنعم، **الصراع الإيطالي الفرنسي على بلاد الشام (1860-1941م)**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط**1**، **2002**م.

103 - الشنيطي، محمد، **قضية ليبيا**، ملتزمة النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، **1951**م.

104 - ضاهر، مسعود، **"الحركة السكانية في المشرق العربي في أواخر العهد العثماني، نموذج الهجرة إلى بيروت في القرن التاسع عشر"** ، الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس، مارس **1988**م.

105 - الطاهر، محمد علي، **ذكرى الأمير شكيب أرسلان (المراثي، وحفلات التأبين، وأقوال الجرائد)**، صنّفها ووقف على طبعها محمد علي الطاهر، القاهرة، **1947**م.

106 - طلس، محمد أسعد، **محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي** ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، **2013**م.

107 - عباس، محمد، **الحاج مصالي .. الوطني الثّائر بين غاندي .. وهوشي مينه** ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، **2011**م.

108 - عبد الغني، عبد الرحمان، **ألمانيا النّازية وفلسطين 1933-1945م**، مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ط**1**، أفريل **1995**م.

109 - عبد الله، الطاهر، **الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، 1830-1956**، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس، ط**2**.

110 - العسلي، بسام، **خير الدين بربروس (والجهاد في البحر) 1470-1547م**، دار النفائس، بيروت، ط**1**، **1980**م.

111 - عميش، إبراهيم فتحي، **التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا** ، برنيق للطباعة والترجمة والنشر، ط**1**، **2008**م.

112 - غانياج، جان، **التبذير، المديونية، والسيطرة الأجنبية، قروض القرن 19 الخارجية، أصول الحماية الفرنسية على تونس (1861-1881م)**، ترجمة عادل بن يوسف، محمد محسن البواب، برق للنشر والتوزيع، د س ط.

113 - غانياج، جان، **ثورة علي بن غذاهم 1864، الباب الخامس من كتاب أصول الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية** ، ترجمة لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية، الدار التونسية للنشر، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، **1965**م.

114 - غلاب، عبد الكريم، **ملامح من شخصية علال الفاسي**، مطبعة الرسالة، د س ط، د ت ط.

115 - الفاسي، علال، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** ، مؤسسة علال الفاسي، المغرب، ط **6، 2003**م.

116 - فشيكة، محمد مسعود، **رمضان السويحلي، البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان** ، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ط**1**، **1974**م.

117 - فضلاء، محمد الطاهر، **الطيب العقبي، رائداً لحركة الإصلاح الديني في الجزائر**، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، **2007**م.

118 - قداش، محفوظ وقنانش، محمد، **نجم شمال إفريقيا 1926-1937م، وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري**، تر أوذاينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، فيفري **2013**م.

119 - قداش، محفوظ، **تاريخ الحركة الوطنية 1919-1939**، ج**1**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، **2017**م.

120 - قداش، محفوظ، **جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830-1954م**، تر محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، **2008**م.

121 - القصاب، أحمد، **تاريخ تونس المعاصر، (1881-1956)**، تعريب حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط**1**، **1986**م.

122 - قناوي، أرويعي محمد علي، **سليمان باشا الباروني ونشاطه السياسي في المهجر 1924-1940م**، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا.

123 - الكروي، محمود صالح، **"علال الفاسي الوطني العربي الكبير"**، كتاب جماعي، إشراف : عبد الحق عزوزي، **علال الفاسي نهر من العلم الجاري والوطنية الخالدة**، مؤسسة علال الفاسي، المغرب، ط **1**، **2010**م.

124 - كليفلاند، وليام، **الإسلام ضد الغرب، شكيب أرسلان والدعوة إلى القومية الإسلامية** ، تر محمد هيثم نشواتي، منتدى العلاقات العربية والدولية، الإيداع لدى دار الكتب القطرية، الدوحة، قطر، ط **1**، **2017**م.

125 - كورو، فرانشسكو، **ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني**، تع وتق خليفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط**2**، **1984**م.

126 - المحجوبي، علي، **انتصاب الحماية الفرنسية في تونس** ، تعريب (عمر بن ضو، حليمة قرقوري، علي المحجوبي)، سراس للنشر، تونس، الثلاثي الثاني، **1986**م،

127 - المدني، أحمد توفيق، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492–1792م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، د ت ط.

128 - مريوش، أحمد، **محاضرات في تاريخ الجزائر 1900–1954م**، ج**2**مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، د ت ن.

129 - مكاريوس، شاهين، **حسر اللثام عن نكبات الشام**، وفيه مجمل أخبار الحرب الأهلية المعروفة بحوادث سنة **1860** مع تمهيد في وصف البلاد الجغرافي والسياسي، د دار نشر، مصر، ط**1**، **1895**م.

130 - مكتب الدراسات، **ديوان محمد العيد آل خليفة**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، **2010**م.

131 - مناصرية، يوسف، **الحركة الوطنية التونسية 1934م–1937م**، سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة(**13**)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة تونس، **2002**م.

132 - المولى، سعود، **الأمير شكيب أرسلان، بنو معروف أهل العروبة والإسلام** ، المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، دار العودة، بيروت، ط**1**، **1990**م.

133 - ناصر، محمد بن صالح، **الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954م**، الناشر آلفا ديزاين، الجزائر، ط**2**، أكتوبر **2006**م.

134 - نور الدين ثنيو، " **الشبان الجزائريون، الجيل المؤسس للوعي السياسي الحديث في الجزائر**" ، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الملتقى الدولي الموسوم ب:(الاجيال الملتزمة والحركات الوطنية

في القرن العشرين في البلدان المغاربية **25-26-27** أفريل **2009**م) Générations engagées & mouvements nationaux Le XX^éme^ siècle au Magreb, Coordonné par Ouanassa SIARI-TENGOUR et Aissa KADRI, Edition CRASC.

135 - هيئة تحرير ليبيا، **الفظائع السود الحمر، من صفحات الاستعمار الإيطالي في ليبيا أو التمدين بالحديد والنّار**، مطبعة الكرنك، مصر، ط**2**، **1948**م.

136 - اليوزباشي، محمد إبراهيم لطفي المصري، **تاريخ حرب طرابلس**، مطبعة الأمير فاروق، مصر، ط **1**، **1947**م.

المجلات واليوميات والحوليات:

1 - (.....)، **"المباحثة والمناظرة بين محبي الحقيقة المتعاونين على الوصول إليها، ردّ الأمير شكيب أرسلان على مزاعم واتهامات سليمان باشا الباروني"**، مجلة الشهاب، الجزء1، المجلد14، مارس 1938م.

2 - (.....)، **"الفروق بين مرتفعي ومنخفضي الوصولية (الميكيافيلية) في ضوء بعض اضطرابات الشخصية والمتغيرات الديماغوجية"**، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد **168**، الجزء**4**، أفريل**2016**م، ص**365**. رابط المقال : https://jsrep.journals.ekb.eg/article_32080_b7e24c4a2302a39d94797a7cd88aa225.pdf.

3 - (.....)، **"جمعية الشبيبة الإسلامية بالعاصمة واحتفالها السنوي"** ، مجلة الشهاب، ، الجزء3، المجلد7، مارس 1931م.

4 - (.....)، **"الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب"** ، مجلة الشهاب، أفريل **1937**م، الجزء**2** ، المجلد**13**.

5 - (.....)،**"بشأن الريف، جواب من أحد أعضاء جمعية الأمم، إلى الأمير الأرسلاني"** ، مجلة الشورى، العدد**38**، **16** جويلية **1925**م.

6 - (.....)،**"الأمير شكيب أرسلان وإحسان بك الجابري"**، مجلة العرفان ، العدد **4**، **01** جوان **1937**م. الرابط : https://archive.alsharekh.org/Articles/278/19937/450625.

7 - ابن الخوجة، محمد، **"هل كان لتونس نواب سياسيون يمثلونها في الخراج قبل عصر الحماية"** ، المجلة الزيتونية، المجلد الأول، الجزء**7**.

8 - ابن باديس، عبد الحميد، **"المتجنسون المساكين(الصوت الأهلي)"** ، مجلة الشهاب ، عدد أكتوبر **1930**، الجزء**8**، المجلد**6**.

9 - ابن باديس، عبد الحميد، **"ثمار العقول والمطابع: الأمة العربية LA NATION ARABE "**، مجلة الشهاب، عدد ماي 1930م،

10 - ابن باديس، عبد الحميد، **"حول مقال نشرته جريدة الطان بعنوان (قبل اجتماع اللجنة العليا للبحر المتوسط) وإذاعته عنها جرائد الشمال الإفريقي اليومية الفرنسي"** ، مجلة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة العربية، الجزائر، 28ى فيفري 1936م، العدد 09.

11 - ابن باديس، عبد الحميد، **"درة أخرى من درر أمير البيان"** ، مجلة الشهاب، سبتمبر **1930**، الجزء**8**، المجلد**6**.

12 - ابن باديس، عبد الحميد، " **درّة غالية من درر أمير البيان ونصير الإسلام شكيب أرسلان"** ، مجلة الشهاب، سبتمبر 1930، الجزء8، المجلد6.

13 - ابن باديس، عبد الحميد، **"لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم"** ، مجلة الشهاب ، مارس **1931**م، الجزء**3**، المجلد**7**.

14 - ابن باديس، عبد الحميد، **"مركز المرأة في نظر أمير البيان"** ، مجلة الشهاب، سبتمبر **1930**، الجزء**5**، المجلد**6**.

15 - ابن باديس، عبد الحميد، **"مسألة عظيمة بين رجلين عظيمين"**، مجلة الشهاب، ديسمبر **1937**م، الجزء**10**، المجلد**13**.

16 - ابن جلول، محمد الصالح، **"برقية الدكتور ابن جلول لجريدة الطان، قسنطينة في 21 فيفري 1936م"**، مجلة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة العربية، الجزائر **28** فيفري **1936**م، العدد **09**.

17 - أبو العز، محمد، **"الأمير شكيب أرسلان"** ، مجلة الأديب، العدد **1**، تاريخ الإصدار : **01** جانفي **1947**م.

18 - أبو شقراء، نايل، "**البنى السكانية في جبل لبنان 1250–1850**"، مجلة عمران، العدد **3**، شتاء **2013**م.

19 - أرسلان، شكيب "**التشيع**"، مجلة المقتطف، العدد**1**، **01** جانفي **1911**م.

20 - أرسلان، شكيب(عربي متألم)، "**عبد الكريمكم أيّها العرب ! (لكاتب عربي كبير ينمّ عليه قلمه)**"، جريدة الشورى، العدد**37**، **02** جويلية **1925**م، ص**1**. من الموقع الإلكتروني للجريدة، الرابط : https://eltaher.org/publications/newspapers/pdfs/ashoura/Ashoura_1925-07-02.pdf تاريخ الزيارة : **2022/11/12**، **17:15**.

21 - أرسلان، شكيب، "**نهضة العرب العلمية في القرن الأخير**" ، مجلة المجمع العلمي العربي ، العدد **11** و**12**، **1**نوفمبر **1937**م.

22 - أرسلان، شكيب، " **موقف البلاشفة من الإسلام والمسلمين**"، مجلة الأمّة، السنة الأولى، العدد **05**، **16** أكتوبر **1934**م.

23 - أرسلان، شكيب، "**استطلاع واستفتاء ودلو جملة من الدلاء**"، مجلة المجمع العلمي العربي ، العدد**06**، **01** جوان **1924**م.

24 - أرسلان، شكيب، "**التاريخ لا يكون بالافتراض ولا بالتحكم**" ، مجلة الزهراء، العدد **8**، **01** أوت **1925**م.

25 - أرسلان، شكيب، "**الحلف العربي ! أتشمرون قبل الوصول إلى النهر**" ، مجلة الشورى، العدد**315**، **11**مارس **1931**م، ص **1**. من موقع مجلة الشورى الإلكتروني، رابط المقال : https://eltaher.org/publications/newspapers/pdfs/ashoura/Ashoura_1931-03-11.pdf تاريخ الزيارة : **2022/11/19**م، **16:43**.

26 - أرسلان، شكيب، "**الرحالة جورج شو ينفورت**" ، مجلة المقتطف، العدد **01**، تاريخ الإصدار **01** جانفي **1926**م.

27 - أرسلان، شكيب، "**العسكري المغربي يفيد فرنسا قاتلاً مقتولاً، لسعادة الكاتب العربي الكبير صاحب التوقيع**"، مجلة الشورى، العدد **39**، **23** جويلية **1925**م.

28 - أرسلان، شكيب، "**إمارة مكة المكرمة**"، مجلة المقتبس، العدد**7**، **01** جويلية **1913**م.

29 - أرسلان، شكيب، **"رسالة إلى كاتب الشرق الأكبر من طنجة وجواب الأمير عليها"** ، مجلة الفتح، العدد**266**، السنة السادسة.

30 - أرسلان، شكيب، **"علاقة التاريخ باللهجات العربية"** ، مجلة المقتطف ، العدد **3**، تاريخ الإصدار: **1**مارس **1932**م. رابط المقال: https://archive.alsharekh.org/Articles/**107/9575/191942**

31 - أرسلان، شكيب ، **"قصيدة شكيب أرسلان"** ، مجلة الهلال ، العدد **6**، صدر بتاريخ **1** مارس **1912**م. رابط المقال: https://archive.alsharekh.org/Articles/**134/13047/255049** (**2020/11/04**)

32 - أرسلان، شركيب، **"كتاب الجزائر"**، مجلّة الفتح، دار المطبعة السلفية، القاهرة، العدد **289**، السنة**6**، ذو القعدة **1350**هـ.

33 - أرسلان، شكيب، **"كيف يتمسكون بدينهم ويفتخرون به"**، مجلة الفتح ، السنة السادسة، العدد **274**.

34 - أرسلان، شكيب، **"ما يُقال عن الإسلام في أروبة (ووجوب اطلاع المسلمين عليه)"**، مجلة المنار، العدد01، 07جوان 1929م. رابط المقال : https://archive.alsharekh.org/Articles/**33/3495/95547** تاريخ الزيارة :2022/09/19م، 16:53.

35 - أرسلان، شكيب، **"نص خطبة الأمير شكيب أرسلان"** ، مجلة الشهاب، المجلد**13**، الجزء**11**، جانفي **1938**م.

36 - أرسلان، شكيب، **"نكتة من نكات العدل الفرنسي في تونس"**، مجلة الشورى، العدد**12**، **7** جانفي، **1925**م، ، من موقع مجلة الشورى الإلكتروني، رابط المقال : https://eltaher.org/publications/newspapers/pdfs/ashoura/Ashoura_**1925-01-07**.pdf، تاريخ الزيارة : **2023/01/12**م، **16:07**.

37 - أرسلان، شكيب، **المتوالة أو الشيعة في جبل عامل**، مجلة المقتطف، العدد **2**، **01** أوت **1910**م.

38 - آيت حبوش، حميد، **"قانون التجنيد الإجباري 1912م، دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه"**، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد**9**، العدد**2**، سبتمبر **2008**م. رابط المقال على المنصة الإلكترونية: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**281/9/2/64398**.

39 - باهي، فاتح، **"مؤتمر القدس الإسلامي 1931م"**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد **06**، العدد **01**، ماي **2022**م. رابط المقال في المنصة الوطنية للمجلات العلمية : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**482/6/1/187062** تاريخ الزيارة : **2022/10/23**م، **18:26**.

40 - بروفنصال، ليفي، **"الأمير شكيب أرسلان (1869-1846م)"**، حوليات جامعة الجزائر، تر علي تابليت، معهد الترجمة، جامعة الجزائر، **1997**م.

41 - البستاني، أغوسطين، **"البطريرك بولس مسعد 1806- 1890م"**، مجلة المشرق ، العدد **10**، **1**أكتوبر **1930**م.

42 - بلحميسي، مولاي، "غارة شاركان على مدينة الجزائر، **1541**م-**948**ه بين المصادر الإسلامية والمصادر الأجنبية"، مجلة الأصالة، العدد**08**، الجزائر، **1972**م،.

43 - بلعلام، محمد الصغير، **"الأستاذ أحمد توفيق المدني الصحفي المؤرخ"** ، مجلة الدراسات الإسلامية ، المجلد**6**، العدد **14**، ديسمبر **2008**م. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**169249** تاريخ الزيارة: **2022/08/22**م.

44 - بن جبور محمد، **"البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني"** ، مجلة عصور ، الأعداد: **12**-**15-14/13**، **2008**- **2009**، رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**167/7/2/94002**

45 - بن حمودة، مراد ومحمد بوشنافي، **"المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية 1866-1933م"**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد**03**، العدد**06**، ديسمبر **2017**م.

46 - بن صحراوي، كمال، **"الشريف بومعزة ثائر الظهرة والونشريس من خلال كتابات الفرنسيين"** ، الأيام الدراسية حول تاريخ وتراث منطقة الونشريس، مجلة أبحاث، العدد الثاني، ماي **2013**م.

47 - بن محمود، محمد المختار، **"حكم الله في التجنيس"**، المجلة الزيتونية، مجلة علمية أدبية أخلاقية، جامع الزيتونة، تونس، المجلد **1**، الجزء**10** ، جوان **1937**م.

48 - بوعزوز، العربي، **"مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة سنة 1849م، على ضوء الكتابات الأجنبية"**، مجلة عصور الجديدة، المجلد8، العدد1، ماي 2018/2017م.

49 - بومديني، محمد، **"محمد السعيد الزاهري ودوره الإصلاحي 1900-1956م"**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، المجلد الخامس، العدد **10**، جوان **2017**م. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**197/5/10/66686** تاريخ الزيارة :**23:51 2022/09/17**.

50 - توفيق المدني، أحمد، **"شكيب أرسلان بطل الجهاد في كلّ الميادين "**، مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة الجزائرية، السنة الثالثة عشر، العدد**76**، جويلية-أوت **1983**م.

51 - جاسم الرويعي، حيدر، **"تطور مفهوم الشرق في الفكر الأوروبي من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين"**، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد **10**، العددان **3-4**، سنة **2011**م.

52 - جدعان الغانمي، فرقان فيصل ومصطفى حيدر محسن الذبحاوي، " **دور المستشرق ماكس فون أوبناهايم في الدعاية الألمانية للحرب المقدسة 1915-1918م"**، مجلة دراسات استشراقية ، **2017**م /**1439**ه، العدد **12**.

53 - الجميل، أنطوان، **"السنوسيون"**، مجلة الزهور، نوفمبر **1911**م، السنة الثانية، ج**7**.

54 - جيلالي، حورية، **"التداعيات الاجتماعية لقانون التجنيد الإجباري لسنة 1912م على الأسرة الجزائرية"**، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية، جامعة عين تيموشنت، المجلد**5**، جوان**2021**م.

55 - حاج أمحمد، يحي ويوسف باعمارة، **"جريدة البستان للشيخ إبراهيم أبي اليقظان"** ، مجلة الأثر ، العدد**31**، جوان **2019**م. رابط المقال: https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/**123456789/20969/1/T3116**.pdf تاريخ الزيارة : **22:46** ،**2022/09/18**م.

56 - حمري، عيسى، **"علاقة الأمير شكيب أرسلان بالوطنيين المراكشيين"** ، مجلة الحوار المتوسطي ، العدد13-14، ديسمبر 2016م.

57 - حمودة، ياسين، **"إصلاحات سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر فبراير 1919م"**، مجلة القرطاس، العدد الرابع، جانفي **2017**م.

58 - حورية، طبعة، **"سياسة المارشال بيجو في مستعمرة الجزائر (1836-1848م)"**، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد السادس، العدد **1**، **2021**م. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**150108** .

59 - الخطيب، محب الدين، **"أمير الجهاد يتبرع لمكتب الاستعلامات الإسلامي"**، مجلة الفتح، العدد**148**، **16** ماي **1929**م، السنة الثالثة.

60 - دحو، فغرور، **"جول فيري: مهندس الإمبراطورية الفرنسية"**، مجلة عصور الجديدة، المجلد**1**، العدد**1**، **2011**م. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**178/1/1/54462**.

61 - دربال، سلامة، قريري، سليمان، **الجزائر المحتلة في اهتمامات شكيب أرسلان وعلاقته برواد الحركة الوطنية " مصالي الحاج نموذجاً"** ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة باتنة **1**، المجلد (**21**)، العدد(**02**)، ديسمبر، **2020**م.

62 - دويدة، فتيحة، **"قضايا الجزائر من خلال جريدة "الإقدام"(1919-1923م)"**، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد **16**، العدد **40**، مارس **2017**م. رابط المقال الإلكتروني : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**49/16/1/38571**.

63 - دويدة، نفيسة، **"موقف عمر راسم من الحركة الصهيونية (1908- 1916م)"**، مجلة الباحث، العدد**02**، المجلد **06**، **2014/12/31**م. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**23365** تاريخ الزيارة: **2022/09/20**م،

64 - رجب قدارة، فاتح، **"الدولة العثمانية في آثار الشيخ الطاهر الزاوي"**، المجلة الجامعة، العدد السادس عشر،المجلد الرابع، نوفمبر، **2014**م.

65 - رحاي، محمد، **"من أعلام الحركة التحررية في المغرب العربي: علال الفاسي أنموذجاً"** ، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد**37**، العدد**432**، فيفري **2015**م.

66 - الرزقي، خيري، **"جريدة الأمة للشيخ أبي اليقظان وموقفها من القضايا الوطنية الجزائرية 1934-1938م"**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر، المجلد**10**، العدد **1**، **2017**م. رابط المقال:

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**24517** تاريخ الزيارة: **2022/09/11**، **22:03**.

67 - الرزقي، خيري، "**من منابر الإصلاح والسياسة في المستعمرة الجزائرية جريدة وادي ميزاب للشيخ أب اليقظان 1926/1929م**"، مجلة مدارات تاريخية، المجلد01، العدد02، جوان 2019م.

68 - الرزقي،خيري، "**الشيخ إبراهيم أبو اليقظان ومواجهة السياسة الفرنسية في الجزائر، (1926-1938م)**، مجلة المجلة التاريخية الجزائرية، العدد**04**، سبتمبر **2017م**.

69 - رياض، عمر، "**علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر (1898م-1935م)**"، مجلة المواقف ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، العدد**07**، ديسمبر **2012**م.

70 - رياض، عمر، "**مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنّا:علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر (1898م-1935م)**"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات ، العدد **7**، **1** ديسمبر **2012**م. رابط المقال:https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**6256** تاريخ الزيارة:**2022/06/20**

71 - الريس، المصطفى، "**صحافة الطرق الصوفية جريدة "البلاغ الجزائري" نموذجاً**"، مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الإنسانية ، العدد **12**، أفريل **2017**م. الرابط: https://www.manaraa.com/Book/**34632**/.

72 - زينون، ياسين، "**الحرب الفرنسية الألمانية 1870-1871م من منظور جول ميشليه (jules michelet)**"، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشر، العدد **48**، جوان **2020**م. رابط المقال : https://kan.journals.ekb.eg/article_**168428**_**2**bddc**0**ea**1350**d**22778**fec**32**cb**22**b**6922**.pdf.

73 - شترة، خير الدين، "**النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-1956م**"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، المجلد السابع، العدد **1**، ديسمبر **2012**م. الرابط: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**142/7/1/6260**، تاريخ الزيارة : **2022/03/12**م، **16:35**.

74 - صافر، فتيحة وصفصاف هواري، "**الدكتور محمد الصالح ابن جلول ونضاله السياسي داخل النخبة الإندماجية ما بين 1930م و 1956م**"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، جامعة

سيدسي بلعباس، المجلد **13**، العدد **02**، ديسمبر **2021**م. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**334/13/2/172663**.

75 - صافر، فتيحة، **"ظهور حركة الشبان الجزائريين"**، مجلة عصور الجديدة ، المجلد **8**، العدد **1**، ماي **2018**م.

76 - صفوان، مهدي والصادق دهاش، **"عمار عيماش ودوره الإعلامي في الحركة الوطنية الجزائرية"** ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد**4**، العدد**02**، سبتمبر **2021**م.

77 - عارف الزين، أحمد، **"الأمير شكيب أرسلان 1870-1846"**، مجلة العرفان، ج **2**، المجلد **33**، عدد صفر **1366**ه، ديسمبر **1946**.

78 - العربي، إسماعيل، **"السياسة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي سنة 1930م"**، إشراف معمر العايب، مجلة القرطاس ، العدد الثامن، جانفي **2018**م، ص **68**. الرابط : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**558/4/8/100428** تاريخ الزيارة **2022/03/06 / 21:00**.

79 - عصفور سلمان، محمد، **"الحماية الفرنسية على تونس عام 1881، والموقف العثماني والأوروبي منها"**، مجلة ديالى، العدد **56**، **2012**م.

80 - العقبي، الطيب، **"حول الضجى الكبرى التي أثارها مقال الطان أيضا..."**، مجلة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة العربية، الجزائر، **17** أفريل **1936**م، العدد **15**.

81 - عقيب، محمد السعيد، " **المؤتمر الأفخارستي بقرطاج ماي 1930م وتطور العمل الوطني بتونس"** ، مجلة البحوث والدراسات، العدد 22، السنة 13، صيف 2016م

82 - العلاوي، أحمد، **"تعليق الأستاذ على مقال شكيب أرسلان" ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية"** ، جريدة البلاغ الجزائري ، العدد **195**، **1931/01/09**م. رابط المقال : https://alawi**1934**-ar.blogspot.com/**2018/11**/blog-post_**83**.html تاريخ الزيارة : **2022/09/21**م، **22:19**.

83 - عواريب، لخضر، **"جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا وعلاقتها بالتيار الاستقلالي في الجزائر 1927-1955م"**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد **8**، العدد **24**، جوان **2016**م. رابط المقال :

https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**119/8/24/39556** تاريخ الزيارة **2021/08/08**، **17:50**.

84 - فايد، البشير، **"موقف السلطات الإستعمارية الفرنسية من الأمير شكيب أرسلان والشيخ البشير الإبراهيمي"**، مجلة الآداب والعلوم الإجتماعية، العدد**15**، المجلد**09**، **2012/07/01**م، رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**12222** أو انظر موقع عبد الحميد ابن باديس الإلكتروني، تاريخ النشر: **2012/11/01**م، رابط المقال: https://binbadis.net/archives/**630** تاريخ الزيارة: **2021/04/25**م. **22:15**.

85 - فروك، فاتح، " **صدى الظهير البربري: 16 ماي 1930م بالمغرب الأقصى على مصر وبعض البلدان العربية من خلال جريدة الفتح"** ، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد **06** جانفي **2018**م، ص**372**. من المنصة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP) رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**229/14/1/72183** تاريخ الزيارة : **2023/01/02**م، **20:26**.

86 - فكاير، عبد القادر، **"دور الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571"**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، العدد **09**، ديسمبر **2014م**. من الموقع الإلكتروني : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**142/6/1/6449** تاريخ الزيارة : **2022/05/09 22:06**.

87 - قاصري، محمد السعيد، **"الأمير عبد المالك الجزائري وثورته بالمغرب الأقصى 1914– 1924م"**، مجلة عصور ، المجلد **13**، العدد **2**، جويلية– ديسمبر **2014**م. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**167/13/2/96549**، تاريخ الزيارة: **2022/06/20**، **20:15**.

88 - قاصري، محمد السعيد، **"علي الحمامي الجزائري ونضاله التحرري في العالم العربي والإسلامي(1902–1949م)"**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، العدد **01**، المجلد**01**. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**503/1/1/99032** تاريخ الزيارة: **2022/09/20**.

89 - قرين، مولود، "**الحركة الخالدية بين الدعوة إلى الإصلاح والبعد الاستقلالي (دراسة تحليلية نقدية في أدبيات الأمير خالد**"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد**13**، العدد**1**، **2022**م.

90 - قنانش، محمد، " **الشيخ عبد الحليم بن سماية في كتابات عبد الرحمان الجيلالي**" ، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد **05**، العدد **02**، ديسمبر **2014**م. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**281/5/2/11404**.

91 - لباز، الطيب، "**الزيارة التاريخية للأمير شكيب أرسلان إلى شمال المغرب أوت 1930م الحدث..ونتائجه**"، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد**08**، ديسمبر **2013**م.

92 - لونيسي، إبراهيم، "**تجدد فكرة العمل المسلح في الجزائر إبان الحرب العالمية الثانية 1939–1945م**"، مجلة مصادر تاريخ الجزائر المعاصر، المجلد **2**، العدد **2**، **2000**م. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**147514** تاريخ الزيارة: **2022/08/11**م.

93 - محمد أبو العز، أمين، "**الأمير شكيب أرسلان**" ، مجلة الأديب، العدد**2**، تاريخ الإصدار: **1** فيفري **1947**م. الرابط: https://archive.alsharekh.org/Articles/**144/15890/355481**.

94 - محمد، بومديني، " **الدعاية الألمانية في الجزائر وتأثيرها على فكرة العمل المسلح إبان الحرب العالمية الثانية 1939–1945م**"، مجلة دراسات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة **2**، المجلد**9**، العدد **8**، **2018**م. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**60/9/8/55747**، تاريخ الزيارة : **2022/08/11**م.

95 - مدور، خميسة، "**مشروع بلوم–فيولييت: إصلاحات ضائعة بيت تماطل حكومة الجبهة الشعبية وسلطة اللوبي الجزائري (1936م– 1938م)**" مجلة المعارف للبحوث والدراسات، مجلة دورية دولية محكمة، المجلد **2**، العدد **7**. رابط المقال : https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/**111/2/4/34699**.

96 - مكّي، محمد، "**علاقة الأمير شكيب أرسلان بالمنطقة الخليفيّة في شمال المغرب الأقصى**" ، مجلة مدارات تاريخيّة، المجلد الثالث، العدد 02، جوان 2021م.

97 - موساوي، مجدوب، "**الزوايا والطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية عند لويس رين**"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد**3**، العدد**1**، جانفي**2020**م.

98 - ميلاد الأمين إبراهيم، الأمين، "**الأوضاع السياسية في المنطقة الغربية من ليبيا قبل الاحتلال الايطالي قبل 1912م**"، مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد الثامن عشر ، سنة **2017**م، الجزء **2**.

99 - نور، فاطمة الزهراء، "**إسهامات المثقفين الجزائريين في إثراء الدراسات الخاصة بالعهد العثماني أحمد توفيق المدني نموذجاً**"، مجلة تاريخ العلوم، المجلد5، العدد13، جوان 2020م،.

100 - نويهض، وليد، "**الدولة الحديثة بعد إلغاء الخلافة**"، جريدة الوسط، العدد **1911**، نوفمبر **2007**م.

101 - الهلالي، محمد تقي الدين، "**دمعة على فقيد العروبة والإسلام الأمير شكيب أرسلان رحمه الله**"، مجلة لسان الدين، السنة الأولى، ج**8** و**9**، فيفري، مارس **1947**م.

102 - هلايلي، حنيفي، "**الجزائريون المجندون في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى (1914–1918) أضواء جديدة في كتابات الملازم الأول رابح بوكابوية**" ، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد الثالث، العدد الأول، جانفي **2021**م.

103 - واضح، مداني، "**أحمد توفيق المدني بين مشروع النهضة الثقافية والقضية الوطنية في الجزائر 1925– 1954م**"، مجلّة تاريخ المغرب العربي ، مخبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، المجلد **8**، العدد**01**، جوان **2022**م. رابط المقال: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**197430** تاريخ الزيارة : **2022/08/22**م، **22:35**.

104 - الوراري، عبد اللطيف، " **المغرب يفقد واحداً من أعظم مفكّريه في القرن العشرين: عبد الهادي التّازي نذر حياته للبحث الذي يصل الأجيال بتاريخها الحضاري**"، مجلة القدس العربي ، **3** أفريل **2015**م.

105 - الوزاني، محمد بن الحسن، " **مجلة "مغرب" أو حقيقة الوطنية المغربية (1933)**"، مجلة الثقافة الجديدة المغرب، مارس **1983**م، العدد **20**، التحميل من الموقع : أرشيف الشارخ، رابط المقال : https://archive.alsharekh.org/Articles/**27/588/60130** تاريخ الزيارة: **2022/12/28**م، **16:35**.

106 - وليد عبد صالح، محمد، " **موقف الدول العثمانية من الغزو الإيطالي (لليبيا)**" ، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد **81**، **2020**م. رابط المقال: https://www.iasj.net/iasj/download/a**1839c31d23e6**dcc.

الرسائل الجامعية :

1 - أحمد عمايرة، محمد سالم، **شكيب أرسلان 1869م-1946م، دراسة في فكره السياسي**، إشراف الأستاذ الدكتور علي محافظة، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، جويلية **2000**م.

2 - إمخلاف، أمال، **عمر راسم حياته ونشاطه** (**1884م-1959م**)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر تخصص أعلام الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، إشراف : عبد الجيد بن نعيمة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية **2010/2009**م.

3 - بابه، حورية، **الجزائريون والقضية المغربية 1912-1954**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د) في تاريخ المغرب العربية الحديث والمعاصر، إشراف: أ.د جمال بلفردي، جامعة الشهيد حمّه لخضر، الوادي، السنة الجامعية :**2021/2020**م.

4 - بقبق، الزهرة، **الأمير عبد القادر في الأسر**(**1849-1852م**)، رسالة لنيل شهادة الماجيستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف منور الصم، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية معهد التاريخ، جامعة وهران السانية، السنة الجامعية **2010/2009**م.

5 - تومي، طاهر، **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد القادر صحراوي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، تاريخ المناقشة: **2015/2014**م.

6 - حرشوش، كريمة، **جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم " 1832-1847" (نماذج)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د.صم منور، قسم التاريخ وعلم الآثار، معهد العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران - السانيا، د ترقيم، د فهرس، د ت مناقشة. من الموقع الإلكتروني : https://theses.univ-oran1.dz/document/THA2363.pdf تاريخ الزيارة : **2022/05/19**، **18:03**.

7 - خرنق، مبروكة، **العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر** (**1605م- 1705م**)، **سياسياً وتجارياً**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث ، إشراف عمار بن خروف، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي غرداية، السنة الجامعية **2012/2011**م.

8 - خليفي، عبد القادر، **توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية **2007/2006**م.

9 - سلاماني، عبد القادر، **الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1932-1847م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف صم منور، جامعة وهران، السنة الجامعية، **2008-2009**م.

10 - عابي، سمير، **البنية الإيقاعية في ديوان محمد العيد آل خليفة إسلاميات وقوميات، اللزوميات، الثوريات أنموذجاً**، مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د.محمد بن صالح، كلية الأداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، تاريخ المناقشة :**2015/02/05**م.

11 - العربي، بوعناني، **المقاومة الشعبية في منطقة تيارت 1830-1908م ومواقف الزعامات القبلية والدينية من الاستعمار الفرنسي**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.ودان بوغفالة، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، السنة الجامعية **2018-2019**م.

12 - عزوز، فؤاد، **المهمّشون في تاريخ الجزائر الاجتماعي اللصوص وقطاع الطرق أنموذجاً (1830-1918م)**، أطروحة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ الاجتماعي للجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، إشراف :فارس كعوان، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد الأمين دباغين سطيف **2**، السنة الجامعية **2020-2021**م.

13 - غربي، الحواس، **الاحتلال الإيطالي بليبيا (1911-1951م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف د.شايب قدادرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر **2**، **2017/2016**م.

14 - فايد، البشير، **قضايا العرب والمسلمون في آثار البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان** ، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، ج 1.

15 - فطوم، خطاب، **التحالف الأوروبي وتجدد العلاقات الجزائرية الفرنسية(1800-1830م)**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الدبلوماسية والعلاقات الدولية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين،

إشراف د.شقرون الجيلالي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس-سيدي بلعباس-، السنة الدراسية (**2014-2015**م).

16 - كمال، بوغديري، **الطرق الصوفية في الجزائر، الطريقة التيجانية نموذجاً، دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة** ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف**02**، إشراف د.الميلود سفاري، السنة الجامعية **2014/2015**م.

17 - مراجع إبراهيم، عبد السيد السنوسي، **المقاومة الليبية للغزو الإيطالي في الفترة 1911 إلى 1918م في مدن شرق ليبيا** ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف د.محمد علي الطيب، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامة ام درمان، السودان، السنة الجامعية **2012**م.

18 - مكّي، محمد، **قضايا التحرر بالمغرب العربي في اهتمامات شكيب أرسلان** (**1930/1946**م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف: أ.د مولود عويمر، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية (**2017/2018**م).

19 - المؤدب، جليلة، **ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية، لحبيب ثامر، علي الحمامي، ومحمد بن أحمد بن عبود**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الحضارة العربية المعاصرة، المشرف محمد الناصر النفزاوي، جامعة تونس، السنة الجامعية **2005-2006**م.

20 - نجاشي، منى، رزقو حقوص، "**تطور الإعلام الإرتري في زمن الثورة ، دراسة تحليلية تاريخية للإعلام المسموع والمقروء (1961-1991م)**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الإعلام، إشراف أ.د عبد الرزاق الدليمي، جامعة الشرق الأوسط، كلية الإعلام.

الموسوعات والمعاجم:

1 - القنطار، سيف الدين، **أعلام في السياسة والأدب والفن**، تؤلف الثورة السورية الكبرى بينهم، مطبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق، سلسة الدراسات **2013**م.

2 - كنون، عبد الله، **ذكريات مشاهير المغرب في العلم والأدب والسايسة**، تق وترتيب د.محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط**1**، **2010**م، ج**3**.

3 - كنون، عبد الله، **موسوعة مشاهير رجال المغرب**، محمد بن عبد الكريم الخطابي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط**2**، **1994**م، المجلد**5**.

4 - الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، مطابع تكنوبرس الحديثة بيروت، **1994**م، ج**7**.

5 - الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، مطابع تكنوبرس الحديثة، بيروت، لبنان، ط**2**، **1990**م، ، ج**5**.

6 - الكيالي،عبد الوهاب، **موسوعة السياسة** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى للنشر والتوزيع، مطابع تكنوبرس الحديثة، بيروت، لبنان، ط**2**، **1985**م. ج**1**.

7 - محمد التليسي، خليفة، **معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911–1931م**، الدار العربية للكتاب، مكتبة الإسكندرية، مصر، **1983**م.

8 - محمد عبد اللطيف، عبد الشافي وآخرون، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي** ، شركة سفير، القاهرة، ج**10**، **1996**م.

9 - مفرّج، طوني، **موسوعة قرى ومدن لبنان**، دار نوبليس، لبنان، د ت ط، ج**14**.

10 - نويهض، عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط**2**، **1980**م.

المراجع باللغات الأجنبية:

1- Charles robert Ageron , **politiques coloniale au Maghreb**, Paris , éd Publications Universitaires, **1972**.

2- Charles-Robert Ageron, **"La Politique berbére du protectorat marocain de 1913 à 1934"**, revue d'histoire moderne et contemporaine, Société d'histoire moderne, **1971**, Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France.

3- David Thomas, Tarif Khalidi, Gerrit Jan Reinink, Mark Swanson, **Islamic Reformism and Christianity, History of Christian-Muslim Relations** , LEIDEN • BOSTON **2009**.

4- G.Lafuente, "Dahir berbère (**16** mai **1930**)", open Edition Journals, Peeters Publishers , **1** septembre **1994**.

5- George Antonius, **the arab awakening (the story of the arab nationale movement**, j.p.lippincott company, philadelphia, new york, toronto, **1939**.

6- Jean Ganiage , **Les Origines Du Protectorat Français En tunesie (1861-1881)**, Preface Par khalifa Chater, PRESSE Universitaires De France, Couverture De l'édition du livre (**1959**).

7- Jonathan Wyrtzen, **CONSTRUCTING MOROCCO: THE COLONIAL STRUGGLE TO DEFINE THE NATION, 1912-1956,** A Dissertation submitted to the Faculty of the Graduate School of Arts and Sciences of Georgetown University in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy in History , April **2009**.

8- Juliette Bessis, **Chakib Arslan et les mouvements nationalistes au Maghreb**, in Revue Historique, N°**526**, Avril- Juin **1978**.

9- Juliette BESSIS, **MAGHREB QUESTIONS D'HISTOIRE , Nationalisme et fascisme en Afrique du Nord dans l'entre-deux-guerres** , L'Harmattan, Paris, France, **2003**.

10- Louis Rinn, **MARABOUTS & KHOUAN, étude sur L'islam En Algérie**, Adolphe Jourdan, Librairie-èditeur, Alger, **1884**.

11- Manuela Williams, **" Between Arab Nationalism and Zionism: Fascist Politics and Propaganda in the Middle East in the 1930s**", Eunomia, Rivista semestrale del Corso di Laurea in Scienze Politiche e delle Relazioni Internazionali, **2013**.

12- MARTIN KRAMER : **BOOK REVIEWS, Islam against the West: Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism** by William L. Cleveland. Austin: University of Texas Press (Modern Middle East Series,No.**10**), **1985**.

13- R. LE TOURNEAU , **"TENDANCES UNITAIRES DU MAGHREB JUSQU'EN 1962"**, ÉTUDES SUR L'UNITÉ MAGHRÉBINE, Mars **1971** ,P**4**

14- Reinhard Schulze, **A Modern History of the islamic World,** Translated by Azizeh Azodi, I.B Tauris Publishers, London, New York, **2000**.

15- Sami H Khayala, **European States Position From the Libyan-Italy War 1911-1912**, Doctor of Philosophy (Modern & Contemporary History) Under the supervision of Dr. Faisal Abdul-Jabbar **2011**, Complementing the requirements for obtaining a PhD in modern history St. Clements Global.

16- Youssef Girard, **L'Emir Chekib Arslan : l'intellectuel organique de la renaissance arabo-islamique**, site web de l'omma, décembre **2006**, p**5**. Lien: https://oumma.com/lemir-chekib-arslan-lintellectuel-organique-de-la-renaissance-arabo-islamique-partie12/.

المواقع الإلكترونية:

1 - أحمد الحبشي، **"سيرة عبد الخالق الطريس مدخل لتاريخ مقاومة الاستعمار بشمال المغرب"** ، المجلة العربية للدراسات التاريخية ، ص **10**. من الموقع الالكتروني أكاديمية، رابط المقال : https://www.academia.edu/**49524964**/%D**8**%A**7**%D**9**%**84**%D**8**%B**7**%D**8**%B**1**%D**9**%**8**A%D**8**%B**3** تاريخ الزيارة : **2022/11/26**، **17:14**.

2 - أحمد فردوس، **"حسناء داود تبوح بأسرار من سيرة والدها المؤرخ المرحوم محمد داود"**، من الموقع الإلكتروني: أنفاس بريس، تاريخ النشر: الأربعاء **26** أوت **2020**م، ص ص **3**، **4**. الرابط : https://www.anfaspress.com/index.php/news/voir/**69320-2020-08-26-02-55-00** تاريخ الزيارة: **2022/03/29**م، **17:54**.

3 - زيارة السلطان المغربي إلى باريس ومشارك ته في مراسيم افتتاح مسجد باريس، في فيديو يوثق هذه الزيارة من خلال رابط الموقع الإلكتروني التالي : صور قديمة مع Ir jaraida /https://www.facebook.com/irjaraida/videos/**595997590872892**

4 - عبد الله إبراهيم العسكر، "يونس بحري وتاريخنا الحديث"، من الموقع : جريدة الرياض الإلكترونية، رابط المقال : https://www.alriyadh.com/**32107** تاريخ الزيارة: **2023/05/02**، **16:32**.

5 - قاسم الرويس، **"لمحات من علاقة شكيب أرسلان بالسعودية"**، مجلة المجلة الإلكترونية ، تاريخ نشر المقال:**2014/06/17**م.الرابط: https://arb.majalla.com/**2014/06**/article**55251473**.

6 - **قرآن كريم**، السورة : آل عمران، رقم **3**، الآية **26**.

7 - مجلة النهار الإلكترونية، مكرم رباح، **"معركة عين دارة وبوصلة الدروز"** ، تاريخ الإضافة : **2022/06/08**م، الرابط : https://www.annahar.com/arabic/section/**140**-

%D8%B1%D8%A3%D9%8A/08062022011955702 . تاريخ الزيارة : 2023/01/30م، 20:54.

8 - محمد العربي المساري، "**قصة إصدار "مغرب""** ، مجلة رباط الكتب، مجلة إلكترونية مختصة في الكتاب وقضاياه، مركز تواصل الثقافات، رابط المقال : https://ribatalkoutoub.com/?p=2102 ، تاريخ الزيارة : 2022/12/16، 16:39.

9 - محمد تركي الربيعو، "**سيرة الأمير شكيب أرسلان : الجنتلمان العربي – العثماني وتشكل الشرق الأوسط الحديث**"، القدس العربي (الإلكترونية)، 13 أكتوبر 2017، ص2. من الموقع الإلكتروني القدس العربي، الرابط : https://www.alquds.co.uk-الأمير-شكيب-أرسلان-الجنتلمان-ا/.

10 - معجم المعاني الجامع، الموقع الإلكتروني، الرابط : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D9%82%D8%B0%D8%B9%D8%A7/ تاريخ الزيارة : 2022/10/29م 17:32.

11 - معجم المعاني الجامع، الموقع الإلكتروني، الرابط : https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%A1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%B7%D9%8A%D9%81/ تاريخ الزيارة : 2022/10/30، 20:12.

12 - معجم المعاني، الموقع الإلكتروني، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D9%86 تاريخ الزيارة : 2022/12/05، 15:59.

13 - موسوعة الأستاذ التاريخية https://tarekh.ahlamontada.com/t311-topic، تاريخ الزيارة إلى الموقع : 2021/01/06م، 21:19.

14 - الموسوعة الإلكترونية المعلم، رابط المقال : https://elmo3alm.com/qustion/40922/ تاريخ الزيارة : 2021/10/13م، 17:14.

15 - الموقع الإلكتروني : الجزيرة ، رابط المقال : الشيخ -أحمد-الهيبة-بن-الشيخ-ماء-العينين/https://www.aljazeera.net/**2004/10/03**

16 - الموقع الإلكتروني : الجمهرة معلمة المفردات المحتوى الإسلامي، رابط الموقع : https://islamic-content.com/dictionary/word/**6634** . تاريخ الزيارة : **2023/01/30**م، **16:30**.

17 - الموقع الإلكتروني : بوابة الأهرام، هبة سعيد سليمان، **"صاحب أوّل دائرة معارف عربي..ماذا تعرف عن الأب بطرس البستاني"** ، الأهرام الإلكترونية ، تاريخ الإضافة: **2021/05/01**م، الرابط : https://gate.ahram.org.eg/News/**2706505**.aspx ، تاريخ الزيارة: **2023/01/30**م، **21:13**.

18 - الموقع الإلكتروني : مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا، الرابط: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=**5067**، تاريخ الزيارة : **2023/01/03**م، **21:26**.

19 - الموقع الإلكتروني : يونيونوبيديا، الرابط : https://ar.unionpedia.org/i/مارسيل_بيروتون تاريخ الزيارة : **2022/03/06**، **16:44**.

20 - الموقع الإلكتروني أباديس، الرابط : https://abadis.ir/fatofa/%D**8**%B**3**%D**8**%A**7**%D**9**%**86**%D**8**%B**3**%D**9**%**88**%D**8**%B**1**/. تاريخ الزيارة: **2023/02/01**. **16:20**.

21 - الموقع الإلكتروني الأندلس من خلال الرابط : http://andalusway.blogspot.com/**2015/01/1930**.html تاريخ الزيارة : **2022/11/12**م، **21:20**.

22 - الموقع الإلكتروني الموسوعة الفلسطينية، الرابط : https://www.palestinapedia.net/%D**8**%A**7**%D**9**%**84**%D**9**%**85**%D**8**%A**8**%D**8**%B**9**%D**9**%**88**%D**8**%AB%D**8**%A**7**%D**9**%**86**-%D**9**%**85**%D**8**%AC%D**9**%**84**%D**8**%B**3**/، تاريخ الزيارة: **2023/01/31**م، **16:15**.

23 - الموقع الإلكتروني رابطة أدباء الشام، رابط المقال : https://www.odabasham.net/تراجم/**18109**-المناضل-ا لم-**18109** تاريخ الزيارة: **2022/12/03**م، **21:18**.

24 - الموقع الإلكتروني لجريدة رأي اليوم : مهند إبراهيم أبو لطيفة، **"العمل الإعلامي العربي في ألمانيا 1896م-1945م"**، رأي اليوم ، **27** أفريل **2019**، ص **8**. الرابط: https://www.raialyoum.com/مهند-إبراهيم-أبو-لطيفة-العمل-الإعلامي ، تاريخ الزيارة : / **2022/03/12**م، **16:00**.

25 - الموقع الإلكتروني للموسوعة الشاملة الرابط : http://islamport.com/w/hnb/Web/**1741**/**1254**.htm تاريخ الزيارة **2021/10/13**م، **17:34**.

26 - الموقع الإلكتروني للموسوعة العربية، رابط المقال: http://arab-ency.com.sy/ency/details/**8742** تاريخ الزيارة : **2022/10/09**م، **21:15**.

27 - الموقع الإلكتروني لموسوعة عريق ، الرابط: https://areq.net/m/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%A7%D9%81%D9%8A_(%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A_%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A).html تاريخ الزيارة : **2022/10/23**م، **17**: **09**.

28 - الموقع الإلكتروني معجم المعاني الجامع،: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%86 تاريخ الزيارة :**2022/10/16**م، **21:11**.

29 - الموقع الإلكتروني معرفة، الرابط: https://www.marefa.org/%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85_%D8%AD%D9%82%D9%8A_%D8%A8%D8%A7%D8%B4%D8%A7، تاريخ الزيارة: **2023/02/02**، **15:30**.

30 - الموقع الإلكتروني موسوعة التوحيد الدرزية http://www.al-amama.com/index.php?option=com_content&task=view&id=**771** توقيت وتاريخ الزيارة : **2021/06/02 /17.00**.

31 - الموقع الإلكتروني نيرمي شبكة بحوث وتقارير، الرابط : https://arbyy.com/detail**1167730123**.html **تاريخ الزيارة 22:40/ 2021/05/30**.

32 - الموقع الإلكتروني: https://www.lesjardinsdelamedina.com/blog / الرابط : https://www.lesjardinsdelamedina.com/blog/**2020/07/21**/le-marechal-lyautey-le-constructeur-du-maroc-moderne/ تاريخ الزيارة : **2023/01/09**م، **20:06**.

33 - الموقع الإلكتروني: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D**8**%A**7**%D**9**%**84**%D**8**%B**9**%D**8**%B**6**%D**9**%**8**A%D**9**%**87**%D**8**%A**9** تاريخ الزيارة : **2022/10/14**، **21:55**.

34 - الموقع الإلكتروني: Rattibha رتيبحة الرابط: https://rattibha.com/thread/**1273010148559278086**، تاريخ الزيارة:**2023/02/03**م، **20:23**.

35 - الموقع الإلكتروني: أخبار اليوم، "خديوي" تاريخ اللقب من الدولة العثمانية حتى إعلان السلطنة العثمانية، رابط المقال: https://akhbarelyom.com/news/newdetails/**3453854/1**/ - خديوي--تاريخ-اللقب-من-الدولة-العثمانية ،تاريخ الزيارة: **2022/10/14**م، **18:36**.

36 - الموقع الإلكتروني: أكاديمية، سعود المولى، "شكيب أرسلان والحركة الوطنية المغربية"، ص **17** ، الرابط: https://www.academia.edu/**3559484**/ شكيب_أرسلان_والمغرب_العربي ، تاريخ الزيارة : **2023/02/06**م، **20:42**.

37 - الموقع الإلكتروني: الإيطالية نيوز، الرابط : http://www.alitaliyanews.com/p/blog-page_**37**.html تاريخ الزيارة : **2022/03/21 17:08**م.

38 - الموقع الالكتروني: التاريخ المغاربي، الرابط: https://maghrebhistory.com/%D**8**%A**8**%D**9**%**86**-%D**8**%BA%D**8**%A**8**%D**8**%B**1**%D**9**%**8**A%D**8**%B**7**/ تاريخ الزيارة : **16:52**/ **2022/03/14**.

39 - الموقع الإلكتروني: الجزيرة، فرانكو -الجنرال-الذي-حكم-إسبانيا- بقبضة https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons/**2016/4/25**/ تاريخ الزيارة : **2022/10/01**. **17:50**.

40 - الموقع الإلكتروني: الرحيق، الرابط: https://nektar.co.at/arab/?p=**398**، تاريخ الزيارة: **2023/02/05**م، **21:54**.

41 - الموقع الإلكتروني: المرسال، الرابط: https://www.almrsal.com/post/**651274**، تاريخ الزيارة: **2023/02/05**م، **19:52**.

42 - الموقع الإلكتروني: المعجم المعاني الجامع، الرابط :
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D**8**%A**7**%D**8**%B**3**%D**8**%AA%D**8**%AD%D**8**%B**0**%D**8**%A**7**%D**8**%A**1**/ تاريخ الزيارة : **2022/10/28**، **21:46**.

43 - الموقع الإلكتروني: المكتبة الشاملة، الرابط: https://shamela.ws/author/**77**، تاريخ الزيارة: **2022/04/12**م، **19:57**.

44 - الموقع الإلكتروني: الموسوعة التونسية ،
الرابط:
http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D**8**%B**3**%D**9**%**84**%D**9**%**8**A%D**9**%**85**%D**8**%A**7**%D**9**%**86**_%D**8**%A**8**%D**9**%**86**_%D**8**%B**3**%D**9**%**84**%D**9**%**8**A%D**9**%**85**%D**8**%A**7**%D**9**%**86** تاريخ الزيارة : **2022/04/15**، **23:11**.

45 - الموقع الإلكتروني: الموسوعة التونسية،
الرابط:
http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D**9**%**85**%D**8**%AD%D**9**%**85**%D**8**%AF_%D**8**%A**7**%D**9**%**84**%D**8**%AE%D**8**%B**6**%D**8**%B**1**_%D**8**%AD%D**8**%B**3**%D**9**%**8**A%D**9**%**86**، تاريخ الزيارة: **2023/02/04**م، **16:20**.

46 - الموقع الإلكتروني: الموسوعة العربية http://arab-ency.com.sy/detail/**3565**/ تاريخ الزيارة للموقع : **2021/01/11**، **21:00**.

47 - الموقع الإلكتروني: الموسوعة العربية، الرابط: http://arab-ency.com.sy/ency/details/**1342** تاريخ الزيارة : **2022/10/24**م، **20:32**.

48 - الموقع الإلكتروني: الموسوعة العربية، الرابط: http://arab-ency.com.sy/ency/overview/**9357/16**. تاريخ الزيارة: **2023/02/10**م، **21:25**.

49 - الموقع الإلكتروني: الموسوعة الفلسطينية ، الرابط: https://www.palestinapedia.net/%D8%A3%D9%83%D8%B1%D9%85-%D8%B2%D8%B9%D9%8A%D8%AA%D8%B1/ تاريخ الزيارة، **2022/10/16**م، **20:55**.

50 - الموقع الإلكتروني: باب نت Babnet، الرابط: https://www.babnet.net/festivaldetail-**171404**.asp، تاريخ الزيارة: **2023/02/05**م، **21:10**.

51 - الموقع الإلكتروني: لوكاليبان، الرابط : http://www.localiban.org/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D9%83%D8%B3%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%86 . تاريخ الزيارة : **2023/01/30**م، **16:34**.

52 - الموقع الإلكتروني: ليبيا المستقبل الرابط: https://archive.libya-al-mostakbal.org/Articles**1209**/assadeq_shukri_**171209**.html تاريخ الزيارة **2022/10/15**م، **17:02**.

53 - الموقع الإلكتروني: مرحبا، الرابط : https://mar**7**aba.com.tr كوبرلي-محمد-باشا-الصدر-الأعظم-الذي-أنق// ، تاريخ الزيارة : **2022/05/22**، **22:38**.

54 - الموقع الإلكتروني: معجم المعاني الجامع، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B8%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%86/ تاريخ الزيارة : **23:21** / **2022/07/17**.

55 - الموقع الإلكتروني: معجم المعاني، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%BA%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%81 تاريخ الزيارة: **2022/10/14**م، **22:20**.

56 - الموقع الإلكتروني: معجم المعاني، الرابط: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B7%D9%8A%D8%B7 تاريخ الزيارة:**2022/06/21**م، **21:50**.

57 - الموقع الإلكتروني: مكتبة محمد داود، الرابط: http://www.daoud.info/ar/biography.html تاريخ الزيارة : **2022/10/23**، **17:57**.

58 - الموقع الإلكتروني: مؤسسة هنداوي، الرابط: https://www.hindawi.org/books/49741819/1.13/، تاريخ الزيارة: **2023/02/06**، **19:20**.

59 - الموقع الإلكتروني: وكالة المغرب العربي للأنباء MAP EXPRESS، رابط المقال : http://www.mapexpress.ma/ar/actualite/الجلابة-البزيوية-منتوج-تقليدي-مغربي-أ/الآراء-و-حوارات تاريخ الزيارة : **2022/11/02**م .

60 - موقع لوكاليبان الإلكتروني، الرابط : http://www.localiban.org/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D8%A1-%D8%AC%D8%B2%D9%8A%D9%86. تاريخ الزيارة : **2023/01/30**م، **16:37**.

61 - مولود عويمر ، **"الذكرى الستون لوفاة الشيخ أبي يعلى الزواوي"، موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص 2. من الموقع الإلكتروني:** الذكرى-الستون-لوفاة-الشيخ-أبي-يعلى-الز/https://oulama.dz/2012/06/10

62 - مولود عويمر، **"الشيخ أبو اليقظان وحركة الاصلاح في العالم العربي"** ، الموقع الإلكتروني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تاريخ النشر : **2014/06/04**م، رابط المقال : https://oulama.dz/**2014/06/04**/%d8%a7%d9%84%d8%b4%d9%8a%d8%a-e-%d8%a3%d8%a8%d9%88-%d8%a7%d9%84%d9%8a%d9%82%d8%b8%d8%a7%d9%86-%d9%88%d8%ad%d8%b1%d9%83%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b5%d9%84%d8%a7%d8%ad-

%d9%81%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%b9/?fbclid=IwAR3GlECI--wt2HUBrhmmUKVdkyGyFDqXemlbnLmsgnDgcBflSbxO1RXCCOw تاريخ الزيارة: 2022/09/12م، 18:20.

63 - مولود عويمر، "الصحافة صوت الأمم وترجمان الشعور العام" ، جريدة البصائر، 28 فيفري 2022، من الموقع الإلكتروني : https://elbassair.dz/18348/ تاريخ الزيارة : 2022/05/21، 18:54.

الفهارس

الفهارس:

فهرس الأعلام والشخصيات:

ـ أ ـ

الأب دي فوكو ص517.
الأب سيمون ص433.
إبراهيم أبي اليقظان ص373، 391، 392، 393، 394.
إبراهيم اليازجي ص87.
إبراهيم باشا (المشير) ص111.
إبراهيم باشا ص31، 37، 298، 299.
إبراهيم سراج الدين ص106.
إبراهيم طراد ص40.
إبراهيم لونيسي ص414.
ابن أحمد المريض ص104.
ابن المقفع ص48.
ابن جلول ص405، 407، 408، 416.
ابن عبد الوهاب ص96.
أبو إسحاق الصابي ص48.
أبو الطيب المتنبي ص44، 492.
أبو العباس أحمد باي ص204، 205، 215.
أبو القاسم سعد الله ص 231، 315، 323، 324، 325، 334، 335، 351، 352، 355، 356، 357، 358، 366، 371، 372، 373، 376، 381، 391، 394، 412.
أبو جعفر المنصور ص91.
أبو زيان القليعي 317.
أبو عبد الله المستنصر ص238.
أبو لؤلؤة المجوسي ص90.
أبوب بكر القادري ص488.
أبي إمامة ص229.
أبي بكر الخوارزمي ص84.
أبي بكر الصديق ص77.
أبي تمام ص86.
أبي يعلى الزواوي ص373، 391، 397، 398.
إحسان بك الجابري ص71، 73، 181، 382، 400، 484، 495.
إحسان سامي ص163.
أحمد أخريرو ص480.
أحمد أفندي رضا ص89.
أحمد الجابر الصباح ص169.
أحمد جمال باشا ص 27، 56، 60، 61، 62، 66، 68، 69، 95، 256، 259، 320، 321، 322، 401.
أحمد الصافي ص261.

395، 398، 401، 402، 405، 409.
أحمد الشريف السنوسي ص 112، 136، 139، 147، 148، 155، 158، 159، 161، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 177، 309.
أحمد المقري التلمساني ص48.
أحمد النائب ص106.
أحمد الهيبة بن ماء العينين(السلطان الأزرق) ص426.
أحمد باشا (قائد عثماني) ص104.
إيتوري روسي ص105، 112.
أحمد باشا الوالي ص314.
أحمد باي تونس ص212، 213.
احمد باي ص266.
أحمد بك العريس ص146.
أحمد بك سيف النصر ص166.
أحمد بلافريج ص 271، 438، 461، 464، 465، 466، 468، 469، 484، 486، 488، 501، 503، 507، 508، 509، 510، 511، 518، 519.
أحمد بن عبد الكريم اللبادي ص462.
أحمد بن عليوة ص402، 403، 404.
أحمد بن محمد الثمثان ص471.
أحمد توفيق المدني ص 72، 272، 344، 351، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 390، 391، 453، 506.
أحمد القصاب ص227.
أحمد الحفيان الشرقاوي ص514، 515.
أحمد الشرباصي ص46، 68، 81، 82، 174، 311، 312، 318، 338.
أحمد راسم باشا ص106.
أحمد زروق ص207.
أحمد زكي باشا ص43، 50.
أحمد شوقي ص44، 47، 48، 79، 85، 86، 87، 142، 145.
أحمد عارف الزين ص51.
أحمد عبّاس الأزهري ص39.
أحمد عزت باشا الأرناؤوطي ص57.
أحمد غيلان ص460، 462.
أحمد فارس الشدياق ص48.
أحمد فارس الشدياق ص87.
أحمد فؤاد الأهواني ص441، 444.
أحمد قدري (الدكتور) ص75.
أحمد مذكور (أبو عبيدة) ص501.
أحمد مكوار ص488، 501، 509.
إدريس السنوسي ص157، 173.
إدريس بوفردة ص512.
أدهم باشا الحلبي ص135، 148.
إدوارد لورنس(مستر شو) ص64.
إدوارد هيريو ص354.
أدولف هتلر ص194، 424، 428.
أرجيميرو مايسترو دي ليون ص427.
أرنولد توينبي ص387.
أسعد أفندي فيصل ص42.
اسكندر بن يعقوب أبكاريوس (مؤرخ) ص22.

إسماعيل باشا صبري ص87.
إسماعيل حامد ص402.
أكرم زعيتر (الأردني) ص62، 178.
ألفاريز (قنصل إنجليزي) ص114.
ألفنسو الثالث عشر ص433.
ألكسندر ميليران ص252.
أمال إمخلاف ص401.
الإمام الأوزاعي ص259.
الإمام يحي بن محمد بن حميد الدين ص169، 262، 263، 447، 485.
أماندولا (وزير المستعمرات) ص182.
الإمبراطور شارلكان ص 232، 294، 295، 384.
الإمبراطور غيليوم (وليام الثاني) ص320.
الإمبراطور نابليون الثالث ص 78، 313، 318، 329.
امحمد بن عبود ص399.
الأمير أبو طالب ص323، 324.
الأمير ألاي كالبقاريس ص213.
الأمير أمين أرسلان ص27.
الأمير خالد بن الهاشمي الجزائري ص 319، 325، 337، 348، 351، 352، 353، 354، 355، 356.
الأمير سعيد الجزائري ص324.
الأمير صالح بك ص295.
الأمير عادل أرسلان ص 28، 53، 84، 97، 400.
الأمير عبد الرزاق ص323.
أشقر باشا ص107.
أقلعي ص455.
الأمير عبد القادر الجزائري ص 25، 216، 299، 300، 308، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 329، 351، 353.
الأمير علي آل ناصر الدين ص153.
الأمير علي بن الأمير عبد القادر ص319، 320، 321، 322.
الأمير عمر بن الأمير عبد القادر ص320، 321.
الأمير فيصل آل سعود ص399، 485.
الأمير محمد أرسلان ص53.
الأمير محمد بن الأمير عبد القادر ص319.
الأمير محمد سعيد بن الأمير علي ص322، 324.
الأمير محمد علي ص146.
الأمير محي الدين بن عبد القادر ص319، 322، 323.
الأمير مسعود الأرسلاني ص41.
الأمير نسيب أرسلان ص42، 84، 144.
الأميرال ستيفان ص279.
الأميرال غويدون ص301.
أمين الرفاعي بك ص476.
أمين بك التميمي ص71.
أمين محمد أبو عز الدين ص46.
أناتول فرانس ص45.
أندري ديرليك ص387.
أندريا دوريا ص231.

الأمير عبد الله آل عبد القادر ص319.
الأمير عبد المالك ص323، 324.
الأمير علج علي ص296، 297.
أنور باشا ص 51، 57، 69، 83، 93، 94، 95، 135، 136، 138، 145، 147، 148، 149، 161، 167، 168، 256، 258.
أومبرتو الأول ص118.
أنريكو أنساباتو ص182.
أنطوان ريفولي ص339.
أوتو فون بسمارك ص117، 118.
إيريك لابون ص431.
إيزابيلا ص384، 517.
إيطالو بالبو (ماريشال) ص175، 176، 193.
إيمانويل وليامز ص195، 196.

– ب –

البارون فانكنهاين ص244.
باسكوالي ليوناردي ص129.
باش حانبه علي ص202، 280، 281.
باش حانبه محمد ص202، 280، 281.
باطو ص247.
بانون آكلي ص358، 371، 412.
باولو سبينقاردي ص129.
الباي أبو عبد الله محمد ص216، 247، 248.
الباي حمّودة ص203.
الباي سيدي أحمد الثاني ص254.
الباي عبد العزيز ص260.
الباي محمد الحبيب ص252.
الباي محمد الناصر ص245، 252.
البحتري ص86، 492.
بديع الزمان الهمذاني 89.
بريفيه ص343.
بشير القاسم(أمير جبل لبنان) ص21، ص23.
بولان ص410.
بولس مسعد (بطريرك ماروني) ص23، 24، 32.
البشير السعداوي ص 158، 162، 163، 164، 175، 178.
بشير جنبلاط ص31.
بشير عمر (حاكم لبنان) ص23، 31.
بطرس البستاني ص35، 39، 40.
البغدادي ص439.
بلفور ص352.
بنيتو موسوليني ص 95، 143، 162، 163، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 182، 183، 186، 188، 190، 192، 193، 195، 196، 197، 288، 380، 388، 389، 412، 506، 521، 526، 527.
البهاء شاكر ص60.
بول برت ص435.
بول بنليف ص478.
بول كمبون (المقيم العام) ص205، 224، 227.
بونه موري ص299.
بيتون (جنرال) ص167.

بونه موري ص238.
بيير جوري ص277.

ـ ت ـ

تشيرتشرين ص94.
تقي الدين الهلالي ص45، 52، 82.
التهامي الوزاني ص456، 462.
تيبو (ملك نافار) ص238.
تيودور روسطان ص223.

ـ ج ـ

الجابري أخ إحسان ص365.
جار الله الزمخشري ص84.
جاسم بن إبراهيم ص168.
جاكوب كوهين ص251.
جالا برت (مبشر) ص342.
جان بيار إستيفا ص276.
جان غانياج ص 204، 206، 207، 210، 211، 213.
جدعان فهمي ص52.
جعفر باشا العسكري ص70، 172.
جليلة المؤدب ص399، 442.
جمال الدين الأفغاني ص 44، 47، 48، 49، 83، 100، 156، 257، 288، 382، 481.
الجنرال أزيفاوا ص474.
الجنرال بريار ص221.
الجنرال بلان ص516.
الجنرال بيجو ص217، 301، 313.
جنكيز خان ص59.
جورج الخامس (ملك) ص171.
جورج كيمنصو ص332.
الجنرال دي بورمون ص294.
الجنرال دي ميشال ص310، 311.
الجنرال راندون ص301.
الجنرال سان جورجو ص478.
الجنرال سانت أرنو ص301.
الجنرال شارل ديغول ص 336، 337، 338، 406.
الجنرال فرانكو ص 427، 441، 442، 444، 445، 536.
الجنرال كاباز ص427.
الجنرال كاترو ص426.
الجنرال كريستوف لاموريسيار ص313.
الجنرال مارتيمبري ص345.
الجنرال موليير ص345.
الجنرال نوجيس ص517.
الجنرال هور ص426.
الجنرال يوريارت ص430.
جوليو برينتي ص119.
جولييت بيسيس ص275، 364، 469، 471.
جون ماكسويل (الجنرال) ص170، 171.

جورد انطونيوس ص69.
جول سيكار ص394.
جول فيري ص220.
جوناثان ويرتزن ص458، 517.
جي ديسبارمات ص388.
جيولوتي (القائد الإيطالي)ص146.

-ح-

الحاج أمين الحسيني (مفتي فلسطين) ص 52، 74، 98، 387، 488.
الحاج حسن أبي عياد ص400.
الحاج عبد السلام بنونة ص 72، 180، 181، 374، 376، 391، 399، 400، 413، 452، 453، 454، 455، 456، 460، 462، 463، 468، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 493، 494، 499، 502، 503، 508، 509، 510، 511، 518، 525، 532، 533، 535.
الحاج عبد القادر الجزائري ص354.
الحاج عبد الله الجزائري ص34.
الحاج عبد الله رابح بوكابوية ص245، 350.
الحاخام حايين وايزمان ص352.
حافظ إبراهيم ص85، 86، 87.
حافظ بك عوض ص476، 477.
حافظ عفيفي (الدكتور) ص149.
الحاكم العام ألبير قريفي ص330.
الحاكم العام إيفي شاتيل ص336.
حورية بابا ص488.
الحاكم العام جورج جاك لوبا ص333.
الحاكم العام جورج كاترو ص406.
الحاكم العام ستيغ ص354.
الحاكم العام ماكسيم ويغان ص336.
الحبيب بورقيبة ص 202، 245، 257، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 282، 285، 286، 288، 367، 370، 371، 515.
الحسن الإدريسي ص169.
الحسن بن المهدي ص442.
الحسن بوعياد ص532.
حسن حسني باشا ص127.
حسناء داود ص499.
حسين بن علي (آغا الجيش) ص202، 203.
الحسين بن علي ص90.
الحسين بن عبد الوهاب ص462.
حسين حلمي باشا ص156.
حقي باشا ص108، 109، 124، 126، 127.
حمزة المدني 106.
حمود أرسلان ص41.
حميد الدين ص169.

-خ-

الخديوي توفيق ص87.
خسرو محمد باشا(الصدر الأعظم)ص20.
خليل أفندي الأيوبي الأنصاري ص56.
خليل بك المطران ص142.
خليل بك ص135، 233.
خليل بن أمية ص498، 502.
خليل تقي الدين ص47.
خليل مردم ص87.
خليل مطران ص50.
خليل مطران ص85، 86، 87.
خوان موليس ص269.
الخوري أسطفان البشعلاني ص22.
خوسيه فرانشي دي روكا ص503.
خير الدين التونسي (وزير) ص206، 217، 237.
خير الدين بربروس ص231، 232، 294، 295.
خيري الرزقي ص392.

ـ د ـ

دانيال بلفيدير ص339.
الداي حسين باشا ص294.
درابر (الأمريكي) ص82.
الدكتور إسماعيل صدقي ص477.
الدكتور الشاذلي ص276.
الدكتور الطيب الناصر ص285، 286.
الدكتور رسوخي ص60.
الدكتور ريشه ص442.
الدكتور سليمان بن سليمان ص278.
دوفايري ص205.
دون جوان بوثوس ص430.
الدون جوان دوتريش ص232.
دون ميكال فيلانيفا ص421.
دي كارنيار ص250.

ـ ر ـ

رادك ص94.
رافلس ص269، 270.
رباح أبي حيدر ص29، 32.
الرسولي ص475.
رشيد باشا ص107.
رشيد رضا 46، 47.
رفيق بك العظم ص142.
رمضان السويحلي ص166، 172.
رِنان (الفيلسوف الفرنسي) ص89.
روجر لابون ص 235، 236، 289، 290، 342، 343، 353، 435.
رودولفو غراتزياني (جنرال) ص197.
رياض الصلح ص28، 181.
ريتشارد هود ص247.
ريشارد وود (القنصل) ص217، 218.
ريموند لول ص339.
ريناتو تيتوني ص133.
رينهارد شيلز ص526.

روبرت جان لونغي(لونغه) ص361، 487، 488، 510، 519.
الرئيس غوستون دوميرج ص422.

– ز –

زاكي كوهين ص37.
الزبير بن باديس ص383.
زويمر (مبشر) ص238، 433.
زين العابدين بن الحسين بن علي ص90.

– س –

ساطع الحصري ص69.
سامي الدهان ص45، 79، 82، 508.
سامي هاشم خيّالة ص107.
سان جوليانو ص129.
سبنسر برايز ص474.
سعد زغلول ص43، 44.
سعيد الخوري الشرتوني ص48.
سعيد باشا ص108، 134.
سفيان بن معاوية ص91.
السلطان المغربي محمد الخامس ص421، 430.
سلطان باشا الأطرش ص97.
السلطان سليم الأول ص34، 296.
السلطان سليمان القانوني ص214.
السلطان سيدي محمد بن يوسف ص 423، 424، 427، 432، 445، 446.
السلطان محمد الرابع ص297.
السلطان مولاي يوسف ص478، 479.
سلمان الفارسي ص90. السيوطي (الإمام) ص47.
سليم الجزائري السمعوني ص401.
سليم العياش ص153.
سليمان العسكري ص135.
سليمان باشا الباروني ص 139، 143، 179، 180، 233، 385، 386.
سماح ليفي ص250.
سنان باشا ص232.
سنيور كالو ص269.
سهيل الخالدي ص402.
السيد الأرزقان ص478.
السيد بلغول ص355.
السيد بونصو ص288.
السيد سيمون ص478.
السيدة فرانس ص360.
سيدي الدردفي ص149.
سيدي العلمي الغماري ص149.
سيدي محمد الغزالي ص149.
سيف النصر ص104.

– ش –

شاتو برايان ص76.
شاتو بريان ص45.
شارل (دوق أنجو) ص238.
شارل أندري جوليان ص 275، 290، 343، 519.
شارل أندري جوليان ص 53، 360، 372، 449، 451، 459، 460.
شارل بروبير أجرون ص 369، 373، 376، 380، 381، 378، 388، 449، 517، 521، 534.
شارل تشرشل (ضابط إنجليزي) ص 23، 24، 33، 34.
شارل مارتل ص308.
شاكر عون ص42.
شالوم فلاح ص250.
شاهين مكاريوس ص36، 37، 39، 40.
الشريف حسين بن علي ص 58، 61، 65، 67، 68، 69، 263، 321.
الشريف علي ص69.
الشريف غالب ص96.
الشريف محمد بن عبد الله ص300.
شكيب أرسلان (**أغلب صفحات الدراسة**).
شكيب أفندي ص24،
شمس الدين باشا ص138،
شوكت باشا(ناظر الحربية) ص140.
شوكت علي ص189.
الشيخ أحمد بن محمد التيجاني ص307.
الشيخ عبد العزيز جاويش ص 56، 165، 281،
الشيخ التيجاني ص217.
الشيخ الحاج عمر ص307.
الشيخ الصالح بن يحي ص261.
الشيخ الطيب العقبي ص 335، 351، 368، 373، 374، 391، 394، 395، 396، 416.
الشيخ العلوي ص306.
الشيخ بوعمامة ص316.
الشيخ بومرزاق ص316.
الشيخ حسين حمادة ص192.
الشيخ حميدة الفضيل ص186.
الشيخ خضر حسين التونسي ص 256، 257، 259، 260، 282، 286.
الشيخ سالم مفتيج ص267.
الشيخ سعد (شيخ قبيلة الفوائد) ص194.
الشيخ سيدي العربي الدرقاوي ص307.
الشيخ صالح الشريف التونسي (الصالح بن يوسف) ص202، 256، 278، 282، 350.
الشيخ طاهر الجزائري السمعوني ص324، 402،
الشيخ عبد الحليم بن سماية ص409.
الشيخ عبد الحميد بن باديس ص 265، 293، 368، 373، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 395، 396.
الشيخ عبد الحي الكتاني ص 265، 266، 475، 489، 504، 505، 520، 521، 526.
الشيخ عبد القادر الجيلاني ص305.
الشيخ علي بن محمود(محمود كحول/ابن دالي)

350،
الشيخ عبد العزيز الثعالبي ص 35، 74، 147، 195، 196، 197، 201، 236، 241، 242، 246، 255، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 280، 281، 288، 289، 346، 375، 389، 434، 461، 474، 502، 503، 506، 532،
الشيخ عبد الكريم المغيلي ص306.
الشيخ عبد الله ابن الحسن(قاضي قضاة مكة) ص99،
الشيخ عبد الله البشقاني ص50.
الشيخ مصطفى بالخوجة ص409.
ص335.
الشيخ عمر المختار ص132، 155، 158، 159، 160، 161، 162، 185، 190.
الشيخ مبارك الميلي ص383، 395، 396،
الشيخ محمد الرياحي ص261.
الشيخ محمد الفراج المنياوي ص154.
الشيخ محمد المصمودي ص502.
الشيخ محمد بسيوني عمران 81.
الشيخ محمد بن عمر الفضيل ص186.
الشيخ محمد خير الدين ص409.
الشيخ محمد عارف بن عريفان ص65.
الشيخ محي الدين العربي ص314.
الشيخ مختار الكبير ص305.

ـ ص ـ

الصافي سعيد ص286.
صالح أبو عرقوب ص167.
صالح آغا المهايني ص313.
صالح الرفاعي ص259.
صالح بن محمود ص197.
صالح خير الدين باشا التونسي ص237.
الصدر الأعظم احمد باشا الكوبرلي ص297.
الصدر الأعظم الصوقلي ص296.
الصدر الأعظم قرة مصطفى باشا ص298.
الصدر الأعظم محمد باشا الكوبرلي ص297.
صفي الدين السنوسي ص166.
صلاح الدين الأيوبي ص146.

ـ ض ـ

ضياء الدين الوزير الإيراني ص364.
ضياء كوك ألب ص60.

ـ ط ـ

الطاهر أحمد الزاوي ص126، 127.
طلعت باشا ص 60، 69، 94، 256، 281،

الطاهر الجزائري ص398.
طاهر المصري ص72.
الطاهر خير الدين ص266.
الطاهر عبد الله ص258.
طوسون باشا ص96، 147.
320.
الطيب بنونة ص 376، 452، 453، 455، 456، 468، 481، 482، 487، 488، 489، 490، 491، 493، 504، 507، 518، 519.

ـ ظ ـ

ظاهر محمد صكر الحسناوي ص536.

ـ ع ـ

عباس أفندي المصفي ص158.
عباس التركي ص335.
عباس حلمي (الخديوي) ص 141، 142، 146، 152، 165، 169.
عبد الجليل التميمي ص323.
عبد الجليل الثائر (ليبيا) ص104.
عبد الحق حامد (أديب تركي) ص45.
عبد الحميد الرافعي ص87.
عبد الحميد باشا (الثاني) ص 25، 45، 59، 69، 107، 110، 111.
عبد الحميد بك سعيد ص188.
عبد الحميد زوزو ص368، 372.
عبد الخالق الطريس ص 455، 456، 462، 463، 468، 481، 491، 492، 494، 495، 496، 497، 498، 499،502، 518.
عبد الكريم التازي ص467.
عبد الكريم الدليرو ص462.
عبد الرحمان ابن خلدون ص 48، 294، 300، 379.
عبد الرحمان الشهبندر ص505، 526.
عبد الرحمان الكواكبي ص481.
عبد الرحمان المنبهي ص457.
عبد السلام بك التركي ص42.
عبد السلام حجاج ص462.
عبد السيد السنوسي مراجع إبراهيم ص168.
عبد العزيز (السلطان) ص25،
عبد العزيز بن سعود ص 83، 97، 98، 99، 169، 170، 447، 505.
عبد القادر البدايوني ص271.
عبد القادر المغربي ص56.
عبد القادر بن جلول ص464.
عبد القادر قباني ص43.
علي الغاياتي ص414.
علي الليثي ص43.

عبد الكريم سلمان ص43.
عبد اللطيف بك ص27.
عبد الله البستاني ص42، 43، 47، 87.
عبد الله باشا فكري ص87.
عبد الله بن الحسين ص65، 170.
عبد الله بن عمر ص90.
عبد الله حنّا ص38.
عبد المالك فرج ص464.
عبد المجيد الأول(سلطان)ص20.
عبد الهادي التازي ص524.
عبد الهادي السلاوي ص455، 485، 525.
عبد الوهاب الدرسي ص167.
عجاج نويهض ص83.
عدّة بن تونس ص404.
عروج بربروس ص231.
عزيز بك علي المصري ص 135، 138، 146، 149، 159.
عصام خليفة(د) ص24، 27.
عقبة بن نافع ص300.
عكاشة ص335.
علال الفاسي ص468، 489، 507، 511، 512، 513، 515، 516، 517، 518.
علال بن عبو ص462.
علي الحمامي ص354، 398، 399، 400.
علي المحجوبي ص206، 207، 210، 220.
علي باشا قيراط ص110.
علي باي ص203، 226، 227.
علي بن أبي طالب ص89، 90.
علي بن خليفة ص229، 232.
علي بن عثمان ص229، 251.
علي بن غذاهم المساهلي ص208، 213.
علي بوشوشة ص257، 260.
علي جبارة التونسي ص231.
علي حكمت ناهيد دبيك ص56.
علي يوسف ص43، 141، 142، 146.
عمار عيماش ص371.
عمر آغا العابد ص313.
عمر التازي ص489.
عمر باشا النمساوي(حاكم جبل لبنان) ص 23، 24.
عمر بن الخطاب ص90.
عمر بن قدور ص398.
عمر راسم ص398، 401.
عمر رياض ص 499، 500، 504، 506، 507، 510، 511، 525.
عمر عبد الجليل ص364، 509.
عيسى حمري ص468، 518.

-غ-

غابريال بويو ص431.
غاستون دوميرج ص253.
غليوم الثاني ص45.
غوستاف لوبون ص303، 304، 305، 341.

غاسطون غايار ص239، 438.
غومة المحمودي ص104.

ـ ف ـ

فارج لونغه ص487.
فارس نمر ص39.
فارنس ماكولا ص190.
الفاضل التبريزي ص91.
فاليان كوتوريه ص255.
فتحي أوفيار ص135.
فتحي بك ص233.
فرانشيسكو تديسكو ص129.
فرانكلين روزفلت ص279.
فرحات عباس ص405، 406، 407.
فرديناندو ص384، 517.
فرقان فيصل ص68.
فرونشيسكو كورو (مؤرخ إيطالي) ص105.
الفضيل الورثلاني ص368.
فلاديمير أوليانوف لينين ص363، 470.
فؤاد باشا (حاكم لبنان) ص23.
فؤاد عزوز ص317.
فوزي القواقجي ص443.
فون أوبنهايم ص67، 68.
فون در جولتز (المارشال) ص110.
فون غوتبرغ ص190.
فيصل بن الشريف حسين بن علي ص 27، 66، 67، 68، 69، 74، 169، 170.
فيكتور بيكه ص302.
فيليب (ملك) ص238.

ـ ق ـ

قاسم الرويس (الدكتور) ص97.
القائد الشريف بومعزة ص312.
القائد المقراني ص301، 316، 322، 323.
القائد بوبغلة ص301.
القائد بومزراق ص301.
القائد محمد الحداد ص301، 316، 322.
القايد نسيم ص247.
القائد ولدفار ص479.
قدور ابن غبريط ص266.
القنصل روستان ص221.
القنصل ساقاري دوبريق ص297.

ـ ك ـ

كاباص (ضابط اسباني) ص502.
كِتشنر (لورد إنجليزي) ص131، 132، 170.

الكاردينال لافيجري ص 240، 305، 307، 340، 341، 435، 517.
كاظم باشا الحسيني ص71.
كامل باشا ص156، 157.
كامل بك الأسعد ص27.
كامل عيّاد ص164.
كانيقا (جنرال) ص190، 191.
كريميو (قانون) ص335.
كمال بيرم ص396.
كنغ تشارلز كراين الأمريكي ص505.
الكولونال أرشينارد ص308.
كوميس خودارنة ص461.
الكونت سيفورزا ص123.
الكونت فيلبي ص211.

ـ ل ـ

لافونيت ص422.
لافيونييت ص464.
لباز الطيب ص458، 459.
لحبيب ثامر ص399.
لوبيس فرير ص464.
لوثروب ستودارد ص83.
لوروا بوليو ص303، 304، 325.
لوسيان سانت ص 239، 240، 251، 253، 258، 266، 268، 425، 435، 517، 524.
لوشاتيه ص435.
لويس بودي كور (الأب) ص25.
لويس درياس (قنصل) ص203.
لويس ران ص309، 310.
لويس ليوتي ص424، 478.
ليفي بروفنصال ص 53.
لينين فلاديمير ص96.
ليوانرد بوناكسي ص300.
ليون بلوم ص333، 408.
ليون روش ص216، 217، 247.
ليبو وانير ص363.

ـ م ـ

مارتن كرامر ص73.
المارزبان (الأمير الفارسي) ص90.
المارشال فوش ص470.
المارشال ماكماهون ص341.
المارشال هندبورغ ص470.
ماركس دورموا ص362.
محمد الحسن الوزاني 460، 464، 468، 469، 488، 489، 500، 509، 510، 518، 519.
محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص91، 92.
محمد الحفصي ص231.
محمد الخلطي ص274، 367، 464.

الماريشال هنري بيتان 285، 477، 478.
المازني ص477.
ماكماهون (السير) ص170، 171.
مالك بن نبي ص80.
مانسمان ص171.
المتصوف أبي مدين ص300.
المتنبي ص86.
محب الدين الخطيب ص 84، 98، 273، 377، 392، 480، 504.
محفوظ قداش ص355.
محمد إبراهيم لطفي المصري اليوزباشي ص107.
محمد ابن أبي بكر ص90.
محمد إدريس المهدي السنوسي ص173.
محمد إسعاف النشاشيبي ص84.
محمد أفيلال ص462.
محمد البشير الإبراهيمي ص334، 390، 401.
محمد التازي ص 454، 457، 485، 487، 519، 521، 522، 532.
محمد الجلولي ص227.
محمد الحداد ص457.
محمد العربي المساري ص509.
محمد العزيز بوعتور ص227.
محمد العيد آل خليفة ص400، 401.
محمد الفاسي ص 464، 465، 469، 484، 507، 508، 509.
محمد النفس الزكيّة ص91.
محمد الهادي السنوسي ص394.
محمد اليزيدي ص432، 510، 513، 515.
محمد الدليرو ص462.
محمد الديوري ص513.
محمد السادس (السلطان) ص167.
محمد السعيد الزاهري ص 368، 374، 391، 395، 396، 397، 534.
محمد السعيد عقيب ص240.
محمد السعيد قاصري ص399.
محمد السنوسي ص300.
محمد الشنيطي (مؤرخ) ص136.
محمد الصادق باشا ص206، 208، 212، 213، 214، 216، 217، 218،220، 226، 232، 248، 249.
محمد الصالح آيت علجت ص306، 403، 404.
محمد الصغير بلعلام ص376.
محمد الصفار ص462.
محمد الطاهر بن عاشور ص282، 283.
محمد الطيب بوهلال ص461، 462.
محمد العربي الخطيب ص484، 485، 495.
محمد العربي بنونة ص 455، 456، 457، 463، 482، 502، 511.
محمد تركي الربيعو ص66.
محمد داود ص 72، 272، 375، 376، 453، 456، 460، 462، 463، 467، 481، 489، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 510، 511، 518، 525، 526، 532.
محمد رشيد رضا ص 28، 44، 47، 48، 66، 73، 79، 81، 82، 140، 142، 174،

محمد أمين باشا ص104.
محمد بخيت ص242.
محمد بغوز ص456، 462.
محمد بن الخوجة ص213.
محمد بن جبور ص298.
محمد بن صالح ناصر ص392.
محمد بن عبد الكريم الخطابي ص 83، 286، 325، 399، 421، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480.
محمد بن عبد الله(المهدي) ص248.
محمد بن عبد الوهاب ص99.
محمد بن عزوز حكيم ص 451، 459، 460، 462، 492، 493، 494، 498، 533.
محمد بن علي السنوسي ص167، 172، 308.
محمد بن محمد الوزاني ص458، 515.
محمد بن محي الدين حدّوني ص404.
محمد بوزيان ص300، 315، 329.
محمد بوهلال ص462.
محمد تاج الدين أفندي الحسني ص56.
محمد مرتضى الحسني الجزائري ص311، 318.
محمد مصطفى بازامه ص129.
محمود أفندي الحمزاوي ص313.
محمود الطويل حمادة ص 144، 149، 153.
محمود سامي البارودي ص86، 87.
محمود شوكت باشا ص237.
محي الدين زروق ص348.
المختار أحرضان ص457، 523.
178، 259، 262، 338، 356، 372، 387، 390، 395، 396، 398، 409، 471، 473، 476، 480، 504.
محمد سالم باي ص358، 412.
محمد صالح حرب ص167.
محمد طنانة ص462.
محمد عبده ص 38، 44، 47، 49، 51، 55، 84، 85، 99 ، 234، 372، 381، 382، 409، 481.
محمد عبده ص43.
محمد عزيمان ص456.
محمد علي الحامي ص257، 258.
محمد علي الطاهر(أبي الحسن) ص 49، 50، 274، 275، 276، 285، 476، 507، 508.
محمد علي باشا(والي مصر)ص22، 31، 32، 36، 96، 97، 298.
محمد علي طاهر ص73.
محمد علي علوبة ص98.
محمد قنانش ص358، 412.
محمد كرد علي ص40، 87.
معاوية بن أبي سفيان ص89، 90.
المقري ص266، 439.
المقيم العام أرمان غيون ص282.
المقيم العام بيرون ص271.
المقيم العام بيكبدر ص442.
المقيم العام جان بيار إستيفا ص285.
المقيم العام غابريال ألابوتيت ص280، 281.
المقيم العام مارسيل بيروتون ص 242، 253،

مدحت شكري ص60.
مرعى شاهين سلمان (الشيخ) ص42.
المركيز دي أستيلا ص474، 478.
مصالي الحاج ص 274، 351، 355، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 390، 399، 404، 405، 412، 413.
المصطفى الريس ص404.
مصطفى باي ص204.
مصطفى بك حمادة ص27.
المستشرق فينيون ص326، 327.
مسعود بن سعيد ص96.
المشير رجب باشا ص107، 108، 123.
مصطفى كمال أتاتورك ص 54، 61، 62، 63، 93، 135، 138، 167، 168، 169، 179، 470، 471.
مصطفى لطفي المنفلوطي ص86.
مصطفى واصف ص40.
مظفّر باشا ص55.
مولاي محمد ص266.
مولود عويمر ص393، 397، 398.
مولود قرين ص348.
مونوس كراندي ص427.
254، 427، 493، 514.
المقيم العام مونسرون ص253، 266، 268.
المكي الناصري ص 464، 468، 494، 495، 518، 519.
الملك فرانسيس الأول ص295.
الملك فيصل بن الشريف حسين (العراق) ص 488، 501.
الملك لويس التاسع ص235، 240.
الملك لويس فيليب ص215.
الملكة فكتوريا ص218.
منيف الحسيني ص74.
المهدي السنوسي ص112.
المهدي المنبّهي ص454.
المهدي بنونة ص487.
مهند إبراهيم ص282.
مهيار الديلمي ص88.
موريس فيولييت ص333.
مولاي الحسن ص232.
مولاي حسن مهدي ص478.
مولاي عبد العزيز ص454.
ميخائيل بيضا ص506، 527.
ميخائيل مشاقة ص40.
ميسيمي ص346.
ميشل بيضا ص180.

– ن –

نابليون بونبرت (الأول) ص 21، 78، 203، 215، 327.
نابليون بونبرت ص21، 32.
ناجي بك الأصيل ص71.
ناصر الحكيم ص103.
ناصر بن شهرة ص323.
ناصيف اليازجي ص40.
ناظم باشا ص 57، 60، 93، 135، 156، 157، 237.
نبيه العظمة ص97.
نشأت باشا ص132، 233.
نوري باشا السعيد ص71، 167.
نوري بك ص171، 172، 233.
نوري سعيد ص364.
نيستي آكلا زامارا ص423.

– هـ –

الهادي الأخوة ص241، 242، 266.
الهادي لكحل ص478.
الهادي مصطفاي ص383.
الهادي نويرة ص278.
هاشم الأتاسي ص98، 284، 365.
هرمان رنول ص191.
هنري بونسو (بونصو) ص425، 427، 434، 435، 464، 511.
هنري جيرو ص336، 406.
هنري ماكماهون (السير) ص65.
هنريكو كورادييني ص122.
هونتو (مستشرق) ص238.

– و –

وليام كليفلاند ص73، 531.
وودرو ويلسون ص256، 282، 351، 352.
ويلسون (جنرال بريطاني) ص173.

– ي –

ياقو (قنصل إنجليزي) ص117.
يوسف شتوان ص55.

يحي بوعزيز ص328.
يزدجر (الملك الفارسي) ص90.
يعقوب صرّوف ص39.
يوجين يونج ص502.
يوسف الدبس (المطران) ص37، 42.
يوسف فرانكو باشا ص55.
يونس بحري ص 452، 453، 455، 481، 500، 505، 526.
يونغ ص413.

فهرس المدن والحواضر:

ـ أ ـ

الأبيار ص139.
أثينا ص274.
أدرار ص305، 306.
أدرنة ص57.
أذربيجان ص94.
أرفلة ص233.
أرمينيا ص59.
أريتيريا ص163.
أريحا ص443.
أزمير ص394.
إسبانيا ص81، 90، 202، 232، 264، 270، 295، 296، 297، 303، 325، 378، 384، 396، 397، 399، 419، (معظم صفحات الفصل الخامس).
اسطنبول ص39، 66، 67، 68، 104، 124، 127، 167، 258، 318، 323.
أسكي شهر ص168.
الإسكندرية ص 43، 52، 135، 152، 173، 176، 276، 354.
أسمرة ص163.
إشبيلية ص384،
الأعراض ص213،
الأغواط ص300، 307،
ألمانيا (الألمان) ص27، 37، 45، 51، 54، 57، 58، 67، 68، 118، 119، 120، 125، 128، 129، 139، 166، 167، 171، 172، 179، 219، 244، 245، 256، 258، 262، 281، 282، 284، 285، 286، 287، 304، 320، 321، 323، 336، 346، 347، 350، 370، 371، 413، 414، 424، 426، 428، 436، 444، 445، 446، 447، 448، 475، 483، 499، 501، 504، 510، 527، 528، 529.

أفغانستان ص64، 271، 356.
إقليم توات ص306.
ألبانيا ص64.
الألزاس واللورين ص219، 304.
الإمبراطورية الروسية ص219.
الإمبراطورية النمساوية المجرية ص 26، 120، 256، 282، 343.
أمريكا ص36، 81، 128، 276، 285، 326، 412، 485، 497، 528.
أمستردام ص193.
الأناضول ص61، 168.
إنجلترا (الإنجليز–المملكة المتحدة) ص21، 22، 23، 27، 37، 39، 40، 58، 61، 64، 65، 67، 69، 93، 95، 97، 98، 104، 109، 113، 115، 116، 117، 119، 134، 155، 157، 166، 167، 169، 172، 174، 178، 180، 209، 213، 217، 224، 243، 244، 249، 262، 288، 298، 303، 304، 327، 343، 361، 380، 388، 393، 400، 414، 480، 483، 489، 521.
أنجولا ص120.
الأندلس ص 76، 378، 379، 383، 384، 396، 436، 453، 464، 467، 483، 534.
الأوارغا ص478.
أوستريا ص304.
أولاد سيدي الطيب ص312.
إيران ص64، 88، 89، 90، 92، 271، 364، 402.
إيرلندا ص304.
إيطاليا ص 26، 37، 61، 87، 95، 103، 108، 109، 113، 114، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 138، 139، 143، 146، 149، 155، 156، 157 ، 158، 159، 160، 164، 166، 170، 172، 173، 176، 177، 178، 183، 184، 185، 187، 188، 190، 191، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 213، 217، 224، 225، 228، 231، 254، 269، 276، 280، 285، 287، 288، 296، 303، 343، 355، 420، 421، 436، 480، 483، 499، 500، 504، 509، 510، 521، 525، 527، 528.
إندونيسيا ص83، 389، 439.
أنقرة ص49، 62، 64، 168، 471.
الأهواز ص91.

– ب –

باجة ص209.
باردو ص 208، 213، 218، 219، 221، 248، 260.
باريس ص 26، 44، 85، 95، 135، 211، 215، 261، 267، 304، 322، 333، 351، 352، 354، 358، 359، 360، 361، 365، 368، 370، 411، 412، 418، 423، 463، 468، 479، 485، 488، 494، 502، 507، 508، 509، 511، 512، 513، 523، 526، 527، 528، 529.
بالرمو ص124، 132.
بالسترو(الأخضرية) ص301.
بجاية ص238، 300، 339، 342.
بحيرة تشاد ص184.
برج القصير ص277.
البرج ص139.
برقة ص 104، 106، 107، 108، 109، 110، 112، 117، 118، 119، 120، 121، 124، 125، 126، 127، 131، 132، 135، 137، 138، 139، 141، 143، 145، 156، 157، 159، 161، 166، 172، 178، 183، 184، 185، 189، 198، 231.
برن ص286.
برلين ص 52، 57، 58، 93، 118، 135، 154، 179، 180، 193، 244، 258، 289، 341، 350، 399، 400، 415، 494، 506، 527، 528.
بروسيا س443.
بريطانيا ص 24، 65، 66، 67، 70، 98، 106، 118، 119، 120، 130، 139، 171، 172، 173، 196، 217، 222، 228، 243، 320، 355، 421، 454، 531، 532.
بسكرة ص 300، 315، 329، 340، 394، 395.
بشار ص306.
بعقلين ص144، 153.
بغداد ص305، 328.
البقاع (لبنان) ص30.
بلاد فارس ص88، 89، 90، 91، 433.
بلاد ماسينا ص308.
بلجيكا ص204، 338، 446، 447.
بلغاريا ص59.
البلقان ص 26، 120، 136، 147، 155، 156، 179.
البلقان ص55.
البندقية ص114، 116، 296، 297، 304.
بترت ص213، 220، 279.

بنغازي ص 105، 107، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 124، 128، 131، 132، 149، 150، 151، 157، 160.
بني ورياغل ص475.
بنينة ص139.
بور سعيد ص400.
بورصة ص318، 320.
بوزريعة ص370.
بوسطن ص83.
البوسنة والهرسك ص26، 527.
بومباي ص168.
بومريم ص139.
البويرة ص301.
بيبان مصيف ص477.
بيروت ص30، 36، 37، 38، 39، 40، 42، 43، 44، 51، 53، 84، 85، 95، 181، 290، 324، 464.
البينين ص306.

ـ ت ـ

تاجوراء ص114.
تافيللت ص517.
تاورغاء ص114.
تبريز (الإيرانية) ص89.
تركستان ص94.
تركيا (الترك-الأتراك) ص 26، 44، 49، 54، 57، 62، 63، 64، 65، 67، 93، 94، 107، 110، 114، 126، 129، 134، 135، 139، 147، 155، 157، 158، 166، 168، 169، 172، 178، 235، 244، 256، 262، 345، 394، 433، 443، 457، 470.
ترنت ص118.
ترهونة ص233.
تريستا ص118.
تريستي ص400.
تقرت ص307.
تلمسان ص231، 300، 305.
تماسين ص307.
تمبكتو ص305، 307، 308، 339.
تومبا ص307.
تونس (ذُكرت في معظم صفحات الفصل الثالث200-290)، ص 72، 103، 106، 108، 115، 117، 118، 130، 135، 163، 187، 189، 195، 196، 197، 296، 298، 323، 325، 339، 342، 346، 347، 359، 365، 370، 373، 374، 381، 409، 410، 425، 434، 436، 438، 442، 446، 464، 488، 514، 517، 526.

تطوان ص 264، 376،(أغلب صفحات الفصل الخامس) ....448، 450، 452، 453، 455، 456، 458، 460، 461، 462، 463، 464، 473، 477، 482، 483، 484، 486، 489، 491، 492، 494، 495، 498، 499، 500، 501، 505، 508، 509، 510، 519، 520، 521، 522، 523، 532، 533، 534.

-ج-

جاكرتا ص466.
جاوة الإندونيسية ص 81، 189، 389، 449، 451.
الجبل الأخضر ص 163، 167، 174، 190، 192.
الجبل الغربي ص104.
جبل خمير ص248.
جبل زغرن ص424.
جبل عامل ص30، 89.
جبل لبنان ص 21، 23، 24، 29، 31، 32، 34، 39، 41، 89، 91، 141، 142، 149،
جبل نفوسة ص104.
جدّة ص96.
الجديدة التونسية ص279.
جرجرة ص301.
جردس العبيد ص139.
جزيرة جربة ص205.
الجزائر ص25، 72، 82، 103، 130، 172، 187، 189، 195، 201، 215، 216، 218، 219، 220، 229، 231، 234، 235، 239، 240، 246، 248، 253، 255، 257، 263، 264، 265، 266، 271، 274، 278، (أغلب صفحات الفصل الرابع:291- 416)، 425، 426، 427، 434، 436، 438، 442، 443، 449، 451، 488، 524، 525.
جزيرة قبرص ص296.
جزيرة كاليدونيا ص316.
جزيرة كريت ص114.
جزيرة كريت ص26.
جزيرة مالطا(مالطة) ص36، 124، 209، 247، 268، 295، 296، 348.
جزين (لبنان) ص30.
جنّة ص339.

جنيف ص 46، 58، 72، 75، 159، 174، 271، 274، 276، 281، 284، 285، 360، 361، 362، 363، 365، 399، 419، 460، 463، 467، 468، 482، 484، 493، 494، 495، 498، 500، 504، 511، 512، 513، 526.
الجوف ص98.
جيبوتي ص410.
جينوة ص94، 124.

-ح-

الحبشة ص83، 95، 134، 141، 343، 360، 370، 371.
الحجاز (الجزيرة العربية) ص 58، 64، 65، 68، 91، 92، 97، 98، 99، 163، 165، 169، 172، 179، 304، 347، 400، 505.
حلب ص40.
حلق الوادي ص219، 232، 247.
حمام بوحجر ص355.
الحمامات ص306.
حوران ص32، 56، 70، 144.

-خ-

خراسان ص90، 91.
الخربة (لبنان) ص27.
الخمس ص124، 151.

-د-

الدار البيضاء ص 240، 422، 425، 430، 475، 490، 515،
الدانمارك ص202،
دجلة (نهر) ص142.
الدردنيل(مضيق) ص67،
درعة ص517.
الدولة العثمانية (السلطنة) ص20، 21، 23، 25، 26، 27، 32، 34، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 61، 65، 67، 68، 69، 70، 96، 106، 107، 108، 109، 111، 120، 123، 126، 129، 130، 131، 134، 136، 137، 138، 146، 148، 151،

درنة ص 113، 114، 131، 136، 148، 149، 150، 152، 157، 161، 190.
دفنة ص159.
دمشق ص31، 38، 39، 40، 56، 67، 69، 75، 164، 180، 234، 313، 314، 318، 355، 443، 464، 531.
الدوديكانيز (جزيرة) ص136.
الدولة البيزنطية(روما الشرقية) ص89.
153، 156، 157، 159، 166، 201، 202، 205، 214، 215، 232، 235، 259، 281، 293، 296، 297، 298، 379، 408، 419، 438.
الدولة العربية الكبرى (المملكة العربية) ص58، 65، الدولة الفاطمية ص91.
ديار بكر ص168.
دير مماس (لبنان) ص27.

ـ ر ـ

راكونيجي ص120.
الرباط ص 421، 424، 429، 445، 450، 454، 460، 463، 478، 485، 508، 510، 515، 516، 517، 533.
رودس (جزيرة) ص136.
روسيا (الروس) ص 22، 58، 66، 83، 93، 94، 95، 119، 120، 228، 298، 393، 445.
الروم إيلّي ص394.
الروملي ص158.
روندة ص482.
روما ص78، 108، 121، 123، 124، 125، 126، 128، 163، 164، 176، 181، 184، 189، 192، 274، 285، 286، 388.
الرويسات ص301.
الريف ص 264، 269، 436، 437، 441، 442، 461، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 491، 519، 524، 532، 536.

ـ ز ـ

زليطن ص124، 233.
زهران ص97.
زوارة ص124، 132، 157.
زواوة ص306، 316، 345.
زوريخ ص286.
الزيبان ص395.

ـ س ـ

سان لويس ص518.
سراي رأس التين ص152.
سرت ص 104، 124، 163، 164، 189، 190، 192.
سردينيا (جزيرة) ص184، 211.
سطيف ص383.
السعودية ص97، 98، 170، 399، 447.
سكيكدة (فليب فيل) ص340.
سلا ص450.
السلوم ص124، 159، 167، 172، 194.
السنيغال ص304، 306، 344، 338، 340، 442، 518.
السودان ص115، 116، 171، 189، 304، 306، 307، 342.
السوس ص231.
سوريا ص20، 21، 22، 25، 27، 28، 34، 35، 37، 40، 60، 61، 65، 66، 68، 69، 71، 75، 82، 97، 103، 169، 180، 181، 187، 196، 258، 271، 276، 284، 304، 320، 324، 343، 353، 355، 359، 363، 374، 379، 380، 400، 402، 439، 445، 446، 457، 505، 524، 526، 528.
سوسة ص207، 235، 279.
السويس ص25، 68.
سويسرا ص 45، 73، 256، 276، 282، 285، 374، 419، 487، 494، 501، 504، 511، 518، 528.
سيدي عقبة ص300.
سيدي فرج ص294.

ـ ش ـ

الشام ص20. 21، 27، 28، 29، 30، 32، 34، 36، 37، 39، 40، 44، 65، 66، 84، 88، 89، 91، 98، 142، 145، 146، 154، 168، 170، 178، 180، 187، 189، 195، 197، 198، 272، 293، 308، 310، 313، 315، 318، 319، 320، 325، 328، 363، 401، 443، 448، 467، 489.
شفشاون ص474، 479.
الشوف الشويفات (لبنان) ص27، 30، 31، 41. 42، 53، 55، 162.
الشوير (قرية في لبنان) ص36.

ـ ص ـ

الصالحية ص314.
الصعيد ص167.
صفاقس (صفاقص)ص217، 235، 245، 257، 279.
صفد ص180.
صقر ص476.
صور ص231.
صيدا ص30.
الصين ص83، 305، 433، 467.

ـ ط ـ

طاغستان ص94.
الطائف ص96، 99، 170، 217.
طبرق ص 124، 125، 132، 135، 148. 149، 190.
طرابزون ص104.
طرابلس (لبنان) ص30، 31، 44.
طرسوس ص168.
طنجة ص 396، 411، 412، 430، 432، 444، 453، 454، 455، 457، 458، 464، 466، 475، 482، 485، 508، 512، 513، 517، 520، 522، 523، 524، 525، 527، 532، 534، 535.
طوكره ص139.
طولون ص215، 219.
طرابلس الغرب ص 26، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 124، 125، 126، 127، 128، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 147، 151، 155، 156، 157، 161، 162، 163، 166، 174، 177، 178، 179، 183، 184، 185، 186، 187، 189، 191، 193، 195، 196، 198، 219، 258، 267، 269، 280، 295، 298، 306، 321، 322، 323، 340، 380، 388، 434، 438، 457، 464، 486، 500، 521، 527.

ـ ظ ـ

ظنظور ص151.

-ع-

عار الملح ص213.
العراق ص58، 61، 64، 65، 75، 84، 98، 169، 181، 193، 244، 271، 328، 364، 399، 439.
عسير 97، 169، 170.
العقيلة ص167.
عكا ص21.
العمروسية (حارة) ص42.
العودة ص172.
عين تيموشنت ص355.
عين عنوب ص42.
عين ماضي ص307، 308.
عين منصور ص148، 161.

-غ-

الغابون ص516، 518.
غامد ص97.
غرناطة ص384، 397، 439، 482.
الغزوات ص305.
غليزان ص317.

-ف-

الفاتيكان ص123، 433.
فارساي ص423.
فاس ص306، 421، 449، 450، 454، 460، 471، 485، 488، 509، 512، 533.
فزان ص 104، 111، 118، 122، 124، 126، 139، 166، 170.
فغار ص163.
فلسطين ص67، 71، 75، 89، 180، 181، 187، 194، 246، 247، 270، 271، فرنسا ص21، 22، 23، 24، 25، 27، 28، 31، 32، 35، 37، 45، 66، 70، 75، 82، 96، 106، 109، 114، 115، 117، 118، 119، 120، 130، 134، 164، 166، 174، 178، 187، 195، 196، 202، 203، 210، 213، 214، 215، 219، 221، 222، 223، 224، 225، 227، 228، 230، 232، 235، 236، 237، 239، 241، 242، 244، 245، 246، 254، 255، 256، 257، 264، 266،

328، 380، 408، 439، 445، 446، 267، 270، 279، 284، 285، 286، 288، 293، (أغلب صفحات الفصلين الرابع والخامس).
496، 497.
الفيليبين ص83.
الفيوم ص167.
فيينا ص118، 298.

ـ ق ـ

قابس ص217، 257.
قادس ص457، 523.
قازان ص94.
القاهرة ص43، 65، 279، 286، 355، 395، 415، 463، 464، 492، 493، 531.
قبيلة جبالة ص479.
قبيلة هوارة ص473.
قبيلة بياتا ص476.
القدس ص36، 96، 98، 375، 387، 488، 489، 500.
قرطاجة (قرطاجنة) ص231، 235، 240.
قرطبة ص384، 461.
القسطنطينية ص78.
قسنطينة ص220، 316، 328، 337، 365، 383.
القصرين ص229، 251،
القصور 342.
القفقاس ص58.
قلعة سان نيكولا ص285.
القلعة ص317.
القليعة (لبنان) ص27.
القليعة ص317.
القنيطرة ص424، 512.
القوقاز ص167.
القيروان ص 207، 208، 213، 217، 245، 306.

ـ ك ـ

كسروان (لبنان) ص30، 32،
كفر متى ص154.
كندا ص521.
الكوفة ص91.
الكونغو ص83، 338.
الكاميرون ص120.
كتالونيا ص486.
كونيا كاري ص307.
الكويت ص169.

ـ ل ـ

لبنان ص20، 21، 22، 23، 25، 27، 28، 29، 30، 35، 36، 39، 49، 52، 55، 65، 71، 75، 89، 91، 144، 146، 152، 262، 272، 276، 293، 313، 324، 359، 411، 412، 443، 484، 528، 530.
لندرة ص454.
لندن ص195، 271.
لوزان ص 137، 166، 286، 374، 415، 484، 507، 509.
ليدن ص438، 509.
ليون 209.
ليبيا ص 26، 87، 103،104، 105، 106، 107، 108، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 118، 121، 122، 123، 125، 126، 127، 128، 129، 131، 132، 133، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 144، 145، 146، 147، 150، 151، 152، 153، 155، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 169، 173، 176، 178، 179، 181، 182، 183، 186، 188، 190، 192، 195، 196، 198، 225، 231، 233، 258، 269، 380، 408، 448.

ـ م ـ

مالقة ص493.
مانشستر ص209.
المتن (لبنان) ص30.
المتن ص342.
متيجة ص301.
مجدل شمس ص144.
المجر ص118، 119، 120.
مدريد ص 397، 421، 454، 461، 462، 498، 503، 508، 511، 522، 524.
مدغشقر ص83، 479.
المدينة المنورة ص96، 97، 147، 394.
مرّاكش ص 195، 234، 246، 271، 278، 302، 306، 317، 319، 339، 410، 411، 429، 432، 436، 442، 450، 458، 474، 515.
مرزوق ص126.
مرسى سوسة ص139.
المرسى ص224، 260.
مرسيليا ص203، 209، 278، 514.
مرسين ص147، 165، 168، 172.

مريوط ص148.
مستغانم ص308.
مسلاتة ص124.
مصر ص 21، 22، 32، 36، 39، 64، 84، 103، 106، 119، 130، 131، 135، 141، 142، 145، 150، 152، 153، 154، 155، 159، 163، 166، 167، 171، 172، 173، 179، 180، 181، 188، 189، 190، 201، 217، 218، 222، 258، 259، 262، 263، 264، 271، 285، 287، 304، 306، 327، 343، 356، 390، 395، 399، 400، 402، 439، 448، 465، 483، 486، 489، 492، 499، 503، 504، 507، 526.
مصراتة ص113، 114، 233.
مصوع ص163.
مطير (قبائل) ص98.
معرّة الشيحاني ص443.
معسكر ص311.
المغرب/المغرب الأقصى/المغرب العربي ص 81، 91، 119، 201، 236، 238، 239، 243، 244، 249، 263، 265، 266، 274، 281، 289، 293، 300، 302، 306، 309، 311، 319، 324، 325، 339، 343، 346، 359، 365، 366، 374، 376، 379، 385، 396، 399، 400، 402، 410، 412، 414،(417-536).
مكّة ص 58، 61، 65، 68، 69، 96، 97، 170، 217، 238.
مكناس ص428، 429، 450.
مملكة سيغو ص307.
المنستير ص207، 213.
المنيطرة ص91.
المهدية ص213، 235.
موريتانيا ص306.
موسكو ص93، 94، 365، 413.
مونبيلييه ص44، 138.

ـ ن ـ

نابلس ص180، 455.
نابولي ص132.
نجد ص96، 98، 169، 170.
النرويج ص447.
نفطة ص323.
النمسا ص 113، 118، 119، 120، 217، 245، 297.
نوميديا ص205.
النيجر ص306، 338، 340، 343، 344.
نيس ص295، 484.

النيل (نهر) ص142.
نيويورك ص26، 73، 280.

ـ هـ ـ

الهند الصينية ص304، 502.
الهند ص63، 82، 83، 90، 93، 179، 271، 304، 305، 327.
هولندا ص228، 327، 447، 509.

ـ و ـ

واحات الجريد ص207.
وادي سفلات ص301.
واحة الجغبوب ص112، 139، 148، 167، 172.
واسط ص91.
وجدة ص517.
واحة الزعاطشة ص300، 315، 329.
وزان ص312.
واحة الكفرة ص112، 136، 148، 186.
الوطن القبلي ص213.
واحة النبك ص98.
ولاتة ص305.
واحة تافيلة ص423.
الولايات المتحدة الأمريكية ص202، 225، 430، 471.
واحة تندوف ص426.
وهران ص311، 312، 317، 328.
واحة سيوة ص172.

ـ ي ـ

اليابان ص81، 385.
اليمن ص57، 96، 98، 108، 109، 126، 127، 133، 163، 169، 170، 262، 263، 389، 447، 457، 487.
اليونان ص59، 94، 168، 228، 470، 471.

فهرس المجموعات والقبائل والشعوب :

ـ أ ـ

الإباضية ص233.
الأحباش ص193.
الأرثوذوكس ص22، 28.
الإرشاديين ص265، 389.
الأرمن ص29، 59، 236.
الأرناؤوط (الألبان) ص110.
الأسرة الحسينية ص202.
الإسماعليّين ص28.
الإسماعيلية ص89.
الإشتراكية ص92، 93، 349، 388، 436.
الآشوريّين ص29.
الإفرنج ص77، 173.
الأكراد ص28، 29.
آل أرسلان ص31.
آل البيت ص90.
آل جنبلاط ص33، 530.
آل خازن ص32.
آل سعود ص 96، 97، 98، 170، 365، 413.
آل سيف النصر ص233.
آل شهاب ص23.
آل معروف ص518.
آل نكد وعماد ص31، 33.
أهل السنّة ص 23، 28، 29، 30، 31، 89، 90، 91.
أولاد سدرة ص220.
الأيوبيين ص20.

ـ ب ـ

البربر(الأمازيغ) ص 231، 299، 300، 302، 303، 305، 342، 343، 344، 421، 422، 425، 433، 434، 435، 437، 438، 439، 440، 449، 450، 451، 452، 458، 459، 460، 463، 464، 475، 483، 492، 500، 504، 512،
البروتستنت ص 28، 98، 238، 344، 429، 438، 440.
البلشفية ص93، 393.
البلغار ص26، 59، 158، 235، 236.
بني العياش ص153.
بني هاشم ص90.

517، 520، 521، 524، 534.
البراعصة ص149.
البهائيين ص29.

ـ ت ـ

التبابعة ص382.
ترت ص149.
التركمان (التركستان) ص28، 29، 93، 179.

ـ ح ـ خ ـ

الحفصيون ص231.
الحميريون ص231.
الخوارج ص83.
الحنفية ص242.
الحويطات(قبائل) ص170.

ـ د ـ ر ـ

الدروز ص22، 23، 24، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 89، 97، 144، 145، 153، 154، 313، 315، 363، 443.
دارفور ص167.
الروم ص30.

ـ س ـ ش ـ

السلفيين(السلفية) ص265، 389.
السنوسيين(السنوسية) ص 100، 104، 105، 107، 138، 139، 147، 157، 158، 167، 170، 171، 172، 175، 186، 187، 190، 192، 305، 308، 309، 340، 434.
السوفييت ص58، 393.
الشافعية ص262.
شحات ص149.
الشركس ص28، 29، 41، 59، 60.
الشيوعية ص92، 93، 349، 366، 367، 388، 403، 412، 428.

ـ ص ـ ط ـ ع ـ

الصرب ص26، 235، 236.
الصفوية ص91.
الصهيونية ص 75، 89، 194، 246، 247، 388.
الصوفية ص 300، 305، 309، 310، 314، 339، 403، 404، 405، 434.
الطائفة الشيعية (الشيعة) ص 27، 28، 30، 34، 88، 89، 90، 91، 92.
الطرقيين ص265، 389، 404،.
الطريقة البكطاشية ص83.
الطريقة التيجانية ص217، 307، 308.
الطريقة الدرقاوية ص307، 316، 405.
الطريقة الرحمانية ص316.
الطريقة الشاذلية ص305، 306.
الطريقة القادرية ص305، 306، 403، 434.
الطورانية ص25، 58، 59، 64.
العباسيين، الخلافة (الدعوة العباسية) ص 90، 91، 92.
العثمانيين ص20.
عرب بني خالد (لبنان) ص30.
العلويين ص265.
العلوّيين ص28، 90، 91، 92، 389.

ـ ف ـ ق ـ ك ـ

الفارسية ص88، 89.
الفاطميين ص20.
الفرس ص59.
الفيتيشية ص308، 344.
الفينيقيّين ص382.
القبطية ص343.
قبيلة الفوائد ص194.
قبيلة بني حمير ص220.
قبيلة ناهد ص220.
الكاثوليك (الكاثوليكية) ص 21، 24، 28، 36، 37، 184، 234، 235، 239، 240، 308، 344، 350، 429، 433، 437، 438، 440، 466، 517.
الكبابيش ص170، 171.
الكراغلة ص345.
الكلدانيين ص382.

– م – ن – هـ – ي –

المالكية ص242.
المتوالة ص89.
المجوسية ص89، 90، 302.
المحاميد ص233.
المذهب الأثني عشر ص91.
المعتزلة ص83.
المغول ص59.
المماليك ص20، 29، 91.
الموارنة (الماورنية)ص 21، 22، 23، 24، 25، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 37، 42.
النازية ص 237، 246، 388، 414، 425، 426.
النسطوريّين ص28.
الهنود الحمر ص326.
الوهابية ص 88، 96، 97، 98، 99، 100، 457.
اليزيديين ص28.
اليسوعيين ص37، 39.
اليهود ص 23، 29، 37، 67، 115، 194، 201، 207، 209، 211، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 302، 305، 328، 333، 335، 336، 348، 349، 385، 408، 429، 434، 450، 496.
اليونانيين ص26، 235.

فهرس الجمعيات والهيئات والمنظمات والمؤتمرات:

ـ أ ـ

أحباب البيان والحرية ص406، 407.
الأمم المتحدة ص280.

ـ ج ـ

الجامعة العربية ص71.
الجبهة الشعبية الفرنسية ص 334، 335، 354، 360، 363، 371، 442.
جمعية الآباء البيض(بير بلان) ص 306، 307، 341، 342، 403، 433.
جمعية الاتحاد والترقي(الإتحاديين) ص26، 59، 60، 61، 62، 63، 67، 69، 110، 127، 237، 505.
جمعية الإخاء العربي ص26.
جمعية الأخوة الإسلامية ص355.
الجمعية الإسبانية الإسلامية ص264، 269، 397، 463، 489، 497، 502، 503.
الجمعية الإسرائيلية ص249.
جمعية الأمم ص 134، 180، 181، 182، 187، 379، 380، 477، 483.
جمعية البيت الإسلامي ص397، 489.
جمعية التحالف الإسرائيلي العالمي ص211.
جمعية الثقافة العربية ص512.
الجمعية الخيرية الإسلامية (تطوان) ص463.
الجمعية الخيرية الإسلامية ص55.
جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوي بالشام ص164.
جمعية الدفاع عن القضية المغربية في مصر ص492.
جمعية الدفاع عن حقوق الإنسان للمغرب ص489.
جمعية الرابطة الشرقية ص262.
جمعية الراهبات المبشرات لسيدتنا العذراء ص341.
الجمعية السريّة فوائد ونصائح خيرية ص106.
الجمعية السورية ص40.
جمعية الشبان المسلمين في مصر ص188.
جمعية الشبيبة الإسلامية بالجزائر ص379.
الجمعية الصهوينية ص247.
جمعية الطالب المغربية ص463، 495.
الجمعية الطرابلسية البرقاوية (اللجنة) ص 143، 178، 180، 195.
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص 265، 334، 335، 368، 369، 372، 380، 382، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 397، 398، 401، 404، 405، 406، 408، 415، 416.

الجمعية العربية بباريس ص26.
جمعية العلماء في مصر ص154.
جمعية العهد العربية ص26.
جمعية الفتاة العربية ص26.
جمعية الكنيسة الإنجليلية المتيودية الفرنسية ص342.
جمعية النهضة اللبنانية ص26.
جمعية الهلال الأحمر المصري ص57، 145، 146، 149، 179، 322.
الجمعية الوطنية لثورة الريف ص472.
جمعية بلسيكيا (باريس) ص95.
جمعية حفظ حقوق الملة العربية ص26.
جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ص 274، 366، 468، 492، 493، 512، 519.
جمعية نظام الثالثويين ص338.

-ح-

حركة الشباب التونسي 250.
حركة الشبان الجزائريين ص353.
حزب الإتلاف والحرية ص237.
حزب الاستقلال العربي (لبنان) ص28.
حزب الاستقلال المغربي ص431، 432، 510.
الحزب الإشتراكي الراديكالي ص360، 436.
الحزب الاشتراكي الفرنسي ص163.
الحزب الجمهوري الفرنسي ص436.
حزب الدستور التونسي ص 235، 240، 245، 253، 257، 260، 261، 274، 277، 369، 514، 515.
حزب تونس الفتاة ص280.
الحزب الدستوري التونسي الجديد ص274، 276، 277، 278، 289، 366، 369.
حزب الشعب الجزائري ص 357، 368، 369، 370، 406، 412.
الحزب الشيوعي الجزائري ص334، 408.
الحزب الشيوعي الفرنسي ص 255، 349، 354، 355.
الحزب القومي السوري ص193.
الحزب الوطني المراكشي ص369، 516، 518.
الحزب الوطني المغربي ص455.
الحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية ص515.

ـع ـف ـك ـل ـ

عصبة الأمم ص 71، 72، 174، 189، 360، 370، 371، 463.
فدرالية المنتخبين الجزائريين ص334.
فدرالية رؤساء البلديات والنواب ص355.
الكتلة الطرابلسية بالإسكندرية ص176.
كتلة العمل الوطني ص512، 513، 514، 518.
كتلة المنتخبين الجزائريين ص352.
لجنة إفريقيا الفرنسية ص422.
لجنة الإعانة المصرية ص148، 149.
اللجنة الأمريكية (كنغ كراين) ص352.
لجنة التعليم العام بتطوان ص463.
اللجنة التنفيذية الدائمة للمؤتمر الإسلامي ص 387، 408.
اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية والبرقاوية ص164.
لجنة الدفاع عن شمال إفريقيا ص355.
اللجنة الدولية المالية في تونس ص 210، 224، 226، 228، 251.
اللجنة السوري الفلسطينية ص412، 413، 459.
اللجنة العالمية للدفاع عن الشعب الأثيوبي ص370.
لجنة العمل المغربية ص460.
اللجنة الفرعية لتحقيق المطالب ص462.

ـ م ـ ن ـ ه ـ

مكتب تحرير المغرب العربي ص286.
المنتدى العربي ص26.
المؤتمر الإسلامي الأول بالجزائر ص 333، 334، 335، 367، 368، 387، 405.
المؤتمر الإسلامي الثاني بالجزائر ص407، 408.
المؤتمر الإسلامي بالقدس ص 62، 64، 65، 96، 98، 271، 387، 401، 463، 488، 489، 500.
المؤتمر الإسلامي بجنيف ص 271، 358، 361، 371، 372، 412، 498.
المؤتمر الإسلامي بمصر ص356.
المؤتمر الأفخارستي ص234، 235، 239، 240.
مؤتمر الخلافة بمصر ص263.
المؤتمر السابع للشمال الإفريقي ص253.
المؤتمر السوري الفلسطيني ص71، 75.
مؤتمر الصلح(السلام) ص282، 352.
المؤتمر العربي الأول بمدينة باريس 1913م ص55، 70.
مؤتمر المستشرقين في ليدن(هولندا) ص438، 509.
المؤتمر المغاربي ص474.
مؤتمر برلين الأول 1878م ص117، 121.
مؤتمر جينوة ص94.
مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس ص 492، 493.

مؤتمر قصر الهلال ص277.
مؤتمر لوزان 1923م ص419.
نادي الترقي ص386.
نادي الشبان العربي بتطوان ص532.
النادي الشرقي ببرلين ص289، 290.
النادي الشرقي ص58.
النادي العربي بدمشق ص75.
نجم شمال إفريقيا ص 274، 276، 354، 355، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 407، 412، 415.
الهلال الأحمر التونسي ص258.
الهيئة الوطنية المغربية الأولى ص460.
الهيئة الوطنية المغربية الثانية ص463.
هيئة وفد مطالب الأمة ص462.

فهرس الجرائد والمجلات :

ـ أ ـ

جريدة إقدام ص25.
جريدة الاتحاد ص250.
جريدة الأحكام العدلية ص43.
جريدة الأديب ص46.
جريدة الاستقلال ص73.
جريدة الإقدام ص353.
جريدة الأكسيون فرانسيز ص410.
جريدة الأمّة (أبي اليقظان) ص392.
جريدة الأمة (الجزائرية) ص 179، 358، 360، 368، 371.
جريدة أم القرى ص97.
جريدة أنال فورد أفريكان ص411.
جريدة الأمة العربية (لاناسيون آراب) ص 158، 178، 188، 189، 195، 257، 271، 273، 288، 357، 366، 374، 382، 391، 394، 395، 419، 429، 440، 449، 451، 459، 464، 473، 484، 485، 487، 491، 500، 517، 520، 529.
جريدة الأهرام ص44، 154،48، 246.
جريدة الأومانتيه ص530.
جريدة الإيكو دي باري ص410.
جريدة إيطاليانو دي تونيسيا ص184.
جريدة إيكو دالجي ص414.

ـ ب ـ ت ـ ث ـ

جريدة البدر الكامل ص250.
جريدة البرق ص250.
جريدة البشير ص39.
جريدة البصائر ص383، 415، 416.
جريدة البلاغ ص306، 402، 403، 404.
جريدة البوبولو ديت اليا ص178، 188، 527.
جريدة البوبيلار (الشعبية) ص163.
جريدة البيان (نيويورك)ص73.
جريدة التايمس ص195.
جريدة الترقي ص196، 197، 267.
جريدة التونسي ص280.
جريدة تونس الفتاة ص368.
جريدة ثمرات الفنون ص39.
جريدة الثقافة ص373، 381.

ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ

جريدة الجامعة العربية ص74، 155، 159.
جريدة الجنان ص250.
جريدة الجنان ص39.
جريدة الجهاد الألمانية ص350.
جريدة الجهاد ص155، 159، 187، 233، 439، 498، 504، 526.
جريدة الجورنال دي ديبا ص327.
جريدة الجورنال ص410، 413، 527.
جريدة الحاضرة التونسية ص260.
جريدة الحرية ص250.
جريدة الحياة ص493، 496، 497.
جريدة حنصنيم ص250.
جريدة خلط ملط ص251.
جريدة الدييبش كولونيال ص410.
جريدة ذو الفقار ص401.

ـ ر ـ ز ـ س ـ ش ـ

جريدة الرابطة العربية ص95، 179.
جريدة الرائد التونسي ص212.
الجريدة الرسمية الجزائرية ص336.
جريدة الرقيب ص464.
جريدة الشام ص40، 58.
جريدة الشرق ص56، 68.
جريدة الشعب ص251.
جريدة الشهاب ص 72، 179، 264، 334،

جريدة الزهرة ص233.
جريدة السلام ص501، 525.
الجريدة السورية الرسمية ص69، 70.
جريدة ست مينستر غازت ص195.
جريدة سورية ص40.
382، 383، 385، 386، 388، 389، 416.
جريدة الشورى ص 34، 230، 244، 453، 464، 471، 485، 508.

ـ ص ـ ض ـ ط ـ ع ـ

جريدة الصباح ص251.
جريدة الصفاء ص62.
جريدة الصواب ص233.
جريدة الصوت الأهلي ص334.
جريدة الضحى ص284.
جريدة الطان ص160، 195، 284، 410، 415، 416.
جريدة صحيفة فلسطين ص288.
جريدة صوت التونسي ص276.
جريدة طنين ص25.
جريدة العادل ص464.
جريدة العالم الإسلامي الألمانية ص341.
جريدة العتيد ص464.
جريدة العدالة ص368.
جريدة العرفان ص51.
جريدة العلم العربي ص73.
جريدة العمل التونسي ص277، 288.

ـ ف ـ ك ـ م ـ ن ـ ل ـ هـ ـ و ـ

جريدة الفجر ص463.
جريدة الفرات ص40.
جريدة الفطرة (الأرجنتين) ص73.
جريدة الفونوغراف ص250.
جريدة الفيغارو ص410.
جريدة الكاتب ص250.
جريدة الكنيسة التبشيرية ص433.
جريدة المترجم ص250.
جريدة المجلة الزيتونية ص233، 241.
جريدة النداء ص484، 509.
جريدة النصر ص251.
جريدة فاضح الأسرار ص250.
جريدة لاديبيش ألجيريان ص411، 489.
جريدة لاديبيش تونسيان ص261.
جريدة لافريك فرانسيز ص410.
جريدة لافوا دو فرانسيز ص411.
جريدة لاكوا فرانسيز ص410.
جريدة لسان الحال ص288.

جريدة المحيّر ص250.
جريدة النجاح ص306، 403.
جريدة النجمة ص250.
جريدة لسان الدين ص403.
جريدة لو بوبل تانجر (أهل طنجة) ص506، 527.
جريدة لواء الإسلام ص290.
جريدة مبشر صادق ص250.
جريدة مجلة الفتح ص 62، 96، 98، 177. 184، 187، 189، 193، 377، 392. 395، 410، 436، 438، 451، 464، 480، 482، 486، 509، 524، 535.
جريدة منبر الشرق ص414.
جريدة منور الحق ص250.
جريدة ميزاب ص393.
جريدة ناصر المحيّرين ص251.
جريدة ها باريديس ص250.
جريدة وادي ميزاب ص392، 393، 394.
مجلة المجمع العلمي العربي ص400.
مجلة المقتبس ص40، 96.
مجلة المقتطف ص39، 79.
مجلة المنار ص 44، 46، 48، 66، 81، 82. 387، 390، 394، 409، 439، 473.
مجلة المنتقد ص265، 389.
مجلة المؤيد ص43، 142، 144.
مجلة النهضة ص233.
مجلة الهلال ص146.
مجلة كوكب الشرق ص476.
مجلة مانشستر غارديان ص474.
مجلة مغرب ص281، 352، 461، 464، 487، 488، 501، 509، 511، 519.

فهرس المعارك والحروب والمعاهدات:

ـ أ ـ

اتفاقية المرسى ص224، 225، 226، 260.
اتفاقية لوزان الثانية ص157.
أحداث (1860م) لبنان ص39.

ـ ث ـ

ثورة استقلال اليونان ص298.
ثورة الأغواط ص300.
ثورة الأكراد ص168.
ثورة الزعاطشة ص300، 315، 329.
ثورة الفلاحين في لبنان (58-1859م) ص32.
ثورة القبائل ص300، 301.
ثورة القصرين ص229، 251.
ثورة المقراني ص316، 322.

ثورة الريف (469-480) ص 491، 519، 524، 530.
الثورة السورية الكبرى ص103.
الثورة العربية الكبرى ص 54، 58، 61، 65، 66، 67، 69، 70، 259، 321.
ثورة بوعمامة ص316.
ثورة علي بن غذاهم المساهلي ص208، 213.
ثورة غومة المحمودي(جبل نفوسة، ليبيا) ص104.

-ح- ف- م-

حادثة الزلاج ص280.
حادثة المنشية ص194.
الحرب الأهلية الإسبانية ص 441، 442، 444، 536.
الحرب البلقانية ص147.
الحرب البلقانية ص55.
الحرب البلقانية(1911-1912م) ص57، 408.
الحرب الطرابلسية ص(100-198)، 231، 233، 257، 258، 309، 322.
الحرب العالمية الأولى(الحرب العامة) ص 55، 56، 60، 67، 139، 146، 147، 153، 155، 157، 158، 166، 170، 171، 195، 225، 242، 243، 244، 245، 251، 256، 281، 282، 320، 324، 333، 347، 348، 349، 350، 351، 408، 425، 438، 443، 448، 505.
الحرب العالمية الثانية ص 54، 75، 194، 225، 243، 245، 276، 278، 280، 284، 285، 335، 336، 370، 388، 414، 430، 440، 445، 448، 528، 529.
الحرب الفرنسية البروسية ص346، 443.
حملة نابليون على مصر(1789م) ص21، 215.
الفتنة الكبرى ص89، 90، 91.
معاهدة التافنة ص312، 313.
معاهدة أوشي (لوزان الأولى) ص 136، 137، 155، 157، 166.
معاهدة باردو ص 219، 221، 222، 224، 226، 229، 260.
معاهدة دي ميشال ص310، 311، 312.
معاهدة سايكس بيكو ص66.
معاهدة سيفر ص61.
معاهدة لندن(1840م) ص22.
معركة الشط بطرابلس ص133.
معركة العواقير ص167.
معركة أنوال ص472.
معركة دفنة ص159.
معركة نافارين ص298، 299.
معركة وادي أيسلي ص 313.
مقاومة أبي إمامة ص229.
مقاومة علي بن خليفة ص229.
موقعة بواتيه ص308.
موقعة سيدان سنة 1870م ص219.

حرب القِرم ص345.
الحرب الليبية ص55، 61.
حروب الردّة ص77.
الحلف الثلاثي ص118.
الحملة الصليبية الثامنة ص240.
موقعة عين دارا ص32.
موقعة عدوة بالحبشة 1896م ص 128، 129، 141.
موقعة ليبانت 1571م ص295.

فهرس الموضوعات :

الواجهة..... 001
البسملة..... 002
الإهداء..... 003
شكر وعرفان..... 004
مقدمة..... 005
الفصل الأول: أمير البيان شكيب أرسلان نبذة من سيرته وقراءة في فكره ــــــــــ 018
1) أحوال الشام أواخر حكم آل عثمان (سياسيًا، اجتماعيًا، ثقافيًا)..... 020
1-1 أحوال الشام السياسية أواخر الفترة العثمانية..... 020
1-2 مجتمع الشام أواخر حكم آل عثمان..... 028
1-3 أحوال الثقافة والأدب في لبنان وسائر الشام..... 035
2) بناء شخصية أمير البيان العلمية وعلاقته برموز الحركة الإصلاحية..... 041
2-1 التنشئة الثقافية والمناهل المعرفية لشكيب أرسلان..... 042
2-2 أثر المفكرين والأدباء في مسار الأمير الأدبي والسياسي..... 046
2-3 أقوال مشاهير الشخصيات العربية والغربية في شخص الأمير..... 049
3) نشاط شكيب أرسلان خلال الفترة العثمانية وجهوده لتحقيق الوحدة العربية..... 054
3-1 خدمات أرسلان السياسية للسلطة العثمانية..... 054
3-2 أمير البيان وجمعية الاتحاد والترقي وسياسة التتريك..... 058
3-3 موقف شكيب أرسلان من الثورة العربية..... 065
3-4 فكرة الوحدة العربية لدى الأمير ومساعيه لتحقيقها..... 070
4) تصورات الأمير حول كتابة التاريخ ونماذج من كتاباته التاريخية والسياسية والأدبية..... 075

4-1 كتابة التاريخ من منظور أمير البيان..... 076
4-2 كتابات الأمير في مجال السياسة والتاريخ..... 080
4-3 كتابات الأمير في مجال الأدب والشعر..... 084
5) مواقف الأمير وآراؤه تجاه (الشيعة، الشيوعية، والوهابية)..... 088
5-1 آراء الأمير في الشيعة والتشيع..... 088
5-2 انطباعات الأمير حول الفكر الشيوعي..... 092
5-3 مواقف الأمير من الحركة الوهابية..... 096
الفصل الثاني: الاحتلال الإيطالي لليبيا وجهود شكيب أرسلان الدبلوماسية وعلاقته برموز الحركة الوطنية 101
1) الوضع العام بليبيا العثمانية أواخر القرن 19 وبداية القرن 20..... 103
1-1 الوضع السياسي في ليبيا أواخر حكم آل عثمان..... 104
1-2 الجيش في ليبيا خلال العهد العثماني الثاني 108
1-3 أوضاع ليبيا الاقتصادية أواخر الفترة العثمانية 112
2) الجهود الإيطالية الدبلوماسية لاحتلال ليبيا 117
3) التمهيد السلمي للاحتلال الإيطالي لليبيا ودوافعه 121
3-1 الهجرة الإيطالية نحو ليبيا 121
3-2 إنشاء فروع مصرف روما 123
3-3 دوافع الاحتلال الإيطالي لليبيا 125
4) بداية الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب وموقف الدولة العثمانية منه 129
4-1 بداية الغزو الإيطالي لليبيا 129
4-2 موقف الدولة العثمانية من الهجوم الإيطالي على ليبيا 133
5) جهود أمير البيان شكيب أرسلان في خدمة القضية الليبية 140
5-1 جهود أمير البيان في مجال الصحافة والإعلام 140
5-2 جهود الأمير المادية والحربية 144
5-3 أمير البيان على جبهات القتال 148
5-4 موقف الأمير شكيب من اتفاقية أوشي لوزان أكتوبر 1912م 155
6) علاقة أمير البيان برموز الحركة الوطنية الليبية 158

6-1 أمير البيان والإشادة بأعمال القائد عمر المختار 159
6-2 مراسلات أمير البيان مع الزعيم الليبي بشير السعداوي 162
6-3 علاقة الأمير بأحمد الشريف السنوسي 165
6-4 دور شكيب أرسلان في المفاوضات العثمانية الإيطالية 173
7) آراء الأمير في الفاشية وحملته الإعلامية على ممارسات إيطاليا الاستعمارية في ليبيا 182
7-1 آراء الأمير في الفاشية الإيطالية 183
7-2 الحملة الإعلامية لأمير البيان على ممارسات إيطاليا الاستعمارية في ليبيا وموقفها منه 186
الفصل الثالث: علاقة شكيب أرسلان برموز الحركة الوطنية التونسية ـــــــــــــ 199
1) أحوال تونس السياسية والاقتصادية والاجتماعية قبل فرض الحماية الفرنسية 202
2) العلاقات الفرنسية التونسية قبل وبعد فرض الحماية 214
2-1 العلاقات الفرنسية التونسية قبل فرض الحماية 214
2-2 ذرائع التدخل وفرض الحماية عبر معاهدة باردو 219
2-3 معاهدة المرسى "جوان 1883" واستكمال السيطرة الفرنسية على تونس 226
3) مواقف أمير البيان من السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس 230
3-1 لمحات تاريخية حول البلاد التونسية بعيون أرسلانية 230
3-2 انطباعات الأمير حول سياسات فرنسا التسلطية في البلاد التونسية(التنصير، التجنيس، التجنيد) 237
3-2-1 موقف الأمير من مسألة التنصير في تونس 238
3-2-2 موقف شكيب أرسلان من مسألة التجنيس في تونس 241
3-2-3 موقف الأمير إزاء قضية التجنيد الإجباري في تونس 243
3-3 أخبار اليهود في تونس بقلم أمير البيان شكيب أرسلان 246
3-4 مظاهر الفرنسة بتونس بقلم أمير البيان شكيب أرسلان 251
4) بروز الحركة الوطنية التونسية وعلاقة رموزها بالأمير شكيب أرسلان 256
4-1 علاقة الأمير بالشخصيات: محمد علي الحامي، محمد خضر حسين التونسي، علي بوشوشة.... 257
4-2 خلاصة مراسلات أمير البيان مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي 260
4-3 علاقة الأمير بالزعيم الحبيب بورقيبة 274
4-4 علاقة الأمير بالإخوة باش حانبه علي ومحمد 280
4-5 علاقة الأمير بالشيخ صالح الشريف التونسي ومحمد الطاهر بن عاشور 282
5) جهود الأمير السياسية من أجل استقلال البلاد التونسية وردود فعل السلطة الفرنسية

اتجاهه 283
5-1 مشاريع أمير البيان من أجل استقلال تونس 284
5-2 موقف السلطة الفرنسية من جهود الأمير السياسية لاستقلال البلاد التونسية 287
الفصل الرابع: علاقة شكيب أرسلان برواد الحركة الوطنية الجزائرية ومساعيه للقضية الجزائرية 291
1) اهتمامات شكيب أرسلان بالجزائر على صعيد التأليف قبل وبعد احتلالها 293
1-1 لمحات أمير البيان التاريخية حول أوضاع الجزائر السياسية الاجتماعية والثقافية 293
1-2 آراء الأمير حول مسائل قبائل البربر والطرق الصوفية في الجزائر 300
1-3 ما خطّه الأمير حول مقاومة الأمير عبد القادر والثورات الشعبية 310
1-4 صلات أمير البيان بأفراد عائلة الأمير عبد القادر الجزائري 318
2) مواقف الأمير تجاه السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 325
2-1 موقف الأمير من سياسة فرنسا الإدماجية (ومن مسألة التجنيس) 325
2-2 موقف شكيب أرسلان من سياسة فرنسا التنصيرية (التبشير) 338
2-3 موقف أمير البيان من التجنيد الإجباري للشباب الجزائري 345
3) علاقة شكيب أرسلان برموز الحركة الوطنية الجزائرية 351
3-1 أخبار الأمير خالد الجزائري بقلم أمير البيان 351
3-2 صلة أمير البيان بالزعيم مصالي الحاج 257
3-3 علاقة الأمير بأقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(توفيق المدني، عبد الحميد بن باديس...) 372
3-3-1 صداقة الأمير بالكاتب الشهير أحمد توفيق المدني 373
3-3-2 صلة أمير البيان بالشيخ عبد الحميد بن باديس 381
3-3-3 علاقة الأمير شكيب بالعلماء(العقبي وأبي اليقظان والزاهري والزواوي...) 391
3-4 أمير البيان ودعاة الإدماج (فرحات عباس وبن جلول) 405
4) موقف الطرف الفرنسي من نشاط الأمير السياسي لصالح الشأن الجزائري 408
الفصل الخامس: اهتمامات شكيب أرسلان بالمسألة المغربية زمن الحماية الفرنسية والإسبانية 417
1) مواقف أمير البيان شكيب أرسلان من السياسة الاستعمارية في الأراضي المغربية 420
1-1 كتابات أمير البيان حول سياسة التسلط الاستعماري الفرنسي والاسباني في المغرب..... 420

2-1 موقف أمير البيان من سياسة التنصير 432
3-1 موقف أمير البيان من التجنيد الإجباري للشباب المغربي 440
2) شكيب أرسلان في تطوان، أثر الزيارة وتداعياتها داخل المغرب وخارجه 448
2-1 إصدار الظهير البربري وزيارة الأمير إلى البلاد المغربية 449
2-2 تداعيات الزيارة على السلطة الاستعمارية وعلى الحركة الوطنية المغربية 458
2-3 أثر الرحلة المغربية على شخصية الأمير الفكرية 465
3) علاقة أمير البيان برواد الحركة الوطنية المغربية 468
3-1 الأمير شكيب أرسلان والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وثورته 469
3-2 علاقة الأمير برموز المنطقة الخليفية(عبد السلام بنونة، عبد الخالق الطريس، محمد داود)..... 481
3-2-1 صلة أمير البيان شكيب أرسلان بالشيخ الحاج عبد السلام بنونة 481
3-2-2 صلة أمير البيان شكيب أرسلان بالسيد عبد الخالق الطريس 491
3-2-3 صلة أمير البيان شكيب أرسلان بالسيد محمد داود 499
3-3 علاقة الأمير بالوطنيين المغاربة في المنطقة السلطانية(أحمد بلافريج، وعلال الفاسي) 507
3-3-1 صلة الأمير شكيب أرسلان بأحمد بلافريج 507
3-3-2 صلة الأمير شكيب أرسلان بالزعيم علال الفاسي 512
4) موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية والاسبانية من النشاط السياسي لأمير البيان 519
4-1 موقف الفرنسيين من مساعي أمير البيان في المغرب 520
4-2 موقف الإسبان من جهود شكيب أرسلان السياسية في البلاد المغربية 531
خاتمة 537
الملاحق 545
قائمة المصادر والمراجع 572
القرآن الكريم 573
الوثائق الأرشيفية 573
المذكرات الشخصية 574
الكتب باللغة العربية..... 575
المجلات واليوميات والحوليات 587
الرسائل الجامعية 599
الموسوعات والمعاجم 601

المراجع باللغات الأجنبية 602
المواقع الإلكترونية 604
الفهارس 613
فهرس الأعلام والشخصيات 614
فهرس المدن والحواضر 632
فهرس المجموعات والقبائل والشعوب 646
فهرس الجمعيات والهيئات والمنظمات والمؤتمرات 650
فهرس الجرائد والمجلات 653
فهرس المعارك والحروب والمعاهدات 656
فهرس الموضوعات 658

تم بحمد الله

الملخص:

يُعتبر شكيب أرسلان من الشخصيات التي جاهدت بالقلم عبر كتابة الشعر والنثر والتأليف، وخاض في مجال السياسة وتقلّد المناصب، مزج بين مجالي الأدب والحرب، وجمع بين قضايا السياسة والتاريخ عبر الكتابة، فخلّف الكثير من المؤلفات، وكوّن شبكة علاقات واسعة في العالم العربي والإسلامي في الفترة التي شهدت فيها الخلافة العثمانية أوجّ ضعفها، وبدأت أقاليمها بالتفكك والدول الأوروبية تتربص بها قصد اقتطاع الولايات العربية إلى نفوذها، والسيطرة عليها.

آمن بفكرة الوحدة، فكان من الفعّالين في نشر الوعي بين تيّارات الحركات الوطنية، خصوصاً في شمال إفريقيا، وعمل بكل ما لديه من وسائل لتحرير العقل العربي والإسلامي من التخلّف والجمود، مُركزًا من خلال مساره التوعوي على دول المغرب العربي، فكانت له علاقات جيدة مع رموز الحركات الوطنية المغاربية، ولم تقتصر علاقاته برجالها فقط بل تعدّت إلى اهتماماته بتاريخها وسياسات الاحتلال فيها، وكان له بالغ الاهتمام بقضاياها ومشاكلها، فخطّ عدد غير محدود من المقالات دفاعاً عن الهوية العربيّة الإسلاميّة، مما عكّر علاقاته بحكومات الاحتلال خصوصًا فرنسا التي سخّرت كل أجهزتها الإعلامية والسياسية والمخابراتية، لتشويه سمعته، والإنقاص من مكانته.

من خلال القراءة في تفاصيل موضوع دراستنا يتّجه الباحث مباشرة إلى تقسيم البحث إلى خمسة فصول بعد المقدمة وتذييله بخاتمة، حيث أنّه لابد من قراءة معمّقة لشخصية أمير البيان، النشأة والتكوين وجهوده لتحقيق فكرة الوحدة العربية بعد إلغاء الخلافة العثمانية، وفي الفصل الثاني أشرنا إلى علاقة الأمير برموز الحركة الوطنية الليبية، والفصل الثالث كان حول جهود الأمير للمسألة التونسية واتصالاته برجال حركتها الوطنية، أمّا الفصل الرابع فكان حول القضية الجزائرية ومساعي الأمير لخدمتها، كما أدرجنا علاقات الأمير برواد الوطنية المغربية في الشمال والجنوب.

summary:

Shakib Arslan is considered one of the figures who struggled with the pen by writing poetry, prose, and writing. He entered the field of politics and held positions. He combined the fields of literature and war, and combined the issues of politics and history through writing. He left many books and formed a wide network of relationships in the Arab and Islamic world during the period. In which the Ottoman Caliphate witnessed the height of its weakness, and its territories began to disintegrate, and European countries lurked in order to carve out the Arab states under their influence and control them.

He believed in the idea of unity, and was effective in spreading awareness among the national movements, especially in North Africa. He worked with all his means to liberate the Arab and Islamic mind from backwardness and stagnation, focusing his awareness path on the countries of the Maghreb, and he had good relations with symbols of unity. The Maghreb national movements, and his relations were not limited to their men only, but rather extended to his interests in their history and occupation policies, and he had a great interest in their issues and problems. He wrote an unlimited number of articles in defense of the Arab-Islamic identity, which disturbed his relations with the occupation governments, especially France, which harnessed all its media and political apparatus. And the intelligence services, to distort his reputation and diminish his status.